

كتاب الضياء







تقديم وإشراف

سعالي الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله السالمي

وزير الأوقاف والشؤون الدينية

تحقيق

الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني

داود بن عمر بابزيز الوارجلاني

المقدمة

١



الجزء الأول

المقدمة

كتاب العلم والعقل

كتاب التوحيد

• العلم والعقل

• التوحيد



الجُزءُ الأوَّل

الطّبْعة الأولى
١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م



كتاب الضياء

للعلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبي

(ت: القرن ٦هـ / ١٢م)

تقديم وإشراف

معالي الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي

وزير الأوقاف والشؤون الدينية

تحقيق

الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني — داود بن عمر بابزيز الوارجلاني

الجزء الأول

المقدمة

كتاب العلم والعقل وما يتعلّق بهما

كتاب التوحيد والأسماء والصفات



تقديم

كتاب الضياء للعلّامة أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي، أحد أهمّ الموسوعات الفقهية بعامّة، ولدى الإباضية بخاصة. وقد أصدرته من قبل وزارة التراث والثقافة بقدر ما تيسّر للناظرين فيه من مخطوطاتٍ وقدراتٍ على المقارنة والتحقيق. لكنّ هذه النشرة تتميّز باستيعاب الرجوع إلى كل المخطوطات المتوافرة، بحيث يمكن الاطمئنان إلى خُلُوّ النصّ من خطأٍ فادح، أو نقصٍ لا يُرأَبُ صدْعُه. ثمّ إنّ المحقِّقَين الفاضلَين، وبعد استيفاء النُسَخ المخطوطة بقدر الإمكان، عملا على مدى سنواتٍ في ضبط النص ومقارنته بما توافر من نصوصٍ فقهيةٍ متقدّمة أو متأخّرة. وما تجاهل المحقِّقَان أنّ الكتاب الضخم من كتب الفقه المقارن، فعمدا إلى تتبع مصادره ومراجعه في الكتب الفقهية الأُخرى الإباضيّة وغير الإباضيّة، بحيث يمكن تتبُّع الأصول والمصادر من طريق الإحالات، وإيضاح الاقتباسات.

ولقد قدمتُ بهذه السطور لعمل المحقِّقَين لأُشير إلى أننا للمرّة الأولى أمام نصٍ شبه كامل، ومقروء جيدًا، ويمكن تتبُّع مصادره من جهة، والكتب التي أخذت عنه من جهةٍ ثانية. وهذا يعني أنه واستنادًا إلى جمع العوتبي وترتيبه واجتهاداته، نستطيع أن نتتبَّع التطور في التأليف الفقهي لدى إباضيّة المشرق. كما نستطيع بالقراءة الدقيقة للنصّ تحديد الزمان الذي عاش فيه العوتبي، والظروف التي عمل فيها.

إنّ هذا لا يعني أنّ أحدًا من الباحثين من قبل، ما حاول جلاء الغموض الذي يحيط بالمسائل المتعلّقة بحياته وفترته وعمله. إنّما رغم كثرة الدراسات، فإنّها ما أدّت إلّا إلى زيادة الافتراضات بشأن حياته بين القرنين الرابع والسابع

للهجرة. وهذا الغموض ليس بالشـأن الهيّن. فالعوتبي مؤلِّـفٌ مركزيٌّ إذا صحَّ التعبير. إذ بالإضافة إلـى الضياء، اشـتهر الرجل بكتابه في الأنسـاب، وكتابه اللغوي الطريف: الإبانة.

لقد حاول المحقِّقان، مثل الذين سـبقوهما أن يعيدَا قراءة الإشارات الضئيلة الواردة عن شـخصيته عَرَضًا في **الضياء** وغيره. ورجّحا أن يكون الرجل قد عاش في القرن السـادس الهجري. لكنّهما وبعد الجهد الكبير، عـادا للقول إنّ الأمر يحتاج للمزيد من الدراسـة والبحـث. وهذا البحث ضروري مـن أجل التاريخ الفقهي العُماني، وكتابة التاريخ في عُمان، كما الكتابة اللغوية والمعجمية.

وليس هنا موضـع البحث في تركيب الكتـاب أو ترتيبه. لكـنّ كتب الفِقه العُمانية تتميّز بمقدمةٍ في العقائد قبل البدء بالأبواب المعروفة في العبادات. وهذا ظاهرٌ في **الضياء** كما في غيره. لكنّـه تميّز أيضًا بمقدمةٍ أدبيـةٍ إذا صحَّ التعبير، وفصول في العلم والفُتيا، وأُخرى تشـبه صنيع المحدِّثين وعلماء القرآن الكريم. ويمكن بتتـبُّع الآراء التي ذكرها العوتبي للفقهاء مـن المذاهب الأُخرى، معرفة المؤلَّفات الفقهيـة التي كان يقرأها العلمـاء العُمانيون. كما يمكـن أيضًا معرفة المسانيد وكتب أو دواوين الحديث النبوي التي كانوا يتداولونها، إضافةً للمؤلَّفات الفقهية التي تتابع العلماء الأعلامُ على وضْعها جمعًا وتأليفًا واجتهادًا وتطويرًا.

لقد أفدْتُ كثيرًا من النظر العاجل في بعض أجزاء **الضياء**، كما سبق أن أفدتُ من **الأنسـاب** و**الإبانة**. وإنني إذ أذكر للمحقِّقَين الفاضلَيـن جهدهما الكبير على مدى سـنواتٍ عِدّة في تحقيق نصّ الكتاب والتقديم له بمقدمةٍ صافية، أسأل الله سـبحانه الثوابَ للمؤلِّف على ما قدَّم من عملٍ جليـل، وللمحقِّقَين التوفيق إلى خدمة كتب العلم والفِقه الشريف، إنه عزَّ وجلّ خير حافظٍ وخير مسؤول.

عبدالله بن محمد بن عبدالله السالمي
وزير الأوقاف والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة التحقيق

الحمد لله مُتَمِّم الأعمال قبل انقضاء الآجال، وعالم خفايا الأحوال عظيم النوال، نوَّر أبصار العارفين، وجذب أزمَّة أسرار المحقِّقين، فجعل الشمس لهم ضياءً، والقمر نورًا، ورفع الذين آمنوا درجات عليّة، وأُولي العلم معارج سنيَّة، كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وكفى بربِّك هاديًا ونصيرًا.

نحمده تعالى بما هو له أهل من الحمد، ونثني عليه، ونتوكَّل عليه، ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، كما شهد على نفسه أنَّه لا إلٰه إلَّا هو والملائكة وأُولو العلم قائمًا بالقسط، لا إلٰه إلَّا الله العزيز الحكيم. ونشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، المعلِّم العظيم، والمرشد الحكيم، أرسله الله بالهدى والدين، منَّةً ورحمةً للعالمين، فأحيا به الأمَّة، وأزال بوحيه الغمَّة، هو القائل: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة**»، صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى آله المنتجبين، وأصحابه المتقين، الذين هم بالقسط قائمين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

فإنَّه لا يخفى على ذي بصيرة ما تزخر به المكتبة العُمانية من كتب تراثية ضخمة، ومصادر علميَّة نفيسة، لا تزال تشهد كلّ يوم بالجهود الجبَّارة التي تركها الأسلاف، صانعي التراث الإسلامي العتيق، وواضعي الثقافة العربية الأصيلة، مِمَّا يجدر بالمتأمِّل أن يقف أمام هذه الأعمال الواسعة وقفة

إجلال وإكبار، ويرفع رأسه في اعتزاز وافتخار، ويقطف هذه الثمرات اليانعة، التي تؤتـــي أُكُلَها كلّ حيـــن، معبِّرة بنفســـها عن الكفاح الطويـــل، والعطاء الجزيل، للحفاظ على الركائز ثابتة، وبالمسالك قويمة، وبالأسس سليمة من كلّ ما يلحقها من أذى، وإن طال بها المدى.

ولقد وضع الأوائل مصنَّفات كثيرة، مختلفة الأحجام بين الاختصار والتطويـــل، فجعلـــوا المطوَّلة لهدف الســـماع والاســـتفادة، والمختصر للحفظ والاستيعاب، كما ذكر ذلك العوتبيّ في مقدِّمته حيث قال: «فلا غرو إن كَبُـــر الكتاب، وكثر فيه الأبواب، ولعمـــري إنَّ الإكثار والإطالة موجبان للترك والملالة، لكن لا في كلّ مكان يَحســـن الاختصار، كما لا في كلّ مكان يحســـن الإكثار. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تُطيل؟ قال: نعم؛ ليسمع منها. قيل: فهل كانت توجز؟ قال: نعم؛ ليحفظ عنها».

وعلى هذا الـــرأي درج كثير من مؤلِّفـــي الإباضيَّة في مـــا أنتجوه من مؤلَّفات قيِّمة، في فنون مختلفة، لا يُمكن عدّها ولا حصرها، لضياع كثيرها، وفناء جليلها، بداية من ديوان مؤسِّس مدرستها الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يقال بأنَّه «حِمْلُ خَمسة أَبعِرة»، ثُمَّ كتاب محمَّد بن محبوب في سبعين مجلَّدًا، ثُمَّ كتاب «الخزانة» لابنه بشير في سبعين مجلَّدًا، وتلك الموسوعات التي ذكرنا جاءت في القرون الثلاثة الأولى فقط، ولو لم يكن للعُمانيِّين من التآليف إلَّا هذه لكفَت، وبهـــا الغُنية، وإليها المرجعيَّة، لكن شاء الله أن تتلوَها سلاسل أخرى، حفظت من تلك الأعمال كثيرًا، وأضافت إليها أشياء، حتَّى جاء القرن الســـادس الهجري، فاتَّسعت فيه رقعة التأليف حتَّى سُمِّي بعصر الموسوعات الفقهيَّة، حيث تَمَّ فيه وضع أربع موسوعات

تَنوء بها العصبة أولو القوَّة، استأثر بثلاثة أرباعها أبناء العمومة الكنديّين الأفذاذ، أُولاها: «بيان الشرع» لِمحمَّد بن إبراهيم بن سليمان الكندي (ت:٥٠٨هـ) في ٧٣ مجلَّدًا؛ وثانيتها: «الكفاية» لِمحمَّد بن موسى بن سليمان الكندي في ٥١ مجلَّدًا،؛ وثالثتها: «المصنَّف» لأحمد بن عبد الله بن موسى بن سليمان الكندي (ت:٥٥٧هـ) في ٤١ مجلَّدًا؛ وأمَّا الرابعة فهذه الموسوعة «الضياء» التي بين أيدينا.. ولم تنقطع هذه الموسوعات التي تلتها موسوعات أخرى، منها: «التاج» لعثمان بن أبي عبد الله الأصم العقري النزوي (ت:٦٣١هـ) في القرن السابع، ثُمَّ «منهج الطالبين وبلاغ الراغبين» للشيخ خميس بن سعيد الشقصي في القرن (١١هـ). وفي القرن الثالث عشر بلغت عدد الأجزاء قمَّتها في «قاموس الشريعة» إلى تسعين أو ٩٢ مجلَّدًا، من غير الأعمال والكنوز التي تلتها كـ«التاج المنظوم» للضياء الثميني، و«شرح النيل» للقطب أطفيش، و«معارج الآمال» للنور السالمي، وستتلوها أخرى إن شاء الله، وإنَّ هذا لمن الشرف المروم، والتأسِّي بأولئك النجوم، وقد بلغوا من التأليف والتنقيح ما بلغوا، مع ضعف الوسائل، وكثرة القلاقل، إلَّا أنَّ الهمم إذا تعلَّقت بالثريا نالتها بعون الله وتوفيقه.

ولقد كان جُلُّ هذه الأعمال أو كُلُّها تَخدم أصولَ الدين، وعلم الفقه الشريف؛ لعظيم نفعهما، وجلالة قدرهما؛ فبهما يُعرف الله ﷻ، ومنهما تُستنبط الأحكام، وبفضلهما تستقيم الحياة، وتتقوَّى العلاقة بين المخلوق وخالقهم..

ولعلَّ من الوفاء بالعهود، تضافر الجهود، وكسر السدود، والوقوف على تلك الأعمال الجليلة، والمصنّفات الشريفة، بالتحقيق العلميّ، والإخراج الفنِّي، حتَّى ترى النور وتضيء طريق الباحثين، وتُذكِي الخير في نفوس الطالبين.

فبعد أكثر من ستٍّ سنوات خلَت من المساعي الحثيثة في جمع المخطوطات وتصويرها، والجهود المضنية في ضبط النصوص ومقارنتها، يصدر العمل هكذا ـ رغم ضعف عِلمنا وقلَّة حيلتنا ـ، إلَّا أنَّ الله قضَى أن يُخرِج شطأه، ويستوي على سوقِه، فتبتهج به النفوس، وتستأنس به الأسماع، وتشرئب إليه الأعناق، ليتبوَّأ مكانته في المكتبات الإسلامية، ويأخذ مَحلَّه بين المباحث اللغوية والمؤلَّفات الفقهيَّة.

ولقد اكتمل بنيان هذا العمل في قسمين اثنين، الأوَّل: قسم الدراسة، وجاء في مقدِّمة، وستَّة مباحث، وخاتمة.

والثاني: قسم التحقيق، الذي جاء فيه نصّ المؤلِّف مُحقَّقًا ومُخرَّجًا في أجزاء متوالية.

فأمَّا قسم الدراسة فقد جاء في خمسة مباحث، وهي:

- **المبحث الأول: في التعريف بمؤلِّف الضياء، وجاء في تمهيد وستَّة مطالب، هي:**

- **المطلب الأوَّل**: في اسمه ونسبه.
- **المطلب الثاني**: في مولده وعصره؛ وقد أخذ منَّا وقتًا طويلًا وعرضًا واسعًا في محاولة تحديدهما، من خلال عرض الرؤى والأفكار المختلفة التي تناولته.
- **المطلب الثالث**: في نشأته وأسرته، وبيئته السياسيَّة والعلميَّة.
- **المطلب الرابع**: في مشايخه وتلامذته، والاتِّجاه الفكري الذي درج عليه.
- **المطلب الخامس**: في مؤلَّفاته وآثاره العلميَّة.
- **المطلب السادس**: ختمناه بوفاته.

- **المبحث الثاني: في التعريف بكتاب الضياء، وجاء في سبعة مطالب:**
  - **المطلب الأوَّل:** في عنوان الكتاب، وسبب تسميته، وتأليفه.
  - **المطلب الثاني:** في نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه.
  - **المطلب الثالث:** في حجم الكتاب وموضوعه.
  - **المطلب الرابع:** ترتيب المؤلِّف لأجزاء «الضياء».
  - **المطلب الخامس:** مضمون الكتاب، ومنهجه في عرض المواضيع وتقسيمها، ومميزاته.
  - **المطلب السادس:** في تزامن تأليف الموسوعتين «الإبانة» و«الضياء».
  - **المطلب السابع:** في ذكر الدراسات والبحوث العلميَّة السابقة حول الكتاب.
- **المبحث الثالث: المصادر المعتمدة في الضياء**
- **المبحث الرابع: النسخ المخطوطة ووصفها**
- **المبحث الخامس: منهج تحقيق الضياء**
- **الخاتمة**
- **الصور الأولى والأخيرة للنسخ المخطوطة المعتمدة**
- **الرموز والمصطلحات**

المبحث الأوَّل: في التعريف بمؤلِّف الضياء

يتناول هذا المبحث تَمهيدًا وستَّة مطالب، وهي:

- **الأوَّل**: اسم المؤلِّف ونسبه.
- **والثاني**: مولده وعصره؛ وقد أخذ منَّا وقتًا طويلًا وعرضًا واسعًا في محاولة تحديدهما، من خلال عرض الرؤى والأفكار المختلفة التي تناولته.
- **والثالث**: نشأته وأُسرته، وبيئته السياسيَّة والعلميَّة التي عاش فيها.
- **والرابع**: مشايخه وتلامذته، والاتِّجاه الفكري الذي درج عليه.
- **والخامس**: مؤلَّفاته وآثاره العلميَّة.
- **والسادس**: وفاته.

التمهيد:

تُعرف شخصيَّة العوتبيّ بأنَّها موسوعَة متميِّزة.. جامعة لِمعارف مختلفة، اعترتها مجموعة كبيرة من الإشكالات، رغم شهرتها واعتماد من جاء بعده عليها، إلَّا أنَّ الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا لفي حيرة من أمره، في مولد العوتبيّ ونسبه وأُسرته وتلامذته وشيوخه، حيث أرَّخ للناس ولم يُؤرِّخ لنفسه، وترجم للأنساب ولم يُترجم لنسبه، كلّ هذا يترك في النفس شيئًا من التوقُّف والتساؤل، فما الذي جعله يُخفي كلّ ما يَمتّ إلى شخصِه وحياته بصلة؛ أهو تعمية عن واقع ما؟ أو هو تَخوّف من أوضاع اجتماعية وسياسية كانت تحيط به؟ أو هو المبالغة في التواضع والإمعان في نكران الذات؟ أو هو التوجّه الخالص لله في جميع الأعمال حيث لا يريد بِجهده جزاءً ولا شكورًا، كما هو المعهود عند أعلام الإباضيَّة، ولعلَّ هذا الأخير هو

الذي جعل كثيرًا من الأعلام المشهورين لا يُعرف عنهم وعن حياتهم إلَّا النزر اليسير، بدايةً من الأعلام المؤسِّسين كالإمام جابر بن زيد والإمام أبي عبيدة والإمام الربيع بن حبيب وغيرهم مِمَّن كان معهم أو قبلهم، ناهيك عن الذين جاؤوا من بعدهم، ولم نجد في تاريخ الإباضيَّة من كتَب سيرة ذاتية خاصَّة لنفسه إلَّا النادر، حيث كانوا على دأب السلف الصالح يشتغلون بما يُحيي الأمَّة ويهدي الناس؛ كالشمعة تَحرق نفسها لتنير العالم، وهو ما جعل الساحة التاريخية الإباضيَّة سواء في المشرق والمغرب تفتقر إلى معلومات كثيرة، لا تستنبط إلَّا من خلال النصوص المتفرِّقة في ثنايا الكتب، وهذا ما وقع في ترجمة هذه الشخصيَّة وغيرها، وما يقال فيها إلَّا اجتهادات قد تصيب وقد تُخطئ، وسيظهر ذلك جليًّا في عرض بعض ما كتبه الباحثون عن ترجمته، وبالله التوفيق.

المطلب الأوَّل: اسم المؤلِّف ونسبه

هو المؤرِّخ النسَّابة، واللغوي الأديب، والأصوليّ الفقيه، أبو المنذر سَلَمَةُ بن مُسْلِم بن إبراهيم بن سَلَمَة الأزديّ العوتبيّ الصُّحاري العُماني، فقد نسب في هذه السلسلة إلى نسبتين اثنتين قَبليّة ومكانية، فأمَّا النسبة المكانية فهي ثابتة باتِّفاق النسَّاخ والمؤرِّخين أنَّه من (عَوْتَبْ) ويطلق عليها (عَوْتَب الخِيام)، وهي البلدة التي وُلد فيها ونشأ في ربوعها ـ في ما يظهر ـ، وهي منطقة تابعة لولاية صُحَار من الجهة الشرقية، كما هو مصرَّح في النسبة، وصُحار من أقدم المدن العُمانية وأشهر مدنها الساحلية بمنطقة الباطنة في عُمان، تقع على بعد ٢٤٠ كلم شَمال غربي العاصمة مسقط، وكان يطلق عَلَيها قديمًا اسم «مَجان»، ويقال: بأنها سُمِّيت نسبة إِلَى صُحَار بن إرَم بن سَام بن نوح النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وانتهت نسبة سلمة الجغرافية إلى

عُمان، فقيــل: «العوتبيّ الصُّحاري العُماني». كما تتأكّد تلك الهُويَّة والنشــأة العُمانية من شعوره القويِّ بالولاء لأهله وانتمائه إلى وطنه الذي أسهب في ذكر فَضائله ودوره التاريخي في الجاهلية والإسلام.

إلَّا أنَّ شــهرة (عوتب) و(صُحَار) أخفتــا وراءهما نســبته القبليَّة، التي تحدَّث فيها من تحدَّث، لكن لا ندري من أين جاءوا بهذه النسبة «الأزدي»؟! ولعلهم من اختلافهم في انتمائه إلى قبيلة طاحية أو العتيك الأزديَّتين.. فقد ذكر المؤرّخ ســيف بن حمود البطاشــي أنه من طاحية ولم يعلل مذهبه(١)، ووافقه على ذلك ســامي صقر أبو داود(٢) ومحمود الريامي(٣)، ولعلهم بنوا رأيهُم على ما جاء في كتاب الأنســاب للعوتبيّ، إذ ورد فيــه ما نَصُّه: «قال أبو إسحاق (إبراهيم) بن مُســلم الطّاحي العوتبيّ فيمن زعم أن اليمن ونزار يلتقون إلى هود عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول بعض النسّابين... إلخ»(٤)، فكان التشــابه في النصّ بين الاسم والنسبة مِمَّا دفع محقّق كتاب الأنساب إلى القول باحتمال كون إبراهيم أخًــا أو قريبًا لسلمة(٥)، ووافقهم علــى الرأي أحمد بن عبد الله الكندي، كما زاد عليها تبريرات أخرى(٦).

---

(١) انظر: البطاشي: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ٣٥٣/١.

(٢) انظر: أبو داود، ســامي صقر: إضاءة على ســيرة العوتبي، ندوة العوتبي الصحاري الدولية، الملتقى العلمي السادس لوحدة الدراسات العُمانية، جامعة آل البيت، الأردن، ١٤٢٩/٣هـ ـ ٢٠٠٨/٣م.

(٣) الريامي، محمود بن ســليمان: العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة، جامعة السلطان قابوس، مسقط، أطروحة ماجستير، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٧٥ ـ ٧٧.

(٤) العوتبي: الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١٨٨/١.

(٥) انظر: مُحمَّد إحسان النصّ: مقدِّمة كتاب الأنساب، ١٨٨/١.

(٦) انظر: الكندي، أحمد بن عبد الله: منهج الشيخ العوتبي الصحاري في كتابه الضياء، الفصل الثاني.

أمّا المؤرّخ الشيخ أحمد بن سعود السيابي فإنَّه يرى نسبته إلى العتيك[١]؛ وعَلَّلَ ذلك بما ورد في كتاب الأنساب عند الحديث عن أسباب ومقدّمات وقعة الروضة بعُمان[٢] في القرن الثالث الهجري (٢٧٥هـ)، حيث ذكر اجتماع عدد من الأعيان من المناصرين للإمام الصلت بن مالك، وطلبهِم للنُّصرة من أعيان منطقة الباطنة بعُمان، إذ ورد فيه ما نصّه: «وكاتبوا مُسلمًا، وأحمد بن عيسى العوتبيّين، وسألوهما أن يبايعا لهما في الباطنة من العتيك من بني عمران»[٣]، فخلص السيابيّ إلى أن طاحية لم يرد ذكرها في نسب مُسلم وأحمد، وهما من نفس عشيرة سلمة، وبأنّ العتيك هي التي كانت منتشرة في الباطنة من أرض عُمان آنذاك[٤]، فيرجّح بأنَّهما من العتيك، ووافقه على هذا أيضًا الباحث ناصر بن محمَّد الحجري[٥].

وبعد عرض كلّ هذا، أرى ـ والله أعلم ـ أنَّ هذه النسب رغم اعتمادها على نصٍّ واحد ونتائج مختلفة، فهي احتمالات واجتهادات لا تتعلَّق أصلًا بهذه الشخصيَّة، وخاصَّة إذا عرفنا أنَّ هذه الأحكام كلّها كانت مبنيَّة على اسمين مشتبهين لشخصيتين مُختلفتين مقتربتين في المكان ومبتعدتين في الزمان، وهذا الاسم الذي اعتمدوا عليه واستنبطوا منه ما استنبطوا ذكره

(١) السيابي، أحمد بن سعود: العوتبي نسّابة، ص٧٦.

(٢) الروضة: مكان قرب مدينة تنوف بداخلية عُمان، وقعت فيها معركة مشهورة حاسمة في تاريخ الإمامة الاباضية بعُمان في القرن الثالث الهجري، بين المؤيدين والمعارضين لعزل الإمام الصلت بن مالك. انظر: جمعية التراث: معجم مصطلحات الاباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ١/٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٣) العوتبي: الأنساب، ٢/٧٤٦ ـ ٧٤٧.

(٤) السيابي: العوتبي نسّابة، ص٧٦.

(٥) الحجري: التفسير عند العوتبي من خلال كتابه الضياء، ص٦٨.

العوتبيّ نفســه في الجزء الخامس من الضياء قال في مــا نصّه: «وإذا كانت امرأة تصلِّي واستأذن أحد فسبَّحت؛ فعن سُليمان بن الحكم [حيّ: ٢٣٧هـ] ومُسلم بن إبراهيم أنَّ بعضهم لم يَرَ عليها نقضًا...»[(١)]، فهذا الاسم «مسلم بن إبراهيم» ليس المقصود بــه والده كما يوحي به النــصّ؛ لأنَّ البعد الزماني يرفض ذلك، وإنَّما وقع تشابه واضح في الأســماء؛ لأنَّ نفس الاسم يروي عنه أبو زياد الوضَّاح بن عقبة (الحيّ: ٢٣٧هـ) مع المقرون معه «سليمان بن الحكم» وكلّهــم من علماء القــرن الثالث الهجري، فيترجّــح المقصود من «مسلم بن إبراهيم» المشــتبه فيه هو نفسه هذا الشخص الذي كُوتِب وشارك في مناصرة الإمام الصلت بن مالك في موقعة الروضة الشــهيرة بتنوف سنة ٢٧٧هـ، فيثبت بذلك أنَّ ما بنوا عليه اســتنادهم لم يكن لشخصيَّة واحدة، بل لشخصيتين متشــابهتين في الاسم فقط، كما يمكن أن نعدّ هذا أيضًا كلّه تكلُّفًا من غير ضرورة؛ لأنَّ الإشكال كان أوَّلًا في إثبات العام (هل هو من الأزد) أم لا؟ ثُمَّ بعدها يُجتهد في الخاص (هل هو طاحي أو عتيكي؟) رغم أنَّ القبيلتيــن طاحية والعتيك أبناء عمومة يرجعون إلــى الأزد القحطانية[(٢)]، والله أعلم بالصواب.

المطلب الثاني: مولده وعصره

رغم شــهرة العلّامة العوتبيّ إلّا أنَّ المصادر التاريخية العُمانية اختلفت في تحديد الفترة الزمنيَّة التي عاش فيهــا اختلافًا كثيرًا، ليس الاختلاف في الشــهور والســنوات ولكنه اختلاف في القرون المتعاقبة، تتــراوح ما بين

(١) العوتبي، الضياء، ٣٤٦/٦ (محق). ٢٥٧/٥ (مط).

(٢) المبرّد، أبو العباس بــن مُحمَّد بن يزيد (٢٨٥هـ): نسب عدنــان وقحطان، تح: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، ص ٣٢ - ٣٣.

القرون الرابع والخامس والسادس من الهجرة النبويَّة، ولم يستطع أحد من الباحثين القطع بتاريخ معيَّن للقرن الذي درج فيه، ناهيك عن تاريخ مولده أو وفاته، وهنا نستعرض آراء الباحثين واستدلالاتهم، ثُمَّ نذكر توجيهها إن شاء الله، ويمكن حصر هذه الآراء كلِّها في ثلاث فرق:

الأوَّل: ذهب جمع كبير من الباحثين إلى أنَّ العوتبيّ عاش في أواسط القرن الرابع الهجري، وألحقه بعضهم إلى أوائل القرن الخامس الهجري؛ اعتمادًا على الغاية التي حدَّدها لنفسه في كتاب «الأنساب» مِن ذِكر الملوك والْخُلفَاء إلى سنة ٣٤٥هـ[١]، وهذا ليس بدليل قويّ يعتمد عليه في تحديد وفاته. كما استأنس بعضهم في ذلك أيضًا برجوعه إلى مصادر تنتمي إلى تلك الفترة، وهو ما يتَّضح من خلال النقولات الكثيرة في كتاب الأنساب والضياء والإبانة.

ولعلَّ أوَّل من أثبت هذه الغاية هو المُؤرِّخُ سيف بن حمود البطَّاشي[٢]، وتابعه محقِّقو كتاب «الإبانةِ»[٣] أيضًا، كما تابعه من جاء بعده، كعصام الروّاس[٤] الذي وجد جميع رواته ومعاصريه في كتاب الأنساب كانوا من تلك الفترة، ووافقه على ذلك جاد محمَّد طه[٥]، ودرج

(١) انظر: العوتبي: الأنساب، ١/١١٤.

(٢) سيف بن حمود بن حامد البطاشي (ت:١٤١٩هـ/١٩٩٩م): علامة مؤرخ وقاض. له: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ومصباح الظلم في حلّ ما أشكل وانبهم.

(٣) العوتبي، سلمة بن مسلم: الإبانة في اللغة العربية، تح: عبدالكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١/١١، ١٢.

(٤) الرواس، عصام بن علي: نظرة على المصادر التاريخية العُمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، سلسلة دراسات، العدد الثاني، ص١٧.

(٥) طه، جاد مُحمَّد: العوتبي مؤرِّخًا، ندوة قراءات في فكر العوتبي، المنتدى الأدبي، مسقط، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٨٦.

على هــذا الــرأي أيضًا موســى المفرجي وخلفــان الحجِّــي[١] وأحمد الكندي[٢]، ومبارك الراشدي[٣]، ومحمود الريامي[٤] الذي رجّح ولادته في الربع الثالث من القرن الرابع الهجــري، أي ما بين (٣٥٠هـ ـ ٣٧٥هـ)، وبنى رأيه على عدَّة قرائن، مِن أهمِّهــا: أنَّ العوتبيّ ذكر قصَّة في معرض حديثه عن ابــن دريد[٥]، قال فيهــا: «وحدَّثني رجلٌ مــن فارس من أهل شــيراز قال: حضرت جنازة ابن دُرَيد، فما أن فرغوا من دَفْنهِ حتَّى جيء بِجَمّالٍ فدُفنَ إلى جنبه، فعجِبَ الناسُ وقالوا مَنْ إلى جنبِ مَنْ فحضرتني هذه الأبيــات فقلت...»[٦]، وعلَّــل بهذه القصَّة تأكيد ســماع العوتبيّ من الشــيرازي؛ لأنَّه أوردها بلفظ: «حدّثني»، ولم يقل: «سمعتُ» أو «بلغني»، ومن جهة أخرى: فإن الشــيرازي حضر جنازة ابن دريــد في بداية تمييزه وحفظه في عام (٣٢١هـ/٩٣٥م)، ثُمَّ أدرك العوتبيّ وهو كبير السنّ فرواها له، فيكون لقاؤهما المحتمل ما بين عامــي (٣٨٠هـ ـ ٣٩٠هـ)، مِمَّا يدلّ

(١) المفرجي، موســى بن ناصر: الإنتاج الفكري العُماني، دراســة تحليلية للمؤلَّفات العُمانية الموسوعية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، د. ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٥٨.

(٢) الكندي، أحمد بــن يحيى: منهج العوتبي فــي السُّنَّة وعلومها، نــدوة العوتبي الصحاري الدولية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٥٣/١.

(٣) حيث عَدَّ كتاب «الضياء» للعوتبي من المصنَّفات الفقهية العُمانية التي أُلِّفت في القرن الرابع الهجري. انظر: نشــأة التدوين للفقه واســتمراره عبر العصور، ندوة الفقه الإسلامي بجامعة الســلطان قابوس عام ١٩٨٨م، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وزارة العدل والأوقاف والشــؤون الإسلامية، مسقط، ص١٨٩.

(٤) الريامي، العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية، ص٨٠.

(٥) هو: مُحمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي العُمانــي (ت:٣٢١هـ): من أئمة اللغة والأدب في البصرة ثــمَّ انتقل إلى عُمان ومكث فيها ثــم عاد إلى البصرة. له: الاشــتقاق، والمقصور والممدود، والجمهرة في اللغة... انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط١٦، ٢٠٠٧م، دار العلم للملايين، بيروت الأعلام، ٨٠/٦.

(٦) العوتبي، الأنساب، ٧٨٣/٢.

على أنّ العوتبيّ ولد قبل ذلك بسنين. وأضاف أحمد الكندي على هذه القرائن المرجِّحة حدثًا مهمًّا وقع بعُمان في القرن الخامس الهجريّ، وهو اجتماع العلماء والقضاة عند الإمام راشد بن سعيد (٤٤٥هـ)[١] لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم[٢] بعد الافتراق الواقع بسبب أحداث قضية موسى بن موسى[٣] وراشد بن النظر[٤]، وكان من ضمن الحاضرين في الاجتماع ابن شيخِ العوتبيّ ـ إن صحَّت مشيخته ـ الحسن بن سعيد بن قريش[٥] الذي عاش في نهاية القرن الخامس الهجري واحتمل زمالته بالعوتبيّ، وتقاربهما في الوفاة.

الفريق الثاني: ذهب إلى أنَّه عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل

(١) هو: أبو غسَّان راشد بن سعيد بن عبد الله (ت: ٤٤٥هـ): إمام شار، وعالم فقيه. بويع بالإمامة سنة ٤٤٢هـ، وتوفي بنزوى. له: عهد إلى عامله بصحار أبي المعالي مُحمَّد بن قحطان، وله كتب ورسائل إلى ولاته وجنوده، وله مسائل وأجوبة في الأثر. انظر: السعدي، فهد: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ر٢٠٨، ٢٢٦/٢.

(٢) حدث هذا الاجتماع يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقين من شهر شوال سنة ٤٤٣هـ.

(٣) هو: أبو عليّ موسى بن موسى بن علي بن عزرة البكري الإزكوي (ت: ٢٧٨هـ): عالم فقيه، وشيخ المسلمين في وقته. لما ضعف الإمام الصلت بن مالك عن الحكم خرج من إزكي إلى نزوى لعزله عن الحكم، فقام موسى بعقد الإمامة لراشد بن النظر، ثم انقلب عليه وبايع لعزَّان بن تميم، وبعد فتن عدة قتل موسى بن موسى في وقعة إزكي سنة ٢٧٨هـ. انظر: السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ر٨٩٤، ٢٣٧/٣.

(٤) هو: راشد بن النظر اليحمدي الفجحي: بويع بالإمامة في ٢٧٢/١٢هـ، وكانت إمامته بتزكية ودعم من موسى بن موسى بعد عزل الإمام الصلت، لم يتفق عليه المسلمون فعزلوه. انظر: السالمي: تحفة الأعيان، ٢١٣/١.

(٥) وهذا على قول من قال بأنَّ سعيد بن قريش هو شيخ العوتبي؟! والحسن بن سعيد: من علماء وفقهاء القرن الخامس الهجري بعقر نزوى. أخذ العلم عن والده سعيد بن قريش، ونقل عنه مُحمَّد بن سليمان العيني. تولَّى القضاء في زمن الإمام راشد بن سعيد. انظر: السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ر١٢٠، ١٢٠/٢.

القرن الســادس الهجري؛ لنقله فــي كتاب «الأنســاب»[١] عن ابن حزم الأندلســي (ت:٤٥٦هـ)، ونَقْلِه في موســوعته «الضيــاء» عن أبِي حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ)، مع ما بَينَهُم من البُعدِ المكَانِيّ.

ومن أصحاب هذا الرأي الشــيخ أحمد بن حمــد الخليلي؛ معلِّلا ذلك بقوله: «وأرى أنَّه إن كان من علماء القرن الخامس فإنَّ الزمن قد امتدَّ به إلى القرن السادس، نظرًا إلى ما وجدته في موسوعته (الضياء) من نقلٍ عن حجَّة الإســلام الإمام أبي حامد الغزالــي الذي عــاش بين عــام (٤٥٠هـ) إلى (٥٠٥هـ)، ولا يمكن أن ينقل عنه في تلك الفترة التي لم تَكن فيها وســائل النقل والنشر إلَّا بعدما شاعت شهرة الإمام أبي حامد الغزالي، ولا ريب أنَّ شــيوع هذه الشــهرة كان في القرن السادس الهجري»[٢]. ووافقه على ذلك المؤرّخ أحمد بن ســعود الســيابي؛ معللًا ذلك بقوله: «لأنَّ من مصادره في كتاب «الأنساب» كتاب «جمهرة نسب العرب» لابن حزم الأندلسي المتوفَّى سنة ٤٥٦هـ...» إلى أن قال: «ولا شــكَّ أنَّ كتابه وصل إلى العلَّامة العوتبيّ بعد ذلك الوقت، نظرًا لبعد المسافة بين عُمــان والأندلس»[٣]. ومِمَّن رجَّح مذهبهمــا عبدالرحمٰن السالمي ولم يجــزم بتاريخ معين مــع تحليلاته[٤]، والباحث ســلطان الشــيباني مع أنَّه لم يستسغ دخوله في القرن السادس[٥]. كما ذهب سعيد العبري إلى تأكيد دخوله في القرن السادس لنقله من كتاب

(١) العوتبي: الأنساب، ٢/٢٣٤.
(٢) الخليلي: العوتبي بين الفقه والأصول والأدب، ضمن كتاب (قراءات في فكر العوتبي)، ص٦٦.
(٣) السيابي: العوتبي نسَّابة، قراءة في ضمن كتاب (قراءات في فكر العوتبي)، ص٧٨.
(٤) انظر: السالمي: «تعددية العوتبي وترجمته أو إشكاليات شخصية العوتبي الصحاري»، م، س.
(٥) الشــيباني: ســلمة العوتبي.. مَعْلَمة الفقه واللغــة والتاريخ، مقال بموقــع التراث، تاريخ: ١٦/٦/٢٠١٠م.

«حقائق الأدلّة» (أو الأكلّة) للقاضي المقتول نجاد بن موسى المنحي[١] المقتول سنة (٥١٣هـ)[٢].

ومنهم من ردَّ تلك الدلائل التي تُخرج حياة العوتبيّ من القرن الخامس بأدلَّة، منها: روايته عن ابن حزم الأندلسي في الأنساب إنَّما يقصد بالأندلسي: عبدالملك بن حبيب الأندلسي[٣] المتوفَّى سنة (٢٣٨هـ). وأمَّا نقله عن أبي حامد الغزالي فغير صريح، ولا يؤكِّد ذلك تأكيدًا قاطعًا، وإنَّما يُحتمل زيادة النسَّاخ أو علماء آخرين للنقول الواردة لعلماء من القرن السادس؛ لعدم إمكانية امتداد عمر العوتبيّ إلى القرن السادس الهجري، وهو ـ كما قالوا ـ مُستبعدٌ؛ لصعوبة الجمع بين هذه النقول وبين ما أثبته العوتبيّ نفسه من نقله عن الشيرازي.

الفريق الثالث[٤]: ذهب بعض الباحثين من المستشرقين في محاولة لِحلّ هذا اللغز الذي لا يزال يُحيِّر كثيرًا من الدارسين في شخصيَّة العوتبيّ،

(١) هو: أبو مُحمَّد نجاد بن موسى بن نجاد بن إبراهيم المنحي (ت:٥١٣هـ): عالم فقيه قاض. وُلد سنة ٤٥٠هـ، حاول الثورة على الإمام راشد بن علي وانهزم أمامه سنة (٤٩٦هـ)، ثمَّ توفّي مقتولًا سنة (٥١٣هـ). له: كتاب الإمامة، والسيرة في أموال الجبابرة. وزيادات على إيضاح أبي زكرياء يحيى بن سعيد. انظر: ابن مداد، ٣٢-٣٣. وغيرها.

(٢) العبري، سعيد بن عبدالله: منهج العوتبي الفقهي من خلال كتاب الضياء، ندوة العوتبي الصحاري الدولية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، وحدة الدراسات العُمانية، جامعة آل البيت، ص٣.

(٣) عبدالملك بن حبيب بن سليمان الالبيري القرطبي (ت:٢٣٨هـ): عالم أديب مؤرخ، من إلبيرة. سكن قرطبة وزار مصر. وأحد كبار فقهاء الأندلس. له: حروب الإسلام، وطبقات الفقهاء والتابعين، وتفسير موطأ مالك، ومصابيح الهدى. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥٧/٤. كحالة، عمر: معجم المؤلفين، د.ط، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٨١/٦.

(٤) انظر: كاسترس: بيبليوغرافيا الإباضية (قسم المشرق)، ٦٥٧/٢. وتفصيل هذه الآراء والأقوال في مقال الباحث عبدالرحمٰن السالمي: «تعددية العوتبي وترجمته أو إشكاليات شخصية العوتبي الصحاري»، مجلة نزوى، العدد ٢١، ٢٠٠٩/٧/١١م.



فعرضوا إشــكالًا يحتاج إلى نظر وتمحيص، وهو في إشكال شخصيَّة سلمة العوتبيّ هل هي شخصيَّة واحدة، أو هما شخصيتان مختلفتان حملتا الاسم نفسه، واختلفتا في الكنية فقط («أبو المنذر» و«أبو إبراهيم» و«أبو مسلم»[(١)])؟ وهل مؤلِّف كتاب الأنساب هو نفسه صاحب كتاب الضياء؟

ذكر هذا الإشــكال البروفيسور جــون ويلكنسون[(٢)] ومن بعده باثورســت (Bathurst) ليعطيا بُعدا أوسع حول التحرّي عن هذه الشخصيَّة، فذهبا إلى أنَّهما شخصيتان هما: أبو المنذر سلمة بن مســلم بن (إبراهيم) بن سلمة بن مسلم؛ فإبراهيم على هذا النحو هو جدّ أبي المنذر صاحب كتاب الأنساب، وصاحب كتاب الضياء هو رأس العائلة في شــجرة نسب العوتبيّين، وبذا يكون صاحب كتاب الأنساب حفيدًا لمؤلِّف الضياء[(٣)]، ثُــمَّ تراجع ويلكنسون عن هذا القول وقال بأنَّهما شــخصيَّة واحدة، وإنَّما يُكنَّى بكنيتين مختلفتين هما: أبو المنذر وأبو إبراهيم، والأولى هي الأصحّ، فيكون اســمه: أبا المنذر ســلمة (مصنّف الأنساب) بن مسلم بن (إبراهيم أو أبو إبراهيم) بن سلمة (مصنِّف الضياء) بن مســلم (بن عيسى بن سلمة) حيث شــارك مع أخيه أحمد بن عيسى بن سلمة في معركة الروضــة (٢٧٨هـ/٨٨٧م)[(٤)]، فيضاف إلى السلسلة «إبراهيم» ليكون «أبو المنذر» حفيدًا له.

---

(١) ذكرها أبو إســحاق أطفيش في تعليقاته على إحدى نسخ كتــاب الأنساب، وتابعه على ذلك مقدِّم كتاب الأنساب للعوتبي ودرج على هذا الخطأ جمع من الباحثين قديمًا وحديثًا. انظر: السالمي: تحفة الأعيان، ٥٢/١. العوتبي: كتاب الأنساب، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، (ج٢)، ولعلهم اعتمدوا على إحدى النسخ المحفوظة بدار الكتب المصرية أو غيرها.

(٢) انظر: كاسترس: بيبليوغرافيا الإباضية (قسم المشرق)، ٦٥٧/٢ ـ ٦٦٢.

(٣) انظر هذه الآراء في: السالمي: «تعددية العوتبي وترجمته أو إشــكاليات شــخصية العوتبي الصحاري»، مجلة نزوى، العدد ٢١، ٢٠٠٩/٧/١١م.

(٤) انظر: العوتبي: الأنساب، ٣١٣/٢.

فإذا كان «أبو المنــذر» حفيدًا لإبراهيم فإنَّه على هــذا الرأي يكون من علماء القرن الرابع الهجري، وهذا الفريق انطلق بما أثبتناه قبل هذا في كون الشخصيَّة المشــاركة بموقعة الروضة غير الشــخصيَّة التي نتناولها، ثُمَّ غدا بعيدًا في إرجاع الأمور إلى نصابها، ووقع له من الخلط والنسبة ما لا يَخفى، فلَيته عكس بين صاحب الأنســاب وصاحب الضياء لكان أقرب إلى الحلّ، لكن زاد للطينِ بلَّة، وابتعد عن الحلَّة، فذهب بعيدًا، فلا نقف معه طويلًا.

ونحن نَميل إلى هذه النظرة من حيث المبدأ، وهو أنَّ شخصية العوتبيّ التي وقع فيها الخلط بين القرنين الرابع والســادس شــخصيتان مختلفتان، وهو ما بيَّناها في مواضعه مِمَّا مضى، وسنبيِّن أدلَّة ذلك مما يحوم حول هذه الشخصية من خلال ما توصَّلنا إليه من خلال تحقيق الضياء، والله المستعان.

القول المختار:

بعد استعراض آراء الباحثين والدارسين، وتناول كتاب الضياء بالتحقيق والتدقيق، والرجوع إلى المصادر والمراجع التي اســتقى منها العوتبيّ مادَّته يمكن الوصول إلى النتائج الآتية لتحديد فترة حياته من خلالها:

أوَّلًا: اعتماد العوتبيّ في كتاب «الأنســاب» على ذِكر الْمُلُوك والْخُلَفَاء إِلَى سنة (٣٤٥هـ) ليس بالدليل الذي يؤخذ به في تَحديد وفاته، مع أنَّنا لا نستطيع الجزم بأنَّه من تأليفه لعدَّة اعتبارات، وهي: أننا لم نتناوله بالدراسة المتفحِّصة، ثُمَّ إنَّنا لم نجد أيَّ إشارة إليه في كتاب «الضياء»، بخلاف كتاب «الإبانة» الذي يشير إليه أكثر من خمس عشرة مرَّة في الأجزاء الستَّة الأولى فقط.

ثانيًــا: القصَّة التي ذكرهــا العوتبيّ في جنازة ابن دريــد، وتحديثها عن الشيرازي لا بالسماع ولا بالبلاغ، محتملة لأمرين؛ إما أنَّ التحديث ليس له مباشــرة، وإنَّما نقله من مصدرٍ هكذا بلفظه ولم يعلِّــق عليه. وإمَّا أنَّ مؤلِّف



«الأنساب» غير صاحب «الضياء» و«الإبانة»؛ لأنَّنا لا نجد ذكرًا ولا إشارةً في كتاب «الضياء» إلى «الأنساب» والعكس كذلك، بخلاف إشارته في كتاب «الضياء» إلى كتاب «الإبانة» في عدَّة مواضع.

ثالثًا: من مُميّزات كتاب الضياء خلوّه من زيادات النسَّاخ إلَّا نادرًا[(١)]، بخلاف كتب المشارقة الأخرى كالجوامع وبيان الشرع والمصنَّف وغيرها من الكتب التي جاءت بعده، وقد حاولنا تمييز هذه الزيادات القليلة عن متن المؤلَّف وأنزلناها إلى الهامش، وهذا ينفي ما ذُكر من احتمالية زيادة النسَّاخ على كتاب العوتبيّ، ويثبت قول من ذهب إلى أنَّه نقلَ من كتاب ابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ) في كتاب «الأنساب»، وما نقل عن أبِي حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) في كتاب «الضياء»، بل يثبت أنَّه هو الناقل نفسه.

رابعًا: من براعة العوتبيّ في تأليفه أنَّه لم يترك أثرًا واضحًا ليكتشفه أحد مِمَّا غيَّب على الباحثين بَوصلة الوصول إلى تحديد حياته وعصره، منها: انتقاؤه لمصادره ومراجعه، وإغفاله لمشايخه ومراسليه، وتركيزه بقوَّة على المصادر الأصيلة والمتقدِّمة في جمع مادته العلمية اللغوية والفقهيَّة والتاريخية، وعدم إشارته إلى مصادره من كتب غير مذهبه إلَّا قليلًا، إذ لا تتجاوز الثلاثين مصدرًا باسمه في كلّ موسوعته «الضياء»، وهذا مع اعتماده على مئات المصادر والمراجع المتفرِّقة.

(١) أكثر الأجزاء خالية تَمامًا من الزيادات، إلَّا في الجزأين التاسع والثاني عشر حيث تتعدّدت فيهما الزيادات لكنَّها قليلة، فمنها المعروف الذي يشار في بدايته بقوله: «من غير كتاب الضياء»، وفي نهايته «رجع»، ومنها ما هو معروف البداية ومجهول النهاية وهذا قليل جدًّا، ومنها ما يُشعر بأَنَّهَا من إضافات النسَّاخ وهي قليلة، مثل: قوله: «قال غيره»، وكلّ هذه الزيادات ننزلها إلى الحاشية أو نتركها في المتن إذا كانت طويلة أو تَخدم موضوع الكتاب، ونشير إلى كلِّ ذلك في الحاشية سواء كان ذلك تنزيلًا أو إبقاء.

خامسًا: يتأكَّد من خلال الضياء أنَّه ينقل من كتاب «حقائق الأدلَّة» كما ذكر ذلك سعيد العبري، وهو الكتاب المسمَّى بـ«الأكلّة وحقائق الأدلَّة» للقاضي الشهيد نجاد بن موسى المنحي (ت:٥١٣هـ)، ولضياع أجزاء هذا الكتاب «الأكلَّة» لم نستطع الجزم بذلك حتَّى عثرنا مؤخَّرًا على نسخة من الجزء الأوَّل، فوجدنا العوتبيّ ينقل منه نصوصًا كاملة في أبواب كتاب العلم (ج١) وكتاب الأصول (ج٣) فتأكَّد لدينا أنَّه من مصادره.

سادسًا: ذكر في الجزء الثاني أحد مصادره التي نقل منها إحدى القراءات في قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ فقال: «وجدت في كتاب «اختلاف العشرة من القرَّاء»...»، ولم نَجد كتابًا بهذا الاسم ولا قريبًا منه إلَّا كتاب سبط الخياط عبد الله بن عليّ بن أحمد المقرئ البغدادي (ت:٥٤١هـ) المسمَّى «الاختيار في اختلاف العشرة أئمَّة الأمصار»، وهي مخطوطة بمكتبة دمشق ونسخة منه بِجدَّة[1]، ولم نجد نسخة مطبوعة حتَّى نتحقَّق منها، ولعلَّ حصولنا عليها يؤكِّد لنا ذلك أو ينفيه[2].

سابعًا: بعض الباحثين اعتمدوا على ما أورده ابن مدَّاد (ت:٩١٧هـ) في «صفة نَسَبِ العلماء» وذكر سلسلةَ الإسناد التي عن طريقها انتقل العِلْمُ إلى العوتبيّ، قائلًا: «حَمَلَ أبو المنذر سلمةُ بن مسلم عن الشيخ سعيد بن قريش [كذا] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحَمَل سعيدُ بن قريش عن محمَّد بن مُخْتَار وغيره من الفقهاء،

(١) أشار إلى ذلك الزركلي في أعلامه، عند ترجمة مؤلف الكتاب، ١٠٥/٤. وذكر في موقع: «مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة».

(٢) ولقد طلبنا نسخة من المتواصلين بأهل جدَّة ووعدونا بنسخة مصورة من الكتاب، ولا زلنا في انتظارها.

وحَمَلَ محمَّد بن المختار[١] عن الشــيخ أبِي الْحَسَن عليّ بن محمَّد بن عليّ البسْــيانِي، وحَمَلَ أبو الْحَسَــن عليّ بن محمَّد بن عليّ الأصمُّ الْمَذْهَبَ عن الشــيخ محمَّد بن أبِي الحســن النَّزْوانِي وعَــنْ عبد الله بن محمَّد بــن بَرَكَة وغيرِهِمَا، وعبدُ الله بــن محمَّد بن بركة حَمَلَ العلمَ عن أبِي مالك غسَّــان بن محمَّد بن الْخَضِر الصَّلانِي...» إلى آخر السلسلة؛ فيذكر ابن مدَّاد (ت:٩١٧هـ) أنَّه أخذ العلم عن الشــيخ ســعيد بن قريش العقريّ النزويّ (ق ٤هـ) بِخلاف المؤرِّخ البطاشــي (ت:١٤٢٠هـ) الذي يذكر مِن أشياخِه ابنه القاضي أبا عَلِيّ الحسن بن ســعيد بن قُريش العقريّ النزويّ (ت:٤٥٣هـ)، وهذا خلط واضح في الأسماء؛ فلو كان شيخًا له لَذَكره في مواضع من كتبه أو في موضع واحد على الأقلِّ يروي عنه شــيئًا، أو يُحــدِّث عنه ولو لِمرَّة واحدة في موســوعته الشــاملة، لكن لا نجد ذلك أبدًا، كما أنَّنا لم نَجده يروي عن أحدٍ أو يُحدِّث عنه، مع ما نجده في ثنايا الكتاب ذكر «شــيخنا»، وهذه اللفظة قد اســتهوت بعــض الباحثيــن فظنوها أنَّهــا له؛ فتبيَّــن أنها ليســت إلَّا مــن نقولاته عن أبي محمَّد ابن بركة وعن أبي الحســن البســيوي (حيٌّ فــي: ٣٦٣هـ). ومن العجيب أنَّه لَمَّا ذكر سلسلة أهل الولاية ـ في الجزء الثالث من ضيائه ـ بداية من «محمَّــد النبيّ ﷺ وأزواجــه...» توقَّف عند: أبي الحســن عليّ بن محمَّد البسيوي، وكأنَّه يشــير ضمنيًا إلى الذين أخذ عنهم دينه، ولم يستوثق بالذين جاؤوا من بعدهم.

ثامنًا: من خلال بعض التخريجــات والتثبّت من بعض النصوص وجدنا العوتبيّ ينقل من بعض الكتــب المعاصرة له، كما نقل في المجلد الخامس من كتاب «ســراج الملوك» لأبي بكر محمَّد بن الوليد الأندلسي المعروف

---

(١) مُحمَّد بن المختار النخلي (ق ٤هـ): من نخل، أخذ عــن أبي الحسن البسيوي. وعنه أخذ سعيد بن قريش. له مسائل في الأثر. انظر: معجم أعلام إباضية المشرق، ص٣١٨.

بالطرطوشي (ت: ٥٢٠هـ)، وفي أجزاء مختلفة عن كتب جار الله مَحمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) كالكشاف، والأساس، والفائق، والمستقصى، وربيع الأبرار وغيرها.

كما أنَّه كان يعتمد في الجزأين الأوَّل والخامس على كتاب «المحرّر الوجيز» لأبي محمَّد بن عطيَّة المحاربي الغرناطي (ت:٥٤٢هـ). وينقل أيضًا في الجزء الثالث باللفظ والمعنى من كتاب «الملل والنحل»؛ لِمحمَّد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ)، كما ينقل أيضًا من كتاب «الحور العين» لأبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري (ت:٥٧٣هـ)، بل جاء ذكر كتابه «شمس العلوم» باسمه في المجلد السادس عشر (ص٥٣) عند تعريف الرباعيات قائلًا: «هكذا من شمس العلوم»، وآخر من يُحتمل أنَّه نقل عنه ـ من خلال مقارنة بعض النصوص ـ صاحب «لباب الآداب»؛ لأبي المظفَّر أسامة بن منقذ الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، وهذه النقولات إمَّا أن تكون مباشرة، أو متَّفقة مع المصادر الأصليَّة التي نقلوا منها جميعًا؛ ولكن يترجَّح لدينا النقل منها غالبًا إلَّا الأخيرة.. والأدهى من ذلك أنَّه لو نظرنا في مصدر آخر ذُكر في الجزء الرابع وهو كتاب «الجوهر النفيس في سياسة الرئيس» لابن الحدَّاد محمَّد بن منصور (ت:٦٧٣هـ)، ونقل منه بالنصِّ؛ لقلنا بأنَّ العوتبيّ يمتدّ تاريخ وفاته إلى القرن السابع الهجريّ، وهذا مستبعد إلَّا أن يثبت العكس، ويظهر لنا أنَّه من زيادات النسَّاخ، والله أعلم.

تاسعًا: كما لا يسعنا أيضًا تَجاهل نقل العديد من المؤلِّفين العُمانيِّين من كتاب الضياء كابن وصَّاف في «الحلِّ والإصابة في شرح الدعائم» الذي ألَّفه في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع كما تدلُّ على ذلك إحدى نسخه سنة ٦٠٠هـ.

وفي النهاية: بعد ذِكر هذه الإشكالات وجواباتها، وذكر الاستدلالات وتعليلاتها، والتي حاولنا من خلالها التوصّل إلى تقدير يُقرِّبنا لحياة المؤلِّف؛ فإنَّنا لا يسعنا إلَّا أن نقول ـ والله أعلم بالصواب ـ: إنَّ العوتبيّ عاشَ في حدود القرن السادس الهجري ولم يَخرج عنه، حيث وُلد في بداياته وتوفِّي في نهايات العقد الثامن منه، أي بين (٥٠٠ ـ ٥٨٠هـ)، من دون القطع بتحديد تاريخ معيَّن، ولعلَّ التدقيق الجيِّد لِمؤلَّفاته، والتحقيق العلميَّ الرصين لِمصنَّفاته الأخرى تُوصلنا إلى نتائج أكثر دقَّة، وأقرب إلى الصواب، والله المستعان.

وأمَّا عدم تواصله مع الكنديَّين ـ صاحب «بيان الشرع» وصاحب «المصنَّف» ـ فلا يعني عدم معاصرته لهما، وأمَّا النصوص التي ذكرت في كتابيهما (البيان، والمصنَّف) لا يعدو أن يكونا من زيادات النسَّاخ، وهي ما يصرَّح بها بلفظ: «من الزيادة المضافة من كتاب الضياء»، وكلٌّ يعلم ما وقع من تدخّلات النسَّاخ الكثيرة في كتب المشارقة، وخاصَّة في هذين الكتابين؛ لكثرة دراستهما وتداولهما بين المتعلِّمين، بِخلاف «الضياء» الذي حُفظ من تطاول النسّاخ عليه؛ لِشحَّة نسخه، وكثرة مباحثه اللغوية التي قد تشقّ على كثير منهم، والله أعلم وأحكم، وبه التوفيق.

المطلب الثالث: نشأته وأُسرته، وبيئته السياسيَّة والعلميَّة

١ ـ نشأته وأسرته:

مرَّت علينا المعاناة السابقة التي واجهتنا، والصعوبات التي لاقيناها في تحديد نسبة العوتبيّ ومولده؛ لقلَّة المصادر المعرِّفة له، والشحيحة عنه، فالأصعب من ذلك الحديث عن أُسرته وعائلته، إذ لم نَجد أحدًا يذكر شيئًا ثابتًا عنهم.. ولكن على العموم يمكن أن نقول: بأنَّه نَشأ بعَوتب من

صُحار[١] في بيت علم وصلاح، حيث تلقَّى تعليمَه الأوَّل على يَد والدِهِ العالم الفقيه الراوي مُسلم بن إبراهيم الذي صرّح باسمه في مرويّة وحيدة نقلها عنه في الجزء الرابع من موسوعة «الضياء» حيث قال: «وروى لي والدي مُسلم بن إبراهيم عن ابن عبَّاس أنَّه كان يقول ليلة القدر على سبعة وعشرين ليلة من شهر رمضان... الخ»[٢]، وأمَّا الاسم الذي ذكره في الجزء الخامس باسم والده ولم ينسبه لنفسه في قوله: «وإذا كانت امرأة تصلِّي واستأذن أحد فسبَّحت؛ فعن سُليمان بن الحكم [حيّ: ٢٣٧هـ] ومُسلم بن إبراهيم أنَّ بعضهم لم ير عليها نقضًا...»[٣]، فقد سبق الحديث عنه أنه ليس باسم والده، وإنَّما هو اشتباه في الأسماء فقط ليس إلَّا.

وأمَّا الحديث عن بقيَّة أفراد أسرته فهي مجازفة لا نستطيع أن نقدِّم فيها شيئًا ولا نؤخِّر؛ لأنَّ الكلام فيهم رجم بالغيب، حتَّى الحديث عن أبنائه وعددهم فلا نعلم عنهم شيئًا، إلَّا ما نستشِفُّه من خلال الكُنى التي يُكنَّى بها كـ«أبي المنذر» التي يشتهر بها، أو بـ«أبي إبراهيم»[٤] فيمن يكنِّيه بذلك ـ ما لم يقع خلط في الأسماء أيضًا ـ، وقد يكون هناك آخرون غيرهم، فالله أعلم بهم.

---

(١) انظر تاريخ صحار السياسي والحضاري والاجتماعي والعلمي بتفصيل في كتاب الأستاذ مُحمَّد بن ناصر بن راشد المنذري: تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري. وهي رسالة ماجستير مقدّمة لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، إشراف الدكتور: عبدالرحمٰن سالم، وقد أجيزت في: يوم الخميس ٢٢ ذو القعدة ١٤٢١هـ، الموافق لـ:١٥ فبراير ٢٠٠١م، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) العوتبي: الضياء، ٥٠٢/٤.

(٣) المصدر السابق، ٢٥٧/٥.

(٤) كنَّى العلَّامة السالمي في لمعته سلمة العوتبي بكنيتين: أولاهما بأبي إبراهيم لما نسب إليه كتاب الضياء (ص٢٠)، وبأبي المنذر لما نسب إليه كتاب الإمامة وكتاب الأنساب (ص٢٧)، مما جعل بعض الباحثين يفرق بينهما، وهو ما عرضناه في صدر هذا المبحث.

٢ ـ البيئة السياسيَّة والعلميَّة:

عاشت عُمان في القرن السادس الهجري فترة تاريخية عصيبة، وسنوات حالكة شـديدة، وعصـرًا يَشُـوبُه التعتيم والغمـوض، وفيها كثـرت الفتن والمؤامرات، بدايةً من خروج بعض العلماء من الطائفة الرسـتاقيَّة عن طاعة الإمام راشد بن علي سنة (٤٩٦هـ)، والتي كانت تحاول الغلبة على الدولة، ثُمَّ تطوّر الأمر إلـى المطالبة بعزله، فتوجَّهوا إلى الرسـتاق لجمع الأنصار حتَّى يُحققـوا مهمَّتهم، لكن عاجلهـم الإمام بقتل العقـل المدبِّر والرئيس المخطِّط القاضي نجاد بن موسى المنحي (٥١٣/٧/١٣هـ)، ثُمَّ توفِّي الإمام راشد بعد ذلك بشهور من نفس السنة[١].

وبعد وفاتـه آل الأمر إلى الإمـام محمَّد بن أبي غسَّـان، فكتب إلى أهل الباطنة كتابًا يسـتميلهم، فأجابوه بِالموافقة والرضا، وبجواب طويل بليغ يَرشح بالسـرور ويرفل بالحبور، وقد تشـارك معه في الإمامة محمَّد بن خنبش حتَّى توفِّي سنة (٥٥٧هـ). كما دخل الإمام محمَّد بن أبي غسان في نزاع مع السلطان النبهاني المرشـد بن المرشـد بن فلاح حاكم صحار، حيث أتـاح هذا النزاع الفرصـة للقبائل كـي تدعم الإمام فـي صراعه ضـدَّ النباهنـة وخاصَّة منطقة الباطنة[٢]، وفي عهده مات خردلة بن سماعة وأخوه جبر سنة (٥٤٩هـ)، واستمرَّ الأمر في ذلك تحت سيطرة ابن أبي غسان حتَّى وافته المنيَّة سنة (٥٥٢هـ).

وبعده بويع موسـى بن أبي المعالي بن موسى بن نجاد سنة (٥٤٩هـ)، أحد الأئمَّة الثلاثة الذين تَمَّت مبايعتهم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري لَمَّـا ازدادت الأمور اضطرابًا في عُمان، فحـاول إخماد تلك الفتن

(١) انظر: السالمي: تحفة الأعيان، ٣٢١/١. البطاشي: إتحاف الأعيان، ٥٥٨/١.
(٢) انظر: ابن النظر: الدعائم، ص٧. عبدالرحمٰن السالمي: الفترات التاريخية المتعاقبة لحكم النباهنة في عُمان، مجلة نزوى، عدد ٥٦، ٢٠٠٩/٧/١٨م.

والصراعات فسار فيهم سيرة الحقِّ، ورضي الناس سيرته وعدله، ولم يدم الأمان طويلًا حتَّى ظهر قرن الفتنة، وأصاب هرج ومرج أهلَ عُمان، فخرج البدو سنة (٥٧٩هـ) على الإمام موسى وأخيه عبدالله ومن معهما بقرية الطوّ فقتلوا جميعًا ومعهم خلق كثير، وتأثَّر أهل عُمان بمصيبة مقتله، بعد أن تنعَّموا بعدله ثلاثين سنة.

وقد شهدت عُمان في تلك الفترة إلى نهاية القرن السادس أحداثًا وأحوالًا مختلفة، حيث يتولَّى كلّ إمام أو سلطان ناحية يستقلّ بعضهم عن بعضهم، مع دخول دولة النباهنة من قبل ذلك ومن بعد، ولم يسجّل لنا التاريخ في تلك الحقبة أحداثًا متسلسلة أو وقائع مرتَّبة؛ لاختلاط الأمور وتَجاذب الوقائع.

كما أنَّنا مع هذه الحوادث والأخلاط لم نستطع أن نظفر من كتب العوتبيّ بأيِّ معلومة خاصَّة نستفيد منها، سواء كان عرضًا لحال من الأحوال، أو بذكر شيء من الأخبار، أو بإشارة إلى أيّ إمام أو سلطان عاش في عصره، كما لم تُثبت المصادر لنا أيَّ دور له في الحياة السياسية التي كان يعيشها، رغم أنَّ معاصريه من العلماء حاولوا التأثير في الأوساط الاجتماعية والأحوال السياسة التي كانت تدور حولهم، كأبي بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي (ت:٥٥٧هـ) وغيره.

ولا يبعد أن يكون العوتبيّ في هذه الفترة العصيبة، والفتن المتعاقبة الشديدة، قد وجد ضالَّته في «عَوتَب» تلك المنطقة الساحلية القابعة في أحضان صُحار ذات السيادة السياسية، والمكانة العلمية التي كانت تتمتَّع بها، وهي تزخر بالمكتبات الخاصَّة والمصادر الغنيَّة، فاعتكف على ما تسمو به روحه، وتستفيد منه أمَّته، حتَّى جعلته يتألَّق بتأليفاته المتعدِّدة، ويتعمَّق في تصنيفاته المتنوِّعة، ويتفرَّغ لجمع العلوم الإنسانية والفنون الأدبيَّة



المختلفة.. يتنقل بين التاريخِ والأنسابِ، ويغوص في أعماق اللغةِ والتفسير، ويستروح تحت ظلال الفقهِ والأصول، مقتديًا بالعالم الزاهد الخليل بن أحمد الفراهيدي قولًا وعملًا، وهو يُردِّد أبياته:

أَنِستُ بِوَحدَتي وَلَزِمتُ بَيتي ... فَطابَ الأُنسُ لي وَنَما السرورُ
فَأَدَّبَني الزَمانُ فَلا أُبالي ... هُجِرتُ فَلا أُزار وَلا أَزورُ
وَلَستُ بِسائِلٍ ما دُمتُ حَيًّا ... أَسارَ الجَيشُ أَم رَكِبَ الأَميرُ

ولعلَّ غيابه عن أحداث بلده أيضًا يَحتمل كونه بعيدًا عن وطنه «عوتب»، متنقِّلًا بين الحواضر العلميَّة المختلفة، مشرقًا ومغربًا، يصول ويجول، وينتقي أجود المصادر، وأوثق الكتب، وأقدم النسخ، مِمَّا يظهر ذلك في سعة اطِّلاعه، وكثرة مصادره ومراجعه..

وعلى العُموم فإنَّنا لم نجد دليلًا ولا إشارة تؤكِّد على هذه التنقّلات التي تعدَّت مِصره، سواء كان داخل عُمان أو خارجها، رغم ما يُوجَد من اتِّصاله بأهل كِلْوَةَ في الشرق الإفريقي في سيرته المنسوبة إليه.

ومع كلّ هذا وذاك فإنَّه لا أدلَّ على ما ذكرنا بمثل ما عبَّر عنه بنفسه في وصف الأوضاع المزرية، والحالات المتردِّية التي كان يتحسَّر منها بكلِّ حُرقة وأسى، في أكثر من ثماني صفحات في مقدِّمة ضيائه، حيث يقول في: «باب ذهاب العلم وطالبيه، وانقلاب الأحوال بأهليه، وزهادة أهل الوقت...: كان العلم في الزمن الأَوَّل مطلوبًا ومرغوبًا فيه، ومحبوبًا تشدّ إليه الرحال ويشترى بالأموال، ويحتمل فيه شقَّة الأحوال وصعوبة الأهوال، ويسمو به متحمِّلوه ويصلون به أهليه، ويوقَّر عليه منتحلوه، وَكُلٌّ يعظِّمهم تبجيلًا، ويقدمهم تفضيلًا، هذا إذ الناس ناس، والدين قويّ وَالْحَقُّ جليّ، والعلم أرفع شيء، فَلَمَّا ذهب الأفاضل، وضعف الدين، ودجَى الْحَقّ، وهَوى نجم العلم،

ونحس جدّه، وكبا زنده، وأفل سعده، صار العلم جهلًا، والتعليم وبالًا، وَالْحَقّ ضلالًا، والتصحيح محالًا، والرياسة للأسافل، والتقدّم للأراذل، والسيادة للجهلاء، والبلادة للفضلاء، والعلم مهجور، والأدب محقور، والمال مطلوب، وصاحبه محبوب، وبلسانه متكلّم، ولمكانه متقدِّم. فهل تجد في وقتك هذا عالمًا إلَّا وهو مستحقر ذليل، أو جاهل إلَّا وهو موقّر جليل؟! فيا لها حسرة كدّرت الحسرات، وفكرة أدرَّت العبرات!!........ وقد أطلت في هذا الباب حتَّى يظنّ الواقف عليه أنِّي خرجت عمَّا قصدت إليه، غير أَنَّهُ مِمَّا يحتاج إلى الإطالة فيه؛ إذ كان حكم الوقت يقتضيه، فأردت تسلية الأديب، وتعزية الأريب، وليعلما أنَّ هذا إِنَّمَا ذكر تعجّبًا من انقلاب الزمان، لا لتصويب واستحسان، وأنَّ الصحيح قد كان، وأنَّ الباطل ما هو الآن؛ فيحقّ عليه الاهتمام به، والاعتماد بسببه، والعصمة والتوفيق لله...».

مع عرض العوتبيّ لضعف الإقبال على العلوم النافعة، وتردِّي الأوضاع السياسية، وانقلاب المفاهيم الحياتية، إلَّا أنَّنا لا نستطيع إغفال المساعي الطيِّبة، والجهود الضخمة، والنتاجات العلمية الثريّة، التي قام بجمعها المشايخ العظام في عصره والذي قبله، في القرنين الخامس والسادس الهجريين، بل يُعدَّان مَحطَّة بارزة في تاريخ عُمان العلمي، حتَّى صار ذلك العصر يُسمَّى: عصر التدوين الموسوعي.

المطلب الرابع: مشايخه وتلامذته، والاتِّجاه الفكري الذي درج عليه

١ ـ مشايخه وتلامذته:

مرَّ علينا من قبل أنَّ العلَّامة العوتبيّ تلقَّى مبادئ العلوم على يد والده مُسلم بن إبراهيم العوتبي، وهو ما صرَّح به في رواية وحيدة أخذها عنه في ضيائه، ولعلَّه لم يذكرها إلَّا إشارة إلى بيان تلقِّيه عن والده، وتأثُّره به

في حياته. كما أنَّنـــا لا نجد في كتبه ذكرًا لأحد من مشـــايخه الذين تتلمذ عليهم، أو روى عنهم، مِمَّا يُشـــير إلى عصاميَّته فـــي تلقِّي العلوم، وقدرته على بلوغ مراتب النجوم، فـــي الجمع والدرس والتحصيل.. وقد تمثل في حياته قول المتنبِّي:

إذا غامَــرْتَ في شَــرَفٍ مَرُومِ   فَــلا تَقنَــعْ بمــا دونَ النّجومِ

وهذه الميزات لا تتوفَّر عند كلّ أحد..

وقد ذكرنا في ما سبق أنَّ ابن مدَّاد (ت:٩١٧هـ) في سيرته المسمَّاة «صفة نَسَبِ العلماء» بعد ذكر سلســلةِ الإســناد، قال: إنَّ العوتبيّ أخذ عن الشيخ ســعيد بن قُريش[(١)] أحد مشــايخ نزوى، ونصّه: «حمل أبو المُنذر سلمة بن مُسلم عن الشيخ ســعيد بن قُريش [كذا] رَحِمَهُ اللَّهُ، وحمل سعيد بن قريش عن محمَّد بن المختار[(٢)]...» إلخ[(٣)]، وهذه أقدم رواية ـ باعتبار الذكر ـ بنى عليها بعض الباحثين آراءهم في تحديد زمنه ومشــايخه، إلا أنَّ المؤرِّخ البطَّاشي (ت: ١٤٢٠هـ) جعل ابنه القاضي أبا عَلِيّ الحسن بن سعيد بن قُرَيش العقريّ النزويّ (ت:٤٥٣هـ) مِن أشياخِه وليس هو، وقد سبق لنا توجيه هذا من قبل والردّ عليه في المبحث السابق بما يغنينا عن إعادته.

(١) هو: أبو القاســم ســعيد بن قريش العقري النزوي (ق ٥هـ): نسبة إلى محلّة العقر بنزوى، يكنى بأبي القاســم، قاض فقيه وعالم بالفــروع والأصول، عاش في آخــر القرن الرابع والنصف الأول من القــرن الخامس الهجري روى عن الشــيخ أبي الحســن ومُحمَّد بن المختار. انظر: فهد السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ٩٩/٢. الفارسي: نزوى عبر الأيام ـ معالم وأعلام، ص١٠٧.

(٢) مُحمَّد بن المختار النخلي (ق ٤هـ): من نخل، أخذ عــن أبي الحسن البسيوي. وعنه أخذ سعيد بن قريش. له مسائل في الأثر. انظر: معجم أعلام إباضية المشرق، ص٣١٨.

(٣) ابن مدّاد، ســيرة عبد الله بن مدّاد (د.ط.)، ١٩٨٤م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلسلة تراثنا، العدد: ٥٦، ص ٢٤.

وأمَّا تلاميذه فطلبهم عسير، والخوض فيهم ليس باليسير، إلَّا أنَّ رواية وحيدة ذُكرت في «بيان الشرع» تقول: «مِمَّا سأل عنه القاضي أبو سليمان هدّاد بن سعيد[١] أبا الْمُنذر سلمة بن مُسلم...الخ»[٢]، وهذه الرواية في حدِّ ذاتها تَحتاج إلى تدقيق وتثبُّت واستقراء للمصادر، ومن غير هذا بنى البطَّاشيّ رأيه في ترجمته القاضي أبي سليمان هدّاد بن سعيد قائلًا: «من أشياخه العلّامة العوتبيّ»[٣].. وإذا كان له تلميذًا فكيف يروي عنه العوتبيّ في المجلد السابع من ضيائه ـ في حالة ثبوته أنَّه هو ـ قائلًا: «قال أبو سليمان فيمن كان أخذ الشيخ: إنَّ في صلاته اختلافًا»[٤]. ولعلَّ هذا الذكر الوحيد له في كامل موسوعته، ثُمَّ هو يقرنه بالشيخ، وأي شيخ يقصده؟ كلها إشكالات محتاجة إلى تمحيص.. ثُمَّ إذا سلَّمنا بمقولة «بيان الشرع» فلِمَ لا نُسلِّم أيضًا بالعبارة التي جاءت أيضًا في المجلد (٢٢) المنسوب إلى كتاب الضياء في قوله: «ومن الكتاب الذي ألَّفه القاضي أبو زكريا عن القاضي أبي سليمان هدَّاد»، إذا كان تلميذًا له؛ فلماذا يروي عنه، وكما نلحظ من أوَّل نظرة أنَّها فقرة دخيلة متأخِّرة عن الضياء، بل المجلَّد بمجمله منسوب للضياء كما أثبتناه في مقدِّمة جزئه بتفصيل.. وهذا الاستقراء والتثبّت في نسبة الأشياء لأصحابها، ووضع الأمور في نصابها لَمن الأهميَّة بمكان؛ لأنَّ كثيرًا من

(١) أبو سليمان هدَّاد بن سعيد بن سليمان النزوي (ق٥هـ): عالم، فقيه، قاض، من نزوى. ولَّاه الإمام راشد بن سعيد القضاء على صحار. انظر: السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ر٩٣٥، ٢٨٥/٣.

(٢) الكندي: بيان الشرع، ٣٠/٣.

(٣) البطاشي: إتحاف الأعيان، ٥٤٣/١.

(٤) انظر: الجزء السابع في «أنواع الصلوات وأحكامها»، باب ١٢ في صلاة السفر، مسألة الجمع بين الصلاتين في تعدي الفرسخين، ص ٨٥. ذكر العوتبي بالنصِّ «أبو سليمان» ولم نَهتد إليه؛ ولعلَّه يترجَّح هنا القاضي هدَّاد، والمشار إليه ها هنا، والله أعلم.

المسائل والمعلومات تنطلق من تكهّنات وتصوّرات غير مؤكّدة، أو مغالطات في الاستدلال والطرح، ثُمَّ تنبني عليها نتائج كأنَّها تؤول إلى مسلَّمات ثابتة لا تقبل النظر والمناقشة.

٢ ـ الاتِّجاه الفكري للعوتبي:

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ العوتبي عاش في فترة كانت فيها عُمان تموج بالصراعات الداخليَّة والفتن الخارجيَّة المتلاحقَة، ومن العجيب أنَّ هذه الاضطرابات لم تؤثِّر كثيرًا في الازدهار الحضاري والعمراني، والتطوّر العلمي والثقافي الذي شهدته، وخاصَّة الحركة العلميَّة التي لم تنقطع أبدًا، بل زادت اشتعالًا وذكاءً قبل ذلك، منذ عزل الإمام الصلت بن مالك (٢٧٢هـ) في نهاية القرن الثالث الهجري، وظهور المدرستين الفقهيتين النزوانية والرستاقيَّة اللتين أحدثتا ثورة فكريَّة وعلميَّة، تَميَّزت كلّ واحدة منهما بِمناهج قويَّة كانت المحرِّك الدافع لكثير من الإبداعات التأصيلية في المؤلَّفات التي حفظ لنا الزمن منها ما حفظ.

وقد أدرك العوتبيّ أثر هاتين المدرستين؛ فانضمَّ لنصرة المدرسة الرستاقيَّة المبالغة في أمر موسى وراشد[١] والتي كان يتزعَّمها الإمام أبو محمَّد عبد الله بن مُحمَّد بن بركة في القرن الرابع الهجري، والذي كان يسمِّيه العوتبيّ «شيخنا» تبعًا لمن كان قبله، وقد ذكر سلسلة نسب الدين الذين حمل عنهم في سيرته المنسوبة بداية من أبي الحسن البسيوي الذي انتهى إليه في ذكر أهل الولاية فقال: «أهل الولاية: محمَّد النبيِّ ﷺ وأزواجه...» إلى أن بلغ إلى: «... وأبو إبراهيم، وأبو مالك،

(١) انظر: مسألة موسى بن موسى وراشد بن موسى وترجمتهما في كتب التاريخ والتراجم العُمانية. منها: إتحاف الأعيان للبطاشي، ٣٢٦/١.

وسعيد بن عبد الله الإمام، وأصحابه الذين استشهدوا معه، وأبو مروان بن عيسى بن كامل، وإبراهيم بن عبد الله الفرقاني، وأبو يعقوب العمقي، وأبو يحيى، وأَبو محمَّد عَبد الله بن محمَّد بن بركة، وأبو الحسن عليّ بن محمَّد الأصمّ»[١]. وتوقَّف العوتبيّ إلى هذا الحدِّ من هذه السلسلة، وهي تبيِّن لنا بجلاء أصحاب المدرسة التي كان ينتمي إليها، ويأخذ عنها علمه وأقواله، وهي أكثر تفصيلًا من سلسلة ابن مدّاد التي ذكرها في «صفة نسب العلماء». إلَّا أنَّ ابن مدَّاد يزيد عليها بعض الأعلام الذين هم محلّ نظر في ترتيبهم وإلحاقهم، ولعلَّه وجدهم في مدوَّنة له، أو حاول تتبّع كتبه أو أعلام مدرسته فرتَّبهم على ذلك النحو. ومهما يكن فإنَّ هؤلاء الأعلام قد ذكرهم العوتبيّ في ضيائه، وسطَّر عنهم بعض المسائل، أو نقل من كتبهم، بدايةً من عميد مدرسته الشيخ المبجَّل العلامة ابن بركة حيث كان له الأثر البالغ في كتاب الضياء، وخاصَّةً «كتابه الجامع» و«شرح جامع ابن جعفر» و«تقييداته عن أبي مالك» وجواباته وغيرها، كما نقل عن تلميذهم أيضًا أبي الحسن البسيوي من «جامعه» و«مختصره» و«سيره» وغيرها من الجوابات التي لم نحصل عليها، وتتابعت نقولات العوتبيّ من أصحاب مدرسته كتآليف أبي زكريا يحيى وأبي علي الحسن ابني سعيد بن قريش (ق ٥هـ)، وأبي محمَّد نجاد بن موسى المنحي (ت:٥١٣هـ)، وغيرهم من الأعلام.

ويظهر من خلال «الضياء» اهتمامه بجمع ما تركه أعلام مدرسته الرستاقيَّة خاصَّة، والمحافظة عليها من الاندثار والزوال، ويتَّضح ذلك في نقله لأقوالهم ونصوصهم المتقاربة والمتكرِّرة أحيانًا، ومحاولة تصنيفها وترتيبها على طريقته الخاصَّة..

(١) انظر: الجزء الثالث من الضياء في الأصول، ص ١١٢ - ١١٣.



ولعلَّ هذا العمل جاء نتيجــة طبيعية للحفاظ علــى ما تبقَّى من الكتب والآثار التي طالتها حوادث الأزمان، فتصدَّى للاشتغال بها وصونها وحمايتها من الضياع.. كما يوحي لنا بشــيء آخر أيضًا، وهو تصنيف هذه الموســوعة «الضياء» لتكــون مكمِّلة لِما تَركه العلمــاء الكِنْديّون الأفــذاذ أبناء العمومة أصحاب المدرستين في موســوعاتهم «بيان الشــرع» لِمحمَّد بن إبراهيم بن ســليمان الكنــدي (ت:٥٠٨هـ) فــي ٧٣ مجلَّدا مــن المدرســة النزوانية، و«الكفاية» لِمحمَّد بن موسى بن سليمان الكندي في ٥١ مجلَّدا، و«المصنَّف» لأحمد بن عبد الله بن موسى بن سليمان الكندي (ت:٥٥٧هـ) في ٤١ مجلَّدًا صاحب المدرسة الرستاقيَّة، أو أنَّه وضعهَا موازية لأعمال تلك المدرسة التي حافظت على أعمال عمدائها، حتَّى تتشــرَّف عُمان بشكلين متمايزين للإبداع الموسوعي في تاريخها، والله أعلم.

المطلب الخامس: مؤلَّفاته وآثـاره العلميَّة

أســهم العلَّامة العوتبيّ في إثراء الخزانة العربية والإســلامية بتراث ضخم، ومؤلَّفات غنيَّةٍ، متعدِّدة الأغراض والجوانب، شــمِلَت العديدَ من المجــالاتِ المعرفية والإنســانية، لغة وأدبًا، وأنســابًا وتاريخًــا، وفقهًا وأصولًا، منها ما حفظه لنا الزمن فنــال حظه من العناية والطباعة، ومنها ما لا يزال مخطوطًــا، ومنها ما طالته يد الزمن فأفقدتــه أو أعدمته، وقد صرَّح العوتبيّ ببعضها في مقدِّمة كتاب الأنساب فقال: «وحملني أن أنظمَ كتابًا في الأنســاب؛ لأنَّــه تقدَّم لنا كتــاب «تبيين الحكمــة في الحكم والأمثال»، وبعده كتابُ «محكم الخطابة في الخطب والرسائل»، وجعلت كتاب «موضّح الأنساب» واسطة، وبعده «كتاب ممتع البلاغة في الوفود والوافدات»، وإليه كتاب «أنس الغرائب في النوادر والأخبار والفكاهات

والأسـمار»[١]، وأغلب هذه الكتب المذكورة تتناول الفنون الأدبية والتاريخية من خطب وبلاغة، وملح وحِكمة، وأخبار وفكاهة، وأنساب ومراسلة، وجُلّها مفقود، بل كلّها إلّا كتاب «الأنساب»، ويظهر من هذه المؤلَّفات أنَّها الأولى التي ابتدأ بها كتاباته، إذ لم يذكر لنا موسوعتيه المهمَّتين: «الإبانة» في اللغة، ولا «الضياء» في الشريعة؛ مِمَّا يدلُّ على تأخُّرهما في الوضع، وهما الغاية من تآليفه، ويحتمل أنَّ مؤلِّفها غير مؤلِّف الضياء؛ لعدم الإشارة إليها في الضياء والإبانة ـ وكذا العكس ـ رغم علاقة موضوعاتها ببعضها خاصَّة كتاب «الإبانة». كما أنَّه لم يذكر لنا أيضًا ما حُفظ لنا من مراسلات إلى اليوم، ولولا ذكره لمؤلَّفاته هاهنا لَما استطعنا معرفتها، ولا تشجَّع القارئ للبحث عنها، فنسأل الله أن تكشفها الأيَّام، وتجلو عنها الغمام، ليستفيد منها الخاصُّ والعامُّ.

وأمَّا مؤلَّفاته المطبوعة والمنسوبة إليه غير المذكورة في مقدِّمة الأنساب، فإنَّنا نُحاول عرضها بحسب الترتيب الزمنيّ التقريبيّ كما يأتي:

أوَّلها: «كتاب الأنساب»[٢]: ويُطلقُ عليه أيضًا: «أنساب العرب»، وهي من المؤلَّفات المبكِّرة التي عرضها العوتبيّ في مقدِّمته، ولم يرد لها ذكر في «الإبانة» ولا «الضياء». وكان هذا الكتاب يتناول القبائل القحطانية والعدنانية وأنسابها، مُركِّزًا على القبائل العُمانيَّة خاصَّة، كما أنَّ بعض الباحثين يشكِّكون[٣] في كون مؤلِّف كتاب «الضياء» هو نفسه مؤلِّف كتاب «الأنساب»؛

---

(١) العوتبي: الأنساب، ١٠٦/١.

(٢) طبعته وزارة التراث والثقافة بعُمان بتحقيق مُحمَّد إحسان النص.

(٣) وهذا بناءً على رأي ويلكنسون ومن معه من المستشرقين الذين أشاروا إلى اختلاف المؤلفين بسبب اختلاف الكنى، وأمور أخرى، تراجعوا فيما بعد عن هذا الرأي، أو ترددوا فيه على الأقلّ ولم يقطعوا بشيء، وقد أشرنا إلى هذا من قبل في تَحديد عصره وحياته. =

لاعتبـــارات معيَّنة قد رددنا عليهـــا من قبل، وقد فصلَ العلَّامة الســـالمي في لُمعته بأنَّ الكتابين لمؤلِّف واحـــد[١]، وكان هذا الكتاب من المصادر المهمَّة المعتمدة عند كلّ من جاء بعده من كُتَّاب التاريخ والأنســـاب كالإزكوي في كشـــف الغمَّة، وابن رزيق في الصحيفة القحطانية والفتح المبين، والسالمي في تحفة الأعيان، والســـيابي في عُمان عبر التاريخ، والبطاشـــي في إتحاف الأعيان، وغيرهم كثير، إذ ينقلون عنه حرفيًّا في مواضع شـــتَّى. وقد صدرت منه عـــدَّة طبعات، منها المحققـــة ومنها ما دون ذلك، طبعته ونشـــرته وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان بعدَّة طبعات.

ثانيها: سيرة منســـوبة إليه، وتســـمّى أيضًا بـ«ســـيرة الصحاري»، أرسلها للأخوين عليّ بن عليّ والحسين بن عليّ من سكَّان كِلْوَةَ بشرق إفريقيا، أثبتها النسَّاخ في نهاية الجزء الثالث من «الضياء» في الأصول[٢] بلفظ: «ســـيرة يقال: إنَّهَا للشيخ أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري» أرسلاها إليه يلتمسان فيها توضيح أصول الدين، وشرح أقاويل المسلمين؛ في ما يجب على المكلّف معرفته وفي حمل المذهب؛ فأجابهما في فصول بإيجاز[٣].

= انظر: كاسترس: ببيليوغرافيا الإباضية (قسم المشرق)، ٦٥٧/٢ - ٦٦٢. السالمي: تعددية العوتبي، ع٢١، ص٢٥٣. فـاروق عمر فوزي: صورة العوتبي في دراســات العرب والمستشــرقين حول العوتبي، ندوة العوتبي الصحاري الدولية، الملتقى العلمي الســادس لوحدة الدراسات العُمانية، جامعة آل البيت، الأردن، ربيع الأول لعام ١٤٢٩هـ/ مارس ٢٠٠٨م، ص١٨.

(١) السالمي: اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، ص٢٦.

(٢) هذه السيرة جاءت في بضع صفحات، مثبتة في مخطوطة الجزء الثالث من الضياء المصوَّرة من وزارة التراث القومي تحت رقم: ١٠٠٩، وقد طبعت في آخر الجزء الثالث المطبوع من الضياء.

(٣) العوتبي: الضياء، ٢٠٦/٣ - ٢١٣. ويترجَّح من خلال أســلوبها ومنهجهــا أنَّها من تأليف أبي المنــذر العوتبي كما ذكر النســاخ، وتختلف كلية عن المقامــة الكلوية للقلهاتي كما يشتبه بينهما بعض الباحثين.

ثالثها: ذكر السيَّابي رسالة إلى ولديه يَحثُّهما على التمسُّك بالدين، ومعرفة أَحكام الإسلام، ويظهر أنَّه يقصد السيرة المنسوبة إليه؛ لأنَّها تتناول المواضيع نفسها[١].

رابعها: «كتاب الإمامة»: نسبه إليه السالمي في لُمعته[٢]، ولم نَجد من نسبه إليه غيره مِمَّن جاء قبله.

خامسها: له تعليقات مُدرَجة في الجزء الثاني من كتاب «السِّيرِ والجوابات» على بعض المسائل التي عرضها معاصروه، يبيِّن فيها رأيَه ووجهة نظرِه[٣].

سادسها: «كتاب الإبانة في اللغة العربية»: موسوعة ضخمة، من أهمِّ المصنَّفات اللغوية، شاملة لثروة لُغوية وصرفيَّة وصوتيَّة وتفسيريَّة، تَجمع ألوانًا مشكَّلة من علوم العربية والتفسير والحديث، رُتِّبت على حروف المعجم ليسهل الرجوع إليها، حقَّقته لجنة من أعضاء مَجْمَعِ اللغة العربية الأردنِيّ[٤]، وطبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان في أربعة مجلَّدات ضخمة سنة (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

وآخرها: «كتاب الضياء»: وهي هذه الموسوعة الفقهيَّة التي بين أيدينا، وسنفرد لها حديثا خاصًّا في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) السيابي: العوتبي نسّابة، ص٧٧.

(٢) السالمي: اللمعة المرضية، ص٣٤.

(٣) مجهول: السِّير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان د.ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٣٩/٢.

(٤) وهم: عبدالكريم خليفة، ونُصْرَتْ عبدالرحمٰن، وصلاح جرار، ومُحمَّد حسن عَوَّاد، وجاسر أبو صفية.

المطلب السادس: وفاته

بعد هذه الجولات الاســتطلاعية، والتحرُّكات الميدانيَّة المعَمَّقة، بدا لنا شيء من الأمل في تقدير وفاته كما حاولنا تقدير مولده وحياته، إذ سبق لنا أن ذكرنا أنَّ حياته تتراوح ما بين بدايات القرن السادس الهجري إلى نهاياته، أي أنَّه يكــون خاتمة الموســوعات الفقهيَّة المؤلَّفة في ذلــك القرن، ولعلَّ التحقيق العلميَّ لِمصنَّفاته الأخــرى تُوصلنا إلى نتائج أكثر دقَّة، وأقرب إلى الحقيقة.

المبحث الثاني: في التعريف بكتاب الضياء

وقد وضعناه في سبعة مطالب، تناولنا فيه عنوان الكتاب، وسبب تسميته، وتأليفه. ثُمَّ تعرضنا لنسبة الكتاب إلى مؤلِّفه. ثُمَّ قدَّرنا حجم الكتاب وموضوعاته. ثُمَّ ترتيب المؤلِّف لأجزاء «الضياء». ثُمَّ تجوَّلنا في مضمون الكتاب، ومنهجه في عرض المواضيع وتقسيمها، ومُميِّزاته. ثُمَّ عرجنا إلى تزامن تأليف الموسوعتين «الإبانة» و«الضياء». وختمناه بذكر الدراسات والبحوث العلميَّة السابقة حول الكتاب.

المطلب الأول: عنوان الكتاب، وسبب تسميته وتأليفه

باتِّفاق جميع المخطوطات والنسخ التي بين أيدينا، وإجماع كلمة المؤرِّخين والفقهاء على عنونة هذا الكتاب باسم: «كتاب الضياء»، فهذه التسمية مَحسومة بإجماع المؤرِّخين والنسَّاخ، ولم يشكِّك فيها أحَد، لشهرة الكتاب ومؤلِّفه، فلَا حاجة إلى استدلال أو تأييد، كما أنَّ الإجماع والتواتر منتهى الفصل عند العقلاء من العامَّة والخاصَّة.

وقد اختار اللغويّ الضليع عنوانه بعناية فائقة، كما فعله مع كتابه «الإبانة» الدالّ على الظهور والوضوح؛ مِمَّا ينمُّ على استيعابه البالغ لمعاني اللغة، وتَمكُّنه الواسع لأطرافها، وأخذه بنواصيها؛ فكاد أن يتميَّز بهذا العنوان البليغ الذي استمدَّ كنهه من كتاب الله العظيم، وأدرك معناه الذي لم ينتبه إليه كثير من اللغويين، فلم يسمِّه النور؛ لأنَّ الضياءَ والنور يفترقان في المعنى، رغم ذهاب أكثر اللغويين إلى اتِّحادهما في المعنى، والصواب غير ذلك، وهذا ما نبيِّنه بعد عرض ما جاء في المعاجم.

فقد جاء في اللغة: إنَّ الضِّياءَ والأضْواء والضِّواء جمع ضَوْء، وهو: النُّورُ،

وهما مترادفان عند أئمَّة اللغة. وقال الزمخشري: الضوء أقوى من النور، ولذا شَــبَّه الله هُداه بالنور دون الضَّوْءِ، وإلَّا لَما ضَلَّ أحدٌ؛ واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾. وقيل: الضوء فَرْعُ النور، وهو الشُّــعاع المُنتشــر. وقيل: بترادُفِهما لغةً بحســب الوَضْعِ، وإنَّ الضوءَ أبلَغُ بحســب الاســتعمال. وفي العين والتهذيب: الضَّوْءُ والضِّيــاءُ ما أضاءَ لك؛ كالبرق والسراج. ويقال: ضَاءَت وأَضَاءَت بمعنى استنارَتْ وصارَتْ مُضيئَةً، وأَضأْتُه أَنا لازم ومتعدٍّ. وقال النابغة الجعدي:

أَضَــاءَتْ لنا النَّــارُ وجْهًا أَغَرّ مُلْتَبِسًــا بالـفُـؤادِ الْتِبَـاسَــا

وقيل: النُّور هو الضِّياءُ والسَّناء الذي يُعينُ على الإبصار، وذلك ضَرْبَان: دُنيَويّ وأخرويّ؛ فالدُّنْيَويّ ضَرْبَان: معقولٌ بعَيْن البَصيرة، وهو ما انتشرَ من الأنوارِ الإلهيّة كنور العقلِ ونورِ القرآن. ومَحْسُوسٌ بعَيْن البَصَر وهو ما انتشر من الأجسام النَّيِّرَة كالقَمَرَيْن والنُّجوم النَّيِّرات؛ فمن النُّور الإلهيّ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾، وقولُه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، ومن النُّور المَحسوس نَحو قَوْلُهُ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾، وتخصيصُ الشــمسِ بالضوءِ، والقمرِ بالنُّور من حيث إنَّ الضَّوْءَ أخصُّ من النُّور.

وقيــل: الضِّياءُ ذاتِــيٌّ، والنُّــورُ عَرَضِيٌّ. وقيــل: الضوءُ لِمــا بالذات كالشــمس، والنار والنور لما بالعَرَض والاكتساب من الغَيْر وعرف عنه[١]. وهذان القولان يشيران إلى ما استنبطه العسكري في قوله: «الضوء: ما كان من ذات الشــيء المضيء، والنور: مــا كان مستفادًا من غيــره»[٢]. وربطه

(١) انظر: العين، التهذيب، المحيط، اللسان، تاج العروس؛ (ضوأ، نور).
(٢) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص ٣٣٢.

الحافظ ابن رجب بالحرارة والإحراق قائلًا: «الضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر؛ فإنَّه نور مَحض، فيه إشراق بغير إحراق».

وما ذهب إليه العسكري هو ما انتبه إليه بعض الفيزيائيين اليوم، وجاءت الإشارة إليه واضحة في كتاب الله تعالى، حيث فرَّقت الآيات بين أشعَّة الشمس ونور القمر؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)؛ وقال أيضًا: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦)، وقال أيضًا: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (النبأ: ١٢-١٣)؛ فسمَّى الله أشعَّة الشمس ضياءً، وسمَّاها بالسراج، وسمَّاها بالسراج الوهَّاج، والسراج: هو المصباح الذي يُضيء بالطاقة الداخلية سواء كانت زيتًا أو كهرباء أو غيرهما، وهو عمل الشمس، أمَّا أشعَّة القمر فيسمّيها الله تعالى دائمًا بالنور؛ لأنَّها تستمدُّ نورها من مصادر أخرى خارجية تُعكس عليها.

وهذا المعنى الذي يرنو إليه ويبيِّنه في الغرض من تأليفه، حيث يصرّح به في مقدِّمته قائلًا: «... ولأستصبح بضيائه مُهتديًا، وأصبح بما فيه مقتديًا...»[١]، كما نراه يركّز على هذا المعنى ويكرِّره في عدَّة مواضع من الجزء الأوَّل للأهميَّة العظمى التي يوليها له، فيقول عند ذكر العقل وصورته: «... يقتبس منها ضياء الحكمة، ويستضاء بها إلى معالم الهداية، فلقحها الاستماع والتفهّم...»، ثُمَّ يصف به العلماء وينعتهم به فيقول: «... لأَنَّهم الضياء من الغمَّة، والمصباح في الظلمة...»[٢].

(١) الضياء، ١/١١.

(٢) الضياء، ١/٥٨.

ثمَّ إنَّ هناك قصيدة منســوبة إليه يُقرِّظ فيها كتابه «الضياء»، ويبيِّن سبب اختياره لهذا العنوان قائلًا:

هذا كتاب ضيــاء للقلوب أخي	أكرم بما فيه من علم ومن أدب
ســمَّيته بالضيا إذ كان فيه هدًى	منَ العمى وضيًا من ظُلمة العطب

فالضيــاء مصدر الطاقـة التي تحيــي قلــوب المؤمنين، وتنير ســبيل المسترشدين، وتهدي الناس إلى الحقِّ المبين، وهذا المفهوم الذي دار عليه كتابه فــي عــرض الآراء وأدلَّتها، واســتيعاب المســائل وتوجيهها، فكانت موســوعة شــاملة لفنون كثيرة، جامعة للأصول والفــروع، واللغة والآداب، والتاريخ والعلوم، فهو الطاقة المستدامة للاهتداء والاقتداء كما وصفه مؤلِّفه.

وأمَّا سبب تأليفه:

فقد أبرزه المؤلِّف في تفسير خطبة كتاب «الضياء»، حيث بيَّن الأسباب الرئيســة التي دفعته إلى التأليــف قائلًا: «أمَّا بعد؛ فهــذا كتاب دعاني إلى تأليفه، وحَدَاني إلى تصنيفه ما وجدته من دروس آثار المسلمين، وطموس إيثارِ الدين، وذهاب المذهب ومتحمّليه، وقلَّة طالبيه ومنتحليه» مشيرًا إلى مذهب الإباضيَّة المسلمين، إذ يحافظ على التســمية الأولى التي تَمسَّكوا بها خلال الفترات التاريخية المتعاقبة، وهو انتسابهم إلى الإسلام وتشرّفهم به، ملَّــة إبراهيــم ومحمَّــد ـ صلَّــى الله عليهمــا وعلى جميــع الأنبياء والمرســلين ـ، ولم يكونوا يتســمَّون بجهة أو شــخصيَّة مهما كانت، إلَّا للتمييز الــذي ميَّزوه بهم مُخالفوهــم، فلا نكاد نجد في كتابــه ذكرًا لهذا المصطلح إلَّا في ذكر الفرق، ومع التســمية بالمســلمين قد يتسمون بأهل الحقّ، أو أهل الدعوة، أو أهل الاســتقامة... وغيرها من التســميات التي تدعو إلى الألفة والوحدة وردِّ الأمور إلى نصابها.

ثمَّ يتابع قوله بكلِّ ثقة وتواضع يبيِّن هدف تصنيفه ومنهجه الذي اختطَّه لِحياته قائلًا: «فرأيت الإمساك عن إحيائه مع القدرة عليه، ووجود السبيل إليه ذنبًا وشؤمًا، وذمًّا ولُؤمًا، فألَّفته على ضعف معرفتي، ونقص بصيرتي، وكلّة لساني، وقلَّة بياني، طالبًا للأجر لا للفخر، وللتعلّم لا للتقدّم، وللدراسة لا للرياسة، غير مدَّعٍ للعلوم تصنيفًا، ولا مبتدع للفنون تأليفًا؛ لكن لأحيي به نفسًا، وأفرغ إليه أُنسًا، وأرجع إليه في ما أنسى، **ولأستصبح بضيائه** مُهتديًا، وأصبح بما فيه مقتديًا، إذ التشكُّك معترض، والنسيان ذو عنون، والحفظ خؤون، ولكلِّ شيء آفة، وآفة الحفظ النسيان»[(١)].

فهذه المقدِّمة واضحة جليَّة في إظهار أسباب تصنيفه، غير محتاجة إلى زيادة بيان، نستشف منها حرقته على نصرة الدين، وقدرته على إحياء آثار المسلمين، وسلوكه طريق التعلّم والدراسة، ورجوعه إليه للاستئناس والاستصباح.. يتخلَّل حديثه أدب العالم الربّانيِّ المتواضع، المعترف بالضعف والتقصير، والطالب للثواب والأجر.

المطلب الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه

هناك عناوين كثيرة مرتبطة بأصحابها، فبمجرد ذكرها ينصرف إليها اللسان قبل البيان، فإذا قلت مثلًا: «الديوان» انصرف بداية إلى ديوان الإمام جابر ثم إلى غيره من الدواوين، و«المسند» انصرف إلى مسند الإمام الربيع، و«المدونة» انصرف إلى مدونة أبي غانم الخراساني، و«الوضع» إلى أبي زكرياء الجناوني، و«البيان» إلى «بيان الشرع» لأبي عبد الله الكندي، و«المصنَّف» إلى أبي بكر الكندي.. وهكذا دواليك، رغم أنَّ بعض العناوين تنتسب إلى مؤلفين مختلفين، لكن شهرة العنوان عند جماعة تجعله مرتبطًا بمؤلفه مباشرة، وهذا هو الحال

(١) الضياء، ١/١١.

مع كتـــاب «الضياء» فعند ذكـــره ينصرف إلى العوتبيّ مباشـــرة، عنـــد القدماء والمحدثين؛ فلا كتاب غيره في المذهب بهذا الاســـم، بل حتَّى على المذاهب الإسلامية الأخرى، أو قلَّ ما يوجد كتاب بهذا الاسم، فصار كأنَّه عَلَم بالغلبة..

ومِمَّا يؤكّد نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه ما يذكره بنفسه في كتابه «الإبانة»، فهو يُحيل إليه في حديثه عن الغـــرر حيث يقول: «تقول: غارنـــي الرجل يغرني إذا أعطاك الدية، وتغورني أيضًا، والاسم الغيرة وجمعها غير... وقد ذكرته في كتاب الضياء إن شاء الله»[1]. كما يقول أيضًا بعد ذكرِ حديث «أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «**كُلّ مَولُود يُولَد على الفِطرَةِ...**»، قال: «ولهذا الخبر تفســـير ـ عن أقوام ـ يَكثُر، وهو فـــي كتاب الضّياء إن شـــاء الله»[2]، وهذا الحديث نجده في وســـط ونهاية الباب الثامن «في الولاية والبراءة» من كتاب الضياء (ج٣) في «مسألة: من تَجب منه البراءة» (ص١٠٠)، وفي «فصل: معنى الفطرة» (ص١١٩). كما يحيل أيضًا في كتاب «الإبانة» (٢٢٣/٤) إلى كتابه «الضياء» عنـــد حديثه عن اللغو فيقول: «وفيه (أي اللغو) أقوال ذكرتها في «الأيمان» من كتاب الضياء» وقد ذكر هذا في نهاية «الباب ٤٣: في معرفة الأيمان...» من الجزء ١٢ (ص٣٠١).

وجاءت نسبة الضياء إلى العوتبيّ في كتب عدَّة منها:

ما جاء في «بيان الشرع» للشيخ محمَّد بن إبراهيم الكندي: «ومن كتاب الضياء المنسوب إلى أبي المنذر سلمة بن مُسلم»[3].

وما ورد ذكره في «الجوهر المقتصر» لأبي بكر الكندي: «قال أبو المنذر ســـلمة بن مســـلم في كتاب الضياء: وينبغي للمفتي أن يتأمَّل المسألة تأمُّلًا

(١) انظر: مقدمة الإبانة، ٢٥/١. مخطوطة الإبانة، ١٩٧/٢.
(٢) العوتبي: الإبانة في اللغة العربية، ٦٢٣/٣.
(٣) الكندي: بيان الشرع، ٧٩/١١.

شافيًا كلمة بعد كلمة، وتكون عنايته بآخرها أتَمّ من أوَّلِها، فإنَّ السؤال يتقيَّد بآخر الكلام»[١].

وما أورده الشيخ عبدالله بن مدّاد في سيرته، بعد ذكرِه لطائفة كبيرة من علماء عُمان قال: «وأبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبيّ الصُحاري العُماني، وهو الذي ألَّف كتاب الضياء»[٢]. ونقل عنه العلَّامة السالميّ، وزاد عليه كنيته وعدد أجزائه، فقال: «وكتابُ الضياء لأبي إبراهيم سلمة بن مسلم الصحاري العوتبيّ في أربعةٍ وعشرين جلدًا، جمع فيه أصولَ الشّرع وفروعه»[٣].

وما ذكره الشيخ خميس بن سعيد الشقصيُّ (حيّ: ١٠٧٠هـ) في الجزء الأوَّل من «منهج الطالبين وبلاغ الراغبين» حيث يقول: «وأبو المنذر سلمة بن المسلم العوتبيّ الصُحاري، مؤلِّفُ كتابِ الضياء والأنساب»[٤].

ونسبه الشيخ محمَّد بن عبيدان (ت:١١٠٤هـ) في كتابه «جواهر الآثار» فقال: «ومن كتاب الضياء المنسوب إلى أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري رَحِمَهُ اللَّهُ»[٥].

كما نسبه الشيخ سالم بن حمود السيابي في «أصدق المناهج» قائلًا: «وكتاب (الضياء) للشيخ أبي إبراهيم سلمة بن مسلم الصحاري العوتبيّ صاحب كتاب الأنساب، أربعةٍ وعشرون مُجلَّدًا»[٦].

---

(١) الكندي: الجوهر المختصر، ص٢٣.

(٢) ابن مدّاد: السيرة، ص١٣.

(٣) السالمي، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، ص٢٦.

(٤) الشقصي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ٤٩٥/١.

(٥) ابن عبيدان، مُحمَّد بن عبدالله: جواهر الآثار، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط د.ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مسقط، ٢٣٧/٦.

(٦) السيابي، سالم بن حمود: أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج، ص٣٨ (نق).

وهكذا يتَّفق المؤلِّفون والمؤرِّخون قاطبة نسبة كتاب «الضياء» إلى مؤلِّفه بلا اختلاف بين أحد منهم، ولم نجد من نسبه إلى غيره.

المطلب الثالث: حجم الكتاب وموضوعاته

يشتهر عند علماء المشارقة ـ أهل عُمان ـ أنَّ «كتاب الضياء» يتألَّف من أربعة وعشرين جزءًا، كما قيَّده الشيخ العالم الأبرّ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد بن وليد الشقصي البهلوي (حيٌّ في ٩٤٥هـ) في مخطوطة «الجزء العاشر من الضياء في الخيار بين الزوجين...» حيث قال: «وهذا جزء من أربعة [وعشرين جزءًا]...». وأكَّده الشيخ السالميّ في لُمعته بقوله: «وكتابُ الضياء لأبي إبراهيم سلمة بن مسلم الصحاري العوتبيّ في أربعة وعشرين جِلدًا، جمع فيه أصولَ الشّرع وفروعه»[١]، وزاد عليه ناسخ «كتاب مجموع به سيرة الشيخ أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري...»[٢] بعد انتهاء السيرة (ص ٣١) قائلًا: «وقد ألَّف الشيخ أبو المنذر سلمة بن مسلم كتبًا كثيرة، وهو كتب خمسًا وعشرين قطعة في الشرع وفي الأديان والأحكام كلّها ضخام كبار، وألَّف كتاب الإبانة في اللغة العربية قطعتين ضخمتين، وألَّف كتاب الأنساب».

إلَّا أنَّ أبا الفضل ابن إبراهيم البرَّادي الجربيِّ المغربيِّ (ت: ٨١٠هـ) دوَّن في رسالتيه التي قيَّد فيهما كتب الإباضيَّة خلاف ذلك يقول في رسالته المختَصرة (آخر كتابه الجواهر المنتقاة): «والضياء يذكرون أنَّه في النسخة الكبيرة التامَّة خَمسون جزءًا أو سِفْرًا، ووَقَفْتُ على ثلاثة أسفار منه كلّ

(١) السالمي، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، ص٢٦.
(٢) مخطوطة بمكتبة أحمد مسعود الفساطوي باسم «كتاب مجموع به سيرة الشيخ أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري وطرف من كتاب الكفاية وخطبة أبي حمزة...»، تصوير كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا، ص٣١.

واحد منها ضخمٌ كبير»، ثُمَّ يشتبه عليه العدد مرَّة أخرى في رسالته المطوَّلة المستقلّة، فيقول: «و«كتاب الضياء» يذكرون أنّه وصل المغربَ من النسخة الكبيرة التامّة نيِّفٌ وأربعون جزءًا، ورأيت منه ثلاثة أسفار ضِخام، كلّ سفر يشتمل على أجزاء، هي: التوحيد، والصلاة، والطلاق والحيض والبيوع والأحكام وغير ذلك، وهو أشرف تصنيف رأيته لأهل الدعوة»[1]، وبذكر هذه المحتويات الشاملة لموسوعة «الضياء» يظهر أنَّه استوعب جميع الكتب والأبواب التي حواها ـ وهي محاور النسخة التي بين أيدينا ـ رغم أنَّه لم ير منها ـ كما يقول ـ إلَّا ثلاثة أسفار؛ فيكون بهذا قد اشتبه مع كتاب «المصنَّف» للكندي الذي يفوق الأربعين سفرًا، وهذا مستبعد، أو أنَّ الأجزاء التي وصلت المغرب قد جزَّأها النسَّاخ وفرَّقوها إلى قطع ليسهل حملها وقراءتها وتداولها، وهذا الذي يظهر ـ إذا ثبَت ذلك ـ لتوسُّع المؤلِّف في بعض الأبواب حتَّى لا يستطيع مُجلَّد واحد أن يضمّها لعِظمها وضخامتها، كـ«كتاب التوحيد» و«كتاب الصلاة» و«كتاب الطلاق» التي قسِّمت إلى أجزاء في أصلها، وفي طبعتيها أيضًا.

وقد يكون بعض النسَّاخ أيضًا تصرَّفوا في تقسيم بعض الأجزاء بحسب ما رأوه، أو بحسب ما وجدوه من نسخ بين أيديهم، بين مُكثر للأجزاء ومقلّ، ويظهر ذلك من خلال خلط بعض الأجزاء والتداخل فيما بينها، كالمجلد الخامس في «النيَّة والنجاسات» مثلًا انطلقنا فيها بأربع نسخ متفقة، فلما وصلنا في الثلث الثاني منها افترقت نسختان وقفزتا إلى باب ساقط من المجلد السابق «في الكبائر والأخلاق» ومتعلِّق به، وهو «باب في التسليم والمخاطبة والدعاء والمكاتبة»، وأمَّا نسختان فقد واصلتا

---

(١) البرادي: دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها، تَحقيق: مُحمَّد زينهم، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م، ص ٦٠ - ٦١.

طريقهما في نفس موضوع الكتاب إلى النهايــة، فحاولنا التلفيق والمقارنة فيما بينها حتَّى ينتظم الكتاب.

ولا ريب فــي فقدان بعض أجــزاء الضيــاء، ولم نَســتطع تَحديدها ولا حصرها، ودليل ذلك ما صرَّح به المؤلِّف نفسه من إشارات إلى بعض الأبواب المذكورة أو التي ســيذكرها؛ فبعد البحــث والمراجعة في ثنايا موسوعته لم نَجد منها شيئًا؛ مثلما أشار في الجزء الثالث (ص ١٧٢) إلى «باب القيام بالقسط»؛ فلم نَجده. وأشار أيضًا في الجزء الرابع (ص ٣٦٠) إلى تَمام خبره في «باب القيامة»؛ فلم نَجده أيضًا. وأشار في الجزء الرابع (ص ٧٦) إلى العطاس أنَّه مرَّ تفسيره في «باب الأدب»؛ فلم نَجده. وأشار في الجــزء الخامس (ص ٢٠٢) إلــى الاختلاف المذكور فــي «باب بدل الصلاة»؛ فلم نجده. وفي الجزء الثاني عشــر (ص ٣٩١) أشــار إلى «باب الإيلاء» وقال «أَبْيَنُ شــرحاً» فلم نجده. وأشــار في الجزء الثالث عشــر (ص ١٨٢) إلى مسألة ذكرها في «باب القياس» لم نجدها فيه. وفي الجزء الحادي والعشــرين (ص ١١٨) أشار أيضًا إلى مســألة «موجودة في باب أحكام الجبابرة في الجزء الـ[...][1] من كتاب الضياء»؛ فلم نَجده.

ولا شــكَّ أنَّ فقدان هذه الأبواب التي أشــار إليها المؤلِّف نفسه لَدليل واضح وحجَّة قاطعة، مرجِّحــة لقول القائلين بأنَّ العوتبــيّ وضع كتابه في أربعةٍ وعشرين جزءًا أو نحوه، وهو الذي نَميل إليه ونؤيِّده؛ وهو العدد الذي كدنا نقتــرب إليه، بعــد تَحقيقنا للأجــزاء التي حصلنا عليهــا بعد البحث الحثيث، والجهود المضنية في الحصول على الأجزاء المنســوبة إلى الضياء كلِّها، ومن خلال التقســيمات الجديدة التي اجتهدنا فيها أيضًا، فبلغت تلك

(١) بياض في الأصل قدر كلمة.

المجلَّدات اثنين وعشرين مجلَّدًا من غير الفهارس، مع اختلاف في عدد الصفحات التي تتراوح بين المائتين والسبعمائة وخمسين صفحة.

ولقد نالت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان قصب السبق في طباعة «الضياء»، وجاء في ثمانية عشر جزءًا إلَّا الجزء السابع الذي تَخطَّوه ولم يَطبعوه، وتَمَّت طباعة الموسوعة خلال ستِّ سنوات، ما بين ١٤١١هـ/١٩٩٠م إلى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، من مراجعة بعض المشايخ منهم: الشيخ محمَّد بن عليّ الصليبي، والشيخ مهنَّا بن خلفان الخروصي، والشيخ رزق هيبة من علماء الأزهر، مع كثرة الأخطاء، وندرة التخريجات، وقلَّة علامات الترقيم، مع النقص المتكرِّر والسقط المستمرّ، بل وصل الأمر عمومًا إلى سقوط أجزاء كامِلة لم تُطبَع أصلًا، منها: كتاب الطهارات، وكتاب الجنائز، وكتاب الحجّ والاعتكاف والأيمان والكفَّارات... وغيرها، وقد ضُمَّ إلى الضياء أيضًا ما ليس منه، وهو كتاب «البيِّنات والشهادات»، من غير الأجزاء المفقودة التي سبق ذكرها ولم نستطع العثور عليها، وقد حاولنا وضع مقارنة مختصرة بين هذه الطبعة الجديدة المحقَّقة من «الضياء»، والطبعة التي أصدرتها وزارة التراث القومي والثقافة، كما جاءت هذه الأخيرة أيضًا متنوّعة في الخطوط والتنسيقات تختلف من جزء لآخر، من غير ترتيب في الطبع.

ونبيِّن في هذا الجدول الفروقات التي كانت بين الطبعتين في ترقيم الأجزاء ومحتوياتها وتقسيم المجلَّدات وأبوابها، وما يلاحظ عليها:



الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
١	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	نفس محتويات الطبعة المحقَّقة في العلم وانتهى بباب التوحيد	٢٣ بابًا في ٣٩٤ص	دار جريدة عُمان للصحافة	بها مقدِّمة في سبع صفحات للصليبي	١	٢٣ بابًا	في أبواب العلم والعقل والتكليف وما يتعلَّق بها
٢	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	نفس محتويات الطبعة المحقَّقة في إتمام أبواب التوحيد	١٤ بابًا في ٢٨٢ص	من دون	من دون	٢	١٥ بابًا	في أبواب التوحيد والأسماء والصفات
٣	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	نفس محتويات الطبعة المحقَّقة في شيء من الأصول والأسماء والأحكام وانتهى باختلاف الناس في المقالات	٢٣ بابًا في ٢١٢ص	مطبعة الألوان الحديثة	صحَّحه الشيخ سيف البطاشي ١٤٠٩/٨	٣	٢٢ بابًا	في أبواب أصول الفقه، والأسماء والأحكام، والمذاهب والفرق، وانتهى باختلاف الناس في المقالات
٤	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	نفس محتويات الطبعة المحقَّقة في أبواب الذنوب والكبائر والتوبة والحقوق، والأخلاق والإمامة	٤٩ بابًا	دار جريدة عُمان للصحافة	فيها مقدِّمة ٥ص للشيخ مهنا الخروصي	٤	٧٠ بابًا	في أبواب الذنوب والكبائر والتوبة منها، وناقصي الأهلية، والحقوق، والأخلاق والتزكية، والإمامة والجهاد.
٥	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	في أبواب القبلة والسترة والمساجد والصلاة والثياب وأنواع الصلوات وأحكامها وانتهى بصلاة التراويح	٥١ بابًا في ٤٠٢ص	مطبعة الألوان الحديثة	من دون	٥	٢٨ بابًا	في أبواب النيَّة، والنجاسات والطهارات والوضوء والغسل وأحكامهما، وانتهى بوضوء المسافر

طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
٦	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	في أبواب الزكاة وأحكامها، وانتهى بباب بأحكام الصوافي. وبدأ بباب ٣٦ في أحكام الصيام	٥٢ بابًا في ٣٩٢ص	مطبعة الألوان الحديثة	جمع بين كتابين	٦	(٢٩ إلى ٣١) + ٢٧ بابًا	فِي أبواب مواقيت الصلاة ومواضعها، والقبلة، والمساجد، والأذان وأحكامها، والصلاة ومعانيها وحدودها وأوقاتها... وغيرها
٧	-	غير مطبوع	-	-	غير مطبوع	٧	(٢٨ إلى ٤٤) + ٢١ بابًا	في أبواب أنواع الصلوات وأحكامها، بداية من صلاة العريان وانتهى بصلاة المسافر والعبيد وغيرهم
٨	١٤١١هـ/ ١٩٩١م	في أبواب العتق والرضاع والنكاح وأحكامها، وانتهى بباب الضمان في الصداق وأحكامه	٢٤ بابا في ٤٥٦ص	مطبعة عُمان ومكتبتها المحدودة	مقدِّمة للصليبي في ٣ص	٨	١٨ بابًا	في أبواب الجنائز وأحكامها وما فيها من غسل الموتى وتكفينهم، وحملهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، والتعزية
٩	١٤١١هـ/ ١٩٩٠م	في أبواب الطلاق وأنواعه وأيمان الغيب والطلاق وغيرها، وانتهى بباب الوكالة في الطلاق	٢٦ بابا في ٢٥٨ص	من دون	-	٩	٣٥ بابًا	في أبواب الزكاة والصوافي وما يتعلَّق بهما من أحكام

طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
١٠	١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م	في أبواب الخيار الخلع والإيلاء والظهار والكفارات والعدة وأحكام الحيض والطهر والنفاس	٢٤ بابًا في ٤٠٠ص	من دون	بدأ الكتاب بالمحتويات	١٠	١٦ بابًا (٣٦ إلى ٥٢)	في الصيام وما يتعلَّق به من أحكام. وانتهى بما يتعلَّق من صيام التطوّع
١١	١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م	في أبواب القضاء والحكم، والأحكام والدعاوى والإقرار والصلح والديون، وانتهى بما ينبغي للحاكم فعله	٣٣ بابًا في ٣٧٠ص	مطبعة مزون	ـ	١١	٣٦ بابًا	في أبواب الحجِّ وما يتعلَّق به من أحكام. وانتهى بباب الوداع والتكبير والأيَّام المعلومات
١٢	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	في أبواب حمل البيِّنَة، وأنواع الشهادات والدعاوى والأحكام بين الأزواج وغيرها. وانتهى بالحكم بين الأزواج	٥١ بابًا في ٢٧٢ص	من دون	بدأ الكتاب بالمحتويات وهذا الجزء الأخير (٢٢) المنسوب للضياء	١٢	١٩ بابًا (٣٧ إلى ٥٦)	في أبواب الاعتكاف والنذور وأنواع الأيمان والكفَّارات. وانتهى بكفَّارات الأيمان وسائرها
١٣	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	في أبواب المرأة وجبر زوجها على طلاقها، والأيمان والدعاوى والأحكام والحقوق والديون، وانتهى بباب الصلح	٥١ بابًا في ٢٧٠ص	من دون	بدأ الكتاب بالمحتويات	١٣	٢٤	في أبواب العتق وأحكامه، والرضاع، والأكفاء، والنكاح وما يتعلَّق بها من أحكام. وانتهى بالضمان بالصداق وأحكامه

الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
١٤	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	في أبواب الأحكام في المضار والطرق، وحقوق الوالد والولد، والأحداث والضمان والإقرار والملاعنة	٥١ بابًا في ٢٤٦ص	من دون	-	١٤	٢١ بابًا (٢٥ إلى ٤٦)	في تمام أبواب الصداق، والتزويج وأنواعه، وما يتعلَّق به من أحكام. وانتهى بالمعاشرة الزوجية وأحكامها
١٥	١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م	في باب دية الأصابع، وأنواع الديات والقياسات والدواب وأحداثها. وانتهى بباب الأموال وأحكامها والدعاوى	٢٤ بابًا خلط بالفصول في ٣٠٢ص	آمون للطباعة والتجليد	بدأ بالمحتويات ثم بصورة صفحة المخطوط	١٥	٣٠ بابًا	في أبواب حقوق الأزواج والنفقات والكسوة وغيرها، وفي الطلاق وأحكامه. وانتهى بباب الوكالة في الطلاق وأحكامها
١٦	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	في أبواب الوصايا وأسمائها وألفاظها وأنواع الإقرارات والدعاوى والفرائض والمواريث. وانتهى بفرائض الأرحام	٦٢ بابًا في ٣٦٤	آمون للطباعة والتجليد	بدأ الكتاب بالمحتويات	١٦	٢٤ بابًا	في أبواب الخيار والخلع والإيلاء والظهار والتحريم وأحكامها، والعدَّة والحضانة، وانتهى بأبواب الحيض والإثابة وطهر النفساء
١٧	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م	في أبواب المضاربة والتجارة والشركات والسلف والشروط والبيوع والربا والبيوع. وانتهى بعيوب الإماء الإناث	٣٤٠ص	من دون	بدأ بالمحتويات تحقيق: رزق هيبة	١٧	٢٠ بابا	في أبواب الدماء، والدوابّ ومضارّها، والقضاء والأحكام والدعاوى. وانتهى بباب الأحكام بين القرابة في النفقة والمؤنة

الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
١٨	١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م	في اليتيم والصبيّ وغيره، والشركات والأحداث والطرق والحريم والأفلاج. وانتهى بالإجارات وأهل الصناعات وأحكامها	٣٣ بابًا في ٣٢٦ص	آمون للطباعة والتجليد	بدأ بالمحتويات تحقيق: رزق هيبة	١٨	٢٥ بابًا	في أبواب أحكام الوالد والولد، والدعاوى والأحكام، والصلح، والتفليس والحبس والديون، والصرف والقرض، والحقوق ومحلِّها وآجالها والإقرار بها
						١٩	٦٥ بابًا	في أبواب الوصايا والإقرار بالحقوق، وأحكام المواريث والدعاوى والإقرار. وانتهى بباب فرائض الأرحام
						٢٠	٣٣ بابًا	في اليتيم والأعمى وناقصي الأهلية، والشركات والطرق والأفلاج والشفع وغيرها. وانتهى بالإجارات وأهل الصناعات وأحكامها

طبعة وزارة التراث القومي والثقافة						الطبعة الجديدة المحقَّقة		
الجزء	الطبعة الأولى	المحتوى	عدد الأبواب والصفحات	المطبعة	ملاحظات	الجزء/ المجلد	عدد الأبواب	المحتوى
						٢١	٣٦ بابًا	في أبواب البيوع والربا والسلف والرهن، والكفالة والحوالة، والمضاربة والشركة وأحكامهما
						٢٢	١٠٧ أبواب	الجزء المنسوب للضياء: في أبواب البيِّنَات والشهادات، والأحكام والدعاوى. وانتهى بباب الصلح

المطلب الرابع: ترتيب المؤلِّف لأجزاء «الضياء»

عند قراءة الجــزء الأوَّل والتأمُّل فيــه يتَّضح لنا أنَّه تفــرَّغ له ولِخطبته وشــرحها بعدما أتَمَّ تأليف الكتابيــن جميعًا، فأمَّا إتمامــه لكتاب «الإبانة» فكثير، منها عند انتهائه من الحديث عن القلب وأصله قال: «وقد ذكرت هذا في كتــاب الإبانة»[1]، وهذا الموضــوع ذكره في نهايات الجــزء الثالث من الإبانــة (ص٧١٤)، كمــا قال أيضًــا بعد ذكــر دخول الألــف على «هل» الاستفاميَّة: «وقد ذكرتُ علل هذا فِي كتاب الإبانة»، وهذه المسألة ذكرها في الثلث الأخير مــن الجزء الرابع فــي الإبانــة (ص٥٦٥ ـ ٥٦٧)، مع الذكر الكثير لهذا الكتاب في هذا الجزء خاصَّة أكثر من غيره، حيث بلغت الإشارة إليه في ثمانية مواضع.

وأمَّا تأليفه للجــزء الأوَّل بعد تَمام «الضياء» فيدلُّ عليه قوله بعد تعريف النّقَّاب: «والمسألة قد ذكرتها في باب المواريث ـ إن شاء الله تعالى ـ»، وهذا الباب جاء في «مســألة الجدَّة» من المجلد التاســع عشر (ص٤٧). بخلاف الأجزاء الأخرى التي يظهر أنَّ تأليفها كان تباعًا واحدًا تلو الآخر، كما جاءت الإشــارة إلى ذلك في الجزء الثالث حيث يقول مشيرًا إلى مسألة ذكرها في الجزء الثانــي (ص٧٨) قبله: «واليد ـ أيضًا ـ علــى وجوه أخرى ذكرتها في باب التوحيد».

كما جــاءت مراجعات قليلة على الكتاب، لا نــدري هل كانت من قِبل المؤلِّف نفسه، أو مِمَّن جاء بعده من النسَّــاخ والمعقِّبين، إذ ورد في الجزء التاســع: «وقد ذُكِر شيء من ذلك في الجزء العاشــر في: «باب الحكم بين

(١) انظر: العوتبي: كتابة الإبانة في اللغة العربية، ٧١٤/٣.

الرجال والنساء»[١]»، وهذا يدلّ على مراجعة الكتاب وضمِّ هذه الملاحظات إليه مــن قِبل المؤلِّف، أو أنَّها من إضافات النسَّــاخ ـ كما أشــرنا ـ، أو أنَّه وضع كتابــه لأوَّل مرَّة على هذه الخطَّة، وهذا الاحتمــال بعيد؛ لأنَّه لو كان سيذكره في كتابه كما هو في خطَّته التي ســطرها لقال: «وسأذكر شيئًا»، أو «سنذكر شــيئًا»، ولكن لفظة: «وقد ذكر» إذا كانت بالبناء للمجهول فتحتمل إضافة المؤلِّف نفسه أو إضافة النسَّاخ، وإذا كانت بالبناء للمعلوم فهي غالبًا ما تكون من إضافات النسَّاخ، والله أعلم.

المطلب الخامس: مضمون الكتاب، ومنهجه[٢] في عرض المواضيع وتقسيمها، ومميّزاته

يُعدُّ كتاب «الضياء» من أهمِّ الموسوعات الفقهيَّة في الفكر الإسلامي عامَّة، وعند الإباضيَّة خاصَّة؛ حيث يُجسّــد الفقه المقارن على المذاهب الإســلامية

(١) انظر ما يتعلَّق بهذا الباب ومــا تناوله من مسائل في الجزء المخطوط التاســع، والمجلّد المطبوع المرقّم بـ«السادس عشر» والذي يلي هذا الجزء في كلّ من الأبواب التالية: «باب ٤٨: الحكم بين الأزواج في الكسوة والنفقة» و«باب ٤٩: الحكم بين الأزواج في العيوب» و«باب ٥٤: في الحكم بين الأزواج في النفقة والكسوة وفي منع المرأة زوجها».

(٢) قام الباحث أحمد بن عبدالله الكندي في رســالته التي قدَّمها لنيل شهادة الماجستير بعنوان: «منهج الشــيخ العوتبي الصحاري في كتابه الضياء قسم العبادات أنموذجًا»، بتسليط الضوء على المنهج الفقهي للعوتبي من خلال أبواب العبادات، بداية من الطهارات إلى الحجِّ، كما تطرقت الدراســة إلى منهجيــة العوتبي في عرض المســائل الفقهية واســتدلاله بالمصادر الشــرعية الأصلية والتبعية المتَّفق عليها والمختلف فيها، وبيــان القواعد والضوابط الفقهية التي كانــت ضمن إطار الدراســة وحدودها، كما بيَّنــت عددًا من الســمات التي تميز بها العوتبي في منهجه الفقهي؛ كربطه الفقه باللغة والســلوك، وأبرزت آراءه واختياراته الفقهية، ومخالفته لجمهــور مذهبه، مع اســتخراج عدد مــن القواعد والضوابط الفقهية من قســم العبادات. ولم نتطرق في هذه المقدِّمة إلى ما ذكره الباحــث، وإنَّما اكتفينا ببعض ما رأيناه من ملاحظات في تحقيق هذا الكتاب، وتركت الفرصة لمن أراد الاطلاع والتوسع في ذلك.

المختلفة، كما صرَّح بذلك في مقدِّمته قائلًا: «وقد ذكرت شيئًا من أقاويل قومنا الموافقة لنا والمخالفة لأقاويلنا فــي مواضعها من الكتاب، إذ العلم بذلك خير من الجهــل به، فمن وقــف على هــذا الكتاب فــلا يعجلن بالجهالــة عليَّ، ولا يرســلن هجر المقالة إليَّ، ولينصح بتصحيح ما قلتــه، وليتصفَّح ما قدَّمته، عساه يجد لي سَــعة وعذرًا، وليتبيَّن صحَّة أمر، ثُــمَّ لا يستثقله رائـيًا، ولا يمله قارئًا، فإنَّ الكتاب كُلّما كبر حَجْمُه كَثُر فوائده وعلمه».

والعوتبيّ في هذه الموسوعة اتَّبع منهج سلفه في ترتيب المحاور وعرض المواضيع، والاعتراف بالتقصير وطلب النصيحــة، وهو بذلك يقرِّب الصورة العامَّــة، والمنهج المتَّبع فــي التأليف الدينــي عند الإباضيَّــة خاصَّة، حيث يَجمعون بين فروع الدين وأصولها من غير تَمييــز بينهما، فلا تقوم الأحكام الفقهيَّة عندهم إلَّا باستيعاب أصول الدين وأركان الإيمان والاعتقاد أوَّلًا، كما كان يشــهده التأليف في بداياته ككتاب أبي حنيفة الموسوم بـ«الفقه الأكبر» وغيره من الكتب، ولقد أدرك الإباضيَّــة قيمة الجمع بين التقوى المركوز في القلب والعمل النابــع منه والناتج عنه، وفهموا نصــوص الكتاب الدالَّة على المزج بينهما فــي كلّ آيات الأحكام، فيبــدأون بالأصول ثُــمَّ الفروع، وبما لا يســع جهله وما يســع... وهكذا؛ فمن أجل هذا المقصد وضع كتابه الذي يسمِّي فيه الفقه بـ«العلم الأعمّ، والفنِّ الأتَمّ» حيث قال في مقدِّمته: «على أنَّ الغرض المقصود به [أي: التأليف]، والغرض الموضوع له هو: الفقه الذي هو العلم الأعمّ، والفنُّ الأتَمّ، بعد القرآن الذي هو أصل العلوم، وأوَّلها وأفضلها وأجلّها وإمامها وأكملها، ومنه تســتنبط كلّ معرفة، وعنه تضبط كلّ صفة؛ قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الأُمُورُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ فَعَلَيكُمْ بِالقُرْآنِ**»[1]».

(١) ذكره الهندي فِي كنز العمال (ر٤٠٢٧، ١٢٥/٢) عن العسكري، فِي حديث طويل من طريق عليّ.

وهذا المنهج الذي سارت عليه أقلام علماء الإباضيَّة في مصنَّفاتهم، واعتمدوه في كتاباتهم، فتجدهم يلجأون إلى كتاب الله ويعتصمون به، في كلّ خطوة يَخطونها في تآليفهم؛ ولا يغيب عن أحد منهم إلَّا إذا طال عليه العهد..

بدأ العوتبيّ موسوعته بكتاب العلم وآدابه أوَّلًا لأهميَّته، وشحذ الهمم عليه، عملًا بأوَّل آية أُنزلت على قلب المصطفى ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، ثُمَّ بأبواب توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته؛ مُمتثلًا أمر المولى ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (مُحمَّد: ١٩) من أواخر الجزء الأول إلى نهاية الثاني، ثُمَّ بأصول الفقه ومعرفة الأسماء والأحكام والمذاهب والفرق في الجزء الثالث، ثُمَّ دخل ثنايا النفس وتزكيَّتها في الجزء الرابع ومعرفة المعاصي والكبائر والتوبة منها، وما يحوم حول الإمامة والجهاد، ثُمَّ تناول في الأجزاء التي تليها أبواب النيَّات والطهارات والعبادات وأحكامها من صلاة وزكاة وصوم وحجّ وأيمان ونذور، ثُمَّ أحاط في المجلد الثالث عشر والذي بعده بما يتعلّق بالأحوال الشخصيَّة من عتق وولاء ورضاع ونكاح وطلاق وخلع وإيلاء وظهار، ولَمَّا بلغ الجزء السادس عشر طرق أبواب الجنايات والقضاء وأحكامهما من شهادات ودعاوى وجنايات وقصاص، ثُمَّ فصَّل أحكام المواريث والوصايا في المجلد التاسع عشر، كما ختم الجزأين الأخيرين بأحكام اليتيم وناقصي الأهليَّة، ثُمَّ انتقل إلى أحكام المعاملات المالية وما يتعلَّق بها من شركات وأحداث وإجارات وبيوع وسلف ورهن وكفالة وحوالة... وغيرها.

وقد بيَّن العوتبيّ ما جعل عليه كتابه وبنى عليه من تلك الأجزاء والكتب في قوله: «وجعلت هذا الكتاب ذا أصول وآداب، وفصول وأبواب، ولم أُخلِه من حكمة عجيبة، وكلمة غريبة، ومَثلٍ سائر، وبيت نادر، وسنن وأخبار، ومواعظ وأشعار، إذ كانت العلوم تتشابك اتّباعًا، والمعاني تتشارك

اتِّساعًا، والفنون تستدعي الفنون، والحديث ذو شجون»، ثُمَّ انطلق في تأليفه يخطُّ طريــق الكلمات والمباني، ويشــقُّ عُبــاب الأفــكار والمعاني، حتَّى اجتمعت له من الأجزاء ما حفظه الزمان أكثر مما اندثر منه.

وباختصار فإنَّ تلك المضامين كلّها جــاءت على أبواب يَختلف عددها وترتيبها من جزء لآخر، وتندرج تحت ثمانية مَحاور كبرى بحســب مجيء الكتاب، هي:

١ ـ محور العلم والتوحيد.

٢ ـ محور الأصول والأسماء والفرق.

٣ ـ محور التزكية والأخلاق.

٤ ـ محور الطهارات والعبادات.

٥ ـ محور الأحوال الشخصيَّة.

٦ ـ محور الجنايات والأحكام القضائية.

٧ ـ محور الوصايا والمواريث.

٨ ـ محور المعاملات المالية.

وقد قسَّــم العوتبيّ كتابه ـ من حيــث الظاهر ـ إلى أجــزاء ضمن هذه المحاور الثمانية تقريبًا، وحاولنا الاجتهاد في تســميتها بالكتب، إضافة إلى كتب أخــرى مرتبطة بهــا، وجعل تحت هــذه الأجزاء أبوابًــا غير منضبطة يختلف عددها من جزء إلى آخر طولًا وقصرًا، وتَحت هذه الأبواب مســائل وفصول، غالبًا ما تكون المســألة أوســع من الفصل، ولكنَّ النسَّاخ خلطوا كثيرًا بينهمــا لعدم فهــم مُراد الشــيخ من التفريــق بينهما، وبعــد التأمُّل والتمحيص فيهما تبيَّن لنا أنَّ المسائل هي أصل الكتاب؛ أي التي عليها بناء الكتاب، وتكون لهــا علاقة وطيدة بالبــاب أو مرتبطة به مباشــرة، خلاف الفصــول فإنَّها غالبًا ما تكون مدرجة للفائــدة، أو تفريعات تخدم النصّ من

بعيد؛ فهي شروحات لغويَّة، أو معلومات تاريخية، أو آراء مخالفة شاذَّة، أو لطائف جميلة، تزيد نكهة للكتاب، وترفِّه عن القارئ حتَّى لا يشعر بالملل، ولا يعلوه الكلل، فيجعله يتنقَّل بين أسوار الأصول الصامدة، وأشجار الفقه الوارفة، ويتجوَّل وسط الرياض المختلفة الألوان، يستمتع بجمالها، ويرتوي من معينها.. فجاء حَسنَ التأليف، سلس التبويب، واضح التعبير، قويّ الحجَّة، واسع الاستحضار.. ينتقي مادَّته من كلّ مصدر، ويُمحصها في أدقِّ مخبر.. يعتني بالمقارنات، ويُكثر من الاستشهادات، ويغوص في أعماق اللغات، ويضبط الاختلافات.. مُغرم بالاستطرادات اللغويَّة[١]، ويمزج المعارف اللغوية بالفقهيَّة[٢]، قويّ المجادلة في مسائل الكلام بتكرار عبارة: «فإن قال قائل: ... قيل له: ...»، واستعمال طرق الجدال المختلفة، من سبر وتقسيم، ودليل الخلف، وإلزام الخصم... وغيرها، وكلُّ ذلك في نسق متميِّز واضح، ينمِّق فيه المؤلِّف ويُجيد.

كما أنَّ كتابه يستغني فيه قارئه عن الرجوع إلى غيره في شرح الكلمات،

---

(١) حتَّى ولو كانت على حساب المواضيع الرئيسة، فلمَّا كان يتحدَّث مثلاً عن القرآن وفضله استشهد بأثر عن النبيِّ ﷺ، ورد فيه قوله عليه السلام: «مَاحِلٌ مُصَدَّق»، فأخذ في شرح «ماحل، والمحال»، وفي أثناء ذلك استشهد ببيت فيه لفظة «غرام»، فاستطرد مرَّة أخرى في شرحها وأتى بشواهد في شرح الغرام، وهكذا يفعل في عدَّة مواضع، وخاصَّة في الأجزاء الأولى. وقد برع العوتبي في هذا الجانب كثيرًا، وبِخاصَّة عند عزو الأبيات إلى أصحابها، مع عدم نسبتها وتوثيقها عند كثير من علماء الكلام واللغة والتفسير، مِمَّا يدلُّ على اطِّلاعه الواسع على كتب الشواهد العربية والدواوين الشعرية، وقد أعيتنا بعض الأبيات في الحصول عليها، رغم توفُّر الموسوعات والوسائل المختلفة، بينما نجدها عنده منسوبة إلى أصحابها؛ وبهذا يصلح أن يكون الكتاب مصدرًا من مصادر الشواهد اللغويَّة، كما هو مصدر من مصادر الشريعة وأصول الدين.

(٢) مثل تعريفه للمال مثلاً في الجزء الأوَّل: «وقيل: سمِّي المال مالاً؛ لأَنَّه ميَّال. ويقال: رجل مائل: إذا كان ذا مال»، وغيرها من الأمثلة كثير.

أو تفسير العبارات، فقد كفاه مؤونة ذلك، حيث قال في مقدِّمته: «وقد فسَّرت جميع ما ذكرت في هـذا الكتاب من لفظ غريب، ومعنـى عجيب؛ ليكون مستغنيًا بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره».

وبهذه الخصائص والمميِّزات استطاع «الضياء» أن يتبوَّأ منزلة خاصَّة بين آلاف الكتب والمجلَّدات، ويُجعل في مصـافِّ المصادر الأصليَّة المعتمدة، ويُحظى بالتقدير والتقديم في المنظومة الفقهيَّة الإباضيَّة خاصَّة، حيث اعتنى المشـارقة والمغاربة به، فحرص الناس على استنسـاخه واقتنائه، ولم يغب عن كبار المؤلِّفين من المحقِّقين والمعلِّقين الذين جاؤوا من بعده، ولا تكاد تخلو المصادر التي جاءت بعده مشـرقيَّة ومغربيَّـة، إلَّا واعتمدت عليه، أو على من اعتمد عليه، أو أقحم فيه نصوصه، بالنقل الحرفي أو بتصرُّف، كما لم يكتفوا بذكر آرائه فقط بل أشـادوا بها، وأخذوا بها في ترجيحاتهم، وقد صرَّح البرَّادي بالإشادة به وبكتابه قائلًا: «وهو من أشرفِ تصنيفٍ رأيته لأهلِ الدعوة»[1]، ولم يكتف بذلـك، بل أردفَ قائلاً «وكتـاب النّور مختصرٌ عن كتاب الضياء، ولله درُّ صاحبه، ما أرشق إشارته في تسميته بالنّور عن الضّياء، وكيف استخرج هذه العبارة من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ (يونـس: ٥)، ولعمْري إنَّ كلّ واحـد مِنهُما لمطابقٌ مسمَّاه لمعناه»[2]، وهذه شهادة محقِّق على جبل أشمّ ترك بصمات واضحة، وسجلات تاريخية حافلة.

ومع كلّ هذا فإنه لا يُمكـن إغفال مَا جاء في الكتـاب ـ على صورته الحالية الآن ـ من ملاحظات على عرض المسـائل والفصـول خاصَّة، فقد سـبق أن ذكرنا أنَّ كلّ باب يتضمَّن مسائل وفصولًا، وهذه المسائل المتعدِّدة

(١) انظر: البرادي: دراسة في تاريخ الإباضية وعقيدتها، ص ٦١.
(٢) المرجع السابق نفسه.

غير معنونة في معظمها، آخذة بعضها ببعض، أو جامعة لثلَّة من مسائل متفرِّقة منضوية تَحت ذلك الباب، حتَّى يصعب علينا عنونتها أحيانًا فنعنونها بـ: «متفرِّقات الباب»، وغالبًا ما تكون هذه المتفرِّقات مجموعة في المسألة الأخيرة من الباب، وكأنَّه يجمع أو يلخِّص أهمَّ المسائل التي بالباب أو ما تبقَّى من مسائل لم يشر إليها. وهناك مسائل أيضًا غير معنونة تابعة للعنوان السابق لم نسمِّها تفاديًا للتكرار. وقد تتكرَّر ألفاظ بعض المسائل في ثنايا الباب، أو تُعرض بصيغ مختلفة للتأكيد أو للتذكير أو للأهميَّة، أو لاقتباسها من كتب شتّى، أو ما يظهر من ارتباك النسَّاخ واختلاطهم في ترتيب المخطوطات أو تداخلها في ما بينها، كما يظهر ذلك جليًّا في مجلَّدات الصلاة والجنائز والحجّ والوصايا... وغيرها.

وأحيانًا يذكر بيت شعر أو مسألة أو ألفاظًا غريبة فينساب فِي شرح كلماتها ومعانيها ثُمَّ يعود إليها مرَّة أخرى، وقد يطول به الحديث في تفصيل ذلك فلا يشير إلى رجوعه للمسألة، وقد يشير أحيانًا، كما فعل في الجزء السادس عند ترجمة «ذي اليدين» فنقل قول الجاحظ وابن قتيبة حتَّى طال به الكلام ثُمَّ رجع إِلَى المسألة قائلًا: «تَمام المسألة: قال أبو محمَّد...».

وخلال المسائل أيضًا يُدرجُ فصولًا مُختلفة غير منضبطة عند النسَّاخ، فتختلف تسميتها من نسخة إلى أخرى بين الفصل والمسألة. كما تتكرَّر أحيانًا بعض المسائل بمعناها أو بلفظها في الباب نفسه أو الجزء كما هو واضح في مسائل الأحكام والدعاوى والشهادات والبيِّنات والإقرارات، مع الإكثار من ذكر المسائل والفصول من غير حاجة إليها أحيانًا؛ لكونها تابعة للتي قبلها في المعنى غالبًا. وعلى العموم فإنَّ المسائل بحسب نظرتنا إليها مُحتاجة إلى ترتيب منطقيٍّ ومنهجيٍّ ضمن الباب الواحد، كما ينطبق ذلك حتَّى على الأبواب أحيانًا.

المطلب السادس: تزامن تأليف الموسوعتين «الإبانة» و«الضياء»

بعدما قضى العوتبيّ جُلَّ حياته في الاعتنـاء بالفنون الأدبية واللغوية جمعًا وترتيبًـا وتأليفًا، والاهتمام بها مدَّة ليســت بالقصيرة؛ وذلك إدراكًا منه أنَّ النصوص لا تفهم، والأفكار لا تبنى، والمعاني لا تستنبط إلَّا بهما؛ فكانت انطلاقته قويَّة في هذا الفنّ حتَّى تاقت نفســه لأَن يَخدم هذا الدين بموســوعتين مُميَّزتين فــي منظومته الفكريــة، تكونان الغايــة في نتاجه الفكري، يستفيد منهما القاصي والداني، والموافق والمخالف، تجمع بين الجديــد والتليد، فكان هــذا النتاج العلمــيّ الرائق، إحداهمــا في اللغة وأســرارها، والأخرى في الشــريعة ومقاصدها، وقد جاءتا متأخّرتين في الوضع، للإشــارات التي كانــت بينهما، كما يظهر أنَّهمــا كانتا متزامنتين أيضًا، إن لم نَقــل بتقدُّم «الإبانــة» على «الضياء»؛ وهــذا ما نلاحظه في عبارات «الضياء» حينما يشــير إلــى «الإبانة» يأتي بهــا على صيغ الجزم والتحقيق أكثر من عبارات «الإبانة»، فيقول مثلًا في كتاب الضياء: «والبليَّة قد ذكرتها في كتاب الإبانة»، ويقول: «وذكر الشــيء بسببه، وذكر سببه به، وكلُّ ذلك قد جاء به القرآن، وقد ذكرتــه في كتاب الإبانة فلم أعده هاهنا للاختصار»، وقال في خبــر الأصمعي أيضًــا (ص٩٣): «وقد ذكرتُ هذا الخبر بِجملته في كتاب الإبانة فاختصرته هاهنا».

أمَّا عبارات «الإبانــة» فقد كانت غالبًا ما ترتبط بالمشــيئة؛ فيقول في حديثه عن الغرر مثــلًا: «تقول: غارنــي الرجل يغرنــي إذا أعطاك الدية، وتغورني أيضًا... وقد ذكرته في كتاب الضياء إن شاء الله»[1]، وقال بعد ذكرِ حديث «كُلّ مَولُود يُولَد على الفِطرَةِ...» «ولهذا الخبر تفسير ـ عن أقوام ـ

(١) انظر: مقدمة الإبانة، ٢٥/١. مخطوطة الإبانة، ١٩٧/٢.

يَكثُر، وهو في كتاب الضّياء إن شاء الله»[1]، ولعلَّ عبارة المشيئة هذه موحية للخطَّة المبدئية والمنهجيَّة الأوَّلية التي وضعها لهذا الكتاب؛ فيكون ذلك الباب المشار إليه من ضمن ما سيتمّ الحديث عنه لاحقًا في ذلك الكتاب، والله أعلم.

المطلب السابع: الدراسات والبحوث العلميَّة السابقة حول الكتاب

نظرًا للجهود الجبَّارة التي قام بها العوتبيّ في المجال التاريخي واللغوي والفقهي جعلته يشتهر لدى الأوساط العلمية، وهو ما جعل الباحثين والدارسين يهتمون بهذه الشخصيَّة ويتناولونها من كلّ جوانبها، فكتبت حوله دراسات وبحوث ومقالات منشورة، تناولت جوانب كثيرة من حياته وتأليفاته، لكنَّ معظمها كان يركِّز على شخصيته وجهوده اللغوية والتاريخية، وأمَّا الجهود الفقهيَّة والشرعية المتمثِّلة في كتاب الضياء فلم تنل حظًّا وافرًا من الاهتمام بها، إلَّا في ما عرض في الندوة التي عقدت في قسم الدراسات العُمانية بالأردن، إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية المتأخِّرة التي تناولت بعض جوانبه في التفسير والعبادات، ولا يزال الكتاب في حاجة إلى بحوث معمَّقة، ودراسات متأنِّية.

وسنحاول في هذا المقام أن نحصر بعض الدراسات والبحوث التي تناولت هذه الشخصيَّة بشيء من التوسّع والتفصيل، من غير المقالات المتفرِّقة المنشورة في المجلَّات العلميَّة وغيرها؛ فمن أهمِّ هذه البحوث والدراسات ما يأتي:

---

(١) العوتبي: الإبانة في اللغة العربية، ٦٢٣/٣.

أوَّلًا: مقدِّمات المحقِّقين والدارسين لكتبه المحقَّقة

- مقدِّمة كتـاب «الإبانة في اللغـة العربية» التي قـام بتحقيقها لجنة من أعضاء مَجمَـع اللغة العربية الأردنِـيّ مكوَّنة مـن: عبد الكريم خليفة، ونُصْـرَتْ عبد الرحمٰن، وصلاح جرار، ومحمَّد حسـن عَوَّاد، وجاسـر أبو صفية، وقد صَـدَر الكتاب في أربعة مجلَّداتٍ ضخمة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان، سـنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، حيث حاول فيها المحقِّقون الإحاطة بترجمة المؤلِّف، وحياته الثقافية والفكرية والسياسـية، ومكانته العلميَّة، ومذهبه، وآثاره ومؤلَّفاته، وكانت دراسة وافية عن كتابه ومنهجه وأهمِّيته وقيمتـه العلمية، وجاءت هذه المقدِّمة في أربعين صفحة تقريبًا.

- مقدِّمة محمَّد إحسان النصّ في تحقيقه لكتاب «الأنساب»، حيث تعرَّض لدراسة الكتاب ومصادره والمخطوطات المعتمدة، وأكثر من ذِكر مصادره ومراجعه التـي اعتمدها في تحقيقه، ولم يُعرِّج لحياة العوتبيّ في شـيء من مقدِّمته، وقد اسـتدرك الباحث سلطان الشيباني ذلك في ثلاث عشرة صفحة، وجاءت المقدِّمة في إحدى وثلاثيـن صفحة، وقد صَدَر الكتاب في مُجلدين متوسِّـطين من نشـر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان، ط٤، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- وأمَّا مقدِّمـات مراجعي أجـزاء الضيـاء المطبوعة بـوزارة التراث فهي مقدِّمات بسـيطة مقتضبة لا تتجاوز الخمس صفحات، تناولت بعضًا من حياته وشـيئًا من أهمِّية كتابه، وقد جاءت فـي طبعات مختلفة، بخطوط وتنسيقات متباينة من غير تحقيق أو تدقيق.

ثانيًا: الدراسات الأكاديمية

- دراسة الباحث: محمود بن سليمان الريامي بعنوان: «العوتبيّ ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة (دراسة وصفية تحليلية)»، في رسالته التي قدمها لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- «التفسير عند العوتبيّ من خلال كتابه الضياء» للباحث: ناصر بن محمَّد الحجري، في رسالته التي قدّمها لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الزيتونة، الجمهورية التونسية، ٢٠٠٨م.
- «منهج الشيخ العوتبيّ الصحاري في كتابه الضياء قسم العبادات أنموذجًا» للباحث: أحمد بن عبد الله بن أحمد الكندي، في رسالته التي قدمها لنيل شهادة الماجستير، قسم الفقه وأصوله، جامعة مؤته، الأردن، ٢٠١٠م.
- «الجهود اللغوية للعوتبيّ الصُّحاري العُماني في كتابه (الإبانة) دراسة تحليلية أسلوبية» للباحث: ناصر السلامي، في رسالته التي قدّمها لنيل شهادة الدكتوراه من معهد البحوث والدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية، ٢٠١١م.
- «تقاليد سلطة القضاء عند الإباضية: العوتبيّ في كتاب الضياء نموذجًا» للباحث: مصطفى حميد أوجانة شارك به في: مسابقة ابن عمير للبحث العلمي، بمعهد العلوم الشرعية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ثالثًا: البحوث المقدَّمة في الندوات المنظَّمة

عُقدت حول شخصيَّة العوتبيّ ندوتان، تناولت كلّ واحدة جوانب مختلفة من حياته ومؤلَّفاته، من غير البحوث التي تناولته كمؤلِّف موسوعيّ في «ندوة التأليف الموسوعي»:

* **الندوة الأولى**: أقامهـا المنتـدى الأدبي بسلطنة عُمـان، احتفاء بذكرى المرحوم العوتبيّ الصحـاري في اليوميـن (١٦ - ١٧ رجب ١٤١٦هـ/ ٩ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٥م) تحت عنوان: «قراءات في فكر العوتبيّ»، وقد تناولت الندوة ستَّ ورقات، هي:

الورقة ١: «معجم الإبانة للعوتبيّ»، للدكتور إبراهيم الدسوقي.

الورقة ٢: «العوتبيّ بين الفقه والأصول»، لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المفتي العام لسلطنة عُمان.

الورقة ٣: «العوتبيّ نسّابة، ندوة قراءات في فكر العوتبيّ»، للشيخ أحمد بن سعود السيابي الأمين العام بمكتب الإفتاء بسلطنة عُمان.

الورقة ٤: «العوتبيّ مؤرِّخًا ندوة قراءات في فكر العوتبيّ»، للدكتور جاد محمَّد طه.

الورقة ٥: «الضياء منهجًا وأسلوبًا ولغة»، لعبدالحفيظ محمَّد حسن.

الورقة ٦: «المنهج التاريخي عند العوتبيّ»، للدكتور محمَّد قرقش.

ونشـرت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان أعمال هذه الندوة في ٢٠٨ صفحات، في طبعتها الأولى سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* **والندوة الثانية**: عقدت سـنة ٢٠٠٨م فـي جامعة آل البيـت بالمملكة الأردنيَّة الهاشمية، تحت عنوان: «ندوة العوتبيّ الصحاري الدولية»، في أحد عشر بحثًا، وهي:

١ ـ «منهج العوتبيّ الفقهي مـن خلال كتاب الضياء»، للدكتور سـعيد بن عبدالله العبري، من جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.

٢ ـ «منهج العوتبيّ في كتابه الضياء»، للدكتور محمَّد الشريفين، جامعة آل البيت، الأردن.

٣ ـ «التقعيد الفقهي عند العوتبيّ»، للدكتورين أحمد القرالة ومحمَّد حمد عبدالحميد من جامعة آل البيت، الأردن.

٤ ـ «قراءة في رسالة العوتبيّ»، للأستاذ أحمد بن مهنا المصلح، من معهد العلوم الشرعية.

٥ ـ «الفكر المقصدي عند العلَّامة العوتبيّ»، للدكتور محمَّد عبده، من جامعة الحسن الثاني، المغرب.

٦ ـ «العوتبيّ في الفكر الإسلامي»، للأستاذ صالح بن أحمد البوسعيدي، من كلية الحقوق، جامعة السلطان قابوس.

٧ ـ «أصول المنهج العقدي عند العوتبيّ»، للدكتور مسلَّم بن سالم الوهيبي، من كلِّية التربية، الرستاق، سلطنة عُمان.

٨ ـ «أضواء تاريخية على العوتبيّ»، للدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية، الأردن.

وكانت جلسات الندوة تدور بحوثها ضمن محاورها منها: «جهود العوتبيّ بالفكر الإسلامي»، و«تراث العوتبيّ وجهوده في اللغة»، و«جهود العوتبيّ في البلاغة والنقد»، و«جهود العوتبيّ في الأدب». كما تناولت الندوة عدَّة محاور تتعلَّق بجهوده اللغويَّة والأدبيَّة، وكانت هذه المحاور باسم: «تراث العوتبيّ وجهوده في اللغة»، و«جهود العوتبيّ في البلاغة والنقد»، و«جهود العوتبيّ في الأدب».

* من غير الورقتيـــن اللتين عرضتا في أعمال «ندوة التأليف الموســـوعي والفقه المقارن في عُمان» ضمن ســـلسلة «تطور العلوم الفقهيَّة بعُمان»، والتـــي نظَّمتها وزارة الأوقاف والشـــؤون الدينية بسلطنـــة عُمان، يومي (٢٥ ـ ٢٧ محرّم ١٤٢٦هـ/ ٦ ـ ٨ مارس ٢٠٠٥م)، وهي:

- ورقة بعنوان: «الضياء للعلَّامة العوتبيّ، والانتصار للإمام يحيى بن حمزة (مقارنة فقهيَّة)»، للشيخ عبد الله بن حمود العزِّي، من علماء اليمن.
- وورقة بعنوان: «الفقه المقـــارن وضوابطه، العوتبـــيّ نموذجًا»، للدكتور مصطفى بن صالح باجو، مدرّس بكلِّية الشريعة والقانون، سلطنة عُمان.

وهناك بحـــوث ومقالات أخرى كثيـــرة تحدَّثت فـــي ثناياها عن بعض ما يتعلَّق بالعوتبيّ، لا نستطيع إحصاءها ولا حصرهـــا، وإنَّ معظم البحوث التي تناولت حيـــاة صُحار وأعلامهـــا وجهودها العلميَّـــة لا تغفل عنه، كما لا يغفل عنه المؤلِّفون للأعـــلام المبرَّزين بعُمان إلَّا ويكـــون من المقدَّمين بينهم في الذكر.

المبحث الثالث: المصادر المعتمدة في الضياء

لا يرتاب قارئ للعوتبيّ في سعة اطّلاعه، وكثرة مراجعه، وتنوّع مصادره في مختلف المجالات العلميَّة والفقهيَّة والأدبية خاصَّة، مما يجعله يُجزم بأنَّه ظَفِر بغنيمة عظيمة، ومكتبة ثريَّة، تأتيها الكتب المتدفِّقة من كلَّ صوب وحدب، ويصلها الجديد كلَّ حين بإذن ربِّها، وهذا دأب أرباب الحواضر العلميَّة الكبرى الذين يستقطبون أحسن الكتب، وأجود الأعمال، مع كلِّ قادم حالٍّ، وترسل غيره مع أوَّل مرتَحل.. فجاء هذا العمل معتمدًا على كتب كثيرة لم نستطع عدَّها؛ لعدم ذكر جلِّها بعناوينها إلَّا ما نكتشفه عند ضبط نصّ، أو تَخريج مسألة، أو عزو حديث.. ولقد حاولنا جاهدين استقصاء تلك المصادر المختلفة وحصرها ما استطعنا.

كما أنَّه اعتمد على مصادر غير إباضية في المواد الأدبية والتاريخية غالبًا، وبمصادر إباضية في المواد الشرعية خاصَّة؛ لأنَّ الهدف هو الحفاظ على أقاويل علمائهم وما اندرس منها، مع عدم إغفال آراء غيرهم من المذاهب الإسلامية المختلفة كما سبق ذكرنا لهذا في مضمون الكتاب.

ولقد كان تصنيفنا لهذه المصادر على أربعة أقسام، وهي:

١ ـ الكتب المذكورة باسمها.

٢ ـ والكتب غير المذكورة بالاسم.

٣ ـ والكتب التي ذكرها ولم نهتد إليها.

٤ ـ والمصادر الحديثيَّة التي اعتمدها من دون ذكر اسمها.

وسندوِّن المذكورة منها كما هي باللفظ، سواء كان يَنقل منها مباشرة أو بالواسطة، وقد يتكرَّر العنوان عند اختلاف اللفظ، إضافة إلى ذكر مؤلِّفها والتعريف بها إن جهلت، وذكر بعض أجزاء الضياء المذكورة فيه بين قوسين.

- **القسم الأوَّل: في الكتب المذكورة باسمها، تنقسم إلى صنفين، منها: المصادر الإباضية، والمصادر غير الإباضية.**

١ ـ المصادر الإباضية التي ذكرها باسمها: منها الكتب والجوابات والتقييدات عن مشـايخ، وكثير منها مفقود لا نجد ذكرها إلَّا في ثنايا الكتب والمصنَّفات. وأمَّا أهمّ المصادر التي اعتمدها، وأكثر منها النقل: كتب أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن بركة (ق ٤هـ) الموجودة منهـا والمفقودة لدينا، منها: جامعـه، ومختصره، وكتاب التعارف، وشرحه لجامع ابن جعفر، وجواباته. واعتمد أيضًا على كتب أبي الحسن عليّ بن محمَّد البسيوي (حيٌّ في: ٣٦٣هـ)، منها: جامعه ومختصره، وغيرهما.

وأمَّا المؤلفات الأخرى فهي:

- تقييد عن أبي القاسم سعيد بن قريش (ق ٤هـ)، (ج١٩).
- جواب أبي الحواري (محمَّد بن الحواري، المسـمَّى بالأعمى، حيٌّ في: ٢٧٢هـ)، (ج٩).
- جواب أبي المؤثر (الصلت بن خميس الخروصي، ت:٢٧٨هـ)، (ج٩).
- جواب أبي عبد الله (محمَّد بن محبوب) إلى عزَّان بن تميم، (ج٤، ١٣).
- جواب أبي عبد الله (محمَّد بن محبوب) إلى هاشم بن الجهم، (ج٤).
- جواب أبي مروان العبَّاس بن زياد (ق ٣هـ)، (ج١٥).
- جواب الحسن بن سعيد بن قريش، أبو عليّ (٤٥٣هـ)، (ج٩).
- جواب الشـيخ أبي جابر (محمَّد بـن جعفر الإزكوي الأصـمّ، حيٌّ في: ٢٧٧هـ)، (ج١٨).
- جواب سليمان بن الحكم (أبو مروان، حيٌّ في: ٢٣٧هـ)، (ج١٨).
- جواب عمر بن القاسـم بن عتبة بن أبي علي وعمر بـن محمَّد القاضي المنحي (ق ٣هـ)، (ج٤).

- جواب محمَّد بن محبوب إِلَى القاسم بن عمر بن القاسم الإزكاني، (ج١٤).
- جواب من أبي الحسن، (ج٤، ٦).
- جواب من أبي عبدالله (محمَّد بن محبوب) إلى الصلت بن مالك (الخروصي، ت: ٢٧٥هـ)، (ج١٤).
- جواب من الشيخ إلى الفضل بن الحواريّ (ت: ٢٧٥هـ)، (ج١٩).
- جواب موسى بن عليّ إلى محمَّد بن هاشم (ق٣هـ)، (ج١٥).
- عن أبي القاسم سعيد بن قريش (ق٤هـ)، (ج٩).
- كتاب (محمَّد) بن محبوب (ت: ٢٦٠هـ)، (ج٤).
- كتاب «ابن جعفر» (محمَّد بن جعفر الإزكوي الأصمّ، حيٌّ في: ٢٧٧هـ)، (ج٤، ١٤).
- كتاب «أبي الحسن»، (ج٩).
- كتاب «أبي المؤثر»، (ج٩).
- كتاب «أبي قحطان» (وهو من الكتب المفقودة)، (ج٤، ٦ - ١٠، ١٣، ١٥، ٢٠ - ٢٢).
- كتاب «الإبانة»؛ للمؤلِّف العوتبيّ نفسه، (ج١ - ٦).
- كتاب «الإيضاح» (في أحكام القضاء وما يحتاج إليها)؛ (لأبي زكرياء يحيى بن سعيد بن قريش النزْوي، ت: ٤٧٢هـ)، (ج٢١).
- كتاب «التقييد» (لابن بركة، وهو من الكتب المخطوطة التي تناولها بعض الدارسين، ولم يتمَّ تَحقيقه كاملًا لوجود نسخة واحدة منه فيها خروم)، (ج٤).
- كتاب «الرقاع» (لأبي زكرياء يحيى بن سعيد بن قريش الهجاري العقري النَّزْويّ، ت: ٤٧٢هـ)، (ج٤، ٩).
- كتاب «الرهائن» (من الكتب المفقودة في: رهائن الإمام وأحكامها لمجهول، وقد نقل منه الكندي فِي مواضع كثيرة فِي كتابه بيان الشرع)، (ج٤).

- كتاب «الرهن» (ولعلَّه تسميَّة أخرى للسابق نفسه)، (ج٤).
- كتاب «(الأكلَّة و) حقائق الأدلَّة»؛ (لأبي محمَّد نجاد بن موسى المنحي، ت: ٥١٣هـ)، (ج١١، ٢٠).
- كتاب «الشرح» (لأبي محمَّد ابن بركة شرح فيه جامع أبي جابر الإزكوي الأصمّ (ت: بعد٢٧٧هـ)، وهي من الكتب المفقودة، ولم يبق منها إلَّا بعض ما تناثر في كتب المطوَّلات)، (ج٥، ٨).
- كتاب «المصنّف» لأبي بكر الكندي (يظهر أنَّه من زيادات النسَّاخ، ولم يتميَّز لنا ذلك)، (ج١٨).
- كتاب «بني بيزن»، (من الكتب التي لم نجد لها ذكرًا ولا نعلم عنها شيئًا)، (ج٤، ٨، ١٦).
- كتاب «تَمّام بن يحيى» (النخلي، ق ٤هـ)، (ج٤).
- كتاب «جامع ابن جعفر»؛ (لِمحمَّد بن جعفر الإزكوي الأصمّ، حيٌّ في: ٢٧٧هـ)، (ج٣-٦، ١٩).
- كتاب «مجبر عن محمود الخراساني»، (ج٤).
- كتاب «محمَّد بن سليمان بن حبيب»؛ (لم نجد من ذكره)، (ج١٣).
- كتاب محمَّد بن محبوب إلى هاشم بن غيلان، حيٌّ في: ٢٠٧هـ)، (ج٤).
- كتاب محمَّد بن محبوب، (ج٤، ١٧).

٢ ـ **وأمَّا المصادر غير الإباضية التي ذكرها باسمها:** فأكثرها من كتب اللغة والأدب، وقد أكثر النقل من العين للفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري... وغيرها، ومن كتب الغريب لابن قتيبة، وابن سلَّام، والخطَّابي، وابن عبد البرّ، والطحاوي... وغيرهم، ونذكرها بالتفصيل، وهي:

- تفسير أبي حاتم (سهل بن محمَّد الجشمي السجستاني، ت:٢٤٨هـ)، (ج٣، ٤..).
- كتاب «ابن سيرين» (أبو بكر محمَّد بن سيرين البصري، ت: ١١٠هـ)، (ج٤).
- كتاب «اختلاف العشرة من القرَّاء»؛ (لعلَّه كتاب: «الاختيار في اختلاف العشرة أئمَّة الأمصار»، مخطوطة بمكتبة دمشق؛ لسبط الخياط عبدالله بن عليّ بن أحمد المقرئ البغدادي، ت: ٥٤١هـ)، (ج٢).
- كتاب «الإشراف (على مذاهب الأشراف)»؛ (لأبي بكر محمَّد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ت:٣١٩هـ)، (ج١٣، ٢١).
- كتاب «الأصول»؛ (لم يذكر مؤلفه)، (ج٤).
- كتاب «الباهلي» (لم نجد كتابًا بهذا الاسم، ولعلَّه يقصد أحد كتب: عبدالملك بن قريب الأصمعي الباهلي، ت:٢١٦هـ)، (ج٨).
- كتاب «التحف» أو كتاب «التحف والأنوار» (المنتخبة من البلاغة والأشعار؛ للعجَّال أبي القاسم اليماني، في مكتبة المدينة المنورة)، (ج٤).
- كتاب «التفسير»؛ (ولم يذكر أيّ التفاسير، ولم نهتد إليه)، (ج٤).
- كتاب «التوكُّل»، (لعلَّه أحد كتب ابن أبي الدنيا عبدالله بن محمَّد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي، ت: ٢٨١هـ)، (ج٤).
- كتاب «الجوهر النفيس في سياسة الرئيس» (لابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش، ت:٦٧٣هـ)، (ج٤).
- كتاب «الحاوي الكبير»؛ (لأبي الحسن عليّ بن محمَّد بن حبيب الماوردي، ت: ٤٥٠هـ)، (ج١٣).
- كتاب «الحسن» في الرواية، (ولم ندر ما هو)، (ج٤).
- كتاب «الزهرة» أو «كتاب لابن داود الأصفهاني»؛ (لِمحمَّد بن داود بن

عليّ الظاهري الأصبهاني، ت:٢٩٧هـ. ذكر الكتاب باسمه أوَّلًا ثُمَّ بنسبته لصاحبه في موضع آخر)، (ج٤).

- كتاب «الصداق»؛ للشافعي (محمَّد بن إدريس، ت:٢٠٤هـ، لم نهتد إليه، ويظهر أنه من كتاب الأم أو غيره نقله بتصرّف)، (ج١٣).
- كتاب «العين» للخليل بن أحمد (الفراهيدي، ت:١٧٥هـ)، (ج٦، ١٦).
- كتاب «الفصيح» لثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت:٢٩١هـ)، (ج٤).
- كتاب «الكامل في اللغة والأدب»؛ (لأبي العباس محمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرَّد، ت:٢٨٦هـ)، (ج٤).
- كتاب «المجاز»؛ لأبي عبيدة (معمر بن المثنَّى، ت:٢٠٨هـ)، (ج٤، ١٦).
- كتاب «المصباح»؛ للمنصوري، (لم نهتد إليهما)، (ج٧).
- كتاب «المغازي» (يقصد به الكتب المختصَّة بذكر المغازي وتاريخها، ككتاب «تاريخ الطبري»، و«سيرة ابن هشام» وقد نقل منهما)، (ج٤).
- كتاب «الملل والنحل»؛ (لِمحمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت:٥٤٨هـ)، (ج٣).
- كتاب «المناهي» (من مؤلَّفات الحكيم أبي عبد الله محمَّد بن عليّ بن الحسن بن بشر الترمذي، ت: ٣٢٠هـ)، (ج٤).
- كتاب «خلق الإنسان»؛ (لعلَّه لأبي موسى سليمان بن محمَّد بن أحمد البغدادي المعروف بالحامض، ت: ٣٠٥هـ)، (ج٥).
- كتاب «سعد» أو «سعيد»، (لم نستطع الاهتداء إليه، ولعلَّه كتاب سعيد بن بشير عن قتادة، كما في الفهرست لابن النديم. من كتب الشيعة المغمورة أو المفقودة والله أعلم بها)، (ج٣).
- كتاب «شمس العلوم»؛ (لنشوان بن سعيد الحميري، ت:٥٧٣هـ)، (ج١٦).

- كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلَّام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، (ج٤...).
- كتاب «منثور الحكم»؛ (لم نجد من نسبه، وقيل: هو «مختصر على ثمانية أبواب في الكلمات الحكمية»، كما قال حاجِّي خليفة فِي كشف الظنون)، (ج١).
- كتاب القيني (عثمان بن عمرو القيني، ت: ٢٢٥هـ. ولم ندر أيّ كتبه يريد)، (ج٤).
- كتاب محمَّد بن عليّ (الباقر الصادق، ت:١٤٨هـ) لابنه جعفر بن محمَّد، (ج٤).
- «الزاهر في معاني كلمات الناس»؛ (لأبي بكر محمَّد بن القاسم الأنباري، ت:٣٢٨هـ. لم يصرح باسم الكتاب، وإنَّما صرح بمؤلفه في مواضع كثيرة)، (ج١ - ٦...).

- **القسم الثاني: في الكتب التي لم تُذكر باسمها،** ولكن يترجَّح النقل منها أو يتأكّدأحيانًا؛ لِمشابهة النصوص وتطابقها حرفيًّا أو بتصرّف، وقد اعتمد على مصادر كثيرة لا نستطيع حصرها إلَّا ما جاء عرضًا بين أيدينا عند تخريج النصوص وضبط الكلمات. وتنقسم هذه المصادر إلى صنفين أيضًا، منها: **مصادر إباضية، ومصادر غير إباضية.**

١ ـ من المصادر الإباضية التي لم يذكرها العوتبيّ باسمها كثيرة، منها الكتب والرسائل أو ما يسمَّى السير والجوابات المختلفة التي تَمتلئ بها الكتب والموسوعات، منها:

- «أقوال قتادة»، مجموعة أقوال وروايات وأسئلة وأجوبة جمعها قتادة بن دِعامة السدوسي عن الإمام جابر بن زيد وغيره من الأئمة الفقهاء، (ق٢هـ)، (ج٢٠).

- «جامع أبي الحسن البسيوي»؛ لعليّ بن محمَّد البسيوي (حيٌّ في: ٣٦٣هـ)، (ج٢ - ١٥ ...).
- «الرصف» أو «الرضف»؛ لبشير بن محمَّد بن محبوب، ولم يذكر الكتاب باسمه، (ج١ ...).
- رسائل عبد الله بن يزيد الفزاري (ق ٢هـ)، (ج٥).

٢ ـ **المصادر غيـر الإباضية التي لم يذكرها باسـمها:** كثيرة، من أهمّ ما اعتمد وأَكْثَرَ منه النقل: كتـب ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، وابن دريد، والطبـري، وابـن قتيبة، وابـن الأنبـاري، وابـن عبد البرّ، والمـاوردي، والطحـاوي، والزمخشـري، وأبـي نعيـم... وغيرهم، وهي مـع الأجزاء المذكورة فيه:

- «إحياء علوم الدين»؛ لأبي حامد محمَّد الغزَّالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، (ج١ - ٨...).
- «أدب الدنيا والدين»؛ للماوردي؛ أبو الحسـن عليّ بن محمَّد بن محمَّد البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ)، (ج١).
- «أدب الكتاب»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج٤).
- «أساس البلاغة»؛ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ).
- «الاشتقاق»؛ لِمحمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني (ت: ٣٢١هـ).
- «الأغاني»؛ لأبي الفرج؛ عليّ بن الحسـين الأمويّ القرشـي الأصفَهاني (ت:٣٥٦هـ)، (ج٦).
- «الأموال»؛ لأبي عبيد؛ القاسم بن سلام الهروي (ت:٢٢٤هـ)، (ج٩).
- «البيـان والتبييـن»؛ للجاحـظ؛ أبي عثمـان عمرو بـن بحـر البصـري (ت:٢٥٥هـ)، (ج١ - ٨...).

- «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»؛ للخطيب؛ أحمد بن عليّ بن ثابت البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، (ج٢، ٤ - ٥).
- «الحجَّة» لِمحمَّد بن الحسن الشيباني، (ج٢٠).
- «الحلية»؛ لأبي نعيم؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، (ج٤).
- «الحور العين»؛ لأبي سعيد؛ نشوان بن سعيد الحميري (ت:٥٧٣هـ)، (ج٢ - ٣، ١٤).
- «الحيوان»؛ للجاحظ؛ أبي عثمان عمرو بن بحر البصري (ت:٢٥٥هـ)، (ج١، ٣، ٥، ١٦).
- «السيرة النبوية»؛ لابن هشام؛ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت:٢١٣هـ)، (ج٨).
- «العظمة»؛ لأبي الشيخ؛ عبد الله بن محمَّد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، (ت:٣٦٩هـ)، (ج٤).
- «العقد الفريد»؛ لِمحمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني (ت:٣٢١هـ).
- «الفائق في غريب الحديث»؛ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، (ج١ - ٢، ٥).
- «الكشاف»؛ لجار الله؛ محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، (ج١).
- «الكنى والأسماء»؛ لِمحمَّد بن أحمد بن حماد الدولابي الرازي (ت: ٣١٠هـ)، (ج٨).
- «المبسوط»؛ لإسماعيل بن إبراهيم بن محمَّد السرخسي (ت:٤١٤هـ)، (ج١٤).
- «المحرر الوجيز»؛ لأبي محمَّد بن عطيَّة عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمٰن بن عطية المحاربي الغرناطي (ت:٥٤٢هـ).



- «المحكم والمحيط الأعظم»، لأبي الحسن بن سـيده عليّ بن إسماعيل (ت:٤٥٨هـ)، (ج١ - ٦، ٨ - ١٦...).
- «المسـتقصى في أمثال العرب»؛ لجار الله؛ محمود بن عمر الزمخشـري (ت:٥٣٨هـ)، (ج١، ٥).
- «المعارف»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج٣، ٥).
- «المعاني الكبير»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج٣، ٥).
- «الموشّـى في الظرف والظرفـاء»؛ لأبي الطيب؛ محمَّد بن إسـحاق بن يحيى الوشاء (٣٢٥هـ)، (ج٤).
- «بهجة المجالس وأنس المجالس»، لأبي بكر؛ محمَّد بن القاسم الأنباري، (ت:٣٢٨هـ)، (ج١ - ٢، ٤ - ٥، ٨...).
- «تاريخ الأمم والملوك»؛ لأبي جعفر؛ محمَّد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ).
- «تأويـل مختلـف الحديـث»؛ لابـن قتيبـة؛ عبد الله بـن مسـلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج١ - ٥)
- «تفسير ابن أبي حاتم»؛ «تفسير القرآن العظيم»؛ لأبي محمَّد؛ عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ)، (ج١، ٤).
- «تفسـير الطبري»، «جامع البيان عـن تأويل آي القـرآن»؛ لأبي جعفر؛ محمَّد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ).
- «جامع بيان العلم وفضله»؛ لابن عبد البرّ بن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمَّد (ت:٤٦٣هـ)، (ج١).
- «ربيع الأبرار»؛ لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، (ج١، ٨).
- «سراج الملوك»؛ للطرطوشي؛ أبي بكر محمَّد بن الوليد بن محمَّد القرشي الفهري الأندلسي (٥٢٠هـ)، (ج٥).

- «عيون الأخبار»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج١، ٣).
- «عيون الأخبار»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج٤).
- «غريب الحديث»؛ لأبي عبيد؛ القاسم بن سلَّام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، وقد ذكره باسمه أيضًا، (ج١٠).
- «غريب الحديث»؛ لابن قتيبة؛ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، (ج٣).
- «كتاب إصلاح المال»؛ لابن أبي الدنيا؛ عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان القرشي الأموي البغدادي (ت: ٢٨١هـ)، (ج٨).
- «كتاب الإخوان»؛ لابن أبي الدنيا البغدادي (ت: ٢٨١هـ)، (ج٣).
- «كتاب الاعتبار وأعقاب السرور»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٨).
- «كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٤).
- «كتاب الجهاد»؛ لأبي عبد الرحمٰن؛ عبد الله بن المبارك الحنظلي التميمي المروزي (ت: ١٨١هـ)، (ج٤).
- «كتاب الزهد والرقائق»؛ لعبد الله بن المبارك الحنظلي التميمي المروزي (ت: ١٨١هـ)، (ج١، ٤ - ٥، ٨...)
- «كتاب الصمت»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٤).
- «كتاب المنامات»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٤).
- «كتاب النفقة على العيال»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٣).
- «كتاب قضاء الحوائج»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج٤).
- «كتاب مداراة الناس»؛ لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، (ج١١).
- «لباب الآداب»؛ لأبي المظفر؛ أسامة بن مرشد بن عليّ الكناني الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، (ج٤).

- «مشكل الآثار»؛ لأبي جعفر؛ أحمد بن محمَّد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، (ج٣ - ٧، ١٤ - ١٧ ...).
- «معرفــة الصحابة»؛ لأبي نعيــم؛ أحمد بن عبدالله بـــن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، (ج٤، ٨...).
- «منتهى الطلب من أشعار العرب»؛ لعبدالله بن المبارك الحنظلي التميمي المروزي (ت: ١٨١هـ)، (ج٥).

- **القسم الثالث: الكتب التي لم نهتد إليها:**

من شدَّة حرص العوتبيّ على اقتناء الكتب أو الاطِّلاع عليها، وعدم تفريطه في التهام أيِّ مصــدر أمامه، فإنَّا وجدنا كتبًا لم نهتــد إليها ولا إلى أصحابها، رغم كثرة الوسائل الحديثة، والمحرِّكات البحثية المتطوِّرة، وهذه الكتب هي:

- «كتاب الريبة»: لم نهتد إلى عنوانه، ولا إلى اسم مؤلفه، (ج٩).
- «كتاب الخوارزمي»: لم نهتد إلى عنوانه ولا إلى اسم مؤلفه، (ج١٠).
- «كتاب ابن شبيب»؛ لم نهتد إليه، ولعلَّه يقصد كتاب أبي سعيد عبدالله بن شبيب الربعي البصري (ت~ ٣١٨هـ)، (ج٣).

- **القسم الرابع: المصادر الحديثيَّة المعتمدة:**

كما ســبق أن ذكرنا بــأنَّ العوتبيّ كان يتمتَّع بمكتبــة ضخمة، ومِمَّا تضمَّه مَجموعة واسعة من كتب السنن والأحاديث والرجال، فكان يرجع إليها في جميــع أجزائــه، ويعتمدها في نقــل رواياته، ونقــد رجالهم، ولا نجد ذكرًا لأســمائها فــي كتابه، وقــد حاولنا اســتقراء هذه الكتب والمصنَّفات من خلال تخريج الروايــات التي بين أيدينا، فمنها المنقول بالنــصِّ، ومنها المنقول بالمعنــى، وأهمّ المصادر التــي كان يكثر منها النقل: مســند الإمام الربيع، والإمام أحمد بن حنبل، وســنن أبي داود،

وسنن البيهقي، ومعاجم الطبراني، من غير الكتب الأخرى، وقد أجملناها هنا بحسب تصانيفها، وهي:

- من كتب الصحاح: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وصحيح ابن حبان.
- ومن كتب السنن: سنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، وسنن الترمذي، وسنن البيهقي وشعبه، وسنن الدارقطني، وسنن الدارمي، وسنن سعيد بن منصور.
- ومن المسانيد: مسند الإمام الربيع بن حبيب، ومسند الإمام زيد بن علي، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند البزار، ومسند الحارث، ومسند الروياني، ومسند الشافعي، ومسند الشهاب للقضاعي، ومسند ابن أبي يعلى، ومسند أبي عوانة، ومسند الطيالسي.
- ومن المصنَّفات: مصنَّف ابن أبي شيبة، ومصنَّف عبد الرزاق.
- ومن المعاجم: معجم الطبراني: الكبير، والأوسط، والصغير.
- ومن كتب التخريج الأخرى: موطأ الإمام مالك بن أنس، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، والفردوس للديلمي، والمستدرك للحاكم، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، والأدب المفرد للبخاري، والسنة لابن الخلال، وابن الجوزي في العلل المتناهية...

وغيرها من كتب الرواية التي لم نستطع حصرها كلّها لكثرتها، كما يمكن اكتشافها من خلال تخريج الأحاديث والأخبار التي يغصّ بها الكتاب.

ولا ننسى الإشارة أيضًا إلى الكتب التي ينقل منها ولا يذكر اسمها قائلا: «ومن كتاب»، وهذا نادر؛ فنحاول البحث عن المادَّة ونشير إليها في محلِّها إن وجدت، وإلَّا تركناها من دون الإشارة إليها.. ولا يزال الكتاب غنيًّا بالمواد المنقولة من مصادر شتَّى لم نستطع الوصول إليها كلّها، ويكفي ما ذكرنا في هذا الصدد، إلى أن يَمنَّ الله علينا بنظرة أخرى عليه لاستكشاف ما تبقَّى، والله الموفِّق لكلِّ خير.

المبحث الرابع: النسخ المخطوطة ووصفها

نظرًا لقلَّة النسـخ المتداولة من «كتاب الضياء» وندرتهـا، وتناثرها في المكتبات العُمانيَّة وبعض المكتبات المغرِبيَّة، فقد عانينا الأمرَّين في حصر نسـخه، وجمع مخطوطاته، ولـكلّ جزء قصَّة مسـتقلَّة بذاتهـا تحتاج إلى تفصيـل، من حيـث أوصافها الداخليـة والخارجية، ومن حيث ناسـخوها وتاريخ نسـخها، والاختلافـات المتعددة بين نسـخها، وتعـدّد المكتبات المصوَّرة فيها، بل وصل الأمر إلى أنَّنا لم نجد مخطوطة كاملة لِمطبوعة لم يَمض عليها أكثر من ثلاثة عقود، وهو الجزء السادس في «الزكاة والصوم»، رغم المسـاعي الحثيثة، والبحث المتواصل في الحصول على النسخة التي طبعت منها على الأقلّ، ولكن من دون جدوى. كما لا ننسـى أن ننوِّه ـ في هذا المقام ـ بالجهود الطيِّبة التي قام بها الشـيخ العلَّامة أبو مالك عَامِر بن خَمِيس المالِكيّ (ت:١٣٤٦هـ) في جَمع نُسَـخِ «الضيـاء»، والوقوف على مجموعة من الكُتَّابِ لينسـخوه ويرتِّبـوه، كما يقال بأنَّـه اجتمع عنده من الأجزاء ثلاثة وعشـرون جـزءًا، وقد حصلنـا على أكثرها مـن دائرة وثائق مخطوطات وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان.

ولقد اعتمدنا في أكثر الأجزاء على النسخ الموجودة، سواء كانت نسختين أم ثلاثًا إلَّا ما زاد علـى ذلك ـ وهو النادر ـ فنتحـرَّى الأقدم والأدقّ من يد عالـم أو مُحقِّق، وهذا نـادر أيضًا. وقـد نعتمد على أكثر مـن ذلك كما في المجلَّد الخامس، إذ كان اعتمادنا على أربع نسخ؛ لتداخل النسخ في ما بينها. وهناك أجزاء أخـرى لم نجد لها إلَّا مَخطوطة واحـدة مخرومة من الجوانب والوسـط كجزء «الحجِّ»، ومخطوطة «الجنائز» لها نسـختان لكنهما مختلفتان في مواضع شـتَّى، تمتلئان بالخرمات والسـقط والتقديـم والتأخير، فحاولنا التلفيق بينها مع ترتيب بعض الأبواب والفقرات، وتقويم النصّ بكلِّ ما أوتينا

من جهد، إضافة إلى تكرار المسائل وتناقضها أحيانًا. وكلُّ هذه المخطوطات المنسوخة جاءت في نهاية القرن العاشر الهجري أو بعده؛ للفتن المتعاقبة على عُمان قبل ذلك القرن، مِمَّا زاد للطين بِلَّة في كثرة الأخطاء والتواطؤ عليها، وسقط الكلمات وتحريفها، وقلَّة إعجام الحروف وضبطها، وهذا عامّ في أغلب النسخ إن لم نقل كلّها؛ فلذلك لم يكن اعتمادنا على نسخةٍ مَّا كأمٍّ، فآثرنا المقابلات المتوازية بينها عند الاختلاف، واختيار الأصحّ والأليق، والأقرب إلى الصواب، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

وقد ذكرنا وصفًا مختصرًا للنسخ المعتمدة ورموزها في بداية كلّ جزء حتَّى يسهِّل للقارئ الوصول إليها إذا شاء، ولمن أراد وصفها وتفاصيلها فليراجع هذا المبحث في وصف النسخ المعتمدة. وقد كانت عنونة هذه النسخ في الغالب على حسب المكتبة المصوَّرة منها، كالمصوَّرة من وزارة التراث بسلطنة عُمان نرمز إليها بالحرف (ت)، ومن مكتبة السيِّد محمَّد بن أحمد البوسعيدي بالحرف (س)، ومن نسخ الشيخ عامر المالكي بالرمز (م)، وإذا تعدَّدت في نفس المكتبة نجتهد في تمييزها بشيء من حيث أقدميتها (ق)، أو باعتماد النسخة المصوَّرة (ص)، أو باعتماد نسخة الميكروفيلم (ك)... وهكذا في الغالب، وقد يشذّ بعضها عن القاعدة، لكن لا تَخلو تسمية هذه الرموز غالبًا من علاقة بحالة النسخة المعتمدة.

وقد جاءت النسخ المخطوطة ومواصفاتها كما يأتي في المبحث الآتي:

المبحث الرابع: النسخ المخطوطة ووصفها

توصيف نسخ «الجزء الأوَّل» من كتاب الضياء

- **النسخة (١):** نسخة أصليَّة بمكتبة المستشار السيد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، السيب، سلطنة عُمان، رقم: ٧٦٩. **ورمزنا لها بالحرف** (س).

العنوان: الجزء الأوَّل من كتاب الضياء.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم العُماني الصحاري العوتبيّ بمدينة صحار.

الناسخ: بركات بن خلف بن راشد بن سالم.

تاريخ النسخ: ضحى السبت سادس من شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث سنين وستِّين سنة وألف سنة [١٠٦٣/٥/٦هـ].

مكان النسخ: بقرية مقزَّح بالبيت المعروف بالقصبة.

عدد الصفحات: ١٦١ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٢ كلمة.

المسطرة: ٢٣ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البســملة «الحمد لله الذي لا تدركه الأعين موجودًا، ولا تصفه الألسن محدودًا، ولا تكيفه الفكر معدودًا...».

آخِرُ المخطُوط: «تَمَّ الجزء الأَوَّل بعون الله ـ تبارك وتعالى ـ جلَّت عظمته وحسن توفيقه، ويتلوه إن شاء الله تعالى: الجزء الثاني: ما يجوز من الصفات، جوازًا، ومجازًا، جائز أن يقال: لم يزل الله سميعًا وهي صفة ذات...».

ملاحظات على النسخة:

بداية هــذا الجزء في الثلث الأخير من الصفحــة، وبدأت الصفحة هكذا: «[خرم]ـكتاب أيضًا. وجدت مكتوبًا في نســخة تقول: إنَّــه وجد مكتوبًا في نسختين بِخَطّ أبي المنذر وليس له تأليف يتلوهما غيرهما وقد نسختها أنا في هذا الجزء ويتلوه قطع كثير أيضًا ووجدت أنَّ هذا الشعر لصاحب الكتاب...

في النصف الثاني من الصفحة الأخيرة مكتوب فيها: «وجدت في الحاشية مكتوبًا بِخَطّ للشيخ العالم الورع سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي عليّ بن معدّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو هذا. روي عن جابر بن عبد الله عن النبيّ ﷺ: «**لا تجلسوا عند كل عالم إلَّا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس...**».

يخلو المخطوط من الخرمات، غير أنَّ فيه مسخًا كبيرًا في كثير من الكلمات، وخاصَّة في الأبيات والشواهد الشعرية، فاستعنَّا بالموسوعات الأدبية واللغوية لضبطها وتصويبها، واخترنا اللفظ القريب من لفظ المؤلّف إن وجد. كما أنَّ التصحيف والتحريف صارخ في كُلّ صفحة بل في كُلّ سطر، إن لم نقل في كُلّ كلمة فِي بعض الأحيان؛ فلذلك نضبط المعنى من دون الإشارة. ثُمَّ إنَّ كثيرًا من الكلمات عريت من الإعجام (وضع النقاط) فاجتهدنا في وضعها بما يقيم المعنى. كما تجدر الإشارة إلى أنه يوجد في المخطوط قطعة ثانية تتضمَّن الجزء الثالث من كتاب الضياء في شيء من الأصول والولاية والبراءة والفرق.

- **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة من الجزائر بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. **ورمزنا لها بالحرف (ت).**

العنوان: الجزء الأوَّل من كتاب الضياء.

المؤلِّف: الشيخ أبي المنذر سلمة بن مسلم العُماني الصحاري العوتبيّ بمدينة صحار.

الناسخ: سليمان بن مُحمَّد بن مطر بن مُحمَّد بن مطر الوائلي البهلوي.

تاريخ النسخ: رابع شهر شوال سنة ١٣٢٩هـ.

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٢٠٨ صفحات.

عدد الكلمات في السطر: ١٣ كلمة.

المسطرة: ٢٥ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ جميل.

أوّل المخطوط: بعد البسملة «الحمد لله الذي لا تدركه الأعين موجودًا، ولا تصفه الألسن محدودًا، ولا تكيفه الفكر معدودًا...».

آخِرُ المخطُوط: «تَمَّ الجزء الأَوَّل بعون الله ـ تبارك وتعالى ـ جلَّت عظمته وحسن توفيقه، ويتلوه إن شاء الله تعالى: الجزء الثاني: ما يجوز من الصفات، جواز ومجاز، جائز أن يقال: لم يزل الله سميعًا وهي صفة ذات، وكان فراغ هذا...».

ملاحظات على النسخة:

- هذه المخطوطة منقولة بالنصِّ من النسخة (س) السابقة حتى معلومات النسخ والناسخ السابق، ولكن زاد عليها ناقلها «سليمان بن محمد» ما ذكرنا من اسمه وتاريخ نسخه لها.
- النسخة منقولة لأشياخ أهل المغرب كما قال بعد ذكر اسمه: «وهو للأشياخ الكرام صدور الأعلام أهل المغرب حفظهم الله...».
- بعد انتهاء المخطوطة في ثلث الصفحة أتمها بما وجده «مكتوبًا في خاتمة الكتاب في آخره منقولًا من خط الشيخ العالم الورع: سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي عليّ بن معد...»، وهو مجموعة روايات ومسائل ومنتقاة مختلفة في مواضيع شتَّى، في أكثر من ١٢ صفحة.
- بدأت النسخة بسرد أبواب الجزء، بداية من البسملة (باب ١) ومنتهية بباب التوحيد (باب ٢٣).

توصيف نسخ «الجزء الثاني» من الضياء

- **النسخة (١):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٨٩٦. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (ز).

العنوان: الجزء الثاني من كتاب الضياء في ما يجوز من صفات الله تعالى وما لا يَجوز.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي عليّ بن معدّ.

تاريخ النسخ: نهار يوم الثلاثاء ثامن من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة سنة هجرية [٩٥٧/١١/٠٨هـ]. وابتدأ النسخ قبل ذي الحجَّة ٩٥٦هـ.

مكان النسخ: المسجد الجامع من بهلا من قرى عُمان.

عدد الصفحات: ٢١٩ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ٩ كلمات.

المسطرة: ٢٤ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتيان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ واضح في الغالب، وبلونين من المداد ـ بحسب ما يبدو؛ لأن النسخة مصوَّرة بلون واحد ـ: الأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازًا. جائز أن يقال: لم يزل الله سميعًا، وهي صفة ذات. وجائز: لم يزل بصيرًا، وهي صفة ذات..».

آخِرُ المخطُوط: «وهذه جملة تدلّ علـــى غيرها من تدبَّر معانيها، وأمعن النظر فيها، والتوفيق بـــالله ﷻ. تَمَّ الجزء الثاني من كتـــاب الضياء، ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله...».

تَملُّكات: كتبه الناسخ لنفسه: «بيده لنفسه».

ملاحظات على النسخة: ســقط الجمل والكلمات فيها أقلُّ من الأخرى. غير أنَّ إعجامها سيِّئ للغاية. مِمَّا ســبَّب لنا عنتًا كبيرًا، خاصَّة عند انفرادها في الصفحات الأولى، إذ لم نتمكَّن من الاستعانة بالثانية لتوضيح الغوامض.

وقد عُرض هذا الكتاب على نســخته التي نُســخ منها كما قال الناسخ: «عُرض هذا الكتاب على نسخته التي نُسخ منها».

- **النسخة (٢)**: نســخة أصليَّة بمكتبة المستشار الســيِّد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، سلطنة عُمان. رقم: ٣. **ورمزنا لها بالحرف** (د).

العنوان: الجزء الثاني من كتاب الضياء في ما يجوز من صفات الله تعالى وما لا يجوز.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: عبد الله بن مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد الصقري الإزكوي.

تاريخ النسخ: ظهر الجمعة ٣٠ رجب ١٠٧٦هـ.

عدد الصفحات: ٤٥٣ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ كلمات.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ واضح، بالبنِّيّ القاتم والأحمر.

أوَّل المخطوط: المخطوط مخروم من البداية.

ملاحظات على النسخة: مخرومة البداية. هي أحدث من الأخرى. خطّها أوضح، وضبط الكلمات وإعجامها أفضل. غير أنَّ فيها إسقاطًا لبعض الكلمات والجمل، بفعل انتقال النظر.

*** المقارنة بين النسختين:**

- الرقم بين الخطَّين المائلين /.../ هو رقم الصفحة في نسخة (ز).
- يبدو أنَّ النسختين (ز) و(د) من زمرة واحدة، فهما نقلتا من أصل واحد، إذ كثيرًا ما نجد توافقًا في السقط وبعض الأخطاء، مثل العبارة الآتية: «فإن كان قديمًا [وجب أن يكونا قديمين في الأزل، وإن كان محدثًا] وجب»، فالعبارة التي بين معقوفين سقطت في كلتا النسختين فأضفناها من منهج الطالبين.
- نلاحظ أنَّ النسخة «ز» مضبوطة إلى حدٍّ كبير، من حيث رسم الكلمات ونقص السقط؛ فهي من هذا الاعتبار أحسن من (د). وأما من حيث الإعجام (وضع النقاط) فإنَّ النسخة (د) أحسن؛ لأنَّها أقلُّ تصحيفًا، فهو يضع النقط في مواضعها غالبًا، بخلاف النسخة «ز» فهي كثيرًا ما تهمل الإعجام للكلمات المفهومة. بل هي في كثير من الأحيان مضللة للمحقِّق، فكم مرة نجد التاء مستبدلة بالياء، أو النون بالباء، والسين بالشين، والطاء بالظاء والضاد، أو عكس ذلك...
- نلاحظ أنَّ ناسخ (د) يقع له أحيانًا انتقال النظر، بسبب التكرار أو من دونه، وهذا نادر في نسخة (ز).

في ضبط النصِّ لم نعتمد إحدى النسختين كأمٍّ، وإنَّما حاولنا التلفيق بينهما، إذ نختار ما نراه الأصوب من النسختين، ومع أنَّ النسخة «ز» أقدم

مــن الثانية، فإنَّ قضيَّــة الإعجام ـ التي ســبق ذكرها ـ جعلتنــا نُحجم عن اعتمادها أُمًّا. غير أنَّنا اعتمدناها في ترقيم الصفحات؛ لأنَّها أكمل.

توصيف نسخ «الجزء الثالث» من كتاب الضياء

- **النسخة (١):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، ســلطنة عُمان. الرقم العام: **١١٢٨**. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (ص).

العنوان: «الجزء الثالث من كتاب الضياء في الولاية والبراءة وفي معرفة الفرق وشنيع قول المخالفين من أهل القبلة والردّ عليهم».

المؤلِّف: سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: مرشد بن مُحمَّد بن راشد بن خلف بن مُحمَّد بن حرب الأغبري النصافي.

نسخه: لسيِّده وسناده القاضي عديّ بن سليمان بن راشد الذهلي.

تاريخ النسخ: يوم السبت لعشر ليال انتهين من شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٠٢٦ من الهجرة [١٠/٤/١٠٢٦هـ].

عدد الصفحات: ٣٤٢ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ٨ كلمات.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ جميل، ولم يتبيّن لنا لون المداد؛ لأنَّها مصوَّرة بلون واحد.

أوَّل المخطوط: بعد بالبسملة «باب: في شــيء من الأصول. الأصل: ما عرف به حكم غيره. والفرع: ما عرف حكمه بغيره».

آخِرُ المخطُوط: «وأنكر ذَلِكَ بعضهم وقال: لا معنى لقول أبي عبيد. تَمَّ الجزء الثالث من كتــاب الضياء فــي: «الولاية والبراءة وفــي معرفة الفرق وشنيع قول المخالفين من أهل القبلة والرد عليهم..».

ملاحظات على النسخة: مخطوطة سليمة خالية من الخرمات.

- **النسخة (٢):** نســخة أصليَّة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، ســلطنة عُمان. الرقم العام: **١٠٠٩**. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: «الجزء الثالث مــن كتاب الضياء في الولايــة والبراءة ومعرفة الفرق وشنيع قول المخالفين والرد عليهم».

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري العُماني.

الناسخ: جمعة بن راشد بن عبد الله بن راشد.

نسخه: للشيخ عبد الرحمٰن بن مُحمَّد بن بلعرب البطَّاشي.

تاريخ النسخ: نهار الاثنين ٣ محرَّم سنَة خمس سنين ومائتين وألف سنَة [١٢٠٥/١/٣هـ].

عدد الصفحات: ٢٩٦ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ٨ كلمات.

المسطرة: ٢٤ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نســخ مشــرقيّ واضح، ولــم يتبيَّن لنا لون المداد؛ لأنَّها مصوَّرة من الميكروفيلم.



أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: في شيء من الأصول. الأصل: ما عرف به حكم غيره. والفرع: ما عرف حكمه بغيره...».

آخِرُ المخطُوط: «وأنكر ذَلِكَ بعضهم وقال: لا معنى لقول أبي عبيد. تَمَّ الجزء الثالث من كتاب الضياء بعون الله وحسن توفيقه نهار..».

تَملُّكات: الشيخ علاي بن مسلم المذكور.

ملاحظات على النسخة:

فيها خرمات بسيطة نَحو كلمة أو كلمتين في كلِّ صفحة، بداية من الصفحة ٢٥٠.

توصيف نسخ «الجزء الرابع» من كتاب الضياء في: الحدود وغيرها ويوصف أيضًا بـ«الجزء الثالث» في بعض المخطوطات

- **النسخة (١)**: نسخة أصليَّة بمكتبة المستشار السيد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي بالسيب، سلطنة عُمان. من دون رقم. **ورمزنا لها بالحرف** (أ).

العنوان: «الجزء الرابع من الضياء في الحدود وغير ذَلِك».

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي عليّ بن معدّ بن أحمد بن زياد بن موسى.

تاريخ النسخ: نهار يوم الأربعاء تاسع شهر جمادى الآخرة من شهور سنة سبعين وتسعمائة سنة هجرية [٩٧٠/٦/٩هـ].

عدد الصفحات: ٤٠٨ صفحات.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ كلمات.

المسطرة: ١٩ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ واضح، تنتهي الجمل والفقرات والفصول بدوائر صغيرة سوداء ملوَّنة بالأحمر، أما عناوين الأبواب وأسماء الأعلام أصحاب الشواهد الشعرية والأقوال المأثورة فتكتب بِخَطّ أسود غليظ وكبير.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «باب ١: في الذنوب والكبائر والتوبة منها. من كتاب الرقاع: ذكر جابر بن النعمان قال...».

آخِرُ المخطُوط: «وقيل: دين بلَا ورع كَسفينة بلا شراع، والله أعلم. تَمَّ الجزء الرابع من كتاب الضياء ويتلوه الجزء الخامس باب النيَّة والحمد لله حقّ حمده وصلاته على خير خلقه مُحمَّد النبيّ صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم في نهار يوم الأربعاء...».

تَملُّكات: كتبها الناسخ لنفسه.

ملاحظات على النسخة:

- عرض علَى نسخته، وفيها بعض الغلط والسقط.
- يقدم الرقم على الباب في بدايات الأبواب مثل: «٢٦ باب الجار». ويكتب «صنعة وصنعته» بدل: «صيعة وصيعته».
- جيدة الخط، واضحة المعالم، تفتقر إِلَى كثير من الكلمات إِلَى بعض النقاط أو كلها.
- المخطوطة في حالة جيدة فيها بعض العلامات المائيَّة.
- العناوين تكتب بِخَطّ أسود غليظ.

• **النســخة (٢):** نســخة أصليَّة بمكتبة المستشار الســيد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي بالسيب، سلطنة عُمان. رقم: ٦. **ورمزنا لها بالحرف** (ب).

العنوان: «الجزء الثالث من كتاب الضياء».

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ].

الناسخ: خلفان بن عبد الله بن قيصر الصحاري.

تاريخ النسخ: ١٠٦٨/٤/٢٩هـ.

عدد الصفحات: ٤٢١.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٣ كلمة.

المسطرة: ١٩ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نســخ مشرقيّ واضح، باللون الأسود. وتنتهي الجمــل والفقرات والفصول بدوائر صغيرة ســوداء ملوَّنــة بالأحمر. تكتب العناوين والأبواب وأسماء الأعلام بالخط الأحمر.

أوَّل المخطوط: سقوط الصفحات الأولى، وبدأت الصفحة المرقمة بـ:٣ هكذا: «إلى يد غيره، برأيه أو بغير رأيه، ما لم يصل إلى أرباب تلك المظالم إلى الإنصاف منه على وجه ما يلزمه أو يبرأ منه...».

آخِرُ المخطُوط: «وقيل: دين بلَا ورع كَســفينة بلا شــراع، والله أعلم. تَمَّ الجزء الثالث من كتاب الضياء ويتلوه الجزء الرابع باب النيَّة...».

تَملُّكات: كتبها الناسخ لنفسه.

ملاحظات على النسخة:

- أخذنا العنوان من آخر المخطوطة؛ لسقوط الأوراق الأولى، إذ بدأ الترقيم في أوّلها من الصفحة الثالثة.

- الصفحات الأولى مرمّمة، وعليها صفحات بيضاء شفَّافة تغطي الكتابة في صفحة ولا تغطِّيها في أخرى، ولا تظهر منها الكتابة إلَّا بصعوبة، ويستمر هذا إلى الصفحة ١٩، ثُمَّ يسلم المخطوط إلى الصفحات الأخير التي أصابها التلف فرمّمت بصفحات شفافة، وقِطع أوراق على الجوانب، مِمَّا غيَّب وطمس علينا كثيرًا من المعلومات التي نحتاجها.
- الأبواب غير مرقَّمة.
- جيِّدة الخطّ، واضحة المعالم. بالنصِّ بياض عليها علامات مائيَّة.

توصيف نسخ «الجزء الخامس» من الضياء في: النيَّة والطهارات ويوصف بـ «الجزء الرابع» أيضًا.

كما يوجد خلط وتداخل بين هذا الجزء والذي يليه أشرنا إليه في بداية الجزء السادس والجزء السابع فراجعه في مَحلِّه.

- **النسخة (١):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام في الميكروفيلم (شريط ٥٥٦): ١٠٠١. والرقم الخاص: ٥٥٩/٦٥٧. ورمزنا لها بالحرف (ق).

العنوان: «الجزء الرابع من كتاب الضياء في النيَّة والطهارة والآداب والإمامة والجهاد».

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي عليّ معد.

تاريخ النسخ: نهار الثلاثاء رابع شهر الحجّ من سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية [٩٨٣/١٢/٤هـ].

عدد الصفحات: ١٥٧ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٥ - ١٧ كلمة.

المسطرة: ٢٠ - ٢١ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، وبلونين: الأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: في الصفحة الأولى: عنوان الكتاب ومؤلفه، ثُمَّ فهرس كامل لأبواب الكتاب. وفي الصفحة الثانية: بعد البسـملة «١ باب: في النيَّة وأحكامها. النيَّة: مشدَّدة، وقد قيل فيها بالتخفيف، وقال مازن بن غضوبة بالتثقيل».

آخِرُ المخطُوط: «...وقد خرج من خرج وأسلم فلم يرد، والحر لا يرجع عبدًا بعد إسـلامه، والله أعلم. تـم الجزء الرابع من كتـاب الضياء في النيَّة والطهارة والتسليم والإمامة والجهاد، ويتلوه الجزء الخامس في الصوافي...». وتنتهي النسخة إلى قوله: «والحر لا يرجع عبدًا بعد إسلامه، والله أعلم».

تَملّكات: كتبه الناسخ «لنفسه بيده».

ملاحظات على النسخة:

- في أوَّله صفحة ليسـت من كتاب الضياء، وكذا الصفحـة الأخيرة أيضًا تنتهي بإضافات فِي الرغائب من غير كتاب الضياء.
- كلمات كثيـرة تفتقد إلى الإعجـام. والخطّ متداخل أحيانًـا لكنه واضح. وتصوير المخطوط بلون واحد صعّب في فهم كلّ ما كتب بمداد غير أسود من: اسم بعض الأبواب والمسائل، وأسماء بعض الشعراء.
- ذكر في آخر المخطوط: «عرض الكتاب على نسخته والله أعلم بصحَّته».
- اعتمدناها كأمّ؛ لقدمها وتَمامها وعرضها، وأثبتنا صفحاتها في المتن بين خطَّين مائلين هكذا: /.../.

- **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. رقمها على الغلاف: ٨٦١. **ورمزنا لها بالحرف (ص).**

العنوان: «الجزء الرابع من كتاب الضياء في: النيَّة والطهارة وأمر الوضوء والتيمم والجنابة ومواقيت الصلاة وبقاعها».

المؤلِّف: لم يذكر اسم المؤلف مطلقا.

الناسخ: أحمد بن مبارك بن سعيد بن قاسم البوسعيدي الأدمي ثُمَّ المنحي.

تاريخ النسخ: صباح الخميس لعشر ليال خلون من شهر رجب سنة تسع سنين وستين سنة وألف سنة. [١٠/٧/١٠٦٩هـ].

عدد الصفحات: ٤٠٢ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ – ١٢ كلمة.

المسطرة: ٢٠ – ٢١ سطرا.

التعقيبات: ١ – ٣ كلمات.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، وبلون واحد بحسب ما يبدو في النسخة المصوَّرة، والله أعلم.

أوَّل المخطوط: بدأت الصفحة الأولى بعنوان الكتاب ثُمَّ ترتيب الأبواب. وفي الصفحة الثانية شهادة بوقف الكتاب، وفي الصفحة الثالثة: بعد البسملة «وبه ثقتي وعليه توكلت، ١ باب: في النيَّة وأحكامها. النيَّة: مشدَّدة، وقد قيل فيها بالتخفيف، وقال في التثقيل مازن بن غضوبة...».

آخِرُ المخطُوط: «مسألة عن عليّ بن أبي طالب [...]... تَمَّ الكتاب بعون الله ومنه والحمد لله وصلَّى الله على رسوله مُحمَّد وآله وسلم تسليمًا... تم الكتاب تكاملت حال السرور لصاحبه... وعفا الإله بمنه وفضله عن كاتبه».

تَملُّكات: في الصفحــة الثانية جاء فيها: «هذا الكتــاب من الكتب التي وقَّفها الشـــيخ عبد الله بن مُحمَّد الأغبري لينتفع بها بالقراءة فيها من شاء الله مــن الناس في بلد ســمايل لا يتجــاوز بها عنهــا. كتبه الفقيــر: جمعة بن خصيف بن سعيد بيده، يوم: ٢٩ ذي القعدة سنة ١٢٩٣».

ملاحظات على النسخة:

- تبدأ الخرمات والأتربة من الصفحة ١٨٣ في بعض الكلمات من السطرين الأخيرين، ثُمَّ تتوسَّــع في الصفحة ٢٢٧ إلى الســطر الثالث والرابع من أسفل الورقة وتتصاعد شيئًا فشيئًا حتى تأتي على ثلث الصفحة، ويستمرّ ذلك إلى نهاية المخطوط.
- تنتهي النسخة وســط الصفحة ٤٠٢، ثُمَّ تليها بعض الأبيات تكتمل بها الصفحة، ثُمَّ تتبعها مســائل فقهيَّــة مختلفة في ثلاث صفحات للشــيخ أبي مُحمَّد عثمان الأصمّ.
- يضع الناسخ علامة «٢» للدلالة على وجود سقط لم يقف عليه.
- بها بعض التصويبات فِي الحواشــي. تبدأ خرمات أسفل الصفحة وأتربة تتصاعد شيئًا فشــيئًا حتى تأتي على ثلث الصفحة. تنتهي النسخة وسط الصفحة ٤٠٢، ثُمَّ تليهــا بعض الأبيات تكتمل بهــا الصفحة، ثُمَّ تتبعها مسائل فقهيَّة مختلفة في ثلاث صفحات للشيخ أبي مُحمَّد عثمان الأصم.

- **النسخة (٣):** نسخة أصليَّة بمكتبة المستشار مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، بالسيب، سلطنة عُمان، رقم: ١٩٩٦. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: «الجزء الرابع مــن كتاب الضياء في النيَّــة والطهارة والوضوء والتيمم والجنابة».

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبيّ.

الناسخ: لا يوجد لسقوط الجانبين.

تاريخ النسخ: لا يوجد تاريخ نسخ النسخة الأصليَّة، ويوجد تاريخ ترميم النسخة، وهو: يوم ١٢ جمادى الثاني سنة ١٤١٦هـ، الموافق لـ:١٩٩٥/١١/٦م.

عدد الصفحات: ٣٣١ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٤ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: نسخ مشرقيّ جميل، بلونين، الأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: في النيَّة وأحكامها. النيَّة: مشدَّدة، وقد قيل فيها بالتخفيف، وقال مازن بن غضوبة في التثقيل».

آخِرُ المخطُوط: «وَأَمَّا الرقبة فأصل المال ليس علَى الإباحة، وأنّ قبوله تلحقه منَّة، وعليه فيه غضاضة وتوقّع ثواب فلم يلزمه قبوله لأجل ذَلك، والله أعلم».

ملاحظات على النسخة:

- المخطوطة مخرومة من الجانبين، تنتهي فِي الصفحة ٣١٣ ومكملة من قبل ناسخ مكتبة السيد مُحمَّد البوسعيدي وهو: مُحمَّد بن حسن بن محسن بن علي الرمضاني نقلًا من مخطوطة أخرى، وأتمها إلى قوله: «فلم يلزمه قبوله لأجل ذَلك، والله أعلم».
- نسخة مُميَّزة عن غيرها بِجودة الخطِّ، وكثرة الضبط، تدلّ على خبرة ناسخها ـ أو من نُسِخَت له ـ ومكانته العلمية التي تتجلّى من خلال بعض التعليقات.

- بدأنا مقارنة هذه النســخة مع النســخة (ص) من الصفحة ١١٧ لانتقالها إلَى «باب التسليم» كما فِي نسخة (١٠١٠).

- **النسخة (٤):** نســخة أصليَّة بوزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم: ١٠١٠. **ورمزنا لها بالحرف** (ك).

العنوان: «الجزء الرابع من كتــاب الضياء في النيَّة والطهارة والتســليم والإمامة والجهاد».

المؤلِّف: لم يذكر اسم المؤلّف في أول الكتاب ولا آخره.

الناسخ: محبوب بن نير بن ربيع الجحدري الرستاقي.

تاريخ النسخ: «عشيَّة الأحد أوَّل يوم من شــهر ذي القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة ثلاث سنين وتسعين سنة بعد ألف سنة من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصــلاة والســلام [١٠٩٣/١١/١هـ]، وكان تمام بقيَّة نسخه وهو مقدار خمس وعشرين ورقة على يدي العبد الفقير إلى الله ﷻ: محبّوب بن نير بن ربيع الجحدري الرســتاقيّ وهو يستغفر الله تعالى لدينه ولوالديه ولجميع المسلمين والمؤمنين والمؤمنات».

عدد الصفحات: ٣٠٩ صفحات.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١١ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ جميل، باللونين الأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: في الصفحة الأولى: «يابسًا بمخطمه وهو رطب أفسده. مسألة: قال أبو مُحمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: وسؤر السباع ولحمها عن أبي عبيدة حلال، ووافقه علَى ذَلك مالك بن أنس، وضعَّفا الخبر».

آخِرُ المخطُوط: «[وقد خرج من خرج] وأسلم فلم يرده، والحر لا يرجع عبدًا بـ[ـعد إسلامه] والله أعلم، وبه التوفيق، والحمد لله رب العالمين». وجاء في خاتمة الناسخ: «تمَّ الجزء الرابع من كتاب الضياء في النيَّة والطهارة والتسليم والإمامة والجهاد، ويتلوه إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ الجزء الخامس في الصوافي، والحمد لله حقّ حمده...».

تَملُّكات: نسخه الناسخ للشيخ الولي العدل الرضي القاضي: مُحمَّد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان...».

ملاحظات على النسخة:

- النسخة مخرومة من البداية، تبدأ من نهاية «مسألة: [في حكم سؤر الكلب]»، أي من الصفحة ٢٣ من النسخة (ق).
- بالنسخة خرمات فوقية وجانبية على كامل الكتاب، وتآكل واضح وخرمات وسط الصفحة يتوسع شيئًا فشيئًا حتى يأتي على جزء كبير من الصفحة، وهذا النوع من الخرمات يبدأ من الصفحة ٢٤٠ إلى الصفحة الأخير ٣١١.
- تنتهي النسخة بصفحتين فِي الرغائب من غير كتاب الضياء، وفي نهايتها كتب الناسخ: «عرض على نسخته».
- النسخة ١٠١٠ من التراث في الطهارات (نسخت: ١٠٩٣/١١/١هـ) مشابهة تمامًا للنسخة (ص): رقم ٨٦١ المنسوخة سنة ١٠٦٩هـ.

- **النسخة (٥):** نسخة أصليَّة من دائرة المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ٣٠٧٠.

العنوان: «النســخة مكونة من قطعتين: الأولى منها: تتناول الجزء الرابع من الضياء في النيَّة والنجاسات وفي الإمامة والجهاد. والثانية منها: تناولت أبوابًا في الصلاة من كتاب الضياء أيضًا».

المؤلِّف: لم يذكر اسم المؤلّف في أوّل الكتاب ولا في آخره.

الناسخ: إسماعيل بن سليمان بن راشد بن حرمل العامري.

نسخه: لولده ومحبّه: عبد الرحمٰن بن مُحمَّد بن بلعرب البطاشي.

تاريخ النســخ: يوم الخميس تسع عشــرة ليلة خلت من شهر صفر سنة خمس سنين ومائتين سنة وألف سنة من الهجرة النبوية [١٢٠٥/٢/١٩هـ].

عدد الصفحات: ٢٩٠ صفحــة في القطعة الأولــى، و٢١٠ صفحات في القطعة الثانية.

عدد الكلمات في السطر: ٩ كلمات.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة واحدة في أغلب الأحيان أسفل ظهر الورقة.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ جميل، بالأسود والأحمر.

ملاحظات على النسخة:

- كتب على هامش الصفحة الأخيرة للقطعة الأولى: «معروض على نسخته والله أعلم بصحَّته».
- وقد جاء ترتيب أبــواب الكتاب وموضوعاته في القطعة الأولى مشــابهًا لترتيب النســختين (ق) و(ك) من الجزء الرابع، غير أنَّه لم تتمّ مقارنتها

مع أيٍّ من نسخ الجزء الرابع؛ لتأخّر تاريخ نسخها عن بقيَّة النسخ، ولكثرة الأخطاء فيها، ولعثورنا عليها مؤخّرًا بعد أن استقام الكتاب على سوقه.

*** ملاحظات في المقارنة بين النسخ الثلاث:**

- اعتبرت النسخة (ق) هي الأصل لكونها الأقدم من حيث تاريخ النسخ.
- هناك اختلاف بين النسخ في عبارات التصلية والتسليم، وقول «جلّ ذكره» و«جل ثناؤه»، وقوله: «عَزَّ وَجَلَّ» «تبارك وتعالى»، ومثلها من العبارات التي يعبر عنها النسَّاخ بحسب ثقافتهم واجتهادهم، فنثبت حينها ما ورد فِي النسخة (ق) من دون الإشارة إِلَى غيرها.
- يشير الخطَّان العموديان |..| إلى كلِّ ما أضيف من (ص) ولا يوجد في (ق).
- الأرقام الموجودة بين خطين مائلين /../ تدلُّ على أرقام صفحات النسخة (ق)، وأمَّا التي جاءت بين أربعة خطوط عمودية ||..|| فتدلّ على أرقام صفحات النسخة (م).
- توقَّفت المقارنة بين النسخة (ص) مع (ق)، واستؤنفت مع النسخة (م) من الصفحة (١٠٥) في (ص) ويقابلها في (ق): //٦١//، وفي (م): ||١١٧||؛ وذلك لانتقال النسخة (ق) إِلَى باب التسليم، وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه في الهامش.
- النسخة (ك) مشابهة تمامًا للنسخة (ق) ومتطابقة معها في الأبواب والعبارات والألفاظ، حتى في أخطائها، ويمكن القول: إنَّها نسخة طبق الأصل لولا اختلاف الخطّ والناسخ وتاريخ النسخ، وهو ما يرجِّح أنها نسخت من النسخة (ق)؛ ولهذا لم نذكرها في المقارنة ولم نرجع إليها إلَّا لاستيضاح ما انبهم من (ق)، والله أعلم.

توصيف نسخ «الجزء السادس» من الضياء: فِي القبلة وأحكامها والمساجد ويوصف بـ«الجزء الخامس»

- **النســخة (١):** نســخة أصليَّة بمكتبة المستشــار الســيِّد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي بالسيب، سلطنة عُمان. برقم: ١٨٤. **ورمزنا لها بالحرف** (س).

العنوان: «الجزء السادس من كتاب الضياء فِي القبلة وأحكامها والمساجد وأحكامها وما يجوز فِيها وما لا يجوز، وفي الأذان وأحكامه وما يجوز وما الا يجوز، وفي الصلاة ومعانيها وحدودها وحدود أوقاتها وما يجوز فيها وما لا يجوز، وما يكره فِيها من لبس الثياب وما لا يجوز وغير ذلك».

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: سعيد بن مُحمَّد بن عدي العبري.

تاريخ النسخ: فرغ من نســخ هذه القطعة يوم الأربعاء لتسع ليال خلون من شهر محرم الحرام من ســنة ثمانٍ وثمانين سنة بعد مائة سنة وألف سنة من الهجرة [١١٨٨/١/٩هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٥٣٨.

عدد الكلمات فِي السطر: ١٠ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٠ أسطر.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: يبدأ من الصفحة الثامنة: بعد البسملة «١ باب: في القبلة...».

آخِرُ المخطُــوط: ينتهي في الصفحة ٣٠٨ بقوله: «تَمّــت القطعة الأولى فِي

الصلاة من كتاب الضياء، ويتلوه أيضًا قطعة وهــي من هذه القطعة كان كلتاهما قطعة واحدة فقسـمناها قطعتين، وأول القطعة الثانية التــي هي من هذه القطعة باب فِي التسبيح: «﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾».

تَملُّكات: كتب في الصفحة الثالثة: «هذا الكتاب من عند ثابت بن سرور البهلاوي... الفقير بيد مسلم بن سـليمان بن حمد المنذري». ثُمَّ ترك سطرًا فارغًا وكتب التوقيف.

توقيفات: «هذا الكتاب هو من الكتب الموقوفة التي أوقفها الشيخ العالم الوصي الولي المرضي الشيخ عمر بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي علي معد البهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ...».

ملاحظات على النسخة:

- بعد ذكر العنوان جاء: «...يتلوه الجزء السابع من كتاب الضياء في: صلاة المسافر وصلاة العيدين وصلاة الجمعة وأحكام ذلك».
- المخطوطة من الحجم الصغير.
- الصفحة الثالثة فارغة والرابعة فيها أبيات متفرقة، وفي آخر الصفحة تمليك.
- الصفحة الرابعة ذكر فيها: «ترتيب الأبواب... ١ باب: فِي القبلة والسترة... ٢٣ باب: التحيات والتسليم. تمت الأبواب بعون الملك الوهاب وصلَّى على مُحمَّد مهزم الأحزاب».
- كتب في الصفحة الخامسة بيتان ثُمَّ تركها بيضاء.

• **النسـخة (٢):** نسـخة مصوَّرة بالميكروفيلم بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سـلطنة عُمـان. الرقم العـام: ١٠٠٢. والرقم الخاص: ٨٨ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف (ت).**

العنوان: «الجزء الخامس من كتاب الضياء فِي القبلة والمساجد والأذان والصلاة ومــا ينقضها وما لا ينقضها وصلاة التطوع والتراويح والاستســقاء وغير ذلك».

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: من دون.

تاريخ النسخ: مكتوب في نهايتها هكذا: «تَمَّ كتاب الضياء في ١ رمضان ١٢٥٥هـ».

عدد الصفحات: ٣٠٨.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٦ - ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر ـ بحسب الظاهر ـ.

أوَّل المخطوط: بعد البســملة «وبه على كلّ حال نســتعين. ١ باب: في القبلة والسترة ونسخ بيت المقدس. القِبلَةُ: مأخوذة من القُبالة، وهي المحاذاة والمقابلة...».

آخِرُ المخطُوط: «...فإن كان الإمام ومن معه لم يصلّوا الوتر جماعة جاز لهــؤلاء المؤخّرين أن يصلوا الوتر جماعة؛ لأَنَّ الوتــر غير العتمة. تم كتاب الضياء في ١ رمضان سنة ١٢٥٥هـ».

ملاحظات على النسخة:

- سرد ٤٨ بابًا في بداية المخطوط، وانتهى إلى «باب صلاة التراويح».
- النسخة جيِّدة، وفيها علامات مائيَّة.

- **النسخة (٣):** نسخة مصوَّرة من دائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ٥٢٨. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: «الجزء الخامس من كتاب الضياء في صلاة الجمعة وصلاة السفر وصلاة العيدين والنوافل وغسل الميت والصلاة عليه وأحكام ذلك».

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: زاهر بن عبد الله الكندي.

نسخه: «للشيخ العلامة قاضي الإمام: أبي مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي في عصر إمام المسلمين وحجة رب العالمين مُحمَّد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي».

تاريخ النسخ: ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤١هـ.

عدد الصفحات: ٥١٢.

المقاس: ٢٢× ١٨سم.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٨ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بلونين لعلَّه: الأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: «١ باب: في فضل يوم الجمعة. عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**عرضت عليَّ الأيام فرأيت فيها نورًا...**»».

آخِرُ المخطوط: «...ولبيك الجو على طائره، ولبيك الإنسان على نفسه التي تقرب في كل طرفه اهـ. تم الكتاب كما وجدته مكتوبًا...».

المقابلات: النسخة مصحَّحة ومقابلة كما جاء في آخرها: «قد تَمَّ تصحيح هذا الكتاب على نسخته مقابلة له، كتبه سعيد بن ناصر السيفي بيده ليلة ٩ شعبان سنة ١٣٤١».

ملاحظات على النسخة:

- بدأ الكتاب بترتيب ٥٥ بابًا في أربع صفحات.
- جاء في نهاية المخطوطة هكذا: «تَمَّ الكتاب كما وجدته مكتوبًا، وهو لم يكن كلّه، والقرطاس ذاهب من آخر النسخة، وأستغفر الله من الزيادة والنقصان والغلط والنسيان إنَّه كريم منان...».
- في النسخة تقديم وتأخير وخلط وسقط، وتغيير كبير في صياغة المسائل، مع اختلاف كلّي في ترتيب الأبواب التي جاءت في النسخة (ت)، وعدم اكتمال الأبواب التي جاءت فيها ـ كما صرح الناسخ بذلك ـ؛ فلذلك لم نستطع اعتمادها إلَّا في ضبط بعض العبارات وتصويبها، وكذلك نقلنا منها الأبواب الساقطة من النسختين، من الباب ٢٥ في صلاة السفينة إلى «صلاة الضحى»، من (ص ١٧١) إلى (ص ١٨١).

*** ملاحظات في المقارنة بين النسخ الثلاث:**

- وضعنا علامة |♦| دالَّة على نهاية المقارنة التي تَمَّت بين النسختين (س) و(ت)، ثُمَّ واصلنا مقارنتها مع النسخة (م).
- عند بداية كلّ باب يكتب الناسخ رقم الباب مثل: «١ باب في القبلة والسترة» وهكذا في باقي الأبواب.
- وليس في ترقيم النسَّاخ ما يُعتمد عليه، فحاولنا ترقيم كلّ الأبواب بالكتابة من جديد، ورتَّبناها بحسب ما هو مدوَّن داخل الكتاب مع مراعاة الترتيب وعدم التكرار، فبلغت أربعة وأربعين بابًا.

توصيف نسخ «الجزء السابع» من الضياء

لم نجد في النسخ التي بين أيدينا تسمية لهذا الجزء إلَّا ما وجدناه في بداية «الجزء السادس» السابق في مكتبة السيِّد مُحمَّد البوسعيدي (برقم ١٨٤) المسمَّى بالنسخة (س) جاء فيه: «الجزء السادس من كتاب الضياء فِي القبلة وأحكامها والمساجد وأحكامها... يتلوه الجزء السابع من كتاب الضياء في: صلاة المسافر وصلاة العيدين وصلاة الجمعة وأحكام ذلك».

كما أنَّ هذا الجزء لم يستقل بنفسه بل كان تابعًا للجزأين السابقين في نسخة الشيخ المالكي (م)، أو متفرِّقًا في أجزاء مختلفة.

- **النسخة (١):** مصوَّرة من دائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ٥٢٨. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

وهذه النسخة سبق ذكرها في توصيف النسخة الثالثة من «الجزء السادس» السابق، وأفادتنا في مقارنتها بالنسخة (ت)، وتقويم نصوصها المخرومة، كما حاولنا إتمام الأبواب الساقطة منها.

- **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة بالميكروفيلم بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠٠٢. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (ت).

وهذه النسخة سبق ذكرها في توصيف النسخة الثانية من «الجزء السادس» السابق، وأفادتنا في مقارنتها بالنسخة (م)، وتقويم نصوصها المخرومة، كما حاولنا إتمام الأبواب الساقطة منها أيضًا.

ملاحظات على النسختين:

- ترقيم هذا «الجزء السابع» وفصله عن «الجزء السادس» الذي قبله أخذناه من النسخة (س) بمكتبة المستشار السيِّد مُحمَّد البوسعيدي (برقم ١٨٤) جاء فيه: «الجزء السادس من كتاب الضياء فِي القبلة وأحكامها والمساجد وأحكامها وما يجوز فِيها وما لا يجوز، وفـي الأذان وأحكامه وما يجوز وما لا يجوز، وفي الصلاة ومعانيهـا وحدودها وحدود أوقاتها وما يجوز فيها ومـا لا يجوز، وما يكره فِيهـا من لبس الثياب ومـا لا يجوز وغير ذلك، والله أعلم. يتلوه الجزء السابع من كتاب الضياء في: صلاة المسافر وصلاة العيدين وصلاة الجمعة وأحكام ذلك».
- على هذه المقدِّمة حاولنا فصل «أنواع الصلوات» عمَّا سـبقها، مع مراعاة ترتيب الأبواب التابعة للجزء السـابق، ثُمَّ أضفنا إليها في نسـخة الشيخ عامر المالكـي المصوَّرة بمكتبة التراث (رقـم ٥٢٨) من دون النظر إلى تكرار الأبواب وتداخلها.
- ويلاحظ أنَّ نسـخة الشـيخ عامر المالكي المصوَّرة بمكتبة التراث (رقم ٥٢٨) حاوية لثلاثة أجزاء غير مكتملة منهـا «الجزء الثامن» الآتي أيضًا، وقد استفدنا منها في تقويم النصوص ومقارنتها، وإتمام الأبواب والنقص الواقع في تلك الأجزاء.

توصيف نسخ «الجزء الثامن» من كتاب الضياء

- **النسـخة (١):** نسـخة مصوَّرة من دائـرة المخطوطـات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ٥٠٧. **ورمزنا لها بالحرف (و).**

العنوان: «الجزء [بياض] من كتاب الضياء في غسـل الموتى وتكفينهم وحملهم والصلاة عليهم ودفنهم والتعزية ويتلوه الجزء [بياض]».

المؤلِّف: «الشيخ الفقيه شـــمس الملة والمنقذ الأمة من كل دجنة مضلة أبي إبراهيم سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري تغمّده الله...».

الناسخ: سليمان بن مُحمَّد بن مطر بن مُحمَّد الوائلي.

تاريخ النســـخ: «وكان الفراغ من تنميقه ضحى يوم النصف من شهر ذي القعدة من شهور سنة ١٣٢٩ هجرية نبوية» [١٣٢٩/١١/١٥هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٢٣٨.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٨ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بدأ في الســطر الخامس بالبسملة ثُمَّ قال: «الباب الأول في غسل الميت والميت إذا أردت غسله نزعت ثيابه إلَّا خرقة...».

آخِرُ المخطُوط: «...وليبك الجو على طائره، وليبك الإنســان على نفسه التي يقرب في كل طرفه. تم ما وجدته من الكتاب».

ملاحظات على النسخة:

- يتلو الكتاب زيادات من ١٣ صفحة بداية «من أدب زيارة القبور منقول من كتاب العمل اليوم والليلة. ومنها أن يسلم على الأموات...» وينتهي بأبيات آخرها: «فلا الخير في الدنيا يدوم نعيمها... ولا الشر ممدود عليها مسرمدا».
- بدأ الكتــاب بذكر ترتيب ١٨ بابًا، ثُمَّ «ذكر مســألة مــن بعض الكتب وعلى قول مُحمَّد بن محبوب...»، ثُمَّ بدأ المخطوط في السطر الخامس من هذه الصفحة.

- **النسـخة (٢):** نسـخة مصوَّرة من دائـرة المخطوطـات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ٥٢٨. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: «الجزء الخامس من كتاب الضياء في صلاة الجمعة... وغسـل الميت والصلاة عليه وأحكام ذلك».

وقد سـبق ذكرها في توصيـف الجزء السـادس السـابق، وأفادتنا في مقارنتها بالنسخة (و)، وتقويم نصوصها المخرومة، كما حاولنا إتمام الأبواب الساقطة منها.

ملاحظات على النسختين:

- أخذنا المقدِّمة وترتيب أبواب جزء «الجنائز» من النسخة (و) المستقلَّة المصوَّرة في وزارة التراث (برقـم ٥٠٧)، أثبتناها وقدّمناها معتمدين على ترتيبها، ثُمَّ قارنّاها بنسـخة المالكي (م) (رقـم ٥٢٨) المتمّمة لكتاب «الصـلاة وأنواعها»، بداية مـن «الباب ٧: فـي الصلاة على الْمَيِّت» في السـطر الرابع من الصفحـة ٢٣٢، وتنتهي إلى الصفحة ٥١٢ في ذكر «باب ٣٣: فـي الصلاة على الميّـت»؛ فحاولنا مقارنة بعض أجزائهما للتباين الواضح بينهما في الترتيب والصياغة، ووضعنا ما زاد في النسخة (م) بين عمودين هكذا: |...|، وما سقط من النسخة (م) وضعناه ما بين أربعة أعمدة هكذا: ||...||.
- في النسـخة (م) (رقم ٥٢٨) لم يأت «كتاب الجنائز» مسـتقلًّا بنفسه فيها، وَإِنَّمَـا جاء تابعًا لكتـاب «الصلاة وأنواعها» مـن بداية «الباب السـابع: في الصلاة على الْمَيِّت» إِلَى نهاية «الباب الثاني عشر: باب في الصلاة على القبر» سـاقط كليًّا من النسـخة (م). وقد أشرنا إِلَى ذَلِكَ بعمودين: ||...||.

- النسختان مليئتان بالتصحيف والتحريف والسقط، وكثيرة الاختلاف في الترتيب والنصوص والعبارات، كما يكثر فيها التكرار، ويوجد فيها بعض التناقض والتضارب في مسائل من الكتاب، وتركناها كما هي في الغالب إلَّا ما وجب علينا التعليق عليه، والله المستعان.

توصيف نسخ «الجزء التاسع والعاشر» من كتاب الضياء في: الزكاة والصوم

وهو المرقَّم في المطبوع بـ«الجزء السادس»، من نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، طبع في ٥٢ بابًا، بمطبعة الألوان الحديثة، في ٣٩٢ صفحة.

هذا الجزء لم نَجد له مخطوطة في ما بَحثنا فيه من المكتبات، وقد بذلنا ما بوسعنا في إيجاد نسخة منه للمقارنة والضبط لكن من دون جدوى، رغم الجهود المتواصلة والبحث الحثيث داخل السلطنة وخارجها، ولم يكن لنا بدّ إلَّا أن نضبطه من النسخة التي طبعتها وزارة التراث تحت اسم «الجزء السادس»، وهذه الطبعة مليئة بالتصحيف والتحريف، ولعلَّ الله يفتح لنا أبواب إحدى المكتبات المقفولة فنحصل على مرادنا بإذن الله لمقارنتها في الطبعة الثانية. ويظهر أنه من الأجزاء التي تضمها مكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمضيرب، ولكن لم نستطع الوصول إليها لأسباب داخلية.

وقد بدأت المطبوعة «بأبواب الزكاة وأحكامها»، وانتهى: «بباب ٣٥ في أحكام الصوافي»، ثُمَّ «بباب ٣٦ في أحكام الصيام» من غير مقدِّمة ولا خاتمة، فلم تفدنا بأيّ معلومة أخرى تتعلَّق بالنسخ وسنتها وناسخها وغير ذلك.

توصيف [الجزء الحادي عشر والثاني عشـــر] من كتاب الضياء في: «الحجّ والاعتكاف والنذور وأيمان والكفارات»

نسخة يتيمة: أصليَّة بمكتبة المستشار السيِّد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي. ونسخة مصوَّرة في وزارة التراث تحت رقم: ٥١٧، **ورمزنا لها:** بالأصل.

العنوان: [الحجّ ومـــا يتعلَّق به من أحكام، وأبـــواب الاعتكاف والنذور والأيمان والكفارات من كتاب الضياء].

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناســـخ: كتبه مُحمَّد بن عبد الله عن أمر الإمام مُحمَّد بن سليمان [حيّ في ٨٩٤هـ].

تاريخ النسخ: [نهاية القرن التاسع الهجري].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٤٢٦ (٢٣٤+١٩٢).

عدد الكلمات في السطر: ١١ - ١٤ كلمة.

المسطرة: ٢٠ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة والاســـتعانة «باب في الحجِّ وما جاء فيه. قال الله ـ جلَّ ثناؤه وتقدَّســـت أســـماؤه ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فريضة يؤدِّيها الحيُّ وتؤدَّى عن الْمَيِّت...».

آخِرُ المخطُوط: «... وإن لم يصِحّ هذا فالمال مال الذي خلف عليه، والله أعلم. كتبه مُحمَّد بن عبد الله عن أمر الإمام مُحمَّد بن سليمان بيده. تَمَّ».

*** ملاحظات على النسخة:**

هذا الجزء فصلناه إلى مجلَّدين ١١ و١٢ لكبره واختلاف موضوعاتها، إذ يضمّ كتاب «الحجّ وما يتعلّق به من أحكام» الذي أخذ ٢٣٤ صفحة، والبقيَّة جاءت في: «أحكام الاعتكاف والنذور والأيمان والكفَّارات».

حوى هذا الجزء ٥٦ بابًا في أبواب الحج والاعتكاف والنذور... وغيرها.

انتهى الجزء في منتصف الصفحة ٤٢٣ وبقيَّة الصفحات (٣ ونصف) جاءت زيادة مسائل من النسَّاخ في فتاوى بعض الأشياخ.

صفحاتها غير منضبطة الترقيم، بل بدأ ترقيمها من ٢٥٨، وأعدنا ترقيمها من جديد.

نسخة مليئة بالخرمات والسقط وخاصَّة في وسطها، حيث يصل بعضها إلى سطر وأكثر، وحاولنا عدَّ الكلمات الساقطة بعدد النقاط الموضوعة بين المعقوفين، بعدما اجتهدنا في تقويم خرماتها من كتب التراث والحديث واللغة والأدب وغيرها.

توصيف نسخ «الجزء الثامن» من كتاب الضياء في: «العتق، والرضاع، والأكفاء، والنكاح، والصداق، وفي التزويج والمعاشرة وأحكامها» [الجزء الثالث عشر والرابع عشر]

- **النسخة (١):** نسخة أصليَّة بمكتبة المستشار السيِّد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، تحت رقم: ١٨٩٥. ونسخة مصوَّرة منها بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان تحت رقم: ٤٢٢. **ورمزنا لها بالحرف** (أ).

  العنوان: الجزء الثامن من كتاب الضياء في العتق والنكاح.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: مُحمَّد بن عابر بن مُحمَّد بن عبد الله الحداد.

تاريخ النســخ: وكان تَمامه صباح الثلاثاء لإحدى عشــرة ليلة إن بقين من شهر الحجّ الحرام من شهور سنة ستّ وأربعين وتسعمائة سنة [٩٤٦/١٢/١٩هـ] علَى مهاجرها عليه أفضل الصلاة والسلام.

مكان النسخ: صاحب قرية حفدى من قرى وادي موسى.

نسخها: للشيخ العالم الأبرّ عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بن أسد [كذا].

عدد الصفحات: ٤٠٦.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١١ كلمة.

المسطرة: ١٨ - ٢٤ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البســملة «١ باب: العتق وأحكامــه: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾...».

آخِرُ المخطُوط: «... ثُمَّ يقســم المــال على الميراث. تردّ هذه المســألة إلى الوصيَّة بالثلث إن شاء الله. وقد حصل شــيء من هذا الباب في: «الجزء التاسع» من الكتاب إن شاء الله. تَمَّ «الجزء الثامن» من كتاب الضياء في العتق والنكاح...».

ملاحظات على النسخة:

- هذه النسخة هي الأقدم والأصحّ مقارنة بالنسخ الأخرى.
- أخذ العنوان ورقم الجزء من نهاية هذه النسخة (أ).

- النسخة من الحجم الصغير، فيها علامات مائيَّة، وتآكل من الجوانب. وفيها ترقيعات حديثة من نُسَّاخ المكتبة بإضافة صفحات تقويمية وتكميلية للنسخة.

• **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة من دائرة المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان تحت رقم: ٤٢٥. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: الجزء الثامن من كتاب الضياء في العتق والرضاع والنكاح وما جاء فيه.

المؤلِّف: الشيخ العالم العلامة أبي إبراهيم [كذا] سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ تغمّده الله برحمته.

الناسخ: سعيد بن خميس بن حمد بن سالم المدسري مولى بني علي.

تاريخ النسخ: صباح يوم الاثنين سبعة وعشرين من شهر ربيع الأوَّل سنة ١٣٤٠[/٣/٢٧].

مكان النسخ: من دون.

نسخها: للشيخ العالم العلامة الحبر الفهامة وحيد عصره وفريد دهره قاضي إمام المسلمين: عامر بن خميس مسعود بن ناصر المالكي، وهو في عصر إمام المسلمين مُحمَّد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي الإباضي العُماني.

عدد الصفحات: ٨٠٤.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١١ كلمة.

المسطرة: ١٦ - ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: العتق وأحكامه: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَـٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾...».

جاء في الصفحة ٤٤٣ نهاية الجزء الثامن: «... ولا يلحق به بنسبه، إلّا أن يقرَّ بهذا الولد أو بوطئها وهو في حدّ من يقبل إقراره من البالغين، والله أعلم. وقد حصل شيء من هذا الباب في الجزء التاسع من الكتاب إن شاء الله. ٢٥ باب: اختلاف الزوجين في الصداق قبل الدخول...».

وفي نهاية المخطوطة: «تَمَّ «الجزء العاشر» من كتاب الضياء، ويتلوه إن شاء الله «الجزء الحادي عشر: باب ما يَجب من حقوق النساء على الرجال». وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب...».

ملاحظات على النسخة:

- جاء في بداية هذه النسخة: «الجزء الثامن من كتاب الضياء في العتق والرضاع والنكاح وما جاء فيه، ويتلوه الجزء التاسع من كتاب الضياء أول أبوابه ما يجب من حقوف النساء على الرجال».
- بدأت النسخة بعد ذكر ٤٧ بابًا ثُمَّ بدأت النسخة.
- ضمَّت هذه النسخة جزأين «الثامن» و«التاسع»، ولكن المشكلة في نهاية هذا الجزء إذ ذكر فيها الجزء العاشر كما لاحظنا في نهاية المخطوطة، وهذا ما وقع في النسخة الآتية المتقاربة منها أيضًا.
- النسخة معروضة على نسخة مثلها بحسب الطاقة، حرَّرها سعيد بن ناصر السيفي بيده ليلة ١٥ محرم سنة ١٣٤١هـ.

- **النسخة (٣):** نسخة مصوَّرة من مكتبة الشيخ صالح لعلي بوادي ميزاب الجزائر، مصوَّرة بدائرة مخطوطات وزارة التراث بسلطنة عُمان، تحت رقم ٥٠٩. **ورمزنا لها بالحرف** (ن).

العنوان: القطعة الثامنة من كتاب الضياء في العتق والرضاع والنكاح وما جاء فيه.

المؤلِّف: الشيخ العالم العلامة أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن مُحمَّد بن راشد بن عامر الدغاري نسبًا والسيقي مولدًا ومسكنًا من جبل رضوى وتنوف هجرة.

تاريخ النسخ: عشية الأربعاء لثماني ليالٍ خلت من الشهر المبارك رمضان من شهور سنة تسع وأربعين سنة وثلاث مائة سنة وألف سنة من الهجرة [١٣٤٩/٩/٨هـ].

كتبه: للشيخ الأجلّ العارف النزيه الثقة النبيّه: عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن سعد الله النبهاني السمدي النزوي، وذلك في عصر الإمام العادل الكامل الفاضل إمام المسلمين مُحمَّد بن عبد الله بن....

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٧١٢.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٧ - ١٩ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة والتصلية «باب ١: في العتق وأحكامه. قال

الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾...».

آخِرُ المخطُوط: «والعزيمة على عقدة النكاح، فذلك عندنا مكروه، والتنزّه منه أحسن. تم الجزء العاشر من كتاب الضياء ويتلوه إن شاء الله الجزء الحادي عشر باب ما يجب من حقوق النساء على الرجال...».

تَملُّكات: «قنية للشيخ الفقيه العالم النزيه النبيّه القاضي الإباضي أبي عبد الله مُحمَّد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان حفظه الله تعالى».

ملاحظات على النسخة:

- بعد سرد الأبواب ٤٦ قال: «تَمَّ ترتيب أبواب القطعة الثامنة من كتاب الضياء في العتق والرضاع والنكاح وما جاء فيه، ويتلوه الجزء التاسع أول أبوابه ما يجب من حقوق النساء على الرجال».
- كتبت ملاحظة بِخَطّ حديث قبل بداية المخطوط: «هذه مصوَّرة مقدمة من المشايخ بالجزائر ـ وادي ميزاب».
- النسخة كاملة شاملة لأبواب «العتق والرضاع والنكاح وما جاء فيه»، حيث جمعت جزأين في كتاب واحد، وهو ما نلاحظه من اختلاف التسمية في نهاية ترتيب الأبواب والتسمية في نهاية المخطوط.
- ضمَّت هذه النسخة جزأين «الثامن» و«التاسع»، ولكن المشكلة في نهاية هذا الجزء إذ ذكر فيها الجزء العاشر كما لاحظنا في نهاية المخطوطة، وهذا ما وقع في النسخة السابقة المتقاربة منها.

*** ملاحظات في المقارنة بين النسخ:**

- قارنَّا هذا الجزء من ثلاث نسخ، اتّخذنا النسخة (أ).

- اتِّفاق النسَّاخ في تسـميَّة هذا الجزء بالثامن في بداية النسخ، واختلافهم في نهايتها إلَّا في النسخة (أ).
- ضمَّت هاتان النسـختان الأخيرتان (م) و(ن) جزأين: «الثامن» و«التاسع»، بل ولكنّ المشكلة في نهايتهما حيث ذكرا فيها تمام «الجزء العاشر» كما لاحظنا في نهاية المخطوطتين، وهو ما وجدناه من اختلاف التسمية بين البداية والنهاية، إلَّا النسخة (أ) فقد جاءت مستقلَّة فاعتمدناها في التقسيم، وجعلناها أُمًّا لصحَّتها وقِدَمها.
- وضعنا العبارات الزائدة من النسـخة (أ) عَلَى النسـختين الأخريين بين عمودين هكذا |...|، والساقط من النسـختين (م) و(ن) لا نشير إليها إلَّا إذا اختلَّ المعنى أو أفاد النصّ شيئًا جديدًا مهمًّا.

توصيف نسخ «الجزء التاسـع» من كتاب الضياء [«المجلَّد الخامس عشر» من كتاب الضياء في: «حقوق الأزواج والطلاق»]

- **النسـخة (١):** أصليَّة بدائـرة المخطوطات، وزارة التـراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠١١. والرقم الخاص: ٨٨ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (أ).

العنوان: الجزء التاسع من كتاب الضياء في حقوق الأزواج والطلاق.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسـخ: عمر بن سـعيد بن عبد الله بن سـعيد بن عمر بـن أحمد بن أبي عليّ بن معدّ، بيده لنفسه.

تاريخ النسخ: نهار يوم الاثنين لثماني ليالٍ إن بقين من شهر ذي القعدة الحرام، من شهور سنة ستِّين وتسعمائة سنة هجرية [٢٢/١١/٩٦٠هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٤٢٨.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٦ - ١٩ سطرًا.

التعقيبات: كلمتان أو ثلاث.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر والبني.

أوَّل المخطوط: مخـــروم الأوَّل إلى الصفحة التاســعة كما هو مرقَّم في النسخة «ولبســت أخرى من مالها وحالت السنة والكسوة التي أعطاها إيّاها جديدة؟ فإنَّ له أن...».

آخِرُ المخطُــوط: «... ويجوز أن يوكِّل في الطلاق عنــه امرأة أو عبدًا أو محجورًا عليه نفسه، ولا يوكِّل صبيًّا ولا مجنونًا، تَمَّ والله أعلم، وبه التوفيق، والحمد لله حقّ حمده. تَمَّ الجزء التاسع من كتاب الضياء في: «حقوق الأزواج والطلاق» بعون الواهب الرزَّاق، نهار يوم الاثنين...».

ملاحظات على النسخة:

- كتب على هامش الخاتمة: «عرض هذا الكتاب على نســخته التي نســخ منها على حســب الطاقة والإمكان بالمســجد الجامع من قرية بهلا من عُمان، حرسها الله من ريب الزمان ونوائب الحدثان. والصلاة على سيِّدنا مُحمَّد والأهل والأصحاب».
- نســخة مخرومة الصفحــات الأولى أخذنــا عنوانها مــن الخاتمة، وغير مرقَّمة، وكثيرة الخرمات، حيث تبدأ من وسط الصفحة (٩) من المخطوط من قوله: «ولبست أخرى من مالها وحالت السنة والكسوة...».

- **النسخة (٢):** أصليَّة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠٠٣. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف (ب).**

العنوان: الجزء التاسع من كتاب الضياء في حقوق الأزواج والنفقات وما يجب لهنّ من الكسوة وغيرها وفي الطلاق.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: سعيد بن عبد الله بن عمر بن مُحمَّد بن صالح السعودي النزوي.

تاريخ النسخ: عشيّة الثلاثاء وأربعة عشر من شهر ربيع الآخر، سنة سبع سنين ومِئَة سنة بعد الألف من الهجرة [١١٠٧/٤/١٤هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٤٣٧.

عدد الكلمات في السطر: ١١ - ١٣ كلمة.

المسطرة: ١٥ - ١٨ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب ما يجب للنساء على أزواجهنّ من الحقوق من نفقة وكسوة وغير ذلك وما لا يَجب، وأحكام ذلك. وإذا طلبت المرأة إلى زوجها نفقتها؛ فعليه أن يحضرها نفقتها لكلّ شهر...».

آخِرُ المخطُوط: «... ويجوز أن يوكِّل في الطلاق عنه امرأة أو عبدًا أو محجورًا عليه نفسه، ولا يوكِّل صبيًّا ولا مجنونًا، تَمَّ والله أعلم، وبه التوفيق، والحمد لله حقّ حمده. تَمَّ الجزء التاسع من كتاب الضياء في:

حقوق الأزواج والنفقات وما يجب لهن من الكسوة وغيرها وفي الطلاق بعون الله ومنه وكرمه...».

ملاحظات على النسخة:

- كتب على هامش الخاتمة: «عرض على نسخته التي نسخ منها، والله أعلم بصحَّته».
- النسخة مكتملة من الطرفين بخلاف الأولى.
- ابتدأت بسرد ثلاثين بابًا في صفحتين.

*** ملاحظات على النسختين:**

- خطّ النسختين جميل، والنسخة (أ) أقدم من (ب)، إلَّا أنَّا اعتمدنا (ب) في ترقيم الصفحات لاكتمالها من الطرفين، وقلة خرماتها.
- ابتدأت النسخة (ب) بسرد أبوابها بخلاف النسخة الأقدم (أ)، حيث أخَّرناها لعدم ترقيمها وكثرة خرماتها بداية من سقوط مقدمتها، حيث تبدأ من وسط الصفحة (٨) من المخطوط من قوله: «ولبست أخرى من مالها وحالت السنة والكسوة...».
- ما أضفناه من النسخة (أ) نضعه ما بين عمودين هكذا: |...|.
- من خلال المقارنة يترجح لدينا أَنَّ النسخة (ب) نقلت من النسخة (أ)، فجعلناها المقدَّمَة في كثير من الترجيحات.
- الأرقام الموضوعة بين العمودين المائلين في المتن هي أرقام النسخة (ب).
- في النسختين يكتب أفعال المؤنّث بزيادة ياء فِي آخرها مثل: «إن ذكرتي... إن قمتي... بكيتي...» وهكذا؛ حَتَّى لا يشتبه بين ضمير المخاطب المذكر والمؤنث.

- وفي الأخير: يظهر أنَّ هـذا الجزء في: «حقوق النسـاء على الرجال» هو «الجزء الحادي عشـر» كما جاء في النسختين السـابقتين (ن) و(م): «تَمَّ «الجزء العاشر» من كتاب الضياء، ويتلوه إن شاء الله الجزء الحادي عشر: باب ما يَجب من حقوق النسـاء على الرجال»، ولم نجد من ذكر «الجزء الثاني عشـر»، بخلاف «الجزء الثالث عشر» الذي وُصف به الجزء الآتي كما وصف بالجزء العاشـر أيضًـا. كما يظهر فقدان الجزء الثاني عشـر، حيث لم نجد من ذكره من النسَّاخ ولو خطأ.

توصيف نسخ «الجزء العاشر» من كتاب الضياء في: «في الخيار والخلع والبرآن»

- **النسـخة الموجودة:** نسـخة أصليَّة بدائرة المخطوطـات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠٠٤. **ورمزنا لها بـ: «الأصل»**.

العنوان: الجزء العاشر من كتاب الضياء في الخيار بين الزوجين...

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: [مُحمَّد بن عابر] بن مُحمَّد بن عبد الله الحداد.

نسخه: للشيخ العالم الأبرّ عبد الله بن عمر [بن زياد] بن أحمد بن وليد.

تاريخ النسخ: نهار السبت لليلـ[ـتين] إن بقين من شهر رجب من شهور سنة خمس وأربعين سنة بعد تسعمائة سنة هجرية نبوية [٩٤٥/٧/٢٨هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ١٣٠.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ٢٠ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر والبنّي.

أوّل المخطوط: بعد البســملة «١ باب: في الخيار بين الزوجين والخلع والبرآن وأحكام ذلك: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ...﴾.

آخِـرُ المخطُـوط: «وقال قـوم: إذا خاف القتـل أو ضربًا شـديدًا، هاتان المسألتان من باب الطلاق وضعناهما في غير موضعهما. يتلوه إن شاء الله [...] تم الجزء العاشر من كتاب الضياء. تم كتاب الضياء في الخيار بين الزوجين...».

تَملُّكات: جـاء في بداية النسـخة هكذا: «آل هذا الكتاب بالشــراء من مالكه لصالح بن مُحمَّد بن صالح بن مُحمَّد بن عبدالسلام النزوي. آل هذا الكتاب بالشــراء من مالكه أفقر العبيد الراجي رحمــة ربه المجيد: عمر بن سعيد بن عبدالله بن ســعيد بن عمر بن أحمد بن [أبي] علي [بن معدّ] رزقه الله حفظه والعمل بما فيه، وجعله حجة له لا عليه إنَّه سميع مجيب. هـ».

ملاحظات على النسخة:

- كتب الناســخ في بداية النسخة وآخرها «الجزء الخامس عشر» ثُمَّ صوبها بالجزء العاشر.
- أخذنا العنوان من بداية ونهاية النسخة التي بها خرمات.
- النســخة ـ مع جودة خطها ووضوحهــا ـ فيها علامــات مائيَّة، وخرمات متعددة أكثرها في الجوانب والوسط.
- النسخة معروضة على نسختها كما قال الناسخ: «عرض على نسخته والله أعلم بصحَّته، وكان تَمام عرضه على يــدي [...] في ليلة الأربعاء لليلتين بقين من شهر رمضان من شهور سنة خمس وأربعين سنة وتسعمائة هجرية نبوية...».

- سرد ٢٤ بابًا قبل بداية الكتاب.
- ترك وضعف وخلط في إعجام الحروف.
- هذه النسخة الوحيدة التي حصلنا عليها من هذا الجزء ولم نجد لها مثيلًا، ولكن عند المقارنة مع مطبوعة التراث يظهر أنَّها طبعت من نسخة أخرى غير هذه التي اعتمدناها، فتركنا ما جاء في نسخة التراث بين معقوفين هكذا: [...].

توصيف نسخ «الجزء العاشر» أو «الثالث عشر» من كتاب الضياء في: «الدماء والدوابّ ومضارّها، والقضاء والدعاوى» [«الجزءان السادس عشر، والسابع عشر»]

وقع في هذا الجزء خلط كبير وترقيع كثير بين قطع متفرِّقة من المخطوطات، بداية من ترقيمه في المخطوط إلى تناثره بين النسخ، حيث رقِّمت نُسخ بـ«الجزء العاشر»، وأخرى بـ«الجزء الثالث عشر»، وهنا نذكر أوصافها بحسب ترتيبها الزمني كما وجدنا.

- **النسخة (١):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠٠٥. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. ومصوَّرة برقم ٥٦٥. **رمزنا لها بالحرف** (ص).

العنوان: الجزء الثالث عشر من كتاب الضياء في الدماء والدواب ومضارّها والقضاء والدعاوى.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: مُحمَّد بن سالم بن عمَّار العظم.

كتبه: للشيخ حمد بن عبد الله بن مُحمَّد بن كامل.

تاريخ النسخ: ضحى الاثنين لثلاث ليال إن بقين من شهر ذي القعدة من شهور سنة ثلاث سنين وستِّين سنة وألف سنة [١٠٦٣/١١/٢٧هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٣٦٣.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «ربِّ يسِّــر. الباب الأول: في دية الأصابع وجرحها وكسرها. يقال: أَصبُعٌ وإِصْبَعٌ وأُصبُعٌ وأَصْبَعٌ، والأصباع كلّها سواء اليدين والرجلين...».

آخِــرُ المخطُوط: «... ولا يفــرض عليه فريضــة إلَّا إذا كان في حدّ الغِنى. تَمَّ «الجزء الثالث عشــر» من كتاب الضياء في الدماء، والدوابّ ومضارّها، والقضاء والدعاوى»، ويتلوه إن شــاء الله تعالى الجزء الرابع [عشــر] من كتاب الضياء، أوَّله: «باب الأحكام بيــن الوالد والولد في الحقوق وغيرها».

ملاحظات على النسخة:

- أخذنا العنوان من بداية الجزء بعد سرد عشرين بابًا، ويزيد عليه: «ويتلوه إن شاء الله الجزء الرابع [عشــر] من كتاب الضياء في باب الأحكام بين الوالد والولد في الحقوق وغيرها».
- هذه النســخة اعتمدناها كأصــل، وهي الأقدم والأكمــل، إذ جمعت بين كتابين، كتاب: «الدماء والــدواب والمضار» وكتاب: «القضاء والدعاوى»، الأول ينتهي إلى «باب ١٣: في الدوابّ والطير وأحكامها...»، والثاني إلى «باب ١٤: في القضاء ومن يَجوز أن يُولَّى».

- نســخة قديمة جميلة الخط، بها تآكل من بعض الجوانب وكثرة الثقوب، وقد تعرَّضت لبعض العوامل الطبيعية التي أثرت فيها.
- نسخة مشابهة للنسخة الرابعة (ع) كثيرة الخروم والسقط.

• **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. مصوَّرة برقم ٥٣٥. **رمزنا لها بالحرف (أ).**

العنوان: الجزء العاشر من كتاب الضياء في القضاء والقاضي والدعاوى والأحكام بين الناس في الحقوق وأحكام ذلك...

المؤلِّف: الشيخ سلمة بن مسلم.

الناسخ: لعلَّه لذاكر اسمه بعد سرد الأبواب «بشير بن سعيد بن عبد الله بن أبي سبت».

كتبه: للشيخ حمد بن عبد الله بن مُحمَّد بن كامل.

تاريخ النســخ: يوم الجمعة المباركة من شــهر رمضان المبارك من سنة سبع وثمانين وألف سنة [١٠٨٧/٩هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٢١٩.

عدد الكلمات في السطر: ١٧ - ٢٠ كلمة.

المسطرة: ٢٥ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطوط: بعد البســملة «١ باب: في القضــاء ومن بعض الكتب. قيل: كان القاضي إذا مات من بني إســرائيل جُعل في أزجّ أربعين سنة فإن تغيَّر منه شيء علموا إنَّه كان يَجور في حكمه...».

آخِرُ المخطُوط: «... والذي يدَّعي علَى أحدٍ حقًّا، فيقول: إنَّه أوفاه، وليس له بيِّنة؛ فتجب اليمين علَى المدَّعـي الأوَّل، فيحلف والله إنَّ علَى فلان هَذَا لفلان بن فلان كذا وكذا درهمًا إلـى يومه هذا، ما صارت إليه، ولا يبرأ إليه من ذلك. تم الجزء والحمد لله رب العالمين يوم...».

تَملّكات: «للشـيخ العالم الوليّ عبدالله بن عامر بن عبدالله بن سـعيد العقري النزوي آل هذا الكتاب بالشراء الصحيح من إرث الشيخ عبدالله بن عامر للعبد الأقلّ لله مُحمَّد بـن عبدالله بن جمعة بن عبيدان، كتبه مُحمَّد بن عبدالله». ثُمَّ «آل الكتاب الشـريف بالشراء الصحيح للشـيخ الوالي والولي الثقة... مُحمَّد بن يوسف بن طالب بن راشـد العبري... واشتراه من الشيخ العالم العلامة خلف بن سـنان بن خلفان بن عثيم الغافري» ثُمَّ استعاره من «الوالد الثقة مسـعود بن مُحمَّد بن يوسـف بن طالب العبـري... عدي بن سليمان بن راشد الذهلي الرستاقي بيده».

ملاحظات على النسخة:

- هذا الجزء مقسَّم بين جزأين في المطبوع لتشابههما وتداخلهما.
- أخذنا العنوان والمؤلِّف من الصفحة الأولى المسـتقلة في بداية الكتاب بِخَـطّ حديث، وفي نهاية الجزء لـم يرقم الجزء ولا عنوانـه، قائلًا: «تَمَّ الجـزء والحمـد لله ربّ العالمين في يـوم الجمعة المباركة من شـهر رمضان...».
- ذكر في الصفحة الثانية صيغة لفظ إجارة الحجَّة وإجارة الصوم، ثُمَّ شرع في سـرد ترتيب أبواب الجزء صفحة ونصف، وأتمها الناسـخ في آخر الصفحة الثانية بقوله: «وتمت الأبواب بعون الملك الوهاب... بشـير بن سعيد بن عبدالله بن أبي سبت».

- في الصفحة الثالثة كتب بِخَطّ حديث القصيدة التي مدح المؤلِّف فيها كتابه في ١٩ بيتًا صدرها: «هذا كتاب ضياء للقلوب أخي...».
- نلاحظ اختلاف البداية والنهاية في هذا الجزء، كما لم يذكر الناسخ اسم الجزء الذي انتهى منه.
- زيادة في نهاية الكتاب من خمس عشرة صفحة في نفس مواضيع الكتاب في الدواب والضمان وغيرها.
- هذه النسخة جيِّدة وواضحة عمومًا. يكتب «صلى الله عليه وآله» بدل «صلّى الله عليه وسلّم».

- **النسخة (٣):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. رقم ٨٠٩. **ورمزنا لها بالحرف** (ب).

العنوان: الجزء العاشر من كتاب الضياء في القضاء والقاضي والدعاوي والأحكام بين الناس في الحقوق وأحكام ذلك.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: خلف بن مُحمَّد بن خنجر بن سعيد بن عقيلة.

تاريخ النسخ: نصف النهار من يوم الاثنين وخمس ليالٍ خلون من شهر شعبان من شهور سنة ست سنين ومائة سنة وألف سنة من الهجرة النبوية الإسلامية [١١٠٦/٨/٥هـ].

مكان النسخ: بحصن الرستاق من عُمان.

نسخه: لسيِّده ومولاه الكامل الفاضل كهف اليتامى والأرامل: سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي.

عدد الصفحات: ٤١٤.

عدد الكلمات في السطر: ١٢ – ١٥ كلمة.

المسطرة: ١٥ سطرًا.

التعقيبات: كلمتان أو ثلاث.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: في القضاء ومن بعض الكتب. قيل: كان القاضي إذا مات من بني إسرائيل جُعل في أزجّ أربعين سنة فإن تغيَّر منه شيء علموا إنَّه كان يَجور في حكمه...».

آخِرُ المخطُوط: «... والذي يدَّعي علَى أحدٍ حقًّا، فيقول: إنَّه قد أوفاه، وليس له بيِّنة؛ فتجب اليمين علَى المدَّعي الأوَّل، فيحلف والله إنَّ علَى فلان هَذَا لفلان بن فلان كذا وكذا درهمًا إلى يومه هذا، ما صارت إليه، ولا يبرأ إليه من ذلك. تم الكتاب وهو الجزء العاشر من كتاب الضياء...».

تَملُّكات: في نهاية المخطوط كتب انتقال الكتاب «انتقل هذا الكتاب لعليّ بن خلفان بن عليّ.. شراء من بلعرب بن سلطان سنة ١١٩٩».

ملاحظات على النسخة:

- أخذنا العنوان من نهاية الجزء، وقد زاد عليه «ويتلوه إن شاء الله الجزء الحادي عشر في الشهادة والحقوق وأحكامها من كتاب الضياء...». ثُمَّ تلته ثلاث صفحات وثلاثة أسطر (في الصفحة ٤١٨) أنهاها بجميع المعلومات المفصلة التي دوناها آنفًا.
- الكتاب معروض على نسخته المنقولة منه كما جاء في نهايته: «تَمَّ معروضًا على النسخة التي نسخ منها والحمد لله رب العالمين».
- بدأ الكتاب بترتيب ٣٣ بابًا في صفحتين ونصف.

- **النســخة (٤):** نســخة أصليَّة بمكتبة المستشــار الســيد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، السيب، سلطنة عُمان. الرقم: ١٠٥٤. **رمزنا لها بالحرف** (ع).

العنوان: الجزء الثالث عشر من كتاب الضياء في الدماء والدواب ومضارّها والدعاوى.

المؤلِّف: الشيخ العالم العلَّامة سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: خلف بن محمد بن خنجر بن سعيد بن عقيلة.

كتبه: للشيخ الفقيه الولي عامر بن محمد بن عامر بن خلف الشامسي.

تاريخ النسخ: تمامه لثماني ليالٍ خلون من شهر المحرم أحد شهور سنة واحد وأربعين سنة ومائة سنة وألف سنة [١١٤١/١/٨هـ].

مكان النسخ: حصن بهلا.

عدد الصفحات: ٣٣٦.

عدد الكلمات في السطر: ١١ - ١٣ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرا.

التعقيبات: كلمتان وأكثر.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البســملة «١ باب: في دية الأصابع وجرحها وكســرها. وقال: أَصبُعٌ وإِصْبَعٌ وأُصبُعٌ وأَصْبَعٌ، والأصباع كلّها سواء اليدين والرجلين...».

آخِرُ المخطُوط: «... ولا يفرض عليه فريضة إلَّا إذا كان. تَمَّ الجزء الثالث عشــر من كتاب الضياء في الدماء، والدوابّ ومضارّها، والقضاء والدعاوى، ويتلوه إن شــاء الله تعالى الجزء الرابع عشــر من كتاب الضيــاء، أوَّله باب الأحكام ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم».

تَملّكات: وهو ملك الشيخ الفقيه عامر بن محمد بن عامر بن خلف الشامسي. وعليه تمليكات أخرى غير واضحة.

ملاحظات على النسخة:

- بعدما أنهى الناسخ سرد ١٩ بابًا في صفحة، ختمها في نصف الصفحة التي تليها بقوله: «الجزء الثالث عشر من كتاب الضياء في الدماء والدواب ومضارّها والدعاوى. ويتلوه إن شاء الله الجزء الرابع عشر من كتاب الضياء أوله باب الأحكام بين الوالد والولد في الحقوق وغيرها لصاحبه ومالكه...».
- ذكر في الخاتمة «عرضناه على نسخته التي نسخ منها على قدر الطاقة والإمكان وكان تمامه...».
- هذه النسخة شبيهة بالنسخة (ص) في ترتيبها ومواضيعها، لكنَّها مليئة بالأخطاء والسقط؛ فلم نقارنها بالنسخة (ص) إلَّا في بعض المواضع الناقصة والمشكوك فيها.

*** ملاحظات عامَّة على النسخ:**

- سبق أنَّ النسختين (أ) تسمَّت في بدايتها فقط بـ«الجزء العاشر من الضياء في القضاء والقاضي والدعاوى والأحكام»، وكانت النسخة (ب) عكس الأولى إذ لا نجد تسمية في بدايتها، وإنَّما وجدنا تسميتها بـ«الجزء العاشر» في نهايتها.
- النسختان (أ) و(ب) خطّهما واضح وجميل، خاليتان من الفراغات والبياضات والخرمات. ومتطابقتان إلى حدٍّ كبير، مِمَّا يومئ أنَّ النسخة (ب) قد نقلت من النسخة (أ) أو من النسخة التي نقلت منها (أ).
- ما أضفناه من النسختين (أ) و(ب) نضعه بين عمودين هكذا: |...|، وأمَّا ما كان بين أربعة أعمدة هكذا ||..|| فعكسه أي الساقط من النسختين (أ) و(ب).

- في منتصف النسخة (ص) تقريبًا تشترك مع النسختين (أ) و(ب) في: «باب في القضاء» فقارنَّاها جميعًا.
- تختلف النسختان (أ) و(ب) عن (ص) في مواضع بعض الفقرات، ولم نقف على الأسباب، وعبارتهما في الغالب أفضل من عبارة (ص)، وقد اعتمدنا (ص) في المخطوط وترقيم الأبواب.
- النسخة (ص) شبيهة بالنسخة (ع)، لكن (ع) مليئة بالأخطاء والسقط؛ فلم نقارنها إلّا في مواضع النقص أو الشكّ في النسخة (ص).
- النسخ لا تخلو من النقص والسقط بسبب انتقال النظر بين العبارات في الغالب؛ فلهذا لا يمكن الاستغناء عن أيِّ نسخة إلا عن (ع) كما أوضحنا قبل، وكلّ منها يكمّل الأخرى، بل توجد مسائل وفقرات في (ص) سقطت من (أ) و(ب)، والعكس قليل.
- وجدنا مسائل كثيرة متكرِّرة ومتشابهة بين الأجزاء (١٧) والجزء (١٨) والجزء الرابع من هَذه الموسوعة، كما أنَّ هناك مسائل أيضًا تتشابه بينها وبين ما جاء في مصنف الكندي (ج١٤). وفي بعض الأحايين نشير إلى تصويب عبارة أو تقويمها أو مقارنتها من مصدر ما؛ فنضع النصّ الذي نقله المؤلِّف من ذلك المصدر بين علامتي تنصيص، ونكتفي بالإشارة فقط من دون ذكر إعادة المصدر؛ فلينته.
- هناك مسائل يظهر أنَّها من زيادات النسَّاخ نقلوها من كتاب المصنَّف للكندي، فقد ذُكر كتاب «المصنَّف» مرَّتين في هَذَا الجزء نقلًا منه بالنصِّ، وكان هَذَا مُحدَثًا في هذين الجزأين. نظرا لتداخل أبواب الدعاوى والشهادات والإقرار، فإنَّها تتكرَّر في ما بينها في كثير من المسائل، كما تتكرَّر في باب الأحكام والقضاء.. كما أنَّ هناك تداخلًا بين الأبواب، حيث يذكر أجزاءً في باب وأجزاء في أخرى، أو يكرِّر أجزاء من مسألة ما، أو مسألة برُمَّتها.

توصيف نسخ «الجزء الرابع عشر» من كتاب الضياء في: «أحكام الوالد والولد والدّعاوى والمديون وجواز الدراهم وغير ذلك» [الجزء السابع عشر]

- **النسخة (١):** نســخة أصليَّة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٠٠٦. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. ومصوَّرة بالتراث أيضًا تحت رقم: ٥٦٦. **ورمزنا لها بالحرف** (ق).

العنوان: «الجزء الرابع عشــر من كتاب الضياء في أحكام الوالد والولد والدعاوى والمديون وجواز الدراهم وغير ذلك».

المؤلِّف: لم يذكر باســمه وإنما ذكر في أول صفحة من المخطوط بيت شعر في مدح المؤلف.

الناسخ: «مُحمَّد بن ربيعة بن مُحمَّد بن موسى».

نسخه: «لشيخه عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن المعــد»، وهو المهتمُّ بأجزاء كتاب الضياء نســخًا أو تَملُّــكًا، منها: الأجزاء الثاني والرابع والسادس والتاسع والرابع عشر... وغيرها.

تاريخ النسخ: «يوم الاثنين يوم حادي عشر من شهر جمادى الآخر سنة ثمانٍ وتسعين سنة بعد تسعمئة سنة [١١/٦/٩٩٨هـ]».

عدد الصفحات: ١٧٤ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٤ - ١٦ كلمة.

المسطرة: ٢٠ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر القاني.

أوَّل المخطوط: يبدأ الكتاب في الصفحة الثالثة من المخطوط بالبسملة «باب في الأحكام بين الوالد والولد في الحقوق وغيرها. قال أبو عبد الله..».

آخِرُ المخطُوط: «تَمَّ الجزء الرابع عشر من كتاب الضياء في: أحكام الوالد والولد والدعاوى والديون، وجواز الدراهم وغير ذلك، ويتلوه إن شاء الله: الجزء الخامس عشر من كتاب الضياء في: «الشهادات بالحقوق وأحكامها»، في يوم الاثنين يوم حادي عشر من شهر جمادى الآخر من شهور سنة ثمان وتسعين سنة بعد تسعمئة سنة لهجرة خير الخلق سيِّد عدنان مُحمَّد ﷺ، وكان تمام نسخه عَلَى يدي أفقر العباد رحمة ربه في الدنيا ويوم التناد مُحمَّد بن ربيعة بن مُحمَّد بن موسى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إنَّه مجيب الدعوات...».

ملاحظات على النسخة:

- تبدأ الصفحة الأولى من المخطوط ببيت شعر في مدح المؤلف، وأبيات شعرية أخرى. وفي الصفحة الثانية عنوان الكتاب وترتيب الأبواب.
- تخلو النسخة (ق) من إعجام الحروف في الغالب، وتضع النقاط فِي غير مواضعها.
- المخطوط يختمها الناسخ بمسائل أخرى من غير الكتاب. ثُمَّ بسيرة الموافقة عن الشيخ أبي المؤثر الصلت بن خميس.

• **النسخة (٢)**: نسخة أصليَّة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم العام: ١٦٢٩. والرقم الخاص: ٨٨ ب فقه. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: الجزء الرابع عشر من الضياء في أحكام الوالد والولد والدعاوى والمديون وجواز الدراهم وغير ذلك.

المؤلِّف: الشيخ العالم سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري..

الناســخ: عبد الله بن ســليمان بن عبد الله بن عليّ بـــن مانع بن عليّ بن مُحمَّد بن إسماعيل.

نسخه: لسيِّده الإمام سيف بن سلطان بن مالك بن بلعرب اليعربي.

تاريخ النسخ: يوم الأحد إحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ذي الحجّ الحرام، سنة ست سنين ومئة سنة وألف سنة، [١١٠٦/١٢/١٩هـ].

مكان النسخ: مَحلّة الشاعري من قرية إبرا.

عدد الصفحات: يقع الكتاب في٢٨٣ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٣ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمتان أو أكثر.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ جميل، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: فـــي الصفحة الأولـــى: ترتيب أبـــواب الكتاب، وفي الصفحة الثانية عنوان الكتاب واســـم مؤلفه، ثُمَّ ذكر انتقال ملكية الكتاب مِمَّن نســـخ له إلى آخر من ملكـــه. ويبدأ الكتاب في الصفحـــة الثالثة من المخطوط بـالبسملة ثُمَّ «١ باب: في الأحكام بين الوالد والولد في الحقوق وغيرها. قال أبو عبد الله..».

آخِرُ المخطُوط: «تم الجزء المبارك، وهو الجزء الرابع عشـــر من كتاب الضياء في: «أحكام الوالـــد والولد والدعاوى والديون، وجواز الدراهم وغير ذلك»، ويليه: الجزء الخامس عشر من كتاب الضياء في: «الشهادات بالحقوق وأحكامها. تَمَّ الجزء المبارك بعون الله».

تَملُّكات: جاء في أول ورقة من المخطوط أنه: «للإمام سيف بن سلطان بن سيف رضيه الله، صار للإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي أعزه الله ونصره. وكتبه عبده: مُحمَّد بن إبراهيم بن سبهان بيده». وفيها أيضًا: «انتقل إلي هذا الجزء المبارك وأنا الفقير إلى الله تعالى: سيف بن سعيد بن خلف بن زامل المعولي المسلماتي السري من سوق نخل، والمنادي عليه: صالح بن مُحمَّد بن علي بو جامع النخلي، وقيمته عشر مُحمَّديات، كتبه: سيف بن سعيد بيده. ليلة: ٩ ربيع الأخرى سنة ١١٦٧». وأكد ذَلِكَ أيضًا بخطه: «هذا الجزء للفقير لله سيف بن سعيد بن خلف بن خميس بن مسعود الزاملي المعولي المسلماتي». وقد سجل المالك في ظهر الورقة الأولى أيضًا تاريخ وفاة والدته فكتب: «تاريخ يوم توفت الوالدة العزيزة الشفيقة: خويصة بنت خلف بن مُحمَّد الخروصية نهار الجمعة الزهراء لخمس ليال خلون من شهر رجب من سنة ثمانٍ وستين سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة وكتبه سيف بن سعيد بن خلف المعولي بيده».

ملاحظات على النسخة: المخطوط سليم من أوله إلى آخره، وليس فيها أيّ خرم. كما أنَّ خطه جميل واضح ومضبوط النقط. وفي هذا المخطوط بعد خاتمة الناسخ مسائل أخرى من غير الكتاب، وهي المسائل نفسها المذكورة في النسخة (ق)، مع سيرة الموافقة عن الشيخ أبي المؤثر الصلت بن خميس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* ملاحظات في المقارنة بين النسختين:

- جعلنا النسخة (ق) كأمّ؛ لأنَّها الأقدم تاريخًا، وعليه فقد أثبتنا أرقام صفحات هذه النسخة من دون الأخرى، ووضعناها بين خطَّين مائلين.
- استفدنا من النسخة (م) كثيرًا في ضبط بعض الألفاظ غير المفهومة بسبب ترك إعجامها في النسخة (ق).

- يظهر مـن خلال المقارنة أن النسـخة (م) قد اعتمدت في نسـخها على النسخة (ق)، ولتشابه الأخطاء والبياضات الموجودة في النسختين (ق).
- يشير الخطَّان العموديان |..| إلى ما أضيف من (م) ولا يوجد في (ق)، فليتنبه.

توصيف نسخ «الجزء الخامس عشر» من كتاب الضياء في: «الوصايا والمواريث» [الجزء التاسع عشر]

- **النسخة (١):** نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان. الرقم ٢٦٨، و٣٤٣١. **ورمزنا لها بالحرف** (أ).

العنوان: الجزء الخامس عشر في الوصايا والمواريث من كتاب الضياء.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: راشد بن مسعود بن مبارك بن فارس الربخي البهلوي.

تاريخ النسـخ: نهار يوم الأربعاء لعشـر ليال خلون من شهر ذي القعدة من شهور سنة ثماني سـنين وأربعين سنة وألف سـنة [١٠٤٨/١١/١٠هـ] لهجرة سيّدنا مُحمَّد ﷺ.

نسـخه: للأخوين في الله الفقيهين التقيّين النقيّين: عمر وغسَّان ابني مسعود بن هاشم بن غيلان.

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٢٧٩.

عدد الكلمات في السطر: ١٢ - ١٤ كلمة.

المسطرة: ٢٤ سطرًا.

التعقيبات: كلمتان وأكثر.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطــوط: بعد البســملة «١ باب: في الوصايا والإقــرار بالحقوق والــزكاة وَالْحَجّ والصيام... اتَّفَق الناس علــى أنَّ وصيَّة الرجل تُجعل حيث جعلها...».

آخِرُ المخطُــوط: «وخالات وأخوال المــال للجــدّ، إلَّا أن يكون مكان الخالات والأخوال عمّات وأعمام فللجدِّ الثلث والثلثان للعمّات. هذا الكتاب للعبد الفقير لله تعالى عمر بن مسعود... تم الجزء المبارك وهو الخامس عشر في الوصايا».

ملاحظات على النسخة:

- هذا الجزء قارنَّاه من نسختين مخطوطتين (أ) و(ب)؛ الأولى (أ): اعتمدناها كأصل.
- النسخة معروضة كما قال الناسخ: «عرض على تصحيحه من النسخة التي نسخ منها ـ والله أعلم ـ في صبيحة في نهار يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة تسع ســنين وأربعين سنة وألف سنة [١٠٤٩/٤/١٤هـ]».
- بدأت النسخة بالعنوان وسرد ترتيب ٥٩ بابًا في صفحة ونصف وأتم بقيَّة الصفحة بمسألة «من منثورة من آثار المسلمين».
- أتبع الناسخ بعد انتهاء الكتاب صفحة ونصفًا في مسائل متعلقة بالميراث. وزاد بجوانب الخاتمة البيتين:

«ستبقى خطوطي برهة بعد موتي — إلَّا أنَّهــا تبقــى وتفنــى أناملي

فـيا ناظـرًا فيها ســل الله رحمة — لكاتبها المدفون تحت الجنادل»

- **النسـخة (٢):** نسـخة أصليَّة بمكتبة المستشار السـيد مُحمَّد بن أحمد البوسعيدي، السيب، سلطنة عُمان، رقم: ٢٢٢. **ورمزنا لها بالحرف** (ب).

العنوان: الجزء الخامس عشر في الوصايا والمواريث من كتاب الضياء.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: ناصح بن مُحمَّد بن ناصح بن صالح بن غلاب بن كهلان البهلوي.

تاريخ النسـخ: ظهر الخميس المباركة وثماني ليال إن بقين من شـهر شوال عمت علينا ببركته في سنة خمس عشرة سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة النبويّة [١١١٥/١٠/٢٢هـ]...

نسـخه: للأخوين في الله الفقيهيـن التقيّين النقيّين: عمر وغسَّـان ابني مسعود بن هاشم بن غيلان.

مكان النسخ: حصن قرية لوى.

عدد الصفحات: ٢٧٩.

التعقيبات: كلمتان وأكثر.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: في الوصايا والإقرار بالحقوق والزكاة وَالْحَجّ والصيام... اتَّفَق الناس على أنَّ وصيَّة الرجل تُجعل حيث جعلها...».

آخِرُ المخطُـوط: «وخالات وأخـوال المال للجـدّ، إلَّا أن يكون مكان الخالات والأخوال عمّات وأعمام فللجدِّ الثلث والثلثان للعمّات. تَمَّ الجزء المبارك وهو الجزء الخامس عشر في الوصايا والمواريث من كتاب الضياء. وكان الفراغ من نسخه...».

ملاحظات على النسخة:

- النسخة معروضة كما دوّن الناسخ باللون الأحمر: «قد تمّ معروضًا على نسخته على حسب الطاقة والإمكان».
- كتبت المخطوطة في عصر سيّدنا المؤيّد الفاضل إمام المسلمين سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي.

*** المقارنة بين النسختين:**

- هذا المجلّد قارنّاه من نسختين مخطوطتين (أ) و(ب)؛ الأولى (أ): اعتمدناها كأصل.
- الكلمات المضافة من النسخة (ب) نضعها بين عمودين هكذا: |...|، وأمّا الأرقام التي بين العمودين المائلين هي أرقام صفحات النسخة (أ).

توصيف نسخ «الجزء السابع عشر» أو «التاسع عشر» من كتاب الضياء في: «اليتيم والأعمى والشركة» [المجلّد الثامن عشر]

- **النسخة (١):** نسخة أصلية بمكتبة الشيخ محمّد بن أحمد العبري بالحمراء، سلطنة عُمان. من دون رقم، **ورمزنا لها بالحرف** (ع).

العنوان: الجزء السابع عشر من كتاب الضياء في اليتيم والأعمى والشركة في الأموال.

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: سعيد بن خلفان بن سعيد بن عطاس.

نسخه: للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان.

تاريخ النسخ: نهار الجمعة الزهراء لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول من شهور سنة تسع وثمانين سـنة وألف سـنة هجرية نبوية على مهاجرها الصلاة والسلام [١٠٨٩/٣/٧هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٤٩٠.

عدد الكلمات في السطر: ١٠ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمتان وأكثر.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسـملة «١ باب: في اليتيم وما يستحبّ من الفعل له وفيه... عن النبيّ ﷺ قال: «**مَن تولّى يَتيمًا لَه أَو لِغَيره فَاتَّقى اللهَ وأَحسـنَ كانَ مَعِي في الْجَنَّة كَهَاتَيْنِ...**».

آخِرُ المخطُوط: «وإن كان بسـهم غير معروف انتقـض ذلك، ورجع إِلَى عمل مثله، وبالله التوفيق. تم ما وجدته عرض على نسخته... تم الجزء السابع عشر... ويتلوه الجزء الثامن عشر من كتاب الضياء أوله في المضاربة...».

ملاحظات على النسخة:

- آخر صفحة في المخطوطة فيها ستَّة أبيات للشيخ خلف بن سنان الغافري.
- تبدأ النسخة (ع) بعد كتابات مختلفة من أشعار ومعلومات، وذكر الأبواب الثلاثة والثلاثين بقول الناسـخ في الصفحة السابعة: «الجزء السابع عشر من كتاب الضياء في اليتيم والأعمى والشركة في الأموال... ويتلوه الجزء الثامن عشر من كتاب الضياء أوله في المضاربة...».

هذه النسخة هي الأقدم، لكنَّها وصلتنا متأخِّرة غير مرقَّمة فاستعنَّا بها في ضبط النصّ ولم نثبت ترقيمها في المتن.

- **النسخة (٢):** نسخة مصوَّرة بمكتبة المستشار السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، بالسيب، سلطنة عُمان. الرقم: ٥٤٩، وصورة بوزارة التراث رقم: ٥٧٠. **ورمزنا لها بالحرف (ت).**

العنوان: الجزء التاسع عشر من كتاب الضياء في اليتيم واللقيط والمجنون والأعجم والأبله...

المؤلِّف: الشيخ العالم العلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العُماني العوتبيّ الصحاري.

الناسخ: سالم بن سعيد الصائغي بتاريخ: ١٢٠٩/٨/٢٧هـ.

نسخه: للشيخ الفقيه الثقة عبدالرحمٰن بن مُحمَّد بن بلعرب البطاشي.

تاريخ النسخ: يوم الثلاثاء ٢٩ شوال سنة ١٢٠٩ من الهجرة النبوية [١٢٠٩/٨/٢٧هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٢٥٦.

عدد الكلمات في السطر: ١٢ - ١٦ كلمة.

المسطرة: ٢٢ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «١ باب: في اليتيم وما يستحبّ من الفعل له

وفيه... عن النبيّ ﷺ قال: «**مَن تولّى يَتيمًا له أو لِغَيره فاتّقى اللهَ وأَحسنَ كانَ مَعِي في الْجَنَّة كَهَاتَيْنِ...**».

آخِرُ المخطُوط: «وإن كان بسهم غير معروف انتقض ذلك، ورجع إِلَى عناء مثله، وبالله التوفيق. تم الجزء التاسع عشر من كتاب الضياء في اليتيم واللقيط والمجنون...، ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون من كتاب الضياء في البيوع والمضاربة والرهن وغير ذَلِكَ من كتاب الضياء».

ملاحظات على النسخة:

- تبدأ النسخة بصفحة مليئة بكتابات مختلطة لا علاقة لها بالكتاب، وفي الصفحة الأولى (١) كتب فيها ما ذكر في وصف المخطوطة. نسخها.

- **النسخة (٣):** نسخة أصلية بمكتبة الشيخ الحاج صالح لعلي ببني يسقن غرداية، الجزائر. رقمه في الفهرس: ٤٦٨، ورقمه في الخزانة: م٦. **ورمزنا لها بالحرف** (م).

العنوان: الجزء السابع عشر من كتاب الضياء في اليتيم والأعمى والشركة في الأموال والطرق....

المؤلِّف: [أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبيّ الصحاري].

الناسخ: زهران بن خلفان بن سرور بن سليمان بن مهنا بن سيف بن سلطان اليعربي المرشدي النخلي الإباضي.

تاريخ النسخ: يوم الأحد خمسة وعشرون من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٩ تسع وعشرين وثلاثُمَّائة بعد الألف من الهجرة [١٣٢٩/٣/٢٥هـ].

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٤٠٨.

الحجم: ٢٥,٩×١٨,٥سم.

عدد الكلمات في السطر: ١١ - ١٣ كلمة.

المسطرة: ١٦ - ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود والأحمر والبنِّي.

أوَّل المخطوط: بعد البسملة «باب: في اليتيم وما يستحبّ من الفعل له وفيه... عن النبيّ ﷺ قال: «**مَن تولَّى يَتيمًا له أَو لِغَيره فَاتَّقى اللهَ وأَحسنَ كانَ مَعِي في الْجَنَّة كَهَاتَيْنِ...**».

آخِرُ المخطُوط: «وإن كان بسهم غير معروف انتقض ذلك، ورجع إِلَى عمل مثله، وبالله التوفيق. تمَّ الجزء السابع عشر من كتاب الضياء... ويتلوه الجزء الثامن عشر من كتاب الضياء أوله في المضاربة...».

ملاحظات على النسخة:

- أخذنا العنوان من نهاية المخطوطة في الصفحة ٤٠٨، وزاد الناسخ بعد تمامه: «ويتلوه الجزء الثامن عشر أول باب في المضاربة».
- بدأ الكتاب بعد سرد ٣٣ بابًا في صفحتين.
- من ص٤٠٨ إلى ص٤١٨ مسائل مختلفة في العقيدة، وفي الفقه لابن محبوب، وجوابات لسعيد بن أحمد بن محمّد بن صالح.

*** المقارنة بين النسخ:**

- أثبتنا في المتن المحقَّق ترقيم النسخة (ت).
- ما سقط من النسخة (ت) نضعه بين خطّين عموديين هكذا: |...|، وأمَّا ما سقط من النسختين (ع) أو (م) فيشار إليه في الهامش.

توصيف نسخ «الجزء الحادي والعشرين» من كتاب الضياء في: البيـوع [المجلَّد الحادي والعشرون]

- **هناك نســخة وحيدة لهذا الجزء:** مصــوَّرة بدائــرة المخطوطات، وزارة التــراث والثقافة، ســلطنة عُمــان، رقــم: ١١٣٠. مقدَّمة من المشــايخ بالجزائر، من مكتبة الشيخ الحاج صالح لعلي ببني يسقن، غرداية. وقد أشرنا إليها بـ: «الأصل».

العنوان: الجزء الحادي والعشرون من كتاب الضياء في البيوع.

المؤلِّف: لم يذكر اسم المؤلف في المقدمة ولا في الخاتمة.

الناســخ: زهران بن خلفان بن سرور بن ســليمان بن مهنا بن سيف بن سلطان بن مرشد اليعربي النخلي مسكنًا.

تاريخ النسخ: يوم الخميس من شهر الحجّ سنة ١٢٢٨هـ، ثمانية وعشرين ومئتين بعد الألف من الهجرة النبويَّة.

عدد الصفحات: ٤٠٧ صفحات؛ وفيها من الصفحة ٣٩٢ إلى آخرها مسائل من غير كتاب الضياء.

عدد الكلمات في السطر: ٩ - ١٢ كلمة.

المسطرة: ١٧ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشــرقيّ جميل، ويبدو أنه كتب بلونين من المداد؛ لأن النسخة مصوَّرة بلون واحد.

أوَّل المخطوط: من الصفحة الأولى إلى الصفحة الرابعة ترتيب الأبواب، ويبدأ نص الكتاب من الصفحة الخامسة بالبســملة ثُمَّ: «باب: في المضاربة

وأحكامها. المضاربة جائـزة، ولا تجوز إلَّا بالدراهـم والدنانير؛ وذلك: أن يدفع رجل إلى رجل دراهـم مضاربة بينهما على ما رزق الله تعالى من ربح فهو بينهما أو على جزء يتفقان عليه عند ذلك، فذلك جائز».

وفـي آخِر الكتـاب: «ومعلوم أن هـذا القول من النبـيّ ﷺ لا من طريق الإباحة، وإنَّمَا هو بيان منه أن بائع الخمر بِمثابة من يستقضي الخنازير، يراهما في باب المأثَمِ بمثابـة واحدة، وإن كان كلّ واحد منهمـا قد أتى غير ما أتى صاحبه. تَمَّ والله أعلم. تَمَّ الكتاب بعـون الملك الوهاب، وهذا الجزء الحادي والعشرون فِي البيوع من كتاب الضياء، وصلَّى اللهم علَى سيدنا مُحمَّد ﷺ».

أما آخر المخطوط: «تَمَّ الكتاب بعون الله الملك الوهاب، وكان تمامه يوم الخميس من شهر الحجّ سـنة ١٢٢٨هـ، ثمانية وعشرين ومئتين بعد الألف من الهجـرة النبويَّة علَى صاحبهـا أفضل الصلاة وأزكـى التحيَّة. على كاتبه أحقر الأنام خادم الحقّ زهران بن خلفان بن سـرور بن سليمان بن مهنا بن سيف بن سلطان بن مرشد اليعربي، النخلي مسكنًا، والإباضي مذهبًا».

ملاحظات على النسخة:

- المخطوط سـليم وخالٍ من النقـص والخرمات، وخطّـه واضح بيِّن لا غموض فيه.

*** ملاحظات من خلال المقارنة:**

- لعدم وجود نسـخة أخـرى من هذا الجـزء قمنا بمقارنـة النصوص التي نستشـف أنَّها نقلت من كتاب معيّن مع ذلك الكتـاب؛ ولهذا قارنّا معظم نصـوص الجزء الثاني مـن جامع ابن بركـة المتعلّقة بأبـواب المضاربة والبيوع والسـلف والرهن مع هـذا الجزء من الضيـاء، فوجدنا الخطأ أو النقص في هذه النسخة أحيانًا، وأحيانًا في جامع ابن بركة، فأثبتنا الأصوب

من الكتابين، وأشرنا إلى ما كان من خطأ أو نقص في هذا الكتاب، ولكن لم نشـــر إلى ما في جامع ابن بركة من الأخطاء والتصحيفات مقارنة بهذا الكتاب؛ لأننا لســـنا بصدد تحقيق جامع ابن بركة، ولهذا على ذوي الهمم العالية إن شعروا بخلل في نصه أن يرجعوا إلى هذا الجزء من الضياء. كما قارنّا بعض نصوص هذا الكتاب مع جامع أبي الحســـن البسيوي، وكتاب الإيضاح في الأحكام لأبي زكريا النزوي، والله الموفِّق للصواب وهو أعلم وأحكم.

توصيف الجزء المضاف على كتاب الضياء في: «الشهادات والبيِّنَة» [الجزء الثاني والعشرون]

هذا الجزء تعمَّدنا بداية مطبوعته بمقدمة مهمة فيها: «تنبيه لا بدَّ منه» فراجعه في محله.

- نسخة مصوَّرة بدائرة المخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان.

الرقم: ٥٦٣. **ورمزنا لها بـ: «الأصل»**.

العنوان: كتاب الأحكام من الضياء.

المؤلِّف: أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاري الإباضي العُماني.

الناسخ: من دون.

تاريخ النسخ: من دون.

مكان النسخ: من دون.

عدد الصفحات: ٣١٢ صفحة.

عدد الكلمات في السطر: ١٢ ـ ١٥ كلمة.

المسطرة: ٢٢ سطرًا.

التعقيبات: كلمة أو كلمتان.

الخطّ والمداد: كتب بِخَطّ نسخ مشرقيّ، بالأسود وغيره.

أوَّل المخطوط: «١ باب: في حمل البيِّنَــة. وقِيلَ: لا تُحمَل البيِّنَة من بلد إلى بلد في الدَّين ولا في الوكالات ولا في الوصايا ولا في الوصيَّة ولا في النسب ولا في المواريث وصحَّتها. وتســمع البيِّنَة على هذا كلّه في بلده لو قدر صاحب الدَّين على حملها...».

آخِرُ المخطُوط: «... قَالَ: ألا ترى أنَّه لو ترك لهما في بيع شــيء بعينه، فباعه أحدهمــا دون الآخر؛ لم يكن ذلك البيع جائــزًا؛ لأنَّه لم يفعل ما أمر به، ووجب عليه أن لا يدفع إلَّا مع صاحبه، فلذلك لم يصحّ فعله وحده دون صاحبه، والله أعلم. انتهى».

تَملُّكات: للشــيخ العالم العلامة وحيد زمانه وفريــد أهل عصره وأوانه شيخ أهل الإسلام أبي مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي.

ملاحظات على النسخة:

- قبل ســرد الأبواب (٥٨) في أربع صفحات كتب الناسخ بخطّه في أوّل المخطوطــة: «هــذا كتاب الأحــكام من الضيــاء تأليف العالــم العلامة أبو المنــذر مســلمة [كذا] بــن مســلم العوتبــيّ الصحــاري الإباضي العُماني رَحِمَهُ اللَّهُ وجزاه عنَّا وعن الإسلام خيرًا آمين آمين. وهو للشيخ العالم العلامة وحيد زمانه وفريد أهل عصره وأوانه شيخ أهل الإسلام أبي مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي أسعده الله في الدارين جميعًا ورزقه حفظ العلوم، ونفعنا به وبعلومه آمين».
- كتب فوق تلك المقدِّمة بِخَطّ حديث: «الجزء الحادي عشر».

- لم يكتب الناسخ اســمه ولا تاريخ نســخها، ويظهر أنَّه من طلبة الشيخ عامر بن خميــس المالكي (ت:١٣٤٦هـ) كما هو مشــار إليه في واجهة المخطوطة، والله أعلم.
- النسخة في حالة جيدة، وجميلة الخطّ والترتيب، إلّا أنَّ فيها بياضات في وسطها أحوجتنا لنسخة أخرى للمقارنة ولم نجدها.
- ينتهي المخطوط إلى ثلثين مــن هذا المجلَّد المطبوع، ولا ندري من أين جاء بها ناشــر الطبعة الأولى رغم تكرار كثير من مســائلها، وقد أثبتناها وألحقناهــا بالمجلَّد الثاني والعشــرين؛ لأهمِّيتها وإفادتهــا في كثير من مسائل القضاء والحكم والشــهادة التي تهمّ القضاة والكتَّاب والباحثين، كما تهمّ أيضًا المتصدِّين لتحقيق أصولها بالمقارنة والدراسة.
- كما نجد في هذه الزيــادة فقرات كثيرة مكرَّرة في أبــواب متفرِّقة أو في باب واحد بنصّها أو بتصرّف، أو متشابهة مع ما مضى من النصوص في هذا المجلَّد أو غيرها من أجــزاء الضياء؛ فحاولنا مقارنة النصوص في ما بينها وأشــرنا إلى بعضها، كما حذفنا المكرَّر الثاني إذا وجدناه بنصِّه مع مراعاة أولوية وعلاقة كلّ نصّ ببابه.

المبحث الخامس:
منهجنا في التحقيق، والصعوبات التي واجهتنا

بداية نَحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا ـ أوَّلًا وآخـرًا ـ أن وفَّقنا لخدمة هذا الكتاب الجليل، والموسـوعة العلمية الغنيَّة، ومِمَّا أعاننا على ذلك ـ بفضل الله ومَنِّه ـ التقنيَّة الحديثة التي سـهَّلت لنا الوصول إلى كثير من النصوص، والكتب التي اعتمدها المؤلِّف في تصنيفه، وخاصَّة كتب اللغة والأدب التي استـقى منها مادَّته، فكانت نِعم الرافد لَمَّا حلّ علينا كوافد، ورغم هذا فإنَّ كثيـرًا من النصوص لم نجد لهـا أثرًا، ولم نستطع تحديدهـا أبدًا؛ لاطِّلاع العوتبيّ على مصادر كثيرة فاضت علـى ما بين أيدينا اليوم، منها القابع في الرفوف مخطوطًا، أو أتى عليه الزمن فصيـرَّه مفقودًا.. ولا يعلم إلَّا الله تلك الجهود المضنية، والمعاناة الشـديدة، والمشاقّ الكبيرة التي بُذلت من أجل ضبط هذا الكتاب وتقويمه، لِقلَّة النسخ، وشـحَّة المصادر، وترك الإعجام، وإهمال النقط، وكثرة التحريفات، وتعدُّد التصحيفات، في كثير من صفحات الكتاب، بل يتعدَّى الأمر أحيانًا إلى كلّ سـطر إن لـم نقل كلّ كلمة؛ حتَّى جعلتنا نحقِّق اللفظ، ونضبط المعنى فقط، من دون الإشـارة إلى كثير منها؛ لئلَّا نثقل الهوامش بما يشوِّش ذهن القارئ، ويزري بالنسَّاخ..

ولقد صوَّر حالَنا الجاحظُ أدقّ تصوير، وتَمثَّل فينـا قولُه بِحقٍّ[١] عندما قال: «ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلح تصحيفًا، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حرِّ اللفظ، وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص؛ حتَّى يردَّه إلى موضعه من أمثلة الكلام؛ فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب؟ وأعجب من ذلك أنَّه يأخذ

(١) الجاحظ: الحيوان، ٧٩/١..

بأمرين: قد أصلح الفاســد، وزاد الصالح صلاحًا، ثُمَّ يصير هذا الكتاب بعد ذلك نســخة لإنســان آخر، فيســير فيه الورَّاق الثاني ســيرة الورَّاق الأوَّل. ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية، والأعراض المفســدة، حتَّى يصير غلطًا صِرفًا، وكذبًا مصمتًا؛ فما ظنكّم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفســاد، وتتعاوره الخطّاط بشــرٍّ من ذلــك أو بِمثله، كتاب متقــادم الميلاد، دهريُّ الصنعة»، وزاد الأخفش على وصف نســخنا التي اعتمدناها بقوله: «لو نُسخ الكتاب ولم يُعارض، ثُمَّ نُســخ ولم يُعارض خرج أعجميًّا»، فكيف إذا نسخ ولم يُعارض، ثُمَّ نسخ ونسخ مرَّات عديدة؟!

ورغم كلّ ذلك فإنَّنا لم نأل جهدًا في تحقيق ما أراده المؤلِّف، فشــمَّرنا عن ســاعد الجدّ، وســعينا جاهدين في إخراج هذه الموســوعة في أجمل صورة، وأبهى حلَّة، مع الاعتــراف بالتقصير في بلوغ المرام، مِمَّا أردناه من المبالغة في الضبط، والإكثار مــن لازم التعليق، ولكن هذا جهد المقلّ، ولله الفضل والمنَّة من قبل ومن بعد.

ولقد كان عملنا في هذا الكتاب على ما يأتي:

١ ـ مقارنة نســخ المخطوطات، وضبط النصّ بوضع علامات الترقيم في أماكنها، وتصحيح الأخطاء الإملائيَّة والنحويَّة، من دون الإشارة إليها.

٢ ـ إضافة بَعض العبارات لِيستقيم الْمعنى بين معقوفين [...].

٣ ـ إضافة بعض العناوين التي أغفلها المؤلف أو غفل عنها، ووضعُها بين معقوفين.

٤ ـ ضبط الآيات القُرآنيــة وإثباتِها وتخريجها كما فــي المصحف برواية حفص عن عاصم الكوفي، مع الإشــارة إلى التصحيفات والتلفيقات الموجودة في النسخ.

٥ ـ يورد المؤلِّف مقاطع آيات، ثُمَّ يقول بعدها: «...الآية»، وكثيرًا ما يكون مَحلُّ الشاهد متعلِّقًا بالمحذوف؛ فنضطرُّ إلى إتمام نصِّ الآية في الهامش، ونقول: الآية من سورة كذا، وتَمامها كذا.

٦ ـ ضبط الأحاديث بالشكل الكامل في الغالب، وعزوها إِلَى مصدرين فأكثر من كتب السُّنَّة المختلفة، بداية بمسند الإمام الربيع بن حبيب، ثُمَّ كتب السُّنَّة الأخرى، ونكتفي بعزوها إِلَى الصحيحة إذا روته بلفظه أو قريب منه، ونعزوه إِلَى المصادر الأخرى التي روته بلفظه مع أحد الكتب الصحيحة التي روته بالمعنى، ولا نذكر درجته إلَّا إذا رأينا في متن الرواية ما يَجب التعليق عليها أو الإشارة إلى درجتها.

٧ ـ نضع ألفاظ الحديث الساقطة أو المغفلة عنها بين معقوفين [...]؛ لإتمام المعنى وضبطه.

٨ ـ عزو الحديث عند أوَّل ذكر، وإذا تكرَّر لا نشير إليه إلَّا إذا اختلفت بدايتهما، أو ذُكر جزء منه فنحيل إليه بذكر أوّل الحديث بقولنا: «سبق تخريجه في حديث: «كذا»»؛ ليرجع إليه من أراده في الفهارس الفنِّيَّة الشاملة.

٩ ـ اجتهدنا في مقارنة الْكِتَاب بالمصادر والمراجع التي استقى منها المؤلِّف مَادته، حتَّى جعلناها نسخًا إضافية مهمَّة في ضبط الكلمات الغامضة، والعبارات المهلهلة، والفقرات المشتَّتة، فنحاول تحديد المنقول منها بالنصِّ أو بالمعنى، ثُمَّ نقيِّد الجزء والصفحة عند أوَّل ذِكر؛ للتأكُّد من اعتماد المؤلِّف عليه، ونسكت عن الأخريات لكثرتها إلَّا ما رأينا ضرورة الإشارة إليه.

١٠ ـ أضفنا بعض الكلمـات والعبارات لتوضيح المعنـى، ووضعناها بين معقوفين، كما حاولنا تقويم كثير مـن النصوص، من خلال المصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلِّف مع الإشارة إليها.

١١ ـ أحيانا نخـرِّج بعض النصـوص والألفاظ من مصـادر لاحقة إذا لم نجدها في السـوابق؛ لضبط معانيها المشـوَّهة، أَو للتثبّت من النصِّ أحيانًا.

١٢ ـ وضعنا الألفاظ والمصطلحات التي شرحها المصنِّف بين قوسين، أو بين عارضتين أحيانًا.

١٣ ـ الكتاب يخلو من عنونة المسـائل والفصول، فاجتهدنا في عنونتها بحسب محتواها، وجعلناها بين معقوفين، مع المعاناة الشديدة في عنونة بعضها لتعدُّد مواضيعها، وتكرارها، وتعلّق بعض المسـائل بآخر ما قبلهـا، فنقول لو ضُمَّـت إليها لكان أفضـل حتَّى تنزل مكانها.

١٤ ـ ترجمنا لأغلـب الأعـلام المذكورين فـي المتـن وتركنا بعض المشـهورين، وأمَّـا غير المشـهورين فكان اعتمادنـا على كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي، أو كتب التراجم والرجال الأخرى، وقد تركنا بعض الـرواة الذين جرَّحهم المؤلِّـف أو عدَّلَهم. وأمَّا ما يذكره المؤلِّف من أعلام بذكر كنيته أو اسمه من غير إشارة إلى ما يَدُلُّ عليـه لا نُخرّجـه إلَّا إذا ترجَّح لدينا اسـمه، فنَجتهد في تَحديده أو نقول: «لعلَّـه فلان أو...»، وإذا أشـكل علينا ذَلِكَ فلا نشير إليه أصلًا، وكذلك نفعل مع بعض الأعلام الذين لم نجد من ترجم لهم.

١٥ ـ ترجمنا للأعلام الإباضيَّة كلِّها بلا استثناء، سواء اشتهرت أسماؤهم أم لم تشتهر؛ لندرة وجودهم في كثير من المصادر الأخرى، وقد اعتمدنا في ترجمتها عَلَى كتب تراجم الإباضيَّة، كمعجم أعلام إباضية المغرب، وأعلام إباضيَّة المشرق من إنجاز مَجموعة باحثين، وتحفة الأعيان للسالمي، وإتحاف الأعيان للبطَّاشي، والعُمانيون في بيان الشرع للسعدي، وغيرها من كتب المعاجم والتراث المختلفة، كما نشير إلى من لم نستطع التعرُّف عليه.

١٦ ـ لا تكاد الأبيات تخلو من التصحيف والتحريف ولم نستطع ضبطها إلَّا من خلال المعاجم، ونعزوها إلَى قائليها مع ذكر بحورها ومصادرها، وضبطناها من خلال الكتب المنقولة منها عندما تكون موافقة لها، وإذا لم نجد لفظ المؤلِّف نشير إلى الألفاظ التي وجدناها. كما تجب الإشارة هنا أيضًا إلى أنَّ كتاب الضياء نفسه يُمكن أن يكون مصدرًا من مصادر اللغة التي تنسب الأبيات إلى أصحابها، وتذكر روايات غير موجودة في غيره من المصادر المتوفِّرة.

١٧ ـ شرحنا الكلمات الغامضة من كتب اللغة والمعاجم والأدب التي ينقل منها المؤلِّف كثيرًا، ككتاب العين للفراهيدي (١٧٠هـ)، والجمهرة لابن دريد (٣٢١هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٧٠هـ)، والمحيط لابن عبّاد (٣٨٥هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ)، والمحكم لابن سيده (٤٥٨هـ)، وأساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ)،... وغيرها من كتب الغريب لابن سَّلام وابن قتيبة، والكتب المتأخِّرة كلسان العرب لابن منظور (٧١١هـ)، والقاموس للفيروزآبادي (٨١٧هـ) وتاج العروس للزَبيدي (١٢٠٥هـ)، والمعجم الوسيط... وغيرها من الكتب المختلفة.



١٨ ـ شــرحنا الْمصطلحات العُمانية من «معجم مصطلحات الإباضيَّة»، ومن إزالة الأغيان عن لغة أهل عُمان، وغيرها من المصادر، كما ضبطنا كثيرًا منها وشرحناها من مصادر شفويَّة، من أفواه المشايخ العُمانيين الكرام، أمثال: الشيخين يحيى وإبراهيم ابني أحمد الكندي، والشيخ سليمان بن مهنا الكندي، والشيخ مهنا بن خلفان الخروصي بِخاصَّة... وغيرهم.

١٩ ـ التعليق عَلَى بَعض الْمســائل وتوضيحها.. كما أَنَّ هناك مسائل أخرى كثيرة تَحتاج إِلَى تعليق إِلَّا أَنَّ معظمها يُعبِّر عَن رأي الْمؤلِّف للخلافِ الْموجود فِيها.

٢٠ ـ عندما نشير في الهوامش إلى صفحات كتاب الضياء فإنَّنا نقصد بها صفحات المخطوطة المدوَّنة المعتمدة داخل الكتاب؛ لثباتها مع تغيّر الطبعات.

٢١ ـ لَمَّا نقول في الهامش: «لم نجد من ذكره» أو «نسبه» أو نحو هذا؛ فإنَّ عدم الوجود يتعلّق بما بين أيدينا من المصادر عند اســتنفاد الطاقة والجهد في ذلك، وقد يوجد في مصادر لم نعثر عليها، أو لم يتسنّ الوصول إليها.

٢٢ ـ عندما نجد عبارة: «قال غيره» غالبًا ما تكون من إضافات النسَّاخ فننزلها إِلَى الهامش وإن كانت أوضح وأصحّ من النصوص التي فِي المتن.

٢٣ ـ حاولنا تقســيم الأجــزاء في البدايــة علــى ما اتَّفقت عليه النســخ المخطوطة، لكن الســقط والاختلاف المســتمرّ بين النسخ والأجزاء التي تلي الجزء الثالث، إضافة إلى اختلافات وشــكوك النسَّــاخ في تسمية الأجزاء، جعلنا نعدل إلى تقسيمها قدر الإمكان بحسب الكتب مع مراعــاة عدد الصفحات إضافة إلى العنايــة ببداية ونهاية الأجزاء، وســمَّيناها «المجلدات» بداية بدل تســميَّتها «الأجــزاء»، إلَّا الأجزاء الأولى المتَّفق على تسميَّتها بذلك في المخطوط، ثم عَدَلنا عن ذلك فسمّيناها كلها بالأجزاء حتى تتوحَّد في الاسم.

٢٤ ـ حاولنا استقصاء المصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلِّف واستقى منها كتابه.

٢٥ ـ هناك أخطاء لا حصر لها متكرِّرة في الهمزات، وإعجام الحروف، والأخطاء الإملائية والنحوية، يحتاج فيها المحقِّق إلى فهم السياق أوَّلًا لوضع النقاط في المكان المناسب، فكثيرًا ما تتحوَّل الياء إلى تاء، والنون إلى باء... وهكذا، تحرينا فيها الصواب ولم نشر إلى تصحيفها، ولا إلى اختلاف النسخ فيها، وإذا وقع الشك في شيء ما نثبته كما هو، ونشير إلى احتمال الصواب في الهامش. ففي الأخطاء النحوية مثلًا: نجد بعض النسَّاخ يكتبون «فليتحرَّى» بدل «فليتحرَّ». و«لم يرى» بدل «لم ير»، و«لم يبتلى» بدل «لم يبتل»... وهكذا.

وفي أخطاء الهمزات واختلاف الرسوم مثلًا:

النسخ	التصويب
راي	راءٍ
قايل	قائل
قراة	قراءة
قراي	قُرئ
صلوة / زكوة	صلاة / زكاة
يبرى	يبرأ
كذى	كذا
ثلثًا / بثلث	ثلاثًا / بثلاث

كما لم نشر أيضًا إلى صيغة التصلية على النبيِّ ﷺ في قوله: «صلَّى الله عليه»، فنغيِّرها إلَى ما اتّفق عليه اليوم بالرمز المعروف ﷺ.



٢٦ ـ ولقد دبَّجنا الموسوعة بمقدِّمة حاولنا استيفاء ما يتعلَّق بحياة العوتبي وترجمته، وعــرض منهج الكتاب والقِيمــة العلميَّة التــي يتمتَّع بِهَا ومميزاتــه، والدراســات والبحــوث الســابقة على المؤلــف وكتبه، والمصــادر المعتمدة فــي الضياء، والنســخ المعتمدة فــي التحقيق ووصفها، وغير ذلك مِمَّا يتعلَّق بالكتاب.

٢٧ ـ وَفي الأخير وضعنا فهارس فنِّية شــاملة للآيات، والأحاديث والآثار، والأبيات الشــعرية، والأعلام، والأماكن والبلــدان، والقبائل والفرق، والكتب، والألفاظ المشروحة، والمحتويات.

ختـــامًا:

نـــرى أنَّ هَذَا الكتاب بأســـفاره الجليلة ومادَّته الغزيـــرة لفي حاجة إلى تَحليل أعمق، واستثمار أدقّ، ولعلَّ هذا مِمَّا يَمنُّ الله به على بعض الباحثين لِخوض غماره، واستخراج مكنوناته..

كمـــا أنَّنا نعتـــرف بكلِّ صـــدق أنَّ هذا العمـــل لا يَخلو مِـــن النقص والتقصير، وهذا جهـــد الْمُقلّ.. فما كان فيه من تقصير فمن أنفســـنا ومن الشيطان، وما كان فيه من تَمام وكمال فمن الله وحده، بِمنِّه وكرمه وتوفيقه. ونرجو من كلّ من رأى فيه شَيْئًا خارجا عن الْحَقِّ فليُصلحه، أو لَمح شيئًا بنَّاء يفيدنا في تحقيق مثل هَذِهِ الأعمال فليرســـلها إِلَينا مأجورًا بإذن الله.. كما يجب علينا أن نشكر الأستاذ مصطفى بن محمَّد شريفي للوقوف معنا على تحقيق «الجزء الثاني: في التوحيد والأسماء والصفات» لتَخصّصه في هذا الفنّ، ولا ننســـى الشـــكر الجزيل للأستاذ ســـليمان بن عيسى باكلي حيث وضع بصماته على «جزء الوصايا والمواريـــث» بملاحظاته البنَّاءة، وتعليقاته المفيدة. والشكر موصول أيضًا إلى المشايخ الكرام، أهل الفضل والإحسان، الذين أشرنا إليهم في المنهج مِن قبل، حيث فتحوا لنا قلوبهم، ورحَّبوا بنا في حلِّ كلّ عويص، وشرح كلّ مصطلح عُمانيّ غامض، فكانوا منبع المصادر الشـــفويَّة المعتمدة، فجازاهم الله عنَّا خيرًا، وعوَّضهم بكلِّ لحظة معنا أجرًا..

كما لا ننسى أيضًا أن نشـــكر ونحمد فعل كلّ من وقف بجنبنا في هذا العمـــل بداية من جهـــود معالي وزيـــر الأوقاف والشـــؤون الدينية الشـــيخ عبد الله بن محمَّد الســـالمي المحتـــرم، وكلّ من أمدَّنا بنســـخة، أو صوَّر لنا مخطوطة، أو رقن لنا صفحة، أو قارن معنا نســـخة، أو راجع معنا جزءًا، أو أفادنا برأي، أو نصيحة، أو توجيه، أو كلمة طيِّبة، فشكرًا لهم ثُمَّ شكرًا لهم، وجازاهم الله عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء.

كما نســـأل الله تَعَالَى بدءًا وانتهاءً أن يغفر لنا ذنوبنا، ويكفِّر عنَّا سيِّئاتنا، وينفع بِهذا العمل الإِسـَلام والْمســـلمين، ويتقبَّله منَّا خالصًا لوجهه، وسائر أعمالنا، إِنَّه وليّ ذلك والقادر، وهو الجواد الكريم، السَّـــميع المُجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بقلم المحقِّقَين:

الحاج سُليمَان بن إبراهيم بَابزيز الوارجَلاني

e.mail: bab742000@yahoo.com

و

داود بن عُمر بَابزيز الوارجَلاني

e.mail: babzizdaoud@yahoo.com

مسقط يوم الأحد: غرَّة ربيع الأنور ١٤٣٤هـ

الموافق لـ: ١٣ يناير ٢٠١٣م



الصور الأولى والأخيرة
للنسخ المخطوطة المعتمدة



الصفحة الأولى من النسخة (س) رقم ٧٦٩
من الجزء الأول

الصفحة الأخيرة من النسخة (س) رقم ٧٦٩
من الجزء الأول

الصفحة الأولى من النسخة (ت)
من الجزء الأول

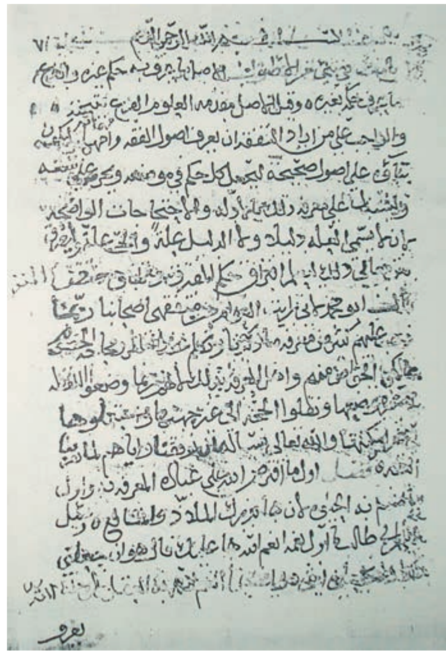
الصفحة الأخيرة من النسخة (ت)
من الجزء الأول



الصفحة الأولى من النسخة (ز) رقم ١١٢٩
من الجزء الثاني



الصفحة الأخيرة من النسخة (ز) رقم ١١٢٩
من الجزء الثاني



الصفحة الثالثة من النسخة (ص) رقم ١١٢٨
من الجزء الثالث

الصفحة الأخيرة من النسخة (ص) رقم ١١٢٨
من الجزء الثالث

الصفحة الأولى من النسخة (م) رقم ١٠٠٩
من الجزء الثالث

الصفحة الأخيرة من النسخة (م) رقم ١٠٠٩
من الجزء الثالث



الصفحة الأولى من النسخة (أ)
من الجزء الثالث في الكبائر

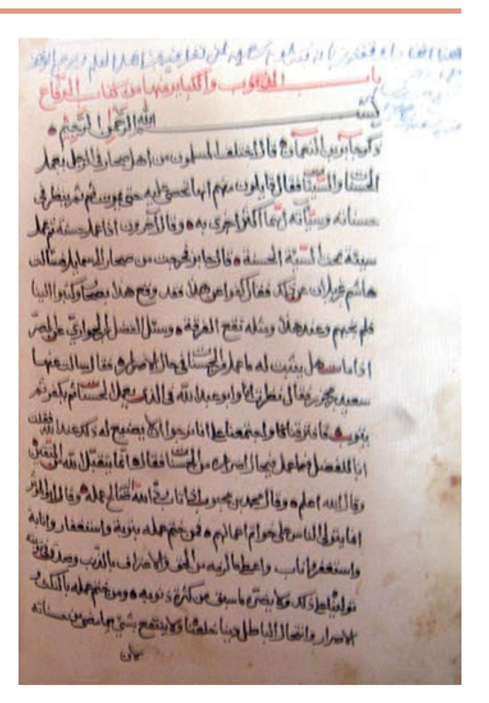


الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)
من الجزء الثالث في الكبائر

الصفحة الأولى من النسخة (ب) رقم ٦
من الجزء الثالث في الكبائر (مط٤)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) رقم ٦
من الجزء الثالث في الكبائر (مط٤)

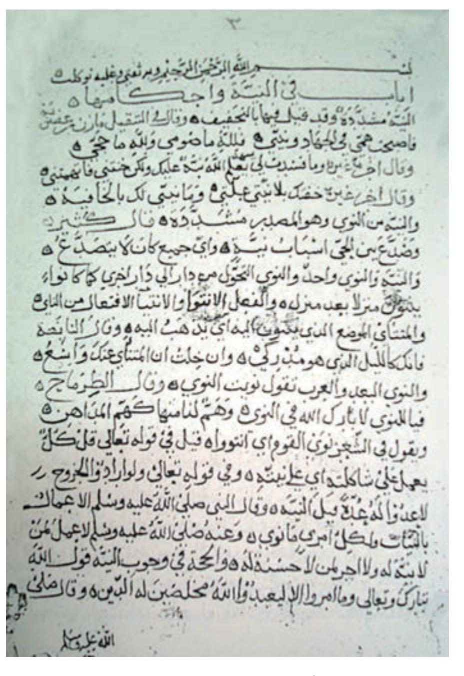


الصفحة الأولى من المخطوطة رقم ١١٨٦
من الجزء الثالث في الكبائر (مط٤)

الصفحة الأخيرة من المخطوطة رقم ١١٧٦
من الجزء الثالث في الكبائر (مط٤)

الصفحة الأولى من النسخة (ق) رقم ٦٧٥ من الجزء الرابع (مط٥)

الصفحة الأخيرة من النسخة (ق) رقم ٦٧٥ من الجزء الرابع (مط٥)



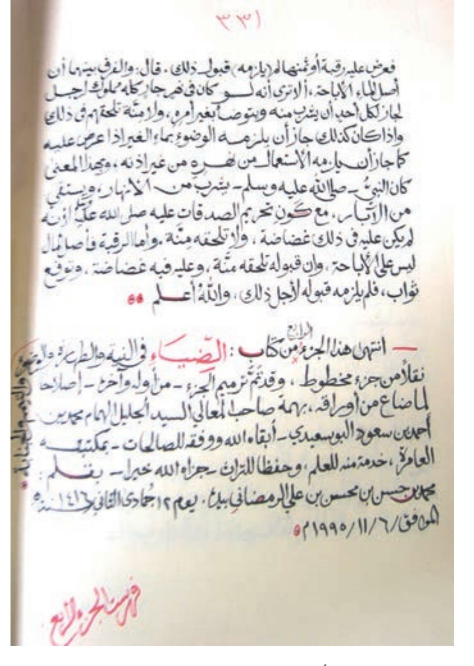
الصفحة الأولى من النسخة (ص) رقم ٨٦١ من الجزء الرابع (مط٥)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ص) من الجزء الرابع (مط٥)، وفيها يظهر مقدار الخرمات



الصفحة السادسة من (م) رقم ١٩٩٦ من الجزء الرابع (مطه)، وقد سبقتها صفحات حديثة مرممة

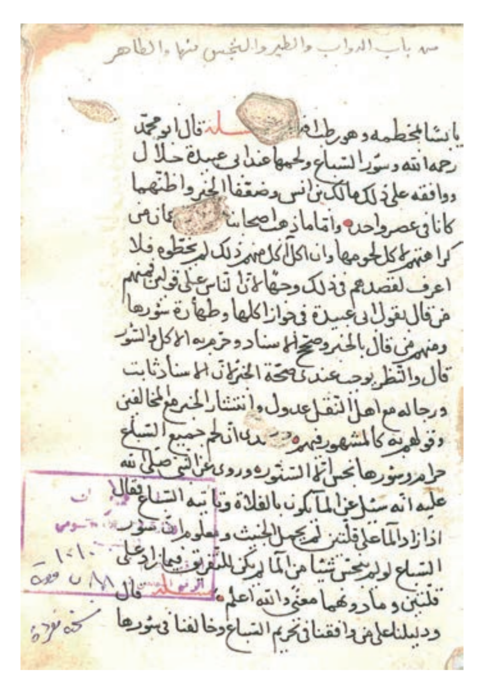


٣٣١

فعرض عليه رقبة أو ثمنها لم (يلزمه) قبول ذلك. قال: والفرق بينهما أن أصل الماء الإباحة، ألا ترى أنه لو كان في نهر جار كله مملوك لرجل لجاز لكل أحد أن يشرب منه ويتوضأ بغير أمره، ولا منة تلحقهم في ذلك وإذا كان كذلك جاز أن يلزمه الوضوء بماء الغير إذا عرض عليه كما جاز أن يلزمه الاستعمال من نهره من غير إذنه، وبهذا المعنى كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشرب من الأنهار، ويستقي من الآبار، مع كون تحريم الصدقات عليه صلى الله عليه وسلم أن لم يكن عليه في ذلك غضاضة، ولا تلحقه منة. وأما الرقبة فأصلها ليس على الإباحة، وإن قبوله تلحقه منة، وعليه فيه غضاضة، وتوقع ثواب، فلم يلزمه قبوله لأجل ذلك، والله أعلم.

— انتهى هذا الجزء الرابع من كتاب: الضياء في النية والطهارة والصيام نقلاً من جزء مخطوط، وقد تم ترميم الجزء - من أوله وآخره - إصلاحاً لما ضاع من أوراقه، بهمة صاحب المعالي السيد الجليل الهمام محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي - أبقاه الله ووفقه للصالحات - بمكتبته العامرة، خدمة منه للعلم، وحفظاً للتراث - جزاه الله خيراً - بقلم: محمد بن حسن بن محسن بن علي الرمضاني بيده. يوم ١٢ جمادى الثاني سنة ١٤١٦هـ الموافق ٦/١١/١٩٩٥م.

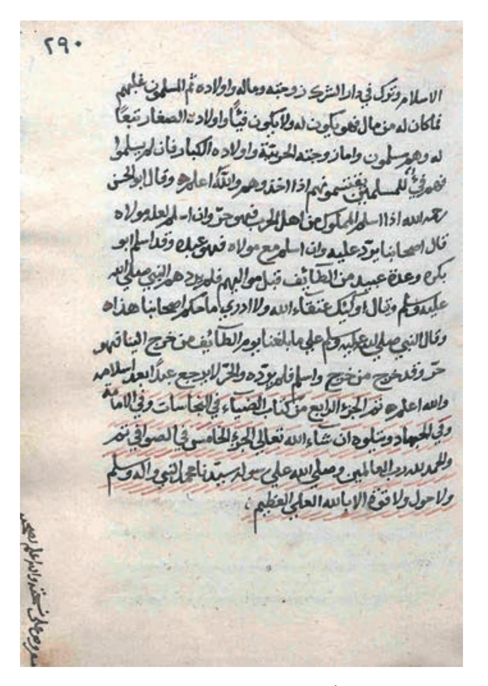
الصفحة الأخيرة من النسخة (م) رقم ١٩٩٦ من الجزء الرابع (مطه)



الصفحة الأولى من النسخة (ك) رقم ١٠١٠ من الجزء الرابع (مطه)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ك) رقم ١٠١٠ من الجزء الرابع (مطه)



٢٩٠

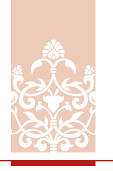
الاسلام وترك في دار الشرك زوجته وماله واولاده ثم المسلمون عليهم
فما كان له من مال فهو يكون له ولا يكون فيئا واولاده الصغار تبعا
له وهم مسلمون واما زوجته الحربية واولاده الكبار فان لم يسلموا
فهم فيء للمسلمين يقتسمونهم اذا اخذوهم والله اعلم. وقال ابو الحسن
رحمه الله اذا اسلم المملوك من اهل الحرب فهو حر وان اسلم العبد ومولاه
قال اصحابنا يرد عليه وان اسلم مع مولاه فهو عبد وقد اسلم ابو
بكرة وعدة عبيد من الطائف قبل مواليهم فلم يردهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال اولئك عتقاء الله ولا ادري ما حكم اصحابنا هذا.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم على ما بلغنا يوم الطائف من خرج الينا فهو
حر وقد خرج من خرج واسلم فلم يرده والحر لا يرجع عبدا بعد اسلامه
والله اعلم. تم الجزء الرابع من كتاب الضياء في النجاسات وفي الامامة
وفي الجهاد ويتلوه ان شاء الله تعالى الجزء الخامس في الصلاة تم
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الصفحة الأولى من النسخة (٥) رقم ٣٠٧٠
من الجزء الرابع (مط٥)

الصفحة الأخيرة من النسخة (٥) رقم ٣٠٧٠
من الجزء الرابع (مط٥)

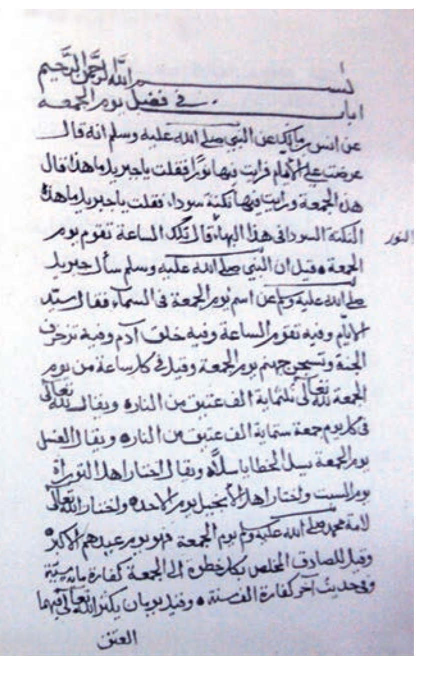
الصفحة الأولى من النسخة (س) رقم ١٨٤
في القبلة والصلاة

الصفحة الأخيرة من النسخة (س) رقم ١٨٤
في القبلة والصلاة



الصفحة الأولى من النسخة (ت) رقم ١٠٠٢
في القبلة والصلاة

الصفحة الأخيرة من النسخة (ت) رقم ١٠٠٢
في القبلة والصلاة



بسم الله الرحمن الرحيم
باب في فضل يوم الجمعة
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عرضت علي الايام فرايت فيها نوراً فقلت يا جبريل ما هذا قال
هذه الجمعة ورايت فيها نكتة سوداء فقلت يا جبريل ما هذه
النكتة السوداء في هذا البهاء قال تلك الساعة تقوم يوم
الجمعة وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل
صلى الله عليه وسلم عن اسم يوم الجمعة في السماء فقال سيد
الايام وفيه تقوم الساعة وفيه خلق آدم وفيه تزخرف
الجنة وتسجر جهنم يوم الجمعة وقيل في كل ساعة من يوم
الجمعة لله تعالى ثمانية الف عتيق من النار وقيل لله تعالى
في كل يوم جمعة ستمائة الف عتيق من النار وقيل الغسل
يوم الجمعة يسل الخطايا سلا وقيل اختار اهل التوراة
يوم السبت واختار اهل الانجيل يوم الاحد واختار الله تعالى
لامة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فهو يوم عيدهم الاكبر
وقيل للصادق المخلص بكل خطوة الى الجمعة كفارة مائة سيئة
وفي حديث اخر كفارة الف سنة وفيه بيان يكثر الله تعالى فيهما
العتق

الصفحة الأولى من النسخة (م) رقم ٥٢٨
في القبلة والصلاة، والجنائز

الصفحة الأخيرة من النسخة (م) رقم ٥٢٨
في القبلة والصلاة، والجنائز

الصفحة الأولى من النسخة (و) رقم ٥٠٧ في الجنائز الصفحة الثانية من النسخة (و)

الصفحة الأخيرة من النسخة (و) رقم ٥٠٧ في الجنائز

الصفحة الأولى من النسخة الوحيدة (٥١٧) في الحج والاعتكاف والكفارات والنذور

الصفحة الأخيرة من النسخة الوحيدة (٥١٧) في الحج والاعتكاف والكفارات والنذور



الصفحة الأولى من النسخة (أ) رقم ١٨٩٥
من الجزء الثامن في العتق والنكاح



الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) رقم ١٨٩٥
من الجزء الثامن في العتق والنكاح

الصفحة الوسطى من النسخة (م) رقم ٤٢٥
من الجزء الثامن والتاسع في العتق والنكاح

الصفحة الأخيرة من النسخة (م) رقم ٤٢٥
من الجزء الثامن والتاسع في العتق والنكاح



الصفحة الأولى من النسخة (ن) من الجزء الثامن والتاسع في العتق والنكاح، رقم ٥٠٩ في لعلي



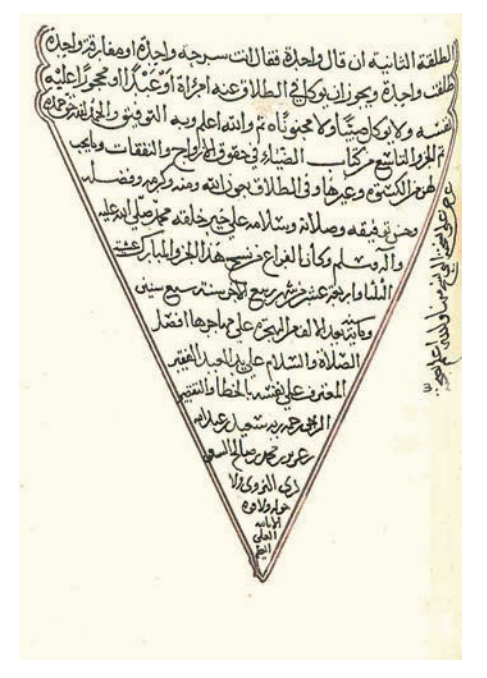
الصفحة الأخير من النسخة (ن) من الجزء الثامن والتاسع في العتق والنكاح، رقم ٥٠٩ في لعلي

الصفحة الأولى من النسخة (أ) رقم ١٠١١ من الجزء التاسع (مط١٢)

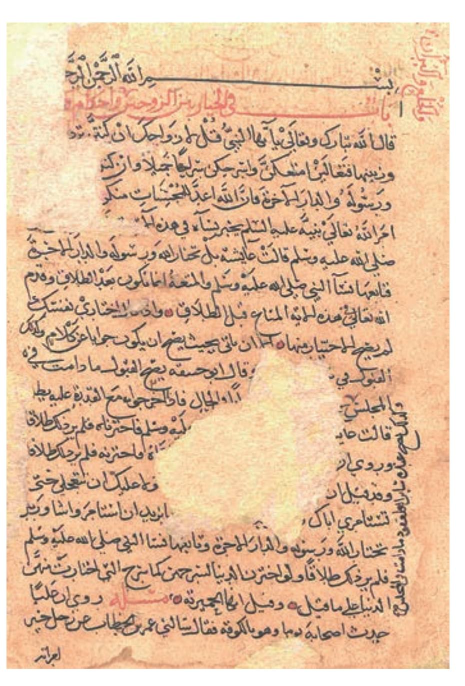
الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) رقم ١٠١١ من الجزء التاسع (مط١٢)



الصفحة الأولى من النسخة (ب) رقم ١٠٠٣
من الجزء التاسع (مط١٢)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) رقم ١٠٠٣
من الجزء التاسع (مط١٢)

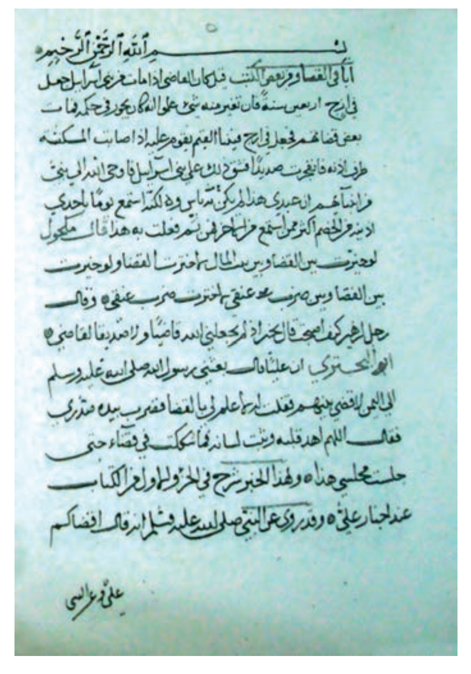


الصورة الأولى من النسخة (الأصل) رقم ١٠٠٤
في الخيار بين الزوجين والإيلاء

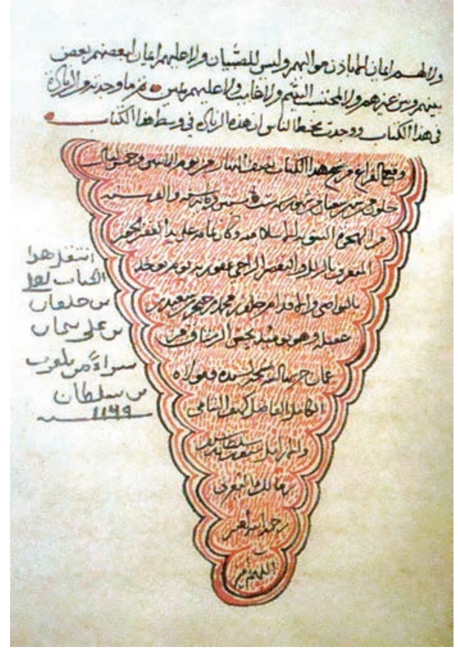
الصورة الأخيرة من النسخة (الأصل) رقم ١٠٠٤
في الخيار بين الزوجين والإيلاء

الصفحة الأولى من النسخة (أ) رقم ٥٣٥
من الجزء العاشر (مط١٦)

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) رقم ٥٣٥
من الجزء العاشر (مط١٦)



الصفحة الأولى من النسخة (ب) رقم ٨٠٩
من الجزء العاشر (مط١٧)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) رقم ٨٠٩
من الجزء العاشر (مط١٧)



الصفحة الأولى من النسخة (ص) بالتراث رقم ١٠٠٥ (٥٦٥) من الجزء ١٣ (مط١٧)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ص) بالتراث رقم ١٠٠٥ (٥٦٥) من الجزء ١٣ (مط١٧)

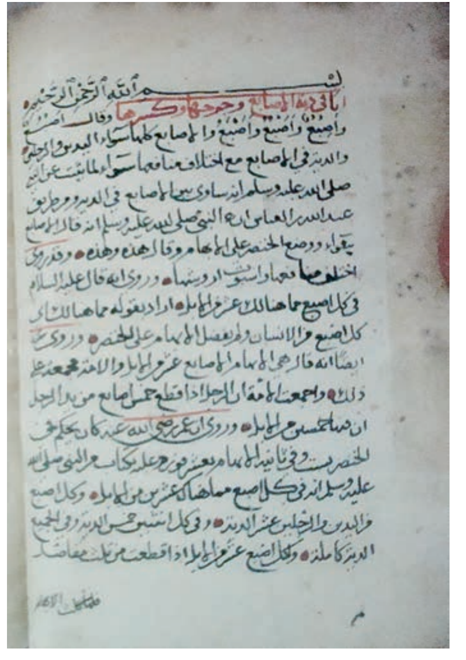
الصفحة الأولى من النسخة (أ) رقم ٥٣٥ من الجزء العاشر (مط١٧)

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) بالتراث رقم ٥٣٥ من الجزء العاشر (مط١٧)

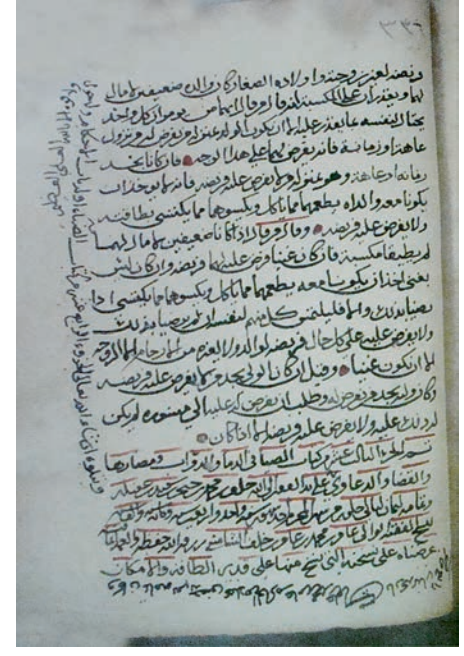
الصفحة الأولى من النسخة (ب) بالتراث رقم ٨٠٩
من الجزء الخامس عشر (مط١٧)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) بالتراث رقم ٨٠٩
من الجزء الخامس عشر (مط١٧)

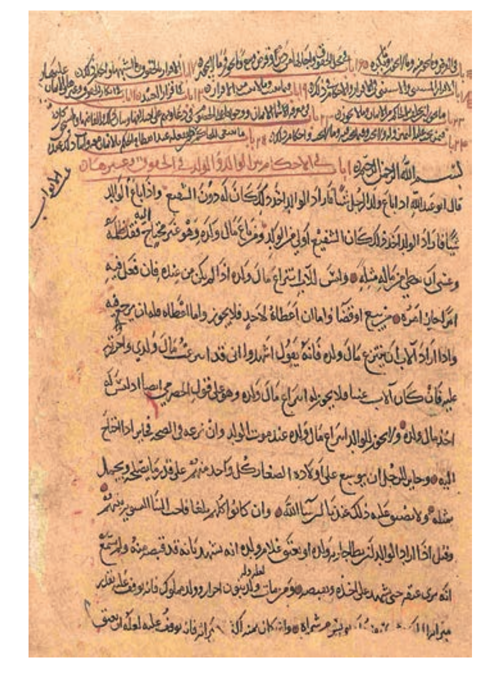


الصفحة الأولى من النسخة (ع) بالسيد رقم ١٠٥٤
من الثالث عشر (مط١٧)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ع) بالسيد رقم ١٠٥٤
من الثالث عشر (مط١٧)





الصفحة الأولى من النسخة (ق) رقم ١٠٠٦ (٥٦٦)
من الجزء ١٤ (مطـ١٨)

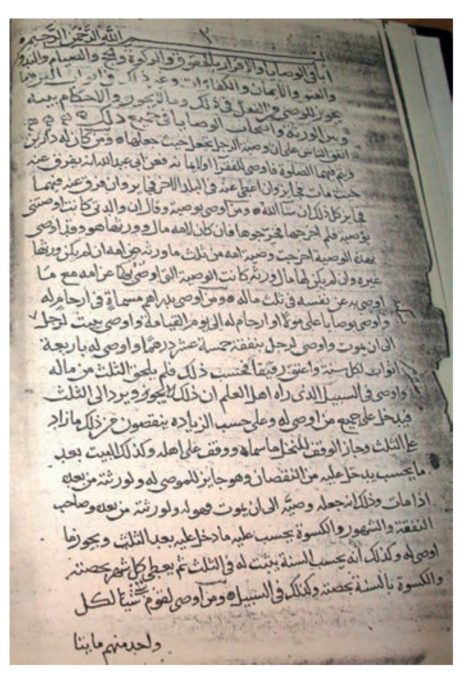


الصفحة الأخيرة من النسخة (ق) رقم ١٠٠٦ (٥٦٦)
من الجزء ١٤ (مطـ١٨)



الصفحة الأولى من النسخة (م) رقم ١٦٢٩
من الجزء ١٤ (مطـ١٨)

الصفحة الأخيرة من النسخة (م) رقم ١٦٢٩
من الجزء ١٤ (مطـ١٨)



**الصفحة الأولى للنسخة (أ) رقم ٢٦٨ (٣٤٣١)
من الجزء ١٥ (مط١٩)**

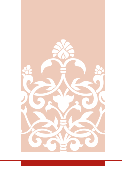


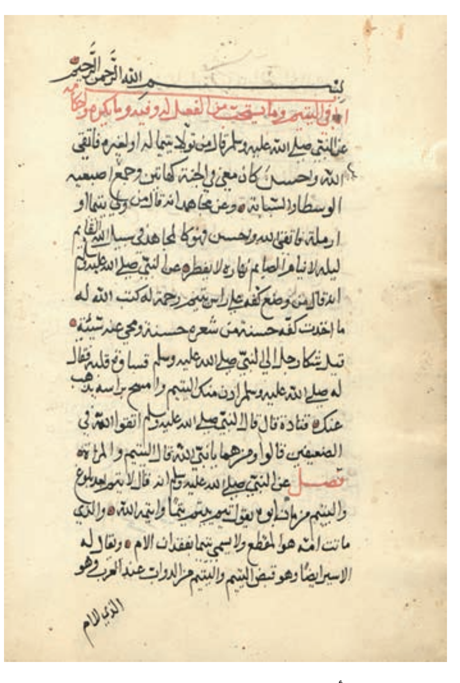
**الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) رقم ٢٦٨ (٣٤٣١)
من الجزء ١٥ (مط١٩)**

**الصفحة الأولى من النسخة (ب) رقم ٢٢٢
من الجزء ١٥ (مط١٩)**



**الصفحة الأخيرة من النسخة (ب) رقم ٢٢٢
من الجزء ١٥ (مط١٩)**



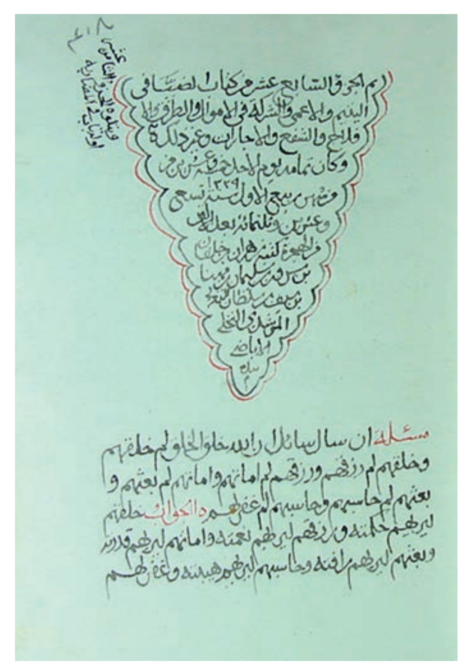


الصفحة الأولى من الجزء السابع عشر النسخة (ع) في اليتيم للعبري (مط٢٠)

الصفحة الأخيرة من الجزء السابع عشر النسخة (ع) في اليتيم للعبري (مط٢٠)



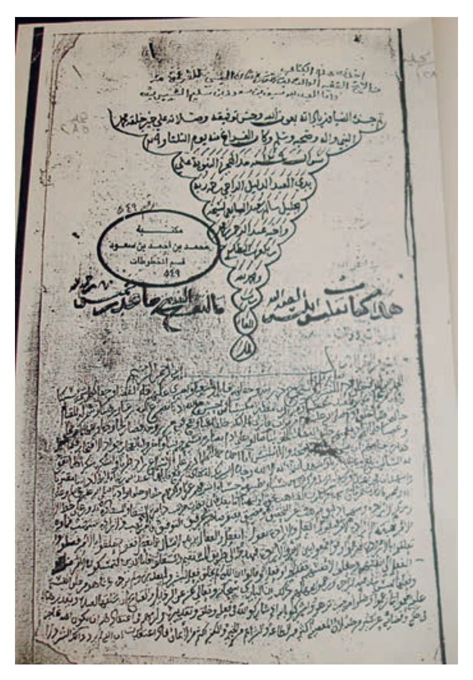
الصفحة الأولى من الجزء السابع عشر النسخة (م) رقم ٤٦٨، من ميزاب (مط٢٠)



الصفحة الأخيرة من الجزء السابع عشر النسخة (م) رقم ٤٦٨، من ميزاب (مط٢٠)



الصفحة الأولى من النسخة (ت) رقم ٥٤٩
من الجزء التاسع عشر (مط٢٠)

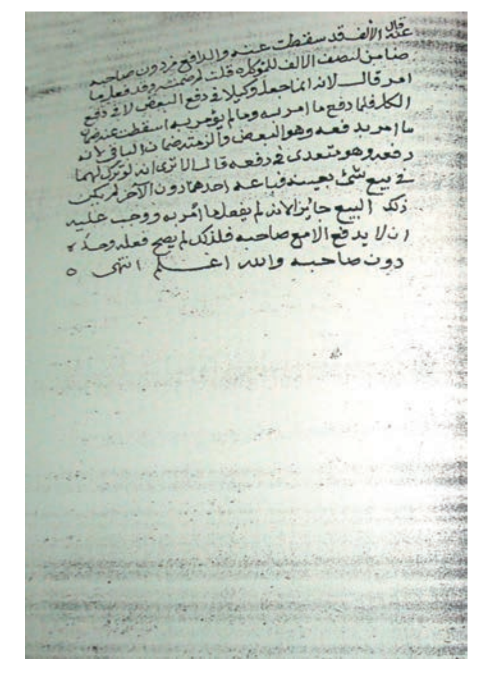


الصفحة الأخيرة من النسخة (ت) رقم ٥٤٩
من الجزء التاسع عشر (مط٢٠)

الصفحة الأولى من النسخة (الأصل) رقم ١١٣٠
من ميزاب الجزء ٢١ في البيوع (مط٢١)

الصفحة الأخيرة من النسخة (الأصل) رقم ١١٣٠
من ميزاب الجزء ٢١ في البيوع (مط٢١)

الصفحة الأولى من النسخة (الأصل) رقم ٥٦٣
المنسوبة للضياء في البينة والشهادات (مط٢٢)



الصفحة الأخيرة من النسخة (الأصل) رقم ٥٦٣
المنسوبة للضياء في البينة والشهادات (مط٢٢)



الرموز والمصطلحات

(ن.م) أو (نق)	نسخة مرقونة.
(ن.ت)	نسخة تجريبية.
(د.ت)	دون تاريخ الطبع.
ت	توفي.
ج	الجزء.
ح	فترة الحُكم.
ص	الصفحة.
هـ. (ق.هـ)	للهجرة النبوية. قبل الهجرة النبوية.
م. (ق.م)	للميلاد. قبل الميلاد.
~	تقريبًا.
مج	المجلد.
ر	الرقم.
ط	الطبعة.
مط	مطبوع.
مخ	المخطوط.
تر	ترجمة.
ع	العدد.
ص مخ	صفحة المخطوط فِي وسط الكتاب المطبوع.
مثله	في تخريج الأحاديث يعني: مثل ما سبقه في الراوي واللفظ.
(ش)	بمعنى ترقيم المكتبة الشاملة (http://www.shamela.ws).
/../	يوضع ما بين هذين الخطَّين المائلين أرقام النسخة المقدَّمة كأصل.
[...]	هذا الرمز في معظم النسخ دالّ على سقط أو نقص لا نعرفه. وأمَّا في النسخ المليئة بالخروم فإنَّ النقاط تزيد وتنقص إشارة إلى تقدير عدد الكلمَات الساقطة.

(١)

[تقريظ الضياء][٢]

وجدت مكتوبًا في نسخة يقول: إنه وجد مكتوبًا في نسختين بخطِّ أبي المنذر: وليس لــه تأليف غيرهما يتلوهما، وقد نســختها أنا في هذا الجزء، ويتلوه قطع كثير أيضًا، ووجدت أيضًا أن هذا الشعر لِصَاحب الكتاب.

هذا كتاب ضياء في القلوب أخي ... أكرم بما فيه من علم ومن أدب

ســمَّيته بالضيا إذ كان فيه هدى ... من العمى وضيا من ظلمة العطب

خصّصت نفسي به حبًا ومعرفة ... له وصنفته من أصــدق الكتب

أهــواه حبًــا لِمَا فيــه وحق له ... مني الهوى فهو من همي ومن أربي

لا أعدلــن هــذه الدنيــا بفائدة ... منه صَدَقــت وكُفر المرء في الكذب

فكلّ مسألة في العلم أفضل من ... جواهر الأرض والياقوت والذهب

تــبًا لعقــل رأى مــالًا كمعرفة ... ما يعدل المال علمًــا قطّ مكتسب[٣]

(١) هذا الجزء قورن من نسختين، الأولى أصليَّة بمكتبة السيِّد محمَّد بن البوســعيدي تحت رقم ٧٦٩ والمرموز لها بالنســخة (س)، والثانية نســخت منها لأهل المغرب رمزنا لها بالنسخة (ت)، وقد اعتمدنا (س) كأصل وما أضفناه من النسخة (ت) نضعة بين عمودين هكذا: |...|.

(٢) هذه القصيدة قارناها من الصفحة ٣ بعد سرد أبواب المسمى بـ«الجزء العاشر من الضياء والقاضي والدعاوي والأحكام تأليف الشيخ سلمة بن مسلم» في مخطوطة التراث (أ) رقم ٥٣٥، المنســوخة بتاريخ: ١٠٨٧/٩ هـ. ويظهر من القصيدة أنها مضافة حديثًا من ناســخ آخر غير الكاتــب للمخطوطة؛ لاختلاف الخطين، وكتب فــي مقدمتها بأعلى الصفحة ٣: «قال مؤلف الضياء في مدح كتابه هذا وبيانه شعرًا».

(٣) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ من سبب». وفي (ت): «علمًا صح فِي سبب».

المــال يفنى على الأيَّــام كثرته ... والعلم يبقى على الأيَّام والحقب
والعلم يقضي على الأموال محتكمًا ... وما على العلم حكم قطّ للنشب
والعلم ينجيك فــي دنيا وآخرة ... والمال يرديــك في إثم وفي تعب
والمال فيه حســاب لو تصوَّره ... ذو المال ودَّ افتقارًا يوم منقلب
والعلم أنفع ذُخرًا في المعاد غدًا ... نعم وأرفع ذكرًا نال ذو حســب
والعلم تاج افتخار ما عملت به ... والحلم تاج وقــار[١] غير مغتصب
ذو المال[٢] طــوع لأهل العلم متبع ... لهم ومفتقر فــي الجدّ واللعب
لا فخــر إلَّا لأهل العلــم إنَّهم ... هم الهــداة إذا ما حاز ذو طلب
كادوا يكونون[٣] أربابًا بما عملوا ... لغيرهم قيل من عجم ومن عرب
من لم يكن عالمًا لم يدر خالقَه ... حقًّا ولا الفرق بين الْحَقِّ والكذب
فطاعــة الله للمخلــوق حافظــة ... ما لم يحلّ بارتكاب النهي والريب
الموت أيسر في الدنيا بلا كَذب ... لجاهــل فاجر مــاشٍ بلا أدب
أعاذنــا الله من زيــغ ومن زلل ... عُمرِي، وعلَّمني علمًا وعلَّم بي[٤]

(١) فِي (ت): افتخار.
(٢) فِي (ت): والعلم.
(٣) فِي (ت): «وإن يكونون».
(٤) في النسختين: زيادة: «لعلَّه: أعاذنا: حماني الله. تَمَّت الأبيات التي وجدتها، والحمد لله ربِّ العالمين. الفــرق بين إنَّ وأنَّ: فإنَّ لِما يأتي، وأنَّ لِما يمضــي، وكذلك إذا [وإذ]، فإذا لما يأتي وهو ظرف، وإذ ظرف لما يمضي، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ (النصر: ١)».





خطبة المؤلِّف
وتفسيرها



وصلى الله عَلَى سيدنا مُحَمَّد النَّبِيّ وآله وسلَّم وشرف وكرم،
وهو حسبي ونعم الوكيل

[مقدِّمة المؤلِّف]

الحمد لله الــذي لا تدركه الأعين موجودًا، ولا تصفه الألســن محدودًا، ولا يكيّفه الفكر معدودًا، ولا تعرفه الخليقــة والدا ولا مولودا، أحمده على نعمه وآلائه، وأشكره على حسن قســمه وبلائه، وأعوذ به من نقمه وابتلائه، حمدًا إثر حمد، وعودًا بعد بــدوّ، وأوحِّدُه خالقًا، وأمجِّــده صادقا، وأعبده رازقًا، وأتوكَّل عليه واثقًا، وأستعين به محقًّا.

وأشــهد أن لا إلٰه إلَّا هو الأَوَّل بلا غاية، والآخر بــلا نهاية، الذي قدر فأحسن التقدير، ودبَّر /١١/ فأحكم التدبير، وملك الأشياء فهو عليها قدير، وعَلِمها جملة فهو بها خبير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمَّدًا عبده النَّبِيّ، ورسوله الأميّ، وحبيبه القُثَمي[١] الصفيّ، أرســله بالقرآن العربي والبيان الجليّ، والبرهان النبوي، فأوضح به المحجَّة، وأقام بــه الحجَّة على مــن بلغته دعوتــه أَو وصلته رســالته، وهدى به من الضلالة وبصّر به من الجهالة، فلم يزل لله طائعًا، وبأمره صادعًا، وإليه داعيًا، ولأمَّته هاديًا، وعن المعاصي ناهيًا، وبما أمر به مبصّرًا، وبالجنَّة مبشّرًا، ومن النار محذّرًا، حَتَّى قبضه الله إليه ـ صلى الله عليه ـ، وأمره قد ظهر، ونور الدين

---

(١) القَثُومُ: الجَمُوعُ للخَيْرِ. وقُثَمُ: اسْــمُ رَجُل. والاقْتِثامُ: الأخْذُ لما يُجْمَــعُ له. وقَثَمْتُ له من المال قَثْمًا: أي قَطَعْتُ له طائفَةً منه. ورَجُلٌ قُثَم: مِعْطَاءٌ. انظر: المحيط في اللغة، (قثم).

قد بهر، وعزّ الإســلام قد قهر، والشركُ منقمع، والشك منقدع، والحقُّ متّبع، والقول مستمع، صلى عليه وعلى آله الأتقياء وسلم تسليما.

أمَّا بعد: فهذا كتاب دعاني إلى تأليفه وحَدَاني إلى تصنيفه ما وجدته من دروس آثار المســلمين، وطموس إيثارِ الدين، وذهاب المذهب ومتحمّليه، وقلَّة طالبيه ومنتحليه، فرأيت الإمســاك عن إحيائه مع القدرة عليه، ووجود الســبيل إليه ذنبًا وشــؤمًا، وذمًّا ولُؤمًا، فألَّفته على ضعف معرفتي، ونقص بصيرتي، وكلّــة لساني، وقلَّــة بياني، طالبًــا للأجر لا للفخــر[1]، وللتعلّم لا للتقدّم، وللدراسة لا للرياسة، غير مدَّع للعلوم تصنيفًا، ولا مبتدع للفنون تأليفًا؛ لكــن لأحيي به نفسًــا، وأفرغ إليه أُنسًــا، وأرجع إليه فيما أنســى، ولأســتصبح **بضيائه** مُهتديًا، وأصبح بما فيه مقتديًا، إذ التشــكُّك معترض، والنسيان ذو عنون، والحفظ خؤون، ولكلِّ شيء آفة، وآفة الحفظ النسيان.

قال ابن عبَّاس: إنَّمَا سُــمِّي الإنسان إنســانًا؛ لأَنَّهُ ينســى. قال: وسمِّي آدم ﷺ إنسانًا؛ لأَنَّهُ عهد إليه فنسِيَ. وقالَ الشاعر:

وما ســمي الإنســان إلَّا لنسيه ومــا القلــب إلَّا أنَّــهُ يتقلب[2]

وقال الطائي[3]:

لا تنســينَّ تلك العهــودَ فإنَّما سُــمِّيت إنسانًا لأنَّك نَاسِــي[4]

---

(١) في (ت): «طلبًا للأجر لا للمفخر».

(٢) ذكره النويري في نهاية الأرب (٧٧٤/١)؛ والزبيدي فِي تاج العروس (١٢٤/١) ولم ينسباه.

(٣) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام (١٨٨ - ٢٣١هـ): شــاعر أديب. ولد بجاسم حوران بســورية، ورحل إلى مصر، واســتقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجــازه وقدمه على شــعراء وقته فأقام في العراق. له: فحول الشــعراء، وديوان الحماســة... انظــر: الزركلي: الأعلام، ١٦٥/٢.

(٤) البيت من الكامل لأبي تمام في ديوانه، ص٥٢٣.

وقال اللغويون: إِنَّمَا سـمِّي القلب قلبًا لتقلُّبه وكثـرة تغيّره، وأصله: من قلبتُ الشيءَ أقلبه، وقد ذكرت هذا في كتاب الإبانة[١].

وقد روي عن النبيّ ﷺ من طريق أنس بن مالك أَنَّـهُ قال: «**قَيِّدوا العلمَ بالكتابِ**»[٢]. وروي أنَّ رجلًا شـكا إليه ﷺ النسيانَ، فقال: «**استعمِل يَدَك**»[٣] يعني: اكتب حَتَّى ترجع إذا نسيت إلى ما كتبت.

وقال بعض: ما كُتبَ قرَّ، وما حُفظ فرَّ.

وقال مالك بن ثيبان[٤]: من شـأن ابن آدم أَلَّا يعلم كلَّ شيء، ومن شأنه أن يعلم كلّ شيء ثمَّ ينسى، اللهم إنِّي أشكو إليك ما فقدت من عقلي.

ويقال: القلب نور، والغمّ ظلمة.

وقال ابن عبَّاس رَحِمَهُ اللَّهُ: ما اجتمعَ علم وشغل في قلب قطّ.

وقال بعض البلغـاء: إن هذه الأذهـان والآداب نوافر تنـدُّ[٥] عن عقل الأذهان، فاجعلوا الكتب عنها حماة، والأقلام عنها رعاة.

وقال الخليل[٦]: اجعل ما في الكتب رأس المال، وما في قلبك للنفقة.

---

(١) انظر: العوتبي: كتابة الإبانة في اللغة العربية، ٧١٤/٣.

(٢) رواه ابـن جعفر القضاعي في مسند الشـهاب عن أنس مرفوعًا بلفظـه، ر٦٣٧، ٣٧٠/١. ورواه الطبراني في الكبير عن أنس موقوفـا، ر٧٠٠، ٢٤٦/١. وذكره الجاحظ مرفوعًا عن أنس. انظر: البيان والتبيين، ٢٣٢/١.

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة بمعناه، باب ما جاء في الرخصة فيه، ر٢٦٦٦، ٣٩/٥. وذكره الحكيم الترمذي عن ابن عباس فِي نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ١٧٤/١.

(٤) فِي (ت): نبهان. ولم نجد من ذكره أو ترجم له.

(٥) في (ت): تندوا. وفـي (س): تبدو. والصواب ما أثبتا، وسـيأتي بيانه في شـرح المؤلف لمعاني خطبته.

(٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (١٠٠ - ١٧٥هـ): عبقري نحوي لغوي أديب بارع، من أهل ودام بعُمان. انتقل مع أهله إلى البصرة وعاش فِيها وتوفي ودفن. أخذ عن: أبي أيوب =

وجعلت هذا الكتاب ذا أصول وآداب وفصـــول وأبواب، ولم أُخلِه من حكمة عجيبة، وكلمة غريبة، ومَثلٍساير، وبيت نادر، وسنن وأخبار، ومواعظ /١٢/ وأشـــعار، إذ كانت العلوم تتشـــابك اتّباعًا، والمعاني تتشارك اتساعًا، والفنون تستدعي الفنون، والحديث ذو شجون.

وقـــال بُزُرْجُمِهْر[١]: من العلم أن لا تحقر شـــيئًا من العلـــم، ومن العلم تفضيل أهل العلم.

على أن العلم يقتضي ما يقتضي منه، ويســـتدعي مـــا تأخر منه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه.

ومعنى «**الحديث ذو شجون**» أي: يتشعب من الحديث أحاديث، كالوادي الذي تتشعب منه المجاري، وتتفرَّق عنه الأنهار في الجهات.

وقيل لإياس بن معاوية[٢]: الحديث ذو شـــجون، فقال: شجونه خير، أي: فروعه خير. منه قال الفرزدق[٣]:

= السختياني. وأخذ عنه: سيبويه. وضع أسس المدرسة البصرية، ووضع علم العروض وعلم المعاجم، وشـــكل علامات التشـــكيل. له: نظريات تربوية في التعليـــم، وكتاب «العين»، و«العروض»، و«الشـــواهد» وكتاب «النقط والشـــكل» وكتـــاب «النغم». انظـــر: ابن عماد: شذرات الذهب، ٢٧٥/١. ابن كثير: البداية والنهاية، ١٦١/١٠.

(١) بُزُرْجُمِهْر بن البختكان الفارســـي، من حكماء الفرس قبل الإسلام. من سلالته: أبو مسلم عبدالرحمٰن بن مســـلم الخراســـاني. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ر٣٧٢، ١٤٥/٣.

(٢) إيّاس بـــن معاوية بن قرة بن إيـــاس المزني أبو واثلة البصري، (ت:١٢٢): قاض مشـــهور بالذكاء، ثقة، يروي عن: أبيه وأنس وابن المســـيب وســـعيد بن جبير. وعنه: خالد الحذاء وشعبة وحماد بن سلمة ومعاوية بن عبدالكريم الضائع وغيرهم. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥٥/٥. وابن حجر: تقريب التهذيب، ١١٧/١.

(٣) الفرزدق: هو همام بـــن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس (١١٠هـ): شـــاعر نبيل من البصرة، له أثر في اللغة حتى قيل: «لولا شـــعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، =

فلا تأمننَّ الحرب إن اســتعارها كضبَّة إذ قال الحديث شــجون[(١)]

وضبَّة بن أدّ [بن طابخة][(٢)] هو القائل ذَلِكَ، وله حديث تركته.

فلا غرو إن كَبُر الكتاب وكثر فيه الأبواب، ولعمــري إِنَّ الإكثار والإطالة موجبان للتــرك والملالة، لكن لا في كلّ مكان يَحســن الاختصار، كما لا في كلّ مكان يحسن الإكثار. وقيــل لأبي عمرو ابن العــلاء[(٣)]: هل كانت العرب تُطيل؟ قال: نعم؛ ليسمع منها. قيل: فهل كانت توجز؟ قال: نعم؛ ليحفظ عنها.

وقد فسَّــرت جميع ما ذكرت في هذا الكتاب مــن لفظ غريب، ومعنى عجيب؛ ليكون مستغنيًا بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره، على أن الغرض المقصود به، والغرض الموضوع له هو الفقــه الذي هو العلم الأعم، والفن الأتم، بعد القرآن الــذي هو أصل العلوم، وأوَّلها وأفضلهــا وأجلَّها وإمامها

= ولولا شــعره لذهب نصف أخبار الناس»، يشبه بزهير بن أبي ســلمى، له أخبار مع جرير والأخطل. لقــب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. كتب عنه خليــل مردم بك وغيره. انظر: الزركلي: الأعلام، ٩٣/٨.

(١) البيت من الطويل، لــم نجده فِي ديوان الفــرزدق، وذكره العسكري فــي جمهرة الأمثال (٣٧٨/١) ولم ينسبه.

(٢) ضبَّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر: جد جاهلي. كانت ديارهم في الناحية الشــمالية التهامية من نجد، وانتقلوا في الإسلام إلى العراق، فسكنوا الجزيرة الفراتية. كان له ثمانية عشر ولدًا ذكرًا شــهدوا معه يوم القريتين. من أبنائه سعد وسعيد، وحصين كان مع عائشة يوم الجمل، ومن ولده القاضي: أبو شــبرمة عبد الله بن شــبرمة. يقال: إِنَّــهُ أوَّل من قال: «الحديث ذو شجون» و«وسبق الســيف العذل». أورد ابن حزم أسماء بعض المشاهير من بني ضبة. انظر: ابن خلدون: التاريخ، ٣٨١/٢. الزركلي: الأعلام، ٢١٣/٣.

(٣) أبو عمــرو ابن العــلاء، زبان بن عمــار التميمي المازنــي البصري، يلقب أبــوه بالعلاء (٧٠ - ١٥٤هـ): من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء الســبعة. ولد بمكة، ونشــأ بالبصرة، ومات بالكوفة. لــه أخبار وكلمات مأثورة. للصولي «أخبار أبــي عمرو ابن العلاء». انظر: الزركلي: الأعلام، ٤١/٣.

وأكملها، ومنه تستنبط كلّ معرفة، وعنه تضبط كُلّ صفة، قال النَّبِيّ ﷺ: «**إِذَا الْتَبَسَــتْ عَلَيْكُمُ الأُمُورُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ فَعَلَيكُمْ بِالقُرْآنِ**»(١)، في خبر فيه طول تجد تمامه بتفسيره في «باب القرآن»(٢) من هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ.

ومـا أردت بتأليفه اعتسـافًا في الديـن، ولا قصدت فيـه خلافًا على المسلمين، ولا بدلت مقالاتهم مائنـا(٣)، ولا عدلت عن تأويلاتهم مباينًا. بل قفوت آثارهم واطئًا، ونحـوت اختيارهم مواطئًا، وقلت مـا ذكروه إخبارًا، ونقلت ما سـطروه اختصارًا، وقبلت ما أثروه اختيارًا، فأنا وإن اختلف منّي الكلام لهم ولأقاويلهم على الوئام(٤).

وبالله أعوذ مـن مفارقة مذاهبهـم، ومجانبة الاقتـداء بهم، فهـم العلماء المؤمنـون، والفقهاء المؤتمنـون، والأوائل المتقدمـون، والأفاضل المقدمون، والأخيار المتبعون، والأبرار الورعون، والأتقياء الصادقون، والأولياء الموافقون، والأجِلَّاء ديانة، والأخـلاء أمانة، لم يركنوا إلى الدنيا طلبًـا(٥)، ولم يغفلوا عن الآخرة لعبًا، ولم يعرفوا بجهل مضل، ولـم يعرفوا بفعل مزلّ، ولا تورّطوا إلى الأهواء هالكين، ولا تخبَّطوا العشـواء سـالكين، هيهات هيهات بل جدّوا في الآخرة مشـمِّرين، واجتهدوا عليها غير مقصرين، ودعوا إلـى الْحَقّ مبصّرين، وقتلـوا في سـبيل الله صابرين، فنحـن وبهداهم مقتدون، ولأمرهـم طائعون،

(١) ذكره الهندي فِي كنز العمال عن العسكري، فِي حديـث طويل من طريق علي. انظر: كنز العمال، ر٤٠٢٧، ١٢٥/٢.

(٢) انظر: «باب فِي القرآن»، ج٢/ص مخ ١٤٤.

(٣) المَيْنُ: جمعه مُيونٌ، وهُو الكذب. يقال: مانَ الرجلُ يَميـنُ مَيْنًا، فهو مائِنٌ وميونٌ، وقيل: أكثر الظُنون مُيونٌ. انظر: تهذيب اللغة للأزهـري؛ والصحاح للجوهري؛ مختار الصحاح للرازي؛ (مين).

(٤) فِي (ت): «والأقاويلهم عَلَى العام».

(٥) فِي (ت): لباطل.

ولقولهم سامعون، ولفعلهم تابعون، جزاهم /١٣/ الله تعالى بما علَّمونا جنَّة وسلامًا، وبما حملونا رحمة وإكرامًا، وإياه تعالى أستغفر من الجهل عاملًا، ومن الإفك قائلًا، وما التوفيق إلَّا من الله، به وعليه توكلت وإليه أنيب.

وقد ذكرت شيئًا من أقاويل قومنا الموافقة لنا والمخالفة لأقاويلنا في مواضعها من الكتاب، إذ العلم بذلك خير من الجهل به، فمن وقف على هذا الكتاب فلا يعجلن بالجهالة عليَّ، ولا يرسلن هجر المقالة إليَّ، ولينصح بتصحيح ما قلته، وليتصفَّح ما قدَّمته، عساه يجد لي سَعة وعذرًا، وليتبيَّن صحَّة أمر، ثُمَّ لا يستثقله رائيًا، ولا يمله قارئًا، فإن الكتاب كُلّما كبر حَجْمُه كَثُر فوائده وعلمه.

حكى الجاحظ(١) أنَّ القيني(٢) ذكر يومًا كتابًا لبعض القدماء: فقال: لولا طوله وكثرة ورقه لنسخته. فقال ابن الجهم(٣): ولكنني ما رغَّبني فيه إلَّا الذي(٤) زهَّدك فيه، وما قرأت كتابًا كبيرًا قطّ فأخلاني من فائدة وما أُحصي، وكم قرأتُ من صِغار الكتب فخرجت منه كما دخلت.

---

(١) في (س): «الحافظ أن القيني»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه من: الحيوان للجاحظ، ٥٣/١. والجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (١٦٣ - ٢٥٥هـ): إمام أديب بصري، فلج في آخر عمره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له: كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، والتاج... انظر: الزركلي: الأعلام، ٧٤/٥.

(٢) عثمان بن عمرو القيني، من بني القين ابن جسر (٢٢٥هـ): شاعر بصري. له أخبار ومعاتبات مع محمد بن عبيد الله العتبي. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢١٢/٤.

(٣) أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر، من بني سامة، من لؤي بن غالب (٢٤٩هـ): شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصرًا لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان، ثُمَّ انتقل إلى حلب، ثُمَّ جرح ومات فِي غزو. له: ديوان شعر. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٩/٤.

(٤) في (س): والذي، وهو خطأ.

وحكي عن بعض أهــل العلم: أَنَّهُ كان يُعظِّم الكتــاب لكِبره، ويزري[١] عليه لصغره في حال نظره إليه قبل وقوفه عليه.

وقيل: إن كتاب المجوس الذي أَلَّفوه مســتعجمًا لما فسّــر بالعربية كان وقر اثني عشــر جملًا من كبره وكثرته، وكله باطــل مصنوع[٢]، وضلال غير مسموع. وقيل: إن اسمه بستا. وقيل: إنه كتب في عشرين ألف جلد من جلود الإبل نَقرًا بالحديد لا بالمداد، والله أعلم.

وقيل: إن الكتاب الذي أَلَّفه أبقراط سمي أفوريسمو، أي: كتاب الفصول.

وحكي عن بعضهم أَنَّهُ أَلَّف في التوحيد فقط كتابًا كان عدد أجزائه مائة وأربعين جزءًا.

وذكر مُحَمَّد بن إسحاق[٣] أَنَّهُ أَلَّف كتابًا في الشروط[٤] زائدًا على أربعة آلاف ورقة.

---

(١) الزَّرْيُ: أنْ يَزْرِيَ فلانٌ على صاحبه أمرًا، إذا عابه وعَنَّفَهُ ليرجع فهو زارٍ عليه. انظر: العين، (زرى).

(٢) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ موضوع» كما فِي النسخة (ت).

(٣) مُحَمَّد بن إســحاق بن يسار المطلبي المدني (١٥١هـ): من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينــة. له: «الســيرة النبوية»، هذَّبهــا ابن هشــام. كان قدريًا من حفــاظ الحديث. زار الإسكندرية وسكن بغداد فمات فيها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨/٦.

(٤) علم الشروط: عرفه حاجي خليفة (ت:١٠٦٧هـ) بأنه: «علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والســجلات، على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شــهود الحال، وموضوعه تلك الأحــكام من حيث الكتابة، وبعض مبادئه مأخوذ مــن الفقه، وبعضها من علم الإنشــاء، وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحســانية، وهو من فروع علم الفقه، ومن حيث كون ترتيب معانيه موافقًا لقوانين الشرع». فهو إذا العلم بكيفية توثيق الالتزامات التعاملية وفق الأحكام الشــرعية على وجه يصحّ الاحتجاج بها حفاظًا لحقوق الناس. وذكر السرخســي بعض منافعه، منها: صيانة الأموال، وقطع المنازعة بين المتعاملين، والتحرز عن العقود الفاسدة، ورفع الارتياب عند الاشــتباه بتطاول الزمان. ويســتمد علم الشــروط مشــروعيته من الكتاب والسُّــنَّة. وقيل: وقيل أول من صنف فيه: هلال بن يحيى البصــري الحنفي (ت:٢٤٥هـ). انظر: السرخسي: المبسوط، ١٦٧/٣٠ - ١٦٨. حاجي خليفة: كشف الظنون، ١٠٤٦/٢.

وهو فنّ، وكم مثل هــذا وأكثر وأقــلّ، وأكثر من العلــوم المصنفة والكتب المؤلفة. فلو اســتطعتُ أن أجمع كل العلوم في هذا الكتاب لفعلت، لكن ذلك ما لم يكن لمتقدم ولا يكــون لمتأخِّر، فهــو وإن كان كبيرًا فبالقيــاس لغيره يكون صغيرًا، وقد جمع ما تفرَّق في ســواه، وهو مع ذلك بحمد الله مهذب التصنيف، ومصوّب التأليــف، إلَّا أن يعترضه طعنُ حاســد، أو يمرضه عيــنُ[١] معاند، وما الباطل بمقبول من أهله، وما الحَقّ بمنقول عن أصله، والسكوت خير من الخلاف العاري من البرهــان، والخرس أفضل من قول بغير بيــان. ويجب لمن رام لغيره المعارضة، ولأقاويله المناقضة ألَّا ينطق إلَّا بالبراهين، لاسيما فيما يتعلق بالدين.

وللناس مذاهــب فيما يألفونه[٢]، ومطالب فيمــا يصنِّفونه، فمنهم من يريد بذلك تدليسًا، ويقصد فيه تلبيسًــا. ومنهم من يعتمد للمناقضات، ويجتهد في المعارضات. ومنهم من يطلب بذلك الدنيا والمفاخرة، لا الدين يريد والآخرة. ومنهم من يعتمد به التقوية للمسلمين، ويعتقد فيه النية لربّ العالمين. فيجب لمن ألّــف كتابًا أن يقصد به تأييدًا للدين، وإرشــادًا للمســلمين، وأن يصحِّح كلامه، ويوضّح نظامــه، ويحذَر غلطات الكلم، وســقطات القلم، فإنه يعرض عِلمه وعَمَله وعقله وحمقه وجهله. روي عن إياس بــن معاوية أَنَّهُ /١٤/ قال: من ألَّف كتابًا فقد استهدف، فإن أحسن فقد استشرف، وإن أساء فقد استقذف.

ثُمَّ لا يخرج كتابه من يــده حَتَّى يقرأه ويصحّحه، ويجــرِّده ويوضّحه؛ ليخرج سالمًا صحيحًا واضحًا فصيحًا. قال هشــام بن عروة[٣]: قال لي أبي: كتبتَ؟ قلت: نعم. قال: عَرضت؟ قلت: لا. قال: فلم تَكتب.

(١) في (ت): غين.

(٢) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ يقولونه». وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٣) هشــام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأســدي، أبو المنذر (٦١ - ١٤٦هـ): تابعي محدث. ولد وعاش فِي المدينة. زار الكوفة، ثُمَّ بغداد وافدًا على المنصور العباسي فكان من خاصته، وتوفي بها. روى نحو أربعمائة حديث. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٨٧.

ولتحسن الاختيار، وتقصد الاختصار. قال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ واختُصِرَ لي الحَدِيثُ**»[١].

وقال الخليل: يُختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم. ويقال: اختيار العلم أشدّ من جمعه. ويقال: محيي كنوز العلم في اختياره، وحسن اختصاره. وقال الخليل: لكلِّ شيء صناعة، وحسن الاختصار[٢] صناعة العقل. وقيل: دلّ على عقل اختيَارُه.

تفسير ما في الخطبة من الغريب

عودٌ بعد بُدُوّ: العود: تثنية الأمر، بدأ ثُمَّ عاد، والعودة: عودة مرَّة واحدة، كما يقول ملكُ الموت لأهل البيت ـ إذا قبض أحدهم ـ: «إن لي فيكم عودة ثُمَّ عودة حَتَّى لا يبقى منكم أحد». وعاد علينا فلان بمعروفه؛ أي: أحسن ثم زاد. قال شعرًا[٣]:

قد أحسن سعد في الذي كان بيننا ... فإن عاد بالمعروف[٤] فالعود أحمد[٥]

والبدُوّ: مصدر بدا يبدو، وهو: أن تفعل شيئًا قبل غيره، والله بدأ الخلق وأبدأ الخلق، والمعنى واحد.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب بلفظ قريب، فصل في بيان النبي ﷺ وفصاحته، ر١٤٣٥، ٢/١٦٠. وروى صدر الحديث كل من: البخاري عن أبي هريرة مطولا، باب قول النبي ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم»، ر٦٨٤٥. ومسلم عن أبي هريرة مطولا، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ر٥٢٣.

(٢) كذا في جميع النسخ، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ الاختيار».

(٣) في (س): شعرة.

(٤) هذه رواية الخليل في كتاب العين، (عود)، ولكن بلفظ: «بالإحسان». وهذه رواية الزمخشري فِي المستقصى، ١/٣٣٥.

(٥) البيت من الطويل ذكر بروايات مختلفة ونسب إِلَى مرقش عند الزمخشري فِي المستقصى في أمثال العرب، ١/٣٣٥.

والآلاء: النعم، واحدها إلًى.

والبلاء يكون في الخير والشرِّ، والله يبلي العباد بلاءً حسنًا وبلاءً سيئًا.

والنقم: جمع نقمة، وهي العقوبة، كقوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ﴾ (المائدة: ٩٥)، وتقول: نقمت عليه ما صنع نقمًا، ونقمت: أي أنكرت، وتقول: نَقَم ينقم لغتان. قال الشاعر:

ما نَقموا من بني أمية إِلَّا ... أنهم يَحلمون إن غضبوا[١]

والبلاء: الامتحان، يقال: بُليَ الإنسانُ وابتُلِي، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ (الفجر: ١٦). قال الشاعر:

بُليتُ وفقدانُ الحبيب بلية ... وكم من كريم يُبتلى ثُمَّ يصبر[٢]

والبلوى: هي[٣] البليَّة، والبلوى: التجرِبَة بَلَوتُه بَلْوَى.

والقُثَم: الجامع الكامل. ١٤/

بهر الشيء: إذا غلب ضوؤه ضوء غيره، قال:

[لدى ملكٍ يعلو الرِّجالَ بضوئهِ] ... كَمَا يَبْهَرُ الْبَدْرُ النُّجُومَ السَّوَارِيَا[٤]

وقال آخر:

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلى أَحَدٍ ... إِلَّا عَلى أَحَدٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا[٥]

---

(١) البيت من المنسرح لعبيد الله بن قيس الرقيات، في ديوانه، ص ٤. وتهذيب اللغة، (قنم) ١٦٢/٩. وصدر الدين البصري: الحماسة البصرية، ١٧٢/١.

(٢) البيت من الطويل لم نجد من نسبه. انظر: العين؛ ومقاييس اللغة، (بلي).

(٣) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ من».

(٤) البيت من الطويل لذي الرمة في ديوانه، ص ٨٦.

(٥) البيت من البسيط، لذي الرمة في ديوانه، ص ٥٠.

منقمــع: أي ذليل، وقمعت فلانًا فانقمَع: أي ذللتــه فذلّ، وكان قمعة بن إلياس بن مضر اسمه عُميرا فأغير على غنم لعمَّة أبيه فانقمَع في البيت فَرَقا فسمَّاه أبوه قَمعة[١].

منقدع: كافّ، قَدعته عن هذا الأمر فانقدع.

ذو عنون: العنون مصدر [عَــنَّ] لَنَا كذا، أي: اعتــرض، يعنُّ عنونًا. قال امرؤ القيس:

فعَــنَّ لنــا سِــرْبٌ كأنَّ نِعاجَهُ   عذارى دَوارٍ في مُــلاءٍ مُذَيَّلِ[٢]

دَوَّار: صَنم كانوا يطوفون به في الجاهليــة، ويقال: هو حجر أو حجارة يطوفون بها، ودَوَّار (بالفتح والتشديد): موضع بالرمل. قال الشاعر:

كانَــتْ منازِلُنَــا التي كُنَّــا بِهَا   شَــتَّى فـأَلَّفَ بَـيْـنَـنَــا دَوَّارُ[٣]

تندُّ: أي تنفر، يقال: أَنَددتُ البعير فنَدَّ، أي: أنفرته فنفر.

والحديث ذو شجون: وقد فسرته في موضعه.

ولا غرو: أي فلا عجب.

الوئام: ـ ويقال: اللوام أيضًا: الموافقة، ويقال: المباهاة في الأشياء، وقيل: يقال: لولا اللــوام[٤] لهلك الأنام. وقيــل: هلك اللئام. يقــول: إن اللئام إِنَّمَا يفعلون الجميل مباهاة وتشبيهًا /١٥/بأهلِ الكرم، ولولا ذلك هلكوا.

---

(١) انظر: لسان العرب، (قمع). وصبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٤٠٢/١.
(٢) البيت من الطويل لامرئ القيس فِي ديوانه، ص٦.
(٣) البيت من الكامــل لِجَحْدر بن مُعَاوِيــة العُكْلِيّ. ودوَّار: سِــجْنٌ باليمَامَــة. انظر: تاج العروس، (دور).
(٤) كــذا في (س) من الملاومة وهو صحيح، لكن المشــهور: الوئام. انظــر: مختار الصحاح، (وَأَم). وأبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، ١٧٦/٢.

ومجانبــة الاقتداء: بتــرك الاتِّباع وقطعــه، تقول: جانبت فلانًــا: قاطعته وقطعتــه واجتنبت قربه. **تورَّطوا**: وقعــوا في بليّة. **تخبَّطوا**: أي ســلكوا غير قصد.

والعشــواء: بمنزلة الظلماء، وعشــواء الليل ظلمته، والعَشــوة والعُشوَة والعِشــوة لُغات كُلّها في معنى: أن تركب أمرًا على غير بيان، وناقة عشواء: لا تُبصر. وقال زهير:

رَأيتُ المَنَايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِبْ تُمِتْــهُ وَمَن تُخطــئ يُعمَّــرْ فيَهرَمِ[(١)]

وهذا مَثَل، معناه: أنَّ المنايا تأتي بما لا يعرفه، من أصابته أماتته، فكأنَّها ناقة عشــواء لا تبصر، وقد ندَّت فهي تقتــل من أصابتــه، والمعنى كخبط عشواء: هُجر وقبيح المقالة.

حَجْمُ الشــيء: نُتُوُّهُ، مثل حجم الصبيِّ في بطنِ أمّه، وحجم الثدي في الصدر. وقال قيس:

تعَلَّقت لَيْلَــى وهْيَ ذات مؤْصَّد ولم يَبْدُ لِلأتراب من ثَدْيها حَجْمُ[(٢)]

المؤصد: لَبسة الأعراب بمنزلة الإزار، وغيرهم يسمِّيها النقبة[(٣)].

---

(١) البيت من الطويل، لزهير بن أبي سلمى فِي ديوانه، ص ٥.

(٢) البيت من الطويل لقيس بن الملوح بن مزاحم العامري (٦٨هـ). انظر: ديوان مجنون ليلى، ١/١٠٤؛ بلفظ: «وهي غرٌّ صغيرة». وروايــة المصنف ذكرها ابن فارس في: مقاييس اللغة، (أصد، ١/١١٠).

(٣) النقبة: خِرقة يجعل أعلاها كالسراويل وأســفلها كالإزار. وقيل: النقبة مثــل النطاق إِلَّا أَنَّهُ مخيط الحزَّة نحو السراويل. وقيل: هي ســراويل بغير ساقين. ولها معان أخر. انظر: لسان العرب، (نقب).

باب ١ في بسم اللّه الرحمن الرحيم

أوَّل ما يفتتح به الكتــب ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وهي آية من القرآن باجتماعهــم[١]، أنزلهــا الله ﷻ مبتدأ لكلامــه، وفصلًا بين ســوره، وأثبتها الصحابة في المصحــف، ويروى أن النَّبيّ ﷺ عدَّها مــن أُمِّ الكتاب، وقال: «إِنَّهَا مِنَ السبعِ المثانِي»[٢].

ونحــبُّ افتتــاح كلّ عمل وقول بهــا، والاقتــداء في ذلك بــالله ﷻ ثُمَّ برســوله ﷺ، وقد كره بعض أن يكتبَ معها في وسطها شــيئًا غيرها، أو يبتدأ بها فِي الشعر[٣]، أو يدغم منها صورة الباء والسين على ما يفعله بعض الكتَّاب، وكره بعض تصغير خطِّ اسم الله ﷻ تعظيما لاسمه وكلامه، ويُكره تعوير الهاء من اســم الله جلَّ ثناؤه، ويستحبُّ تبيين هذه الآية، وتفسيح[٤] حروفها، وتتميم ألفاتهــا، وتقويم لاماتها. وروي أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز كتب: «بســم الله الرحمٰن الرحيم» فحذف السين بين الباء والميم، فعزله لذَلِكَ، والله أعلم.

---

(١) كذا في جميع النسخ، وأشار فِي (س) إِلَى نسخة فقال: «خ بإجماعهم».

(٢) رواه البيهقي فــي السنن الكبرى عن أبي هريــرة بمعناه، باب الدليــل على أن «بسم الله الرحمٰن الرحيم» آية تامة من الفاتحة، ر٢٢١٨، ٤٥/٢. ورواه ابن أبي يعلى فِي مسنده من طريق أبي هريرة، ر٦٥٣١، ٤٠٥/١١.

(٣) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ أو يبدأ بها الشعر».

(٤) في (س): وتفسح. وفي (ت): وتفصح. ويظهر الصواب ما أثبتنا.

وكره جماعة من الصحابة والتابعين فيما وجدت أن يُجَرَّ[١] الباءُ إلى الميم حَتَّى يكتب السين.

وكره مجاهد[٢] والشعبي[٣] وغيرهما أن يكتبَ الجُنُب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم». وكره أن تُكتب على الأرض أنس بن مالك.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كتبَ «بسم الله الرحمٰن الرحيم» فَجوَّدها تَعظِيمًا لله ﷻ وجلَّت عَظَمَتُهُ غفَرَ اللهُ لَهُ، وَمن رَفَعَ قِرطَاسًا فِيهِ «بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحِيم» إِجْلالًا للهِ ﷻ أن يُدَاسَ كُتِبَ عِندَ اللهِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَيُخفَّف عَن وَالِدَيهِ وَإن كَانَا مُشرِكَين**»[٤] يعني: من العذاب.

وعنه من طريق علي أَنَّهُ عليه السلام [قال]: «**مَا مِن كتابٍ فيه اسمُ اللهِ نُسِخَ فِيهِ «بِسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم» مُلقًى بِبقْعَةٍ منَ الأَرضِ إِلَّا بَعثَ اللهُ إِليهِ مَن**

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ يمد». وهي ما فِي (ت).

(٢) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج (٢١ - ١٠٤هـ): تابعي، مفسر، مولى بني مخزوم من أهل مكة. أخذ عن ابن عباس، تنقل في الأسفار واستقر بالكوفة. له: كتاب في التفسير. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٨/٥.

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري الكوفي، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣هـ): فقيه، محدث ثقة، شاعر، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، روى عن: أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وشريح وكثير من الصحابة والتابعين، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه ورسوله إلى ملك الروم، ولي قضاء الكوفة فكان عادلًا لا يخشى في الحق لومة لائم، كان شديد التمسك بالآثار، لا يحب القول بالرأي. انظر: ابن سعد: الطبقات، ٢٤٩/٦. الزركلي: الأعلام، ٢٥١/٣.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال عن أنس بلفظ قريب، ٤٩/٥. ورواه أبو القاسم الجرجاني بسنده فِي تاريخ جرجان من طريق ابن عباس مرفوعًا، ر٨٢١، ٤٤٠/١. والخطيب البغدادي مثله فِي تاريخ بغداد، ر٢٣٨٠، ٣٢/٥. وابن حجر فِي لسان الميزان من طريق أنس ولم يصححه، لسان الميزان، ر٨٣٢، ٢٩٨/٤.

يرفَعُـه، فَإِذَا رَفعه أَدخلَـهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَخَفَّـفَ عن وَالِدَيهِ العَـذَابَ وَإن كَانَا مشرِكَينِ»[١].

وعنه ﷺ: «من يتوقَّ «بسم الله الرحمٰن الرحيم» رَزقَه اللهُ وَلَدًا بِلَا عَيبٍ»[٢].

فصل: [في فضل البسملة]

أبو جعفر محمد بن علي[٣] قال: مفتاح كل كتاب أنزل من السماء: «بسم الله الرحمٰـن الرحيم». وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**بِسـمِ اللهِ الرحمٰـنِ الرَّحِيمِ تِيجَانُ الكُتُبِ**»[٤]. وأنشد:

بـاسـمِ اللهِ يُـفْـتَـتَـحُ الـكَـلَامُ وَبِاسـمِ اللهِ شَـافِيَةُ السِّقَـامِ[٥]

قال عليّ: لَمَّا نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال رسول الله ﷺ: /١٦/ «**أوَّل ما أنزلت هذه الآيـة على آدم، قال** عليه السلام: **أَمِنَ ذرّيتـي العذابَ ما داموا على قراءتها، ثُمَّ رفعت فأنزلت على إبراهيم** عليه السلام **فتلاها فقرأها وهو في كفَّة المنجنيق، فجعـل الله تعالى عليه** [النار] **بردًا وسـلامًا، ثُمَّ رُفعت بعده، فما نزلت إِلَّا على سليمان** عليه السلام **وعندها قَالَت الملائكة: الآن تَمَّ والله ملكك، ثُمَّ رفعت فأنزلهـا الله تعالى علـيَّ، ثُمَّ تأتي أمَّتـي يوم القيامة وهـم يقولون:**

---

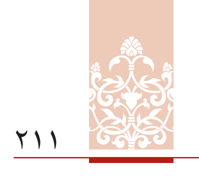
(١) رواه الطبراني فِـي الصغير من طريق علي بـن أبي طالـب، ر٤٠٣، ٢٤٧/١. والخطيب البغدادي فِي تاريخـه من طريق أنـس، ر٦٦٩١، ٢٤١/١٢. ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية عن علي بن أبي طالب، ر٩٩، ٨٨/١.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) مُحَمَّد بن علي زيـن العابدين بن الحسين الطالبي الهاشـمي القرشـي، أبو جعفر الباقر (٥٧ - ١١٤هـ): ناسـك عابد عالم فقيه، خامس الأئمة الاثني عشـر عنـد الإمامية. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٠/٦.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٥) لم نجد من ذكره.



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **فإذا وضعت في ميزان أعمالهم**[(١)] **رجحت حسناتهم**»[(٢)].

وقَال رسول الله ﷺ: «**اكْتُبُوهَا فِي كُتُبِكُمْ فَإِذَا كَتَبْتُمُوهَا فَتَكَلَّموا بها**»[(٣)].

عائشة أَنَّهَا قَالَت: لَمَّا نزلت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ضجَّت الجبال حَتَّى سمع أهلُ مكَّة دويَّها، وقالوا: سَحَر محمَّد الجبال، فبعث الله عليهم دخانًا حَتَّى ظلَّل [أهل] مكَّة. فقال النبي ﷺ: «**مَن قَالَ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مُؤْمِنًا مُوقِنًا سَبَّحَتْ مَعَهُ المَلَائِكَةُ وَالجِبَالُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسمَعُ ذَلِكَ**»[(٤)].

قال ابن عبَّاس: قال لَمَّا نزلت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في سورة النمل مرَّت الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وصاحت النجوم، وأصغت البهائم بآذانها وأقبلت، وردَّت الشياطين من السماء، وحلف ربّ العزَّة [أن] لا يُسمَّى اسمه[(٥)] على شيء إلَّا شفاه، ولا على شيء إلَّا بارك فيه[(٦)].

ولم يَرِنَّ إبليس ـ لعنه الله ـ مثل ثلاث رَنَّات قط، رَنَّة[(٧)] حين لُعِن، وأخرج من ملكوت السموات، ورَنَّة حين وُلِد النبي ﷺ، ورَنَّة حين نزلت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فاتحة الكتاب[(٨)][(٩)].

---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ في الميزان»، وهو ما في النسخة (ت).

(٢) ذكره النيسابوري في تفسيره عن علي بلفظه. انظر: تفسير النيسابوري، ٢٢/١ (ش).

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) ذكره السيوطي عن عائشة بلفظه. انظر: الدر المنثور، ٢٦/١.

(٥) في (ت): باسمه.

(٦) رواه الثعلبي في تفسيره عن جابر بن عبد الله بلفظ قريب، ٩١/١.

(٧) الرَّنَّةُ: الصَّيْحَةُ الحَزِينةُ، يقال: ذو رَنَّةٍ. والرَّنِينُ: الصياح عند البكاء. ابن سيده: الرَّنَّةُ والرَّنِينُ والإِرْنانُ الصيحة الشديدة، والصوت الحزين عند الغناء أَو البكاء. انظر: لسان العرب، (رن).

(٨) في (ت): «ولم يَرِنَّ إبليس ـ لعنه الله ـ مثل رَنَّات قط، رَنَّة يوم لُعِن، ورنة يوم أخرج من ملكوت السموات، ورَنَّة حين وُلِد النبي ﷺ، ورَنَّة حين نزلت فاتحة الكتاب».

(٩) الأثر ذكره الأبشيهي عن ابن عباس. انظر: المستطرف في كل فن مستظرف، ٧٦/٢.

ابن عبَّاس قال: أوَّل ما أنزل الله تعالى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ على سليمان عليه السلام؛ ليفتتح بها الدنيا، ويُذلّ بها الملوك، وهي قراءة أهل السموات. ثُمَّ رفعت فأنزلت على محمَّد ﷺ في سورة النمل، وكانت فتحًا عظيمًا عليه، فإذا قرأتموها فمُدُّوها فَإِنَّهَا هي[1] العزيزة، وإذا كتبتموها فاقرؤوها، فإنها الشافية من كلِّ داء، وما تقدمها شيء من الكلام فجعلت افتتاحًا لكلِّ مهمّ[2]، ودواءَ كلِّ سقيم، ولم يردّ دعاء أوَّله ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وقال عليّ بن أبي طالب: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ شفاء من كلِّ داء، وعون على كل دواء.

وروي عن الشعبي: أن العرب كانت تكتب في أوائل كتبها قبل الإسلام «باسمك اللهم»، وكان النبي ﷺ يكتبها كذلك صدرًا[3]، فلما نزلت عليه ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ (هود: ٤١) كتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾، ثُمَّ نزلت عليه ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ (الإسراء: ١١٠)[4] الآية، فكتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، ثُمَّ نزلت عليه ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (النمل: ٣٠) فكتبها كذلك، فاستقام الأمر واستمرَّ على افتتاح الكتب بها إلى اليوم.

ويقال: أوَّل من كتبها سليمان عليه السلام، و﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ تسعة

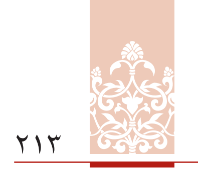
---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ فإنما هي»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٢) في (س): «مهيم»، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ مهم» كما في النسخة (ت) وهو ما أثبتنا. ومَهْيَم: كلمة يَمانية يستفهم بها معناها ما أَمْرُك؟ وما هذا الذي أَرى بكَ؟ ونحو هذا من الكلام. انظر: القاموس المحيط، ولسان العرب؛ (مهيم).

(٣) في (س): مصدرًا. وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ صدرا»، وهو ما جاء في النسخة (ت) أيضًا وهو ما أثبتناه.

(٤) وتمامها: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.



عشر حرفًا، لقارئها بكلِّ حرف عشر حسنات. ويقال: قد أكثر من البسملة إذا أكثر من قول ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. قال عمر بن أبي ربيعة[1]:

أَلَا بَسْمَلتْ لَيلَى غَداةَ لَقيتُها　　　فيا حَبَّذا ذاكَ الحَبيب المُبَسْمِلُ[2]

فصل: [في البسملة]

عمرو بن شرحبيل[3] قال: «أوَّل ما جاء به جبرائيل إلى النبي ﷺ قال له: قل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فأعادها عليه ثلاثًا، ثُمَّ قال له: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فأعادها عليه ثلاثًا»[4].

الزهري[5] في قوله ﷻ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (الفتح: ٢٦)، قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ /١٧/.

---

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب (٢٣ - ٩٣هـ): أشعر من في قريش وأرقهم شعرًا فِي عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولد في ليلة وفاة عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورفع نفاه عمر بن عبد العزيز إلى «دهلك» ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقًا. له «ديوان شعر». انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٥٢.

(٢) البيت من الطويل لعمر بن أبي ربيعة. انظر: ابن الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ١/١١.

(٣) عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة (٦٣هـ): تابعي عابد زاهد من أهل الكوفة. يروي عن: عمر وابن مسعود. روى عنه: أبو إسحاق السبيعي. مات في الطاعون قبل أبي جحيفة. انظر: الثقات، ر٤٤٠٢، ٥/١٦٨.

(٤) ذكر الشطر الأول منه ابن عطية الأندلسي في تفسيره عن عمرو بن شرحبيل. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١/٦١.

(٥) مُحَمَّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر (٥٨ - ١٢٤هـ): تابعي محدِّث، من بني زهرة بن كلب. من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها. توفي بشَغْب على حدود الحجاز وفلسطين. انظر: الزركلي: الأعلام، ٧/٩٧.

قال عليّ بن الحسيـــن(١): ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٦) بقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

عن النبي ﷺ: «سِــتْرُ مَا بَينَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إذا دَخَلَ أحدهم(٢) المستحمَّ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ»(٣).

وقال رجل: تَعِس الشــيطان، فقال النبيُّ ﷺ: «لَا يُقالُ: تَعِسَ الشَّــيطَانُ؛ فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ وَيَقولُ: بِعِزَّتِي لأَصْرَعَنَّكَ، فَإِذَا قلت: بِسْـمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَصاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثلَ الذُّبَابِ»(٤).

أبو جعفر محمد بن علي قال: إذا قــرأ الرجل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ستر ما بين يديه من السماء إلى الأرض.

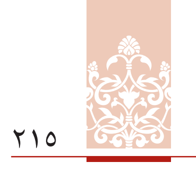
قيل: أمرت عائشة خادمًا أن يخيط لها خرقًا في فراشها فَلَمَّا خاطه قَالَت

(١) فِي النسخ: «عبدالله بن الحســن»، والتصويب من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، ٦٠/١. ومن تفسير القرطبي، ٢٧١/١٠. وهو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو الحسن زين العابدين (٣٨ - ٩٤هـ): عالم حليم ورع، رابع الأئمة الاثني عشــر عند الإمامية. ولد وتوفي بالمدينة، وكان يقوت مئة بيت سرّا. يقال له: «علي الأصغر» وله أخوه علي الأكبر وقد توفي مع والده في وقعة الطرف (كربلاء ٦١هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٧/٤.

(٢) في (س): «أحدكم»، وأشــار إِلَى نسخة فقال: «خ أحدهم»، وهو ما أثبتنا كما جاء في سنن الترمذي.

(٣) رواه الترمذي عن علي بلفظ قريــب، باب ما ذكر من التسمية عنــد دخول بيت الخلاء، ر٦٠٦، ٥٠٣/٢. ورواه ابــن ماجه عــن علي بلفظ قريب، باب ما يقــول الرجل إذا دخل الخلاء، ر٢٩٧، ١٠٩/١.

(٤) رواه أحمد في مسنده عــن أبي تميمة الهجيمي بلفظ قريــب، ر٢٣١٤١، ٣٦٥/٥. ورواه النســائي في الســنن الكبرى عن أبي المليح بلفظ مختلف، باب ما يقــول إذا عثرت به دابته، ر١٠٣٨٨، ١٤٢/٦.



له: أذكرت اسم الله عليه حين بدأت به؟ قال: لا. قَالَت: فانقضه، ثُمَّ اذكر اسم الله تعالى عليه.

وقيل: دعت عائشة خيَّاطًا فقَالَت له: سمَّيت حين ضربت بإبرتك؟ قال: لا. قَالَت: ما يبقى، فافتق ما خِطت.

فصل: [في اسم اللّه الأعظم]

كعب الأحبار: إنَّ أوَّل ما خلق الله ﷻ من الحروف الباء.

ويقال: كانت السين والألف حرفين كاملين فترافعت السين فرفع الله عليها الألف.

ويروى[١] عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**أوَّل ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ نقطة، فنظرت إلى نفسها فتصاغَرت فتواضعت لله ـ تعالى ﷻ ـ فصارت همزة، فلما رأى تواضعها طوَّلها فجعلها ألفًا، ثُمَّ تلفَّظ بها، فقال: ألف، فصارت ثلاثة أحرف ألف ولام [وميم]، وصارت ثلاثة أحرف. ثُمَّ جعل يلفظ حرفًا بعد حرف على تسعة وعشرين حرفًا، حَتَّى ثبتت الألسن كلها على ذلك، فجعل الألف من أوَّل أسماء الله ﷻ: «الله» الرحمٰن الرحيم، ألَا ترى أنه تدور عليه أسماؤه، وجعل اللام آخر أسمائه لجبريل وميكائيل، وجعل الميم في أوَّل اسم محمد ﷺ ومن أوسطه، ثُمَّ أقسم بنفسه وملائكته وبمحمد ﷺ: إن هذا الكتاب**»[٢].

وبلغنا أنَّ اسم الله الأعظم هو: لا إلٰه إِلَّا الله وحده لا شريك له، واسم الله ﷻ قدِّم على الرحمٰن الرحيم؛ لأَنَّه اسم لا ينبغي إِلَّا لله تعالى.

---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ ورُوي»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ (مريم: ٦٥): هل شَيْء تعلم له في السهل والجبل والبَرِّ والبحر، والمشــرق والمغرب[1] أحدًا اسمه الله غير الله لا إلٰه إِلَّا هو؟

وقيل: اسم الله الأعظم: يا ذا الجلال والإكرام. وقيل: يا حي يا قيوم.

أبي بن كعب قال: جميع الأسماء بمعنى ربوبية الربِّ ﷻ. قال: واسمه الذي هو اسمه: الله.

وقال جابر بن زيد[2]: اسم الله الأعظم هو: الله؛ ألا ترى أَنَّهُ به يُبدأ.

وتفســير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فــي الإعــراب قد ذكرتــه في باب التوحيد[3] ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) في (ت): والشرق والغرب.

(٢) جابر بن زيد اليحمدي الأزدي، أبو الشعثاء (ولد ٢١هـ ـ ت٩٣هـ): إمام عالم محدث فقيه من كبار التابعين، ولد في «فرق من ولاية نزوى» بعُمــان. تلقى العلم بالبصرة ومكة عن الصحابة، وروي عنه قولته: «لقيت ســبعين من أهل بدر فحويت ما عندهم إِلَّا البحر ابن عباس». لــه آثار جليلــة من أحاديــث وروايــات. انظر: ابن ســعد: الطبقــات الكبرى، ١٧٩/٧ ـ ١٨٠. الدرجيني: الطبقات، ٢١٣/٢ ـ ٢١٤؛ الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه: ص٣٧ ـ ٤٠.

(٣) انظر: «باب في التوحيد» من الجزء الآتي، ص مخ١٢١.



كتاب العلم والعقل وما يتعلّق بهما





باب ٢ في العلم

العلم على وجوه:

فالأوَّل: هو القرآن، وهو قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٦١)، والعلم المعجز هو: القرآن، ولا يسمى بهذا الاسم غيره.

والثاني: هو محمَّد ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ (الجاثية: ١٧)، يقول: لم يختلف أهل الكتاب فيه ﷺ أَنَّهُ نبي مبعوث حَتَّى جاءهم ﷺ.

والثالث: هو الكيمياء، وهو قوله تعالى في قصة قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص: ٧٨) أي: على علم كيمياء.

فالرابع: هو الشرك والكفر، وهو قوله ﷻ: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ (غافر: ٨٣)، قيل: من الشرك والكفر، والله أعلم.

والخامس: العلم المعروف، وهو ضد الجهل.

وعن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «**العلمُ علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان**»[(١)].

(١) لم نجده مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ولم يصحّ عن النبيّ كما قال العجلوني في كشف الخفاء، ٨٩/٢. وجاء أثرًا عن الإمام الشافعي في العقد الفريد لابن عبد ربه، ٣٢٢/٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ١٤٢/٩.

وفي خبر آخر أَنَّهُ عليه السلام قدَّم /١٨/ عِلمَ الأبدان على عِلم الأديان، وليس في تقديمه رحمه الله علم الأبدان دلالة على تفضيله إيَّاه على علم الأديان؛ إذ قد جاء في القرآن تقديم الأنقــص على الأفضل في غير موضـــع، فمنه تقديم الجنّ على الإنس، والإنس أفضل، وتقديم الليل على النهار، والنهار أفضل، وغير هذا كثير.

ويقال: العلوم أربعة: علم الأديان، وعلم الأبدان، وعلم اللســان، وعلم الإنسان. فعلم الأديان علم الحلال والحرام، وعلم الأبدان علم الطب، وعلم اللسان علم الفصاحة، وعلم الإنسان علم الأنساب.

ويقال: العلم علمان؛ فعلم باللســان ليس له تحقيق بالفعال فذلك العلم الضارّ، وعلم باللسان يُحقّقه الفعل[١] فذلك العلم النافع.

وعن جابر بن زيد: أنَّ النبيَّ ﷺ: «**العلمُ عِلمان: علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجَّة اللهِ على ابن آدم**»[٢].

والعلم ـ أيضًا ـ علمان: علم عقلي، وعلم سمعي.

فالعقلي: ما خطر بالقلب[٣] من التوحيد وغيره، ومعرفة الوعد والوعيد، وكذلك ما حسن في عقله وقبح ما لم يأته خبره ولم يسمع بذكره.

---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ الفعال». وفي (ت): «وعلم باللسان الفعال يحقّقه بالفعل».

(٢) رواه الربيع عن جابر بن زيد مرســلًا بلفظ: «العِلمُ علمان: عِلْــمٌ بِاللِّسَانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَعِلْمٌ بِالْقَلْبِ، فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ»، الأَخْبَارُ الْمَقَاطِيعُ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رحمه الله فِي الإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ، ر٩٤٧.

(٣) كذا في جميع النسخ، وأشارت إِلَى نسخة: خ بالعقل.

والعلم السمعي: هو ما جاء به محمد ﷺ من الشريعة والسُّنَّة، وبَيَّنه من أحكام القرآن مِمَّا طرق سمعه وجاءته صحَّته، وقامت حجَّته بظواهر دلالاته؛ لأَنَّ القرآن معجزٌ في نظمه ومعانيه، بائنٌ من كلام البشر، فذلك يلزم المتعبد التصديق به.

ويقال ـ أيضًا ـ: العلم علمان: علم اعتبار، وعلم اضطرار، وكلاهما عرض.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**العُلومُ ثلاثة وما سِوَاهنَّ فَضلٌ: آيةٌ مُحكَمَةٌ، أَو فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَو سُنَّةٌ ثَابِتَة**»[١].

ويقال: العلم علمان: القرآن، والفقه، والباقي تلَهٌّ[٢].

وقال مُحمَّد بن إسحاق: العلم اسم أصلي يجمع فروعًا كثيرة، وكلّ فرع من فروعه علم برأسه، فمن ذلك علوم آخِريَّة، وعلوم دنيائيَّة.

ـ **فمن العلوم الآخِريَّة:** التفقه، وهو الشرف الباذخ الذي من علمه وعمل به ساد في الدنيا والآخرة، وسبيل من أراد الفقه أن يبدأ بالقرآن واستنباط علمه، ومعرفة خاصِّه وعامِّه، وندبه وحَظره، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأحكامه وتفسيره وإعرابه. وإنَّ القرآن هو الأصل الذي مَن رزق علمه شَرف، وعلت حالُه، ورَأَس في الناس وساد به. ومن فروع العلم بعد طلب الآثار والفقه علمُ الفرائض وعلمُ الشروط.

---

(١) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بلفظ قريب، باب ما جاء في تعليم الفرائض، ر٢٨٨٥، ١١٩/٣. ورواه ابن ماجه عن ابن عمرو بلفظ مختلف، باب اجتناب الرأي والقياس، ر٥٤، ٢١/١.

(٢) «والباقي تَلَهٌّ»: بتشديد الهاء: من الإلهاء عمَّا هو واجب وأفضل. أو من «التَّلَهِ» بدون تشديد الهاء، بمعنى التلف والذهاب، كما يقال: فَلَاةٌ مَتْلَهَةٌ: أي مَتْلَفَة، وأَتْلَهَ المَرَضُ. ورَجُلٌ مَتْلُوهُ العَقْلِ وتالِهُه: أي ذاهِبُه. انظر: العين؛ والمحيط في اللغة، (تله).

ـ **وأمَّا العلوم الدنيائية:** فعلم اللغة والنحو، ورواية الشعر وحفظ الأخبار والسِّيَر والمغازي وأيام الناس، والطب والنجـوم والحساب، وعلم الهيئة[١] وأشباه ذلك، قد عدَّها الناس في جملة العلوم.

وعلم الشـروط علم جليل، وبالناس إليه الحاجة الماسـة ولا غُنية لهم عنه، وهو من علوم الدنيا والآخرة؛ لأَنَّه به تحفـظ الأمانات والأموال، وما يعلمه أحد إِلَّا احتاج إليه الناس.

وعن أبـي حنيفة[٢] أَنَّهُ قال: تعلمـوا الوثائق واكتبوها بيـن الناس، فإن أردتم دنيا وجدتموها، وإن أردتم آخرة وجدتموها.

قال خالد بن يوسف[٣] قال: قال تعلمت الفقه فما قامت سوقي، وتعلَّمت الشروط فكانت سبب رئاستي.

---

(١) علم الهيئة: يعـرف اليوم بعلم الفلـك، ويتفرع من أقسام العلـوم الرياضية، يتعلق بمعرفة جغرافية النجوم ومواضعها بالبراهين. ويتناول خمسـة علوم: علم الزيجات، وعلم المواقيت، وعلم كيفية الأرصاد، وعلم تسـطيح الكـرة، وعلم الآلات الظلية. انظر: حاجي خليفة: كشـف الظنون، ١٢٨٩/٢. صبح الأعشـى فِي صناعة الإنشـا، ٥٦٠/١.

(٢) النعمان بن ثابت بن زُوطَى بن ماه، أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ): عالم ورع ثقة. إمام المذهب الحنفي، من أتباع التابعين، كان خرازًا بالكوفة، وقد عـرف بصدق المعاملة، وكان ورعًا ثقة، له مسـند روى فيه ١١٨ حديثًا. الشـيرازي: طبقـات الفقهـاء، ٩٦. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٦٨/١.

(٣) لعله: خالد بن يوسـف بن حاتم السمتي البصري، أبو الربيع (٢٤٩هـ): له أربعون حديثًا. يروي عن ابن عيينة عن ابن جريج عن نافـع عن ابن عمر عن النَّبِيّ ﷺ: «ما من أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان». انظـر: ابن حبان: المجروحين، تـر٢٩٣، ٢٧٨/١. التاريخ الصغير، ٣٥٨/٢.

وقال [أبو إسحاق] إبراهيم [الحربي][(١)]: العلوم ثلاثة: علم /١٩/ دنياوي، وعلم دنياوي وأخروي، وعلم لا دنيا ولا آخرة؛ فَأَمَّا العلم الدنياوي: فالطب والنجوم وما أشبه ذلك. وأما العلم الأخروي والدنياوي: فهو القرآن والفقه. وأما العلم الذي لا للدنيا ولا للآخرة: فهو الشعر.

وقال بعضهم: الفقه علم جليل قلّما يسلم حامله من العجب والرياء. وعلم الحساب علم يتقن وليس من علم الدين. وعلم الإعراب لا يستغنى عن قليله ولا يحتاج إلى كثيره. والشعر نعم العون على الدنيا.

وأجلُّ العلوم: معرفة الله ﷻ، وكل فن من العلوم فهو علم بنفسه. وكل نوع من العلوم يقال له: نمط.

والعلوم ما أصلح الإنسان، وصحَّح اللسان، وأفصح البيان، ورفع أهله في الملأ، [و]نفعهم في الخلاء، وطُلب مفقودًا، ورغب فيه موجودًا أو جاء عن المسلمين، ونفع في الدنيا والدين، وكان صفوًا من الكدر، ونفعًا من الضرر[(٢)]، لا ما كان خطلًا ولغوًا ولعبًا ولهوًا وسفهًا وسهوًا، ذلك حظّ الجهّال، وبضاعة أهل الضلال.

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٤٠/٢. وأبو إسحاق هذا، هو: إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي (أو الحوفي)، أبو إسحاق (١٩٨ - ٢٨٥هـ): محدث فقيه زاهد أديب بارع. أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. تفقَّه على الإمام أحمد، له: «غريب الحديث» و«إكرام الضيف»، وغيرها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢/١.

(٢) كذا في جميع النسخ، وأشارت إلَى نسخة: «خ وعفوًا بلا ضرر».

فصل: [في أقسام العلم]

قال بعضٌ: **العلم علمان**: علم ديني، وعلم دنياوي.

فالعلم الديني: الذي هو قسط العلماء والحكماء[(١)] الذين أرادوا به الآخرة والنجاة.

والعلم الدنياوي: هو قسط من أراد اكتساب الأموال والمراتب في الدنيا.

والعلم الديني: ينقسم على قسمين: علم عام ظاهر، وعلم خاص باطن خفي.

فالعلم العام الظاهر الجليل: كالعلم في الحلال والحرام، والفرائض والسنن والأحكام، وحفظ الكتب، والأخبار والحديث، وغير ذلك، قد اشترك فيه الخاص والعام.

والعلم الخاص الباطن الخفي: فهو علم الأنبياء والصديقين والأولياء المخصوصين، وقد خصَّ به قوم دون قوم، فهو في كلِّ أمة، مثل: تأويل الكتب وأسرار الأنبياء والرسل، وما كان بينهم وبين أوليائهم، وهذا هو العلم الخاص الذي كان من الأنبياء[(٢)] وأوليائهم المخصوصين دون عوام الناس.

ثُمَّ ينقسم **العلم الخاص** قسمين: فقسم بين الأنبياء وخواصهم، وقسم خصّ الله تعالى به الأنبياء، وهو بينهم وبين الله ﷻ أطلعهم عليه دون سائر الناس من علم الغيب، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦، ٢٧)، فأعلمنا ـ جلَّ وعلا ـ أَنَّهُ إذا ارتضى رسولًا من خلقه أطلعه على ما شاء.

(١) في (ت): «الحكماء والعلماء».
(٢) في (ت): الأتقياء.

ثُمَّ ينقسم ـ أيضًا ـ ذلك العلم قسمين: علم بين الله تعالى وبين أنبيائه ورسله، وعلم تفرَّد به ﷻ فلم يطلع عَلَى غيبه أحدًا من خلقه، فقال جلَّ وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ومثله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)، ومثله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ (لقمان: ٣٤)، ومثله كثير في القرآن مِمَّا تفرد هو[١] ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ بعلمه دون سائر كلّ أحد من خلقه.

وقسم العلم أقسامًا، ورتب العلماء فيه مراتب ودرجات، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦).

والعلم الدنياوي: ينقسم قسمين: علم روحاني، /٢٠/ وعلم جسداني.

فالعلم الروحاني: فهو علم لطيف مثل علم النجوم والحساب والطب والهندسة وما أشبه ذلك.

والعلم الجسداني: هو علم الصناعات، مثل: البنيان والدوالي[٢] والإرحاء، وعمل البحر والحديد وغير ذلك من الصناعات.

---

(١) في (ت): انفرد به.

(٢) الدوالي: جمع دالية، والدالية: دلو ونحوها، وهو خشب يصنع كهيئة الصليب ويشد برأس الدلو، ثُمَّ يؤخذ حبل يربط طرفه بذلك، وطرفه بجذع قائم على رأس البئر، ويسقى بها فهي فاعلة بمعنى مفعولة. انظر: المصباح المنير للفيومي، (دللت).

فصل: [في انتقال العلم]

روي عن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**أنَا مَدينَةُ العلمِ وعَلِيٌّ بَابُها**»[١].

وعنـــه ﷺ أَنَّهُ قال: «**باضَ العلـــم بمكَّة، وفرَّخ بالمدينـــة، ونهضَ إلى عُمان**»[٢].

أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخرُج الناسُ مِن المشرقِ والمغربِ في طلبِ العلمِ فلَا يَجــدُون عالِمًا أعلم مِن عالم المدينةِ، أَو عَالِم أهلِ المدينةِ**»[٣].

وعن طريق أبي هريرة أَنَّهُ قال: «**يأتي عَلَى الناسِ زَمان لَا يَجدُونَ عَالِمًا أَعلَم مِن عالِمِ المدينةِ**»[٤].

وَنَقَلَة العلم من البصرة إلى عُمان أربعة: وهم: موســـى بن أبي جابر[٥]،

(١) رواه الحاكـــم في المستدرك، عن ابـــن عباس بلفظه مع زيادة، ذكر إســـلام أمير المؤمنين علـــيّ، ر٤٦٣٧، ١٣٧/٣. ورواه الطبرانـــي في الكبير عـــن ابن عباس بلفظـــه مع زيادة، ر١١٠٦١، ٦٥/١١.

(٢) ذكره الشقصي في منهج الطالبين وفيه زيادة: «وانتشر بالبصرة ونهض..»، ٢٢/١ (ش). ولم نجد من ذكره من أصحاب الحديث.

(٣) ذكره الهيثمي عن أبي موســـى الأشـــعري، وعزاه إلى المعجم الكبير للطبراني، فلم نقف عليه. انظر: مجمع الزوائد، ١٣٤/١.

(٤) رواه أحمد عن أبي هريـــرة بلفظ مختلف، ر٧٩٦٧، ٢٩٩/٢. ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ مختلف، ذكر الخبر الدال علـــى أن علماء أهل المدينة يكونون أعلم من علماء غيرهم، ر٣٧٣٦، ٥٢/٩.

(٥) موسى بن أبي جابر الإزكوي (٨٥ - ١٨١هـ): عالم فقية من بني سامة بن لؤي بن غالب. وأحد حملة العلم إلى عُمان، فقد تتلمذ على يد الإمام الربيع بن حبيب بالبصرة، ثم رجع إلى عُمان لتحمـــل عبء إقامة الإمامة الثانية بعُمان، واســـتطاع بتدبيره وذكائه جمع كلمة العُمانيين. خلع محمد بن أبي عفان من الإمامة بعدمـــا رأى الوارث بن كعب الخروصي =

وبشـير بن المنذر[١]، ومحمد بـن المعلى[٢]، ومنير بن النيـر[٣]، وكلهم في الولايـة، إلَّا محمَّد بن المعلـى فإنَّه قد وقفَ بعضٌ عنـه، والله أعلم بأمره. وقـال أبو إبراهيم[٤]: إنَّـهُ أوَّل من قـام بالتحكيم، ودعا إلـى القيام بدولة المسلمين.

= أصلح منه. له سـيرة جليلـة، وآراء متناثرة. انظر: البطاشـي: إتحاف الأعيـان، ١٦٨/١. البهلاني: نزهة المتأملين، ص٧٣ - ٧٤.

(١) بشير بن المنذر السامي، أبو المنذر (ت:١٧٨هـ): عالم فقيه من بني نافع بن بني سامة بن لؤي من عقر نزوى، يعرف بالشـيخ الأكبر، وأحد حملة العلم من البصرة إلى عُمان. أخذ عن أبي عبيدة وغيره. قدم عُمان وسكن بغضفان. توفي في ولاية الإمام الوارث بن كعب (١٧٨هـ). انظر: السالمي: تحفة الأعيان، ٢٥٤/٢. البطاشي: إتحاف الأعيان، ١٦٦. معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق (ن.ت).

(٢) مُحَمَّد بن المعلى بن النير الكندي الفشـحي (ق: ٢هـ): عالم فقيه أصله من فشـح بوادي السـحتن من الرسـتاق بباطنة عُمان. من حملة العلم إلَـى عُمان، أخذ عـن أبي عبيدة والربيع بن حبيب. وأخذ عنه سـلمة بن خالد السـلوتي. شـارك في إقامة الإمامة الثانية بعُمان، وكان مرشـحا لها، واعتذر بإعلان الشـراء فرفض ابن أبي جابـر أن يوليه زمام الأمور. انظر: تحفة الأعيان، ص١١١. البطاشي: إتحاف الأعيان، ص١٦٩.

(٣) منير بن النير الجعلانـي (ق:٢هـ): عالم فقيه من بني ريام، من حملـة العلم إلى عُمان، تتلمذ على يد أبي عبيدة والربيع بن حبيب وغيرهما. له: سـيرة جليلة وجهها إلى الإمام غسـان بن عبد الله تبين سـعة علمه وعاصر أئمة كثيرين. وعمر كثيرًا حتى سـقط حاجباه وبقي لا ينتفع إلا برأيه. انظر: السير والجوابات، ٢٣٠/١. تحفة الأعيان، ص١٨٨، ٢٦٠. الإباضية في الخليج، ص١١١ - ١١٢. البهلاني: نزهة المتأملين، ص٧٣.

(٤) لعله: أبو إبراهيم مُحَمَّد بن سعيد بن أبي بكر الإزكوي (ق:٤هـ): عالم فقيه من أهل إزكي بعُمان. أخذ عنه: أبي سعيد الكدمي وغيره. عاصر الشـيخ مُحَمَّد بن جعفر وابنه الأزهر، والكيس بن الملا، وعثمان بن مُحَمَّد وأبا المؤثر الصلت بن خميس... شـارك في اجتماع سـعال في مسـألة فتنة الصلت وراشـد. وكانت بينه وبين أبي الحواري مكاتبات. انظر: الاسـتقامة، ٢٢٢/١. تحفة الأعيان، ١٥٣/١. البطاشـي: إتحاف الأعيان، ٤٣٤/١. معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق (ن.ت).

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّــهُ قالَ: «نِعم وزيــرُ الإيمانِ العلم، ونعـــمَ وزير العلم الحلم، ونعمَ وزيرُ الحلمِ الدين، ونعم وزير الدينِ البِرّ»[١].

وقال بعض الحكماء: العلم داعية الحلــم[٢]. ويقال: علمك من روحك، ومالك من يديك.

وقال بعض الحكماء: من أحبَّ العلم أحاطت به فضائله.

الزهري: العلمُ ذَكَر، ولا يحبُّه إِلَّا ذكور الرجال.

عبدالله بن الزبير أَنَّهُ قَــال: العلم ذَكَر يحبُّه ذكورُ الرجال وتبغضه إناثهم. وقال في مجلســه رجل من أهل الكتاب فقال: أصلحَك الله، عندي من هذا زيادة فأقولها؟ قال: قل. قال: قرأت في الكتاب الأوَّل: لا يحبُّ العلم إِلَّا من أحبَّه الله، ولا يبغضه إلّا من أبغضه الله. فقال عبدالله بن الزبير: هذا أكثر مِمَّا معنا وأحسن.

وقال بعض البلغاء: من تفرَّد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلَّى بالكتب لم تَفُتْه سَلوه، ومن آنسَتْه قراءة القرآن لم توحِشْه مفارقة الإخوان.

وقال بعض الحكماء: لا سمير كالعلم، ولا ظهير كالحلم.

وقال ســفيان[٣]: أحوج الناس إلى العلم العلماء؛ لأَنَّ الجهل بهم أقبح، وهم أعلام ومنار يُقتدى بهم.

---

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٢) في (س): الحكم، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ الحلم»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٣) ســفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو مُحَمَّد (١٠٧-١٩٨هـ): عالم فقيه ورع ثقة ومفسر محدث إمام المكيين، شــارك مالك في أكثر شيوخه، روى عنه: الشافعي وابن حنبل. له مسند، وتفسير. انظر: الأعلام، ١٠٥/٣.

فصل: [في العلم والملك]

وقال بعض العلماء: إذا أراد الله ﷻ بالناس خيرًا جعل العلم في ملوكهم، والملك في علمائهم.

وقال بعض البلغاء: العلم أعظم عصمة[١] للملوك؛ لأَنَّه يمنعهم عن الظلم، ويردهم إلى الحلم، ويصدهم عن الأذية، ويعطفهم على الرعية.

وقال بعض الأدباء: كلّ عزٍّ لا يوطّده علم مذلَّة، وكلّ علم |لم| يؤيده عقل مضلّة.

ويقال: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس حرون[٢]؛ فإذا كان قائدًا بلا سائق تلكأت، وإذا كان به سائق [بلا] قائد عدلت يمينًا وشمالًا، وإذا كان سائق وقائد مرَّت واستوت. وفي قول آخر: فإذا اجتمعا أتت طوعًا وكرهًا، ولولا العلم لكان الناس كالبهائم.

فصل: [في رفع العلم]

وعن /٢١/ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لا تَقومُ الساعةُ حَتَّى يصيرَ العلمُ جهلًا**»[٣].

---

(١) في (س): عظمة، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ عصمة». وما أثبتناه من النسخة (ت).

(٢) حَرُون: من حَرَنت الدابة تَحرُن حِرَانًا وحُرانًا؛ وهي التي لا تنقاد، وإذا اشتدَّ أو استُمِرَّ بها الجريُ وقفت ولم تتحرَّك. وحَـرُنَ بالضم، أي صار حَرونًا. والاسم الحِرانُ، وهي التي لا تبرح أعلى الجبل من الصَيد. انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ٣٠٣/٣. جمهرة اللغة، والصحاح؛ (حرن).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه أثرًا عن الشعبي بلفظه مع زيادة: «والجهل علمًا»، ر٣٧٥٨٨، ٥٠٥/٧.

وعن النَّبِيّ ﷺ من طريق ابن مالك أَنَّهُ قال: «**مِن أَشرَاطِ الساعةِ أن يُرفَعَ العلمُ، ويَثبتَ الجهلُ، وتُشربَ الخمورُ، ويَظهَرَ الزنا**»[١].

وقال الشعبي: ذهب العلم الأغبر في أوعية سِوى بقايا يسيرة.

ويقال: لم يبق من الشـــيء إِلَّا غبر، أي: بقايا يسيرة، فالغبر: جمع غابر، والغابر: الباقي، وهو قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٧١).

قال حميد بن ثور[٢]:

فكلفت[٣] يــوم البين من غبر الصبا نوى من جميع أملكتها الأباعِر[٤]

وقِيلَ: إِنَّ العلم يفنى قبضة قبضة حَتَّى يذهب كله.

فصل: [فِي صنوف العلم وضروبه]

والعلم أصناف كثيرة وضروب مختلفة، وكلها شــريفة، ولكل علم منها فضيلة، والإحاطة بجميعها محال.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**العِلمُ كَثِيرٌ أَكثرُ مِــن أن يُدْرَكَ، فَخُذُوا مِن كُلِّ شَيءٍ أَحسنَهُ**»[٥].

وعنه ﷺ أَنَّــهُ قال: «**من ظنَّ للعلم غاية فقد بخســه حقَّه، ووضعه في**

(١) رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك بلفظه، ر١٢٥٤٩، ١٥١/٣.

(٢) فِـي النسخ: «أحمــد»، ولعل الصــواب ما أثبتنا، وهــو: حميد بن ثور بن حــزن الهلالي العامري، أبو المثنى (ت: ٣٠هـ): شاعر مخضرم، شــهد حنينا مع المشركين، أسلم ووفد على النَّبِيّ ﷺ. توفي في خلافة عثمان، وقيل: أدرك زمن عبد الملك. له: ديوان شعر. انظر: الأعلام، ٢٨٣/٢.

(٣) في (ت): نكلف.

(٤) لم نجد من ذكره.

(٥) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

غير منزلته التي وضعه الله بها حيث يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء: ٨٥)»[(١)].

وقال بعض الفقهاء: لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالنقيصة، ولكنا نطلبه لننقص في[(٢)] كل يوم من الجهل، ونزداد كل يوم من العلم.

وحكي عن أرسطا طاليس[(٣)] أَنَّهُ قال: ما طلبي للعلم طمعًا في بلوغ قاصيته، ولا استيلاء على غايته، ولكن لِما لا يسع جهله، ولا يسع بالجاهل خلافه.

وقال بعض الحكماء: ما معي من العلم شيء إِلَّا أني ما علمت شيئًا.

وقال بعض البلغاء: المتعمّق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضًا، ولا يعرف طولًا ولا عرضًا، وأنشد الرشيد المهدي[(٤)]:

يَا نَفْسُ خُوضِي بِحَارَ العِلْمِ أَو غُوصِي فَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَعمُومٍ وَمَخصُوصِ
لَا شَيءَ في هَذِهِ الدُّنيَا يُحَاطُ بِهِ إِلَّا إِحَاطَةَ مَنْقُوصٍ بِمَنْقُوصِ[(٥)]

---

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. وَإِنَّمَا ذكره ابن عبد البر كمقولة. انظر: جامع بيان فضل العلم وأهله، ٩١/١.

(٢) في (ت): «لننقص منه».

(٣) أرسطا طاليس (٣٤٨-٣٢٢ق.م): ولد في أسطاغيرا باليونان على بحر إيجة، تشبع بفكر أفلاطون لعشرين سنة لما التحق بمدرسته بأثينا. ثُمَّ طلبه فيليب المقدوني ليقيم في بلاطه ويعلم ابنه. ثُمَّ أسس مدرسته اللوقيوم (المشائية). ترك من الآثار الكثير في المنطق والطبيعة والماورائيات والأخلاق والسياسة وغيرها.

(٤) هارون بن محمد المهدي، أبو جعفر الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ): خامس خلفاء العباسيين وأشهرهم. بويع بالخلافة بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ. ازدهرت الدولة في أيامه. عالم بالأدب والأخبار والفقه والحديث. انظر: الزركلي: الأعلام، ٦٢/٨.

(٥) البيتان من الطويل ذكرهما الجاحظ بلا نسبة فِي الحيوان، ٥٢/٣. وذكره الماوردي أَيضًا بلا نسبة فِي: أدب الدنيا والدين، ٢٨/١ (ش).

وقال بعض العلماء: إنَّا لم[1] نطلب العلم لنحيط به كله؛ ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ.

وقال إياس بن معاوية: من تعلَّم طرفًا مــن العلم [فـ]ـلم يعرف به غور العلم، دعاه الجهل إلى أن يرى أَنَّهُ قد علم العلم، ومن تعلَّم طرفًا من العلم فعرف به غور العلم لم يزل متعلمًا حَتَّى يمــوت. وغور العلم: غايته. وغور كلِّ شيء: قَعْره.

وقيل لبعض الحكماء: من يعرف كل العلم؟ فقال: كل الناس.

وقال: العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبرًا شمخَ بأنفه وظنَّ أَنَّهُ [و]أَنَّهُ. ومن نال الشــبر الثاني صَغرت نفســه وظنَّ أَنَّهُ [و]أَنَّهُ. وأمَّا الشــبر الثالث فهيهات لا يَناله أحد أبدًا.

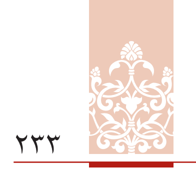
وقيل: العلم على ثلاثة منازل، فمن بلغ المنزلة الأولى استكثر ما علمه. ومن بلغ المنزلة الثانية اســتقلَّ ما علمه، وعَلِم [أن] ما علمه قليل مِن كثير. والمنزلة الثالثة ما يبلغها أحد أبدًا.

وسئل منقربطيس[2] الفيلسوف: ما فَضْلُ علمك على غيرك؟ قال: معرفتي بأن علمي قليل.

وفي الحكمة: من لطيف علمك أن تعلم أنك لا تعلم.

وقال بعضُ الحكماء: علمنا أشــياء وجهلنا أشْياء، فلا نبطل ما علمنا لِمَا جهلنا.

(١) في (س): لن، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ لم»، وهو ما جاء في النسخة (ت).
(٢) في (ت): مقرنطيس.



وقال بعض العلماء: من فضل علمك استقلالك لعلمك، ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك، ولا ينبغي أن تجهل من نفسك علمها، وأن لا تجاوز بها قدر حقّها، ولا تجهل أحوالك، فإنَّ من جهل نفسه كان بغيرها أجهل.

وقد قَالَت عائشة: يا رسول الله، متى[١] يعرف الإنسان ربه؟ قال: «**إذا عرف نفسه**»[٢].

وقال قسّ بن ساعدة[٣]: أفضل العلم وقوف /٢٢/ المرء عند علمه.

وقَال الشاعر:

ومن البلوى التي ليس لها في الناس كنه ... أن من يحسن شيئًا يدعي أحسن منه[٤]

والبلوى: هي البلية، (وهي مقصورة، تكتب بالياء)، والبلية قد ذكرتها في كتاب الإبانة[٥]. والبلوى أيضًا: التجرِبة، بلوته بلوًى.

وكنه كلّ شيء: غايته، وفي بعض المعاني: وقته، ووجهه، بلغت كنه هذا الأمر؛ أي: غايته، وفعلَت هذا في غير كنهه. قال الشاعر:

وإنَّ كلامَ المَرْءِ في غيرِ كُنْهِهِ ... لَكالنَّبْلِ يَهْوِي ليسَ فيها نِصالُها[٦]

---

(١) في (ت): «بأي شيء».
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) انظر هذا الحديث وما قيل فيه في: الجد الحثيث للغزّي العامري، ٢٣٢/١.
(٤) البيت من الوافر، ذكره ابن الأثير ولم ينسبه فِي: المثل السائر، (٣٢٥/٢)؛ بلفظ: «أن من يعرف شيئًا يدعي أكثر منه».
(٥) العوتبي: الإبانة، ٢١٥/٢.
(٦) البيت من الطويل لهبيرة بن أبي وهب المخزومي. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٨٤/٥. وتهذيب اللغة، (كنه).

وقال آخَر:

يـتَـعــاطَـى كُــلَّ شــيءٍ وَهـــوَ لَا يُـحـسِـنُ شَـيًّـا
فَـهُـوَ لَا يَـــزدَادُ رُشـــدًا إِنَّـمَــا يَـــزدَادُ غَـيًّـا[١]

والغيُّ: مصدر غوى الرجل يغوي غيًّا: إذا ضلَّ. وقال الشاعر:

فَمَن يَلقَ خَيرًا تَحمَدِ الناسُ أَمرَهُ وَمَن يَغوَ لَا يَعدَمْ عَلَى الغَيِّ لَائِمًا[٢]

الغيُّ: الفسادُ، غَوَى الرجلُ: إذا فَسَدَ.

فصل: [في قصة موسى والخضر]

قِيلَ: إنّ موسى ﷺ أعجبه علمه، فقال في نفسه: ما أحدٌ في زماني أعلم مني، فرفع عصفور في منقاره نقطةً |ماء| من ماء البحر، فأوحى الله تعالى إليه: ما علمك عند[٣] غيرك من عبيدي إلَّا كما حمل هذا العصفور من البحر بمنقاره.

أُبَيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الخَضِرَ وَمُوسَى ـ صاحب بني إسرائيل ـ رَكِبَا في السَّفِينَة، فَجاءَ عُصفورٌ فوقَعَ عَلَى حَرفِ السَّفِينَة فَنقَرَ في البحرِ بِمنقَارِهِ؛ فَقالَ لَه الخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلمِي وعِلمُكَ وَعِلمُ جَمِيعِ المخلوقِينَ مِن عِلمِ اللهِ ﷻ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا العُصفُورُ مِن هَذَا البَحرِ**»[٤].

(١) البيتان لم نجد من نسبهما، ولم نجد من ذكر البيت الثاني، وَأَمَّا البيت الأول فقد ذكره: الزمخشري: ربيع الأبرار، ٩٩/١. الأبشيهي: محاضرات الأدباء، ٦٢/١.

(٢) البيت من الطويل للمُرَقِّش الأصغر ربيعة بن شعبان. انظر: مقاييس اللغة، (عير). والحماسة البصرية، ٣٣/٢.

(٣) كذا في النسخ؛ ولعلَّ الصواب: «وعلم» كما يظهر من الرواية الآتي ذكرها.

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب ما يستحب للعالم إذا سئل..، ر١٢٢. ورواه مسلم عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب من فضائل الخضر ﵇، ر٢٨٣٠.

قال النقاش[(١)]: كان موسى عليه السلام حدّث نفسه أَنَّهُ ليس أحد أعلم منه، وتكلم به، فجاء عصفور ـ وقيل: خطاف ـ حَتَّى وقع على حرف السفينة ثُمَّ نقر في البحر |بمنقاره|، فقال له الخضر: ما نقص علمك وعلمي من علم الله عز وجل إِلَّا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، فلما حان للخضر وموسى عليهما السلام أن يتفرقا، قال له الخضر: لو صبرت لأتيت على ألف عجيبة، كلٌّ أعجب مِمَّا رَأيت. قال: فبكى موسى عليه السلام على فراقه، فقال له: أوصني يا نبي الله. فقال له ـ فيما يقال ـ: إياك والإعجاب بنفسك، والتفريط فيما بقي [من] عمرك.

قال النَّبِيّ ﷺ: «**يرحم الله موسى، وددنا أَنَّهُ كان صبر حَتَّى يقصَّ الله علينا من أخبارهما**»[(٢)]. وقال النَّبِيّ ﷺ: «**كانت الأولى من موسى نِسيانًا**»[(٣)].

قال: ذهب كثير من أهل العلم يقولون هو موسى بن مينا نبيّ كان من بعد موسى بن عمران عليهما السلام بدهر، والله أعلم.

---

(١) مُحَمَّد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش (٢٦٦ - ٣٥١هـ): عالم بالقرآن وتفسيره. أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد. رحل رحلة طويلة. وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش. له: «شفاء الصدور» في التفسير، و«الإشارة» في غريب القرآن، و«الموضح» في القرآن ومعانيه... وغيرها. قال عنه السيوطي: «ومع جلالته فهو متروك الحديث وحاله في القراءات أمثل». انظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، تر٨٤١، ص ٣٧١. الزركلي: الأعلام، ٨١/٦.

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب ما يستحب للعالم إذا سئل..، ر١٢٢. ورواه مسلم عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ر٢٨٣٠.

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب ما يستحب للعالم إذا سئل..، ر١٢٢. ورواه مسلم عن ابن عباس عن أبي بن كعب مطولًا، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ر٢٨٣٠.

وفي خبر: أَنَّهُ قال لموسى: يا موسى، إنك على علم من علم الله علَّمك لا أعلمُـه، ولا أني على علم من علم الله عَلِمتُه ومـا يعلمه ـ تعالى الله ﷻ علوًا كبيرًا ـ.

فصل: في المعرفة

المعرفة: ضد الإنكار، كما أنَّ [الجهل] ضدّ العلم[١]، يقال: عرف الشيء وأنكره، قال الكميت[٢]:

مُنكِـرَاتٌ يَـا نَفْـسُ عَارِفَـاتٌ ... بِعُيـونِ هَوَامِـلِ السِّجَـامِ[٣]

فجعل المعرفة ضدّ الإنكار.

وقال جرير[٤]:

عرفنـا جعـفـرا وبنـي كـلاب ... وأنكرنـا زعانـف[٥] آخرينـا[٦]

فجعل المعرفة ضد الإنكار. والعلم والمعرفة شكلان.

(١) في جميع النسخ: «كما أن صبر العلم». وهو غير واضح، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٢) الكميت بن زيد بن خنس الأسـدي، أبو المستهل (٦٠ - ١٢٦هـ): شـاعر الهاشميين، وعالم بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ومن أصحاب الملحمات، متعصب للمضرية على القحطانية، من أهل الكوفة. له: «الهاشـميات» في مدح الهاشميين. قيل: اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر: كان خطيب بني أسـد، وفقيه الشيعة، وكان فارسًا شجاعًا، سخيًا، راميًا لم يكن في قومه أرمى منه. وقال الميداني: الكميت ثلاثة: الكميت ابن ثعلبة، ثُمَّ الكميت بن معروف، ثم الكميت بن زيد، وكلهم من بني أسد. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٣٣/٥.

(٣) في (س): «السحام»، والسِّجَام: جمع ساجم، وهو الغزير. والبيت لم نَجد من ذكره.

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة، أبو حزرة الخطفي اليربوعي التميمي (٣٣ - ١١٤هـ): شاعر نشأ فقيرًا، ثُـمَّ عاش بين أحضان الدولـة الأموية بين عبدالملك والوليـد، وكان يتهاجى مع عدي بن الرقاع. انظر: مقدمة ديوان جرير، شرح الدكتور يوسف عيد.

(٥) في (ت): معارف.

(٦) البيت من الوافر، لجرير بن عطية في ديوانه، ص٦٣٦؛ بلفظ: «عرفنا جعفرًا وبني عبيدٍ».

ومن الناس من جعل الإنكار ضد الإقرار، وهو خطأ؛ لأنَّ الإقرار ضدَّ الجحد. يقال: أقرَّ فلان بحقي وجحدني حقّي، كما يقال: /٢٣/ اِعترف به وأنكره.

والفرق بين الإنكار والجحدان: الإنكار يكون بالشيء الذي يشتبه عليه، فلا يعرف حقَّه من باطله. ويقال: أنكره إذا جحده لاشتباهه، وقلة توجّهه إليه ومعرفته به. **والجحود**: يكون دفع الشيء على بصيرة وعلم عيانًا، قال الله ﷻ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ (النمل: ١٤)، فجعل الجاحد على معرفة ويقين.

ويقال: رجل عارف بالشيء، وله معرفة بالأمر: إذا كان يميز الشيء من ضده وخلافه بالمشاهدة والمعاينة.

ويقال: المعرفة جِبلَّة من الخلق، والعلم بالاكتساب والتعليم، ومن أجل ذلك اشتركت البهائم وسائر الحيوان مع الناس في المعرفة، وخُصّ الناس بالعلم من دون البهائم.

ويقال: إن البهائم سمِّيت بهائم؛ لأَنَّها أبهمت عن كلّ شيء إِلَّا عن معرفة الله ﷻ. فالإنسان يعرف ويعلم، والبهيمة تعرف ولا تعلم؛ لأَنَّ الإنسان يكتسب العلم، والبهائم لا اكتساب لها. وإنما صار الإنسان معاقبًا ومثابًا لاكتسابه واختياره الخير والشرّ وعلمه بذلك. والبهيمة لا ثواب لها ولا عقاب عليها؛ لأَنَّ المعرفة جبلّة فيها وليست باكتساب.

قال: وسأل العالِم رجلًا فقال أتعرف أم تعلم؟ قال: بل أعرف. فقال: إن البهيمة لتعرف، ولو عَلِمَتْ ما كانت بهيمة.

والبهيمة بمعرفتها تميِّز بين الضار والنافع لها في أمر معاشها، وتتقي المهالك وتألف من ينفعها، وتنفر مِمَّن يؤذيها ويضرها، كالشاة تألف

الكلب وتفرّ[١] من الذئب، وتميّز بينهما، وكالطير يألف اللواقط والبُغاث، ويفر من الجوارح، وهذا من جهة المعرفة.

قـال: وَإِنَّمَا صار الإنسان يعرف ويعلم؛ لاجتماع النفس المنطقية [و]البهيمية[٢]، وهما جوهران قابلان للعلم والمعرفة البهيمية، والنفس البهيمية تقبل المعرفة وتأبى العلم، والبهيمية تعرف الشاهد وتعجز عن الغائب.

ويقال: عرفت الشيء معرفة وعرفانًا. قال عمران بن حطان[٣]:

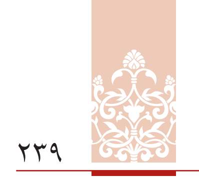
الحَمـدُ للهِ إِذ لَم يَأتِنِـي أَجَلِي حَتَّى عَرَفْتُ لِهذَا الدِّينِ عِرفَانَا[٤]

والعارف أيضًا الصابر، ورجل عروف: صبور، وفي المثل: «النفس عروف ما حَمَّلتها احتملت». قال النابغة:

على عارفاتٍ للطعانِ عوابسٍ بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ[٥]

والعَرف (بفتح العين): الريح الطيبة، قال الله ﷻ: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمَّد: ٦). قال عديّ بن زيد[٦]:

(١) في (ت): تنفر.
(٢) في (س): المبهمية، والصواب ما أثبتنا كما سيأتي.
(٣) عمران بن حطَّان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك (٨٤هـ): عالم فقيه محدث من أهل البصرة. أدرك جمع من الصحابة فروى عنهم، وروى عنه أصحاب الحديث. كان رأس القعدة من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم. لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبدالملك بن مروان، فرحل إلى عُمان، فلجأ إلى قوم من الأزد فمات عندهم إباضيًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٧٠/٥.
(٤) لم نجد من ذكره كاملًا بهذا اللفظ، وَإِنَّمَا جاء عجزه بلفظ: «...حتَّى لبست من الإسلام سربالًا» منسوبًا للبيد عند: الأصبهاني: الأغاني، ٢٩٧/١٥.
(٥) البيت من الطويل للنابغة في ديوانه، ص٢.
(٦) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، أبو داود (رَحِمَهُ اللَّهُ ٩٥هـ): شاعر كبير من عاملة من أهل دمشق. عاصر جريرًا مهاجيًا له، مقدمًا عند بني أمية، ومدَّاحًا لهم، خاصًا =



أَبْصَرَتْ عَيْنِي عِشَاءً ضَوْءَ نَارِ   مِنْ سَنَاهَا عَرْفُ هِنْدِيٍّ وَغَارَ[١]

وكأن المعرفة أخذت من الطيب والصبر؛ لأَنَّ الذي يميِّز الشيء ويعرفه يطيب له التمييز، فيختار الخير ويستطيبه ويقبله، ويصبر عليه.

والمعرفة بالشيء: هي المشاهدة التي تزيل الشك والمرية، وهي التمييز بين الشيئين. ومن أجل ذلك قال أهل العربية: المعرفة اسم إذا كان مخلصًا لا يحتاج إلى علامة تفرق بينه وبين نظيره، كقولك: زيد وعمرو.

والنكرة: التي تحتاج إلى معرفة وعلامة تعرف بها حَتَّى تصير معرفة، كقولك: رجل، ولا يدرى أي الرجال هو، وكغلام: ولا يدرى أي الغلمان هو، حَتَّى تعرّفه بالألف واللام. فإذا قلت: الرجل؛ فقد دللت على رجل بعينه، وإذا قلت: غلام زيد؛ فقد عرفته بالإضافة ولحظته.

ثُمَّ اشتقوا من المعرفة المعروف، ومن النكرة المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأخذ بالأمر فيه، ولا شك فيه من أمر الدين، فهو المعرفة لا يحتاج إلى علامة يعرف بها، والنهي عن المنكر: هو النهي عن المحظورات[٢] والشبهات التي لا يعرف حقها من باطلها.

والمعروف والعرف لغتان، قال النابغة:

أبى اللهُ إلّا عدلهُ ووفاءهُ   فلا النكرُ معروفٌ ولا العرفُ ضائعُ[٣]

= بالوليد بن عبدالملك. لقبه ابن دريد بشاعر أهل الشام. له «ديوان شعر». انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/٢٢١.

(١) البيت من الرمل لعدي بن زيد. انظر: إسحاق بن مرّار الشيباني: الجيم، ١/١٦٣. الأصبهاني: الأغاني، ١/١٥٤. (ش).

(٢) في (س): المجهولات، وأشار إلى نسخة فقال: «المحظورات»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٣) البيت من الطويل للنابغة في ديوانه، ص ٦٠.

ويقال: نَكِـرَ نُكُرٌ[١]، قـال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ (القمر: ٦)، ومعناه منكر. وقال: أنكرت الشيء ونَكِرته، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ (هود: ٧٠). /٢٤/ قال الأعشى[٢]:

وأنكرتني وما كانَ الذي نَكِرتْ مِنَ الحَوَادِثِ إلّا الشّيبَ وَالصَّلَعَا[٣]

فَأَتى باللغتين جميعًا، ويقال: أنكرتُ الشـيء، فهـو مُنْكَر ونكير، ومنه الملكان مُنْكَر ونكير، والله أعلم.

فصل آخر: في العلم

قيل: حدُّ العلم: دَرك معلوم على ما هو به. وقيل: اعتقاد الشيء على ما هو به عن ثقة. وقيل: العلم إدراك الحَقّ.

والعلم ضربان: ضروري، وحدُّه: ما لا سـلطان للشـك فيه. **وما اجتلب**: وحدّه ما يجوز أن يخامر المعتقد في اعتقاده بشـك غيـر أَنَّهُ تزيله البراهين الباصرة، والأدلة القاهرة[٤].

---

(١) في (ت): ينكر.

(٢) الأعشـى ميمون بن قيس بن جندل مـن بني قيس بن ثعلبة الوائلـي، أبو بصير، معروف بأعشى قيس، أو أعشـى بكر أو الأعشـى الكبير (ت:٧هـ): من شـعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. لقب بالأعشـى لضعف بصره، وعمي في أواخـر عمره. كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشـعر، يسـلك فيه كلَّ مسلك، وليس أحدٌ ممن عرف قبله أكثر شـعرًا منه. وسـمّي «صناجة العرب»؛ لأنه كان يُغنّي بشـعره. عمَّر طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولد وتوفي في قرية «منفوحة» باليمامة قرب الرياض وفيها داره وبها قبره. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٤١/٧.

(٣) البيت من الطويل للأعشى في ديوانه، ص ١١٤.

(٤) في (ت): الظاهرة.

وسمِّي العلم علمًا؛ لأَنَّه علامة بها يهتدي العالم إلى ما قد جهله الناس، وهو بمنزلة العَلَمِ المنصوب على الطريق، والعلَم والمباني المضروب على الحدود.

فالعِلْم والعَلَم والعلامة اشتقاقات من لفظ واحد، فصار العلم للإنسان بمنزلة العلامة يفرَّق بينه وبين الجاهل. والعلامة والعَلَم والمَعْلَم: ما جعلته عَلَما للشيء، والمَعْلَم موضع العلامة، ويُقرأ ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[١] تُعلم به الساعة.

والعَلَم: الراية التي إليها يجتمع الناس، والجبل. والعلم: الجبل الطويل، وهنَّ الأعلام. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الرحمٰن: ٢٤)، والجواري: السفن، والمنشآت: شرعها، والأعلام: الجبال.

قال الفرزدق:

قال ابن صانعة الزُّرُوب[٢] لقومه ... لا أستطيع رواسي الأعلام[٣]

وواحد الأعلام من الجبال: عَلَم. قَالَت الخنساء[٤]:

(١) قرأ بفتح اللام والعين «لَعَلَمٌ» ابن عبَّاس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك. انظر: تفسير القرطبي ١٦/١٠٥.

(٢) الزروب: هو الزريبة، أيضًا الزرب؛ والزريبة: حظيرة الغنم من خشب. تقول: زربت الغنم أزربها زربًا، وهو من الزرب الذي هو المدخل. والزريبة بئر يحتفرها الصائد يكمن فيها للصيد. انظر: لسان العرب، (زرب).

(٣) البيت من الكامل للفرزدق. انظر: العين، (علم).

(٤) الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من قيس عيلان، من مضر (ت: ٢٤هـ): أشهر شواعر العرب فِي الرثاء على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على الرسول ﷺ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: «هيه يا خنساء!». لها «ديوان شعر». وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (١٦هـ) فجعلت =

وَإِنَّ صَخْـرًا لَوَالِينَـا وَسَـيِّدُنَا ... وَإِنَّ صَخْـرًا إِذَا نَشْـتُو لَنَحَّـارُ
وإنّ صَخـرًا لَتَأْتَـمّ الهُـداةُ بِهِ ... كَأَنَّـهُ عَلَـمٌ في رأسِـهِ نَـارُ[(١)]

ويقـال: علم الرجل، يعلم عِلمًـا، ورجل علَّامة وعليـم وعالِم. قالَ الله ـ تعالى عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

وعن قسامة بن نهبر[(٢)] قـال: «أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم عليه السلام: إِنّي عليم أحبّ كل عليم، والله العالِم العليم والعلَّام»[(٣)].

ورجل علَّامـة، أدخلوا الهاء للتأكيـد. وقولهم: أنا أقتلـه عِلمًا، يريد بذلك المبالغة. ومنه قولهم: قتل أرضًـا عالِمها، وقتلت[(٤)] أرض جاهلها؛ أي: بالغ في علمها.

ويقـال: قتل أرضًا عالِمُهـا وخابرها، فالخابر: المختبـر المجرب. والخبير: العالِم بالأمر. والخبرة: الاختبار، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩).

قال مُضَرِّس بن ربعي الأسدي[(٥)]:

= تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعًا فقالت: «الحمد لله الذي شـرفني بقتلهم!». انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٦/٢.

(١) البيتان من البسيط للخنساء في ديوانها، ص ٣٥.

(٢) في (ت): نهير. وقسامة بن نهبر: لم نجد من ذكره أو عرفه.

(٣) هَذِهِ الرواية وجدناها تنسب إِلَى النَّبِيّ ﷺ من طريق ابن عباس، ذكرها ابن عبد البر بسنده فِي جامع بيان العلم وفضلـه (٤٨/١)، وقال عنها الحافظ العراقـي فِي تخريج «الإحياء» (١١/١): «ذكره ابن عبد البر تعليقًا ولم أظفر له على إسناد».

(٤) في (س): قلت. والصواب ما أثبتنا من ابن دريد فِي جمهرة اللغة، ٤٠٢/١.

(٥) مضرس بـن ربعي بن لقيط الفقعسي الأسـدي (ق: ١هـ): شـاعر جاهلـي، وقيل: عاصر الفرزدق، كان حسن التشبيه والرصف. اختار أبو تمام في حماسته قطعتين من شعره. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥٠/٧.

وقومـــي إن لقيــتِ فســـائليهم كفــى قومًا بصاحبهـــم خبيرا[١]

نصب قومًا بوقوع الفعــل عليهم، ونصب خبيرًا بالتفســير، معناه: كفى قومًا صاحبهم.

وقيل: في قوله ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النســاء: ١٥٧)، يقول: ما قتلوه ظنّهم يقينًا.

ويقول: أعلمته إعلامًا: إذا أشعرته شيئًا جَهِله. ومنهم من يقول: شعرته، أي: عقلته. وقولهم: ليت شعري أي: ليت علمي. والشاعر سمي شاعرًا لفطنته، من قولهم: ما شعرت بهذا أي: ما فطنت، ومنهم من يقول: شعرته أي: عقلته، ومنه قولهم: ليت شعري أي: ليت علمي، وما يشعرك أي: ما يدريك[٢].

قال أبو طالب[٣]:

لَيتَ شِعري مُسافرَ بنَ أبي عَمْـ ـروٍ وليــتٌ يقولهــا المحــزونُ[٤]

وجمع شاعر شعراء. قال عنترة[٥]:

---

(١) البيت من الوافــر. انظر: الزمخشــري، المستقصى في أمثال العــرب ٢٢١/٢؛ بلفظ: «إذا لاقيت قومي فاسأليهم...».

(٢) جاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

(٣) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشــم، من قريــش، أبو طالــب (٨٥ق.هـ ـ ٣ ق.هـ): بطل خطيب عاقل تاجر ولد وتوفي بمكة. والد علي ﵁، وعم النَّبِيّ ﷺ وكافله ومربيه ومناصره، وقد ســافر معه إلى الشــام في صباه، وقال ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب». ينسب إليه: «ديوان شيخ الأباطح أبي طالب». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦٦/٤.

(٤) البيت من الخفيف لأبي طالب في ديوانه، ص٨٩.

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي (نحو: ٢٢ق.هـ): أشهر فرسان العرب وأشعرها فِي الجاهليــة. من أهل نجد. كان مغرمًا بابنة عمه عبلة. اجتمع فِي شــبابه بامرئ القيس، وشارك فِي حرب داحس والغبراء. له: ديوان شعر، وقصة عنترة. انظر: الأعلام، ٩١/٥.

هلْ غادرَ الشُّـــعراءُ مِـــنْ مُتَردَّم   أم هلْ عرفتَ الدارَ بعدَ توهّمِ[(١)]

معناه: هل ترك الشعراء شيئًا إِلَّا وقَد قالوا فيه فكفوه المؤنة. قَالَ آخَر:

ليت شـــعري إذا القيامةُ قامت   ودُعِيَ للحساب أين المصيرا[(٢)]

أراد ليت شعري المصير، أي: ليتني أشعر المصير أين هو.

ويقول: فَقُه الرجل يفقَه فقهًا فهو فقيه، وقد فَقِه الرجل يفقه فقها: إذا فهم، وأفقهت له؛ أي: بيَّنت له. والتفقّه: تعلّم الفقه، والفقه: العلم في الدين /٢٥/.

والفقه في كلام العرب: الفطنة. سأل أعرابي يونس بن حبيب[(٣)] النحوي عن مســألة، فأجابه بجواب أعجب به الأعرابي، فقال: شـــهدت لك بالفقه، أي: بالفطنة. وسمي الفقيه فقيهًا لإحاطته وفطنته بأسباب الحلال والحرام.

ويقال: فَقِهت الشـــيء: إذا علمته، وفَقُهت: إذا صِـــرت فقيهًا، ولا يقال: فَقُهت الشيء؛ لأَنَّ [فَقُه] فعل لا يتعدّى، ومثله قريب منك، وقريبك.

والفقه: اسم مدح، ولا يستحقه من لم يكن فقيهًا، ويجوز أن يسمَّى من علم شيئًا من الفقه فقيهًا، بمعنى أن كلَّ من علم شيئًا فقد فَقِه وهو فقيه به، أي: قد علمه، وهو عليم به.

---

(١) البيت من الكامل لعنترة بن شداد في ديوانه، ص١٧٢.

(٢) البيت من الخفيف لم نجد من نسبه. انظر: ابن الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٢٠٢/١.

(٣) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبدالرحمٰن، ويعرف بالنحوي (٩٤ - ١٨٢هـ): علَّامة بالأدب، وإمام نحاة البصرة في عصره. من قرية «جَبُل» بين بغداد وواسط. أعجمي الأصل. أخذ عنه سيبويه والكســائي والفراء وغيرهم. وقال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه. له: «معاني القرآن» و«اللغات» و«النوادر» و«الأمثال». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦١/٨.

وعن ليث [بن أبي سليم][(١)] عن مجاهد[(٢)] قال: الفقيه من يخاف الله تعالى.

مجاهد: في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤)، قال: الأوَّاه: الفقيه.

فصل: [في جنس العلم]

أبو هريرة عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**العلمُ خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، واللّين[(٣)] أخوه، والرفق والده، والعمل قيّمه، والصبر أمير جنوده**»[(٤)].

وعن بعض العلماء أنه قال: العلم ذو مفاصل كثيرة؛ فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وفهمه الفحص، وقلبه حسن النيَّة، وعقله سعة المعرفة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره سعة الرأي، ومحله الأناة، وسلطانه العدل، ومملكته القناعة، ورئيسه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسراجه لين الكلام، وسيفه الرجاء، وقوسه القناعة، وسهمه

(١) ليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الكوفي، أبو بكر (أبو بكير) (ت:١٤٣هـ): فقيه راوية، روى عن مجاهد وطاووس، عرض عليه حمزة الزيات. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٤٩/٦. ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ٢٩٠/١.

(٢) فِي النسخ: «ليث بن مجاهد»، وهو سهو، والصواب ما أثبتنا من كتب الحديث والتفسير. انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ر٣٥٤٥٢، ٢١٥/٧. والدارمي فِي سننه، ر٢٩٦، ١٠١/١.

(٣) في النسختين: «والدين». ولعل الصواب ما أثبتنا كما جاء في كتب الحديث والأدب.

(٤) رواه القضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة وأبي الدرداء بلفظه، ر١٥٣و١٥٢، ١٢٢/١. وذكره الحكيم الترمذي عن ابن عباس بلفظ قريب، ٢١٠/١.

المحبة، ورمحه[١] التقوى، وفرسه المداراة، وجيشه المشورة، وماله الأدب، وحربه المكابــدة، وذخيرته التوبــة، وزاده المعروف، ومــأواه المواعدة، ودليله الهدى، ورفيقه مودة الأخيار.

قال غيره: العلم أنثى، وما يستفاد من العلم ذكر، وفي لقاحهما المعرفة، وأبوهما المدارسة، وأمهما التواضع.

(١) في (س): رحمه.



باب ٣ في الحكمة

قال الله ﷻ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

قال ابن الأنباري[1]: الحكمة: اسم العقل وجمعها حكم[2]، واختلف في تفسيرها.

فقال ابن عبَّاس: الحكمة القرآن، والفقه والعلم.

وقال أيضًا: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وعنه في قصة داود عليه السلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠)، قال: النبوة، ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ يقول: القضاء بين الناس، لا يتَلَبَّث في قضائه ولا يتتعتع.

وعنه في قصة النَّبِيّ ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ١٢٩)، قال: الكتاب: القرآن، والحكمة: العلم والسُّنن.

(١) مُحَمَّد بن القاسم بن محمد بن بشــار، أبو بكر الأنباري (ت:٣٢٨هـ): أديب لغوي بارع، من أكثر الناس حفظًا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار وتوفي ببغداد. له: «الزاهر» في اللغة، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» و«غريب الحديث»... انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/٣٣٤.

(٢) انظر: ابن الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ١/١١١.

وفي قصة عيسى ﵇: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: يقول بالآيات، ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ (الزخرف: ٦٣)، يقول: بالنبوة، ويقال الحكمة: النبوة. وقيل: السُّنَّة. وقيل الحكمة: الصواب، والكتاب يؤتي إصابته من يشاء.

وقال النقَّاش: يقال إِنَّهَا حِفظ القرآن ومعانيه.

ويقال: الفقه معرفة الأمور التي أمر الله ﷻ بها ونهى[١] عنها، وجماع الحكمة الردّ إلى الصواب، وحكمة الدابة من ذلك؛ لأَنَّها تردّ الدابة إلى القصد.

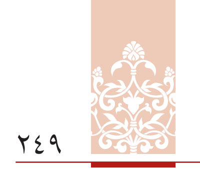
وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَا أَنفَقَ مُنفِقٌ وَلَا تَصَدَّقَ مُتَصَدِّقٌ بِأَفْضَلَ مِن كَلامِ الحِكمةِ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ الحكيمُ وَالعالمُ، ينالُ كلّ مُستمِعٍ مِنْهُ مَنْفَعَةً**»[٢].

وعنه ﷺ /٢٦/ من طريق ابن مسعود أَنَّهُ قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثنتين: رَجلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقّ، وَرَجلٌ آتَاهُ اللهُ حِكمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[٣]. وفي خبر آخر: «**آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَهُوَ يَقْضِي بِهِ وَيُعَلِّمُهُ**»[٤].

وقيل: معنى ذلك: الحسد لا يجب أن يكون في شيء من الأشياء، ولو كان واجبًا لكان في هذين، والله أعلم. وظاهر الخبر يقتضي غير هذا التفسير، والله أعلم.

---

(١) في (س): عنى.
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) رواه البخاري عن ابن مسعود بلفظه، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ر٧٣. ورواه مسلم عن ابن مسعود بلفظه، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة..، ر٨١٦.
(٤) رواه أبو عوانة في مسنده عن ابن مسعود بلفظه، باب حظر الحسد إِلَّا في اثنتين، ر٣٨٦٠، ٤٦٩/٢.



وعن الحسن[١] في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ (الحشر: ٩) قال: الحسد.

وعن النَّبِيّ ﷺ من طريق أنس بن مالك أنه قَالَ: «**الحِكْمَةُ تَزِيدُ الشَّرِيفَ**[٢] **شَرَفًا، وَتَرفَعُ العَبْدَ المَمْلُوكَ حَتَّى تُجْلِسَهُ مَجَالِسَ المُلُوكِ**»[٣].

وقيل في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢)، قال: الفقه والعلم والإصابة، وذلك في غير النبوة.

وعن عيسى عليه السلام أَنَّهُ قال: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[٤].

ويقال: من أعطى الحكمة غير أهلها حاكمته الحكمة إلى ربها.

وقال بعض الحكماء: لا تحدث بالحكمة السفهاء فيكذبوك، وتحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**الكَلِمَةُ مِنَ الحِكْمَةِ يَسمَعُهَا الرَّجُلُ فَيعمَلُ بِهَا أَو يُعَلِّمُها خَيرٌ لَهُ مِن عِبَادةِ سَنَةٍ**»[٥].

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (ت: ١١٠هـ): عالم فقيه فصيح زاهد من أئمة البصرة الكبار. كانت له هيبة في قلوب الناس رعاة ورعيَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) في النسختين: الشرف. والصواب ما أثبتنا من كتب الحديث، وما يقتضيه السياق.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، ٥/١٤٣. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس بلفظه، ٦/١٧٣.

(٤) ذكره ابن عبدالبر في جامع بيان فضل العلم وأهله بلفظ قريب، ١/١١٠.

(٥) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظ قريب، ر١٣٨٦، ١/٤٨٧. ورواه القضاعي في مسند الشهاب عن أنس بلفظ مختلف، ر١٣١٦، ٢/٢٦٠.

أبو هريرة[١] قال: قَالَــت الحكمة: من طلبني فلم يجدني فليعمل بأحسن ما يعلم، ويدع عنه أقبح ما يعلم، فإذا كان كذلك أتيته وإن لم يعرفني.

وَقِيلَ: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها؛ فإن الضالَّة لا تترك لمذلَّة واجدها، كالدرّة لا يضعها نقص مُخْرِجها.

وقال معاويــة: الفرصة خلســة، والحياء يمنــع الــرزق، والهيبة خيبة، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها ولو من عند مشرك.

أنوشــروان[٢] يقول: القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء.

وقال لأصحابه: اجمعوا لي[٣] العلم، فجمعوه في أربعة أوقار، فقال: هذا كثير فاختصِرُوه، فاختَصَروه في أربعة كُتب، فقال: اختصروه، فاختصروه في خمس كلمات، الكلمات: الملــك لا يصلحه إلَّا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلَّا العدل فيها، والمال لا يصلحه إلَّا حســن التدبيــر، والطعام لا يؤكل إلَّا على الشهوة، والمرأة لا يصلحها أن تنظر إلى غير زوجها.

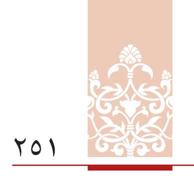
وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه ذهاب رواته.

---

(١) في (س): أبو هرية، وهو سهو. والصواب ما أثبتنا.

(٢) أنوشــروان بن قباذ بن فيروز (ت:٥٣١م): ملــك وحكيم من حكام الفــرس. ترك حِكَمًا وأقوالًا كثيرة. قيل بأن برزويه هو الذي جلب إليه كتــاب كليلة ودمنة من الهند، وترجمه إلى الفارسية، ثُمَّ ترجمه في الإسلام إِلَى العربية عبد الله بن المقفع الخطيب. وللحرث بن كلدة الثقفي «كتاب المحاورة في الطب» بينه وبين كسرى أنوشروان. انظر: السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٦٧/١، ٤١٣.

(٣) في (ت): إلي.



وعنه عليه السلام : إذا رأيت قلبك ينكر شيئًا فاعلم أن الحكمة فيه.

وعن علي[١]: خذ الحكمة أين أَتت، أي: كيف أتت؛ فإن الكلمة من الحكمة تكون في صدر المنافق تتلجلج فتسكن إلى صاحبها.

ويقال: إن الحكمة قد يعلمها المنافق فلا تزال تتحرك في صدره ولا تسكن حَتَّى يسمعها المؤمن أو العالم فتسكن في صدره إلى أخواتها من كلام الحكمة.

وقال غيره: نور الحكمة يتوقّد في قلوب الحكماء، فهم يستضيئون بها في أعمالهم كما يستضيء الناس في دُجى الليل بنور المصابيح.

وقال الخليل: الحكمة مرجعها إلى العقل والعِلم والحِلم. ويقال للرجل إذا كان حكيمًا حليمًا: قد أحكمته التجارِب.

قال أفلاطون[٢]: قوَّة العقل الحكمة، كما أن قوة الجسد الطعام، فتموت الحكمة بموت العقل كما أَنَّ بموت الطعام يموت الجسد.

(١) في (س): رجل، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ علي»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٢) أفلاطون (فلاطن وأفلاطن) بن أرسطن الحكيم: فيلسوف يوناني طبيب رومي، عالم بالهندسة وطبائع الأعداد من أثينيا. كان في دولة داربطو، وهو والد دارا الذي قتله الإسكندر فكان بعد أبقراط في دولة والد الإسكندر فيليبس، عندما كانت الفرس تملك الروم واليونانيين. تعلم وأخذ أكثر آرائه عن سقراط وطيماوس وسقراطيس. ومن تلاميذه: كسانوقراطيس وأرسطوطاليس. عاش ثمانين سنة. له في التأليف كلام لم يسبقه أحد فِيه استنبط به صنعة الديباج، وهو الكلام المنسوب إلى الخمس النسب التأليفية التي لا سبيل إلى وجود غيرها في جميع الموجودات المؤتلفات. له كتب فِي الطب والفلسفة والشعر والسياسة وكتاب النواميس. قيل: كان منقوشًا على فص خاتم أفلاطون: «تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك». انظر: السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٧٩/١ - ٨٠.

وسمِّي الحكيم حكيمًا؛ لأَنَّ علمه وسداد رأيه وفصل صوابه يمنعه من[(١)] الخطأ.

ويقال: أحكمتُ [الشيء]: إذا منعته ورددته.

فصل: /٢٧/ [في الناس والحكمة]

قال جرير:

أَبَني حَنيفَةَ أحكِمُوا سُــفهاءكُمْ   إني أخافُ عليكـــمُ أنْ أغضبا[(٢)]

وقال الحكيم: كان يقال: الناس في الحكمة أربعة: فسامع غير واعٍ، فذلك الرأس الحليق والماء، وســامع واعٍ لا مؤدٍّ، فذَلِكَ كالقارورة والكُرسُــف[(٣)] أدخلته فيها فقبلتــه وكبَّيتها فلم يخرج، وســامع واعٍ مضيِّع فذلك كالقابض على الماء، وسامع واعٍ مؤدّ كالشمس اكتست النور وأضاءت للعباد.

ويقال: من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار.

وسمَّى الأعشى القصيدة المحكمة: حكيمة[(٤)]، قال:

وغَرِيبَــةٍ تَأتي المُلــوكَ حَكِيمةً   قد قُلْتُهــا ليُقالَ مَــنْ ذا قالَها[(٥)]

---

(١) في (ت): عن.

(٢) البيت من الكامل لجرير بن عطية في ديوانه، ص ٥٠.

(٣) الكرسف: القطن. انظر: العين، (حكم). ومختار الصحاح، (كرسف).

(٤) كذا في جميع النسخ، وأشــار إِلَى نسخة فقال: «نسخة بالحكمة». والصواب ما أثبتنا كما في العين، (حكم). وتهذيب اللغة، (حكم).

(٥) في جميع النسخ: «وحكيمة تأتي الملوك غريبــة»، والصواب ما أثبتنا من: العين، وتهذيب اللغة، (حكم). والسياق يقتضي عكس ذلك أيضًا. والبيت من الكامل للأعشى في ديوانه، ص ١٦٩.

باب ٤
في مدح العلم وتفضيله

الدليل على فضيلة العلم: قوله ﷻ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ (البقرة: ٣٣) فأظهر فضيلته بعلمه بالأشياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، والبسطة: الفضيلة من الرجل على غيره في العلم والجسم، وقرئ: ﴿بَصْطَة﴾ بالصاد[1].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (الجمعة: ٢ ـ ٤). وقوله ـ عزَّ اسمه ـ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ (النساء: ١١٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا

---

(١) «روى مَكّي وغيره أَنَّـهُ قد جاء عن نافع والكسائي في بعض الطرق بالصاد، وروى عن خلاد وابن ذكوان في «يبصط» و«بصطة» الوجهان الصاد والسين...، وذكر في التيسير الخلاف عن خلاد فيهما. قال: وروى النقاش عن الأخفش هنا بالسين، وفي الأعراف بالصاد. وقال في غير التيسير: ورأيت ابن داود قد رواهما عن أبي سهل عن ابن السفر عن الأخفش بالسين وقرأتهما على أبي الفتح وأبي الحسن جميعًا بالصاد. ولم يذكر مكّي عن خلاد غير السين، وعن ابن ذكون غير الصاد. قال: وروي عن حفص السين والصاد فيهما، وبالوجهين قرأت لحفص». انظر هذه العبارة عند: عبدالرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم: إبراز المعاني من حرز الأماني، ٣٦٣/١.



﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (النمل: ١٥)، ومثله ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗا﴾ (سبأ: ١٠) الآية[١]، ومثله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ (لقمان: ١٢)، ومثله في قصة عيسى رحمه الله: ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ (المائدة: ١١٠)؛ فهذه الآيات وغيرها في مواضع كثيرة دالة على فضيلة العلم.

قال عبد الله بن المبارك[٢]: خُيِّرَ سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال فاختار العلم؛ فأعطاه الله تعالى الملك والعلم والمال باختياره العلم.

وعن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**كُنُوزُ العِلْمِ تَبقَى وَكُنُوزُ المَالِ تَفْنَى**»[٣]، فأخذه الشاعر فقال:

تَفْنَى الكُنُوزُ عَلى الزَّمَانِ وَصرفِه ... وَالعِلْمُ يَبْقَى بَاقِيَات الأَعْصُرِ[٤]

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**إذا استَرذَلَ الله عبدًا حظَرَ عَلَيه العِلمَ**»[٥].

---

(١) وتمامها: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي المروزي، أبو عبد الرحمٰن (١١٨ - ١٨١هـ): فقيه محدث، وتاجر مجاهد، من سكان خراسان، توفي بهيت على الفرات منصرفًا من غزو الروم. له: كتاب في الجهاد، والرقائق. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٥/٤.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) البيت من الكامل لأبي الطيب الطبري. انظر: أبو طاهر الأصبهاني: معجم السفر، ٣٤٨/١. وجمال الدين الجيشي، نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، ١٦٢/١.

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة بلفظ: «ما استرذل الله عبدًا إلَّا حظر عنه العلم والأدب»، ر٧٩٥، ١٧/٢. ورواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس بلفظ: «ما استرذل الله عبدًا إلَّا حرمه العلم»، ر٦١٨٢، ٥٨/٤.

ويقال: من حَجب الله عليه العلم عذَّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابًا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علمًا فلم يعمل به فقد استخفَّ بهديَّة الله تعالى ﷻ.

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَن آتاه الله علمًا فلا يحقرنَّه فإنَّ الله لم يحقره حين علَّمَه**»[(١)].

وعن الحسن: حسبك من العلم أن تخشى الله، وحسبك من الجهل أن تعجب بعقلك.

قال أبو عبد الله[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يؤتِ الله العباد مثل العلم بعد النبوة.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**مَا عُبِدَ اللهُ بِشيءٍ أَفضلَ مِنَ العِلمِ وَالفِقهِ**»[(٣)]، وفي خبر: «**أَفْضَل مِنَ الفِقْهِ**»[(٤)]، وفي خبر آخر: «**أَفْضَلَ [من] العِلمِ والفِقهِ في الدِّينِ**،

(١) ذكره الغزالي عن أبي هريرة بلفظ: «فلا تحقروا عالمًا آتاه الله تعالى علمًا منه فإن الله ﷻ لم يحقره إذ آتاه إياه»، وعزاه إلى الأربعين في التصوف لأبي عبد الرحمٰن السلمي. انظر: إحياء علوم الدين، ٢٠/١.

(٢) مُحَمَّد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة المخزومي القرشي، المشهور بأبي عبد الله (ت: ٢٦٠هـ): عالم فقيه أصولي مجتهد من أسرة عريقة فِي العلم والفضل. أخذ عن: أبي صفرة وموسى بن علي... وأخذ عنه: ابناه عبد الله وبشير، وعزان بن الصقر، وأبو المؤثر.. قدم صحار ٢٤٩هـ وولي القضاء بها ٢٥١هـ للإمام الصلت، وتوفي بها. له: آراء كثيرة لا يخلو منها مصنف، وكتاب مختصر من السُّنَّة، وسير منها: سيرة إلى أهل المغرب، وإلى إمام حضرموت، وإلى أبي زياد خلف، ومختصر من السُّنَّة. انظر: البطاشي: إتحاف الأعيان، ١٩٢/١. مجلة نزوى، ع٢٣/٢ - ٣٢. بابزيز: الإمام مُحَمَّد بن محبوب حياته وآثاره، كله...

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر بلفظ: «..أفضل من فقه في دين»، فصل في فضل العلم، ر١٧١١، ٢٦٦/٢.

ولَلفقيه الواحد(١) **أشدّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ، ولِكلِّ شيءٍ دَعامَةٌ وَدَعَامةُ هذا الدِّينِ الفقهُ»**(٢).

والدعامة: اسم للشـــيء الذي يدعم به. والمدعوم: الذي يميل فيريد أن يقع فتدعمه ليستقيم أو ليستمسك.

ويقال: ارض بالقليل من الدنيا مـــع الكثير من العلم، ولا ترض بالكثير من الدنيا مع القليل من العلم.

وقد جاء: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يُعطِي الدُّنيَا مَـــن يُحِبُّ وَمَن لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ**(٣) **إِلَّا مَن يُحِبُّ**»(٤).

وســـأل رجل النَّبِيّ ﷺ فقال: «يا رسول الله، أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «**العلم**». فقال الرجل: يا رســـول الله أســـألك عن العمل وتقول العلم؟!. فقال رســـول الله ﷺ: «**إنَّ قليلَ العمل عنـــدَ العلمِ خير مـــن كَثير العملِ بلَا عِلم**»(٥) /٢٨/.

(١) في (س): والفقيه واحد، وقد أثبتنا عبارة النسخة التي أشـــار إليها الناسخ: «خ وللفقيه الواحد».

(٢) رواه الدارقطني في ســـننه عن أبي هريرة بلفظ: «ما عبد الله بشـــيء أفضل من فقه في دين ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه»، كتاب البيـــوع، ر٢٩٤، ٧٩/٣. ورواه الطبراني في الأوســـط عن أبي هريرة بلفـــظ الدار قطني، ر٦١٦٦، ١٩٤/٦.

(٣) في (س) و(ت): العلم، وأشار الناســـخ في (س) إلى نسخة: «خ الدين». وهو ما أثبتنا لمَا دلت عليه الروايات.

(٤) رواه أحمد فـــي مسنده عن ابـــن مسعـــود مطـــولًا، ر٣٦٧٢، ٣٧٨/١. ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود مطولًا، تفسير سورة الزخرف، ر٣٦٧١، ٤٨٥/٢.

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب عن ابن مسعود بمعناه، ر١٠١٥، ١٢١/٢.



واثلة بن الأسقع[١] عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**المتعبِّدُ بلَا عِلم كالحمارِ في الطاحونَة**»[٢].

وعن ابن عيينة[٣] أَنَّهُ قـال: ما وَصَلَت نعمةً أفضل من العلم بالله والعمل بأمر الله.

أبو الأسود الدؤلي[٤] قال: ليس شيء أعزّ من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلم حاكم على الملوك.

وقال الزهري[٥]: كل رئاسة تكون بمعنى من المعاني تزول بزوال ذلك المعنى، وإذا كانت بالعلم لم تزُل إِلَّا بزوال صاحبها.

عمرو بن دينار[٦] قال: العلم أشرف الأحساب.

---

(١) واثلة بن الأسقع، أبو الأسقع الليثي (ق:١هـ): صحابي من أهل الصفة، أسلم عند تَجهزه ﷺ إِلَى تبوك. نزل الشام شهد المغازي بدمشق وحمص، ثم تحول إلى بيت المقدس ومات بها وهو ابن مائة سنة. روى عنه: بسر بن عبيد الله وشداد وربيعة بن يزيد والغريف بن الديلمي. انظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ر٢٠٢، ٤٧/٩.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال عن واثلة بلفظ: «المتعبد بلا فقه..»، ١٩/٧.

(٣) في (س): ابن عنبسة. والصواب ما أثبتنا من (ت)، ومن حلية الأولياء لأبي نعيم، ٢٨١/٧. وهو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو مُحَمَّد (١٠٧-١٩٨هـ): عالم فقيه ورع ثقة ومفسر محدث إمام المكيين، شارك مالك في أكثر شيوخه، روى عنه: الشافعي وابن حنبل. له مسند، وتفسير. انظر: الأعلام، ١٠٥/٣.

(٤) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني، أبو الأسود الدؤلي (ت:٦٩هـ): عالم فقيه تابعي، وشاعر أمير من الفرسان وحاضري الجواب، واضع علم النحو وأول من نقط المصحف ووضع الحركات والتنوين. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي وشهد معه صفين، استخلفه عليها عبدالله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ثُمَّ بالغ معاوية في إكرامه. له: ديوان صغير. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٣٦/٣.

(٥) في (س): الدهري، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٦) عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، أبو محمد الأثرم (٤٦-١٢٦هـ): فقيه محدث ثقة، أصله =

قال عليّ: قيمة كل إنسان ما يحسن. قال عليّ بن أبي طالب ـ وهو اللبيب الفطن المتقن ـ: كل امرئ قيمته عندنا وعند أهل العلم ما يحسن. قال عليّ بن أبي طالب:

أَيُّهَا الفَاخِرُ جَهْلًا بِالنَّسَبْ　　إِنَّمَا النَّاسُ لأُمٍّ وَلأَبِ
أَتَرَاهُمْ خُلِقُوا مِن فِضَّة　　أَم رَصَاصٍ أَم نُحَاسٍ أَم ذَهبِ
فَتَرَى أَفْضَلَهُم فِي خَلْقِهِمْ　　هَلْ سِوَى مُخٍّ وَعَظْمٍ وَعَصَبِ
إِنَّمَا الفَخْرُ بِعقْلٍ رَاجِح　　وَبِعلمٍ وَبدِينٍ وَأَدَبِ
قُل لمنْ فَاخَر فيِ النَّاسِ بِهِ　　فَازَ مَن فَاخَرَ مِنهُمْ فَغَلَب[(١)]

وقيل: قيمة كل امرئ ما يبديه من العلوم.

وقيل: الناس أعداء ما جهلوا، وأبناء لما علموا. ولابن طباطبا العلوي[(٢)]:

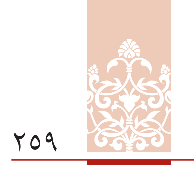
حَسودٌ مَريضُ القلبِ يُخْفي أنينَه　　وَيَضْحَى كَئِيبَ البَالِ عنْدي حزينَه
يلومُ على أن رحتُ في العلمِ راغبًا　　أجمعُ من عنْدِ الرواةِ فنونَه
وأعرف أبكارَ الكلامِ وَعونَه　　وَأحفظُ مِمَّا أَستفيدُ عُيُونَه
وَيزعمُ أنَّ العِلمَ لَا يجلِبُ الغِنَى　　وَيَحسُنُ بِالجَهلِ الذَّمِيمِ ظُنُونَه
فَيَا لَائِمِي دَعْني أُغالِي بِقِيمَتِي　　فقيمةُ كلّ النّاس ما يحْسِنونَه[(٣)]

= من فارس. ولد بصنعاء، وتوفي بمكة، كان مفتيًا لأهلها. اتهم بالتشيع والتحامل على ابن الزبير. انظر: الأعلام، ٥/٧٧.

(١) الأبيات من الرمل لعلي بن أبي طالب في ديوانه، ص ٣٠؛ مع اختلاف في بعض العبارات.

(٢) مُحَمَّد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسني، ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن (٣٢٢هـ): شاعر وأديب، ولد وتوفي بأصبهان. له: «عيار الشعر» و«تهذيب الطبع» و«العروض» قيل: لم يسبق إلى مثله. وأكثر شعره في الغزل والآداب. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٣٠٨.

(٣) الأبيات من الطويل لابن طباطبا. انظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الشافعي، ٣٥٠/٥٣. وطبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، ٢٤١/١.



وقال عليّ بن أبي طالب: كفى بالعلم شـــرفًا أن كلَّ أحد يدَّعيه وإن لم يكن من أهله، وكفى بالجهل خِزيًـــا أن كلَّ أحد يبرأ منه وإن كان به موسومًا.

وقال أزدشير: حســـبكم دلالة على فضيلة العلم أَنَّهُ ممدوح بكلِّ لسان، يتزيَّن به غير أهلـــه، ويدَّعونه ما خفـــي لهم ادّعاؤه، وحســـبكم دلالة على الجهل أنَّ كلّا ينتفي منه ويغضب أن يسمَّى به.

وقَال أبو المؤثر[1]: بالعلم يطاع الله، وبالجهل يعصى الله.

ومن فَضلِ العلم على كلّ من أراده العباد أنَّ الله ﷻ إِنَّمَا خلق الخلائق بعلمه، ودبَّر الأشياء بحكمته، وأنه ابتدأ الأشياء ومصيرها إلى علمه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فصل: [بين العلم والمال]

قيل لبعض الحكماء: لم لا يجتمع العلم والمال؟ فقال: لِعِزّ الكمال.

وســـئل بعض الحكماء: أيما أفضل المال أو العلـــم؟ فقال: الجواب عن هذا أيما أفضل المال أو العقل؟!

---

(١) أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصـــي (ت:٢٧٨هـ): عالم فقيه من بهلا بعُمان، وأحد الثلاثة الذِين ضرب بهم المثل فقيـــل: «رَجَعت عُمان إلى أصمٍّ وأعرجٍ وأعمًى»، والأعمى هو أبو المؤثر. أخذ العلم عن مُحَمَّد بن محبوب ونبهان بن عثمان... كان من مستشـــاري الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧هـ)، ومن الذين بايعوا الإمام عزَّان بن تميم ســـنة ٢٧٨هـ. له: الأحداث والصفات، والبيان والبرهان، وينسب إِلَيه تفسير آيات الأحكام. وأجوبة كثيرة فِي كتـــب الفقه. انظر: البطاشـــي: إتحـــاف الأعيان، ٢٠١/١. الســـالمي: تحفـــة الأعيان، ١٥٨/١... معجم أعلام إِبَاضِيَّة المشرق، تر٧١٧.

قال صالح بن عبدالقدوس(١):

لَا خَيرَ فِيمَــن كَانَ خيــرُ ثَنَائِه   فِي النَّاسِ قَولُهــم غَنيٌّ وَاجِدُ(٢)

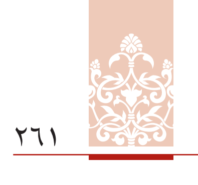
وقال عليّ بن أبي طالب: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلــم حاكم والمال محكوم عليــه، العلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة، وصنيع المال يزول بزواله وصحبة العلم دين يُدان به. العلم يكسبك الطاعة في حياتك وحسن الأحدوثة بعد وفاتك. مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم فــي الناس موجودة. ها إنَّ هاهنا علمًا جمًّا، ـ وأشــار بيده إلى صدره ـ لــو أصبت له حَملة! بلى أصبت فتى غير مأمون، يســتعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمة الله على عباده، أو منقادًا لأهــل الْحَقّ /٢٩/ لا بصيرة له، عما قليل ينقدح الشــك في قلبه لأوَّل عــارض من شــبهة، لا ذا ولا ذاك، فمنهوم باللذات ســلس القياد للشهوات، أو مغرور بجمع المال والادخار، ليسا من رعاة الدين، أقرب شــبههما الأنعام السائمة. كذلك يمــوت العلم بمــوت(٣) حامله، اللَّهم [بلى](٤) لا تخلو الأرض من حجة إما ظاهر بحــقّ، وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله وتبيانه على خلقه، أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون

(١) صالح بن عبدالقدوس بن عبدالله بــن عبدالقدوس الأزدي الجذامي، مولاهم، أبو الفضل (ت: ١٦٠هـ): شــاعر حكيم متكلم، يعظ الناس في البصرة. له مــع أبي الهذيل العلاف مناظرات. عمي في آخر عمره. اتهم عند المهدي العباســي بالزندقــة فقتله ببغداد. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/١٩٢.

(٢) البيت من الرجز، نسبه صاحب مَجمع الحكم والأمثال لصالح بن عبدالقدوس.

(٣) في (س): فيموت.

(٤) الزيادة من: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ١/١٤٧. وقد ذكر هذا القول مع اختلاف يسير في بعض العبارات.



عند الله خطرًا، بهم يُظهر الله برهانه حَتَّى يردّوه إلى نظرائهم، أو يوعونه في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا بما استوعَر فيه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى حَتَّى باشروا روح اليقين، أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه، آه آه شوقًا لهم إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم[١].

وروي عن معاذ بن رفاعة[٢] عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحملُ هذا العلم من كلِّ خَلَف عُدُوله، ينفونَ عنه تَحريف الغالينَ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[٤]. فحمَلة العلم يحملونه قُدوة عن قُدوة، في طَبق من الأمَّة في طبق.

وسئل علي: العلم أفضل أم المال؟. فقال: العلم أفضل. قيل: فما لنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء، ولا نرى الأغنياء على أبواب العلماء؟!. قال: ذلك لعلمِ العلماء بفضل المال، وجهل الأغنياء بفضل العلم.

---

(١) الخطاب لكميل كما جاء في ديوان المعاني، ١٤٧/١.

(٢) معاذ بن رفاعة بن رافع الزرق الأنصاري المديني: أخو عبيد بن رفاعة. روى عن أبيه رفاعة وجابر بن عبد الله وخولة. روى عنه: عبد الله بن محمد بن عقيل ويحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم. انظر: الرازي: الجرح والتعديل، ر١١١٩، ٢٤٧/٨. الغيتابي: مغاني الأخيار، ر٢٣٠١، ٥٥/٥.

(٣) إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري: تابعي مقل، ذكره ابن منده وغيره في الصحابة. ووثقه ابن حبان وقال: يروي المراسيل، روى عنه معان بن رفاعة. انظر: ابن حبان: ثقات، تر١٦٠٧، ١٠/٤. ابن حجر: الإصابة، ٧٦/١. لسان الميزان، ٣٢/١.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى عن إبراهيم العذري بلفظ قريب، ر٢٠٧٠٠، ٢٠٩/١٠. ورواه الطبراني في مسند الشاميين عن أبي هريرة بلفظه، ر٥٩٩، ٣٤٤/١.

وقيل: سئل بُزْرُجُمِهْر عن هذا؛ فقال: ذلك لعلم العلماء بالحاجةِ إلى المال، وجهلِ أصحاب الأموال بفضيلة العلم[١]. وقيل: ما مات من أحيا علمًا.

قيل: وفي منثور الحكم[٢]: كم من ذليـــل أعزَّه علمه، ومن عزيز أذلَّه جهله.

وقال بعض الحكماء: العلم شرف لا قديم له، والأدب مال لا خوف عليه.

وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خَلَف، والعمل به أكمل شَــرَف، وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل؛ لأَنَّ فضل العلم يعرف بالعلم، وهذا أبلغ في فضلــه؛ لأَنَّ فضله لا يعلــم إِلَّا به، فلما عــدم الجهَّالُ العلــمَ الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله واسترذلوا أهله.

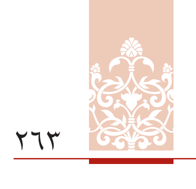
وقال ابن المعتــز[٣]: العالم يعرف الجاهل؛ لأَنَّــه كان جاهلًا، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأَنَّه لم يكن عالمًا.

---

(١) في (ت): بالعلم وفضيلته.

(٢) منثور الحكــم: ذكره حاجي خليفة فِي كشــف الظنون (١٨٥٨/٢) ولــم ينسبه، قائلًا: هو «مختصر على ثمانية أبــواب في الكلمات الحكمية». ونســبه ابن عربــي فِي الفتوحات المكية (٣٢١/٧) إِلَى جماعة من العلماء، وقال: «وصايا من منثور الحكم والكلم ينســب إلى جماعة من العلماء الصالحين». وينقل منه ابن أبي الدنيا فِي كتبه كثيرًا.

(٣) ابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشــيد العباســي، أبو العباس (٢٤٧ - ٢٩٦هـ): أديب شــاعر مبدع، خليفة يوم وليلة. ولــد في بغداد. أولع بــالأدب، فكان يقصد فصحــاء الاعراب ويأخذ عنهــم. له: «الزهر والريــاض» و«البديع» و«الجامع في الغناء» و«طبقات الشــعراء». وللشــعراء مــراث كثيرة فيه. انظــر: الزركلي: الأعلام، ١١٨/٤.



وكذلك انصرفوا عن العلم وأهله انصراف الزاهدين، وانحرفوا عنه انحراف المعاندين؛ لأَنَّ من جهل شيئًا عاداه. وقال ابن دريد(١):

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُومَ وَأَهْلَهَا   كَذَاكَ يُعَادِي العِلمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُهْ(٢)

فصل: [في المال]

المال ظل زائل، وعارِية مسترجعة.

وقيل: سُمِّي المال مالًا؛ لأَنَّه ميَّال. ويقال: رجل مائل: إذا كان ذا مال.

وليس في كثرة المال فضيلة، ولو كانت فضيلة لخصّ الله تعالى بها من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته، ولقَد كان أكثر أنبياء الله تعالى عليهم السلام وأوليائه فقراء لا يجدون بُلغة حَتَّى صاروا مثلًا في الفقر. قال البحتري(٣):

فَقْرٌ كَفَقرِ الأنبِياءِ وَغُربةٌ   وَصبَابةٌ لَيسَ البَلاءُ بِوَاحِدِ(٤)

---

(١) مُحمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر (ت: ٣٢١هـ): عالم لغوي أديب من عُمان، ولد بالبصرة وبها نشأ وتعلم بها، ثم انتقل إلى صحار بعُمان مقربًا من الإمام الصلت بن مالك، ثم رجع إلى البصرة وتجول ببلاد فارس وغيرها. أخذ عنه: القالي والمرزباني والمتنبي. له: معجم جمهرة اللغة وصفة السرج واللحام والاشتقاق. انظر: دليل أعلام عُمان، ١٤٤. معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

(٢) البيت من الطويل لابن دريد في ديوانه، ص٩٨.

(٣) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ): شاعر كبير، يقال لشعره «سلاسل الذهب». قيل للمعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وَإِنَّمَا الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له: «ديوان شعر» و«الحماسة». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢١/٨.

(٤) البيت من الكامل للبحتري. انظر: الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٦٢/١.

ولعدم الفضيلة في المال ما منحه الله الكافر وحرمه المؤمن. قال الشاعر:

كَم كَافر بِاللهِ أَموالُهُ تَزدَادُ أَضعَافًا عَلَى كُفرِهِ
وَمُؤْمِنٌ لَيسَ لَهُ دِرْهَمُ يَزْدَادُ إِيمَانًا عَلَى فَقْرِهِ
يَا لَائِمَ الدَّهرِ وَأَفعَالِه مُشتغِلًا يَزْرِي عَلَى دَهْرِهِ
الدَّهرُ مَأْمُورٌ لَهُ آمِرُ يَنصرِفُ الدَّهْرُ إِلَى أَمرِه[1]

والمال لا يفرح به عاقل، ولا ينتفع به جاهل؛ لأَنَّه يبيد فيما يبيد. ولا يفيد به أيضًا حمدًا عاجلًا ولا ذخرًا آجلًا.

وقال بعضهم: لو كان يفرح بالأموال جامعها لكان أفرح خلق الله قارون.

وقيل لبُزْرُجُمِهْر: ما أعجب الأشياء؟ قال: بجح الجاهل، وإكداء العاقل، لكن الرزق بالجدِّ والحظِّ لا بالعلم، والعقل حكمة منه تدلّ على قدرته وإجراء /٣٠/ الأمور على مشيئته. والإكداء: منع الإنسان عن مطلبه[2].

وقِيلَ: إِنَّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ لم رَزقت الأحمق؟ قال: ليعتبر العاقل أن الرزق ليس بالاحتيال.

وقد قَالَت الحكماء: لو جرت الأقسام على قدر العقول لم تعش البهائم. فنظمه أبو تمام فقال:

ينالُ الفتى من عيشهِ وهو جاهلٌ ويُكْدِي الفَتَى من دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمٌ
ولَوْ كانَتِ الأرزَاقُ تَجْرِي على الحِجَى هلكْنَ إذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ

(١) الأبيات من السريع، أنشدها ابن زنجي البغدادي مع بعض الاختلاف. انظر: ابن حبان: روضة العقلاء، ١/ ٢٨٠.

(٢) في (ت): «يتبع الإنسان عرف طلبه».



وَلَكِنَّمَا الأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الوَرَى بِقُـدْرَةِ جَبَّـارٍ وَحِكْمَـةُ حَاكِمِ
والسـبـبُ المانـعُ حظَّ العاقِـلِ هو الذي يسوق رزق الجاهِلِ(١)

وقال عليّ بن أبي طالب:

كم من حريص عليها لا تسـاعده وعاجـز نـال دنيـاه بتقصير(٢)
لم يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ بعدما قُسمت لَكِـنَّهـم رُزِقُـوهَـا بالمقاديـر
لو كان عن حيلةٍ أو عن مغالبةٍ طَـارَ البُزَاةُ بِـأَرْزَاقِ العصافير(٣)

وكم في هذا من الأشعار، وصحيح الأخبار ما لا يحصى، وليس للإكثار منه هاهنا وجه فتركته.

والعلم والعقل سـعادة وإقبال وإن قلَّ معهما المـال، والجهل والحمق حِرمان وإدبار وإن كثر معهما المال. وكيف يسعد الجاهل والجهل يضعه، أم كيف يشقى العالم والعلم يرفعه. قال الشاعر:

أَخِي إِن كُنتَ عَالِمًا زَادَكَ العِلمُ عُـلُـوًّا أَو جَـاهِـلًا رَفَـعَـك
إِنَّمَا تَفْضُـلُ عَلَى البَهَائمِ بِالعلمِ فَـإِن كُـنـتَ عَـالِمًـا نَفَعَـك
تَنَكَّبِ الجَهْلَ مَا اسْـتَطَعْتَ فَإِنَّ الجَهْلَ إِن كُنـتَ جَاهِلًا وَضَعَك(٤)

(١) البيتان الأوَّلَان مـن الطويل لأبي تمام فـي ديوانه، ص١٨٢، مـع بعض الاختلاف. والبيت الثالث لم نجد من ذكره. أما البيت الرابع ذكره الجاحظ ولم ينسـبه وتختلف قافيته عن الأبيات الثلاثة. انظر: البيان والتبيين، ١/ ٥١٠.
(٢) في جميع النسخ: زيادة ياء في آخر كلمات الأبيـات: بتقصيري، بالمقاديري، العصافيري. ولعل الصواب ما أثبتنا لمَا جاء في ديوان الشاعر وكتب الأدب.
(٣) الأبيات من البسيط لعلي بن أبي طالب في ديوانه، ص ٨٠؛ مع بعض الاختلاف.
(٤) الأبيات من المنسرح، لم نجد من ذكرها.

وقال آخَر:

العِلـمُ فِيـهِ مَهَابـةٌ وَجَلاَلَـة وَالعِلمُ خَيرٌ مِن كُنُـوزِ الجَوْهَرِ

وَالعِلمُ مَن يُعرَفْ بِه في مَجْلِسٍ يُكـرَمْ وَيَعظُـم قَـدرُه وَيُوقَر[(١)]

ويقال: العلم أشرف الأحْسابِ، والمودَّةُ أشبكُ الأَنسَابِ.

قال الشَّاعِر:

العِلـمُ والحِلـمُ حُلَّتَـا كَـرَمٍ لِلمَـرءِ زَيـنٌ إِذَا هُمَـا اجْتَمَعَا

صِنـوَانِ لَا يُسْتَتَـمُّ[(٢)] حُسْنُهُمَا إِلَّا بِجَمْـعِ لِـذَا وَذَلـك مَعَـا

كَـمْ وَضيـعٍ سَـمَا بِـهِ الحِلمُ وَالعلـمُ فَنَـالَ العُـلاَ وَارتَفَعَا

ومِـن رَفيـعِ البِنَـا أَضَاعَهُمَـا أَخمَلَـه مَـا أَضَـاعَ فَاتَّضَعَـا[(٣)]

ولصالح بن عبد القدوس:

العِلـمُ زَيْنٌ وَتَشْـرِيفٌ لِصَاحِبِه فَاطْلُبْ هُدِيتَ فُنُونَ العِلمِ وَالأَدَبَا

لَا خَيْرَ فِيمَـنْ لَهُ أَصلٌ بِلَا أَدبٍ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَـا زَانَه حَدَبَا

كَم مِن حَسِيبٍ أَخِي عَيّ وَطَمْطَمَةٍ فَدْمٌ لَدَى القَومِ مَعروفٌ إِذَا انْتَسَبَا[(٤)]

الحادب على الشـيء: العاطف عليه. والطمطمـة: العُجمَة، وهي تكون فيمن لا يفصح.

والفَدْم: العيّ عن الحجة والكلام. قال الشاعر:

وَأَنْكَرتُ إِنـكَارَ الكَرِيمِ[(٥)] وَلَم أَكُن كَفَدْمِ عُبَامٍ سُيِلَ شَـيئًا فَحَمْحَمَا[(٦)]

---

(١) البيتان من الكامل، لم نجد من ذكرهما.

(٢) في (ت): لا يستقيم.

(٣) الأبيات من المنسرح ذكرها ابـن عبد البر. انظر: جامع بيان العلـم وفضله، ١٢٦/١؛ مع اختلاف بعض الألفاظ وترتيب الأبيات.

(٤) الأبيات من البسيط، نسبها القالي للحكم بن قنبر. انظر: الأمالي في لغة العرب، ١٢٤/٣.

(٥) في (ت): الكرام.

(٦) البيت من الطويل، لم ينسب في كتاب العين ولا في مقاييس اللغة. انظر: مادة: (عبم).

والعُبام: الرجل الغليظ الخلقة، تقول: عبم يعبم، عبامة شيئًا، أي: شيئًا يعطيه.

(رجع إلى شعر صالح):

فِي بَيــتِ مَكْرُمَةٍ آبَــاؤُهُ نُجُبُ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَضحَى بَعدَهم ذَنَبَا

وَخَامِلٌ مُقرَفُ الآبَـاءِ ذُو أَدَبِ نَالَ المَعَالِيَ والأَموالَ والنَّسَبَا[(١)]

القَرفة: الهجنة في الأصل. قال ذو الرمة[(٢)]:

تريكَ سُــنَّةَ وجــهٍ غيــرَ مقرفةٍ مَلْسَاءَ لَيْــس بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ[(٣)]

يقول: هي كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة.

(رجع إلى شعر صالح):

العِلــمُ كَنزٌ وَذُخــرٌ لَا نَفَــادَ لَهُ نِعمَ القرينُ إِذَا مَــا عَاقِلٌ صَحِبَا

يَا جَامِعَ العِلمِ نِعمَ الذُّخرُ تَجْمَعُه لَا تَعدِلَــنَّ بِــه دُرًّا وَلَا ذَهَبَا[(٤)]

قَالَ آخَر:

العِلــمُ نُورٌ بِــهِ تَحْيَــا القُلُوبَ كَمَا تَحْيَا البِلَادُ إِذَا مَا جَادَهَا المَطَرُ

وَالعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عَن قَلبِ صَاحِبِه كَمَا يُجَلِّي سَــوَادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ

وَلَيسَ ذُو العلمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِه وَلَا البَصِيرُ كَأَعمَى مَا لَهُ بَصَرُ[(٥)]

وفضيلة العلم أكثر من أن يحصيها باب أو يأتي عليها كتاب.

(١) هَذِهِ الأبيات نسبها القالي للحكم بن قنبر. انظر: الأمالي في لغة العرب، ١٢٤/٣.

(٢) غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، ذو الرُّمَّة (ت:١١٧هـ): شاعر بليغ. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال. قال ابن العلاء: فُتح الشعر بامرئ القيس وخُتم بذي الرمة. وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٤/٥.

(٣) البيت من البسيط لذي الرمة في ديوانه، ص٢.

(٤) البيتان من البسيط لأبي الأسود الدؤلي. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٠٩/٢٥.

(٥) الأبيات من البسيط لسابق البربــري. انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريــد، ٧٣/٢. وابن عبدالبر: جامع بيان فضل العلم وأهله، ٥٠/١. وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ١١/٢٠ و١٤٨/٥١.

باب ٥ في ذم الجهل وتضليله

الجهل: نقيض العلم، إذا كان مطلقًا لم يقل فيه: جاهل بكذا، تقول: جهل فلان حق فلان، وجهل على فلان، وجهلت هذا الأمر.

والجهالة: أن تفعل فعلًا بغير علم، **والتجاهل**: أن تفعل فعلًا بعلم.

وقيل: الجاهل يتعمد[(١)]، والمتجاهل: لا يريد أَن يفهم، والجاهل: هو الذي عليه الجهل غالب، /٣١/ والمتجاهل: المتعمّد للجهل القاصد له بالفعل، وبينهما فرق.

وقال الشاعر:

أجهَّالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيّ ... قَعِيدُ أَبِيكَ أَم مُتَجَاهِلِينَا[(٢)]

قعيد أبيك: أي: نشدتك بأبيك. قال الفرزدق:

قَعِيدَكُما الله الذي أَنْتُمَا لَه ... أَلَمْ تَسْمَعَا بِالبَيْضَتَيْن المُنَادِيَا[(٣)]

أي: أنشدتكما الله.

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ يعلم».

(٢) البيت من الوافر للكميت. انظر: كتاب سيبويه، ١٢٣/١؛ بلفظ: «لعمر أبيك».

(٣) منهم من ينسب هذا البيت إِلَى الفرزدق ومنهم من ينسبه إِلَى جرير، وقد نسبه إِلَى الفرزدق ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم، ١٧٣/١. وابن منظور في لسان العرب، (قعد). ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة إلى جرير، (ضوب).

قال متمّم بن نويرة[(١)]:

قَعيـدَكِ ألَّا تُسـمعيني مَلامـةً   ولا تَنْكَئي قَرْحَ الفؤاد فيَيْجعا[(٢)]

أي: نشدتكِ الله.

والجهل: مأخوذ من الأرضين[(٣)] المَجَاهل التي لا أعلام لها، ولا يهتدى لطرقها، الواحدة: مَجهلة.

والجهل مستقبح بإجماع. ويقال: الجهل داء والعلم دواء، والجهل عورة تُستَر والعلم زينة تظهر، والجهل نقيصة يستعاذ منها. وفسر الجهل في قول موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧) يعني: السفهاء الذين يسخرون ويهزؤون[(٤)].

والعلم فضيلة يُرغب إلى الله فيها، والجهل أقبح ما في الإنسان، والعقل أملح ما في الإنسان.

وقِيلَ: كان عمر رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦)؟ قال: الجهل، يا رب.

ويقال: أنزلت هذه الآية في أبي الأشدّ بن أسيد بن كلدة، وكان أعور

(١) مُتَمّم بن نُوَيرَة بن حمزة بن شدَّاد اليربوعي التميمي، أبو نهشل (ت: ٣٠هـ): صحابيٌّ شاعر فحل، من أشراف قومه. اشتهر في الجاهليّة والإسلام. أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٥/٥.

(٢) البيت من الطويل لمتمم بن نويرة. انظر: ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ١٧٣/١.

(٣) في (س): الأرض، وأشار إلى نسخة فقال: «خ الأرضين»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٤) في (ت): يستهزئون.

شـــديد البطش. قال: لَئنْ أخذتُ بحلقـــة من باب الجنة ليدخلنها بشـــرٌ كثير[١]، ثُمَّ قتل يوم فتح مكة.

ويقال نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومـــي، وفيه نزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ (المدّثر: ١١، ١٢)، وكان يسمى الوحيد في قومه. ويقال: وحيدًا يعني دعِيًّا. ويقال: لا مال له ولا ولد.

وقال الكلبي في الآية الأولى: نزلت في أُبَيّ بن خلف.

ويقال: من جهل شـــيئًا عاداه. وكذلك قوم نوح لما جهلوه وفضله عادوه وكذّبوه.

ويقال: المرء عدو مـــا جهل. ولهذا قال يحيى بن خالـــد[٢] لابنه: عليك بكل نوع مـــن العلم فخذ منه، فإن المرء عدوّ ما جهـــل، وأنا أكره أن تكون عدوّ شيء من العلم. وأنشده:

تبيـــن وخـــذ مـــن كلّ علـــم ... فإنما يفوق امرؤ في كلِّ فن له علم
فأنت عـــدوّ للـــذي أنت جاهل ... به ولِعِلـــمٍ أنت تعلمه سِـــلْم[٣]

ومن علامة الجاهل أنك تجده للعالِم معاديًا، وعليه زاريًا، وعنه منحرفًا، وعن قوله منصرفًا، فهو كما قال الشاعر:

---

(١) في النسخ: مشـــركين، والتصويب من تفسير مقاتل، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، ١٩٣/٤ (ش).

(٢) يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبو الفضل (١٢٠ - ١٩٠هـ): الوزير السري الجواد، ســـيد بني برمك وأفضلهم. مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. واشتهر بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشـــيد البرامكة فقبض عليه وســـجنه في «الرقة» إلى أن مات، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم. أخباره كثيرة جدًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٤٤/٨.

(٣) البيت من الطويل، أنشـــده يحيى بن خالد. انظر: أدب الدنيـــا والدين، ٣٣/١ (ش)؛ بلفظ: «ولعلم أنت تتقنه..».

وَمنزِلَـةُ السَّـفِيهِ مِـنَ الفَقِيـهِ كَمَنزِلَـةِ الفَقِيـهِ مِـنَ السَّـفِيهِ
فَهَـذَا زَاهِـدٌ فِـي فَضْـلِ هَذَا وَهَـذَا فِيـهِ أَزْهَـدُ مِنـهُ فِيـهِ
إِذَا غَلَـبَ الشَّـقَاءُ عَلَى سَـفِيهٍ تَنَطَّـعَ فـي مُخَالَفَـةِ الفَقِيهِ[1]

التنطُّع: التعمّق في الكلام. قال ابن عبد القدوس:

فَـدَعِ التَّعَمُّقَ في الأمُـورِ فإِنَّمَا قُرِنَ الضلالُ بِكُلّ مَنْ يَتَعَمَّقُ[2]

وقال ابن دريد:

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُـومَ وَأَهْلَهَا كذاكَ يعادي العلمَ منْ هوَ جَاهِلهْ[3]

وقال آخَر:

وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَـا كَانَ يَجْهَلُهُ وَالجَاهِلُونَ لأَهلِ العلمِ أَعدَاءُ[4]

وقلَّما تكون محنة فاضـل إلَّا من ناقص، وبلوى عالـم إلَّا من جاهل، للعداوة بينهما لفرط تباينهما. وقال بعضهم:

وإني شَـقّي باللِّئـامِ وَلا تَرَى شَـقِيًّا بِهِمْ إلَّا كَرِيمَ الشَّمائِلِ[5]

وقال آخَر:

فـلا تَصْحَـب أخـا الجهـل وإيَّـــاك وإيَّـــاهُ
فكـم مـن جـاهـلٍ أَرْدى حَـلـيـمًـا حـين آخـاهُ
يُـقـاسُ الـمـرءُ بـالـمـرءِ إذا مـا هـوَ مـاشـاهُ[6]

---

(١) البيت من الوافر للإمام الشافعي في ديوانه، ص١١٩؛ مع بعض الاختلاف.
(٢) البيت من الكامل لابن عبد القدوس. انظر: أبو البقـاء العكبري، ديوان المتنبي، ٣/٢٢٠؛ بلفظ: «قرب الهلاك بكل من يتعمق».
(٣) البيت من الطويل لابن دريد في ديوانه، ص٩٨.
(٤) البيت من البسيط، ذكره ابن عبد البر ولم ينسبه. انظر: جامع بيان العلم وفضله، ١/٤٨.
(٥) البيت من الطويل للطرماح في ديوانه، ص ١٠٠.
(٦) الأبيات من الهزج لعلي بن أبي طالب في ديوانه، ص ١٧٤.

وقال آخَر:

فلا غَــزْوَ أن يبلى أديب بجاهلٍ فَمِنْ ذَنَبِ التنّين تَنكسفُ الشَّمسُ[(١)]

التنين: نجم من نجوم الحســاب، وليس بكوكــب، ولكنَّه بياض خَفِيّ، يكون جسده في ســتة بروج من السماء، وذنبُه دقيق أسود، فيه التواء، يكون في البرج الســابع من رأســه، وهو ينتقل كتنقّل الكواكب الجواري، واسمه بالفارسية في حســاب النجوم: «جوزهر» وفي نسخة: «هشــت أنين». وقيل: «أزدبهار» وهو من الوحوش.

وقال أبو الــدرداء[(٢)]: علامة الجاهل ثلاثة: العُجــب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه.

قال المتوكل الكنانيّ ثُمَّ الكلبِيّ[(٣)]:

لَا تَنــهَ عَــن خُلُقٍ وَتَأتــيَ مِثلَهُ عَارٌ عَلَيكَ إِذَا فَعَلتَ عَظيمُ /٣٢/

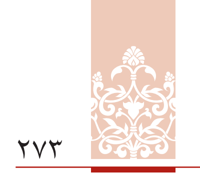
---

(١) البيت من الطويل لأبي سعيد بن نوقة. انظر: محاضرات الأدباء، ٢٧٤/١؛ بلفظ:

ولا غَزْوَ إن يبلى شريفٌ بخاملٍ فَمِنْ ذَنَبِ التنّين ينكسِــفُ البَدْرُ

(٢) عويمر بن مالك بن قيس بــن أميَّة الأنصــاري الخزرجي، أبو الــدرداء (ت: ٣٢هـ): صحابي فارس شــجاع ناســك، تاجر حكيم من القضاة. كان تاجرًا فــي المدينة قبل البعثة ثُمَّ انقطع للعبادة بعد إســلامه. جاء فِيه: «عويمر حكيــم أمَّتي» و«نعم الفارس عويمر». من الذينَ جمعوا القرآن على عهده ﷺ حفظًا. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بــن الخطاب، وهــو أوَّل قاض بها، ومات فِيهــا. روي عنــه ١٧٩ حديثًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٩٨/٥.

(٣) المتوكل بن عبدالله بن نهشــل الليثي الكناني، أبو جهمة: من شــعراء «الحماســة» اختار أبو تمام قطعتين من شــعره. وكناه المرزباني بأبي جهمة، وقــال: كان على عهد معاوية، ونزل الكوفة. له «ديوان» جمعه الدكتور يحيى الجبوري. انظر: ابن عبدالبر: العقد الفريد، ٨٩/٦. الزركلي: الأعلام، ٢٧٥/٥.



فَابْدَأْ بِنفسِكَ فَانهَهَا عَن غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكِيمُ(١)

ونصب الياء من (تأتيَ)؛ لأَنَّه نهي، فالواو إذا كانت للنهي فهي تنصب، وكذلك الفاء، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوٓاْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ (محمد: ٣٥)، قال الله تعالى: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ (طه: ٦١)، وله زيادة شرح في هذا الباب فتركته.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ثلاثة [لا] يُعْدَمْنَ: الجاهل، كثرة الالتفات، وسرعة الجواب(٢).

وليس حالة أوضع للإنسان، ولا أضر عليه، ولا أجلب للشر إليه، ولا أقبح لذكره، ولا أحط لقدره، ولا أذم لأمره من الجهل؛ وهو الداعي للعار والهادي للنار، والمبعد عن السلامة، والمُدني من الندامة، والجهل سبب كل معرة، وجالِب كلّ مضرة، وهو المذهب بخير الدنيا والآخرة، وقد شُبّه الجهال بالأموات وبالدواب المهملات؛ لأَنَّ الجاهل ميّت وإن كان حيًا، ومعدوم وإن كان شيئًا، وفقير وإن كان غنيًا.

قال:

وَفِي الجَهلِ قَبلَ الموتِ مَوتٌ لأَهلِهِ   فَأَجْسَامُهُم قَبلَ القُبُورِ قُبُورُ
وَإِن اِمرَأً لَم يُحْيَ بِالعِلمِ مَيِّتٌ   وَلَيسَ لَه حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ(٣)

---

(١) فِي (س): «فأنت حليم». والبيتان من الكامل للمتوكل الكناني. انظر: الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، ٢٦١/٢.

(٢) ذكر اثنتين ولم يذكر الثالثة، ولعلَّ ذكر الثلاثة سهو من المصنَّف. ففي الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، ٢٠٣/٢: «وقال عمر بن عبدالعزيز: خصلتان لا تعدمك من الأحمق ـ أو قال من الجاهل ـ: كثرة الالتفات وسرعة الجواب».

(٣) البيتان من الطويل، نسبهما محمود النيسابوري في كتاب سر السرور للماوردي. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٣١٤/٤.

وقال آخَر:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بمودعها إلّا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أوراح ما في الغرائر[١]

والموت أيسر[٢] لمن لا علم له ولا أدب عنده.

وقال بعض الحكماء: الجاهل وإن يقطع فإلى التجهل[٣] يفزع، والجاهل يرى العلم تكلُّفًا ولؤمًا، كما أن العالم يرى الجهل تخلفًا ولؤمًا.

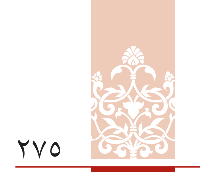
وقيل لبُزْرُجُمِهْر: ما لكم لا تعاتبون الجهَّال[٤]؟ فقال: إنا لا نكلِّف العمي أن يبصروا، ولا الصمّ أن يسمعوا.

وقال الخليل بن أحمد:

لَو كُنتَ تَعلَـمُ مَا أَقولُ عَذَرتَنِي أَو كُنتُ أَجهلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لَكِـن جَهِلْتَ مَقَالَتِـي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّـكَ جَاهِـلٌ فَعَذَرْتُكَا[٥]

ولداود الأصفهاني[٦]:

(١) البيتان من الطويل لمروان بن أبي حفصة في ديوانه، ص٤٧؛ الأول بلفظ:
زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلّا كعلم الأباعر
(٢) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ أسير». وفي النسخة (ت): أسلم.
(٣) في (ت): الجهل.
(٤) في (ت): الجهلاء.
(٥) البيت من الكامل للخليل بن أحمد. انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٣/٢.
(٦) داود بن علي بن خلف الأصفهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري (٢٠١ - ٢٧٠هـ): إمام مجتهد تنسب إليه الظاهرية؛ لأخذها بظاهر الكتاب والسُّنَّة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. أصبهاني الأصل من أهل قاشان. ولد بالكوفة وسكن بغداد وتوفي بها. انتهت إليه رياسة العلم فيها. قال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه. له تصانيف كثيرة أوردها ابن النديم فِي كتابه. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٣٣/٢.



عُذرُكَ عِندِي لَكَ مَبسُوطُ ... وَالذَّنبُ عَن مِثلِكَ مَحطُوطُ
لَيسَ بِمسخُوطٍ فِعالُ امْرِئٍ ... كُلّ الذِي يَفعلُ مَسخُوطُ[(١)]

فصل: [في الجهل]

الجهل في الابتداء من فعاله جهل على الحقيقة، والجهل على الجزاء به ليس بجهل على الحقيقة، وإنما هو مجاز.

وقَد قيل في قول عمرو بن كلثوم[(٢)]:

أَلَا لَا يَجْهَلَن أَحدٌ عَلَينَا ... فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجَاهِلِينَا[(٣)]

إنه ما أراد الجهل المستقبح، وإنما سمَّى الجزاء على الجهل جهلًا؛ لأن ذلك من كلام العرب، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠)، فالأولى سيئة، والأخرى الجزاء عليها ليست بسيئة، ولكنهم يسمون الجزاء على الشيء باسم الشيء، وبهذا فسر قول عمرو بن كلثوم؛ لأَنَّه لو أراد الجهل بعينه لكان ذمًّا لا مدحًا؛ لأَنَّ الجهل لا يمتدح به عاقل ولا يستحسنه أحد، وإنما معناه: فنهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنسب الجهل إلى نفسه لتُزاوَجَ اللفظتان، فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى وهي تخالفها في المعنى.

---

(١) البيت من السريع لعبد الصمد بن المعذل في ديوانه، ٨٥/١. ونسبه المصنِّف لدواد الأصفهاني.

(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب من بني تغلب، أبو الأسود (٤٠ق هـ): شاعر جاهلي ساد قومه فتى. ولد في شمالي جزيز العرب في بلاد ربيعة، وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد. وعمَّر طويلًا. من أصحاب المعلقات. مات في الجزيرة الفراتية. انظر: الأعلام، ٨٤/٥.

(٣) البيت من الوافر لعمرو بن كلثوم يتوعد عمرو بن هند. انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢٧/٨.

وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤). قال المفسرون: معناه: فعاقبوه على اعتدائه، والثاني ليس باعتداء في الحقيقة، بل هو عدل، فسمي اعتداء للازدواج والتوفيق بين اللفظتين.

وجاء في الحديث: «إن الله ﷻ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»[1]، فمعناه: أن الله ﷻ لا يقطع عنكم فضله حَتَّى تملوا مسألته وتزهدوا فيها، والله ﷻ لا يمل في الحقيقة ولا يجهل، فإنما نسب الملل إليه لازدواج اللفظتين.

وقال بعضهم: فنجهل فنجازيه، فسمَّى المجازاة على الجهل جهلًا، كما قال الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢)، يريد ـ والله أعلم ـ: مجازيهم على مخادعتهم.

وقرأ ابن مسعود: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات: ١٢)[2]؛ بل جازيتهم على عجبهم؛ لأَنَّه تعالى أخبر عنهم /٣٣/ في مواضع من القرآن أنهم عجبوا، فقال: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ يريد: بل جازيتهم على عَجَبِهم، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري عن عائشة مطولًا، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ر١١٠٠. ورواه مسلم عن عائشة مطولًا، باب فضيلة العمل الدائم، ر٧٨٢.

(٢) قال القرطبي: «قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم بفتح التاء خطابًا للنبي ﷺ؛ أي: بل عَجبتَ مِمَّا نزل عليك من القرآن وهم يسخرون به؛ وهي قراءة شريح، وأنكر قراءة الضم، وقال: إن الله لا يعجب من شيء، وَإِنَّمَا يعجب من لا يعلم. وقيل: المعنى بل عجبت من إنكارهم للبعث. وقرأ الكوفيون إِلَّا عاصمًا بِضَمِّ التاء، واختارها أبو عبيد والفراء، وهي مروية عن علي وابن مسعود، رواها شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أَنَّهُ قرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ بضم التاء، ويروى عن ابن عباس». انظر: القرطبي: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ١٥/٦٩.

فصل: [في مخالطة الجهلة]

عن النَّبيّ ﷺ: «**خَالِطُوا النَّاسَ فِي أَخلَاقِهِم وَخَالِفُوهُم فِي أَعْمَالِهِم**»[١].

وكذَلِكَ قال بعض البلغاء: رُبَّ جهل وَقيْتُ به علمًا، وسَفَهٍ حَمَيت به حلمًا. ولذا قيل: إن الجهل يُدفع بالجهل، والشر يُمنع بالشر، والحديد يُفلح بالحديد. وقال: إن الحديد بالحديد يفلح، أي: يفرج أحدهما من الآخر، حَتَّى يخرج من مطبق موضعه ويقطع به.

وقال كعب بن سعد[٢] الغنوي:

وَلَن يَلْبَثَ الجُهَّالُ أَن يَتَهضَّمُوا ... أَخَا العِلمِ مَا لَمْ يَسْتَعِن بِجَهُولِ[٣]

ولعلي بن أبي طالب، ويروى للمهدي:

لَئِن كُنتُ مُحْتَاجًا إِلَى الحِلمِ إِنَّنِي ... إِلَى الجَهلِ فِي بَعضِ الْمَوَاطِنِ أَحوجُ

وَلِي فَرسٌ لِلحِلمِ بِالحلمِ مُلجَمٌ ... وَلي فَرسٌ بِالجَهلِ لِلجهلِ مُسرَجُ

فَمن شَاءَ تَقوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ ... وَمَن شَاءَ تَعوِيجِي فَإِنِّي معوجُ

وَمَا كُنتُ أَرْضَى الجَهلَ خِدْنًا وَصَاحِبًا ... وَلَكِنَّنِي أَرضَى بِهِ حِينَ أُحْرَجُ

فَإِن قَالَ بَعضُ النَّاسِ فِيهِ سَمَاجَةً ... فَقَد صَدَقُوا وَالذُّلُّ بِالمَرءِ أَسْمَجُ[٤]

وقال سقراط: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة المتطبب للمريض.

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال عن ثوبان بلفظ قريب، ر٥٢٣٠. وعزاه إلى العسكري في الأمثال.

(٢) في (ت): بن عليّ. والصواب ما أثبتنا من (س)، ومن كتب الأدب.

(٣) البيت من الطويل لكعب بن سعد. انظر: الأصمعيات، ٧٦/١.

(٤) لم نجد من نسب هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب أو المهدي. والأبيات من الطويل لمحمد بن حازم الباهلي في ديوانه، ص٢٣.

وقيل: لا يعرف الجهل إِلَّا عالم، ولا يعرف المعصية إِلَّا مطيع.

وقيل: طبع الإنسان الجهل، وطبع الجهل اللسان، وطبع اللسان المعصية.

فصل: [في أنَّ الأصل في بني آدم الجهل]

وأصل بني آدم الجهل، والعلم حادث لهم وفيهم. وكذلك أصلهم الفقر، والغنى حادث لهم. وكذلك أصلهم الحرية والرقّ حادث عليهم.

وكذلك قول علي بن أبي طالب لولده الحسين في رسالته إليه: «فإن أشكل عليك فاحمله على جهالتك، فإنك أول ما خلقت جاهلًا ثُمَّ علمت، وأكثر ما تجهل من الأمر وتتحيَّر فيه رأيك ويضلّ فيه بصرك، فإنَّ العالم من عرف ما يعلم فيما لا يعلم قليل، فعد نفسك لذلك جاهلًا، والجاهل من عدَّ نفسه بما يجهل من معرفة العلم عالمًا وبرأيه مكتفيًا، فلم يزل للعلماء منابزًا وعليهم زاريًا ولمن خالفهم مخَطِّئًا. ومِن جَهْلِك أن تعدَّ نفسك عاقلًا فاضلًا، ومن عقلِك أن تعد نفسك جاهلًا».

والجهل أقوى الحالتين على الإنسان؛ لأَنَّ أصله الذي خلق عليه، ألا ترى أنه مفتقر إلى تعلّم العلم، ثُمَّ رُبَّما لم يأخذ منه شيئًا مع الجد فيه والحرص عليه، وليس يحتاج إلى تعلم الجهل؛ لأَنَّه فيه موجود، قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (النحل: ٧٨).

فصل: [في الجهل]

يقال لمن لا يحسن العلم: هؤلاء داصة[1]، وكذلك هم الذين لا يحسنون ركوب الخيل.

(١) دَاصَ يَدِيصُ دَيَصَانًا: زاغ وحاد. ورجل دياص لا يقدر عليه أو سمين، والدائص اللص جمعه: داصة. انظر: القاموس المحيط، (ديص).

سأل شابٌّ جاهلٌ أفلاطونَ: كيف قدرت على كثرة ما تعلَّمت؟ قال: لأَنّي أفنيت من الرتب أكثر مِمَّا شربت أنت من الشراب.

ويقال: فلان صفر من العلم؛ إذا كان خاليًا منــه، ومنه الحديث: «البَيتُ الذِي لَا يُقرَأُ فِيهِ القُرآنُ صِفرٌ»[(١)].

وفي كلامٍ لشيخنا أبي محمَّد[(٢)]: الجهل يداوى بالتعلم، والحمق مركب في الطبائع لا يزول إلَّا بزوال صاحبه. قد يكون الناس جهالًا فيتعلمون، فلا يعابون إذا لم يتعرضوا لما لا يعلمون.

وكان الحسن إذا استجهل أحدًا يقول له: يا لُكَع، أي: صغيرًا في العلم، جاهلًا به إن شاء الله.

مَسأَلَة: ويقال: لولا[(٣)] جهل الجاهل ما عُرِف عقل العاقل.

مَسأَلَة: والجهل جهلان:

جهل بوجوب النفس ومعرفته، وصاحبه معذور منه؛ لعدم الدليل عليه.

وجهل بمعرفة حكمــه مع العلم به، وهذا لا عــذر لصاحبه بفعله؛ لأَنَّه قاصد إليه، متعمِّد لفعلــه، جاهل بحكمه، وكان جائــزًا أن يتحذَّر من فعله بالســؤال عنه وعن حكمه مِمَّــن يعلمه، والله أعلم. هكــذا وجدت عن أبي إبراهيم الأزكاني.

---

(١) ذكره ابن عطية الأندلســي في تفسيره بمعنــاه. انظر: المحرر الوجيز فــي تفسير الكتاب العزيز، ٣٧/١.

(٢) عبدالله بن مُحَمَّد بن بركة السليمي، مشــهور بأبي مُحَمَّد (ق:٤هـ): عالم إباضي أصولي فقيه محقق من بهلا بداخلية عُمان، زعيم المدرســة الرســتاقية. لــه: «الجامع» و«التقييد» و«الموازنة» و«التعارف»... وغيرها. انظر: البطاشي: إتحاف الأعيان، ٩٢٦/١.

(٣) في جميع النسخ: له لا.

فصل: [في الحمق]

الحمق معروف، تقول: حَمِق فلان، يحمق حماقة، وحمقانًا، واستحمق، /٣٤/ إذا فعــل فِعلَ الحماقة، فإذَا صــار أحمقًا قلتَ: حَمِــق. ورجل أَحْمَق وحمِق.

قال الشاعر:

قـد يُـقْـتِـرُ الــحُــوَّلُ الـتَّـقِـيُّ   ويُـكْـثِـرُ الـحَـمِـقُ الأَثِـيــمُ[١]

ويقال: رجل حُوَّلٌ قُلَّب، وهو الذي يُقلِّب الأمور ويجيد الحيل فيها.

قالَ الشَّاعِر:

وَمَا غَرَّهــم لَا بَــارَك اللهُ فِيهِم   به وهو فيهم قُلَّب الرأي حُوَّل[٢]

وقولهم: فلان أحمق، معناه: متغيِّرُ العقل، أخذ من الحمق. والحُمْق عند العرب: الخمر. ويقال: قد حمَّقَ الرَّجُلُ: إذا شرب الخمر.

قال النِّمِر بن تولب[٣]:

عَشِــيَّةَ حَمَّــقَ فاســتَحْضَنَتْ   إلـيـه فَـجـامَـعَـهـا مُـظـلِـمـا[٤]

(١) البيت من مجزوء الكامل، ينسب ليزيد بن الحكم الثقفيّ. جاء في جميع النسخ: «قد يكثر»، وهو ســهو؛ والتصويب من: الصحاح فِي اللغة، ولســان العرب، (حمق). وديوان الحماسة للتبريزي، ٤٧/٢.

(٢) البيت من الطويل لم نجــد من نسبه. انظر: العين، (حول). والزمخشــري: المستقصى في أمثال العرب، ٤٢١/١.

(٣) النِّمر بن تولب بن زهير (ت: ١٤هـ): شــاعر جاهليٌّ، أدرك الإســلام كبيرًا فأسلم وعُدَّ من الصحابة. روى حديثًا عن الرســول ﷺ. نشأ في نجد ثُمَّ نزل ما بين اليمامة وهجر. له في المدح قصيدة مدح فيها رسول ﷺ. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤٨/٨.

(٤) البيت من السريع للنمر بن تولــب. انظر: ابن الأنباري، الزاهر فــي معاني كلمات الناس ٢١/٢. وتاج العروس، (حمق).

وقَال أكثم بن صيفيّ[١] في وصيتــه لأولاده: ولا تجالسوا السفهاء على الحمق، يريد[٢] على الخمر.

والأَفْنُ: الحمق، والأَفِين: الأحمق. وفي خبر: «وِجْدان الرَّقِين يغَطِّي علَى أفْنَ الأَفِين»[٣]؛ أي: وُجدَان المال يُغطِّي على حمق الأحمق.

ويقال: المرأة مُحمِقَــة ومُحمِق، وهي التي تلد الحمقــاء. ويقال: حُمقَة المرأة. قال:

وَلَوْ كنتــم لِمكْيِسَــةٍ لكِسْــتُم ... وكَيْــسُ الأمِّ يُعْرَفُ فــي البنينا
وَلَكِــن أُمُّكُمْ حَمِقَــتْ وَمَاقَتْ ... فَجِئْـتُــم أَجْمَعِيــنَ الأَحْمَقِينَا[٤]

ويروى:

[.....................] ... أحــمــقــيــنــا مــورهــيــنــا[٥]

(١) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشــن بن معاوية التميمــي (ت:٩هـ): حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. عاش طويلًا وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإســلام فمات في الطريق، ولم ير النَّبيّ ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. ونزلت فِيــه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠) وله أخبار كثيرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/٢.

(٢) في (ت): يعني.

(٣) فِي النســخ: «إن مثل إن وَجد الدفين يغطي على أفن الأقيــر». والتصويب من كتب اللغة. انظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، (رقق، رقه). وتهذيب اللغة للأزهري، (أفن). والرِّقين: جمع رِقَّة وهي الفضة. والأفين: من لا رأي له يرجع إليه.

(٤) البيتان من الوافر لم نجد من نسبهما، ذكر البيت الأول: ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس، ١١١/١. وذكر البيتين ابن الســكيت فِي إصلاح المنطق، ٢٦٩/١؛ الثاني باللفظ الذي سيذكره فيما بعد بلفظ:

«ولكــن أمكم حمقــت فجئتم ... غثاثًــا ما نــرى فيكم ســمينا»

(٥) لم نجد من ذكره بهذا اللفظ.

ويروى:

[ولكن أمّكم حمقــت فجئتم] غُثاثًا مــا نَرى فيكم ســمينا[(١)]

وقَد كاس الرجل[(٢)] يَكيس كيسًا.

وقال جعفر بن محمَّد[(٣)]: الأدب عند الأحمــق كالماء العذب في أصول الحنظل، كُلّما ازداد رَيًّا ازداد مرارة.

وقال جالينوس[(٤)] للمأمون[(٥)]: يا أميــر المؤمنين، إياك ومجالسة النَّوكَى، فَإِنَّا نجد في كتب الطبِّ أن مجالستهم حمَّى الروح.

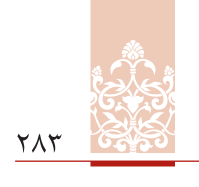
(١) ذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق (٢٦٩/١) ولم ينسبه.

(٢) كــذا في (س)، وهو ما جــاء في إصلاح المنطق، وأشــار إِلَى نسخة فقــال: «خ الوالد خ الولد».

(٣) جعفر بن مُحمَّــد الباقر بن علــي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشــمي القرشــي، أبو عبدالله الصــادق (٨٠-١٤٨هـ): تابعي فقيه عالم، ســادس الأئمة الإثني عشــر عند الإمامية. أخذ عنه: أبو حنيفة ومالك. ولد وتوفي بالمدينة. له رســائل مجموعة في كتاب. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٦/٢.

(٤) كــذا فِي النسخ، وجالينوس هــو: الطبيب الحكيم الرومي، يضرب بــه المثل فى الطب. عرف في كثير من الأمم أَنَّهُ ثامن الأطباء الكبــار المعلمين وخاتمهم، فقد انتدب لأقوال السوفســطائيين فِي الطب وأبطل آراءهم وأيد وشــيد كلام أبقراط ومن بعده وصنف في ذلك كتبًا كثيرة كشــف فيها عن مكنــون هذه الصناعة، ولم يجئ بعــده إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه. ولد بعد ميلاد المسيح ٥٩م، وعاش قبل الهجرة بـ٥٢٥، وعاش سبعًا وثمانين سنة. (انظر: السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٠٩/١. العكبري: ديوان المتنبي، ١٩٦/٢). ولعل جالينــوس هنا يطلق على أبي زيد حنين بن إســحاق العبادي (١٩٤ - ٢٦٠هـ) الطبيب الذي عــاش فِي عصر المأمون فجعله رئيسًــا لديوان الترجمة، واهتم بدراســة كتب أبقراط جالينوس وترجمتها واختصارها، فســمي بذلك تشــبيهًا له بعلمه وحكمته.

(٥) عبدالله بــن هارون الرشــيد بن محمد المهدي بن أبــي جعفر المنصــور، أبو العباس المأمون (١٧٠-٢١٨هـ): ســابع خلفاء بني العباس في العراق، وأحد عظماء ملوكهم =



والنَّوْكَى: الحمقى، وقوم نوك ونواكى، والنواكة الحماقة. قال الشاعر:

رَمتْني بنو عِجْلٍ بداءِ أبيهِمُ ... وأيُّ عِبادِ اللهِ أَنْوَكُ من عِجْلِ
أليسَ أبُوهم غارَ عيْنَ جوادِهِ ... فأضحَت به الأمثالُ تضربُ في الجهلِ[(١)]

وذُكر أنَّ ابنًا لعجل بن لجيم[(٢)] أرسل فرسًا له في خيله فجاء سابقًا، فقال لأبيه: يا أبه، بأيِّ اسم أسمِّيه. فقال: افقأ إحدى عينيه وسمِّه الأعور.

نظر بودجالس[(٣)] إلى أحمق قاعدًا على حَجَر، فقال: هذا حَجَرٌ على حَجَر.

ويقال: في وجه فلان رَأْوَة الأحمق، إذا عرفت الحمق فيه قبل أن تختبره.

= في سيرته وعلمه وسعة ملكه. ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين (سنة ١٩٨هـ) فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة والطب بعد استجلابها من الروم، فقامت دولة الحكمة في أيامه. توفي في «بذندون» ودفن في طرسوس. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/١٤٢.

(١) البيت من الطويل لجرثومة العنزي. انظر: أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ١/٣٩٠. والزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، ١/٨٣.

(٢) في (ت): لخيم. وهو: عجل بن لجيم بن صعب، من بكر بن وائل، من عدنان: جد جاهلي. كانت منازل بنيه من اليمامة إلى البصرة. وإليهم ينسب أبو دلف العجلي. ولهشام الكلبي النسابة كتاب «أخبار بني عجل وأنسابهم». انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/٢١٦.

(٣) فِي (ت): نود جالس.

وســمع الأحنف بن قيس[١] رجلًا يقول: ما أبالــي أمدحت أم هجيت، فقال الأحنف: استرحت إذًا من حيث تَعِبَ الكرام.

ومن أمثالهم: «استراح من لا عقل له»، وقد ذكرته بتفسيره في كتاب الإبانة[٢].

(١) الأحنف بن قيس بــن معاوية بن حصيــن المري السعــدي المنقري التميمــي، أبو بحر (ت:٧٢هـ): ســيِّد تميم، وأحد العظمــاء الدهاة الفصحاء الشــجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلــم. ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره. وفــد على عمر ثُمَّ كتب إلى أبي موسى الأشعري أن يدني منه الأحنف ويشاوره ويسمع منه. شهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل وشــهد صفين مع علي. وكان يعاتــب معاوية ويغلظ عليه وقال فيه: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب. ولي خراســان، وتوفي بالكوفة. له أخبار كثيرة جدا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٦/١.

(٢) انظر تفسيره: كتاب الإبانة، ٥٠٣/٣ ـ ٥٠٤.

باب ٦ في العقل

العقل أفضل ما أنعم الله تعالى به على العبد؛ لأَنَّ به يعرف الحسن والقبيح، وبه وجب الحمد والذم، وبه يلزم التكليف؛ لأَنَّ الله جلَّ ثناؤه إِنَّمَا خاطب العقلاء بما يعقلون، ومن لم يكن له عقل سقط عنه التكليف بالإجماع.

قال الله جل ثناؤه: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ (الحشر: ٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ (ق: ٣٧)، والقلب هو العقل، فالعقل أفضل نعمة، ومن حرم العقل فقد حرم، والعقل هو العلم، والعلم هو العقل؛ لأَنَّ من عقل علم ومن علم عقل، ولا يكون العاقل عاقلًا إِلَّا بعلم مع عقله، والدليل على عقل العاقل أَنَّهُ إذا علم ما له مِمَّا عليه صحَّ أَنَّهُ قد عقل مع صحة التمييز بين الحسن والقبيح. والدليل على ذهاب عقل العاقل هو أخذ ما عليه وترك ما له مع فساد التمييز.

والعقل عقلان: وكلاهما عَرَض؛ فعقل اضطرار، وعقل اكتساب. فَأَمَّا عقل الاضطرار فالمركب فيه، وَأَمَّا عقل الاكتساب فما اكتسبه من عقله.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**لِكُلِّ شيء آلة وعُدَّة، وإنَّ آلة المؤمن وعُدَّته العقل**»[(١)].

(١) رواه الحارث في مسنده عن ابن عباس بلفظه مع زيادة، باب ما جاء في العقل، ر٨٢٤، ٢/٨٠٦. ورواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس بلفظه، باب العقل وفضله، ر٥٠٠٢، ٣/٣٣٤.

والعقلُ مأخوذ اســـمه من عِقَال البعير، يقال: عقلت الشـــيء، إذا شددته وضبطته، فســـمِّي بذلك تشـــبيهًا بعقل الناقة؛ لأَنَّ العقل يمنع الإنســـان من الإقدام على شـــهواته إذا قُبِّحت، كما يمنع العقال الناقةَ من الشرود، ولذلك قال عامر بن عبد قيس[١]: إذا عَقَلَك عقلُك عمَّا لا ينبغي فأنت عاقل، /٣٥/ ويؤيِّد ذلك ما جاءت به السُّـــنَّة عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**العقلُ نورٌ في القلبِ يُميّز به**[٢] **بين الْحَقِّ والبَاطِل**»[٣]. وعنه ﷺ: «**مَا اكْتَسَـــبَ الإنســـانُ مِثلَ عَقلٍ يَهدِيهِ إِلَى هُدًى أَو يَرُدُّه عَن رَدًى**»[٤]. وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**لِكُلِّ شـــيء دَعامةٌ، وَدَعامةُ عِلـــمِ المؤمِنِ**[٥] **عَقلُه**»[٦]. فَبِقدر عقله تكون عبادته لربه، أمَا ســـمعتم قول الله تعالى حكاية عن الفاجر حيث يقول يوم القيامة: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠).

وقَال بعض الحكماء: العقل أفضل مرجُوّ، والجهل أنكى عدُوّ. وقيل: لِكُلِّ شيء آفة، وآفة العقل الهوى.

قال ابن دريد: وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقلُه فقد نجا.

---

(١) عامر بن عبد الله، المعـــروف بابن عبد قيس العنبري (نحو ٥٥هـ): تابعي ناســـك من بني العنبر. رحل إِلَى البصرة وتلقن القرآن من أبي موســـى الأشعري فتخرج عليه في النسك والتعبد. من أقران أويس القرني وأبي مســـلم الخولاني. مات ببيـــت المقدس في خلافة معاوية. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥٢/٣.

(٢) كذا في جميع النسخ، وأشار إِلَى نسخة فِي (س) فقال: «خ يعرف به»، وفي (ت): يفرق به.

(٣) الحديث ذكره ابن ربه في العقد الفريد، ١٠٣/٢. وانظر: أدب الدنيا والدين، ٦/١ شـــاملة. والزمخشري: ربيع الأبرار، ٣٠٠/١ (ش).

(٤) رواه البيهقي في شـــعب الإيمان عن عمر بلفظ قريـــب، ر٤٦٦٠، ١٦١/٤. والحارث في مسنده عن عمر بن الخطاب بلفظ قريب، باب ما جاء في العقل، ر٨١٣، ٨٠١/٢.

(٥) كذا في جميع النسخ، وأشار فِي (س) إِلَى نسخة فقال: «المرء».

(٦) رواه الحارث في مسنده عن ابن عباس بلفظه مع زيادة، باب ما جاء في العقل، ر٨٢٤، ٨٠٦/٢.

وقال الشعبي: [إِنَّمَا سُمِّي] الهوى هوى؛ لأَنَّه يهوي بصاحبه.

قال عبدالملك بن مروان[١]: إذا أنتَ لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال.

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأجرؤهم بالظفر في مجادلته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعض الحكماء: من أمات شهوته أحيا مروءته.

وقال بعض العلماء: ركَّب الله ﷻ الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم. وعن النَّبِيّ ﷺ: «**الشَّدِيدُ مَن غَلَبَ نَفْسَهُ**»[٢].

قال وهب[٣]: الهوى والعقل يصطرعان في القلب فأيهما غلب مال بصاحبه.

---

(١) عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد (٢٦ - ٨٦هـ): من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة فقيهًا متعبدًا ناسكًا. وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارًا على معانديه، قوي الهيبة. وترجمت العلوم في أيامه من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات. أول من صك الدنانير في الإسلام، ونقش بالعربية على الدارهم. وأخباره كثيرة توفي بدمشق. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦٥/٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة بلفظه مع زيادة في أوله، ذكر الأخبار بأن الشديد الذي غلب نفسه..، ر٧١٧، ٤٩٣/٢. ورواه الطيالسي في مسنده عن أبي هريرة بلفظه مع زيادة في أوله، ر٢٥٢٥، ٣٢٩/١.

(٣) وهب بن منبه الصنعاني الذماري، أبو عبدالله (ت: ١١٤هـ): تابعي كثير الأخبار من الإسرائيليَّات. ولد ومات بصنعاء بعدما ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاءها. له: «قصص الأنبياء» و«قصص الأخبار». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٥/٨ - ١٢٦.

فصل: [في العقل]

الضحاك[١]: في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٧٠)، أي: من كان عاقلًا.

والعقل أوَّل حجَّة الله على العبد.

وعن النَّبيّ ﷺ: «**رأسُ العقلِ بَعدَ الإيمانِ باللهِ تعالى التودُّدُ إلَى النَّاسِ**»[٢]. وقال النَّبيّ ﷺ: «**التودُّد إلى الناسِ نِصفُ العَقْلِ**»[٣]. وقال عليه السلام: «**أَمَرَني رَبِّي بِمُدَارَاة النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِأَدَاءِ الفَرَائِضِ**»[٤]. وعنه ﷺ: «**أُمِرْتُ أَن أُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدرِ عُقولِهِم**»[٥].

وقيل: أتى جبريل آدم عليهما السلام فقال: قد أتيتك بثلاث خصال فاختر منهنَّ واحدة. فقال آدم عليه السلام: وما هن؟ فقال جبريل عليه السلام: العقل والحلم والإيمان. فقال آدم عليه السلام: فقد اخترت العقل. فقال جبريل عليه السلام للحلم والإيمان: انصرفا، فقد اختار عليكما العقل. فقالا: أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان.

---

(١) الضحَّاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم (ت:١٠٥هـ): تابعي مفسر. قيل بأنه: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي يؤدِّبهم. له كتاب في التفسير. توفِّي بخراسان. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢١٥/٣.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة بلفظه، ر٦٠٧٠، ١٥٦/٦. والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة بلفظه، ر٢٠٠٩٣، ١٠٩/١٠.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال عن أنس بلفظه، ٧٣/٣. ورواه البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عمر مطولًا، ر٦٥٦٨، ٢٥٤/٥.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال عن عائشة بلفظ قريب، ١٥/٢. ورواه الديلمي في الفردوس عن عائشة بلفظ قريب، ر٦٥٩، ١٧٦/١.

(٥) رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس بلفظه، ر١٦١١، ٣٩٨/١.

قال وهب: قرأت في إحدى وسبعين كتابًا فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعطِ جميع الناس من بدوِّ الدنيا إلى انقضائها[1] من العقل في جنب عقل محمَّد ﷺ إلَّا كحَبَّة رمل بين رمال الدنيا، وأن محمَّدًا ﷺ أرجح الناس عقلًا وأفضلهم رأيًا.

وقال: لَإزالة الجبال صخرة صخرة وحجرًا حجرًا أيسر على الشيطان من مكابدة العاقل.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «**العَاقِلُ هُو المسلمُ الذي يتفكَّر في خلقِ السمواتِ والأرضِ، فَيعملُ بِطاعةِ اللهِ وَيجتنِبُ مَعاصِيَ اللهِ**»[2].

وقيل: إنَّ رجلًا[3] قال لنصراني: ما أعقل هذا الرجل النصراني! فزجره النَّبِيّ ﷺ، وقال له: «**مه! إِنَّمَا العاقل من أمر بطاعة الله تعالى**»[4]. وَقَوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مه**»، معناه: ما كفّ به المتكلّم عما تكلَّم به بمنزلة: صَهْ.

وقَال ابن مسعود: ينهى أن يسمّى الكافر عاقلًا.

ويقال: العقل دون الفهم وهما يتداخلان.

قيل لبعض العجم: ما أفضل ما يؤتى الرجل؟ قال: عقل يولد معه، فإن عدم العقل فأدب يعيش به. فقال: فإن حُرم[5] الأدب فمال يستر به عورته، فإن حرم العقل والأدب والمال فجائحة لا تبقي له نسلًا.

---

(١) في (ت): انقطاعها.
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) في (ت): لرجل.
(٤) رواه الحارث في مسنده عن ابن عمر بلفظ مختلف، باب ما جاء في العقل، ر٨٣٦، ٢/٨١١.
(٥) في (ت): عدم.

وقال أنو شروان لبُزْرُجُمِهْر: أي الأشياء خير للمرء؟ قال: عقل يعيش به. قال: فإن لم يكن؟ قال: فأخوان يستران عيوبه. قال: فإن لم /٣٦/ يكن؟ قال: فمال يتحبَّب به إلى الناس؟ قال: فـإن لم يكن؟ قال: فعيّ صامت. قال: فإن لم يكن؟ قال: فموت جارف.

الجارف: الذي يبيد ويذهب، والطاعون الجارف: الذي نزل بأهل العراق ذريعًا، فسمّي جارفًا. والذريع: هو الموت الفاشي الذي لا يتدافنون معه.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «**أفضلُ الناسِ أعقَل الناسِ**»[١]. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**سـيِّد الناسِ أَعقَلُهم**»[٢]. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لِكُلِّ شيءٍ مَعدِن، ومعادنُ التقوَى قُلوبُ العَاقِلِين**»[٣].

ابن عمر أن النَّبِيّ ﷺ [قال]: «**إنَّ الرجلَ لَيكـونُ حاجًّا أو مجاهِدًا حَتَّى ذكَرَ أنواعَ البِرِّ، وما يُعطَى يَومَ القِيَامَةِ إلَّا على قَدرِ عَقْلِه**»[٤].

وعنه ﷺ: «**العَقلُ حَيثُ كَانَ أَلُوفٌ مَألُوفٌ**»[٥].

وقَال ﷺ: «**العقـلُ عَقلَانِ، فَأَمَّا عَقـلُ صَاحِبِ الدُّنيَا فَعَقِيـمٌ، وَأَمَّا عَقْلُ صَاحبِ الآخِرَةِ فَمُثْمِرٌ**»[٦].

ويقال: المُلْكُ عقيم؛ أي: لا ينفع به نسـب؛ لأَنَّ الابن يقتل أباه، والأخ يقتل أخاه على الملك. والدنيا عقيم: لا تردّ علـى صاحبها خيرًا. والاعتقام في الحفر: المضيّ سفلًا.

---

(١) رواه الحارث في مسنده عن ابن عباس بلفظه، باب ما جاء في العقل، ر٨٣٧، ٨١٢/٢.
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) رواه البيهقي في شـعب الإيمان عن عمر بلفظـه، ر٤٦٥١، ١٥٨/٤. ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر بلفظ: «ومعادن التقوى قلوب العارفين»، ر١٣١٨٥، ٣٠٣/١٢.
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر بمعناه، ر٤٦٣٦ - ٤٦٣٧، ١٥٥/٤.
(٥) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٦) ذكره الخليل في العين بلفظه، (عقم). وابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٢٥١/١.

ويقال: من ضعف عقله تلفت نفسه.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**مَن أُعطِيَ ثَلَاثَ خِصَالٍ فَقد كَمُلَ عَقلُه: حُسنَ المعرِفَةِ بِاللهِ، وَحُسنَ الطاعةِ للهِ، وَحُسنَ الصَّبرِ عَلى بَلَاءِ اللهِ**»(١).

وعنه ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَى خَوَاصًا في الْجَنَّة يُسكِنهُم رَفِيعَ الجنان؛ لأَنَّهم كَانوا في الدُّنيَا أَعقلَ الناسِ، كانت همَّتهم المسابَقَة والمسارَعَة، وهَانت عليهم فُضُولُ الدُّنيَا وَزِينتُها**»(٢).

وعنه ﷺ من طريق علي أَنَّهُ قال: «**لَا فَقرَ أَشَدُّ مِن الجَهلِ، وَلَا مَالَ أَعودُ مِن العقلِ، وَلَا عِبادَة كالتَّفَكُّرِ**»(٣).

أبو الدرداء عنه ﷺ أَنَّهُ قال [له]: «**يَا عُوَيمِر، ازْدَدْ فِي الدُّنيا عَقلًا تَزدَدْ من رَبِّكَ قُربًا**». قلت: بأبي وأمي، من لي بالعقل؟ قال: «**اجْتنِبْ مَحارمَ اللهِ، وأدِّ فرائضَ اللهِ تَكُن عَاقِلًا، ثُمَّ تتنفّل صَالحاتِ الأعمالِ تَزددْ في الدنيَا عقلًا، وتزدد من ربِّك قربًا، وعليه عزًّا**»(٤).

ويقال: لو صُوِّر العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صوّر الجهل لأضاء معه الليل.

ويقال: إذا تمَّ العقل نقص معه الكلام.

---

(١) رواه الحارث في مسنده عن أبي سعيد الخدري بمعناه، باب ما جاء في العقل، ر٨١٠، ٨٠٠/٢. وأبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي سعيد بمعناه، ٣٢٣/٣.

(٢) رواه الحارث في مسنده عن البراء بن عازب بلفظ قريب، باب ما جاء في العقل، ر٨٤٤، ٨١٤/٢.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن علي مطولًا، ر٢٦٨٨، ٦٨/٣. وورواه الديلمي في الفردوس عن علي بلفظه مع زيادات، ر٧٨٨٩، ١٧٩/٥.

(٤) رواه الحارث في مسنده عن أبي الدرداء بلفظ قريب، باب ما جاء في العقل، ر٨٢٩، ٨٠٨/٢.

وفي الحكم: كُلّ شيء كثر رخص، إِلّا العقل فَإِنَّهُ إذا كثر غلا.

وقيل: أعقل الناس أعذرهم للناس.

وقيل: عقول كُلّ قوم على قدرِ زمانهم.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَا انتقصَت جارحة من الإنســان إِلّا كانت ذَكاء في عقله**»[(١)].

قال أبو العتاهية[(٢)]:

ما يحرِزُ الْمَرْءُ مِنْ أطْرافِهِ طَرَفًا ... إِلّا تَخَوّنَهُ النّقصانُ مِنْ طَرَفِ[(٣)]

وَقِيلَ: من زِيدَ |فِي| عقله نقص من رزقه. ولإبراهيم بن هلال[(٤)]:

إِذَا جَمَعتَ بَيــنَ أَمرَينِ صِناعةً ... فَأَحببتَ أَن تَدرِي الذِي هُو أَحذَقُ

فَلَا تتَفقَّدْ منهُمَا غَيرَ مَا جرَت به ... لهمَــا الأرزاقُ حِيــنَ تُـفَــرَّقُ

فَحيثُ يَكون النُّقصُ فالرِّزقُ واسِعُ ... وَحيثُ يَكونُ الفضلُ فالرِّزقُ ضَيِّقُ[(٥)]

---

(١) ذكره صاحب أدب الدنيا والدين بلفظه، ٣٧١/١ (ش).

(٢) إسماعيل بن القاسم بن ســويد العيني، العنزي بالولاء، أبو إسحاق، الشهير بأبي العتاهية (١٣٠ - ٢١١هـ): شاعر مبدع مكثر، سريع الخاطر. كان يكثر من نظم الشعر حتى لم يكن للإحاطة بجميعه من سبيل. من مقدمي المولدين وطبقة بشــار وأبي نواس وأمثالهما. له ديوان شعر في الحكمة والعظة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢١/١.

(٣) البيت من البسيط لأبي العتاهية في ديوانه، ص ١١٥.

(٤) فــي (س): «لأم إبراهيم بن هليل». وفِي (ت): «لأم إبراهيم بــن خليل». ولعل الصواب ما أثبتنا من كتــاب أدب الدنيا والدين، ٣٧١/١ (ش). والعباســي: معاهــد التنصيص على شواهد التلخيص، ١٤٩/١.

(٥) الأبيات مــن الطويل منسوبة لأبي إســحاق إبراهيم بن هلال الصابــي. انظر: عبدالرحيم العباسي: معاهدة التنصيص، ١٤٩/١. ومنســوبة أيضًا لإبراهيم بن أحمد بن الليث. انظر: الحموي: معجم الأدباء، ٢٢٢/١.

والعقلُ رأس الفضائل وينبوع الأدب، والعقلُ لا يكون عنده كثير نفع بغير علم وأدب، وَإِنَّمَا ينفع ويثمر بالعلم والأدب الذي يلحقانه.

وقيل: العقل[(١)] عشرة[(٢)] أجزاء، تسعة[(٣)] منها في الصمت، وواحد منها في الهرب عن الناس.

وقيل: إن عابدًا كان في صومعة قد انقطع عن الناس، فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: هربت عن اللصوص سرَّاق العقول لئلَّا يسرقوا عقلي.

وعدوّ العاقل نفسه وصديقه عقله.

وقال المعتصم[(٤)]: إذا قيل للرجل عاقل مرَّتين فهو جاهل.

قال محمَّد بن سعيد[(٥)]: قال لي أستاذي: أنت عاقل عاقل، وعاقل مرَّتين جاهل.

والنُّهية: اللبّ والعقل، يقول: إِنَّهُ لذو نُهية، وإنَّهم لذو نُهى، وذو منهاة، والنُّهى: العقل، وكذلك الحِجْر والحجْر، يقول رجل ذو مرَّة؛ أي: ذو شدَّة وعقل، قال الله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ (النجم: ٦)، معناه: /٣٧/ذو عقل وشدَّة.

---

(١) في (ت): «وقيل العلم والأدب خ العقل ثلاثة».

(٢) في جميع النسخ: «ثلاثة» ولعلَّ الصواب ما أثبتنا.

(٣) في (ت): سبعة.

(٤) محمَّد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور العباسي، المعتصم بالله أبو إسحاق (١٧٩ - ٢٢٧هـ): من عظماء خلفاء العباسيين، تولاها سنة ٢١٨هـ بعد وفاة أخيه المأمون وبعهد منه. كره التعليم في صغره فنشأ ضعيف القراءة. فاتح عمورية من بلاد الروم، وباني سامرا حين ضاقت بغداد بجنده. وأول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء. خلافته ٨ سنين و٨ أشهر، وخلف ٨ بنين و٨ بنات، وتوفي وعمره ٤٨ سنة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٧/٧.

(٥) أبو إبراهيم مُحَمَّد بن سعيد بن أبي بكر الإزكوي (ق: ٤هـ)، وقد سبقت ترجمته.

قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبـلَ لِقائِكُـم ذَا مِرَّةٍ عِنْـدِي لِكُلِّ مُخَاصِـمٍ مِيزَانُه[1]

ويقال: عقل المرأة في جمالها، وجمالُ الرجل في عقله.

فصل [فِي صفة العقل ومحلِّه]

اختلف الناس في العقل وصفاته على مذاهب شتى:

- وقال قوم: هو جوهر لطيف يفصل بـه بين حقائق المعلومات. واختلف من قال بهذا القول في محلِّه: فقال قوم: محلّه الدماغ؛ لأَنَّ الدماغ محلّ الحسّ.
- وقال آخَرون: العقل هو المدرك للأشـياء على ما هـي عليه في حقائق المعنى.
- وقال بعض المتكلمين: العقل هو جملة علوم ضرورية.
- وقال آخَرون: العقل هو المُعْلِم بالمدرَكَات الضرورية، وذلك نوعان: أحدهما: ما وقع علـى درك الحـواس، والثاني: مـا كان مبتدأ في النفوس.
- وقال قوم: العقل نـور يصيِّره الله تعالى في القلب، يُفـرِّق به العبد بين الْحَقّ والباطل، ويميِّـز به ما يلج على قلبه. وروي عـن النَّبِيّ ﷺ قال: «**العَقلُ نُورٌ فِي القَلبِ يُفرِّق بِه بَين الْحَقّ والبَاطِل**»[2].

(١) البيت من الكامل لثعلب. انظر: ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ١١٠/٩.

(٢) الحديث ذكره ابن ربه في العقد الفريد، ١٠٣/٢. وانظر: أدب الدنيا والدين، ٦/١ شـاملة. والزمخشري: ربيع الأبرار، ٣٠٠/١ (ش).

- وقال آخَرون: العقل خلــق، خلقه الله تعالى وأســكنه قلب ابن آدم ليدعوه إلى الْحَقّ وينهاه عن الشــرِّ، ويميِّز بدعــواه ما لله فيه رِضا، فيبعث فِي العبــد على اســتعماله، وينهاه عن الشــرِّ وعن معاصي الله ﷻ، وينهاه عن استعماله، «فإنَّ الله تعالى لَمَّا خلق العقل قال له: أَقْبِل فأَقْبَل، ثُمَّ قــال له: أَدْبِر فأَدْبَر؛ فقــال الله ﷻ: ما خلقت خلقًا أحبّ إليَّ منــك، بك آخــذ وبك أُعطــي، ولك الثــواب وعليك العقاب»؛ يعني: أنِّي أثيب مــن قَبِل منك، وأني أعاقب من يخالفك ولا يَقبل منك.

- وقال آخَرون: مواهــب الله ﷻ يعطي كلّ عبد منها ما إذا اســتعمله نجا ووصل به إلــى معرفته ورضوانه، وأن العبد إذا أراد اســتعماله أن يقف على قلبــه عند همِّه ليعرف به الْحَقّ من الباطل، فيســتحقّ العبد اســم العاقل إذا قبل من عقله، ولم يخالفه فيما يدعــوه إليه، فإذا عمل العبد بما دعاه إليه عقله ســمِّي عاقلًا، وإذا عدل عن القَبول منه سمِّي جاهلًا، وإن كان في قلبه العقل.

والعقلُ المكتسب: هو نتيجة العقل الغريزي، وهو ثَقَابة المعرفة وصحَّة السياسة، وإصابة الفكر وليس لهذا حدّ؛ لأَنَّه يُنْمَى إن استعمل، وينقص إن[١] أهمل.

مسألة: قال الشــيخ أبو محمَّد ؒ: اختلف الفقهاء العقلاء في العقل، فقال بعضهم: إن لِكُلِّ مكلَّف عقل؛ لأَنَّ القلــم رفع عن الصبي والمجنون، ووقع التكليف على العقلاء.

---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ إذا».

قال بعض: العاقل هو المطيع لله ﷻ، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ (الملك: ١٠ - ١١)، وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وقال بعض: العقل هو العلم، واحتجَّ بقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

فصل [فِي محلِّ العقل]

اختلف بعدُ في محلِّ العقل، فقال قوم: الدماغ. وقال ثعلب[1]: العقلُ في الرأس عندهم، والعرب تقول: ما له عقل ولا قلب بمعنى واحد. ومن الناس من يذهب إلى أنَّ العقل في القلب، وأنَّ القلب في الصدر من الجانب الأيسر، وقد روي عن النَّبيّ ﷺ، فيه روايتان إحداهما أَنَّهُ في القلب، والأخرى في الصدر.

وعن أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن محبوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ العقل في الرأس، وَكُلّ من نفى أن يكون العقل جوهرًا أثبت محلّه في القلب؛ لأَنَّ القلب محلّ العلوم كلها.

(١) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (٢٠٠ - ٢٩١هـ): إمام الكوفيين في النحو واللغة. راوية للشعر، محدث، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. أصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر. له: «الفصيح» و«قواعد الشعر» و«شرح ديوان زهير» و«إعراب القرآن» وغير ذلك. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٧/١.

وعن أبي علي[١]: أن محلَّ العقل الدماغ، ويديم[٢] في القلب. وقال بعض: وعلى /٣٨/ هذا دلَّت اللغة؛ لأَنَّ الدماغ في أعلى الجسد وفي الرأس.

ويقال: لرؤوس الجبال معاقل، وللحصون معاقل.

قال أبو ذؤيب[٣]:

عَفَا غَير نُؤْيِ الدّارِ ما إن يُبِينُها وأَقطاعِ طُفْيٍ قد عفَتْ في المَعاقِلِ[٤]

وَكُلُّ موضع عزيز يقال له: معقل.

قال بعض الحكماء: العقلُ هبة من الله ﷻ، والعلم بالاكتساب.

ويقال للعقل: حِجر، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ (الفجر: ٥).

(١) موسى بن عَلي بن عزرة، أبو علي (١٧٧ - ٢٣٠هـ): عالم فقيه من إزكي بداخلية عُمان. من أسرة علم وفضل، أخذ العلم عن: والده وهاشم بن غيلان. وأخذ عنه: أولاده موسى ومحمد، ومحمد بن محبوب... وغيرهم. تولى القضاء ومشيخة المسلمين في عهد الإمام عبدالملك بن حميد (٢٠٧-٢٢٦هـ). وشغل منصب القضاء في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦هـ) بعد مبايعته. له: كتاب الجامع (مفقود)، وأجوبة وآراء كثيرة. انظر: إتحاف الأعيان، ١٨١/١. خليفات: الحركة الإباضية، ٢٢٧-٢٣٧. البهلاني: نزهة المتأملين، ٧٤...

(٢) كذا فِي النسخ، ولعل الصواب: «ويتوسط» كما في تيسير التفسير للقطب أطفيش فِي تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٤).

(٣) خويلد بن خالد بن محرِّث من بني هذيل بن مدركة المضري، أبو ذُؤيب (ت:٢٧هـ): شاعر مخضرم. سكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة ٢٦هـ غازيًا. فشهد فتح إفريقية، فلمّا عاد مع ابن الزبير مات بمصر. وقيل مات بإفريقية. له ديوان مطبوع. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢٥/٢.

(٤) البيت من الطويل لأبي ذؤيب. انظر: أبو عبيد: غريب الحديث، ٥٦/١. وابن سيده: المحكم والمحيط في الأعظم، ١٦٠/١؛ بلفظ: «عَفَا غَيرَ نُؤْيِ الدّارِ ما إن تُبِينُه».

وأنشد الأصمعي(١):

فأَخْفَيْتُ ما بِي مِن صَدِيقِي وإنّه ... لَذُو نسَبٍ دانٍ إِليَّ وذو حِجرِ(٢)

قال الله تعالــى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقــان: ٢٢)؛ أي: حرامًا مُحَرَّمًا.

وأنشد لأبي طالب:

ألا أَصْبَحَتْ أَسْماءُ حِجْرًا مُحَرَّمًا ... وأَصْبَحْتُ من أَدْنى حُمُوّتِها(٣) حَمَا(٤)

وقال:

حَنَّت إلى النَّخلَةِ القُصْوى فقلتُ لها ... حِجْرٌ حرامٌ أَلَا تلكَ الدهاريسُ(٥)

أي: الدواهي أن تجيء.

فصل في القلب

قال الخليل: القلبُ مضغة من الفؤاد معلَّقة بالنياط. قال الشاعر:

مَا سُــمِّيَ القَلْبُ إِلَّا مِــنْ تَقَلُّبِهِ ... والرأيُ يُصرَفُ والإِنْسَانُ أَطْوَارُ(٦)

---

(١) عبدالملك بــن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي، أبو ســعيد (١٢٢-٢١٦هـ): لغوي شاعر، عالم بأخبار البلدان. ولد وتوفي بالبصرة. كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء فيغدقون عليه العطايا. له: «الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان»، و«شرح ديوان ذي الرمة»، و«النبات والشجر»... وغيرها. انظر: الأعلام، ١٦٢/٤.

(٢) البيت من الطويل منسوب لذي الرمة. انظر: ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٦٨/٣.

(٣) في (س): «حُمُومتِها». والتصويب من العين، (حمو).

(٤) البيت من الطويل لهشام بن المغيرة. انظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٧٣/٤٧.

(٥) البيت من البسيــط للمتلمس جرير بن عبدالعزى الضبعي، وســتأتي نسبته. انظر: أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ١٧١/١. وقيل: لليث. انظر: تهذيب اللغة، (دهرس).

(٦) البيت من الطويــل للأحوص في ديوانه، ٧٧/١؛ بلفظ: «والأهــواء أطوار». انظر: الأغاني. ولفظ المصنف ذكره صاحب العين، (قلب).

والجمع: القلوب، وفي الحديث: «إنَّ لِكُلِّ شيء قلبًا، وقلبُ القرآن يَس»[١].

والقلب والفؤاد اسمان لمعنى واحد، وهو بضعة من الإنسان، والفؤاد ظاهرها والقلب باطنها، ألَا ترى أَنَّهُ نسب إلى الفؤاد، فقال ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، وسمِّي الفؤاد فؤادًا لتفؤُّدِه، والتفؤُّد: التوقُّد، وفُئِد الرجلُ وهو مفؤود، إذا أصابه داء في فؤاده. رجع إلى:

ذكر العقل

قال كلثوم بن عمرو العتابي[٢] في كتابه المترجم بكتاب شَجَرة العقل[٣] بعد خطبته: وكلام تقدَّم هذا كثير، وقد يجب على ذي الوصف في حسن التمييز تسهيل القول بما يقرب من فهم العامة الذين ليس لهم من فضل الاستغناء عن ذلك ما للخاصة وكمالهم في الفهم، وذلك بعثني على أن مثَّلت العقل والأخلاق الجميلة التي هي للعقل رعيّة مدبّرة، والعقل لها راع مدبّر، ومحلّ كلّ خلق منه في قربه وبُعده في المراتب التي تخيّلهم في

(١) رواه الترمذي عن أنس بلفظه مع زيادة، باب ما جاء في فضل يس، ر٢٨٨٧، ١٦٢/٥. رواه الدارمي في سننه عن أنس بلفظه مع زيادة، باب في فضل يس، ر٣٤١٦، ٥٤٨/٢.

(٢) كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو العتابي (ت: ٢٢٠هـ): كاتب حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة، من بني عتاب بن سعد، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر. وهو شامي كان ينزل قنسرين، وسكن بغداد، فمدح هارون الرشيد وآخرين. ورمي بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل البرمكي بأخذ الأمان له من الرشيد فأمنه. وعاد. له: «فنون الحكم» و«الآداب» و«الألفاظ». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٣١/٥.

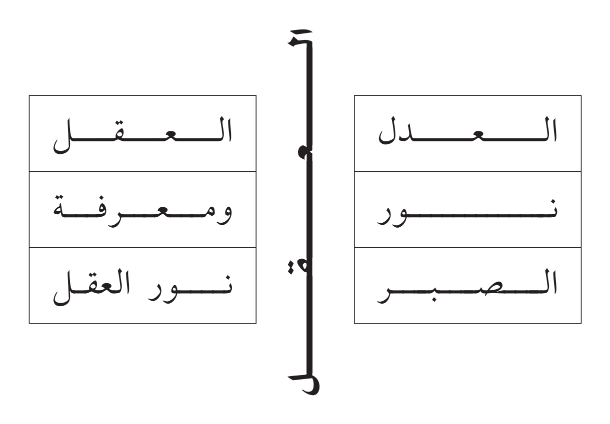
(٣) ينسب كتاب شجرة العقل إلى سهل بن هارون الدستميسانى (ت: ٢٤٤هـ). انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ٤١/٤.

صورة شـــجرة، زيادة في الشرح، وتســـهيلًا للمعرفة، وتبيانًا لِما قصدنا إليه، واســـتدعاء لمعرفة العامة، وحثًّـــا لهم على المعرفة برســـم الصورة وحلاوة منظرها.

ثُمَّ تكلّمنا بعد صفة ذلك بابًا بابًا واحدًا واحدًا بما وسعته الطاقة وبلغته المعرفة، وســـلس فيه القول، تنبيهًا على خطِّ الرشـــد، ودعاء إلى استكمال الفضل، وإرشادًا إلى معالم الهدى، والله ـ تعالى اسمه ـ أسأله تتمَّة المعرفة على ذلك، والتأييد فيه بالتوفيق لما يرضـــى، والعصمة لما يكره، ولا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العلي العظيم، صلى الله على رســـوله ونبيه، وعلى آله سرج الهدى، وسلّم تسليما.

ثُمَّ صورة الشجرة:

الأدب أدب الديـــن، وأدب الدنيـــا أليـــف العقل، وخليلـــه الحرم، الاقتصاد حســـن المدارة، التدبير عمارة العقل، الحلم القنوع عَلَى الخير والعدل....



/٣٩/ كمل العقل

وهذه صورة العقل والأخلاق الجميلة على مثالِ شجرة لها عُقدتان، يتفرّق[١] بثمانية أغصان وإحدى وثلاثين شعبة، وهي شجرة متفرِّعة شعبها بأنواع الخير، متدلّية أغصانها بفنون العقل، وجناؤها ثمار الفائدة من كريم العائدة، يقتبس منها ضياء الحكمة، ويستضاء بها إلى معالم الهداية، فلقحها الاستماع والتفهّم، والرغبة ترتع في ظلِّها وأنيق زهرتها. واعلم أنَّ حسن الذهن ينميها ويزكّيها، وأنّ كمال ذلك كُلّه بتوفيق الله عَجَلّ وإرشاده، وإلى الله أرغب في ذلك بقدرتِه. ولم نتمّ كلامه؛ لأَنَّهُ طويل فتركته وقَد حصلت مسألة في العقل في باب ما لَا يجوز من الصفات[٢] بعد هذا إن شاء الله تعالى.

فصل [فِي العقل والقلب]

قال بعض الحكماء: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد، وكلّ قلب لا عقل له فهو ساقط ميّت بمنزلة قلب البهائم.

وسمّي القلب قلبًا؛ لأَنَّه أفضل الأعضاء في الجسد. والقلب: الخالص في كلّ شيء وأفضله. فالعقل يدفع التدبير إلى القلب؛ لأَنَّه أفضل الأعضاء وأشرفها.

وقال الفرَّاء[٣]: المعقول هو العقل.

---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ يتفرع».

(٢) انظر الجزء الثاني: «باب ما لا يجوز من الصفات»، صفحة ٢٤.

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكرياء المعروف بالفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ): نحويٌّ لغويٌّ فقيه متكلِّم مؤرخ عالم بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه. إمام الكوفيِّين في النحو. =

قال الراعي[١]:

حتـى إذا لـم يتركـوا لعظامه   لحمًـا ولا لفـؤاده معقـولًا[٢]

أي: عقلًا، والفؤاد القلب.

قال بعض الحكماء: العقل غريزة في الإنسـان، والعلـم بالتعليم. ومن أجل ذَلِكَ قالوا: عالم، ومتعلـم، ومعلّم، ولم يقولـوا: متعقّل ومعقل؛ لأَنَّ العقل هبة من الله تعالى، والعلم بالاكتساب.

ويقال للعقل: حِجْر، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ (الفجر: ٥). فأنشد الأصمعي:

فأَخْفَيْتُ ما بِي مِن صَدِيقِي وإِنَّهُ   لذُو نسَـبٍ دَانٍ إِليَّ وَذُو حِجرِ

وكذلك الحرام: حِجْر من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٢٢) أي: حرامًا مُحرَّمًا. وأنشد لأبي طالب:

ألا أَصْبَحَتْ أَسْماءُ حِجْرًا مُحَرَّما   وأَصْبَحْتُ مِن أَدْنى حُمُوّتِها حَمَا[٣]

= قال ثعلب: لولا الفرَّاء ما كانت اللغة. له: «المقصور والممدود» و«معاني القرآن» و«المذكَّر والمؤنث» و«اللغات». قيل: اشـتهر بالفراء لأنَّه كان يفري الـكلام. توفِّي في طريق مكَّة. ينظر: الزركلي: الأعلام، ٨/١٤٥ - ١٤٦.

(١) الراعي عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، أبو جنـدل النُّمَيري (ت: ٩٠هـ): من فحول الشـعراء المحدثين. لقِّب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وقيل: كان راعي إبلٍ من أهل بادية البصرة. من أصحاب الملحمـات، عاصر جريرًا والفـرزدق، وكان يفضِّل الفرزدق فهجاه جرير هجـاءًا مُرًّا. ينظر: ابن سـلام: طبقات فحـول الشـعراء، ٢/٥٠٢ - ٥٢١. الزركلي: الأعلام، ٤/١٨٨.

(٢) البيت من الكامل للراعي النميري في ديوانه، ص ١٧٠.

(٣) البيت من الطويل لهشام بن المغيرة. انظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٤٧/٢٧٣.

وقال المتلمّس[١]:

حَنَّت إلى النخلـة القُصْوى فقلتُ لها　　حِجْرٌ حرامٌ أَلَا تلكَ الدهاريسُ[٢]

أي: الدواهـي. اهـ. [كذا] رجلًا كَامـل العقل بجميـع حاله وخالصه. والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) المتلمس جرير بن عبدالعزى (عبدالمسيح) من بنـي ضبيعة، من ربيعة (نحو ٥٠ ق هـ): شـاعر جاهلي، من أهل البحرين. خال طرفة بـن العبد. كان ينـادم عمرو بن هند (ملك العراق) ثم هجاه ففر إلى الشـام، ولحق بآل جفنة ومات ببصرى (بسـورية). وفي المثل: «أشـأم من صحيفة المتلمس» وهي كتاب حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين به أمر بقتله، فلما قرئ له ما فيه قذفه في نهر الحيرة ونجا. له: ديوان شـعر. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٩/٢.

(٢) البيت من البسيط للمتلمس، وستأتي نسبته. انظر: أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ١٧١/١. وقيل: لليث. انظر: تهذيب اللغة، (دهرس).

باب ٧ في تفضيل العلماء وإعظامهم وتبجيلهم وإكرامهم

قالَ الله تقدَّست أسماؤه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، وقال ﷻ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ (فاطر: ٢٢). الأحياءُ: العلماء، والأموات: الجهّال. وقيل: الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفّار. فمنع الله تعالى المساواة بين العالِم والجهّال، ونفى أن يكون غير العالِم يعقل عنه أمرًا، ويفهم عنه زجرًا.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**النَاسُ مَوتَى إِلَّا العالِمُونَ، وَالعَالمونَ سَكْرَى إِلَّا العَامِلُونَ، والعامِلُون هَلكَى إِلَّا المُخلِصُونَ، والمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ**»[١].

وعن سُويد بن عقبة[٢] عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عَبدالله بن مسعود**». قلت: لبيك يا رسول الله!. قال: «**أَتَدرِي أيّ النَّاسِ أفضل؟**». قال: قلت: الله ورسوله أعلم!. قال: «**فَإِنَّ أَفضلَ النَّاسِ أَفضلُهم عَملًا**

(١) الحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء بلفظ قريب، ٤١٥/٢. والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ٢٥٧/١.

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: بن غفلة، كما ورد في كتب الحديث. انظر: الهامش الآتي. وسُوَيد بن غفلة بن عوسجة الجعفي (ت:٨١هـ): إمام فقيه تابعي معمر. دخل المدينة يوم وفاة النبي ﷺ. كان شريكًا لعمر بن الخطاب في الجاهلية وعاش في البادية. شهد القادسية، ثم كان مع علي في حرب صفين. وسكن الكوفة. ومات بها في زمن الحجاج. مات وهو ابن ١٢٥ سنة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٤٥/٣.



إِذَا فَقُهُوا فِي دِينِهِم». ثُمَّ قال: «**يَا عبدَ اللهِ بنَ مسعود**». قلت: لبَّيك يا رسول الله!. قال: «**أَتَدري أيّ النَّاسِ أَعلَم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم!. قال: «**أَعلمُ النَّاسِ أَبصرُهم بِالحقِّ إِذَا اختَلَفَ النّاسُ، وإن كان مقصِّرًا في العمَلِ، وإن كان يَزحَفُ عَلى اسْتِه**»[١].

أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَبعثُ الله العباد يوم القيامة، ثُمَّ يميِّزُ العلماءَ، فيقولُ: يَا مَعاشِرَ العلَمَاءِ، إنِّي لم أَضعْ فِيكُم عِلمِي إِلَّا لِعلمِي بِكم، وَلَم أَضعْ عِلمِي فيكم لأعذِّبَكُم، انْطَلِقُوا فَقد غَفرتُ لَكُم**»[٢] /٤٠/.

عن كَثِيرِ بنِ قيسٍ[٣] قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ له من في السماوات وَمَنْ في الأرض وَالْحِيتَانُ في جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ على سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٤].

---

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود بلفظه، ٤٣/٢. ورواه عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود بلفظه مع زيادات في أوله كل من: ابن أبي شيبة في مصنفه، ر٣٢١، ٢١٨/١. والطبراني في الكبير، ر١٠٥٣١، ٢٢٠/١٠. والحاكم في المستدرك، تفسير سورة الحديد، ر٣٧٩٠، ٥٢٢/٢.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله عن أبي موسى الأشعري بلفظه، ٤٨/١. والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى عن أبي موسى الأشعري بلفظه، ر٥٦٧، ٣٤٤/١.

(٣) كثير بن قيس الشامي: تابعي، وقيل: صحابي. روى عن أبي الدرداء، وروى عنه داود بن جميل ويزيد بن سمرة حديث الفضل في طلب العلم. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ر٩٠٨، ٢٠٨/٧. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ر٨٦٥، ١٥٥/٧. ابن حبان: الثقات، ر٥٠٨١، ٣٣١/٥.

(٤) رواه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء بلفظه مع زيادة في أوله، باب الحث على طلب العلم، ر٣٦٤١، ٣١٧/٣. وراه الترمذي عن أبي الدرداء بلفظ قريب مع زيادة في أوله، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ر٢٦٨٢، ٤٨/٥.

وقال ﷺ: «**فَضلُ العَالِمِ عَلَــى العَابِدِ كَفضلِ القمرِ لَيلَــةَ البدرِ عَلى الكواكبِ**»(١).

وعنه ﷺ: «**فَضلُ العَالمِ عَلَى العابِدِ كَفضلِي عَلَى أَدنَاكُم رَجُلًا**»(٢).

وعنه ﷺ: «**فَضلُ العالمِ عَلَى العَابِدِ سَبعينَ دَرجةً بَينَ كلِّ دَرجَتينِ خُطوَة فَرسٍ سَبعِينَ عَامًا**»(٣).

وعنه ﷺ: «**حَمَلَة العِلمِ هُم وَرَثَةُ الأنبِياءِ، وَمَصابيحُ الهُدى، وأُمَنَاءُ الله علــى وَحْيِهِ ما لم يركنــوا إلى الدنيا، فَــإِذَا فَعلوا ذَلــك فاتَّهموهم على دِينِكم**»(٤).

عائشــة ـ رحمها الله ـ عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَن وَقَّرَ عَالِمًا فقد وَقَّرَ ربَّه ﷻ، ومن فعلَ فَقد اسْتَوجبَ المآب عَلَى اللهِ ﷻ**»(٥). وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مِن أعظمِ جلالِ الله إِكرَامُ ثَلَاثةٍ: قَارِئِ القــرآنِ غَيرِ الغالي فيهِ وَلَا الجافي عنهُ، والعالمِ، وَذِي الشَّيبَةِ المسلِمِ**»(٦).

وعنه ﷺ قال: «**لَيس منَّا مَــن لم يَرحم صَغيرنا ويوقِّــر كبيرنا، ويعرف**

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

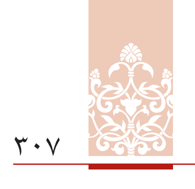
(٢) رواه الترمذي في ســننه عن أبي أمامة الباهلي مطولًا، باب ما جــاء في فضل الفقه على العبادة، ر٢٦٨٥، ٥/٥٠.

(٣) ذكره الرازي عن ابن عمر بمعناه. انظر: الرازي: التفسير الكبير، ١٦٦/٢.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٥) رواه الديلمي في الفردوس عن عائشة بلفظ قريب، ر٥٦٢٧، ٥٢١/٣.

(٦) روى الحديث عن أبي موسى الأشعري ـ بلفظ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط» ـ أبو داود في ســننه، باب في تنزيل النــاس منازلهــم، ر٤٨٤٣، ٢٦١/٤. وابن أبي شــيبة في مصنفه، ر٢١٩٢٢، ٤٤٠/٤.



الفضل لعلمائنا». وفي خبر «**ويُجِلَّ كبيرَنا**»[١]. ويقال: إنَّ إجلال العالم من إجلال الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ.

ويروى عن ابن عبَّاس أَنَّهُ أخذ بركاب زيد بن ثابت[٢] وقَال: هكذا نفعل بعلمائنا، |وقد أمرنا بذلك|. وقِيلَ: أراد زيد بن ثابت الركوب فأخذ ابن عبَّاس بِركابه، فقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا، فأخذ زيد بن ثابت بِيَدِ ابن عبَّاس فقبَّلها، وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيتِ نبينا ﷺ.

وعن ابن عبَّاس: أَنَّهُ كان يحضر مجلسه حبشي أسود أو نوبي[٣]، وكان يرفعه على القوم ويصدره في المجلس، وقِيلَ لَه في ذلك!. فقال: هذا رجل أكرمه الله بالعلم.

وقيل: لا يزال الناس بخير ما عظَّموا الأشراف، وفضّلوا العلماء، وأجلُّوا المشايخ.

ابن عبَّاس عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**أَقرَبُ النَّاسِ درجةً من درجةِ الأنبيَاءِ: أَهلُ العلمِ، وأهلُ الجهادِ؛ فأمَّا أهلُ العِلمِ**[٤] **فَقالُوا بما جاء به**

---

(١) رواه عن عبادة بن الصامت ـ بلفظ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا» ـ أحمد في مسنده، ر٢٢٨٠٧، ٣٢٣/٥. والحاكم في المستدرك، فصل في توقير العالم، ر٤٢١، ٢١١/١.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة (ت:٤٥هـ): فرضي فقيه مفتي المدينة، من أكابر الصحابة، ومن كتَّاب الوحي وَمِمَّن جمع القرآن. ولد في المدينة ونشأ بمكَّة، وقتل أبوه وهو ابن ستِّ سنين. هاجر مع النبي ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلَّم وتفقه في الدين. يستخلفه عمر على المدينة إذا سافر. وكان ابن عباس يجله ويأخذ عنه. كتب المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان حين جهَّز المصاحف إلى الأمصار. له ٩٢ حديثًا. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥٠٠/٤. الزركلي: الأعلام، ٥٧/٣.

(٣) والنُّوبُ والنُّوبةُ أَيضًا: جِيلٌ من السُّودانِ، الواحد نُوبيّ. انظر: لسان العرب، (نوب).

(٤) في (ت): «أَمَّا العلماء».

الأنبياءُ، وأهلُ الجهـــاد فَجَاهدوا على | ما | جَاهَدت به الأنبياءُ ـ صلى الله عليهم ـ بعِلمِهم»[(١)].

عن ابن عبَّاس عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**فَقيهٌ واحدٌ أشــدُّ على إبليسَ مِن أَلفِ عَابدٍ**»[(٢)].

أنس بن مالك عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**العَالِمُ للعَامَّة، والعَابدُ لرجلٍ واحدٍ**»[(٣)].

عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ (الكهف: ٧) [قَالَ: هم الرجال العبَّاد العمَّال لله بالطاعة][(٤)].

عن ابن عبَّــاس وطلحة وعطاء في قولــه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد: ٤١). قالوا: نقصان الأرض منه بموتِ العلماء وذهاب فقهائها.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ (ق: ٤)، قال مجاهد: من علمائهم، وقيل: غير ذَلِكَ.

أنس بن مالك: عـــن /٤١/ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَثَـلُ العلماءِ في الأرض مَثل النجومِ في الســماء، يُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشكَ أن تضلَّ الهدَاة**»[(٥)].

---

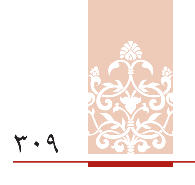
(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن عباس، وعزاه إلى الديلمي. انظر: كنز العمال، ر١٠٦٤٧، ١٣٣/٤.

(٢) رواه الترمــذي عن ابن عبــاس بلفظ قريب، باب ما جــاء في فضل الفقه علــى العبادة، ر٢٦٨١، ٤٨/٥. ورواه ابن ماجه عن ابن عبــاس بلفظ قريب، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ر٢٢٢، ٨١/١.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) هذه الإضافة من تفسير ابن أبي حاتم، ر١٣٧٥٦، ١٨٢/٩ (ش).

(٥) رواه أحمد في مسنده عن أنس بلفظه، ر١٢٦٢١، ١٥٧/٣.



وعنه ﷺ: «**موتُ العالم ثُلمَةٌ لا تُجبَر ما اختلفَ الجديدَان، وهو نجم قَد طُمس، وموت قَبيلةٍ أَيْسَر من مَوت عالم**»[١]. وفي خبر: «**موتُ العالم ثُلمةٌ في الإسلام**»[٢].

ويقال: خير من العلم حامله، وخير من الذهب باذله.

إبراهيم قال: الفقهاء والعلماء أوصياء الأنبياء.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**العلماءُ مفاتيح الجنَّة وخلفاء الأنبياء**[٣]»[٤].

وعنه ﷺ: «**ويشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، والعلماء، والشهداء**»[٥].

وفي الحديث: «**إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول يوم القيامة للعابد: ادخل الْجَنَّة، وللعالِم: قُم فَاشفع للناسِ**». وفي خبر: «**وللعالِم: اثبت**[٦] **حَتَّى تَشفع للناس**»[٧].

ابن عبَّاس: أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يباهي ملائكته برفع أعلام أهل العلم.

---

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، والمتقي الهندي في كنز العمال عن عائشة نقلًا عن البزار. انظر: مجمع الزوائد، ٢٠١/١. وكنز العمال، ر٢٨٧٦٠، ٦٥/١٠.

(٣) في (ت): الْجَنَّة.

(٤) رواه أبو طاهر الأصبهاني في معجم السفر عن الحسين بن علي بلفظه، ر٢٦٤، ٩٤/١. وذكره الرازي في التفسير الكبير، ١٧٦/٢.

(٥) رواه الديلمي في الفردوس عن عثمان بلفظ قريب، ر٨٩٤٦، ٥١٩/٥.

(٦) فِي النسخ: ابتدئ، والتصويب من كتب الحديث.

(٧) رواه عن جابر بن عبد الله ـ بلفظ: «يبعث العالِم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالِم اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم» ـ ابنُ عدي في الكامل، ٤١٣/٢. وابنُ عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ٢٢/١. والبيهقي في شعب الإيمان، ر١٧١٧، ٢٦٨/٢. والديلمي في الفردوس، ر٨٧٧٣، ٤٦٥/٥.

عن مالك بن أنس عن الزهري عن ابن المسـيب عن أبي هريرة، أن النَّبِـيّ ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى حبـسَ على العلماءِ عقولهـم وأفهامهم فلَا يُسـلبونهَا إلى الممات، والعلماء ورثة الأنبيـاء، ومِلح الأرضِ، ومصابيح الدنيا**[١]»[٢].

وقال عوانة[٣]: تَشاجرَ قوم في مسجد البصرةِ، والمسجد مَشحون برجال العرب، فتراضوا بالحسن البصري وتحاكموا إليه. فقال الأحنف: كاد العلماء يكونون أربابًا، وكلُّ عزٍّ لم يوطَّد بالعلم فإلى ذلّ ما يصير.

وقال عمر بـن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ وذكر العلماء فقـال: تعطف عليهم بالعلم قلوبٌ لا تصوّرها الأرحام، تصوِّر: أي تُمثِّل.

فصل منه: [في فضل العلماء]

عن النَّبيّ ﷺ: «**جَالسوا العلماءَ، وسائلوا الكبراءَ، وخاطبوا الحكماء**»[٤].

وقال بعض الحكماء: من صاحب العلماءَ وقّر، ومن صاحب السفهاء حقّر.

واتِّباع العلماء واجب. قال الله عَزَّ وَجَلَّ حكاية عن إبراهيم ﷺ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ (مريم: ٤٣).

---

(١) في (ت): الدجى.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض، من بني كلب، أبو الحكم الكلبي (ت:١٤٧هـ): مؤرخ فصيح، عالم بالأنسـاب والشـعر، ضرير من أهل الكوفة. اتهم بوضع الأخبار لبني أمية، وعامـة أخبار المدائني عنه. له «التاريخ» و«سـيرة معاوية». انظر: الزركلي: الأعلام، ٩٣/٥.

(٤) رواه ابن أبي شـيبة في مصنفه عن أبي جحيفة بلفظ: «جالسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء»، ر٢٥٥٨٩، ٢٣٤/٥. والطبراني في الكبير، ر٣٥٤، ١٣٣/٢٢.

والعلماءُ ودائع المسلمين، وعندهم ميراث النَّبِيّين، وحكمة الله التي يستدلّ بها عليه، والعلماء جعلهم الله حجَّة بينه وبين عباده، وأمرهم أن يقبلوا قولهم ويهتدوا بهداهم، فقال ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

كان ابن مسعود يقول: بأبي وأمِّي العلماء بروح الله انقلبتم، وكتاب الله تلوتم، ومساجد الله عَمرتم، ورحمة الله انتظرتم.

وقيل: العلماء منارُ البلاد، ومنهم يقبس النور الذي يهتدون به.

بكر بن عبد الله[(١)] قال: قال النبيّ ﷺ لأصحابه: «**إنَّ من العلم ما يكون كهيئة الشيء المدفونِ لا يعلمه إِلَّا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم يجهله إِلَّا أهل الاغترار[(٢)] بالله، أتدرون ما قال لي جبريل** عليه السلام، **قال |لي|: يا محمَّد، لا تحقرنَّ عبدًا آتاه الله عِلمًا، فإن الله لم يحقره حين علّمه. إن الله جامع العلماء في بقيع واحد ـ أو قال: في صعيد واحد ـ، فيقول الله** ﷻ **لهم: إني ما استودعتكم علمي إِلَّا لخير أردته بِكم، فقد غفرت لكم على ما [كان] منكم**»[(٣)].

الحسن قال: [يوزن][(٤)] مدادُ العلماء بدم الشهداء يوم القيامة.

سعيد بن جبير قال: إذا كان يوم القيامة يوزن حبر العلماء ودم الشهداء، فيرجح حبر العلماء على دم الشهداء. وَقِيلَ: العلماء غرباء لكثرة الجهال[(٥)].

---

(١) لعله: بَكرُ بن عبد الله المُزَني، أبو عبد الله (١١٦هـ): فقيه بصري. روى عن المغيرة بن شعبة وجماعة. انظر: الذهبي: العبر في خبر من غبر، ٢٤/١.

(٢) في جميع النسخ: أهل العزة. ولعل الصواب ما أثبتناه من كتاب إحياء علوم الدين، ٢٠/١.

(٣) ذكره الغزالي في الإحياء. انظر: إحياء علوم الدين، ٢٠/١.

(٤) الزيادة من إحياء علوم الدين، ٨/١.

(٥) في جميع النسخ: الجهاد. ولعل الصواب ما أثبتناه لما سيأتي من الاستشهادات.

وَقِيلَ: «كلَّمت النَّبِيّ ﷺ جاريةٌ من السبي»، فقال لها: «**مَن أنت؟**». فقَالَت: «بنت الرجل الجواد حَاتم». فقال ﷺ: «**ارحموا عزيز قوم ذل، وارحموا غنيًا افتقر، وارحموا عالِمًا ضاعَ بين جُهَّال**»[(١)] /٤٢/.

وعنه ﷺ: «**رحم الله[(٢)] عزيزَ قــوم ذلّ، وغنيًا افتقر، وعالمًا تلاعب بعلمه الجهَّال**»[(٣)].

قال الشاعر:

إنِّــي مِن النَّفــرِ الثلَاثــةِ حَقُّهم — أَن يُرحمُــوا لحــوادِثِ الأزمَانِ
مُثْــرٍ أقــلَّ وعالــمٌ مســتجَهل — وعزيــزُ قــومٍ ذَلَّ للحَدَثَــان[(٤)]

ويقال: الغرباء في الأرض أربعة: مُصحــف معلّق لا يُقرأ فيه، وقرآن في قلب فاسق لا يعمل به، ومسجدٌ بين ظهراني قوم لا يُصلُّون فيه، وعالم بين جهَّال لا يسألونه يتلاعبون به.

وفي الحديث: «**مثلُ العالم كالجمَّة [من البئر] يأتيها البعداء ويَزهد فيها القرباء، فبينما هم كذلك إذ غار ماؤها فانتفعَ بها قوم وبقي قوم يتفكنون**[(٥)]» ـ يعني: يتندمون ـ.

والتفكُّــن: التنــدم، والتلهُّف على الشــيء يظــنّ أَنَّهُ يظفر بــه فيفوته. والمتفكِّن: المتندم. قال الشاعر:

(١) لم نجد مــن ذكر هذا الحديث مع هــذه القصة. والحديث ذكره المتقــي الهندي في كنز العمال، ر٤٣٢٩٩، ٣٥٠/١٥. وعزاه إلى ابن حبان في الضعفاء.
(٢) في (س): رحمت.
(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٤) البيتان من الكامل، ذكره الحموي ولم ينسبه. انظر: معجم الأدباء، ٤٣/١.
(٥) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث، ٢٠١/٣.



أَمَا[١] جَزاءُ العــارِفِ المسْتَيقِنِ   عِنــدكَ إِلَّا حَاجَــةَ المتفَكِّن[٢]

والجمَّة: عينٌ فيها ماء جَار يُستســقى فيه. وَقِيلَ: هــذا مثل للعرب. قال المسبِّح بن حاتم[٣]:

لَا تَــرَى عَالِمًــا يَحِــلُّ بِقَــوم   فَيُحِــلُّــوهُ غَيــرَ دَارَ الهَــوَانِ
قـلَّـمـا تُـــوجَـــدُ الــسَّـــلَامَــةُ   وَالصِّحَّة مَجمُوعَتَينِ فِي إِنســانِ
فَــإِذَا حَـلَّتَــا مَكَانًــا سَــحِيقًا   فَهُمَا فِــي النُّفُوسِ مَعشُــوقَتَانِ
هَــذِهِ مَـكَّــةُ المُنِـيفَــةُ بَيــتُ   اللهِ يَســعَى لِحَجِّـهــا الثَّـقَــلَانِ
وَتَرى أَزهَــدَ البَرِيَّة فــي الحَجِّ   لَهَــا أَهلَهَا لِقُــربِ المَــكَانِ[٤]

ويقال: أزهد الناس في عالم جيرانه، ويقال: أهله.

وقال بعض البلغاء: إن من الشريعة أن تُجِلَّ أهلَ الشريعة، ومن الصنيعة أن تَرِبَّ أهل الصنيعة. ومعنى تَرِبَّ: أي لئلا يعفو أثرها.

---

(١) في جميع النسخ: ما. والتصويب من كتب اللغة.
(٢) البيت من السريع لرؤبة. انظر: العين، لسان العرب، تاج العروس، (فكن).
(٣) مُسبِّح بن حاتم بن مسبح العكلــي البصري (ق:٣هـ): كان يحــدث عن الحسن بن علي الواســطي وعبد الجبار بن عبد الله، وحدث عنه الطبراني. انظر: الإسماعيلي: معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، ر٣٩٤، ٧٨٥/٣. الرامهرمزي: أمثال الحديث، ٩٢/١.
(٤) الأبيات من الخفيف لمسبح بن حاتم. انظر: أدب الدنيا والدين، ٨٠/١.

باب ٨ في مراتب العلماء وأحوالهم وما جاء في أقوالهم وأفعالهم

العلماء علـــى رُتب وطبقات، ومنازل ودرجـــات بعضها أرفع من بعض كارتفاع الســـماء على الأرض. فالعالِم حقًا من أطاع الله في علمه، وأخلص عمله، وانتفع به متعلما، ونفع غيره معلِّما.

قال النَّبِيّ ﷺ: «**العلماء ثلاثة: عالم عـــاش بعلمه وعاش الناس به، فهذا الرفيع في الدرجات الســـابق بالخيرات. وعالم عاش بعلمه ولم يعش الناس به، فهذا رجل نفســـه، ويومه كأمســـه، والذي لا ينفعه شـــيء من بعده سنة حسنة ولا يجرى له أجرها. وعالم عاش الناس بعلمه ولم يعش هو به، فهذا هو الخاسر المخسور، والشقيّ المثبور، المحروم عن كلِّ ما أمل من السرور، الواقع في كلِّ ما كره من المحذور**»(١).

قال أبو المؤثر: يروى عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**وَيلٌ لِلجَاهِلِ مَرَّة، وَويلٌ لِلعَالِمِ سَبعَ مَرَّاتٍ**»(٢). الجاهل لا يعذر بجهله، والعالم ملعون إذا علم وترك علمه.

والعالِم غير العامل مَدحوض الحجَّة مَبخوس(٣) النصيب.

---

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. ويروى أثر عـــن أبي قلابة قريب من معنى الحديث الذي ذكره المصنف. انظر: معمر بن راشـــد: الجامع، ر٢٠٤٧٢، ٢٥٤/١١. وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٤٩/٢.

(٢) الحديث ذكره علي القاري بلفظه في مرقاة المفاتيح، ٤٧٧/١.

(٣) في (ت): منحوس.

وعن علي قال: قال النَّبيّ ﷺ: «**إنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتي مُؤمِنًا وَلَا مُشرِكًا، إِن كَانَ مُؤمنًا مَنعَهُ إيمَانُه، وَإن كَانَ مُشرِكًا قَمعَه شِركُه، وَلَكِن أَخافُ عَلَيهَا مُنافِقًا عَالِم اللِّسَان، يَقولُ مَا تَعرِفُونَ وَيعملُ ما تُنكِرُونَ**»[(١)].

قال أبو الدرداء: إنِّي أخوف ما أخاف أن يقالَ لي: قَد علمتَ، فماذا عملتَ فيما علمتَ؟!

قال محمَّد بن صالح[(٢)]:

وَكَأَنَّنِي بِكَ قَد وَقفْتَ مُحَاسَبًا ... وَسُئِلتَ عَمَّا قَد عَمِلْتَ سُؤَالَا

فِي زُمرَةِ الفُقَهَاءِ يَومَ تَغَابُنٍ ... يَومًا يَكُونُ عَلَى العُصَاةِ طِوَالَا

عَبدِي عَلِمتَ فَمَا الذِي قَدَّمتَ ... من خَمسِينَ عَامًا قَد كَمُلتَ كَمَالَا

أَأَطعتَ عِلمَكَ إذ نَهاكَ عَن الهَوَى ... وَجَعلْتَه لَكَ في الأمورِ مِثَالَا

أَم كَيفَ تَتَّبعِ الهَوَى فَتُطِيعَهُ ... فَتُمَاطِلَ المستَعْتَبِينَ مِطَالَا

فَأَعِدَّ وَيحكَ لِلسُّؤَالِ إجَابَةً ... قَبلَ السُّؤالِ وَجَانِبِ الإغفَالَا

العِلمُ يَهدِي مَن أَرادَ به الهُدَى ... وَلَقد يَزِيدُ ذَوِي الضَّلَالِ ضَلَالَا

كَم عَالمٍ كَانت عَلَيهِ عُلُومُه ... يَومَ القِيَامَةِ حَسرةً وَوَبَالَا[(٣)] /٤٣/

وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا صَاحِبَ العِلمِ، إِنَّهُ لا يجتمع الماء والنار في إناءٍ

---

(١) رواه الربيع عن أبي عبيدة بن الجراح بلفظ قريب، الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد، ر٩٣٥. والطبراني في الأوسط عن علي بلفظ قريب، ر٧٠٦٥، ١٢٨/٧.

(٢) لعله: ابن بيهس محمد بن صالح بن بيهس القيسي الكلابي (ت: ٢١٠هـ): أمير عرب الشام، وسيد قيس وفارسها وشاعرها، في عصره. في عهد المأمون العباسي. أو هو: محمد بن صالح بن عبد الله العلوي الطالبي القرشي (ت: ٢٤٨هـ): أمير شاعر نبيل. ولي المدينة للواثق العباسي (سنة ٢٢٩هـ)، ثُمَّ عزله المتوكل، وقال عنه المرزباني: كان راوية أديبا شاعرا. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦٢/٦.

(٣) الأبيات من الكامل، لم نجد من ذكرها.

واحد، كذلك لا يجتمـع الفقه والغناء في قلب واحد، بحـقٍّ أقول لكم: ما تريدون الدنيـا ولا الآخرة، لو كنتـم تريدون الآخرة لأكرمتـم العلم الذي لا تدرك الآخرة إِلَّا به، ولو كنتم تريدون الدنيا لأكرمتم العلم الذي به تدرك الدنيا، فلا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرام.

وقال عليّ بن أبي طالب: الناسُ ثلاثة: عالِم رباني، ومتعلّم على سـبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق.

والرباني: العالي الدرجة في العلم. قـال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ (آل عمران: ٧٩). وعن النَّبِيّ ﷺ: «**مَن مات عالِمًا ماتَ مُباركًا**»[١].

وَلَمَّا مات ابن عبَّاس قال محمَّد بن الحنفية[٢]: اليوم مات ربانيّ هذه الأمة.

وقيل: إن جابر بن زيد وقفَ على قبر ابن عبَّـاس في اليوم الذي مات فيه ودفن فيه، فقال: اليوم مات[٣] ربانِيّ هذه الأمَّة، أي: عالمهم[٤]. وَلَمَّا دفن جابر بن زيد وقف الحسـن البصري على قبره، فقال: اليوم دُفن ربانيّ هذه الأمة؛ أي: عالمهم.

قال النحويون: الربانيّون منسوب إلى الربِّ ـ تبارك وتعالى علوًا كبيرًا ـ.

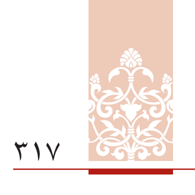
---

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٢) مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب الهاشـمي القرشـي، أبو القاسـم، المعروف بابن الحنفية (٢١ ـ ٨٣هـ): بطل شـجاع عالم فقيه. أخو الحسن والحسـين من الأب، وأمّه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسـب إليها تمييزًا له عنهما. ولده الحسن وعبدالله. وكان يقول في أخويه الحسـن بن علي والحسـين بن علي: هما خير مني وأنا أفقه منهما. كان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي. وزعمت الكيسـانية أنـه لم يمت وأنه مقيم برضوى. ولد وتوفي بالمدينة. وقيل: خرج إلى الطائف هاربًا من ابن الزبير، فمات هناك. انظر: ابن قنفذ: الوفيات، ٣/١. الزركلي: الأعلام، ٢٧٠/٦.

(٣) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة بقوله: «خ دفن»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٤) في (ت): وعالمهم.



وقالوا: زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما تَقول: اللحياني والجماني، فتصفه بعظم اللحية والجمّة.

والربِّيون: الألوف. وقال ابن عبَّاس: هم الجموع الكثيرة، وأنشد:

وَإِذَا مَعشرٌ تَجَافُوا عَن الْحَقِّ حَمَلْنَا عَلَيهِمْ رِبِّيَّا[1]

وقال الحسن: الرُّبِّيون (بضم الراء)، وقرأ بها غيره. وقال: رُبِّيون نُسبوا إلى الرُّبَّة، والرُبَّة: عشرة آلاف. وقرأ ابن عبَّاس: رَبِّيُّون (بفتح الراء).

والهمَج: أصله في صفة كلامهم البعوض، ثُمَّ قيل للرذالِ من الناس: همج. قال:

يَتْرُكُ ما رقَّحَ من عَيْشِهِ يَعيثُ فيه هَمَجٌ هامِجُ[2]

رقَّح: أصلح، والمرقِح: المصلح. والعيث: الفساد.

والناعق: الصائح في الحرب، يقال: قَد نعَق الراعي بالغنم، ينعِق بها، إذا صاح. قال الله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ (البقرة: ١٧١).

قال الأخطل[3]:

فانْعَقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالَا[4]

(١) البيت من الخفيف لحسان بن ثابت. انظر: ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ١٧٩/١. وتفسير الثعلبي، ١٨١/٣.

(٢) البيت من السريع للحارث بن حلزة في ديوانه، ص١٢.

(٣) الأخطل غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة، من بني تغلب، أبو مالك (١٩ - ٩٠هـ): شاعر مبدع، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة. اشتهر في عهد الأمويين بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم مع جرير، والفرزدق، وتهاجى معهما. نشأ على المسيحية، وكان معجبًا بأدبه معتنيًا بشعره. له أخبار مع الشعراء والخلفاء، و«ديوان شعر». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٣/٥.

(٤) البيت من الكامل للأخطل في ديوانه، ص٢٠٥.

فصل [في فضل العلماء]

والعلماء شهود الله في الأرض لهم أعلام في السماء كأعلام السماء في الأرض؛ يعني: النجوم يعلو بعضها[١] بعضًا في الدرجات أبعد ما بين السماء والأرض، ألَا وإن العالِـم من يعمل بعلمه، وليس العالِـم من يعلِّم الجاهل ويجهل علم نفسه.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**خِيَارُ أمَّتي علماؤُها، وخِيارُ علمائِها فقهاؤُهَا**»[٢].

أبو هريرة عنه ﷺ قال: «**للأنبياءِ على العلمَاءِ فضـــلُ دَرجَتَينِ، ولِلعُلَمَاءِ عَلَى الشُّهَدَاءِ فَضلُ دَرَجَةٍ**»[٣].

واثلة بن الأسقع قال: قال رســـول الله ﷺ: «**إِذَا كانَ يَومُ القيامةِ جَمَعَ اللهُ تَعالى العلمَـــاءَ فقالَ لَهم: إِنِّي لَم أســـتَوْدِعْكُم حِكمَتِي وأنـــا أُريدُ عذابَكم، ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِرَحمَتِي**»[٤].

والعلماء ثلاثة: عالِم بالله ليس بأمر الله، وعالِم بأمر الله ليس عالمًا بالله، وإذا كان عالـمًا بالله وعالمًا بأمر الله فقد تمَّ أمره.

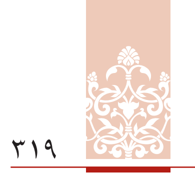
---

(١) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ بعضهم»، وهو ما جاء في النسخة (ت).

(٢) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين بلفظـه، ٣٠/١ (ش). ورواه القضاعي في مسند الشـــهاب عن ابن عمر بلفظ: «...وخيار علمائها حلماؤهـــا»، ر١٢٧٦، ٢٤١/٢. ورواه الديلمي في الفردوس عـــن أبي هريرة بلفظ: «.. وخيار علمائهـــا رحماؤها»، ر٢٨٦٥، ١٧٤/٢.

(٣) رواه ابـــن عبدالبر في جامع بيـــان العلم وفضله عن أبـــي هريرة بلفظـــه، ٣١/١. وذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، ٣٣/١ (ش).

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. وقد ســـبق تخريج حديـــث قريب من معنى هذا الحديث، وهو: «يَبعثُ اللهُ العباد يوم القيامة، ثُمَّ يميِّزُ العلماءَ، فيقولُ: يَا مَعاشِرَ العلَمَاءِ، إنِّي لم أَضعْ فِيكُم عِلمِي إِلَّا لِعلمِي بِكم، وَلَم أَضعْ عِلمِي فيكم لأعذِّبَكُم، انْطَلِقُوا فَقد غَفرتُ لَكُم».



وقيل: حملة العلم ثلاثة: عالِم، وجاهل، وعويلم؛ فالعالِم الذي يصيب كثيرًا ويخطئ قليلًا، والجاهلُ الذي يصيب قليلًا ويخطِئ كثيرًا، والعويلم الذي يقوِّمُ خطأَه بصوابه. والمؤمن العالم أفضل من المؤمنِ الذي ليس بعالِم.

وقال الأعمش[١]: إذا رأيت الفقيهَ يأتي بابَ السلطان فاعلم أَنَّهُ لِصّ.

وقال أبو الدرداء: من لم يَزدد علمًا يَزدد جهلًا.

عن النَّبِيّ ﷺ: «**أَهْلَكُ أُمَّتي رَجُلَانِ: عَالِمٌ فاجرٌ، وَجَاهلٌ مُتعبِّد**»[٢].

وقيل: يا رسول الله: أيّ الناس أشر؟. فقال: «**العُلَمَاءُ إِذَا فَسَدوا**»[٣].

وقيل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَن أشرّ الناس فتنة؟ قال: زَلّة العالِم، إذا زل زلَّ بزلَّته عَالَم كثير.

ويقال: إن زلَّة العالِم لا /٤٤/ تُستقال؛ فإن العالِم يزلّ فيزلّ بزلته عالَم كثير اتِّباعًا له وتقليدًا.

وقيل: إِنَّمَا صار خطأ العالِم وزلّته أعظم؛ لأَنَّه يخطئ من اتّبعه.

وقيل في الحكمة: زلّة العالِم كالسفينة تَغرق[٤]، ويغرق فيها خلق كثير.

---

(١) الأعمش سليمان بن مهران الأسدي، أبو مُحَمَّد (٦١-١٤٨هـ): تابعي محدث فرضي من الري، نشأ وتوفي بالكوفة. روى ١٣٠٠ حديثًا. كان رأسًا في العلم والعمل. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٣٥/٣.

(٢) ذكره الماوردي في درر السلوك في سياسة الملوك، ١٢١/١. وذكره أيضًا في أدب الدنيا والدين، ٩٤/١ (ش).

(٣) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، ٢٢٤/١. ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٩٣/١. وذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، ٩٤/١ (ش).

(٤) في (ت): تخرق.

وقال مالك بـن دينار[(١)]: من لم يؤت من العلم ما يَقمعه فما أوتي من العلم ما ينفعه.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَن ازدَادَ عِلمًا فَلم يَزدَدْ هُدًى لَم يَزدَدْ مِن اللهِ إِلَّا بُعدًا**»[(٢)].

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**أَشـدُّ النَّاسِ عَذابًا يَومَ القِيامَةِ عَالِمٌ [لَم] يَنفَعْهُ اللهُ بِعِلمِهِ**»[(٣)].

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**حَقٌّ عَلَى اللهِ لِمنْ عَمِلَ بِمَا يَعلَمُ أَن يُعَلِّمَهُ مَا جَهِلَ**»[(٤)].

الهمداني[(٥)] في قـول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩). أَنَّهُ قـال: الذين يعملـون بما يعلمـون لنهدينَّهم إلى ما لا يعلمون.

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعلَـمُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَن يُعلِّمَه مَا جَهِلَ**»[(٦)].

---

(١) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى (١٣١هـ): ورع تقي زاهد حكيم راو للحديث. يأكل من كسب، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٠/٥.

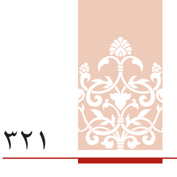
(٢) رواه الديلمي في الفردوس عن علي بن أبي طالب، بلفـظ: «من ازداد علمًا ولم يزدد في الدنيا زهـدًا لم يزدد من الله ﷻ إِلَّا بعـدًا»، ر٥٨٨٧، ٦٠٢/٣. وذكـره الغزالي بلفظه في إحياء علوم الدين، ٥٩/١.

(٣) رواه البيهقي في شـعب الإيمان عن أبي هريرة بلفظه، ر١٧٧٨، ٢٨٤/٢. ورواه القضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة بلفظه، ر١١٢٢، ١٧١/٢.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم باسم الهمذاني، وابن كثير باسم الهمداني: أبو أحمد عباس الهمداني، من أهل عكا. يروي عنه أحمد بـن أبي الحَواري (ق:٣هـ). انظر تفسـير: ابن أبي حاتم: تفسير، ٤٧٤/١١. تفسير ابن كثير: ٢٩٦/٦.

(٦) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



وعن قتادة[١] في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ (يوسف: ٦٨) يعني: أَنَّهُ لعامِل بما علم.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**ويلٌ لأقماعِ القولِ، ويـلٌ للمصرِّين**»[٢]؛ [يعني:] الذين يَستمعون القولَ ولَا يَعمَلُون به.

قال الشاعر:

إِذَا العِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّة ... عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنتَ جَاهِلُهُ[٣]

وعن عمر رضي الله عنه: خير العلم ما دخلَ معك قَبرك، وشرّ العلم ما خلَّفته ميراثًا. قِيلَ لَه: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما عَملت به دخل معك قبرك ثَوابه، وما لم تعمل به خلَّفته في البيت ميراثًا عليك لا لَك.

فصل منه

قال الله عز وجل: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ (يوسف: ٧٦). قال النقَّاش: يقول الله تعالى: فوق علم كلّ عالم.

وقال غيره: يريدُ علم يعقوب وولده فوقَ علم العلماء.

وقيل: فوق كلِّ عالم من هو أعلم منه حَتَّى ينتهي ذلك إلى علم الله جل جلاله.

---

(١) قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب (٦١-١١٨هـ): مفسر حافظ محدث لغوي ونسابة ضرير أكمه. مات بواسط بالطاعون. انظر: تذكرة الحفاظ، ١/١١٥. الزركلي: الأعلام، ٥/١٨٩.

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو مطولًا، ر٦٥٤١، ٢/١٦٥. ورواه البخاري في الأدب المفرد مطولًا، باب رحمة البهائم، ر٣٨٠، ١/١٣٨.

(٣) البيت من الطويل لسابق بن عبد الله البربري. انظر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٠/١٦. ومحمد الهاشمي: السحر الحلال، ١/٩٢.

والعلمــاء مختلفون فــي الدرجات والعلــمِ والتفاضــل، فمنهم البصير والمبصِر، ومنهم دون ذلك.

وروي عن النَّبِــيّ ﷺ أَنَّهُ قــال: «**أَعلَمُكُــم بِالحَلَالِ وَالحَــرَام مُعاذ بنُ جَبَل**[١]»[٢]، فنسبه إلى ذلك ولم ينسبه إلى جميع العلم. وقال ﷺ: «**أَفرَضُكُم زيد بن ثابِت**»[٣]، ولم ينسبه إلى غير ذلك.

وعن عمر أَنَّهُ قال: من أراد أن يســأل عن الحلال والحرام فليســأل معاذًا، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليسأل زيد بن ثابت، ومن أراد أن يَسأل عن الأموال فليسألني؛ فإنَّ الله قد جعلني لها خازنًا وإمامًا.

وعن النَّبيّ ﷺ: «**العُلَماءُ قَد جُعِلوا أُمَنَاءَ اللهِ على عِبادِهِ وَعلى دِينِه مَا لم يَدخُلُوا فِي الدُّنيَا ويُخالِطُوا السُّلطَان؛ فَإذَا فَعَلُوا ذَلكَ فَقد خَانُوا**[٤] **اللهَ ورســولَه، فَاحذَرُوهم واتَّهِموهم على دِينِكم**»[٥]. فليحذر العالم مجانبة

---

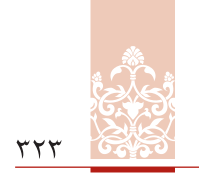
(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجــي، أبو عبدالرحمٰن (ت:١٨هـ): صحابي جليل ســمح. أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النَّبِيّ ﷺ. أســلم صغيرًا وآخى النَّبِيّ ﷺ بينه وبيــن جعفر بن أبي طالب. شهد العقبة والمشــاهد كُلّها، وبعثه النَّبِيّ قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن بعد غزوة تبوك، فَلَمَّا توفــي النَّبِيّ عاد إلى المدينة. واســتخلفه أبو عبيدة بن الجراح بعدما أصيب في طاعون عمــواس وأقرّه عمر، فمات في ذلــك العام. له ١٥٧ حديثًــا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥٨/٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك بمعناه، باب مناقب معاذ بن جبل و..، ر٣٧٩٠، ٦٦٤/٥.

(٣) انظر: نفس التخريج السابق.

(٤) في (ت): خالفوا.

(٥) رواه الديلمي في الفردوس عن أنــس وحذيفة، بلفظ مختلف، وفي أولــه: «العلماء أمناء الرسل..»، ر٤٢١٠، ٧٥/٣.



الدين لرغبة أو لرهبة، فربما زلّت أقدام العلماء في ذلك فضَلّوا وأضلّوا.

وروي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا تَزَالُ هَـذِهِ الأَمَّةُ تَحت يَدِ اللهِ وفي كَنَفِه مَا لم تُمَالِ قُرَّاؤُها أمراءَها، وما لم يَذِلَّ صلحاؤُها لفجَّارِها، وما لم يُمَارِ أَخيارُها أشْرارَها؛ فَإِذَا فَعلُوا ذَلك رَفعَ اللهُ يَدَه عنهُم، ثُمَّ سلَّط عليهِم جَبَابِرَتهم فَسامُوهم سُوءَ العذابِ، فَضَربَهم بالفَاقةِ والفقرِ، ومَلأَ قلوبَهم رُعبًا**»[1].

وقيل: إذا ترك العالِم العلم نودي: يا هذا، تركت الطريق.

قال بعض الحكماء: خير العلماء من لا يُقِلّ ولا يُمِلّ.

ويجب على العالِم أن ينظر إلى من هو فوقه في العلم، ولا ينظر إلى من هو دونه في الجهل؛ فإن ذلك مِمَّا ينفي عنه العُجب والاستكبار، ويقلّل عنده ما يحبّ فيه من الاستكثار، إذ ليس متباه في العلم إِلَّا وسَيجد من هو أَعلم منه بشيء، إذ العلم أكثر مِن أن يحيط به بَشَر.

قال الله ﷻ: /٤٥/ ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، يعني: من العلم. وقال بعض السلف: من تكبَّر بعلمه وترفَّع وضعه الله تَعالى، ومن تواضع بعلمه رفعه الله ﷻ.

وفي منثور الحكم: إذا علمت فلا تفكِّر في عِلم[2] من هُو دونك من الجهَّال، ولكن انظر إلى من هو فوقك من العلماء.

---

(١) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن الحسن بتمامه، وبلفظ: «...ولم يزك صالحوها فجارها..»، ر٨٢١، ٢٨٢/١.

(٢) في (س): في كثرة.

ولابن العميد[١]:

من شــاءَ عيشًا هَنيئًا يَســتَلِذّ به		فواضــل العيش إدبــارًا وإقبالًا
فَلْيَنظُــرَنَّ إِلَى مَــنْ فَوْقَــهُ أَدَبًا		ولينظـرنَّ إلى مــن دونه مالًا[٢]

وقيل: من تعجَّب بالعلم إِلَّا كان فيه مقصِّرًا أو مقلِّلًا؛ لأَنَّه يجهل قدره، ويحســب أَنَّهُ قد نال بدخوله فيه أكثره. وأمَّا من كان فيه مستكثرًا فهو يعلم من بُعد غايته والعجز عــن إدراك نهايته ما يصدّه عــن العجب به، ويحضّه على الجهد في طلبه.

فصل منه

اعــن**ا** جابر بن زيد في قول الله تعالــى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (مريــم: ٦٩)، قال: هم علماء الســوء. وفسَّــر قوله تعالى ﴿عِتِيًّا﴾ على المبالغة في الكفر والفســاد. يقال: عَتَا وَعَسَا، يَعتُو عُتُوًّا وَعِتِيًّا، وَيعسُــو عُسُــوًّا وَعِسِــيًّا، وهو: العتوّ والعتيّ لغتان، وهو مُجاوزة الحدِّ، إذا استكبر فقد عتا عتوًّا. وقال: الناس يعتون على التسلط.

ويقال: تعتَّى فلان وتعتَّت فلانة: إذا لم تطع.

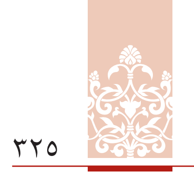
قال العجاج[٣]: الحمد لله الذي اســتقلت بأمــره السمــاء، واطمأنت

---

(١) علي بــن محمد بن الحسين، أبو الفتح ابــن العميد (٣٣٧-٣٦٦هـ): وزير كاتب شــاعر ذكي، لقب بذي الكفايتين (الســيف والقلــم). خلف أباه في وزارة ركــن الدولة البويهي بالري ونواحيها (ســنة ٣٦٠)، فأحبته الرعية واســتمر إلى أيام مؤيد الدولة فخافه فقبض عليه وعذبه ثُمَّ قتله. وأخباره كثيرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢٥/٤.

(٢) البيتان من البسيط، لم نجد من ذكرهما.

(٣) عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء العجاج (ت:٩٠هـ): شاعر راجز مجيد، ولد في الجاهليَّة، ثمَّ أسلم وعاش إلى أيَّام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد. أوَّل مــن رفع الرجز وشــبَّهه بالقصيد، وكان بعيدًا عــن الهجاء. وهو والــد رؤبة الراجز المشهور. له: ديوان شعر. ينظر: الزركلي: الأعلام، ٨٦/٤.



بأمره الأرض، فما تعتَّت. أي: فما عصَت. والعاتي: الجبار. وجبابرة: عتاة.

وسمعت المفضل[١] يقول: أوحى الله تعالى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تَجعل بيني وبينك عالِمًا مفتونًا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي، أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم».

قال عمر بن محمَّد[٢]: العالم يدخل بين الله وبين خلقه.

معاذ بن جبل قال: كنت أطوف مع النَّبِيّ بالبيت فقلت: يا رسول الله، من أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة؟، فأعرض عني، ثُمَّ سألته فأعرض عني، ثُمَّ سألته. فقال: «**مَن يَرَى النَّاسُ أَنَّ فِيهِ خَيرًا وَلَا خَيرَ فِيهِ**»[٣]، وفي خبر آخر عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قال: «**شِرارُ العُلَماءِ**»[٤].

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**لَا يفقَه الإنسان كلَّ الفقهِ حَتَّى يرَى لِلقرآنِ وُجُوهًا**»[٥].

وقال كعب: أرباب العلم الذين يعملون به.

---

(١) المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: ٢٩٠هـ): عالم لغويّ أديب. له: «البارع» في اللغة، و«الفاخر» في الأمثال، و«الاستدراك على العين»، و«ضياء القلوب» في معاني القرآن. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٩/٧.

(٢) عمر بن محمد: لم نستطع تحديده.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر، ر١٤٥٨، ٣٦١/١.

(٤) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، ٢٢٤/١. ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ١٩٣/١. وذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، ٩٤/١ (ش).

(٥) هذا الحديث لا يصح مرفوعًا إلى النبي ﷺ وَإِنَّمَا الصحيح أَنَّهُ من قول أبي الدرداء؛ ذكره الربيع في مسنده، ر٨٨٠. وابن أبي شيبة في مصنفه، ر٣٠١٦٣، ١٤٢/٦. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ٤٥/٢. والعيني في عمدة القاري، ٥٥/٢.

قال: ويذهبُ العلمَ من قلوبِ العُلماءِ بعد إذْ وَعَوهُ: الطَّمعُ، وشَرَهُ النَّفسِ، وطَلَبُ الحوائجِ إلى الناسِ.

ابن منبه[1] قـال: كان أهلُ العلم فيمـا مضى يَضِنّون علـى أهل الدنيا بعلمهم، فيبذُلُ أهلُ الدنيـا دنياهم. وإنّ أهل العلم قـد بَذَلُوا عِلمَهم لأهل الدنيا فضَنَّ عليهم أهل الدنيا بدنياهم.

قال بعض الحكماء: ثمرةُ العلم العمل به، وثمرةُ العمل به أن يؤجر عليه.

وفي الحكمة: لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به.

وعن سـفيان: أن الخضـرَ قال لموسـى عليهما السلام: تعلّم العلـم لتعمل به، ولا تتعلّمه لتحدّث به، فيكون عليك بُورُه ولغيرك نُورُه.

وقال بعض العلماء: العلم يَهتف بالعمل، فإن أجابه وإلّا ارتحل.

وقال بعض الحكماء: خير من العلم ما نفع، وخير من القول ما ردع.

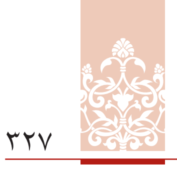
وقال بعض العلماء: ثمرةُ العلوم العمل بالمعلوم.

وقال الخليل: «خليلَيَّ إنَّ العلم يهتف بالعمل، فإن لم تُجبه بالتقى سارَ وارتَحل»[2].

---

(١) وهب بن منبه الصنعاني الذماري، أبو عبدالله (ت:١١٤هـ)، وقد سـبقت ترجمته في هذا الجزء.

(٢) لم نجدهُ في العين، وتنسب هَـذِه الحكمة لعليّ بن أبي طالـب، وقيل: لابن المكندر، وقيل: لسفيان الثوري. انظر: أبو الفيض المكي: العجالة في الأحاديث المسلسلة، ٦٨/١. وابن عسـاكر: تاريخ مدينة دمشـق، ٦٦/٥٦. وابن عبدالبر: جامع بيـان العلم وفضله، ١٠/٢.



فصل: في تسمية العلماء وصفاتهم

تسميةُ العلماء: جمع عليم، وقيل: جمع عالم وعلماء، ونظيره شاعر وشعراء، فالاختيار الأوّل. يقال: علم الرجل الشيء إذا فهمه، وعلم إذا ساد أهل زمانه، أي: يتقدمهم في العلم وصحَّة المعرفة. وهذا قول يدلّ على أنّ العلم مأخوذ من عَلِم، وَإِنَّمَا سمّي عالمًا للاشتهار /٤٦/ والوضوحِ، ومنه المَعلَم وهو الذي يعلم منه مظان الشيء، وإليه يَرجع معنى العلامة، ولذلك سمِّي الجبل عَلَمًا. وقَالَت الخنساء:

وإنَّ صَخرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ[1]

والعالِم[2] يسمّى عالمًا لا من جهة الاشتقاق، وإنَّما هو لمعنى آخر يَدُلُّ عليه، وهو أَنَّهُ توجد فيه الأفعال المحكمة.

ويقال: رجل عالِم، وليس العلم في كلِّه، وإنما هو في بعضه. وكذلك: رجل عاقل، وليس العقل في كلِّه وإنِّما هو في بعضه. وعالم كُلّ زمان.

والأُمَّة تنصرف على وجوه في اللغة:

فالأمَّة: أتباع كلِّ نبيٍّ أمَّة.

والأمَّة: الحين، ومنه ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥).

والأمَّة الإمام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).

والأمة: الدين[3]، قال النابغة:

حلَفْت فلم أترُكْ لنَفسِكَ رِيبةً وهلْ يأثمَنْ ذو أُمّةٍ وهوَ طائِعُ[4]

(١) البيت من البسيط، للخنساء في ديوانها، ص٣٥.
(٢) في (س): والعلم. وأشار إلى نسخة فقال: «خ العالم». وفي (ت): «والعلم والعالم».
(٣) في جميع النسخ: مطائع. والتصويب من الزاهر من معاني كلمات الناس لابن الأنباري، ١٥٠/١.
(٤) في جميع النسخ: مطائع، والصواب ما أثبتنا. أما البيت فهو من الطويل للنابغة الذبياني في ديوانه، ص٥٩.

وقيل: الأمة هاهنا الدين.

والربَّانيون هم العلماء والفقهاء.

والأحبار: علمــاء دون الأنبياء في العلم. وكل ربّانـــي حِبَرٌ[١] وليس كلُّ حَبرٍ ربَّانيًّا، والأحبار ـ أيضًا ـ: كتبة العلم، واحدهم: حَبرٌ وحِبر.

الحِبْر الهيئة والحسن، ومنه الحديث: «غيَّرت النار حِبرَه وبشْرَه»[٢]، أي: حسنه وأَثَرَه. ويقال: ما أحسن حِبارة بلدك.

فكان العالِم يسمَّى حِـبْرًا إذ تناهى في العلم، فأورد على المتعلم أحسن العلوم. ويحسن العلم في عين المتعلِّم حَتَّى يفــرح المتعلِّم بحسن بيانه[٣]، وحتى يفرح به قلبه ويكون محبورًا به مسرورًا، فسمِّي بذلك حِـبْرًا.

وقال ثعلب: حبر بالشـــيء حبرًا: إذا فرح به، ومنه قوله ﷻ ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (الروم: ١٥). ويقال: أبو عمرو.

ويقال: رجل [حَبَر] عليه الشباب، أي: حسنه.

والحِبر: الذي يكتب به، سمِّي بذلك؛ لأَنَّه أخذ من الحسن.

وقيل لثياب اليمن حِبَر، واحدها حِبْرَة؛ ســمِّيت بذلك لحســنها، وليســت الحِبرة موضعًا أو شيئًا معلومًا، إنما هو وَشْيٌ، كقولك: ثوب قرمز، والقرمز صِبَغ.

وقال أَبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي: «لا تسألونا وهذا الحبر بين أظهركم»، يريد بذلك ابن مسعود.

والحبــر: العالم من علماء الدين، والجمع الأحبار، مســلمًا كان أو ذميًا بعد أن يكون من أهل الكتاب. قال رؤبة:

---

(١) الحبر بالكسر والفتح واحد. انظر: مختار الصحاح للرازي، (حبر).

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) في (س): ثيابه.

من كتب الأحبار خطت أسطرا[١].

والحبر: الذي يكتب به؛ سمي حبرًا؛ لأنَّه يؤثره. وقال الشاعر:

لَقَدْ أَشْمَتَتْ بِي أَهْلَ فَيْدٍ وغادَرَتْ بجِسْمِيَ حِبْرًا بِنْتُ مَصّانَ بَادِيَا[٢]

ويقال للآثار: حِبرة وحِبَار.

وعُلُوب واحدها عَلْب، وبَلَد والجمع أبلاد.

قال طرفة:

كَأنَّ عُلوبَ النّسع في دأْياتها مَوَارِدُ مِن خَلْقاءَ في ظَهرِ قَرْدَدِ[٣]

العلوب: الآثار. والنّسع: سيور مضَفَّرة، ويقال نَسعة ونَسَع وأنساع ونُسوع. والدأيات ملتقى الأضلاع. والموارد: السيول، وهي الطرق الموارد. والخلقاء: الملساء وهي الصخرة، وكل ما يلمس فهو أخلق. وقَردَد: أرض مستوية، وظهر القردد أعلاه.

قال ابن الرقاع[٤] في الأبلاد:

ذَكَرُوا الدِّيَارَ[٥] تَوَهُّمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعدِمَا شَمَلَ البِلَى أَبْلَادَهَا[٦]

---

(١) لم نجد من ذكره.

(٢) البيت من الطويل، نسبه ابن منظور والزبيدي لمصبح بن منظور الأسدي وكان قد حلق شعر رأس امرأته فرفعته إلى الوالي فجلده واعتقله وكان له حمار وجبة فدفعهما للوالي فسرحه فقال البيتين. انظر: اللسان، التاج؛ (حبر). وذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق ولم ينسبه، ٢٥٢/١.

(٣) البيت من الطويل، لطرفة بن العبد في ديوانه، ص ٣.

(٤) ابن الرقاع: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، أبو داود (ت ٩٥هـ)، وقد سبقت ترجمته في عدي بن زيد.

(٥) في (ت): البلاد.

(٦) البيت من الكامل، لعدي بن الرقاع في ديوانه، ص ٧: بلفظ:

عرف الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعدِمَا درس البِلَى أَبْلَادَهَا

والحبر عطر الأحبار.

وقَـال أبو عبيدة[١]: العـرب لا تعرف الربّانـيّ. ويقال: هـي عبرانية أو سريانية. والرباني والرِّبِّي لا يسمى به إِلَّا من كان عالِمًا معلِّما عَامِلًا معًا[٢].

والراسـخون في العلم هم الذين/٤٧/ رسـخ علمهم وإيمانهم كما رسخ الجبل في مكانه، ويقال: هم المدارسـون. وتقول: رسخ الشيء[٣] رسوخًا، إذا ثبت في موضعه، وأَرْسَخْته إِرسَاخًا كالحِبْر يرسخ في الصحيفة، وكالعلم يرسخ في قلب الإنسان. وتقول: رجل راسخ في العلم، قد دخل فيه قلبه مدخلًا ثابتًا.

وقال الخليل: الراسـخون في كتاب الله تعالى هم المدارسـون[٤]. وقَال غيره: الراسخون هم علماء العلماء، وليس هم المدارسون.

والنَّقَّاب: العالِم من الرجال، وتقول: نَقَّاب؛ أي: عالم ينقب عن الأشياء.

ويروى عن الشعبي أنّه دخل على الحجَّاج فسأله عن الفريضة في الجدّ، فقال باختلاف الصحابة فيها حَتَّى ذكر ابن عبَّاس. فقال الحجَّاج: إن كان ابن عبَّـاس لنَقَّابَة، فما قال فيها النَّقّاب؟ فأخبره بقوله. والمسـألة قد ذكرتها في باب المواريث[٥] ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) مَعمَر بن المثنى التيمي بالـولاء البصري، أبو عبيدة النحـوي (١١٠ - ٢٠٩هـ): من أئمة العلم بالأدب واللغة. ولد وتوفي بالبصرة. اسـتقدمه هارون الرشيد إلى بغداد. له أكثر من مائتي مصنف: مجاز القرآن، ومآثر العرب، والمثالب، والأمثال... انظر: الأعلام، ٢٧٢/٧.

(٢) في (ت): عالمًا مقيمًا بيعًا.

(٣) كذا في (س)، وأشـار إلى نسخة فقال: «خ العلم»، وهو ما فـي النسخة (ت). والراجح ما أثبتنا. انظر: العين، (رسخ).

(٤) في (ت): الدارسون. والصواب ما أثبتنا. انظر: العين، (رسخ).

(٥) انظر رواية الشـعبي لَمَّـا أتى الحجّاج فسأله عـن: أمٍّ وجدٍّ وأخـت لأب وأمّ؟ في كتاب المواريث في «باب ميراث الجدَّة، المسألة المخمسة».

قال أوس بن حجر(١):

مَلِيحٌ نَجِيحٌ أَخُو حَازِمِ   نَقَابٌ يُخْبِرُ بِالغَائِبِ(٢)

ويروى نقَّابًا.

قال أبو العبَّاس: معنى قوله: مليح؛ أي مملح، وهو الذي يفحم خصمه، مأخوذ من الملاح، وهو عود يوضع في فم الجدي لكي لا يرضع فيشنق، والشنق: أسوأ الشبع.

قال: فكأنه لَمَّا نطقت مملحًا بِملاح، ولكن الأوّل أقام فعيلًا مكان مُفْعِل.

قال عمرو بن مَعْدِي كَرِب(٣):

أمِنْ رَيْحانةَ الدَّاعي السَّميعُ   [يُؤرِّقُنِي وأصحابي هُجوعُ](٤)

يريد المُسْمع. ويقال في نحو منه: إنه لَعِضٌّ، والعِضُّ: هو المكر الداهية.

قال القطامي:

أَحاديثُ منْ أَنْبَاءِ عادٍ وجُرْهُمٍ [جَمَّة]   يُثَوِّرُهَا(٥) العِضَّانِ زَيْدٌ ودَغْفَلُ(٦)

---

(١) أوس بن حَجَر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر حكيم تميم في الجاهليَّة. أبوه زوج أمِّ زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمَّر طويلًا. كانت تميم تقدمه على سائر الشعراء. وكان غزلًا مغرمًا بالنساء. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١/٢.

(٢) البيت من المتقارب لأوس بن حجر في ديوانه، ص٧، بلفظ:

مليح نجيح أخو مأقط   نقاب يحدث بالغائب

(٣) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة الزبيدي (ت:٢١هـ): فارس شجاع من اليمن. أسلم سنة ٩هـ. وارتدَّ بعد وفاة النبيّ ﷺ، ثُمَّ رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. ثُمَّ بعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. توفِّي على مقربة من الريّ. وقيل: قتل عطشًا يوم القادسيَّة. الزركلي: الأعلام، ٨٦/٥.

(٤) البيت من الوافر، لعمرو بن معدي كرب في ديوانه، ص٦.

(٥) في (س): يوريها، وأشار إلى نسخة فقال: «يثورها». وهو ما أثبتنا لوجودها بهذا اللفظ في كتب اللغة والأدب.

(٦) البيت من الطويل للقطامي. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، (عضض). وابن سيده: المحكم

زيد ودغفل، يريد زيد بـــن الكيّس النمري ودَغْفَل الباهلي، وكانا عالمي العرب بالأنسَاب الغامضة والأنباء الخفيَّة.

والعِضُّ ـ أيضًا: الرجل السيّء الخلق. وقال:

[وَصَلْتُ بهِ ركني وَوَافقَ شيمتي]　　　ولم أكُ عِضًّا في الندامى مُلوَّما[1]

والسُّرُّ: سور العالم الفطن الدخَّال في الأمور. والطَّبّ: العالم بالأمور.

قال عنترة:

إِنْ تُغْدِفِــي دُونِي القِنــاعَ فإِنَّنِي　　　طَبٌّ بأَخْذِ الفــارِسِ المُسْتَلْئِمِ[2]

المستلئم: اللابس اللامة، واللَّامة: الدرع.

فصل منه

يقال: فــلان قُدوَة وقَدوة وقِــدوة، وجمع القدوة القِــدى مقصور بالياء، والقدو: الأصل الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء. قال الشاعر:

والجـــودُ مـــن رَاحَتَيــك قُدوته　　　وَكَان حَذوًا[3] في الشِّعرِ والخُطَب[4]

والمحيط الأعظم، ١/٦٧.

(١) هذا الشــطر الثاني من بيت لحسان بن ثابت، والبيت من الرجــز. انظر: ديوان حسان بن ثابت، ص٢٦٣. وتورده كتــب الأدب واللغة بمثل مــا أورده المؤلف من غير ذكر صدر البيت. انظر: العين، وتهذيب اللغة، ومقاييس اللغة.. إلخ، مادة: (عضض).

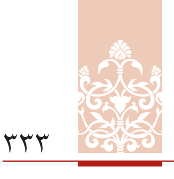
(٢) البيت من الكامل، لعنترة بن شداد في ديوانه، ص١٧٣، بلفظ:

مــا راعنــي إلّا حمولــةُ أهلها　　　طَبٌّ بأَخْــذِ الفارسِ المُسْــتَلْئِمِ

واللفظ الذي أورده المصنف هو المشــهور في معاجم اللغة كالعين والتهذيب والمقاييس (غدف)، وكتب الأدب كجمهرة أشعار العرب وغيره.

(٣) في جميع النسخ: قودًا.

(٤) البيت من الكامل للكميت. انظر: العين، (قدو).



وبعضهم يكسره فيقول: قِدوته، أي: بك يقتدي، ويقال: اقتدى فلان بفلان إذا فعل مثل فعله، وفي القرآن: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ورجل نَدِس، ونَدِس: إذا كان عالمًا بالأخبار.

ورجل نطِس، والنطس: المبالغ في الشيء.

ويقال: أفلق فلان في العلم وغيره، إذا برع فيه. ورجل مفلق وأمر مفلق؛ أي: عجب.

ويقال: بصر الرجل، إذا جادت فطنته، وبَصُر بالأمر؛ أي فهمه. وبصُر (بضم الصاد) بالقلب؛ أي: علم وشعر وأبصر، أي: نظر بعينه، فإذا وقع بصره على شيء فأتقنه، وقد قرئ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ (طه: ٩٦)، و(بَصِرْتُ)[1] بكسر الصاد.

وتقول: درى يدري دِرية ودَرْيا، أي: علِم عِلمًا، والعرب ربما حذفت الياء، فتقول: لا أدر، في معنى لا أدري.

ويقال: شرب فلان من العِلم فانتقع؛ أي أكثر منه.

وقال ابن جريج: إن معمرًا قال: شرب فلان من العلم فانتقع[2].

---

(١) قال أبو حيان: «قرأ الأعمش وأبو السماك: (بَصِرْتُ) بكسر الصاد (بما لم تَبْصَروا) بفتح الصاد، وقرأ عمرو بن عبيد: (بُصُرْتُ) بضم الباء وضم الصاد (بما لم تُبْصَروا) بضم التاء وفتح الصاد مبنيًا للمفعول فيهما، وقرأ الجمهور: (بَصُرْتُ) بضم الصاد، وحمزة والكسائي وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وابن سعدان وقعنب (تبصروا) بتاء الخطاب لموسى وبني إسرائيل وباقي السبعة: (يَبْصُرُوا) بياء الغيبة». انظر: تفسير البحر المحيط، ٦/٢٥٤.

(٢) في (ت): حتى انتقع. وفي تاريخ مدينة دمشق، ٥٩/٤٠٧، وفي فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري، ١/١٥٣، وفي تهذيب الكمال، ٢٨/٣١٠: «إن معمرًا شرب من العلم بأنقع». والله أعلم.

ومن أمثالهم: قد بلغ فلان في العلم أَطْوَرَيهِ، أي: بلغ أقصاه. قاله أبو زيد بكسر الراء[١]. وقال غيره من العلماء: بفتح الراء.

ويقال: إنك لعالم ولا تُبَاغُ[٢]، وتُباغُ برفع، ونصب: ولا تُباغَ، وفي الاثنين: ولا تُبَاغَا، وقال بعضهم: معناه ولا تباغيك أحد. وقال آخر: ولا تصبك عين على الدعاء له فيجزم فيقول: لا تُبَغْ،/٤٨/ وتفسيره من البَيْغ، يقول: لا ابتيغت بك.

ويقال: تَبَيَّغ بِه الدم، إذا ثار وظهر في العروق.

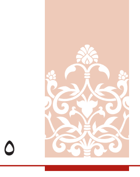
ويقال: لفلان على غيره بسطة في العلم والجسم والمال. قال الله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧)؛ وقرئ (بَصْطَةً) بالصَّاد[٣]، وبعض العرب يُحَوِّلون السين التي تجيء قبل الطاء موصولة أو مفصولة إلى الصاد، وبعض هذه أحسن، وبهذه اللغة قرأ القرَّاء: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ (البقرة: ٢٤٥)، ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، و﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢).

---

(١) في (س) و(ت): بكسر الزاي. والتصويب من كتاب: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري، ٣٠١/١. وجمهرة الأمثال لأبي الهلال العسكري، ٢١٨/١.

(٢) البَيْغُ: ثُؤورُ الدَّم وفَوْرَتُه، تَبَيَّغَ به الدَمُ. والتبيغُ: كَثْـرَةُ اللَبَنِ. ويقولون: إنَّك لَعَالم ولا تُبَاغ ولا تُبَاغا، ولا تُبَاغُوا: أي لا يُبَاغِيكَ أحَـدٌ. وقيل: لا تُصِبْكَ عَيْنٌ ـ على الدُعاء جَزْم ـ، يَعْني: لا تُبَغْ، من تَبَيَّغَتْ به العَيْن. وبيغْتُ بـه: أي انْقَطَعْت به. وبيغَ به، وتَبَيغَ عليه أمْرُه: اخْتَلَطَ. وباغ: هَلَكَ. انظر: المحيط في اللغة، ولسان العرب، (بغا).

(٣) قراءة: (بَصْطَة) بالصاد، قال النيسابوري هي قراءة أبي نشيط والشموني غير النقاد. وفي الميسر فِي القراءات: قراءة قنبل بخلف عنه، وافقه ابن محيصن بخلفه أيضًا. انظر: تفسير النيسابوري، ٩٣/٢. خاروف مُحَمَّد فهد: الميسر فِي القراءات الأربع عشرة، البقرة: ٢٤٧.



فصل منه

سئل النَّبِيّ ﷺ عن الراسخين في العلم؟ فقال: «**مَن بَرَّت يَمِينُه، وصَدَقَت لِسانُه، واستَقَامَت نِيَّتُه، وعَفَّ بَطنَه وفَرْجَه، فذلك الراسخ في العِلم**»[(١)].

وعنه ﷺ: «**مِنْ فِقْـهِ الرَّجُلِ قِلَّةُ كَلامِـه فِيمَا لَا يَعْنِيـهِ**»[(٢)] [وعنه ﷺ][(٣)]: «**أَلا أنبئكم بالفقيه كلّ الفقيه؟**» قالوا: «بلى يا رسول الله» قال: «**من لم يُقنِط الناس من رحمة الله، ويُؤيِّسهم من روح الله، ولا يدع القرآن رغبة إلى ما سواه. ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه، ولا علم ليس فيه تفهّم، ولا قراءة ليس فيها تدبّر**[(٤)]»[(٥)].

وقال عليّ: «ألا أخبركم عن الفقيه! فإنه هو الذي لا يَقنط إذا قنط الناس من رحمة الله، ولا يَبخل بعلم يكون عنده».

وقال عليّ: «الفقيه كلّ الفقيه من لم يُؤَيِّس الناس من رحمة الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله».

مُحمَّد بن عيسى[(٦)] قال: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي[(٧)] يقول:

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك، بلفظ قريب، ر٧٦٥٨، ١٥٢/٨.

(٢) الحديث موقوف عن أبي الدرداء. انظر: ابن عبد البر: أدب المجالسة، ٨٦/١.

(٣) في (س) و(ت): بياض قدر كلمة، لعله ما أثبتنا.

(٤) في (س) و(ت): تدبير.

(٥) رواه ابن عبد البر عن علي بن أبي طالب بلفظ قريب. انظر: جامع بيان العلم وفضله، ٤٤/٢.

(٦) لعلَّه: محمد بن عيسى بن طلحة التيمي القرشي، أبو عبد الله (ت:٣٣٤هـ): فقيه حنفي قاضي بغداد. ولي قضاء بغداد زمن المتقي والمستكفي، وكان ثقة مشهورًا بالفقه والتصوّن لا مطعن عليه. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥٥/٢.

(٧) فِي النسخ: «محمَّد بن عيسى الزبيري قال: سمعت هاشم بن عبد الله»، والتصويب من جامع بيان العلم وفضله، ١٩٥/١. وهشام بن عبيد الله الرازي (ت:٢٠١هـ): فقيه حنفي، =

«من لم يعرف اختـلاف القرّاء فليس بقارئ، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه».

وقال بعض الحكماء: «الفقيه بلا ورع كالسراج في البيت يضيء البيت ويحرق نفسه».

وقَال العبَّاس[1] في هذا المعنى:

صِرتُ كَـأَنّـي ذُبالةٌ[2] [نُصِبَت] تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهي تَحتَرِق[3]

وقال الخليل[4]: «الرجال أربعة، فرجل يعلـم ويعلم أنه يعلم فذلك عالِم فاسألوه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذلك نائم غافل فنبِّهوه، ورجـل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلـم فذلك جاهل فعلموه، ـ في نسخة فذلك نَاسٍ فذَكِّروه ـ، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فذلك أحمق فاجتنبوه».

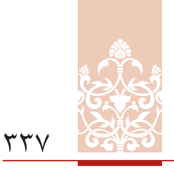
= من أهل الري. أخذ عن أبي يوسف ومحمد، صاحبي أبي حنيفة. وكان يقول: لقيت ألفًا وسبعمئة شيخ، وأنفقت في العلم سبعمئة ألف درهم. له كتاب «صلاة الأثر». انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٨٧.

(١) في جميع النسخ: «ابن العباس». والصواب ما أثبتنا من: ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ١/١٩٥. واسمه العباس بن الأحنف، وهو: العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل (ت:١٩٢هـ): شاعر غزل رقيق. قال فيه البحتري: أغزل الناس. أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه. ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها، وقيل: بالبصرة. له: «ديوان شعر». انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/٢٥٩.

(٢) الذُّبَالة: الفتيلة التي يصبح بها السراج. انظر: تهذيب اللغة، (ذبل).

(٣) البيت من المنسرح للعباس بن الأحنف في ديوانه، ص ١٩١.

(٤) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (١٠٠ ـ ١٧٥هـ)، وقد سبقت ترجمته.



وعنه في موضوع آخر: «إن الرجال أربعة، عالِم فتعلَّمْ منه، وجاهل فعلِّمْه تؤجَر فيه، ورجل يريك أَنَّـــهُ يعلم وهو لا يعلم فلا تناظِره، ورجل كان عالمًا فتلف منه علمه فذاكره تنفَعْه وتنتفِعْ به».

وقال الفضيل[١] بن عياض[٢]: «من فقــه الفقيه أن يكون أحب إليه من[٣] الصمت».

وقــال بُزْرُجُمِهْر: «مثــل العالم مثل الريحانة الحســن منظرهــا، الطيبة رائحتها، المزدادة طيبًا بتقليبك لها، كذلك العالِم إن قاربته زانك، وإن سألته أقبسك علما».

والعالِم أكبر من الفقيه، والفقيه اســم مدح، ولا يستحقه إلَّا من كان به عالِمًا عاملًا، وقد تقدم شيء من هذا في باب العلم.

وعن ليث[٤] عن مجاهد قال: «الفقيه من يخاف الله عز وجل».

---

(١) في (س) و(ت): الفضل. ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٢) الفضيل بن عيَّاض بــن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علــي (١٠٥ - ١٨٧هـ): عابد زاهد محدث ثقة من شــيوخ الحرم المكي. ولد في سمرقند ونشــأ بأبيورد ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها. أخذ عنه الشافعي وغيره. سكن مكة وتوفي بها. له مواعظ وحكم. انظر: الأعلام، ٥/١٥٣.

(٣) كذا في النسخ، ولعل «من» زائدة ليستقيم المعنى.

(٤) هــو: ليث بن أبي ســليم مولــى عنبسة بن أبي ســفيان الكوفــي، أبو بكر (أبــو بكير) (ت:١٤٣هـ)، وقد سبقت ترجمته.

باب ٩ في الحث على العلم وتعليمه

حثّ رسول الله ﷺ ذوي العلم بعده على التعليم وإصلاح الألسنة وحسن العبادة. وقال ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امرَأً أَصلَحَ مِن لِسانِه**»[(١)].

وقيل: «أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام: يا موسى بن عمران، تعلَّم الخير وعلِّمه، فإن معلِّم الخير ومتعلِّمه لا يستوحشون في قبورهم».

وعن النَّبِيّ ﷺ من طريق أنس بن مالك[(٢)] أنَّه قال: «**اطْلُبُوا العِلمَ وَلَو بِالصِّينِ**»[(٣)]، وفي خبر آخر: «تعلَّموا العلم ولو من الصين»[(٤)] أو «فلسطين»[(٥)].

ومن طريق أبي هريرة عنه ﷺ أنَّه قال: «**تَعلَّمُوا العِلمَ قَبلَ أَن يُرفَعَ، وَرفعُه ذَهابُ أَهلِه**»[(٦)]. /٤٩/

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب عن عمر بن الخطاب بلفظه، ر٥٨٠، ٣٣٨/١. والديلمي في الفردوس عن عمر بلفظه، ر٣٢٠٦، ٢٥٩/٢.

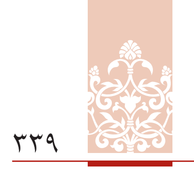
(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة (أبو حمزة) (ت:٩٣هـ): خادم النَّبِيّ ﷺ.. ولد بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، وروى عنه ٢٢٨٩ حديثًا. رحل إلى دمشق ثُمَّ إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥/٢.

(٣) رواه الربيع عن أنس بن مالك بلفظه، باب في العلم وطلبه وفضله، ر١٨.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٥) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ أيضًا.

(٦) رواه الربيع عن أبي هريرة بلفظه، باب في العلم وطلبه وفضله، ر٢٤.



زياد بن لبيد[١] قال: ذكر النَّبِيّ ﷺ حديثًا، فقال: «ذَلِكَ عِندَ ذَهابِ العِلمِ». قَال: فقلنا: «يَا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟!». فقال عليه السلام: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ**[٢] **إن كُنتُ لأَرَاكَ أَفقَه أهلِ المَدِينَةِ! أَوَلَيسَ هَؤُلَاءِ اليَهُودُ والنَّصارى يَقرؤُون التَّورَاةَ والإِنجيلَ لا يَنتفِعونَ مِمَّا فِيهمَا بِشيءٍ**»[٣].

أبو أمامة الباهلي[٤] بإسناد أن النَّبِيّ ﷺ قال: «**خُذُوا العِلمَ قبلَ أن يَنفدَ**» ثلاث مرَّات، قالوا: «يا رسول الله، كيف يَنفُدُ وفينا كتابَ الله!» فغضب، ثم قال: «**ثَكِلتُكُم أمَّهاتكم! أولم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل، ثمَّ لم تغن عنهم شيئًا. ذَهَابُ العِلمِ ذَهابُ حَمَلَتِه**» ثلاث مرَّات[٥].

قال معاذ بن جبل: قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا وهو عندي مخزون، ثم بكى، فقلنا: «ما يبكيك؟»، حَدّثنا به يرحمك الله!. فجثا على

---

(١) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري البياضي، أبو عبد الله (ت: ٥٠هـ): خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه بمكَّة حتى هاجر معه إلى المدينة؛ فهو مهاجري أنصاري. شهد معه العقبة والمشاهد كلها. استعمله رسول الله ﷺ على حضرموت، وولاه أبو بكر بقتال أهل الردة من كندة. مات في أول خلافة معاوية. انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ١٥٨/١. ابن حجر: الإصابة، ٣٨٨/١.

(٢) كذا في جميع النسخ، وهو ما جاء في مسند أحمد أيضًا. ولعل الصواب: يا بن لبيد، كما في المستدرك على الصحيحين، ر٦٥٠٠، ٦٨١/٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده عن زياد بن لبيد بلفظه، ر١٧٥٠٨، ١٦٠/٤. ورواه ابن ماجه في سننه عن زياد بلفظ قريب، باب ذهاب القرآن والعلم، ر٤٠٤٨، ١٣٤٤/٢.

(٤) صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة (٨١هـ): صحابي، كان مع علي في صفين. سكن الشام، وتوفي في حمص. وهو آخر من مات من الصحابة في الشام. له ٢٥٠حديثًا في صحيحي البخاري ومسلم. انظر: الأعلام، ٢٠٣/٣.

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظ قريب، ر٧٩٠٦، ٢٣٢/٨. ورواه الدارمي في سننه عن أبي أمامة بلفظ مختلف، باب في ذهاب العلم، ر٢٤٠، ٨٩/١.

ركبتيــه فقــال: «أوصاني حبيبــي وقرَّة عيني رســول الله ﷺ بطلــب العلم وتعليمــه»، وقال: «**يا معاذ، طلــب العلم عبادة، والتفهُّم فيه خشــية، وذكره تســبيح، وتعليمك العلم لمن لا يعلمه صدقة، وبَذْلُك العلم لمن يعمل به قربة إلى الله. يا معاذ، عليك بالعلم فإنَّه الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة. يا معاذ، تزين بالعلم عند الأخلاء، وتســلح بالعلم عند الأعداء. يا معاذ، رفــع الله بالعلم أقوامًــا، فجعلهم للخير قادة وأئمَّة، يُقتبس من نورهــم، وتُتبع آثارهم، ويُقتــدى بأفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، والملائكة لهم أخلاء، وبأجنحتها تمسحهم، وتستغفر لهم الملائكة وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، وكل رطب ويابس من خلق رب العالمين. يا معاذ، عليك بالعلم؛ فإنه حيــاة القلب من الجهل، ونور البصر من الظلمة، وقــوَّة البدن من الضعف. يــا معاذ، العلم يبلــغ بالعباد منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة. يــا معاذ، تفكَّر في العلم فإنَّ الفكر فيه يعدل قيام الليل وصيام النهار، وأكثر مدارسة العلم به، فبه توصل الأرحــام، ويعرف الحلال من الحــرام**(١)**، وهو إمام العمــل، والعمل تابعه، يلهمه الله عباده**(٢)**، قائدهم العلم، يلهم الله تعالى العلم عباده السعداء ويحرم عباده الأشقياء**»(٣).

وعنــه ﷺ: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَــعُ أَجنِحَتَهــا لِطَالِبِ العِلــمِ رِضًا لِمَا يَطلُبُ**»(٤).

(١) في جميع النسخ: + نسخة.
(٢) في جميع النسخ: + نسخة.
(٣) رواه ابن عبد البر عن معاذ بلفظ مختلف. انظر: جامع بيان العلم وفضله، ٤٥/١ - ٥٥.
(٤) رواه الربيع عن أنس بن مالك بلفظه، باب في العلم وطلبه وفضله، ٢٩/١. ورواه أبو داود عن أبي الدرداء بلفظ مختلف ومطولًا، باب الحث على طلب العلم، ر٣٦٤١، ٣١٧/٣.

عليٌّ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**مَا انتَعَلَ عَبدٌ، وَلَا تَخَفَّفَ، وَلَا لَبِسَ ثَوبًا لِيغدُوَ في طَلَبِ العلمِ إِلَّا غَفرَ اللهُ لَه حَيثُ يَخطُو عَتَبَةَ بَابِ بَيتِه**»(١).

ابن عبَّاس في قول الله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ (الزخرف: ٤٩). قال: أراد بذلك «يا أيَّها العالم» يعظِّمونه بذلك.

وقال غيره: كان السـحرة عندهـم عالمًا يعظمونه. والكاهـن بالعبرانية العالِم. واليهود تسـمِّي العالِم كاهنًا، فكانوا يسمون هارون بن عمران [عَلَيْهِ السَّلَامُ] كاهنًا. رَبَّا معناه عالم الربّ. والأسـقف عالِم النصارى. والمجوس يسـمُّون [العالِم] هربذًا، وهو معرب، وهو بالفارسية.

قال هارون: الضحَّاك قال: طلب العلم فريضة على كُلّ حرٍّ وعبد؛ لأَنَّ الله تعالى قال: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ (آل عمران ٧٩) أي: علماء فقهاء.

وجاء في الآثار: أن «**طَلَبُ العِلمِ فَرِيضةٌ عَلى كُلِّ مُسلِم**»(٢). «وَعَملٌ قَلِيلٌ فِي عِلمٍ خيرٌ مِن عَملٍ كَثيرٍ في جَهلٍ»(٣).

عكرمة(٤) قال: السائحون طلبة العلم.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس عن علي بن أبي طالب بلفظه، ر٦١٣٨، ١٥٩/٤.

(٢) رواه ابن ماجه في سـننه عن أنس بن مالك بلفظه مع زيادة، بـاب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ر٢٢٤، ٨١/١. ورواه الطبراني في الأوسـط عن أنس بلفظه، ر٢٠٠٨، ٢٨٩/٢.

(٣) ذكره الأصبهاني في معجم الأدباء، ٥٣/١.

(٤) عكرمة بن عبـد الله البربري المدني، أبو عبد الله مولى ابن عبـاس (٢٥ – ١٠٥هـ،): قارئ مفسر، محدث ثقة، عالم بالمغازي، أكثر علمه عن ابن عباس، روى عنه نَحو من ثلاثمائة، اتصل بنجدة الحروري فصار يقول برأيه، وخرج إلى بلاد المغرب لنشر رأي الصفرية، ثم عاد إلى المدينة وتوفي بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٤٤/٤.



أبو هارون العبدي[١] قال: كنا إذا أتينا أبا سـعيد الخُدري يقول: «مرحبًا بوصية رسـول الله ﷺ، [إنَّ رسـول الله ﷺ قال لنا:] «**إِنَّ النَّـاسَ لَكُم تَبَع، وَسَيَأتِيكُم قَومٌ يَتَفَقَّهون [في الدّين]، فَاسْتَوصُوا بِهم خَيرًا**»[٢] /٥٠/.

ومن كتاب آخر: عنـه أيضًا قال: كنَّـا إذا أتينا أبا سـعيد الخُدري قال: «مرحبًا بوصيَّة رسول الله ﷺ»، سـمعته عنه مرارًا، فسألته عما أوصى، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيَأتِي نَاسٌ مِن أَقْطَارِ الأَرضِ يَلتَمِسونَ العلمَ فَاستوصُوا بِهم خَيرًا**»[٣].

أبو موسى[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيَأتِيكُم قَومٌ مِن بَعدِي يَسألُونَكم عَن حَدِيثِي فَـلاَ تُحَدِّثُوهُم إِلَّا بِمَـا تَحفَظُونَ مِنِّي، مَن كَـذَبَ عَلَيَّ مُتَعمِّدًا فَليتَبَوَّأْ مَقعدَه من النّارِ**»[٥].

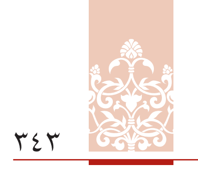
(١) عمارة بن جوين العبدي البصري، أبو هارون (ت: ١٣٤هـ): يروي عن أبي سعيد وابن عمر وعنه سفيان والحمادان. شـيعي متروك ومنهم من كذبه. وقال عنه ابن معين: كانت عنده صحيفة يقـول هذه الصحيفة صحيفة الوصي (يعني عليًا). انظـر: ابن حبان: المجروحين، ١٧٧/٢. ابن حجر: لسان الميزان، ٢٢٨/٣ - ٢٧٨. تهذيب التهذيب، ٣٦١/٧.

(٢) رواه الترمذي في سـننه عن أبي هارون العبدي بلفظ قريب، باب ما جاء في الاسـتيصاء بمن يطلب العلم، ر٢٦٥٠، ٣٠/٥. ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي هارون بلفظ قريب، باب الوَصاة بطلبة العلم، ر٢٤٩، ٩٩/١. والزيادات المدرجة في نص الحديث من سـنن ابن ماجه.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) مالك بن عبادة (عبد الله) الغافقي، أبو موسـى (ت: ٦١هـ): له صحبة سـكن مصر. سـمع عقبة بن عامر. روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود ووداعة الحميري. ثقة من صغار العاشـرة، مات وقد جاوز التسـعين. انظر: ابن حبان: الثقات، ٣٧٧/٣. ابن حجر: الإصابة، ٤٠٥/٣. وتهذيب التهذيب، ٢٢٧/١٢.

(٥) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال عن أبي موسـى الغافقي بلفظه، وعزاه إلى أبي نعيم. انظر: كنز العمال، ر٢٩٢١٩، ١٠١/١٠.



ابن جريج[١]: إن أحب العباد إلى الله تعالى الغرباء في طلب العلم.

كان ابن مسعود إذا رأى الشباب يطلبون العلم، قال: «مرحبًا بكم ينابيع الحكمة، ومصابيح الظُّلم، خُلقاء[٢] الثياب، جدد القلوب، حرس البيوت، ريحان كُلّ قبيلة».

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يُخْتَل إليه، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق**»[٣].

قال الأصمعي: متى يحتاج إليه، وهو الخلَّة والحاجة.

قال كثير:

فما أصبحت نفسي تَبُثُك ما بها ... ولا الأرض لا تشكو إليك اختلالها[٤]

يعني: حاجتها.

وعن عمر: «تفقَّهوا قبل[٥] أن تسودوا»، يقول: تعلَّموا العلم ما دمتم صغارًا قبل أن تصيروا سادة رؤساء منظورًا إليكم؛ فإن لم تعلموا قبل ذلك

(١) ابن جريج، هو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، أبو الوليد (أبو خالد) (٨٠-١٥٥هـ): عالم فقيه الحرم المكي، رومي الأصل. كان إمام أهل الحجاز في عصره، وأول من صنف التصانيف في العلم بمكة. الأعلام، ٤/١٦٠.

(٢) مِن خَلَق الثوب والجلد وغيرهما خَلقًا: إذا بلي ولَان، فهو أخلق، وهي خَلقاء. انظر: العين، والمعجم الوسيط، (خلق).

(٣) ذكر أبو عبيد ابن سلام الشطر الأول من الحديث عن ابن مسعود موقوفًا، وكذلك تعليق الأصمعي عليه. انظر: أبو عبيد: غريب الحديث، ٤/٦٣. وروى شطر الحديث الثاني الدارمي في سننه موقوفًا على ابن مسعود بلفظ قريب، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ر١٤٣، ١/٦٦. ولم نجد من ذكر الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ، والله أعلم.

(٤) البيت من الطويل لكثير عزَّة، ذكره أبو عبيد فِي: غريب الحديث، ٤/٦٤.

(٥) في النسخ: + «حاجتها»، والتصويب من كتب الأدب واللغة.

استحييتم أن تعلموا في الكبر، وبقيتم جُهَّالًا، لا تأخذونه من الصغار فيزري ذلك بكم.

قال الخليل: من ضـمَّ علمه إلى علم غيره كان مـن الموصوفين بنعت الربَّانيين. وقال: تكثَّر من العلم لتعرف، وتقلَّل منه لتحفظه.

ولابن بشير[1]:

إنِّي لَـو أَعِـي كُلَّ مَا أَسـمعُ	وأحفـظُ مِـن ذاك مَـا أَجمعُ
وَلَم أَسـتفِدْ غَيرَ مَا قد جمعتُ	لَقيـلَ هُـو العالِـمُ المُصَقَّـعُ
وَلكـن نَفسـي إِلَـى كُلّ نوعٍ	مِـن العـلـمِ تَسـمعُه تنـزِعُ
وَأجلـسُ للعلـمِ فِـي مَجلسٍ	وَكُتبِـي فـيِ البيـتِ تُسـتَودَعُ
فَلَا أَنـا أحفظُ ما قـد جَمعتُ	وَلَا أَنـا مِـن جَمعِـه أَشـبَعُ
وَمـن يَـكُ فِـي عِلمِـه هَكَذا	يَكُـن دَهْـرُه القَهقَـرَى يَرجِعُ
إِذَا لَـم تَكـن حَافِظًـا وَاعيًـا	فَجَمعُـك لِلكتـبِ لَا ينفَـعُ[2]

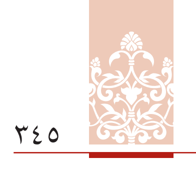
وقَال غيره:

استودعَ العلم قرطاسًـا فضَيَّعهُ	فَبئسَ مُستودِعُ العلمِ القَراطِيس[3]

(١) محمد بن بشـير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سـنان الخارجي (نسبة إلى خارجة عدوان) (٥٠ - ١٣٠هـ): شـاعر أموي عاش في روحاء المدينة المنورة. في شعره متانة وفصاحـة، وكان منقطعًا إلى أبي عبيدة بن زمعة القرشـي، ولم يتصل بالخلفاء ولم يمدح في شعره إلَّا زيد بن الحسن بن علي، ورثى سليمان بن الحصين وكان خليله، وقد جزع عليه عند موته جزعًا شديدًا. انظر: (الموسوعة الشعرية).

(٢) الأبيات من المتقارب لمحمد بن بشير. انظر: أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم، ٦٨/١ - ٦٩. وابن حبان البسـتي: روضة العقلاء، ٣٨/١. وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٦٨/١.

(٣) البيت من البسيط سمعه يونس بن حبيب عن رجل ينشده. انظر: العسكري: الحث على طلب العلم، ٦٩/١؛ وديوان المعاني: ١٤٨/١. وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٦٩/١.



قيس بن كثير[١] قال: قدم رجل إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ. قال: ما قدمت لحاجة، إلَّا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن سَلَكَ طَريقًا يَطلُبُ فِيهِ عِلمًا سَلَكَ اللهُ بِه طَرِيقًا إلَى الجنَّة، وَإِن الملَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَهَا رِضًا لِطالِب العِلمِ، وإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلعُلَماء من في السماوات وَمَنْ في الأرض حَتَّى الْحِيتَانُ في الْمَاءِ. وَفَضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ على سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. إنَّ الْعُلَمَاءَ هُم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ ومَنْ أَخَذَ به أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢].

وقال بعض العلماء: من رقَّ وجهه عن طلب العلم رقَّ علمه.

وقال رؤبة بن العجَّاج[٣]، قال: أتيت النسَّابة البكري[٤]. فقال لي: من

(١) قيس بن كثير (مُحَمَّد) بن الأشعث الكندي الكوفي، ويقال: كثير بن قيس: شامي مقبول من السادسة. روى عن أبي الدرداء في فضل العلم. وعنه داود بن جميل. روى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. انظر: المزي: تهذيب الكمال، ١٤٩/٢٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ر٧٦٠، ٣٨١/٨.

(٢) رواه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء بلفظ قريب، باب الحث على طلب العلم، ر٣٦٤١، ٣١٧/٣. ورواه الترمذي عن أبي الدرداء بلفظ قريب، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ر٢٦٨٢، ٤٨/٥.

(٣) رؤبة بن العجاج (عبد الله) بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف (أبو مُحَمَّد) (ت:١٤٥هـ): شاعر فصيح راجز، وإمام فِي اللغة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. أقام بالبصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة. مات في البادية مسنًا، فقال الخليل: «دفنا الشعر واللغة والفصاحة». له: «ديوان رجز». انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٤/٣.

(٤) أبو ضمضم النسابة البكري (ق:٢هـ): أحد بني عمرو بن مالك بن ضبيعة، ينتهي إلى بكر بن وائل،: كان نصرانيًا. روى عنه رؤبة بن العجاج. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٦١/٥. بكر أبو زيد: طبقات النسابين، ٧/١.

أنت؟ فقلت: أنا ابن العجاج. قال: ما أتى بك إلينا؟ قال: قلت: العلم. [قال:] كأنك من قوم يأتوننا، إن سكتنا لم يســألونا، وإن حدَّثنا لم يعوا عنا. قلت: أرجو أن لا أكون منهم. قال: فما أعداء المــروءة؟ قلت: للعلم أَتيت /٥١/. قال: بنو عم السوء إن رأوا حسنة دفنوها، وإن رأوا سيئة أذاعوها. ثم قال: يا رؤبة، إن للعلم آفة وهجنةً ونكرًا؛ فأما الآفة فنسيانه، وأما الهجنة فنشره في غير أهله، وأمَّا نُكْره فالكذب فيه.

أرطاة بن المنذر[١] قال: لا يزال المرء متعلمًا ما دام في الدنيا، فإذا قال: قد اكتفيت، فهو أجهل ما يكون بأمر الله تعالى.

قال إســماعيل: العجب لمن لا يطلــب العلم، كيف تدعوه نفســه إلى مكرمة.

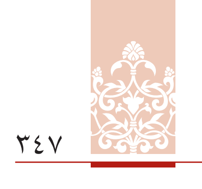
ويقال: العلم أوسع من العمر، فمهما عمَّر المرء فواجب عليه طلب العلم.

عون بن عبدالله[٢]: إن رجلًا أتى أبا ذر. فقال: يا أبا ذر إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال له: تعلم العلم؛ فإنك إن توسد العلم خير لك من أن توســد الجهل. ثم جاء إلى أبي الدرداء، فقال له مثل ذلك. وقال له أبو الدرداء: تعلم العلم، فإنك إن تمت عالمًا خير لك من أن تموت جاهلًا.

---

(١) أرطأة بن المنذر بن الأسود الألهاني السكوني الحمصي، أبو علي (ت:١٦٣هـ): ثقة حافظ زاهد معمّر. سمع سعيد بن المســيب وكبار التابعين. وكان أبو اليمان يشبِّه به ابن حنبل. أتى عمر بن عبدالعزيز ففرض له في خيله. روى له أبو داود والنســائي وابن ماجه. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٤٦/٣. الذهبي: العبر في خبر من غبر، ٤٤/١.

(٢) عون بــن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، أبو عبــدالله: محدث زاهد. روى عن ابن المسيب، والشــعبي، وابن عباس، وابن عمر وعائشــة وغيرهم، ويقال: إن روايته عن الصحابة مرســلة. روى عنه: أخوه حمزة وقتادة والزهري وأبو حنيفة وغيرهــم. وثقه أحمد وابن معين والنسائي. روى له الجماعة سوى البخارى. انظر: العيني: مغاني الأخيار، ر٢٠٣٢، ٤٨٧/٣.



قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا؛ أمَّا طالب العلم فإنه يزداد إلى الرحمٰن رضى، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٧)، وأما طالب الدنيا فإنه يزداد طغيانًا، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦، ٧).

وخير أيام المرء أيام أفناها في طلب العلم ودرسه.

قال عبد الله: والذي لا إلٰه غيره لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغنَّه الإبل لرحلت إليه. وفي خبر: لأتيته.

قال أفلاطون: محب الشرف هو الذي يتعب نفسه بالنظر في العلم.

وقال بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه، فَإِنَّهُ قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه شيء بكثير الخير، ولن ينعت للخير إِلَّا القلة[1]، فَأَمَّا كثرته فَإِنَّهَا الأمنية.

قال عليّ بن أبي طالب: إِنَّمَا زهد الناس في طلب العلم لمَا يرون من قلة انتفاع من علم بما علم.

وقال بعض الحكماء: لا تتعلموا العلم لثلاث، ولا تتركوه لثلاث، لا تتعلموه للتداري ولا للتماري ولا للتباهي. ولا تدعوه رغبة عنه، ولا رضا بالجهل عنه، ولا استحياء من التعلم.

والتداري: هو التنازع والتدافع، والأصل فيه التدارُؤ، فترك الهمزة ونقل الحرف إلى التشبيه بالتقاضي والتداعِي. تدارأ القوم، تدارؤا وادَّارؤوا: إذا اختلفوا وتنازعوا. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا﴾ (البقرة: ٧٢).

(١) في (ت): أهله.

قال أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «مَن تَعَلَّـــمَ العِلمَ لِيبَاهِيَ بِه العلمـــاءَ، وَيُماريَ بِه السفهاءَ، فَهُو فِي النَّارِ .

وفي خبر: «**مَن طَلَبَ العِلمَ لغيرِ اللهِ، أو أَرَادَ بِه غيـــرَ اللهِ، فَليتبَوَّأْ مَقعدَه من النّارِ**»[١].

وفي خبر: «**مَن طَلَـــبَ عِلمًا لِيصِيبَ بِه عَرَضًا مِـــن الدُّنيَا لَم يَجِد عَرفَ الجَنَّة يَومَ القِيَامَة**»[٢].

وفي خبر: «**لَا تَتَعلَّمُوا العِلمَ لِتُبَاهُوا بِه العلماءَ، ولَا تُمَارُوا بِه السُّـــفهاءَ، ولَا تَخَيّروا به المجالِسَ، فَمن فَعلَ ذَلك فَالنَّارُ النَّار**»[٣].

أمُّ سلمة قَالَت: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تَعَلَّمَ عِلمًا لِيدَارِيَ بِه النَّاسَ فَهُو فِي النَّار**»[٤]. ويقال: إنَّ الرجـــل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه حَتَّى يكون لله عَزَّوَجَلَّ .

وعن سفيان أنَّه قال: تعلَّمنا العلم لغير الله فأبى إلَّا أن يكون لله عَزَّوَجَلَّ .

وقَال عبد الله بن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلَّنا على ترك الدنيا.

(١) رواه الترمذي في ســـننه عن ابن عمر بلفظ قريب، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، ر٢٦٥٥، ٥/٢٣. ورواه النسائي في السنن الكبرى عن ابن عمر بلفظ قريب، باب من تعلم العلم لغير الله، ر٥٩١٠، ٣/٤٥٧.

(٢) رواه عن أبي هريرة بلفظ قريب مع زيادة في وســطه: أبو داود في ســـننه، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، ر٣٦٦٤، ٣/٣٢٣. وابن ماجه في سننه، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ر٢٥٢، ١/٩٢. وأحمد في مسنده، ر٨٤٣٨، ٢/٣٣٨.

(٣) رواه عن جابر بـــن عبد الله بلفظه: ابن ماجه في ســـننه، باب الانتفـــاع بالعلم والعمل به، ر٢٥٤، ١/٩٣. وابن حبان فـــي صحيحه، ذكر وصف العلم الـــذي يتوقع دخول النار في القيامة لمن طلبه، ر٧٧، ١/٢٧٨.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

جابر بن زيد أنَّ النَّبِـيّ ﷺ قال: «**مَن تَعَلَّمَ العِلمَ لِيباهِـيَ بِهِ العلماءَ، أَو يُمارِيَ به السُّفهاءَ، أو يَصرفَ بِهِ وُجوهَ النَّاسِ إِليهِ فَهُو في جَهَنَّمَ**»[١].

وقال عبد السلام بن ربيعة[٢]: لا تطلب العلم رياء ولا تتركه حياء.

وقال الخليل: تربَّع الجهل بين الحياء والكبر في العلم.

والعلم بالتعلُّم بدليل قول الله ﷻ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ (البقرة: ٣٢)، /٥٢/ ألَا ترى الملائكة علـى قربهم من الله ﷻ ومنازلهم منه ﷻ قالوا ذلك، وقوله جل ذكره لنبيه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ (النساء: ١١٣).

فصل منه

ابن عبَّاس: في قول الله ﷻ: ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (القمر: ١٥)، فهل من طالب علمٍ فيعان عليه. وقيل: هل من مزدجر عن مَعاصي الله.

عن مكحول[٣]: في قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠) يعني به: طلب العلم.

---

(١) رواه الربيع عن أنس بلفظ قريب، باب (٥) في طلب العلم، ر٣٣. وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة بلفظ قريب، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ر٢٦٠، ٩٦/١.

(٢) عبد السلام بن ربيعة: لم نجد مـن ذكره أو ترجم له. ولقد وجدنا هـذا القول ينسب إِلَى الواعظ الزاهد أبي زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي (ت:٢٥٨هـ). انظر: الأصبهاني: حلية الأولياء، ٢٧٠/٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٥/٥.

(٣) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الشامي، الهذلي بالولاء، أبو عبد الله (ت: ١١٢هـ): محدث فقيه الشـام في عصره. أصله من فارس وولد بكابل. ترعرع بها وسـبي ثُمَّ أعتق. رحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرًا من البلدان، واستقر في دمشق. وتوفي بها. كان في لسانه عجمة: يجعل القاف كافًا، والحاء هاء. قال عنه الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨٤/٧.

ويقـال: إن الحسن بن دريد[١] عطش في بعض أسفاره في طلب العلم فاستسقى فأتي بكوز فيه ضفدع، فأخذه وشربه، ثم قال:

ألا إن هذا العلـم ليس بمدرك ... براحـة نفس قد تصان وتودع
وطالب هذا العلم يحتمل الأذى ... ويشرب من الكوز الذي فيه ضفدع[٢]

ابن عبَّاس: سمعت النَّبِيّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ ارْحَم خُلَفَاءَنَا**». فقلنا: يا رسول الله من خلفاؤكم؟. قال: «**الذِينَ يَأْتُونَ بَعـدِي يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي وَيُعلِّمونها النَّاس**»[٣]. وفي خبر آخر: «**الذِينَ يُحيُونَ سُنَّتِي، وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللهِ**»[٤].

وفي الحديث: «**ما من عَاشِية أدوم أَنَقًا**[٥] **ولا أبعد مَلالاً من عَاشِيَة العِلمِ**»[٦]، والعشو: إتيانك النار ترجو عندها خيرًا أو هدى.

وقال الحطيئة[٧]:

مَتَى تَأْتِه تَعْشُـو إِلَى ضَوءِ نَارِه ... تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِندَهَا خَيْرُ مُوقِدِ[٨]

---

(١) الحسن بن دريد: لعله والد اللغوي المشهور ابن دريد مُحمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر (ت: ٣٢١هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٢) البيتان من الطويل، لم نجد من ذكرهما.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس بلفظه، ر٥٨٤٦، ٧٧/٦.

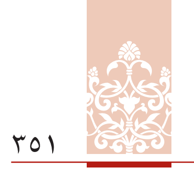
(٤) ذكره ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ٤٦/١.

(٥) في جميع النسخ: «وأبقى». وهو سهو، والصواب ما أثبتنا من كتب اللغة، كالعين، والنهاية في غريب الأثر، مادة: (أنق). وأساس البلاغة، ٢٣/١. والأَنَـقُ من التأنُّق: وهو الإعجاب بحسن الشيء وجماله.

(٦) انظر: ابن الجوزي: غريب الحديث، ٤٥/١.

(٧) الْحُطَيْئَة هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية (ت:٤٥هـ): شاعر مخضرم هجَّاء عنيفٌ، لم يكد يسلم من لسانه أحد، حتى أمَّه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٨/٢.

(٨) البيت من الطويل، ينسب للحطيئة في كتب الأدب واللغة. انظر: العسكري: ديوان المعاني ٤٣/١. وذكر للنابغة أيضًا في ديوانه، ص ١٠٤.



وفي الحديث: «**اغْدُ عَالمًا أو مُتعَلِّمًا، ولَا تَكُن إِمَّعَة**»[١].

الإمَّعة: الذي يقول لِكُلِّ واحد: أنا معك. ويقال: هو الأحمق.

ابن عبَّاس: «العلم أكثر من أن يؤتى على أخذه، فخذ من كُلّ شيء أحسنه».

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**العِلمُ أكثر من أن يدرك، فخذوا من كل شيء أحسنه**»[٢].

أنس بن مالك عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**التفقُّهُ فِي الدِّينِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسلمٍ، أَلَا فَتعلَّمُوا العِلمَ وَعَلِّمُوا وتَفَقَّهوا وَلَا تَموتُوا جُهَّالًا**»[٣].

وعن أنس بن مالك أَنَّهُ سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إِنَّ طَلَب العِلمِ فَريضَة، ألا إنَّ طَلب العِلم فَرِيضة**»[٤].

قيل لأنو شروان: ما لكم لا تستفيدون من العلم شيئًا إِلَّا زادكم ذلك عليه حرصًا؟ قال: لأَنَّا لا نستفيد منه شيئًا إِلَّا ازددنا بعظم منفعته علمًا. قيل: فما بالكم لا تأنفون من التعليم من كُلّ أحد؟ قال: لعلمنا بأن العلم ينفع من حيث أخذ.

وقيل لبُزْرُجُمِهْر: بم أدركت ما أدركت؟ بتبكير[٥] كتبكير الغراب، وصبر كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنزير.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر، مادة: (إمع).

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، ١/٣٠.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. وقد سبق تخريجه فِي حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

(٥) كذا في (س)، وأشار إِلَى نسخة فقال: «خ بأول البكور»، وهو ما فِي النسخة (ت).



وقيل لآخر: بم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: بقلب ذكيّ، وأبٍ غنيّ.

وقيل لابن الكلبـيّ[١]: بم بلغت ما بلغت؟ قال: بلسان سـؤول، وقلب عقول. وروي ذلك أيضًا عن ابن عبَّاس.

وكان يقال: ما ازداد أحد علمًا إِلَّا ازداد عليه حرصًا.

وقف بعض المتعلمين بباب عالم ثُـمَّ نادى: تصدَّقوا علينا بما لا يُتعب ضرسًا، ولا يُسقم نفسًا؛ فأخرج له طعام. فقال: حَاجتي إلى كلامكم أشدّ من حاجتي إلى طعامكم؛ إنِّي طالب علم هـدى لا طالب ندى، فأذن له العالم فأفاده من كُلّ ما سـأل عنه فخرج جذلان فرحًا وهو يقول: عِلم أَوضح لَبسًا خير من مال أغنى نفسًا.

فالأكبر أولى بالتعليم من الأصغر؛ لأَنَّ الأولى بالكبير أن يكون شـيخًا متعلِّمًا، ولا يكون شيخًا جاهلًا.

وحكي عن بعض الحكماء رأى شـيخا يحبّ النظر في العلم ويستحي /٥٣/. فقال: يا هذا، أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مِمَّا كنت أوَّله؛ لأَنَّ الصغير أعذر، وإن لم يكن في الجهل عذر.

وقيل في الحكمة: جهل الشـباب معـذور وعليه محقـور، فَأَمَّا الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح[٢].

وليكن طالب العلم راغبًا راهبًا؛ أمَّا الرغبة ففـي ثواب الله، وَأَمَّا الرهبة [فمن] عقاب الله.

---

(١) ابن الكلبي هشـام بن محمد أبي النضر ابـن السائب الكلبي، أبو المنـذر (ت:٢٠٤هـ): مؤرخ عالم بالأنسـاب وأخبار العرب وأيَّامها، كأبيه. ولد وتوفـي بالكوفة. له نيِّف ومائة وخمسون كتابًا، منها: «جمهرة الأنساب»، و«الأصنام» و«نسب الخيل» و«بيوتات قريش»... انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٨٧.

(٢) في (ت): أوضح.



وقَالَت العلماء: أصل العلم الرغبة، وثمرته السعادة.

وقال بعض الحكماء: العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكِّر، ولسان معبِّر، وبيان مصوِّر.

وقال الإسكَندر: يحتاج طالب العلم إلى أربع: مُدَّة(١)، وجِدة، وقريحة، وشهوة، وتمامها في الخامسة: معلِّم ناصح(٢).

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**مَنهُومَان لَا يَشبَعَانِ: طَالِبُ العِلمِ وَطَالِبُ المالِ**»(٣).

وعن أنس: بلغني أن النَّبِيّ ﷺ قال: «**أيها الناس، إِنَّمَا هو مَنهُومَان، فَمَنهُوم مِن المَالِ لَا يَشبَعُ، وَمَنهُومٌ مِنَ العِلمِ لَا يَشْبَعُ**»(٤). المنهوم: المولع بالشيء لا يشبع منه.

فصل منه: [في البدعة]

روى أبو هاشم: أنَّ معاذ بن جبل قام خطيبًا فقال: «أيُّها الناس، تعلَّموا العلم قبل أن يُرفع، ألَا وإنَّ رفعه ذهابُ أهله. ألَا وإيَّاكم والبدع، وعليكم بأمركم العتيق». والبدعة بدعتان: بدعة حسنة، وبدعة لا تجوز.

والمراد من هذا الحديث: هي البدعة التي لا تجوز. ومعنى البدعة: أَنَّهُ يفعل شيئًا لم يكن قبلًا. والله |سبحانه و|تعالى بديع السموات والأرض يبدعهما وما بينهما ولم يكونا شيئًا.

---

(١) في (ت): عدة. والمدة هي الزمن الذي ليس بالقليل فِي التفرغ لطلب العلم واقتناص درره.

(٢) في (س): ناضج.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود بلفظ: «...وطالب دنيا»، ر١٠٣٨٨، ١٠/١٨٠. والقضاعي في مسند الشهاب، ر٣٢٢، ١/٢١٢.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه عن أنس بلفظ مختلف، كتاب العلم، ر٣١٢، ١/١٦٩.

والبِدْعُ: الشـيء يكـون أَوَّلًا في كُلّ أَمـر، كمـا أنزل في هذه الآية: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٩)، أي: لست بأوَّل مرسل.

وقَال الشاعر:

فلسـت ببـدع مـن النائبـات ونقـض الأمـور وإبرامهـا[١]

ويقال للأمر الأَوَّل الذي لا يتقدَّمه مثله: بدع وبديع.

قال الشاعر:

لا تلُومُوا فلستُ في الحبِّ بِدعًا لَم أُلاقِ الْهَوَى مِنَ النَّاسِ وَحْدِي[٢]

وقال الأحوص[٣]:

فَخَرَتْ فانْتَمَـتْ فقلتُ انْظُرِيني ليـس جَهْـلٌ أَتَيْتـه ببدِيـعِ[٤]

وأصل البدع ما قد ذكرته، ثُمَّ كثر في كلامهم حَتَّى قالوا للجديد: بِدع.

والبدعة: اسـم ما قد ابتدُع من الدين وغيره، يقول: لقد جئت بأمر بديع عجيب، والتنطُّع: التعمُّق في الكلام.

وقال:

إذا غلـبَ الشـقاءُ على سـفيهٍ تنطَّـعَ فـي مخالفـةِ الفقيهِ[٥]

---

(١) ذكره صاحب العين ولم ينسبه، وجاء بلفظ: «ونقض الخطوب وإمرارها». انظر: مادة: (بدع).

(٢) لم نجد من ذكره أو نسبه.

(٣) الأحـوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري (ت: ١٠٥هـ): شـاعر إسـلاميٌّ أمويٌّ هجَّاء، من طبقة جميل بـن معمر، وعاصر جريرًا والفرزدق. لقِّب بالأحوص لضيق في عينه. سكن المدينة، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى دهلك (جزيرة بين اليمن والحبشة) فبقي إلى أن أطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٦/٤.

(٤) البيت من الخفيف للأحوص في ديوانه، ص١٣٢؛ بلفظ: «..فقلت ذريني..».

(٥) البيت من الوافر للشافعي في ديوانه، ص١١٩.



وجمع البدعة: بِدَعٌ.

ويروى عن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**إِذَا ظَهَرت البِدَعُ فَليُظهِر العَالمُ عِلمَه، فَإِن لم يفعلْ فَعليهِ لعنةُ اللهِ ولعنةُ اللّاعِنين - إِلَّا أن يكون له عذر -، وَلَا يُقبلُ مِنه صَرف وَلا عدل**»[1]. والصَّرف: الفريضة، والعدل: النافلة.

وقيل: حفظ مسألة خير من عبادة ستين سنة.

وأقلُّ[2] ما قيل: حفظ مسألة من سائر العلوم خير من عبادة سنة.

وقيل: من لم يتعلَّم لم يتَّق، ومن لم يتَّق هلك.

وقَال عبد الله: تعلَّموا، فإذا تعلمتم فعلِّموا واعملوا.

وقَال: إذا تَعلمتم علمًا فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بباطل فتمجّه القلوب.

وقال شيخي: قوم يشربون العلم شربًا لا يجاوز حناجرهم.

فصل منه

وتعليم العلم فريضة في كتاب الله ﷻ؛ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ...﴾ الآية (التوبة: ١٢٢)[3]، وذلك أَنَّهُ كان الناس في عهد رسول الله /٥٤/ ﷺ يخرجون جميعًا في الجهاد، فنزلت هذه الآية ترغيبًا منه لهم في العلم، أن يقيم

(١) رواه الربيع عن جابر بن زيد مرسلًا بلفظ قريب، الأخبار المقاطيع عن جابر في الإيمان والنفاق، ر٩٤٣.

(٢) في (ت): وقيل. وفي (س): وقال. ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) وتمامها: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

بعضهم ويغزو بعضهــم، فيقدم الغازون فيخبرهم القاعــدون بما أحدث الله تعالى إلى نبيّه ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية.

وبلغنا: [أنَّ أعمال] البرّ كُلّها عند الجهاد في سبيل الله تعالى كتَفْلَة[1] في بحر، وأعمال البرِّ كُلّها والجهاد في ســبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة في بحر، وَكُلُّ ذلك عند طلب العلم كتفلة في بحر.

مسألة: [في فضل العلم]

وعلم النـــاس بفرض تعلّم العلـــم هو وقت له، وتعليم بـــاب من العلم أفضل من مائـــة ركعة، وتعليم الرجل الرجل بابًا مـــن العلم أفضل من ألفِ ركعة، وحفظ مسألة خير من عبادة ستِّين سنة، وقيل: أكثر من ذلك.

قال أبو محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي المســألة التي هي على الإنســان فرض، مثل التوحيد وما لا يسعه جهله مِمَّا لا يعذره الله تعالى به، مِمَّا يكون به خلاصه من النار.

وعن الوضَّاح[2] قال: حِفظ مسألة خير من عبادة مائة سنة.

أبو أيوب الأنصاري قال: قال رســول الله ﷺ: «**مَســألةٌ وَاحِــدَةٌ يَتَعَلَّمُهَا المؤمِنُ خَيرٌ لَه مِن عِبَادةِ سَنَة، وَخَيرٌ لَه مِن عِتقِ رَقَبَةٍ مِن وَلَدِ إِسمَاعيلَ، وَإنَّ**

(١) التَّفْلُ: رَمْيُكَ بالبُزاق، والتُّفْل: البُزاقُ نفسه. انظر: العين، (تفل).

(٢) الوضَّاح بن عقبة النزوي، أبو زياد (بعد: ٢٣٧هـ): عالم فقيه من نزوى بداخلية عُمان. أخذ العلم عن موســى بن علــي ومحمد بن محبوب وغيرهمــا. كان من رجــال دولة الإمام المهنا بن جيفر. من مبايعي الإمام الصلت بن مالــك (٢٣٧هـ). وكان مرضيًا مطاعًا مفتيًا ناصحًا لا يخاف في الله لومة لائم. من الذين اجتمعوا فــي عهد الإمام المهنا للفصل في قضية خلق القرآن. انظــر: تحفة الأعيان، ١٥٤/١... إتحاف الأعيــان، ٤٢٤/١. نزوى عبر الأيام، ص ٨٢، ٩١.



طَالِبَ العِلمِ والمرأَةَ المطيعةَ لزوجِها والولدَ البَارَّ بِوَالِدَيهِ يَدخُلُونَ الْجَنَّةَ مع الأنبِياءِ ـ صلى الله عليهم ـ بِغيرِ حِسَابٍ»[(١)].

وأفضل الأشياء بعد الفرائض طلب العلم، وهو أيضًا من الفرائض إذا لم يطلبه طالبه لمباهاة، ولا لمماراة، ولا لذكر في الناس، ولا لعِظَم قَدر وَجَاهٍ، فمن طلبه لذلك فهو خاسر هالك.

وقد قال بعضهم: إنِّي رأيت الناس في دهرنا لا يطلبون العلم للعلم إِلَّا مباهاة لإخوانهم، وحجَّة للخصم، والظلم.

كان بعض العلماء يقول: تعلَّموا العلم فإن كنتم مُلوكًا فُقتم، وإن كنتم وسطًا سُدتم، وإن كنتم سُوقة عِشتم.

وقال هارون بن المأمون لأبيه[(٢)]: ما حدُّ التعليم؟ قال: الحياة.

وقال بعض الحكماء لبنيه: يا بَنيَّ، تعلَّموا العلم، فإن لم تنالوا به [من] الدنيا حظًّا فلأن يُذمّ الزمان لكم خير من أن يُذمَّ الزمان بكم، وخير التعليم ما كان في الصغر.

وسمع الأحنف بن قيس رجلًا يقول: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أَكبر عقلًا، وأشغل قلبًا.

وروي عن أبي الدرداء عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَثَلُ الذي يَتَعَلَّم فِي صِغَرِه كالوَشْيِ عَلَى الحَجَر، وَالذِي يَتَعلَّم في الكِبَرِ كَالذي يَكتُب عَلى الماءِ**»[(٣)].

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال عن أبي أيوب الأنصاري، وعزاه إلى أبي بكر النقاش والرافعي في تاريخه. انظر: كنز العمال، ر٢٨٨٢٨، ١٠/٦٩.

(٢) هارون بن المأمون: هو ابن أبي العباس المأمون عبدالله بن هارون الرشيد (ت:٢١٨هـ) سابع خلفاء العباسيين في العراق، وقد سبقت ترجمة والده.

(٣) ذكره العجلوني والهندي بلفظ قريب، وقالا: «رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن =

وقال عليّ: قلب الحدث كالأراضي الخالية، ما ألقي من الشيء فيها قبلته.

وقال يحيى: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون.

قال الأصمعي: رآني أعرابي وأنا أطلب العلم، فقال لي: يا أخا الحضر، عليك بلزوم ما أنت فيه، فإنَّ العلم زين للمجلس، وصلة بين الإخوان[١]، والصاحب فِي الغربة، ودليل على المروءة. ثُمَّ أنشأ يقول:

تعلم فليسَ المرءُ يولدُ عالمًا وَلَيْسَ أخو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وإنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عَلَيهِ الْمحَافِلُ[٢]

وقال أيضًا: رآني أعرابي وأنا أكتب كُلّ ما أسمع، فقال لي: ما أنت إِلَّا الحفظة تكتب لفظ اللفظة.

وقال أَيْضًا: وقد رآني أكتب كُلّ ما أسمع، فقال لي: أنت حتف الكلمة الشاذة.

وقَال بعضهم: كنت عند بعض العلماء، فكنت أكتب بعضًا وأدع بعضًا. فقال لي: /٥٥/ أكتب كُلّ ما تسمع، فإنَّ أحسن ما يُسمع خير من مكانه أبيض.

= أبي الدرداء مرفوعًا»، ولم نجده في معجمه. انظر: كشف الخفاء، ر١٧٥٧، ٦٦/٢. كنز العمال، ر٢٨٨٢٨، ٦٩/١٠.

(١) فِي (ت): «وصلة للإخوان».

(٢) البيتان من الطويل للشافعي في ديوانه، ص٨٨. والتحقيق أن هذه النسبة غير صحيحة، فقد ورد ذكره قبل ذلك على لسان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لَمَّا وفد إليه أهل الحجاز، وتقدمهم في الكلام غلام منهم، فأنشد عمر هذين البيتين. انظر: الأبشيهي: المستطرف، ١٠٧/١.



قال عمر رَحِمَهُ اللهُ: تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم السكينة والحلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

وعن أبي الدرداء أَنَّهُ قال: أُغد عالمًا أو متعلِّمًا ولا تكن الثالث فتهلك.

وعن الحسن: يا ابن آدم، لا عالم ولا متعلِّم؟! طغيت والله.

وقال سفيان: أوَّل العلم الإنصات، ثُمَّ الاستماع، ثُمَّ الحفظ، ثُمَّ النشر.

وقال قتادة: لو اكتفى أحد من العلم لاكتفى نجيّ الله موسى ـ صلوات الله عليه ـ حيث قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٦).

وقيل: لَمَّا خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الخضر انتهى إلى البحر، فإذا هو قائم فوق الماء، فَلَمَّا رأى موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟! قال: نعم. قال: لقد كان لكم في التوراة علم وفي بني إسرائيل شغل. وقيل: وجدَه قائمًا يصلِّي، وعليه جبَّة من صوف.

وزعم مقاتل[١] أن اسمه اليسع. وسمِّي اليسع؛ لأَنَّ علمه وَسِع سبع سماوات وسبع أرضين. قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؛ أي: علمًا.

قال مقاتل: قال الخضر: كفى بالتوراة عِلمًا وببني إسرائيل شغلًا. فأعاد عليه موسى الكلام. فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٧).

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، أبو الحسن (ت: ١٥٠هـ)، مفسر فقيه، محدث متروك الحديث، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، له: التفسير الكبير، والقراءات... وغيرها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨١/٧.

فصل منه: [في تعليم القرآن والعلم أيُّهما أفضل]

اختلف الناس في تعليم القرآن والعلم أيُّهما أفضل؟

قال بعضهم: تعليم القرآن أَولى؛ لأَنَّه الأصل، ومنهم أبو معاوية(١).

وقال موسى(٢): تعليم العلم أَولى؛ لِأنَّ القرآن يؤخذ من عند الثقات وغير الثقات، والعلم لا يؤخذ إِلَّا من عند الثقات، ومنهم سليمان بن عثمان(٣).

وقد روي أنَّ رجلًا جاء إلى النَّبِيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمني العلم. فقال: «**اذْهَبْ فَتَعَلَّم القرآن**». ثُمَّ عـاد فقال له مثل ذلك. ثُمَّ عاد فقال له مثل ذلك. ثُمَّ عاد فقال له مثل ذلك. ثُمَّ عاد إليه في الرابعة فقال له: «**اقْبَل الْحَقَّ مِمَّن جاءكَ به أَجْنَبِيًّا كَانَ أَو قَرِيبًا، وَرُدَّ البَاطِل عَلَى مَن جَاءَك بِهِ حَبِيبًا كَانَ أَو بَغِيضًا، وتَعلَّم القرآن ومِل معه حيثُ مَالَ**»(٤).

---

(١) عزان بن الصقر، أبو معاوية (ت:٢٧٨هـ): عالم فقيه أزدي يحمدي خروصي. سكن نزوى بداخلية عُمان. أخذ عن: محمد بن محبوب وموسـى بن علـي وغيرهما. من رجال دولة الإمـام عبد الملك بن حميـد (حَكـم: ٢٠٧ - ٢٢٦هـ)، ومن كبار أهل الـرأي فِي إمامة الصلت بـن مالك. قيل عنه وعـن الفضل بن الحـواري: «إنهما في عُمـان كالعينين في جبين»، لعلمهما وفضلهما. له آثار كثيرة يرويها عن شيخه ابن محبوب وجوابات معه. وله مذهب خاص خالف به العلماء فيما لا يسع جهله من العلم. انظر: تحفة الأعيان، ١/١٣٤، ١٦٤. إتحاف الأعيان، ١/١٩٥ - ١٩٦. الفارسي: نزوى عبر الأيام، ص ٨٠.

(٢) هو: أبو علي موسى بن علي بن عزرة (ت: ٢٣٠هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٣) سـليمان بن عثمان، أبو عثمان (بعد: ١٩٢هـ): عالم فقيه من عقـر نزوى. أخذ عن حملة العلم إِلَى عُمان كموسى بن أبي جابر. وعنه أخذ: موسى بن علي وغيره كان قاضيًا للإمام الوارث بن كعب الخروصي، ثم قاضيًا للإمام غسـان بن عبد الله (حَكَم: ١٩٢ - ٢٠٧هـ)، ومن جملة المبايعين للإمام غسان سـنة ١٩٢هـ، وتوفي فِي عهده. له آراء فقهية منثورة. انظر: إتحاف الأعيان، ١/٤٢٨. معجم أعلام إِبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

(٤) رواه الديلمي في الفردوس عن ابن مسعود بمعناه، ر١٧٦٢، ١/٤٣٣.



وتعليم القرآن فرض على الكفاية (إذا قام به البعض سقط عن الباقين الفرض) إِلَّا ما يُقام به الصلاة.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «**خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَه**»[١]؛ وتعليم القرآن[٢] فرض على كُلّ مسلم[٣].

سفيان بن عيينة: أحوج الناس إلى تعليم العلم وطلبه العلماء؛ لأَنَّهُم أعلام يقتدى بهم.

قيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «اتَّخِذ نعلين من حديد، وعصا من حديد، واطلب العلم حَتَّى تنكسر العصا، وينخرق النعل».

وفي مناجاة موسى عليه السلام أَنَّهُ قال: «يا ربّ، من أعلم عبادك؟» قال: «من يزداد من علم الناس إلى علم نفسه».

ويقال: لا يكون عالمًا حَتَّى يكون متعلِّمًا.

وقال مُحَمَّد بن محبوب: لا يزال العالِم عالما ما دام يتعلَّم، فإذا رأى أَنَّهُ قد استغنى فهو جاهل.

سعيد[٤] بن المسيب قال: كنتُ أسير الأيَّام والليالي في طلب الحديث الواحد حَتَّى أَسمَعَه.

عكرمةُ: في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

(١) رواه البخاري عن عثمان بن عفان بلفظه، باب خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٤٧٣٩. وأبو داود مثله، باب في ثواب قراءة القرآن، ر١٤٥٢.

(٢) في (س): العلم.

(٣) في (س): «كُلّ حليم خ مسلم».

(٤) في (س): سفيان.

(النساء: ١٠٠)[(١)]، قال: إن اســمه ضمرة بن العيص[(٢)]. قال: طلبت اســمه أربع عشرة سنة حَتَّى وقفت عليه.

ويقال: اطلب العلوم من مظانِّها؛ أي: مــن مواضعها التي تظنّ بها وتعرف وتطلب.

ويقال: موضع كــذا وكذا مظنة، مظنَّة من فــلان؛ أي: معلم ومعدن. وقال النابغة:

[فَإِن يَكُ عَامِر قَــد قَالَ جَهلًا] فــإِنَّ مَظِنَّــةَ الجَهْلِ الشَّــبَابُ[(٣)]

وَالمَظِنَّة: المنزل.

وقال الشاعر:

موسومة بالحســنِ ذات حَوَاسد إنَّ الجمــال مَظِنَّــة لِلحَسَــد[(٤)]

عن النَّبِــيّ ﷺ أَنَّهُ جاء رجل مــن مراد يقال له: صفوان بن عَسَّــالٍ المــرادِيّ[(٥)]، وهــو متَّكــئ على بُرد لــه أحمر فــي المسجــد، فقال: «يا رســول الله ـ صلى الله عليك، إنِّي جئت أطلب العلم». فقال: «**مَرحَبًا بِطالِبِ العِلم، إِنَّ طالِبَ العِلمِ لَتَحُفُّ بِهِ المَلَائِكَةُ ـ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِم ـ، وَتَكِنُّهُ بِأَجْنِحَتِهــا، فَيَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَــى بَعضٍ حَتَّى يَبْلُــغَ إِلَى قَوَائِمِ**

(١) وتمامها: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٢) ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنبــاع الخزاعي (ق:١هـ): صحابي جليــل. نزل فِيه قوله تعالــى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾، وذلك لما أمــر الصحابة بالهجرة وكان مريضًا فأمر أهله أن يفرشوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله ﷺ؛ فأتاه الموت وهو بالتنعيم. انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢٢٥/١.

(٣) البيت من الوافر للنابغة الذبياني في ديوانه، ٨/١.

(٤) البيت من الكامل لمحمد بن بشير في ديوانه، ١٢/١.

(٥) في جميع النسخ: صفوان بن غسان المرادي، والصواب ما أثبتنا من كتب الحديث.

العَرْش، وَيَسْــتَغْفِرُونَ /٥٦/ لَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيتَرَحَّمُونَ عَلَيهِ لِفَرِحِهِم بِمَا يَطْلُبُ»[١].

أبو أمامة الباهلي عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَلَّمُوا. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيكُم بِالعِلم قَبْلَ أن يُرفَعَ وقَبْلَ أَنْ يُقبَضَ. والعَالِمُ والمُتَعَلِّمُ كَهَذِهِ مِن هَذِهِ ـ وجمع بين أصبعيه الوسطى والذي يليها ـ شَرِيكَان فِي الخَيْرِ، وَلَا خَيرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ**»[٢].

وقال بعض الحكماء: الناس ثلاثة: قدوة، ومقتدٍ، والثالث لا أفلح.

وقال آخر: العالِم من ذهــب، والمتعلم من فضَّــة، والثالث من نحاس لا خير فيه.

وقــال الأزديّ: الناس ثلاثة: عالــم مرتفع، ومتعلِّم متَّبِــع، وما خلاهما منتفع، فَقْدُه أحسن به وبأهله من وجدانِه.

عن عليّ عن النبِــيّ ﷺ قال: «**مَا انتَعَل عَبدٌ قَــطّ، وَلَا تَخفَّفَ، ولَا لَبِسَ ثَوبًا ليغدُوَ فِي طَلَبِ العلمِ إِلَّا غَفَرَ اللهُ حَيثُ يَخطُو عَتَبَة بَابِ بَيتِه**»[٣].

وقال ﷺ: «**مَن خَرَجَ من بَابِ بَيتِهِ يريدُ مسجِدِي هَذا لَا يريدُ إِلَّا لتعليم خير أو يعلِّمَه كان بمنزِلَةِ المجاهِدِ فِي سبِيلِ اللهِ** ﷻ»[٤].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود بلفظ مختلف، ر٧٣٤٧، ٥٤/٨. وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ٣٢/١.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظ قريب، ر٧٨٧٥، ٢٢٠/٨. وذكره ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله عن أبي أمامة بلفظه، ٢٨/١.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس عن علي بن أبي طالب بلفظ قريب، ر٦١٣٨، ١٥٩/٤.

(٤) رواه ابن ماجه في ســننه عــن أبي هريرة بلفظه مــع زيادة في آخره، بــاب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ر٢٢٧، ٨٢/١.

قال أبو الـــدرداء وأبو ذر وأبو هريرة: «باب من العلــم نَعلَمُه أحبّ إلينا من مائة ركعة تطوّعًا»، سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الموتَ إِذَا جَاءَ طَالِبَ العلمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ مَاتَ شهيدًا**»[١].

ابن عبَّاس: سَــمعت رســول الله ﷺ يقول: «**مَــن تَعَلَّمَ عِلمًــا لِيعمَلَ بِهِ وَلِيُعَلِّمَه غَيرَه كَانَ لَه أَجْر سَــبْعِينَ شَــهيدًا**»[٢]. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِذَا جَلَسَ العَالِمُ عَلَى فِرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي عِلْمِهِ سَاعَةً كَانَ أَفضَلُ مِن عِبَادَةِ المؤمِنِ عَامًا وَاحِدًا**»[٣].

وبلغنا أن رجــلًا جاء إلى النَّبِيّ ﷺ فقال: يا رســول الله ﷺ، علِّمنِي من غرائِبِ العلمِ. قال: «**فَمَــا صَنَعْتَ فِي رَأْسِ العِلْمِ؟**» قال: يا رســول الله، وما رأس العلم؟ قــال: «**معرفة الله**[٤]». قال: «**فَمَا صَنَعْتَ فِي حَقِّه؟**» قال: ما شــاء الله. قال: «**فَهَــلْ عَرَفْتَ المَوْتَ؟**» قال: نعم. قال: «**فَمَــا أَعْدَدْتَ لَهُ؟**» قال: «ما شاء الله». قال: «**فَانْطَلِقْ فَتَعَلَّمْ رَأْسَ العِلْمِ ثُمَّ تَعَالَ فَتَعَلَّمْ غَرَائِبَهُ**»[٥].

فصل: في تعليم الأدب

عن قتادة: في قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: ٧)[٦]؛ قال: خلق السماء فَزَيَّنَهــا بالكواكب، وخلق الأرض فَزَيَّنها

(١) ذكره يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ، ٣/٣٨٠. وابــن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضلــه، ١/٢٥، ٣١، ٩٦. كلاهما ذكر الحديث عن أبي هريــرة وأبي ذر، دون ذكر لأبي الدرداء.
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٤) في (س): عرفت الله.
(٥) رواه الربيع عــن ابن عباس بلفظ مختلف، باب علمني مــن غرائب العلم، ر٨٢٦. وذكره الحكيم الترمذي بلفظ قريب، في الأمثال من الكتاب والسُّنَّة، ١/١٩١.
(٦) وتمامها: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾.



بالنبات، وخلق ابن آدم فَزَيَّنه بالأدب. قال رســـول الله ﷺ: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا خَيرًا مِنَ الأَدَبِ**»[١].

قال عبدالله بن الزبير: تعلَّموا الأدب، فـــإن كنتم أغنياء كان لكم جمالًا، وإن كنتم فقراء كان لكم مالًا.

ونظر صالح بن علي العبَّاســـي[٢] ببغداد إلى العبَّاســـيين وما صنعوا من أنفسهم، قال:

ســـوء التـــأدُّب أرداهـــم وأنزلهم وقد يشين صحيح المنصب الأدب[٣]

قيل لبعض الأدباء: متى يكون الأدب أضرّ؟ قال: إذا كان العقل أنقص.

قال ابن المبارك: أربعة يسود بهنَّ المرء: العلم والأدب والفقه والأمانة.

قال رجل لبعض الأنبياء: من أدَّبك؟ قـــال: أدَّبني ربَّ هذه وهذه، وأومأ بيده إلى السماءِ والأرض. فقال الرجل: آمنت بخالقهما.

---

(١) رواه الترمذي عن ســـعيد بن العاص بلفظ مختلف، باب ما جاء في أدب الولد، ر١٩٥٢، ٣٣٨/٤. ورواه أحمد عن سعيد بن العاص مثله، ر١٥٤٣٩، ٤١٢/٣.

(٢) صالح بن علي بن عبدالله بن عباس العباســـي الهاشمي (٩٦ - ١٥١هـ): أمير سفاح شجاع حازم. أول خليفة عباســـي ولي مصر. وهو عم السفاح والمنصور. تعقب مروان بن محمد لَمَّا فر من الشـــام وقتله ببوصير (١٣٢هـ) وفتك بمصر بكثير من أشياع بني أمية. وكانت له الديار الشامية كلها. وأنشأ مدينة أذنة (في الأناضول) وكسر الروم في وقائع مرج دابق، وكانوا نحو مئة ألف. ولد بالشـــراة (مـــن أرض البلقاء) وتوفي بقنســـرين. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٩٢/٣.

(٣) البيت من البسيط لعبدالملك بن صالح. وقد جـــاء فِي: المستطرف في كل فن مستظرف، ٥٨/١، بلفظ:

ســـوء التأدُّب أرداهـــم وأرذلهم وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وجاء في تاريخ بغداد، ٤٧٦/٩. وفي تاريخ مدينة دمشق، ١٨١/٢٩، بلفظ:

ســـوء التأدُّب أرداهـــم وغيرهم وقد يشين صحيح المنصب الأدب



ورأى أعرابيّ رجلًا من قريش يَطلب الأدب، فقـال له: يا أخا قريش، اطلـب الأدب فَإِنَّـهُ دليل علـى المروءة، وزيـادة في العقـل، وصلة في المجلس. وأنشد:

من كان للدهر حدثًا في تصرفه أهدت له صفوة الأيـام تجريبًا
من كان خلوًا من الآداب سربله كـر الليالـي والأيـام تأديبًا(١)

ومثله قول آخر:

مـن لـم يـؤدبـه والـداه أدبـه الـليـل والـنـهـار(٢)

وقيل: الشرف شرفان: شرف الحسب وهو محتاج إلى شرفِ الأدب، وشرف الأدب وهـو مسـتغنٍ عـن شـرف الحسـب. وهـو مصدِّقه قول الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب(٣) أدبًا يغني محمـوده عـن النسب(٤)

والأدب أدبان: أدب دَرسٍ، وأدب نفس؛ فـأدب النفس أفضل من أدبِ الدرس. قال الشاعر:

أَدَبُ الْـمَـرْءِ كَـلَـحْـمٍ وَدَمِ مـا حـواه جسـد إِلَّا صلـح

---

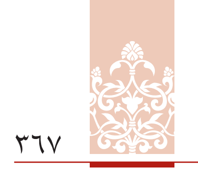
(١) البيتان من البسيط لأبـي الحكم عبدالمحسـن البلنسي. انظر: نفح الطيـب للتلمساني، ٣٢٩/٤. والتكملة لكتاب الصلة للقضاعي، ١٤٣/٣. وجاء بلفظ:

من كان للدهر خدنًا في تصرفه أبدت له صفحة الدهر الأعاجيبا
من كان خلوًا من الآداب سربله مر الليالـي على الأيـام تأديبا

(٢) البيـت من مخلع البسيط لإبراهيم بن شـكلة. انظـر: العقد الفريد، ٢٥٩/٢. والحماسـة المغربية، ١٢٢٨/٢.

(٣) فِـي النسخ: واصطنع. والتصويب مـن: العسكري: جمهرة الأمثال، ٣١٢/٢. والأبشـيهي: المستطرف، ٥٧/١.

(٤) البيت من المنسرح لعلي بن أبي طالب في ديوانه، ص٩.



لو وزنتم بأديب واحد ألف ... ألف من ذوي الجهل رجح[(١)]

وقال آخر:

كَأَنَّهُ مِنْ سُوءِ تَأْدِيبِهِ ... أَدَب فِي كِتَابِ سُوءِ الأَدَبِ[(٢)]/٥٧/

حكي أنَّ فتى من بني هاشم تخطَّى رقاب الناس عند ابن أبي داود، فقال له: يا بنيّ، إنَّ الأدب ميراث الأشراف، ولست أرى عندك من سلفك إرثًا.

وقال أبو الفتح البستي[(٣)]:

يا خادم الجسم كم تسعى[(٤)] لخدمته ... أَتطلُبُ الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[(٥)]

---

(١) البيتان من الرمل لعبدالعزيز بن سليمان الأبرش. انظر: روضة العقلاء لابن حبان البستي، ٢٢١/١. وجاء البيت الثاني بلفظ:

«لو وزنتم رجلًا ذا أدب ... بألوف من ذوي الجهل رجح»

(٢) البيت من السريع لعلي بن مُحَمَّد البسامي. انظر: روضة العقلاء، ١٢٣/١. جاء بلفظ:

كأنه من سوء تأديبه أسلم ... في كتاب سوء الأدب

(٣) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبدالعزيز البستي، أبو الفتح (ت: ٤٠٠هـ): شاعر وكاتب. ولد في بست (قرب سجستان). من كتاب الدولة السامانية في خراسان. ارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة محمود، ثُمَّ أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبًا في «أوزجند» ببخارى. له «ديوان شعر». وصاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: «زيادة المرء في دنياه نقصان». انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢٦/٤.

(٤) فِي النسخ: «تشقى». والتصويب من كتب الأدب.

(٥) البيتان من البسيط لأبي الفتح البستي. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ١٦٦/١ (ش). بهاء العاملي: الكشكول، ١١٦/١ (ش). بهاء الدين الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٣٢٣/١.

فصل: [فِي معنى الأدب]

والأدب: هو رياضة النفس على طاعة الله تعالى ﷻ.

والأدب: هو جلاء اللســـان وجلالة الإنســـان، وبه صـــحّ البيان واتَّضح البرهان، وهو مـــادة العقل، وكمال الفضل، وفيه قـــوّة العلم، وبه يقرب إِلَى الفهم، ويجب أن يبتدئ به الإنسان ليقيم به اللسان.

وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**من تَعَلَّم العِلْمَ قَبلَ الأَدَبِ فَقَدِ اســـتَعَدَّ أن يَكذِبَ عَلَى اللهِ ﷻ وَعَلَى رَسُـــولِهِ ﷺ**»(١). وذلك أن من لم يكن للأدب عارفًا كان للعلوم مُصَحِّفًا، وللكلام محَرِّفًا، فـــلا يخلو من تحريم حلال أَو تحليل حرام؛ إذ الصواب مضبوط بحركات الإعراب، وباللحن والتصحيف والتبديل والتحريف تكون الضِّعَة والكفر معًا.

وقال زهير لرجل: تعلم النحو. قال: وأي شـــيء أصنـــع بالنحو؟ قال: إن بني إسرائيل كفرت في كلمةٍ أنزلها الله تعالى في الإنجيل، وهي قوله ﷻ: «أنا وَلَّدت عيسى»، فقرؤوها مخففة: «أَنَا وَلَدْتُ عيسى» فكفروا. وقال الله ﷻ لعيسى ﵇ فِي الإنجيل: «أنت نَبِيّ وأنا ولَّدتك»، فحرَّفته النصارى فقرؤوا: «أَنَت بُنَيّ وأنا وَلَدتُك».

وكذلك ما روي عن ابن عبَّاس حيـــن بلغه أن معاوية أوتر بركعة، فقال: «وَيْحَهُ أين له هذا الجَمَّاز»؛ أي: هذا النقصـــان. فقرأه بعض المتعلِّمين: هذا الحِمَار، فصحّف أقبح تصحيف، فأثار بذلك فتنة عظيمة.

أبو عمرو الشـــيباني عن أبيه عن جدّه قـــال: إنَّ غلامًا وقف بين [يدي] الحجَّاج -حمارُ أمِّه-، فقـــال: أصلح الله الأمير، مات أبي وأنا حمل، وماتت أمي [وأنا] في نفاســـها، فنحن على المســـلمين إلى أن قمـــت مقامي هذا،

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



وكانت لي ضيعة فغلبنا عليها نــاس، وفي الأمير مأخذ للمظلوم من الظالم، وليــس على حقّ امــرئ تَــواء وإن نأى. فقــال الحجَّاج: يا غــلام، اصرف المؤدِّبين عن مُحَمَّد بن الحجاج، فإنَّ الأدبَ أدب الله تعالى ﷻ.

والتَّوَاءُ (ممدود)[١]: ذهاب مال لا يرجــى، والفعل تَوِيَ يَتْوَى تَوًى؛ أي: ذهب ماله. وتقول: تَــوِيَ الرجل؛ إذا ذهب ماله. وتقــول: أتوى الرجل ماله [فتَوِيَ فهو تَوٍ]؛ هذا عن الخليل[٢].

قال أبو العبَّــاس مُحَمَّد بن أحمد بن الوليــد[٣]: التَّوَى (مقصور): يكتب بالياء، وكذا وجدت أَيضًا عن غيره أَنَّهُ مقصور.

وقال ابن دريد:

إِذَا ذَوى الغُصْنُ الرَّطِيبُ فَاعلمَن ... أن قُــصَــارَاهُ نَـفَـادٌ وَتَــوَى[٤]

فصل: [في الأدب والمأدبة]

روى أبو عبيدة بإسناد له عن عبد الله: أنَّ كُلَّ مؤدِّب يحبّ أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله القرآن.

والأدب: مأخوذ من المأدُبة. والمأدُبة: الطعــام يُتَّخذ فيدعى إليه الناس. وكأنَّ الله ﷻ جعل القرآن أدبًا للناس يتأدَّبون به.

ويقال: آدَب فلان القوم يأدبهم؛ إذا دعاهــم إلى طعامه، وجمعهم عليه، والداعي إليه الآدب.

(١) في كتاب العين للخليل: «والتوى مقصور». انظر: العين، (أتــو). وجاء هذا اللفظ «والتواء ممدود» في محيط اللغة لابن عباد، (التواء).
(٢) انظر: نفس المصدر السابق، مادة (أتو).
(٣) أبو العباس مُحَمَّد بن أحمد بن الوليد: لم نجد من ترجم له.
(٤) البيت من الرجز، لم نجد من ذكره.

قال طرفة:

نَحنُ في الْمَشتاةِ نَدعو الجَفَلى لا تَـرى الآدِبَ فينـا يَنتَقِـر[١]

الآدِب: صاحب المأدبة. والنَّقَرى: دعوة الخاصة، والجَفَلى: دعوة العامة[٢].

وفي حديث كعب أَنَّهُ قَالَ: «إن لله مأدبة من لحوم الروم بمروج عَكَّا[٣]»؛ يريد أن الله تعالى حـدّه بقتل الروم هناك، فتقتات لحومهم السباع والطير فكأنها مأدبة لله عَزَّوَجَلَّ.

والأدب: اسم من تأدَّب أدبًا، كما تقول: حلب يحلب حلبًا. والاسم الحلب. وتقول: أدَّب الرجل فلانًا أدَّبه. وأدَّبه المؤدِّب معناه: أعاد عليه القول بالدعاء إلى الرياضة والتعليم والتشريف فوقع فيه التكرير. والولد مؤدَّب أي: مدعو إلى الرياضة مرَّة بعد مرَّة.

فصل منه [في الأدب]

قال رجل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا روح الله، أيحسن بالشيخ الكبير أن يطلب الأدب؟ فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما حسنت الحياة فالأدب يحسن.

وقيل لأرسطا طاليس: ما أحسن الحيوان؟ قال: الإنسان المزيَّن بالأدب.

---

(١) البيت من الرمل لطرفة بن العبد في ديوانه. انظر: الموسوعة الشعرية.

(٢) في النسخ: «قال طرفة: نحن في اثمتاة ندعو السفلى... لا ترى الآداب فينا ننتظر. النقرس دعوة الخاصة. والسفلى: دعوة العامة»، والتصويب من إصلاح المنطق لابن السكيت، ٣٨١/١. ومن الزاهر في معاني كلمات الناس (٣١٨/١)، وقال: «معناه: لا ترى الداعي، ويقال: قد دعا فلان النَّقَرَى إذا خصَّ بدعوته قومًا دون قوم، وقد دعاهم الجَفَلى إذا عمّ بدعوته».

(٣) فِي النسخ: «بمروج عدّ». والصواب ما أثبتناه من غريب الحديث لابن قتيبة، ٥٠٣/٢.



ففي الأدب الجمال والمهابة والجلالة، وبه يسمو الرجل أعلى الرتب، وربَّما سلم به من العطب.

كما روي عن عبد الملك بن مروان: جلس ذات يوم للناس، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين /٥٨/ إنِّي تزوَّجت امرأة، وزوجَّت ابني أمّها؛ فإن رأيت أن تأمر لنا بعطائنا حَتَّى نَرُمَّ شياتنا ونضمَّ أهلينا. فأطرق عبد الملك بن مروان رأسه، ثُمَّ رفع رأسه فقال له: إن وُلد لكما غلامان فما القرابة بينهما؛ إن قلته أمرت لك بعطائك وأضعفتهما لك. ففكر الرجل ساعة. ثُمَّ قال: يا أمير المؤمنين، هذا صاحب شُرطك وَلَّيته سيفك وما وراء ذلك فاسأله عنها، فإن أصابها فعطائي له، وإن لم يصبها فأنا أعذر. فقال: صدقت. وسأل صاحب شرطه عن المسألة فأخطأ، فسأل جميع من حضره فلم يصب أحد منهم.

فقام رجل من أخريات الناس من أهل العراق يتظلَّم من عامل له. فقال: يا أمير المؤمنين، إن أنا أخبرتك بذلك تأمر بقضاء حَاجتي؟ فقال: نعم. قال: ابن الأب عمّ ابن الابن، وابن الابن خال ابن الأب.

فقال عبد الملك: لله درُّ أبيك، ثُمَّ أمر له بعشرة آلاف وكسوة، وكتب له بعزل العامل ثُمَّ التفت إلى أصحابه، [فقال]: لله درَّ الأدب أيّ ميراث.

ومثله ما روي عن العُرْيَان [بن الهيثم][1] أَنَّهُ أُتِيَ برجل سكران، فقال له: من أنت؟ فقال:

(١) العُرْيان بن الهيثم بن الأسود بن أُقَيش النخعي (ق:٢هـ): خطيب شاعر. استعمله خالد بن عبد الله القسري على شُرَط الكوفة. له روايات في كتب الحديث. انظر: ابن دريد: الاشتقاق، ١٢٧/١ (ش).

أنا ابن الذي لا ينزلُ الدهرَ[(١)] قِدْرَهُ   وإن نزلــتْ يومًا فســوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجًا إلى ضَوْء نارِه   فمنهــم قِيــامٌ حولَها وقُعــودُ[(٢)]

فأمر بتخلية ســبيله، ثُمَّ قال لبعض الشُّرَط: سَــل عن هذا، من أين هو؟ فسأل عنه، فقال: هو ابن باقلَّائي، فضحك العُريان، ثُمَّ قال: لله درُّ الأدب.

ومثله: ما روي عن رجل وجده صاحب العسَس[(٣)]، وهو يَطوف بالسلطان بالليل، فأخذه ليعاقبه، ثُمَّ سأله من أنت؟ فقال:

أنا ابن من تخضــع الرقاب له   بــرحــمــة الله أيــمــا رجــل
يأخــذ مــن مالهم ومــن دَمِهم   وليــس مــن ثأرهــم وجــل[(٤)]

فخلَّى سبيله، ثُمَّ ســأل عنه فإذا هو ابن حجَّام؛ فاستحسن ما سمع من أدبه، ولطيف ما خلَّص به نفسه.

والأدبُ أفضل حِلية يتحلَّاها الرجل، ومن لا أدب له فَخرســه أجمل به من نطقه، وموته أستر له من حياته. قال الشاعر:

مــا وَهــب اللّه لامــرئ هِبــةً   أفضلَ مــن عَقْلــه ومــن أَدبهْ
هُمــا حيــاةُ الفَتــى فــإن فُقِدَا   ففقــده للحيــاة أجمــل بــه[(٥)]

وهو أكثر مِمَّا يأتي عليه باب، وقد ذكرت منه صدرًا في «باب الآداب»، فاختصرته هاهنا.

---

(١) فِي (س): الناس.
(٢) انظر: العقد الفريد، ٢/٢٨٠. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٠٦/٤٠.
(٣) فِي (ت): التجسس.
(٤) ذكره النويري فِي نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠٠/١ ش) بلفظ:

أنا ابــن من تخضــع الرقاب له   مــا بيــن مخزومها وهاشــمها
تأتيــه بالــذل وهــي صاغــرة   يأخــذ مــن مالهــا ومــن دمها

(٥) البيت من المنسرح لم نجد من نسبه. انظر: العقد الفريد، ٢/٢٤٥.



باب ١٠ آداب العلماء

من آداب العلماء: أن يؤدِّبوا أقوالهــم، ويهذِّبوا أفعالهم، وأن يأتوا في كُلّ مقــام بمقاله، وَفي كُلِّ أوان بمقتضى حالــه؛ لأَنَّهم الضياء من الغمَّة، والمصباح في الظلمة، والصلاح للأمَّة، بأقوالهم يهتدى، وبأفعالهم يقتدى، وهم ورثة الأنبياء، وملح الأرض، ومصابيح الدنيا، وقادة الأتقياء، والأدلّاء عند العمى، والمشهورون في الأرض والسماء، والأئمّة الأخيار، والربانيون والأحبار، والعلماء بالله، وألسنة ودعاة الناس إلى الْجَنَّة؛ فعليهم أن يتأدَّبوا قبل أن يؤدِّبــوا، ويتهذَّبوا قبــل أن يهذِّبوا، وإلَّا فما فضيلــة العلم إن لم يكونوا كذلك.

وقد حكــي أنَّ عبدالملك بن مروان قال للشــعبي: كــم عطَاءك؟ قال: ألفين. قال: لَحَنت. قال: لَمَّا ترك أميــر المؤمنين الإعراب كرهت أن أعرب كلامي عليه[١]. فانظر إلى لطيف جوابه وطريق ما أتى به.

حكي عن الأصمعي أَنَّهُ دخل يومًا على الرشــيد بعــد غيبة كانت منه، فقال: يا أصمعي، كيف كنتَ بعدي؟ فقال: ما لاقتني بعدك الأرض، فتبســم الرشيد.

(١) انظر القصة بالتفصيل فِي: العقد الفريد مع الحجاج، ٨/٢. وفي الأذكياء لابن الجوزي مع ابن مروان، ٧١/١.

فَلَمَّا خرج النـــاس قال له: [يا أبا ســـعيد، ما معنى قولـــك]: ما لاقتني الأرض بعدك؟ قال: ما استقرَّت بي الأرض أرض.

كما يقال: فلان ما يليق شيئًا؛ أي: ما يستقرّ معه شيء. فقال: هذا حسن. ولكن ما ينبغي أن تكلِّمني بين أيدي النـــاس بما لا أفهمه، فإذا خلوتُ بك فعلِّمني فَإِنَّهُ يقبح بالســـلطان أن لا يكون عالمًا، إمَّا أن أسكت فيعلم الناس أنِّي لا أفهـــم إذا لم أجب، وإمَّـــا /٥٩/ إن أجبت بغير الجـــواب فيعلم من جوابي أنِّي لا أفهم. قال الأصمعي: فعلَّمني أكثر مِمَّا علَّمته[١].

وحكي عنـــه أَيضًا قال: قال لي الرشـــيد: يا عبد الملك، أنـــت أعلم منَّا ونحن أعقل منك. لا تعلِّمنا في ملإ، ولا تســـرع في تذكيرنا في خلاء، حين نبتدئك بالســـؤال، فإذا بلغت من السؤال حسب الاســـتحقاق فلا تزد إلّا أن نستدعي ذلك منك.

ومن آداب العلمـــاء: نزاهة النفس، والقناعة، وصـــون النفس عن الطمع والشناعة.

وقال عليّ بن عبد العزيز[٢]:

يَقُولُونَ لِي: فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوا رَجلًا عَن مَوقِفِ الذُّلِّ أَحجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَن دَانَاهُم هَانَ عِندَهُم ... وَمَن أَكْرَمَتْهُ عِـــزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

---

(١) انظر القصة بتفصيل أكثر عند: ابن خلكان: وفيـــات الأعيان، ١٧٣/٣. أبي محمد اليافعي: مرآة الجنان، ٧٢/٢.

(٢) علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن (٣٩٢هـ): عالم قاض أديب خطاط. ولد بجرجان وولي قضاءها، ثُمَّ قضاء الري، فقضاء القضاة. كثير الرحلات. توفي بنيسابور دون الســـبعين، فحمل تابوته إلى جرجان. له: «الوســـاطة بين المتنبي وخصومه» و«تفسير القرآن» و«تهذيب التاريخ» و«ديوان شـــعر» و«رسائل». انظر: ســـير أعلام النبلاء، ٢٠/١٧. الزركلي: الأعلام، ٣٠٠/٤.



وَلَم أَقْضِ حَقَّ العِلمِ إن كُنتُ كُلَّمَا بَـدَا طَمَـعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُـلَّمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي وَلَا كُلُّ من فِي الأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنعِمَا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَنْهلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى وَلَكِن نَفْسُ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
إلِىَ أَن أَرَى مَن لَا يَغُضُّ بِذِكرِه إِذَا قُلْتُ قَدْ أَسْـدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتِي لأَخْدُمَ مَن لَاقَيْتُ لَكِن لأُخْدَمَا
أَأَشْـقى بِهِ غَرْسًـا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً إِذًا فَاتِّبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُم وَلَوْ عَظَّمُـوهُ فِي النُّفُوسِ لَعظمَا
وَلَكِـن أَذَلُّـوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُـوا مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَـاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا[١]

والهديَّة للعالم جائزة لهـم على وجه الإكرام لهم لا علـى وجه التقيَّة منهم، ولا لغرض العلم الـذي يعلّمونه؛ فإنَّ هذا على هـذه الجهة لا يحلّ لهم، وقد كان العلماء تأتيهم الهدايـا والصلات من إخوانهم من الآفاق إلى مكَّة فيقبلونها، فـإذا كان ذلك من وجه الكرامة لهـم أو الصدقة عليهم فلا بأس، غير أن العلماء[٢] تنزّه عن هذا إجلالًا للعلم، وإن كان حلالًا.

ومن أَدَب العلمـاء: أن يتأدَّب بآداب الله قولًا وفعـلًا، وأن تكون أقوالُه مضاهيةً أفعاله.

وقد قال مالك بن دينار[٣]: إنَّ العالم إذا لـم يعمل بعمله زلَّت مَوعظته من القلوب كما يزِلّ القطر عن الصفا.

---

(١) الأبيات من الطويل لعلي بـن عبدالعزيز. انظر: خلاصة الأثـر للمحبي، ٢٠٦/١-٢٠٧. والوافي بالوفيات للصفدي، ١٥٨/٢١. مع اختلاف بسـيط في بعض الكلمات، وسقوط البيت السادس.

(٢) فِي (س): + لم.

(٣) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى (١٣١هـ): ورع تقي زاهد حكيم راو للحديث. يأكل من كسب، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٠/٥.

ونحوه قال زياد[١]: إذا جمع الكلامُ من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

ومن آداب العلماء: أن يقصدوا بتعليمهـــم وجه الله ﷻ من غير عِوض؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِءَايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: ٤١).

قال أبو العالية[٢]: لا تأخذوا عليه أجرًا، وهو مكتوب عندهم في الكتاب: «يا ابن آدم، علِّم مجَّانًا كما عُلِّمت مجّانًا». وعن الربيع بن أنس قال مكتوب فِي التوراة: «يا ابن آدم، علِّم مجَّانًا كما عُلِّمت مجّانًا». والمجَّان: عطيَّة شيء بلا مِنَّة ولا ثمن.

قال الشاعر:

لِلهَدَايَـا مِـنَ القُلـوبِ مَـكَانُ ... وَهْـيَ مِمَّـا يُحِبُّـهُ الإنسَـانُ
لَا سِـيمَـا إن أَمِـنـتَ مِـنهَـا ... المُكَافَأَة وأيقنـت أَنَّهَا مَجَّان[٣]

ومن آدابهـــم: النصح لمن علّمـــوه والرفق بهـــم أن لا يعنّفـــوا معلّمًا، ولا يحقروا ناشـــئًا، ولا يســـتصغروا مبتدئًا. فقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**علِّموا ولا تعنِّفوا، فإن المعلِّم خير من المعنِّف**»[٤].

(١) زياد: لا ندري من يقصد به.

(٢) رفيع بن مهران الرياحـــي البصري، أبو العالية (ت:٩٣هـ): إمام مقـــرئ حافظ مفسر. كان مولى لامرأة بني رياح بن يربوع ثم من بني تميم. أدرك زمان النَّبِيّ ﷺ وهو شـــاب وأسلم في خلافة أبي بكر. سمع من: عمر وعلي وأُبَيّ وابن مسعود. تصدر للفتوى. قرأ عليه: أبو عمرو بن العلاء. انظر: سير أعلام النبلاء، ر٨٥، ٢٠٨/٤. وابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ر٦٩٧، ٩٥/١.

(٣) البيت الثاني لم نجد مـــن ذكره. أما البيت الأول فذكره الثعالبـــي من غير نسبة في كتاب التمثيل والمحاضرة، ٩٥/١ (ش).

(٤) رواه الحـــارث في مسنده (زوائـــد الهيثمي) عن أبـــي هريرة، باب حســـن التعليم، ر٤٣، ١٨٨/١. والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة مثله، ر١٧٤٩، ٢٧٦/٢.



ومن آدابهم: أن لا يمنعوا طالبًا، ولا ينفِّروا راغبًا، ولا يؤَيِّسوا متعلِّمًا، ولا يُلبِسوا متفَهِّمًا.

وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُم بِالفَقِيهِ [كُلّ الفَقِيهِ]؟**» قالوا: «بلى يا رسول الله». قال: «**مَن لَم يُقْنِطِ النَّاسَ من رَحمَةِ اللهِ، وَلَم يُؤَيِّسْهُم مِن رَوْحِ اللهِ، [وَلَم يُؤَمِّنْهُم مِن مَكْرِ اللهِ]، وَلَا يَدَعُ القُرآنَ رَغبَةً عنـ[ـه إلى] مَا سِوَاهُ، أَلَا لَا خَيرَ في عِبَادةٍ لَيسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ، وَلَا فِي عِلمَ لَيسَ فِيهِ تَفَهُّم، وَلَا فِي قِرَاءَةَ لَيسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ**»[١].

فصل منه

عن الأخطل بن المغيرة[٢]: أنَّ العلماء استودعوا العلماء حلال الدنيا وحرامها، وليس كُلّ مؤتمن على ذلك. وقد تكلَّمت العلماء باتّفاق واختلاف وافتراق، فما جاء عنهم باتّفاق فهو الْحَقّ لا ريب فيه، وما جاء عنهم بافتراق فإنَّ بيان الْحَقّ من الباطل في ذلك بمقابلته وعرضه على حكم كتاب الله والسُّنَّة وآثار أئمَّة الهدى، /٦٠/ وما جاء عنهم باختلاف فمن عرف الْحَقّ من اختلاف أخذ به، وإلَّا أخذ لنفسه بالوثيقة لاختلافهم فوقف على تبيّن منه الْحَقّ وسؤال منه، ويلقى الله تعالى على ذلك ما لم يضيع في اختلافهم فريضة أو ينتهك محرمًا.

وينبغي للعلماء أن يُخفوا أديانهم؛ إمَّا صيانة لها أو تقيَّة فيها، فهو أعظم لقدرهم وأسلم لأمرهم.

(١) رواه ابن عبدالبر عن علي بن أبي طالب بلفظ قريب. انظر: جامع بيان العلم وفضله، ٤٤/٢.

(٢) الأخطل بن المغيرة: لم نجد من ذكره أو ترجم له.

وروي عن المعتمر بن عمارة[١] ـ وكان من خيار من أدركته من المسلمين ـ، أَنَّهُ قال: حقّ على كُلّ ذي دين أن يدين لله تعالى بكتمانه ما لم يحتج إليه.

وينبغي لهم أن لا يعطوا العلم من لا يتولّونه، ولا يمنعونه مِمَّن يتولّونه.

وكذلك ينبغي أن لا يعطوه حياء، وذلك أن يكون الرجل لا يتولّى فيستحق فيستحي منه فيعطي العلم. وينبغي لهم أن يعظوا أنفسهم قبل أن يَعظوا سواهم، ولا يكونوا مِمَّن يعظُ غيره ويدع نفسه فيكونوا كما قال الشاعر:

لَا تَنهَ عَن خُلقٍ وَتَأتي مِثلَه ... عَارٌ عَليكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فَابدَأ بِنفسِكَ فَانْهَهَا عن غَيِّهَا ... فَإِذَا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكِيم[٢]

وكما قال أحمد بن يوسف[٣]:

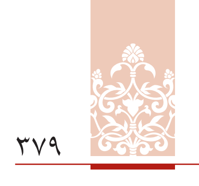
وَعَامِلٌ بِالفُجُورِ يَأْمُر بالـ ... ـبِرِّ كَهَادٍ يخوضُ في الظُّلَمِ

---

(١) المعتمر بن عُمارة بن سالم بن ذكوان الهلالي (ق:٢هـ): عالم فقيه متكلم. من حملة العلم عن أبي عبيدة وضمام إلى العراق. له مناظرات مع بعض علماء عصره كشعيب بن المعروف، وكان ممن انتهت إليه رئاسة العلم بعد أبي عبيدة. انظر: الراشدي: أبو عبيدة وفقهه، ٢٢٨ - ٢٢٩. والشماخي: سير، ١٠١/١.

(٢) فِي (س): «فأنت حليم». والبيتان من الكامل، نسبهما بعضهم للأسود الدؤلي، ويروى للأخطل، ويروى للمتوكل بن عبدالليثي الكناني أيضًا. انظر: كتب اللغة والأدب كتهذيب اللغة (ندب)، وصبح الأعشى، (٣٤٠/٢)، والبغدادي: خزانة الأدب، (٥٦٥/٨ - ٥٦٩).

(٣) لعله: أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب (٢١٣هـ): وزير كاتب وشاعر فصيح قوي البديهة. من الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الأحول. توفي ببغداد. له رسائل. وهو صاحب البيت المشهور: «إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه... فصدر الذي يستودع السر أضيق». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٢/١.



أَو كَطَبِيبٍ شَفَّه سَقَمٌ ... وَهوَ يُدَاوِي مِن ذَلِكَ السَّقَمِ
يَا وَاعِظَ النَّاسِ غَيْرَ مُتَّعِظٍ ... ثَوْبَكَ طَهِّرْ أَوَّلًا فَلَا تَلُمِ(١)

وقال آخر:

عَوِّدْ لِسَانَكَ قِلَّةَ اللَّفْظِ ... وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَيَّمَا حِفْظِ
إِيَّاكَ أَن تَعِظَ الرِّجَالَ وَقَدْ ... أَصْبَحْتَ مُحْتَاجًا إِلَى الوَعْظِ(٢)

مسألة: [ما يجب تعلُّمه]

وجائز للعالِم أن يقول للجاهل: اعلم مِثل علمي مِمَّا تعبَّدك الله فيما لا يسعك جهله، ولا ينقطع عذر العالم بذلك، فإن قال له: اعلم ما يسعك جهله على وجه الندب فجائز أيضًا.

وقد رغَّب المسلمون في تعليم ما يسع جهله.

وقول من قال: إن عذر العالم ينقطع بقوله هذا للجاهل خطأ من قائله، وأَمَّا الجاهل فلا يجوز له أن يقول [للعالم]: ارجع إلى جهلي.

(١) الأبيات من المنسرح لأحمد بن يوسف. انظر: تاريخ مدينة دمشق، ١١٩/٦. الأغاني، ٨٩/٦ (ش). زهر الآداب وثمر الألباب للحصري، ١٧٨/١ (ش).
(٢) لم نجد من ذكر البيت الأول. أما البيت الثاني فقد ذكره أحمد الهاشمي في السحر الحلال في الحكم والأمثال (٧٦/١)، ولم ينسبه.

باب ١١ ما يجب على العلماء في التعليم

قال الحكم بن عيينة[١] في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ...﴾ الآية (آل عمران: ١٨٧)[٢]. قال: ما أتى الله تعالى عالمًا علمًا إلَّا أخذ عليه ميثاقًا أن لا يكتمه. وقال: ما أخذ الله تعالى ميثاقًا من أهل الجهل بطلب العلم حَتَّى أخذ ميثاقًا من أهل العلم ببيان العلم؛ لأَنَّ الجهل كان قبل العلم.

عِكرمة عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَنَاصَحُوا فِي العِلْمِ وَلَا يَكْتُمْ بَعْضُكُم بَعْضًا؛ فَإِنَّ خِيَانَة الرَّجُلِ فِي عِلمِه أَشَدُّ مِن خِيَانَتِه فِي مَالِه، وَاللهُ تَعَالَى يَسْأَلُه عَنْهُ**»[٣].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩).

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا تَمْنَعُوا العِلْمَ أَهْلَهُ، فإِنَّ في ذلك فسادَ دِينِكُم وَفَسادَ بَصَائِرِكم**، ثُمَّ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا ...﴾ الآية»[٤].

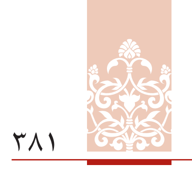
---

(١) الحكم بن عيينة (ق:١هـ): تابعي من أقرإ أهل الكوفة، سمع عن محمد بن كعب القرظي وأبي جحيفة وابن نافع. وعنه روى: مسعر بن كدام وموسى بن عمير. انظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ص ١٥٠ (ش).

(٢) وتمامها: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس بلفظ قريب، ر١١٧٠١، ٢٧٠/١١.

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



وعنه ﷺ: «**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يُحسِنُه أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِن نَار**»[١].

وعنه ﷺ: «**مَن كَتَمَ عِلْمًا يُحسِنُه أَنَّ الله يَسْأَلُ عَبدَه يَومَ القِيَامَةِ عَن فَضْلِ عِلْمِهِ كَمَا يَسْأَلُهُ عَنْ فَضْلِ مَالِهِ**»[٢].

وعنه ﷺ: «**مَن كَانَ لَهُ عِلمٌ فَلْيَتصَدَّقْ بعِلْمِه، وَمَن كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَتصَدَّق مِن مَالِه، وَمَن كَانَ لَهُ قُـوَّةٌ فَلْيَتصَدَّق مِن قُوَّتِه**»[٣]. وَمَثَلُ عَالِمٍ لَا يَتَكَلَّمُ كَمَثَلِ صَنَمٍ قَائِمٍ أَو كَنْزٍ لَا تُؤَدَّى زَكَاتُه.

قال ابن الأزرق لابن عبَّاس ـ وقد جلس بفناء الكعبة، أسدل رجليه في حوض زمزم، والناس قد اكتنفوا من كُلّ ناحية يسألونه /٦١/ عن تفسير القرآن والحلال والحرام، وهو لا يتعايا بشيء يسألونه عنه ـ: يا ابن عبَّاس، ما يحملك على تفسير القرآن، هذه والله الجرأة على الله. فقال ابن عبَّاس مجيبًا لنافع ابن الأزرق: يا ابن أمّ الأزرق، ثكلتك أمك، أوَ لا أدلّك على من هو أجرَأ مني؟ قال: دُلَّني عليه. قال: رجل يُكلِّم بما لا علم له به، أو رجل كتم الناس علمًا علَّمه الله؛ فذلك أجرأ منِّي يا ابن أم الأزرق.

وعن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَنْ سُـئِلَ عَنْ عِلْـمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَـومَ القِيَامَةِ مَغلُولًا مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِن نَارٍ**»[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبـي هريرة بلفظ قريـب، ر١٠٤٩٢، ٤٩٩/٢. وابن حبان عن عبدالله بـن عمرو بلفظ قريب، ذكر إيجـاب العقوبة في القيامة علـى الكاتم العلم الذي يحتاج إليه في أمور المسلمين، ر٩٥، ٢٩٧/١.

(٢) رواه الحـارث عن ابن عمر بلفظ: «إن العبد ليسأل يـوم القيامة عن فضل علمه كما يسأل عن فضل ماله» من غير الزيادة الموجودة في بداية الحديث، باب فيما يُسـأل العالِم عنه يوم القيامة، ر٤٢، ١٨٧/١.

(٣) رواه هناد بن السري عن زيد بن أسـلم بلفظ قريب مع اختلاف في الترتيب، باب إماطة الأذى عن الطريق، ر١٠٨٣، ٥٢٥/٢.

(٤) رواه ابن ماجه في سـننه عن أنس بن مالك بلفظ قريب، باب من سـئل عن علم فكتمه، ر٢٦٤، ٩٧/١. وأحمد في مسنده عن أبي هريرة بلفظ قريب، ر٧٩٣٠، ٢٩٦/٢.

ومن طريق أنس عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَن كَتَمَ عِلْمًا عِندَهُ أَو أَخَذَ عَلَيْهِ أجرًا لَقِيَ اللهَ يَومَ القِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِن نَارٍ**»[(١)].

ونهى النَّبِـــيّ ﷺ[(٢)] من تعلَّم علمًا فليعلِّمه النـــاسَ، ولَا يقول ما لا يعلم ولا علم له به.

وقال ﷺ: «**مَنْ بَاعَ العِلْمَ أَوْ أَخَذَ عَلَيْهِ ثَمَنًـــا أَو كَتَمَهُ أَهْلَهُ أَو أَعْطَاهُ غَيْرَ أَهْلِهِ أَو مَنَعَه أَهْلَه لَا يَزَالُ فِي سَـــخَطِ اللهِ حَتَّى يَتُوبَ مِن ذَلِكَ، وحاجَّه العلمُ يوم القيامة مخصومًا**»[(٣)].

ألا وإن مُتَعَلِّمَ الخَير ومُعَلِّمَه يصلي عليه الله وملائكته ورسله وطير السماء ودواب الأرض وحيتان البحر، وصالح عباد الله في السماوات والأرض.

وعنه ﷺ: «**وَيلٌ لِلعَالِمِ مِن الجَاهِلِ حَيـــثُ لَا يُعَلِّمُه**»[(٤)]؛ فلولا أنَّ تعليم الجاهل واجب على العالم لازم له مَا كان له من الويل في السكوت. وتعليم الجاهل واجب على العالم لازم له فريضة وليس بتطوّع.

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**تَعَلَّمُوا العِلْمَ وَعَلِّمُوا مَنْ لَا يَعْلَم؛ فَإِنَّ مَن عَلَّمَ مُسْلِمًا شَـــيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِـــهِ قُلِّد يوم القيامَـــة قِلَادَةً مِن نُـــورٍ يَتَعَجَّبُ مِنـــهُ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ**»[(٥)].

---

(١) رواه ابـــن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال عن أنـــس بلفظه، ر١١٤١، ٣١٢/٤. وذكره الهندي فِي كنز العمال عن أنس بلفظه، ر٢٩١٥٠، ٤٩/١٠.

(٢) كذا فِي النســـخ؛ ويظهر أن في العبارة نقصًا أو أن العبـــارة الصحيحة: «وأمر النبي ﷺ من تعلم..»، والله أعلم.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) ذَكر الحديثَ والتعليقَ عليه محمد بن أبي يعلى. انظـــر: طبقات الحنابلة، ٣٥٢/١. وذكره صاحب الإحياء أيضًا. انظر: إحياء علوم الدين، ١٩٢/١.

(٥) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

وقيل في الحكمة: من كتم علمًا فكأنما هو جاهل.

وقال أبو موسى: من علَّمه الله علمًا فليعلِّمه الناس، ولا يقولنَّ: لا أعلم؛ فيمرق من الدين.

وقال خالد بن صفـوان[١]: إني لأفرح بإفادتي للتعليـم أكثر مِمَّا أفرح باستفادتي من العلم.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «**تَصَدَّقُوا عَلَى أَخِيكُم بِعِلمٍ يُرْشِدُه وَرَأْيٍ يُسَدِّدُه**»[٢].

وقال ابن مسـعود: تعلَّموا وعلِّموا فإنَّ أجر المتعلِّم والمعلِّم سواء. قيل: وما أجرهما؟ قال: مائة مغفرة، ومائة درجة في الْجَنَّة.

وقال ابـن عبَّاس: علِّم علمك وتعلَّـم عِلمَ غَيرك، فـإذا أنت علِمَت ما جَهِلت وحَفِظت ما عَلِمت، ولن يصان العلمُ بِمِثل بَذْلِه، وتستبقى النعمة فِيه بِمِثل نشره.

عطاء الخرساني[٣]: أَنَّهُ قال: أَوثَقَ عِلمي في نفسي نشرُ العلم.

ابن عبَّاس: في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: ٣١)؛ قال: إِنَّهُ سأل ربه أن يجعله معلِّمًا مؤدِّبًا حيثما توجَّه.

---

(١) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم التميمـي المنقري (ت: ١٣٣هـ): حكيم فصيح مشهور. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالًا ولم يتزوج. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. وكان يرمى بالبخل، وكف بصره. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/٢٩٧.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) لعله: عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراسـاني، ابن ميسـرة (٥٠ ـ ١٣٥هـ): مفسر نزيل بيت المقدس. كان يغزو، ويكثر من التهجد في الليل. له: «التفسير» و«الناسخ والمنسوخ». انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/٢٣٥.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، عَلِّمِ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُم مِن أَمْرِ دِينِهِم يَكُنْ فَضْلُكَ عَلَيْهِمْ كَفَضْلِ الأُصْبُعِ الوُسْطَى عَلَى سَائِرِ الأَصَابعِ**»(١).

كان أبو الدرداء لا يصبح يومًا بدمشق إلَّا قال: يا أهل دمشق، لقد أصبحتم شباعًا من الطعام، جياعًا من العلم، ما لي أراكم تطلبون ما تُكُفِّل لكم به وتذرون ما خلقتم له؟! ألا فاعلموا وتعلَّموا؛ فإنَّ العالم والمتعلِّم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. اقتصاد في السُّنة خير من اجتهاد في بِدعة، وترك الخطيئة خير من طلب التوبة، والصمت عن الباطل خير من تَكَلُّم فيه، وتكَلُّم في الْحَقّ خير من الصمت عنه.

وقال أكثم بن صيفي: شكر العالم على علمه أن يبذله لمن يستحقه.

فصل منه: [في آداب العالم]

ويجب على العالِم مجانبة العجب؛ فَإِنَّهُ بكلٍّ قبيح وبالعلماء أقبح، وهو مناف للفضل.

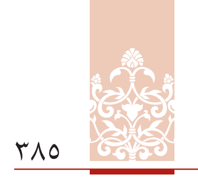
وعن النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّ العُجْبَ يَأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ**»(٢).

ويجب أن يكونَ حسنَ الخلق، متواضعًا رفيقًا /٦٢/ بالمتعلمين، محتمِلًا لتكرارِ المتفهِّمين، واسع الصدر، كثير الصبر، عديم الضجر، حليمًا كريمًا رفيقًا شفيقًا رحيمًا لطيفًا حيِيًّا عفيفًا؛ لأَنَّه بمنزلة المتطبِّب الذي يعالج الأمراض، فينبغي أن يرفق في معالجته، ويعطف بحلمه ليحيي بمعرفته.

ويجب أن يكون كثير الصمت والوقار والسكينة.

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٢) ذكره العيني في عمدة القاري بصيغة «قيل» دون أن يصرح بأنه حديث أو أثر. انظر: عمدة القاري، ٧٧/١١.



فقد قيل عن ملك الروم أَنَّهُ قال: أفضل علم العلماء الصمت.

وقيل: العلم عشرة أجزاء، تسعة منها فِي الصمت.

وقال عبد الله: إذا تعلَّمتم علمًا فَأكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا بباطل فتمجَّه القلوب. ويقال: من ضحك ضحكة فقد مجَّ من العلم مَجَّة. (والمَجُّ: تحرّك واضطراب).

وقال كسرى: امتحنوا الإنسان بعد أن يمجَّ من عقله مجَّتين أو ثلاثًا؛ يعني: بعد أن يشرب رطلين أو ثلاثًا من الشراب.

والمجمجة: تخليط الكُتب وإفسادُها بالقَلم والضربِ عليها، ومجَّ الرجل الشراب مِن فِيه: رَمى به. والأذن تَمُجُّ الكلام: [لا تقبله]. ويقال: مُتمجمج ومتَرجرج سواء، والماجُّ الأحمق الكثير ماء القلب. وقيل: سُمِّيَ مَجَّاجًا؛ لأَنَّهُ قد مجَّ عقله.

فصل منه: [في فراسة العالم]

ويجب على العالم أن يتوسَّم المتعلِّم بفراسته ليعلم بها استحقاق حالته، ومبلغ طاقته، فيعطيه ما يتحمله، ولا يزيده فيُذهِبه، وفي ذلك راحة للعالم واستراحة للمتَعَلِّم.

وقد روي عن أنس عن النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّ للهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّم**»(١)، والتوسُّم: النظر. والمتوسِّم: الناظر المتثبت؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر: ٧٥)؛ أي: للناظرين المتَبَصِّرين.

وتقول: توسَّمت في فلان خيرًا، إذا رأيت عليه أثرًا من الخير.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بلفظه، ر٢٩٣٥، ٢٠٧/٣.

قال الشاعر:

تَوَسَّمْتُ لَمَّا رَأْيْتُ مَهَابَةً عَلَيهِ فَقُلتُ المَرء مِن آلِ هَاشِمِ[(١)]

وقال زهير:

وَفِيهِنَّ مَلهَى لَلطيفٌ وَمَنْظَرٌ أَنِيقٌ لِعَينِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ[(٢)]

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**»[(٣)].

وقال عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ: إذا أنَا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت.

وقال عبد الله بن الزبير: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه.

وقال أبو عمرو ابن العلاء: كان ابن عبَّاس أَلْمَعِيًّا.

قال أبو عبيدة: الألمعي: الذي يهجم بظَنِّه على اليقين. قال أوس بن حجر:

الأَلْمَعِيَّ الذي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنه قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِعا[(٤)]

قال أبو العيناء[(٥)]: فسألت الأصمعي عن الألمعيِّ؟ فقال: الذي يلمع له الْحَقّ في ظَنِّه فيهجم عليه. قال: وسألت أبا زيد عن الألمعي؟ فقال: الذَّكِّي المتوقد الذي يكون بِظَنّه أوثق من يقين غيره.

---

(١) البيت من المتقارب نسبه صاحب العين إِلَى أعرابي، مادة (وسم).

(٢) البيت من الطويل لزهير في ديوانه، ١/١.

(٣) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري بلفظه، باب من سورة الحجر، ر٣١٢٧، ٥/٢٩٨. ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة بلفظه، ر٣٢٥٤، ٣/٣١٢.

(٤) البيت من المنسرح لأوس بن حجر في ديوانه، ١/٣٥، بلفظ: «يظن لك الظـ».

(٥) مُحَمَّد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، بالولاء، أبو العيناء (١٩١ - ٢٨٣هـ): أديب شاعر فصيح، ظريف ذكي سريع الجواب. مليح الكتابة، خبيث اللسان. أصله من اليمامة، وولد بالأهواز ونشأ وتوفي في البصرة. اشتهر بنوادره ولطائفه. كف بصره بعد بلوغه الأربعين. انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/٣٣٤.

وأنشد الأصمعي:

رَأَيــتُ أَبَــا الوَلِيدِ غَــدَاةَ جَمْعٍ ... بِــهِ شَــيْبٌ وَمَا فَقَــدَ الشَّــبَابَا

وَلَكِن تَحْتَ ذَاكَ الشَّــيْبِ حَزْمٌ ... إِذَا مَــا ظَنَّ أَمْــرَض أَو أَصَابَا(١)

وأنشدتهما أبا عبيدة، فقال: أعرضا وأصابا.

وقال: خلف الأحمر الكيسائــي(٢): ويلك! الزم الأصمعي، ودع أبا عبيدة فَإِنَّهُ أفرس الرجلين بالشعر.

وقال ابن الرومي:

أَلْـمَـعِـيٌّ يَـرَى بِــأَوَّلِ رَأْيٍ ... آخِرَ الأَمْــرِ مِــن وَرَاءِ المَغِيبِ

لَــوْذَعِــيٌّ لَـه فــؤادٌ ذَكِــيٌّ ... مَا لَــه ُفــي ذَكَائِه مــن ضَرِيبِ

لا يُــرَوِّي ولا يلفــت طرفًــا ... وأَكُف الرِّجَــالِ فِــي تَقْلِيبِ(٣)

ويجــب على العالم أن لا يبخــس الذكِيّ، ولا يزيد البليــد، فيحرم من يستحقّ الزيادة، ويهمّ على ذي البلادة.

ويجب على العالم أن يصون العلم بوضعه في أهله، ومنعه غير أهله.

وقد روي عــن أنس بن مالك عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**وَاضِــعُ العِلْمِ فِي غَيْرِ**

---

(١) البيتان من الوافر لكثير بن عزة في ديوانه، ٣/١.

(٢) خلف بن حيان الكيسائي، أبو محرز، المعروف بالأحمر (ت: ١٨٠هـ): عالم راوية وشاعر أديب، من أهل البصــرة. كان أبــواه موليين من فرغانــة، أعتقهما بلال بن أبي موســى الأشــعري. هو أســتاذ الأصمعي ومعلِّم أهل البصرة. قال الأخفش: لــم أدرك أحدًا أعلم بالشــعر من خلف والأصمعي. كان يضع الشعر وينســبه إلى العرب. له «ديوان» و«جبال العرب» و«مقدمة في النحو». انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١٠/٢.

(٣) الأبيات من الخفيــف الأول والثالث لابن الرومي في ديوانــه، ٦٧/١. والبيت الثاني في ديوانه أيضًا، ٣٣٤/١. وجاء البيت الثالث بلفظ: «لا يروي ولا يقلب كفا...».

أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الخَنَازِيرَ اللُّؤلُـؤَ والجَوْهَر والذَّهَب»[١]. وعنه ﷺ من طريق أنس ـ أيضًا ـ أَنَّهُ قال: «**لَا تَطْرَحُوا الدّرَّ فِي أَفْوَاهِ الكِلَاب**»[٢].

وعن عيسى ابن مريم ﷺ أَنَّهُ قال: /٦٣/ «**لَا تُلقوا اللؤلؤ للخنزير؛ فالعلم أفضل من اللؤلؤ، ومن لا يستحقه أشرّ من الخنزير**»[٣].

قال الشاعر:

إِنِّـي وَتَـزْيِينِي بِمَدْحِي مَعْشَـرًا ... كَمُعَلِّـقٍ دُرًّا عَلَـى خِنْزِيـرِ[٤]

حكي أن تلميذًا سـأل عالمًا عـن[٥] بعض العلوم فلم يفـده، فقيل له: منعته!. فقال: لكلِّ تربة غرس، ولكلِّ بناء أسّ.

وقال بعض البلغاء: لِكُلِّ ثوب لابس، ولـكل علم قابس. ويقال: ولكل فرج لامس.

وقال بعض أهل الأدب: إِرْثِ[٦] لروضة تَوَسَّـطها خنزير، وابكِ لِعلم حواه شرِّير.

وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم». وقال: «من أعطى الحكمة غير أهلها خاصمته الحكمة إلى ربِّها».

(١) رواه ابن ماجه عن أنس بلفظه مع زيادة في أوله، بـاب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ر٢٢٤، ٨١/١.

(٢) رواه أبو القاسم البغوي عن أنس بن مالك بلفظه، ر١٠، انظر: جزء البغوي، ص٣٧. وذكره صاحب تاريخ بغداد عن أنس بلفظه. انظر: تاريخ بغداد، ٣٠٩/١١.

(٣) رواه عبدالرزاق في مصنفه عن عكرمة بلفظ مختلف، باب العلم، ر٢٠٤٨٢، ٢٥٧/١١.

(٤) البيت من الكامل ينسب لأحمد بن طيفور (ت: ٢٨٠هـ) فِي الموسـوعة الشـعرية. وذكره الجرجاني في أسرار البلاغة (١٧٤/١) ولم ينسبه.

(٥) فِي (س): من.

(٦) فِي النسخ: إنك. والتصويب من أدب الدنيا والدين للماوردي، ٩٤/١ (ش).



وللشافعي[١] وجدت في بعض الكتب أَنَّهَا لبعض الحكماء:

أأنثرُ دُرًّا وسط سارحةِ النعم ... وأنظمُ منثورًا لراعية الغنم
لعمري لئن ضيعتُ في شرِّ بلدةٍ ... فَلَسْتُ مُضَيّعًا عندهم غرر الكلمِ
فإن فرج الله اللطيف بفضله ... وصادفتُ أهلًا للعلوم وللحكم
صبرت مُفيدًا واستَفَدْتُ وَدَادَهُمْ ... وإلّا فمخزونٌ لديَّ ومكتتمْ
وَمَنْ مَنَحَ الجهّالَ عِلْمًا أضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ المستوجِبين فقَدْ ظَلَم
ومانع علم الدين ممن يريده ... يبوء بأوزار وإثم إذا حرم[٢]

وللمتنبي فقال:

قالوا نراك تطيلُ الصمتَ قلت لهم ... ما طول صمتي من عيّ ومن خرس
لكنَّه أفضل الأمرين عاقبة ... عندي وأجمله من منطق شكس
أأنشر البز فيمن ليس يعرفه ... أم أنثر الدرَّ بين العمي في الغلس[٣]

وقيل: كتب الشافعي إلى مُحَمَّد بن الحسن[٤] يلتمس منه شيئًا من الفقه، فأخَّر عنه ما يلتمس، وكتب إليه بأبيات، وهي هَذِهِ الأبيات:

(١) محمد بن إدريس بن عثمان الشافعي، أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٠٤هـ): عالم فقيه مؤسس المذهب الشافعي. أخذ عن ابن عيينة والإمام مالك وابن الحسن الشيباني، وأخذ عنه أحمد بن حنبل وأبو ثور. له: الأم والرسالة وأحكام القرآن وغيرها. انظر: الأعلام، ٢٦/٦، ٢٧.

(٢) الأبيات من الطويل للشافعي في ديوانه، ٩٦/١، مع اختلاف في بعض الألفاظ. أما البيت الأخير فغير موجود في ديوانه، وذكره الذهبي بمعناه مع ما سبق في: سير أعلام النبلاء، ٧١/١٠.

(٣) الأبيات من البسيط لم نجدها فِي ديوان المتنبي ولا منسوبًا إليه، بل وجدناها تنسب إِلَى الفضل بن الحباب. انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١١٠/١. والبلغة للفيروزآبادي، ١٧٠/١.

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبد الله (١٣١ - ١٨٩هـ): أصولي نحوي فصيح، فقيه حنفي مجتهد. ولد بواسط ونشأ بالكوفة ورحل إلى المدينة وتوفي بالري. أخذ عن: مالك وأبي حنيفة والأوزاعي. أخذ عنه: الشافعي وابن سلام... له ما يقرب من الألف =

قل لمن لم تر عين من رآه مثله
وَمَنْ كَأن من رآه قد رأى من قبله
الْعِلْمُ يَنْهَى أَهْلَهُ أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله[1]

وحكي أن هذه الأبيات آخر ما قال من شعر.

وينبغي للعالم أن لا يعجل ببذل العلم لطالبه في أوَّل مرَّة، بل يردده ثلاث مرَّات، بعده فلا يؤيسه ولا يُبعِدْه؛ فإن وجده معاودًا طالبًا ومتوددًا راغبًا أجاب مسألته وأعطاه بغيته، وإن وجده تاركًا للمعاودة فليس هو من أهل الفائدة؛ لأَنَّ الطالب عن رغبة صحيحة ومنحة صريحة يحتمل الأذى ويستقلّ الجفاء، ويزداد على الطلب حرصًا، ولا يرى ذلك عليه نقصًا، ولا يستنكف عن المعاودة، ولا ينصرف عن طلب الفائدة.

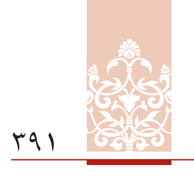
وقد رفع عن أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن بركة[2] رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كان يتردَّد إلى أبي مالك[3] رَحِمَهُ اللَّهُ طلبًا للتعليم وهو يدافعه دفعات، فَلَمَّا تصور رغبته وتحقَّق إرادته أقبل عليه وعلَّمه وقرَّبه وأكرمه.

= تصنيف وهي معتمد الحنفية، منها: الأصل (المبسوط في الفروع)، والجامع الكبير والصغير، والأمالي. انظر: مقدمة كتاب السير الكبير. انظر: ابن حجر: لسان الميزان، ١٢١/٥. الزركلي: الأعلام، ٨٠/٦.

(١) الأبيات من مجزوء الرجز للشافعي. انظر: أخبار أبي حنيفة للصيمري، ١٢٧/١. وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٩٩/١.

(٢) ابن بركة: عبد الله بن مُحَمَّد بن بركة السليمي، مشهور بأبي مُحَمَّد (ق:٤هـ): عالم إباضي أصولي فقيه محقق من بهلا بداخلية عُمان، زعيم المدرسة الرستاقية. له: الجامع، والتقييد، والموازنة، والتعارف وغيرها. البطاشي: إتحاف الأعيان، ٩٢٦/١. انظر رأيه فِي جامعه، ٦٤/٢.

(٣) غسان بن محمد بن الخضر البهلوي الصلاني، أبو مالك (حي: ٣٢٠هـ): عالم فقيه مجتهد =



فينبغي للعالم إذا رضي من جاءه للتعليم أن يعلِّمه ولا يَحرِمَه، فقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**اسْتَودِعُوا الأَحْدَاثَ العِلْمَ إِذَا رَضِيتُمُوهُم**»[(١)]. وإن رآه للجهل راكبًا وعن التعليم ناكبًا أعرض عنه إهمالًا ولم يحفل به بالًا، ولم يفده حرفًا، بل يبعده ويؤيسه منه.

وقال الشافعي:

إِذَا رَأَيتَ شَبَابَ الحَيِّ قَدْ نَشَؤُوا ... لَا يَحمِلُون قِلَالَ الخَيرِ وَالوَرَقَا

وَلَا تَرَاهُم لَدَى الأَشيَاخِ فِي حِلَقٍ ... يَعُونَ مِن صَالِحِ الآدَابِ مَا اتَّسَقَا

فَعَدِّهِم وَاعْلَم أَنَّهُم هَمَجٌ ... قَدْ بَدَّلُوا بِعُلُوِّ الهِمَّةِ الخَرَقَا[(٢)]

الناكب عن الشيء: المائل عنه.

وقال سعد بن ناشب[(٣)]:

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَينَ عَيْنَيْهِ عَزْمَه ... وَنَكَبَ عَن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا[(٤)]

وقلال الخير: يريد المخابر، وقُلَّة كُلّ شيء: رأسه.

= من بهلا بداخلية عُمان. هاجر إلى صحار فنزل بـ«صلان» فنسب إليها. له مدرسة فقهية شهيرة في بهلا، تخرج منها كثير من الفقهاء والأدباء. أخذ عن: محمد بن محبوب وولديه بشير وعبد الله. أشهر تلامذته أبو محمد بن بركة. عاصر ثلة من الأعلام كالإمام سعيد بن عبد الله وأبي قحطان خالد بن قحطان. انظر: إتحاف الأعيان، ٤٣٢/١. معجم أعلام إِبَاضِيّة المشرق (ن.ت).

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٢) لم نجد من ذكر هذه الأبيات.

(٣) فِي النسختين: سعيد بن ثابت، والصواب ما أثبتنا من كتب الأدب. وسعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة المازني التميمي (ت: ١١٠هـ): شاعر، من الفتاك المردة. من أهل البصرة. اشتهر في العصر المرواني. كانت له دار بالبصرة فهدمها بلال بن أبي موسى الأشعري، وقيل: هدمها الحجاج. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٨/٣.

(٤) فِي النسخ: «عن فكر». والبيت من الطويل لسعد بن ناشب المازني. انظر: الحماسة المغربية، ٦١٤/١. والبغدادي: خزانة الأدب، ١٤٣/٨.

والوَرَق (بفتح الراء): أدم رِقاق؛ منها ورق المصحف، الواحدة ورقة من كُلّ هذا. والورَّاق: صنعــة الوراقة. والورق: الشــجر، الواحدة ورقة. والورق أيضًا: الدم الذي يســقط من الجراحة علقًا قطعًا. والورِق (بكسر الراء): اسم الدراهم. والوَرَق (بفتح الراء): اســم من الإبل والغنم. وقال الراجز ـ ويقال الفرزدق ـ: /٦٤/

اللهُــمَّ رَبَّ البَيْــتِ والمُشَــرَّقِ والرَّاقِصَاتِ كُلَّ سَــهْبٍ سَمْلَقِ
إِيَّــاكَ أَدْعُــو فَـتَـقَـبَّــل مَلَقِــي وَاغْفِرْ خَطَايَايَ وَثَمــرَ وَرَقِي[١]

السهب: ناحية الفلاة لا شكل فيها، والجمع السهوب. والسملق: القاع الأملس.

قال شايق[٢]:

كَمَا كُلُّ دَارٍ سَــوْفَ يَهْلَكُ أَهْلُهَا ومنهم وهي صحراء ســملق[٣]

[والمشرَّق: موضع التشريق بمنى].

وقال الشــافعي: «في حلق»: يريد في جماعة من الناس؛ الواحدة: حلقة مخفّفة، ومنهم من يخفّــف ويثقل. وقال بعض: الحلْقــة مخففة: من القوم، والحلَقَة مثقلة: من الحديد.

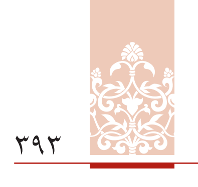
وقوله: «ما اتَّسق»: الاتِّساق: الانضمام والاستواء كما يتَّسق القمر. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ (الانشــقاق: ١٨)، قال الفراء: اتساقه: امتلاؤه لثلاث عشرة إلى خمس عشرة. وقال الكلبي: إذا اجتمع وتكامل.

---

(١) البيتان من الرَّجز للعجاج. انظر: طبقات فحول الشعراء للجمحي، ٧٥٦/٢. بلفظ: «والمرقلات كل سهب...».

(٢) شايق: لم نجد شاعرًا ولا علمًا بهذا الاسم، ولعله تصحيف من النساخ.

(٣) البيت من الطويل، لم نجد من ذكره.



وقوله: «فَعَدِّهم عَنك»؛ أي: اصرفهم. يقال: عَدِّ عنك ذَا؛ أي: اصرف.

قال النابغة:

فَعَدِّ عَمَّا تَــرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ　　　وانْمِ القُتُود عَلَــى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ(١)

قال الأصمعي: فعَدِّ؛ أي: انصــرف عمَّا ترى من تغيير الدار وما أنت فيه إذا أيقنت أن لا رجعة. ومنه تقول: عَدوت أن أقبل ذلك؛ أي: ما جاوزت.

قال الأصمعي [عن أبي عمرو عن يونس]:

عَـدَانِــي أَنْ أَزُورَكِ أُمَّ عَـمْــرٍو　　　دَيَـاوِيــنُ(٢) تَشَــقَّقُ بِالْمِـدَادِ(٣)

عَدَاني: أي خوَّفني، ودياوين: جمع ديوان، ويقال: دواوين أيضًا.

وانمِ: ارفع، [ونميت الحديث: رفعته عن قائله].

والقتود: عيدان الرَّحْل، واحدها: قتد.

والعَيرانة: ناقة شَبَّهَها بالعير في مُضِيِّها وسرعتها. والعير: حمار الوحش، وهي الناقة الجدعة الشديدة.

والأُجُد: موَثَّقَة الخلق الشديدة أيضًا. قال أبو عمرو: وهي التي [تَلَاحم] عظم فَقارِها.

وقوله: «همج»؛ فالهمــج: كُلّ دود يتَفقَّأ عن ذباب أو بعوض أو أشــباه ذلك، وبهم يشبه رذالة الناس.

وينبغي للعالم أن يكون أوســع الناس صدرًا، وأكثرهم صبرًا، وأحسنهم

(١) البيت من البسيط للنابغة في ديوانه، ١٨/١.
(٢) في (س): «دواوين خ دياوين».
(٣) البيت من الوافر ينسب ليونس. انظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، ٢٦٤/١. ابن جني: الخصائص، ١٥٨/٣. السيوطي: المزهر، ٤٦/١.

لقاءً، وأحسـنهم أخلاقًا؛ لأَنَّ المتعلِّميـن منه، والمتحمِّليـن عنه؛ يأخذون خلائقه، ويحتذون طرائقه، فيجب أن يكون لهم إلى سَـنِيِّ الأفعال منهاجًا، ومن غَيِّ الضلال سِراجًا.

ويجب على العالم أن يوقِّر المتعلِّـم كما يجب على المتعلِّم ذَلِكَ أيضًا له. وقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ من طريق ابن عمـر أَنَّهُ قال: «**وَقِّرُوا مَن تَتَعَلَّمُونَ مِنهُ، ووَقِّرُوا مَن تُعَلِّمُونَه العلم**»[(١)].

وينبغي للعالم أن يختبر المتعلم ليعرف موضعه من المعرفة.

وقـال أبو العيناء محمد بن القاسـم أتيت عبدالله بـن داود الخُرَيبي[(٢)] لأسـمع منه، فخرج إلي فقلت لـه: إن رأيت أن تحدثني. قـال لي: أقرأت القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ عليَّ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ ...﴾ (يونس: ٧١) فقرأته، فقال: أصبت. ثُمَّ قال: أنظرت في الفرائض؟ فقلت: قد نظرت في شـيء من الكبر وبعض الصلب. قال: أيّما أقرب إليك، ابن أخيك أم ابن عمِّك؟ فقلت: ابن أخي. فقال: ولم ذلك؟ فقلت: لأن ذلك من ولد جدِّي، وذا من ولد أبي. قال: أصبت. ثُمَّ قال لي: أنظرت في شـيء من العربيـة؟ قلت: نعم. قال: ما معنى قول عمر حين طعنه أبو لؤلؤة: يا لَعباد الله يا لَلمسـلمين، ولم يقل يا لِعباد الله ويا لِلمسـلمين؟ قلت: اسـتغاث مِمَّا نزل به. قال: أصبت. قال لو كنت اليوم محدثًا لحدثتك.

---

(١) رواه ابن النجار عن ابن عمر بلفظ قريب. انظر: كنز العمال، ر٢٩٣٣٨، ١٠٩/١٠. والمناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير، ٤٨٢/٢.

(٢) عبدالله بن داود الخريبـي الكوفي، أبو عبدالرحمٰن (ت:٢١٣هـ): حافـظ زاهد. نزل خُرَيبة البصرة فنسب إليها. سـمع: الأعمش والبكار وهشام بن عروة وغيرهم. روى عنه: مسدد بن مسرهد ومحمد بن المثنى ومن بعدهما. وكان عسرًا في التحديث. وتوفي بالكوفة وقد نيف على التسعين. انظر: ابن ماكولا: الإكمال، ٢٧٤/١. الذهبي: العبر في خبر من غبر، ٦٨/١.

فقد اختبره ليعرف موضعــه ويقف على ما معه فيعطيه من التعليم حقَّه، ولا يبخسه فيه حظَّه.

ولَام الاستغاثة مفتوحة، قال الشاعر:

يَــا لَقَوْمِــي لَا مَنْجَــى مِــنَ الهَرَمِ أَمْ هَلْ عَلَى العَيْشِ بَعْدَ الشَّيبِ مِن نَدَمِ[١]

ولامُ التعجُّب مَفتوحة[٢] كقولك: يا لَزَيد!

(١) البيت من البسيط لساعدة بن جؤية. انظر: البغدادي: خزانة الأدب، ١٦٣/٨.

(٢) في النسخ: «مكسورة»، والصواب ما أثبتنــاه؛ لأنّ لام التعجّب تكون مفتوحة لا مكسورة، ولا عمل لها، تستخدم للتوصّل بها إِلَى التعجّب، ولا تدخل إِلَّا عَلَى الاسم.

باب ١٢ ما يجب على المتعلّم لمعلّمه، وما يؤمر به من الآداب في تعليمه

اعلم أنَّ الذي يجب على المتعلِّم لمعلِّمه أشياء كثيرة يطول بها الكتاب، ولا يستوعبها باب؛ فأَوَّلُها: إذا جاء إلى مجلسه أن يسلِّم على أهل المجلس عامّة، ثُمَّ ليفرده بالسلام خاصة، ثُمَّ ليجلس بين يديه متذلِّلًا، وبوجهه عليه مقبلًا، ولْيُقِلّ /٦٥/ النظر إليه، وليتواضع له، ويعظِّمه ويبجِّله، ولا يسأله في أوَّل لقية؛ بل يعاوده مَرَّة بعد مرَّة، ثُمَّ يسأله التعليم، فإن أجابه شكر له ودعا له، وإن منعه عذره وانصرف عنه، فربما كان ذلك من العالم نظرًا في أمره واستبراء لرغبته، ثُمَّ ليعاوده صابرًا على ترداده، ولا يضجر ليظفر بمراده، وليرفق له في أقواله، ويتملق بفعاله. فقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَيسَ المَلَقُ مِن أَخْلَاقِ المُؤْمِنِ إلَّا في طَلَبِ العِلْمِ**»[1].

والملق: هو التودّد واللطف الشديد. يقول: إِنَّـهُ لَمَلَّاق متملق ذو ملق، ولا يقال منه: مَلِق يملَق. والفعل منه: تَمَلَّق يَتَمَلَّق تَمَلُّقًا.

والإملاق: كثرة إنفاق المال والتبذير حَتَّى يورث الحاجة. وفي القرآن: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١)؛ أي: خشية الفقر والحاجة. يقال: أخفق وأملق وأورق.

(١) ذكره الجاحظ فِي البيان والتبيين، عن معاذ بن جبل بلفظه، ٢٢٥/١. ورواه ابن عدي عن أبي أمامة بلفظه. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ١٠/٥.



وفي الحديث: أن امرأة سألت ابن عبَّاس: أنفق من مالي ما شئت؟ قال: نعم، أملقي من مالك ما شئت.

فيجب للمتعلِّم أن يتملَّق في طلب العلم كما جاء عن النَّبِيّ ﷺ.

وقد قال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذُلَّ التعليم ساعة بَقي في ذلِّ الجهل أبدًا.

قال الشاعر:

بُنَيَّ إِذَا مَا سَامَكَ الذُّلُّ قَاهِرٌ عَزِيزٌ فَإِنَّ الذُّلَّ لِلْعِزِّ أَحْرَزُ
فَلَا تَحْمِلَنَّ يَوْمًا عَلَيْهِ تَعَزُّزًا فقد يورث الذل الطويل التعزز[1]

وعن ابن عبَّاس أَنَّهُ قال: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا. وروي أَنَّهُ كان ينام على أبواب الصحابة في الهواجر حَتَّى تلفح وجهه الشمس للتعليم منهم.

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**لَيْسَ مِن أَخْلَاقِ المُؤْمِنِ المَكْرُ والخَدِيعَةُ إِلَّا فِي العِلْمِ**»[2].

وقال بعض حكماء الفرس: إذا قَعدت وأنت بَزر صغير حيث لا تحبّ قعدت وأنت كبير حيث تحبّ.

وقال الخليل: كنتُ إذا لقيت عالمًا تذَلَّلت له لطلب ما عنده، فإذا رام ذلك مني تذَلَّلت له لطلب ما عندي؛ فأخذت منه وأعطيته.

وقيل له: بما أدركت هذا العلم؟ قال: كنت إذا لقيت عالمًا أخذت منه وأعطيته.

---

(١) البيت من الطويل لأبي الطمحان. انظر: العسكري: جمهرة الأمثال، ١/١٧٠. بلفظ:
بني إذا ما سامك الضيم قاهر مقيت فبعض الذل أوقى وأحرز
ولا تحم من بعض الأمور تعززًا فقد يورث الذل الطويل التعزز

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ، وفي هذه الرواية في معناها.

ويجب عليــه أن يُبَجِّلَه فــي الأقوال، ويجله في الأحــوال، ولا يخاطبه مخاطبة العوام، ويكرِمُه كلّ الإكرام.

قال النَّبِيّ ﷺ: «**مَن أَكْرَم عَالِمًا فقد أَكْرَمَ سَــبعين نَبِيًّا، وَمَــن أَكْرَمَ مُتَعَلِّمًا فَقَدْ أَكْرَمَ سَبْعِينَ شَهِيدًا، وَمَن أَحَبَّ العِلْمَ وَالعُلَمَاءَ لَا تُكتَبُ عَلَيهِ خَطِيئَتُه أَيَّامَ حَيَاتِهِ**»(١).

ومن طريق عائشة عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَنْ وَقَّرَ عَالِمًا فَقَد وَقَّرَ رَبَّه** ﷻ»(٢).

وعنه ﷺ: «**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِكِبَرِ سِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِندَ كِبَرِ سِنِّهِ**»(٣).

ويجب أن يعرف له فضله، ويشكر له فعله؛ فقد قال عليّ بن أبي طالب: «لا يعرف فضل أهل الفضل إِلَّا أهل الفضل».

ومن أكرم معلمه كان معترفًا بفضله، ومنصفًا له في فعله، ومن لم يوف حقه في الإنصاف فقــد كفره واجب الاعتــراف، ومنع نفســه حظًّا جزيلًا، وحرمها شيئًا جزيلًا.

وقال بعض الشعراء:

إِنَّ المُعَلِّــمَ وَالطَّبِيــبَ كِلَاهُمَا ... لَا يَنْصَحَانَ إِذَا هُمَــا لَمْ يُكْرَمَا

فَاصْبِرْ لِدَائِــكَ إِن جَفَوْتَ طَبِيبَه ... وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِن جَفَوتَ مُعَلِّمَا(٤)

---

(١) لم نجد مــن أخرجه بهذا اللفظ. وذكر الشــطر الثاني من الحديــث «ومن أحب..» جمال الدين الجيشي في كتابه: نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، ٤٨/١.

(٢) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين عن عائشة بلفظه، ٧٥/١ (ش). والجيشي عن عائشة. انظر: نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، ١٧٤/١.

(٣) رواه الترمذي عن أنس بلفــظ قريب، باب ما جاء في إجلال الكبيــر، ر٢٠٢٢، ٣٧٢/٤. والطبراني في الأوسط عن أنس بلفظ قريب، ر٥٩٠٣، ٩٦/٦.

(٤) البيتان من الكامل لم نجد من نسبهما. انظر: أدب الدنيا والدين، ٧٥/١ (ش). الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٧٦/١.



ولا يمنع المتعلِّم من ذلك عُلُوّ منزلته وخمــول معلِّمِه؛ فإنَّ العالم إِنَّمَا يستحقّ التعظيم بالعلم الجليل لا بالمال الجزيل.

وقال ابن دريد:

لَا تحقِــرنَّ عَالِمًــا وَإن قَصرت ... أَلحاظُــه فِــي عُيــونِ رَامِقِــه

وانظُــرْ إِليــهِ بعيــنِ ذِي أدبِ ... مهــذّبِ الــرأيِ فــي طَرَائقِــه

فَالْمِســك بَيِّنًــا تَــراه مُمتَهَنًــا ... بِـفِـهـرِ عَــطَّــارِهِ وَسَـاحِـقِـه

حَتَّى تَــرَاهُ فِي عَارِضَــي مَلِك ... أَو موضــعِ التَّاج مــن مَفَارِقِه[١]

وقيل: حمل العلم على ثلاث خصال: حمله عن أهله، والصدق في نقله، والإقرار للمتعلِّم منه بفضله.

وتأديــة العلم علــى خصلتين: تأديته إلى من يســتأهل أن يــؤدَّى إليه، وصيانته عمَّن لا يؤمن عليه.

فليحــذر المتعلِّــم الإدلال على من يعلِّمه وإن حســنت عنــده حالته، وارتفعت لديه منزلته، وطالت له صحبته؛ فإنَّ الإدلال على العلماء من فعل الجهّال، وفيه فساد الأحوال.

وقد قيل لبعض الحكماء: مــن أذلّ الناس؟ فقــال: عالم يجري عليه حكم جاهل.

---

(١) فِي النسخ: مرافقه. وهذه الأبيات من المنسرح لابن دريد في ديوانه، ٨٣/١، بلفظ:

لا تحقــرنْ عالمًــا وإنْ خلقتْ ... أثــوابــهُ فــي عــيــونِ رامــقــهِ

وَانْظُــرْ إِلَيْــهِ بِعَيْــنِ ذِي خَطَــرِ ... مهــذبِ الــرأيِ فــي طرائقــهِ

فالمســكُ إذا مــا تــراهُ ممتهنًا ... بــفــهــرِ عــطــارهِ وســاحــقــهِ

سَــوْفَ تَــرَاهُ بِعَارِضَــيْ مَلِــكٍ ... وَمَوْضِــعِ التَّــاجِ مِــنْ مَفَارِقِــهِ

وقد ذكر الأبيات الماوردي في أدب الدنيــا والدين (٧٦/١) بألفاظ المصنَّف مع اختلاف في البيت الأول فقط.

ويجب أن لا يظهر له الاستكفاء منه، ولا الاســتغناء عنه؛ فإن فِي ذلك كفرًا لِما أولاه، واســتخفافًا بحقِّه، ولا يقصده بتعنت في سؤال، ولا يعتمده بتنكير له بحال؛ فإن أخذ من العلم حظًّا، وحوى منه صدرًا وحفظًا، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لابن البطحاء:

أعـلـمـه الـرمـايـة كُـلّ يـوم فَلَمَّـا اشـتد سـاعده رمانـي

وروي:

أُعَـلِّـمُـهُ الـرِّمَـايَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ فلمـا اسـتَدَّ سـاعده رماني[1]

فمن روى «اشتدَّ» بالشين فمعناه: اشتدَّ وقوي. ومن روى بالسين فمعناه لَمَّا تسـدَّد لِقصد الرمي، والسدَاد: القصد، ومنه التسـديد. وهذه الحالة من مصائب العلماء أن يستجهلهم من علَّموه، ويسترذلهم من خرَّجوه وفهَّموه.

وقد قال النَّبِيّ ﷺ عندما كلَّمته ابنة حاتم، فقال لها: «مَنْ أَنْتِ؟» فقالت: ابنة الرجل الجواد حاتم. فقال عليه السلام: «**ارْحَمُوا عَزِيزَ قَـومٍ ذَلَّ، وَارْحَمُوا غَنِيًّا افْتقَرَ، وَارْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ جُهَّال**»[2].

وقال صالح بن عبد القدوس:

وإِنَّ عَنَـاءً أَنْ تُعَلِّـمَ جَاهِـلًا وَيَحْسَـبُ جَهْلًا أَنَّهُ مِنكَ أَعْلَمُ
مَتَى يَبْلُـغُ البُنيَانُ يَوْمًـا تَمَامه إِذَا كُنـتَ تَبنِيـهِ وَغَيـرُكَ يَهْدِمُ
مَتَى يَنتَهِي عَن سَـيِّءٍ مَن أَتَى بِهِ إِذَا لَم يَكُـن مِنهُ عَليـهِ تَنَدُّمُ[3]

(١) البيت من الوافر لمالك بن فهم الدوسـي الأزدي لَمَّا رماه ابنه بسهـم فقتله. انظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري، ٤٢١/١. والعين، (سد).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ١٣١/١. والماوردي في أدب الدنيا والدين، ٧٦/١ (ش).

(٣) الأبيات من الطويل لصالح بـن عبد القدوس؛ ذكرها بألفاظها المـاوردي في أدب الدنيا والدين، ٧٧/١ (ش). والقالي في الأمالي في لغـة العرب، ٩٦/٢. مع اختلاف في البيت الأول: «..أن تفهم.....منك أفهم».



ويجب أن يمثل له قائمًا، ويكون له طائعًا خادمًا؛ فإنَّ في ذلك له المنفعة، وهو ثواب وشرف لا ضِعَة، وأن يلبيه إذا دعاه، ويحفظ حقَّه ويرعاه، ويصبر على لائمته، ويشكره لفائدته، ويكون له ذليلًا خاضعًا، ولأمره طائعًا سامعًا، وإلى إرادته مسارعًا، وأن يترحَّم عليه حيًّا وميتًا، ويذكره بالجميل حاضرًا وغائبًا، ويرفع إليه ما يَسمع منه، ويستند عليه ما حفظَ عنه؛ فإنَّ ذلك من أدبِ العقل، وصدق النقل، وحقِّ العلم.

وليصبر في التعليم على الغدوّ والرواح، وتعب المساء والصباح؛ فقد روي عن النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا مَا تُحِبُّونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ، وَلَا تَبْلُغُونَ مَا تَهْوَوْنَ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَشْتَهُونَ**»[١].

وقال بعض الحكماء: قدِّم لَجَاجَتَك يُقدَّم لِحَاجَتِك.

وفي منثور الحكم: أتعب قدَمك فكم تعبٍ قدَّمك.

وقال بعض البلغاء: إذا اشتدَّ الكلف هانت الكلف.

قال عليّ بن أبي طالب:

لا تفرحنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَضجَرَةٌ فالنُّجحُ يَهْلِكُ بين العَجْزِ والضَّجَرِ[٢]

---

(١) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين بلفظه مرفوعًا إلى النبي ﷺ، (٥٩/١)؛ والأصبهاني أيضًا في محاضرات الأدباء، ٤١٧/٢. ويروى بمعناه أثـرًا عن عيسى بن مريم عليه السلام. انظر: البيان والتبيين للجاحظ، ٤٦٨/١. والمجالسة وجواهر العلم للدينوري، ١٥٥/١. ويروى أثـرًا عن الحسن البصري. انظر: التمهيد لابن عبد البر، ٢٠٥/١.

(٢) البيت من البسيط ذكره البيهقي في شعب الإيمان ٢٢٤/٧ عن علي، بلفظ:

لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبه فالحجج تتلف بين العجز والضجر

ونسبه أبو هلال العسكري للمقنع. انظر: الصناعتين الكتابة والشعر، ٣٤٦/١. بلفظ:

لا تضجرنّ ولا يَدْخُلْكَ مَعْجَزَةٌ فالنُّجحُ يَهْلِكُ بين العَجْزِ والضَّجَرِ

ونسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين لعلي بن أبي طالب، ٥٩/١، بلفظ:

لا تعجزنَّ ولا يدخُلْك مُضْجرةٌ فالنُّجْحُ يهلك بين العجز والضجر

ويجب أن يميل إلى العلوم إلى ما تميل إليه نفسه، ولا يُكْرِهها على ما لا تميل إليه، ولا يتكلَّف الحرص عليه؛ فإن النفس غير آخذة ما لا تهواه.

فقد قال عليّ بن أبي طالب: إنَّ القلب إذا كره عمي.

وقال بعضهم:

لا تطلبنَّ سوى مَا النفسُ طالبَة   فربَّما فاتكَ الأمرَان ثَـمَّ معًا[١]

ويجب أن لا يأخذ هذا الفنَّ تاركًا لما سواه من الفنون، بل يرغب نفسه في غيره ويشهيها، ويحببه إليها ويمنِّيها، ولا يكون عن غير ما رغب فيه من الفنون راغبًا ولمتحملّه عائبًا؛ بل يكون فيه راغبًا، ولـه معظِّمًا طالبًا؛ فإن قليل العلم كثير، وصغيره كبير. قال الشاعر:

تَـرَقَّ إلَى صَغِيـرِ الْأَمْـرِ حَتَّى   يُرَقِّيَـكَ الصَّغِيـرُ إلَـى الْكَبِيرِ
فَـتَعْـرِفَ بِالتَّفَكُّـرِ فِـي صَغِيرٍ   كَبِيـرًا بَعْـدَ مَعْرِفَـةِ الصَّغِيرِ[٢]

وقد قال بعض الحكماء: عليك بالعلم والإكثار منه، فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير، وكثيره أشبه بكثير الخير، ولن يعيب الخير إلَّا القلَّة، فَأَمَّا كثرته فَإِنَّهَا أمنيته.

ويجب إذا ظفر بمعلم أن يَلْزمه، فربما عَظُم أَسَفُه إن عَدمه، ولينتهز فُرصته بأخذه عنه، وليستنفد غنيمته منه، فليس في كلّ أوان للبغية إمكان، ورُبَّما شحَّ الزمان بما سمح، وضنَّ بما منح، والأشغال صادّه، والأحوال رادَّه.

ويجب أن لا يدع جهده في التعليم فيُفضي به ذلك إلى الملال والترك

(١) البيت من البسيط، لم نجد من ذكره.

(٢) البيتان من الوافر، ذكرهما الماوردي ولم ينسبهما. انظر: أدب الدنيا والدين، ١/٥٠ (ش).

والإهمال، وقد قالت الحكماء: طالب العلم وعامل البرّ كآكل الطعام، إن أخذ منه قوتًا عصمه، وإن أسرف فيه بشَمه[١]، وربَّما كان فيه مَنِيَّته.

وينبغي أن يريح قلبه في الأوقات ويخفف عنه /٦٧/ في الساعات، فقد روي عن النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّ القُلُوبَ تَمُوتُ وَتَحْيَى إِلَى بَعْدَ حِينٍ**»[٢].

وقال ابن مسعود: للقلوب شهوة وإقبال، وفَترة وإدبار؛ فأتوها من قِبل شهوتها، ولا تأتوها من قبل فَترَتها. وقال عليّ بن أبي طالب: إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فأريحوها. قال الشاعر:

وما سُمِّي الإنسان إلَّا لنَسْيِه ... ولا القلب إلَّا أَنَّهُ يتقلَّب

وينبغي أن لا يعتمد حفظه فيغفل بتقييد العلوم، فإنَّ النسيان آفة الحفظ. وقد روى عن النَّبِيّ ﷺ من طريق أنس أَنَّهُ قال: «**قَيِّدُوا العِلمَ بِالكِتَابِ**».

وعن أبي هريرة قال: كانَ رجل يشهد معنا حديث النَّبِيّ ﷺ فلَا يحفظه، فقال: «**اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ**»[٣]. قال وكيع: يعني: اكتب.

قال الشاعر:

وَالْعِلْمُ نَنْسَاهُ إذَا ... لَمْ يُقَيَّد فِي الكُتُب[٤]

---

(١) البَشَمُ (محركة): التخمة والسآمة، بَشِم كفرح، وأبشمه الطعام. انظر: القاموس المحيط، (بشم).

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ، ورواه أحمد بن حنبل فِي الزهد، موقوفًا عن الحسن: «إن القلوب تموت وتحيا فإذا هي ماتت فاحملوها على الفرائض فإذا حييت فأدبوها في التطوع»، ح١٦٧٧، ٢٢٦/٤.

(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة بمعناه، باب ما جاء في الرخصة فيه، ر٢٦٦٦، ٣٩/٥. وذكره الحكيم الترمذي عن ابن عباس. انظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ١٧٤/١.

(٤) البيت من المضارع، لم نجد من ذكره.

ويجب أن يدع العُجــب جانبًا، ولا يرضاه صاحبًا؛ فَإِنَّــهُ يقبح بالأولياء ويزري بالأدباء.

وينبغي أن يعلم أن العلــم يمنع من العجب، وأن يعلم أن ما علمه قليل نزر فيما لم يعلمه، فَإِنَّهُ حَتَّى يموت [يبقَى] متعلِّمًا محتاجًا فما وجه العجب. ويجب أن لا يدع التعليم لكبر ســنه، فلأن يكون شيخًا متعلِّمًا أولى من أن يكون شيخًا جاهلًا.

وقال المأمون لعمّه إبراهيم بن المهــدي(١): والله لأن تموت طالبًا للعلم خير من أن تعيش قانعًا بالجهل.

قال: وإلى متى يحســن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة، والجهل بك قبيح، وبالكبير أقبح؛ وهو له أشــين وأسمج، وإلى التعليم أفقر وأحوج.

وقال بعض الأدباء:

إِذَا لَم يَكُنْ مَرُّ السِّنِينَ مُتَرْجِمًا عن ... الفَضْلِ فِي الإِنسَانِ سَمَّيْتَه طِفْلَا

وَمَا يَنْفَعُ الأَعْوَامُ حِينَ يَعُدُّهَا وَلَم ... يَسْــتَفِد فِيهِنَّ عِلمًــا وَلَا فَضْلَا

أَرَى الدَّهْرَ مِن سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلَا ... إِلَى كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَأَنَّ بِهِ جَهْلًا(٢)

---

(١) إبراهيم بــن مُحَمَّــد المهدي بن عبدالله المنصور، ابن شــكلة العباســي الهاشــمي، أبو إســحاق (١٦٢ - ٢٢٤هـ): أمير حازم وشــاعر فصيح. ولد ونشــأ في بغداد، أخو هارون الرشــيد ولاه إمرة دمشــق ثم عزله ثُــمَّ أعاده. واتخذ فرصــة اختلاف الأمين والمأمــون ليدعو إلى نفســه، وبايعــه كثيرون ببغــداد، فأهدر دمه المأمــون، فجاءه مستسلمًا، فســجنه ثُمَّ عاتبه فاعتذر له فعفا عنه. مات في ســر من رأى. وصلى عليه المعتصم. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٩/١.

(٢) الأبيات من الطويل ذكرها الماوردي ولم ينسبها. انظر: أدب الدنيا والدين، ٣٧/١.

ويجب أن لا يستصعب التعليم، ولا يستضعف نفسه عنه؛ فإن الهيبة تورث الخيبة. قال الشاعر:

لَا تَكُونَنَّ لِلأُمُورِ هَيُوبَا فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ الهَيُوبُ[١]

وقال آخر:

إِذَا هِبْتَ مَركَبًا فَقَع فِيهِ فَإِنَّمَا هَيْبَتُهُ تَوَقِّيهِ[٢]

ويجب له إذا حضر مجلس معلّمه أن لا يسيء آدابه، ولا يعترض عليه جوابه، كما فعل الفرزدق في مجلس الحسن فيستخرق.

حدّث أبو بكر الهذلي قال: جاء الفرزدق إلى مجلس الحسن وقد حشد، فتخطَّى القوم حَتَّى جلس إلى جنبه، فجعل لا يُسأل الحسن عن شيء إِلَّا بدره إِلَى الجواب، فقال: ألم تسمع ما قلت في هذا؟! وسأله رجل عن رجل حلف وقال: لا والله، وبلى والله، ولم يُرِد عَقد اليمين. فبدَره بالجواب وقال: ألم تسمع ما قلت في هذا؟! فقال: وما قلت؟ فقال:

وَلَستَ بِمَأْخُوذٍ بِلَغوٍ تَقُولُهُ إِذَا لَم تَعمد[٣] عَاقِدَاتُ العَزَائِمِ

وجاءه رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد، إنا نكون في المغازي، وإن واحدنا يصيب المرأة؛ أيحلّ له غشيانها؟ فقال الفرزدق: أما سمعت ما قلت في هذا! فقال الحسن: ليس كما قلت، قد سمعت الناس فما قلت؟ فقال: قلت:

وَذَاتُ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا جِهَارًا[٤] لِمَن يَبْنِي بِهَا لَم تَطْلُقِ

---

(١) البيت من المديد لم نجد من نسبه. انظر: العسكري: جمهرة الأمثال، ٤٨٨/١. والأبشيهي: المستطرف، ٣٤١/١.

(٢) نسب هذا المعنى الأبشيهي فِي المستطرف (٣٤١/١) إِلَى الإمام علي بن أبي طالب بلفظ:
«إذا هِبْتَ أمرًا فقع فيه فإن شرَّ توقيه أعظم مِمَّا تخاف منه»

(٣) فِي النسخ: تعاهد.

(٤) في محاضرات الأدباء: حلالًا.

وكان لا يُسأل الحسن عن شـــيء إِلَّا بدره الفرزدق فأجابه فيه بشعره[١]. وهذا هو الجهل والحمق وسوء الأدب والخرق.

تقول: أخـــرق الرجل به يخرق مـــن الحمق فهو أخـــرق. وخرق يخرق بالشـــيء فهو أخرق؛ أي: لا يحسِـــن العمل بيـــده. والخرق نقيـــض الرتق، وصاحبه أخرق. والخَرِق من الفتيان: الظريف في سماحة وحدّة، قال:

وَخَـرِقٍ يَرَى الـــكَأْسَ أُكْرُومَـةً ... يُهِيـــن اللُّجَيْنَ لَهَـــا وَالنُّضَّارَا[٢]

والنضار: الذهب. /٦٨/ واللجين: الفضَّة.

(١) انظر هـــذه الأبيات والقصة في: الأصبهاني: الأغانـــي، ٣٠٧/١٠. والأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٥٦٢/١ - ٥٦٣.

(٢) البيت ينسب لليث. انظر: تاج العروس، (خرق).

باب ١٣ في آداب المسؤول والسائل والفتيا والجواب عن المسائل

السؤال: يهمز ولا يهمز لغتان، تقول: سأله وساله، وسألته وتُسِيلُه، وسَأَل وسُـيِل ويُسَالُ، وقد قُرِئ: ﴿كَمَا سُـِيلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ (البقرة: ١٠٨)[١]. وهي: لغة من لا يرى الهمز. قال الشاعر:

سَـالَتْ هُذَيْلٌ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً ... ضَلَّتْ هذيلٌ بما قالتْ ولم تصبِ[٢]

وهو من السؤال إِلَّا أَنَّهَا لغة من لا يهمز.

وقال آخر:

سَـالَتانِي الطَّـلاقَ أَنْ رَأَتَانِـي ... قَلَّ مَالِي قَـدْ جِئْتُمَانِـي بِهُجْرِ

وروي «بِنُكرٍ»[٣]، فلم يهمز.

وقال الفرَّاء:

أَقُـولُ لَهَـا إِذَا سَـأَلَتْ طَلَاقًا ... إِلَامَ تُسَارِعِيـنَ إِلَـى طَلَاقِي[٤]

ويروى: «فراقي».

---

(١) وهي القراءة بتسهيل الهمزة كما عند حمزة وبعض القرَّاء.

(٢) البيت من البسيط لحسان بن ثابت في ديوانه، ٣٢/١.

(٣) البيت مـن الخفيف، ينسب لزيد بن عمرو بن نفيل. انظر: كتاب سـيبويه، ١٥٥/٢، بلفظ: «قد جِئتُماني بِنُكْرِ».

(٤) لم نجد من ذكره.



وقُــرِئ: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡـرًا فَإِنَّ لَـكُم مَّا سَـأَلۡتُمۡ ﴾ (البقـرة: ٦١). وبعضهــم: ﴿سَـأَلۡتُمۡ﴾[١] فجمع بين ســاكنين. وبعضهم يجعله من أولاد الثلاثة؛ فيقول: سِلتم: بكسر السين، وأنتم تَسَالُون، مثل: خِفتم وتخافون.

قال الفرزدق:

تَعَالَوا فَسَــالُوا يَعلَمِ النَّاسُ أَيُّنَا   لِصَاحِبِه فــي أَوَّلِ الدَّهْرِ تَابعُ[٢]

وعن ابن عبَّاس: ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩)[٣] بفتح التاء وجزم اللام. تقول: ســألت فلانًا مسألة بالهمزة، وسَلته سؤالًا بلا همز، وساله ـ أيضًا ـ. وقال المجنون:

وَنَادَيْتُ يَا ذَا العَرشِ أَوَّل سَــالَتِي   لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُهَا[٤]

---

(١) قال القرطبي فِي تفسيره (٤٣٠/١): «وقرأ ابن وثاب والنخعي (ســألتم) بكسر السين، يقال: سألت وســلت بغير همز، وهو من ذوات الواو، بدليل قولهم: يتساولان». وقال أبو حيان فِي تفســير (٣٩٧/١): «وقــرأ إبراهيم النخعي ويحيى بن وثَّاب: (سِــألتم) بكســر الســين، وهذا من تداخل اللغات، وذلك أن في «ســأل» لغتين، إحداهما: أن تكون العين همزة، فوزنه فَعَل، والثانية: أن تكون العين واوًا، تقول: سأل يسأل فتكون الألف منقلبة عن واو، ويدل على أَنَّهُ من الواو قولهم هما يتســاولان». وقال خاروف: هي قــراءة حمزة بالتســهيل. انظر: خاروف: الميســر فِــي القراءات الأربع عشــرة، البقرة: ٦١.

(٢) البيت من الطويل للفرزدق. انظر: الحماسة المغربية، ٦٣٢/١.

(٣) هذه القراءة قرأ بعض أهل المدينة كما قال الماوردي فــي النكت والعيون، وقرأها حمزة بضمّ التاء ونقل حركة الهمزة فقرأ: «ولا تُسَلْ». انظر: خاروف: الميسر فِي القراءات الأربع عشرة، البقرة: ١١٩.

(٤) البيت من الطويل لقيس بن معــاذ العامري. انظر: الزاهر في معانــي كلمات الناس، ٦/١ بلفظ:

فناديــت يا ربــاه أول ســألتي   لنفســي ليلى ثم أنت حســيبها

وقال آخر:

سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنهُم فَمَا النَّاسُ إِلَّا عَالِمٌ وَجَهُولُ[١]

وعن علي بن أبي طالب أَنَّهُ قال: سلوني قبل أن تفقدوني.

وقال حميد بن ثور:

سَلِي الرَّبع أَنَّى يَمَّمْتِ أُمَّ طَارِقٍ وَهَلْ عَادَةٌ لِلرَّبْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَا[٢]

وقال آخر:

وَجَامِعُ العِلْمِ مَغْبُوط[٣] بِزَهْرَتِهِ وَفَضْلُ أَربَابِهِ إِن قِيلَ أَو سُيِلَا[٤]

وقال آخر:

فَسَلِ الفَقِيهَ تَكُن فَقِيهًا مِثْلَه مَنْ يَسْعَ فِي عِلْمٍ بِفِقْهٍ يَمْهَر[٥]

والعرب قاطبة تحذف همزة سأل، فإذا وصلت بالواو والفاء همزت، كقولك: فَسْأَلْ، وَسْأَلْ. وجمع المسألة مسايل، تقول: سَاوَلْتُه مُسَاوَلة في لغة هذيل. ومن قال: سالته فقد أخطأ.

---

(١) البيت من الطويل لصفي الدين الحلي في ديوانه، ٤٢/١.

(٢) البيت من الطويل لحميد بن ثور الهلالي. انظر: الفصل في الملل، ١٢/٥؛ بلفظ: «.. يممت يا أم سالم..»

(٣) في النسخ: مقنوط، والتصويب من محاضرات الأدباء.

(٤) لم نجد من ذكره بهذه الألفاظ، وينسب مثله في محاضرات الأدباء (٤٩/١) لصالح بن عبدالقدوس يقول فيه:

«وجامعُ العلمِ مغبوطٌ به أبدًا فلا يحاذرُ منه الفوتَ والطلبا»

(٥) البيت من الرجز لابن الأعرابي. انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٨٥/١ (ش). ابن الحاج المالكي: المدخل، ١١/٢.

فصل منه: [فِي أوجه السؤال]

والسؤال على وجوه: فمِنه: سؤال الإنسان شيئًا، ومنه: سؤال مطالبة بحقّ، وهو كقولك: سألت فلانًا ما لي عليه؛ أي: طالبته فلا يحتاج في هذا إلى عزٍّ.

قال الله تعالــى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ (الأحــزاب: ١٥)؛ أي: مطالبًا به. وكذلك: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكويــر: ٨، ٩)؛ أي: طولبَ بها بِذَنبها.

قال الشاعر:

سَــأَلنَاكُم قَبْلَ الرِّمَــاحِ حُقُوقَنَا فَلَمَّا أَبَيْتُم كَانَ حَاكِمُنَا السُّمْرُ[١]

ومنه: سؤال استخبار عن الشيء. ومنه: سؤال تعليم. ومنه: سؤال تفهيم. وسؤال تعنت؛ وليس كثرة الســؤال فيما التبس إعناتًا، ولا قبول ما صحَّ في النفس تقليدًا.

وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**العِلْمُ خَزَائِنُ، وَمَفَاتِحُهُ المَسْأَلَة، فَاسْأَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَإِنَّمَا يُؤْجَرُ في العِلمِ ثَلَاثَةٌ: القَائِلُ والمُستَمِعُ والآفِد**»[٢].

ويقال: سَلْ سُؤال الحمقى، واحفَظ حفظ الكيسَى؛ أي: استفهمه، واسأله إذا طلبت منه شــيئًا. وســأل القوم عن كذا: إذا ســألوا عنه غيرهم. وتساءل القوم: إذا ســأل بعضهم بعضًا عنه. وتقول: سألتُ عبد الله علمًا؛ تريد سألت عبد الله فوجدته عالمًا.

---

(١) لم نجد من ذكره.

(٢) رواه أبو نعيم عن علي بن أبــي طالب في حلية الأوليــاء، ١٩٢/٣؛ بلفظ: «العلم خزائن ومفتاحها الســؤال فاســألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة الســائل والمعلم والمستمع والمجيب لهم».



فصل منه: [فِي حروف الاستفهام]

وحروف الاستفهام: تسعة عشر حرفًا، وهي: هل، والألف، وأين، وكيف، ومتى، وأنَّى، وما، ومن، وأيّ، وأيّان، ومالك، وما شـأنك، وما بِك، ولعلّ، ولولا، ولوما، وهلّا، وكم، وماذا.

فَأَمَّا «هل»: فإِنَّهَا تقع على كُلّ خبر فيقع جوابها: بلَا ونَعم؛ كقولك: هل قام زيد؟ فتقول: نعم، أو لا.

وأَمَّا «الألف»: فَإِنَّهَا تترجم عن «أيّ»، ويكون «أم» مَردودة عليها؛ كقولك: أيّهما ضربْتَ زيدًا أم عمرًا؟ فيقع الجواب بأحدِ الاسـمين. فإذا ابتدأت بها ولم تزد عليها «أم» وقع الجواب فيها بـلا أو نعم؛ كقولك: أَقَامَ زيدٌ، فيقول لك: لا، أو نعم.

وقد تدخل الألف على /٦٩/ «هل» في الاستفهام. قال الشاعر:

أَهَـلْ يُكذَّبُ مَن أَدْلَـى بِحُجَّتِهِ وَهَلْ يُكذِّبُ أَمْثَالِي إِذَا نَطَقُوا[١]

فجاء بالجميع في البيت، وقد ذكرتُ علل هذا فِي كتاب الإبانة[٢].

وأَمَّا «أين» فَإِنَّهَا استفهام عن المواضع والأمكنة.

وأَمَّا «كيف» فَإِنَّهَا اسـتفهام عن الاسـم؛ إذا قلت: كيف أنت؟ قال: صالح بخير وعافية. ويقال: «كيف» كان في الأصـل «كيفه»، ثُمَّ حذفت الهـاء، فبقيت الفاء على فتحهـا، والعرب تحذف خبـر كيفَ لمعرفتهم بذلك.

---

(١) نسبه العوتبي في الإبانة إِلَى الأعشى ولم نجده في ديوانه، كما لم نجد من ذكر البيت غير العوتبي.

(٢) انظر: الإبانة، ٥٦٥/٤ - ٥٦٧.

قال الله تعالــى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (محمـد: ٢٧) وهو كثير في القرآن. قال جميل:

فَكَيفَ وَلَا يُوفِـي دِمَاؤُهُم دَمِي   وَلَا مَا لَهُـم ذُو نُدْهَةٍ فَيَدُونِي[١]

أي: كيف يقتلونني، فحذفت خبره. قوله: «ذو ندهة» أي: ذو سعة وكثرة. «يدوني» من الدية. وقد ذكرت علل «كيف» في كتاب الإبانة[٢].

و«متى»: فإنها اســتفهام عن المواقيت إذا قلت: متــى تخرج؟ قال: يوم الخميس أو يوم الجمعة.

وأَمَّا «أَيُّ» فَإِنَّهَا مشاكلة لـ«أين».

وأَمَّا «ما» بمعنى «أي» وهو اســتفهام عن جنس الشــيء؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ (البقــرة: ٦٨). إذا قلت: مَا أَكَلْتَ؟ قال: خبزًا ولحمًا [و]تمرًا.

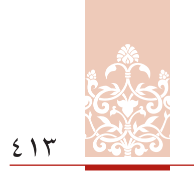
و«مَن» لا تكون استفهامًا إِلَّا للأَنَاسِي[٣]، تقول: مَن قام ومَن قعد؟ فتقول: زيد وعمرو. و«ما» تكون استفهامًا على غير الأناسي.

و«أَيُّ»: إذا أضفتها إلى معرفة وقع الجواب بأحد الاسمين، كقولك: أيّ الرجلين قاما؟ فتقول: زيد وعمرو. فإذا أضفتها إلى نكرة وقع الجواب بصفة الاسم، كقولك: أيُّ رجلٍ قام؟ فتقول: حسن، قبيح، طويل، قصير.

(١) البيت من الطويل لجميل بثينة في ديوانه، ١١٠/١.

(٢) انظر: العوتبي: كتاب الإبانة، ٩٣/٤ - ٩٥.

(٣) فِي النسخ: «لا تكون إِلَّا استفهامًا من غير الأناسِي»، ولعل الصواب ما أثبتنا حتى يستقيم المعنى. والأناســي جمع إنســان، أي «من» لا تدخل إِلَّا على العقلاء، بخلاف «ما» فَإِنَّهَا مبهمة تقع على غير العقلاء.



ولـ«أَيُّ» أربعة مواضع: معنى الاستفهام، ومعنى الجزاء، ومعنى الخبر، ومعنى النعــت. وليس القسط[1] بالكتــاب إلى هذا البــاب فأذكره، ولذلك تركت شرحه.

و«أيَّان» مشاكلة لـ«مَتَى» إِلَّا أَنَّهَا كناية عن الحين، كقولك: أَيَّانَ يَخرجْ؟ فمعناه: أيّ حِينٍ يَخرجْ؟ وفــي القرآن: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ (النازعات: ٤٢)؛ والمعنى: في أَيّ حِينٍ مرساها.

وأَمَّا «ما بالك» و«ما شأنك» و«ما لك»؟ فكلّه استفهام عن الحال متشابه.

و«لعلَّ» إذا اســتفهمت بها وقع الجواب فيها بنعم أو لا؛ كقولك: لعلَّك تقوم؟ ولعلَّك تخرج وتقعد؟ فتقول: لا أو نعم.

و«لولا» و«لوما» بمنزلة «هَلَّا»؛ إذا جئت معهــا بالماضي لم يحتج إلى جواب. وإذا جئت معها بمستقبل وقع معها الجواب بلا.

و«كم» اســتفهام عن العدد، إذا قلت: كم عندك من درهم؟ فتقول: عشرة أو عشرون.

و«ماذا» استفهام بمنزلة «ما»؛ فيه اختلاف: قال قوم: هما حرف واحد.

وقال ابن الأنباري: «ما» صلة و«ذا» بمعنــى «الذي»، وفي القرآن ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ (المدثــر: ٣١)؛ قال الزجّاج: ما أراد الله بالذباب والعنكبوت بهذا مثلًا؟

و«لِمَ»: اســتفهام عن عِلّة الشــيء، ويكون بغير ألف. وكذلك «بم» و«فيم» و«عمّ»؛ قال الله ﷻ: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ (الصف: ٥)، و﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٤٣)، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ: ١). ويقولون: عمَّ يسأل، وفيمَ يقوم، ولِمَ يقعد.

(١) كذا فِي النسخ، ولعل الصواب: القصد.

وتقول في الإخبار: سـل عمَّا بدا لـك، وخذ فِيما شـئت، وامضِ لما أمرت، /٧٠/ فهذا الفرق بين الاستفهام والإخبار.

فصل: [في آداب السؤال]

وينبغي للعالم إذا سأله السـائل متعلمًا أن يجيبه، فإن عاوده متفهمًا أن يفيدَه ويُبَيِّنه ولا يضجر؛ فربما لم يفهم عنه الجواب في أوَّل إجابته. فإن بان له أَنَّهُ يسأل مُتَعَنِّتًا أو عَابثًا أو طَالِبَ رُخصَةٍ أو مُتَأَوِّلًا صَمَت عنه ولا يُجيبه؛ لأَنَّ المتعنـت يريد الأذى ويقصد الامتحان، فجدير أن يقف المسـؤول عن جوابه. وهذا عن ابن عبَّاس العالم الحبر والقدوة والقائل: «من سـألني عما دون العرش أخبره به» قد أمسك عن إجابة المتعنِّت له.

وهذا علي بن أبي طالب قد سأله ابن الكوَّا[1] وهو على المنبر، فقال: وَيلَك! اجلس يا ابنَ الكوَّا؛ فإنَّك مُتَعَنِّت ولَست بمُتَفَقِّه.

فقال: والله ما أنا بمتعنِّت وإنِّـي لَمُتَفَقِّه، وإنَّك لإمام وإنَّا لَرَعِيَّة، وإنَّ لله الْحُجَّة عليك. قال: ويلك! يا ابن الكوَّا، سَـل تَفْقَهْ فإِنّ بين أَضلاعي عِلمًا جَمًّا.

فقد توقَّف عن إجابتـه؛ إذ ظنَّ أَنَّـهُ متعنِّت، ثُمَّ أجابه إذ أقسـم له أَنَّهُ متعلِّم.

والتعَنُّت: التفعُّل من العَنَت، وهو: إدخالُ المشقَّة على الإنسان. تقول: قد تعنَّت فلان، أي: لقي عَنَتًا، يعني: مشقَّة في أمر يكون. وأَعنَته فلان إعناتًا: إذا أَدخلَ عليه عنتًا. وتَعَنَّته تعنُّتًا: إذا سـألته عن شـيء أردتَ بـه اللبس عليه

(١) هو أبو عمـرو عبد الله بن الكَـوَّا الأعور: رجل من بنـي بكر بن وائل. انظـر: ابن حجر: المطالب العالية، ٢٧١/١٥.

والمشـــقَّة، وفي القرآن: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٠)؛ أي: لأهلككم بالتشديد عليكم في مخاطبتكم. والعنت: الهلاك، قال القطامي:

فَلَا هُم صَالَحُوا مَـن يَبْتَغِي عَنَتِي ... وَلَا هُم كَدَرُوا الخَيْرَ الذِي فَعَلُوا[(١)]

قال الفرَّاء:

يُحَاوِلُ إِعْنَاتِـي بِمَا قَالَ أَوْ رَجَا ... لِيَضْحَكَ مِنِّي أَو لِيَضْحَـكَ صَاحِبُه[(٢)]

وفـي القرآن ـ أيضًـا ـ قولـه ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ (النسـاء: ٢٥). وأصل العنت: الهلاك، ثُمَّ جُعل كُلّ ما يضرّ بالإنسان ويشق عليه عَنتًا.

ومن سأل عانتًا أو متعنِّتًا أو للرخص في الدين طالبًا فَالسكوت عنه صواب، فهو له جواب؛ لأَنَّه يكون بسؤاله ذلك سفيهًا، ولا جواب أَقطع للسـفيه من الصمت. وقـد قالت الحكماء في ذلك والشـعراء شـعرًا فأكثرت، قال:

إِذَا نَطَـقَ السَّـفِيهُ فَـلَا تُجِبْـهُ ... فَخَيْرٌ مِـنْ إِجَابَتِـهِ السُّكُوتُ[(٣)]

وقال آخر:

أَشَـدُّ مَـرْدُودٍ عَلَـى السَّـفِيهِ ... صمتٌ يَـرُدُّ قولـه فـي فيه[(٤)]

وقالت الحكماء: الصمتُ حكمة وقليلٌ فَاعله.

---

(١) البيت مـن البسيط للقطامي. انظر: أبو زيد: جمهرة أشـعار العـرب، ٢٤٣/١. والبغدادي: خزانة الأدب، ٤٣٧/٦.

(٢) البيت من الطويل للفراء. انظر: البغدادي: خزانة الأدب، ٤٨٨/٣.

(٣) البيت من الوافر لسالم بن ميمـون الخواص. انظر: ابن أبي الدنيـا: الحلم، ٣٤/١. وابن حبان: روضة العقلاء، ١٤٠/١.

(٤) البيت من الرجز، لم نجد من ذكره.

وكان بعض الحكماء إذا سئل عن أمر فيه الجواب تَمثّل بهذا البيت:

أَرَى الْصَّمْتَ خَيْرًا مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ إذا لــم يكن للناطقيــن كلام[١]

وقد ســئل أبو مُحَمَّد رَحِمَهُ اللهُ عن غير مذهبه، فتمثَّل على السائل بهذا البيت:

تحاولُ منِّي شــيمة غير شِيمتي وتطلبُ منِّي مذهبًا غير مذهبي[٢]

ويقال للسائل إذا خلط في ســؤاله: قد أَلبس وأَبتَر وأَشكَل ومَوَّه ووَرَّى وعَسَّر ولَبَّك.

وقال الحسن البصري لرجل سأله عن شــيء: لَبَّكْتَ، أي: خلطت عليَّ. يقال: أمر لَبِك؛ أي مُختلط. وقال زهير:

رَدَّ القِيَانُ جِمَــالَ الحَيِّ فَاحْتَمَلُوا إِلَى الظَّهِيرَةِ أَمْــرٌ بَيْنَهُمْ لَبِك[٣]

ويقال: بَلَكت ـ أيضًا ـ: إذا خَلطت، وهو من المقلوب. وقال المرَّار[٤]:

أَنَاةٌ كَأَنَّ الْمِسْــكَ دُونَ شِعَارِهَا يُبَكِّلُــه بِالعَنْبَرِ الــوَرْدُ مُقطّب[٥]

تَبكله؛ أي: تخلطه. والمقطب: المازج، يقال: قطبت الشراب وأقطبته.

---

(١) البيت من الطويل، لم نجد من ذكره.

(٢) البيت من الطويل للبحتري. انظــر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٩٨/١٩. والقلقشــندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٢٧٠/٢.

(٣) البيت من البسيط لزهير في ديوانه، ٣١/١.

(٤) زياد بــن منقذ بن عمرو الحنظلي العــدوي التميمي، يلقب بالمرار (ت: ١٠٠هـ): شــاعر أموي، معاصر للفــرزدق وجرير. أقام في بطن الرمة بنجــد وزار اليمن. له قصيدة في ذم صنعاء ومدح بلده وقومه، هجاه جرير. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٥/٣.

(٥) فِي النسخ: «شــعاعها»، والتصويب من الديوان. والبيت من الطويل لابن مقبل في ديوانه، ص١١. ونســبه للمرارِ ابنُ قتيبة في غريب الحديث، ٦١٦/٢؛ ومنه أخذ المصنّف لاتفاق العبارات بين ما ذكره المؤلف وما جاء في غريب الحديث وهو الأصح، والله أعلم.

قال عيسى بن عمر(١): سألت ذا الرّمة عن شيء ليس على جِهته؟ فقال: أتعرف اليَتْن؟ فقلت: نعم. فقال: فكلامك هذا يَتْن، أي: كأنّه مقلوب. واليتن: أن تخرُج رِجْلا المولود قبل رأسه. يقال: أيْتَنَت المرأة؛ إذ نالها هذا.

وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**هَلَّا سَأَلْتُم إِذَا لَمْ تَعلَمُوا، [وَإِنَّمَا شِفَاءُ العَيِّ السُّؤَال**»(٢).

قال الشاعر:

فَاسْأَلْ وَلَا يَصُدَّنَّكَ الحَيَاءُ … إِنَّ السُّؤَالَ لِلعَمَى شِفَاءُ(٣)

وروي عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**إِيَّاكُم وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ**»(٤). وليس هذا مخالفًا للأوّل؛ وَإِنَّمَا أمرَ بالسؤال من قصد به علم ما جهل، ونهى عنه من قصد به إعنات ما سمع.

وينبغي للعالم إذا سُئل [عن شيء] أن لا يَعجلَ بالجواب وإن كانَ له حافظًا حَتَّى يعرفه معرفة صحيحة، فيجيب بعلمٍ /٧١/ ويقين؛ فَإِنَّهُ

(١) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان (ت:١٤٩هـ): من أئمة اللغة بالبصرة. نزل في ثقيف فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي. شيخ للخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذّب النحو ورتبه. كان صاحب تقعر في كلامه، مكثرًا من استعمال الغريب. له نحو سبعين مصنفًا احترق أكثرها، منها «الجامع» و«الإكمال» في النحو. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٠٦/٥.

(٢) رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله بلفظ قريب، باب في المجروح يتيمم، ر٣٣٦، ٩٣/١. والبيهقي في السنن الكبرى عن جابر بلفظ قريب، ر١٠١٦، ٢٢٧/١.

(٣) البيت من المنسرح، لم نجد من ذكره.

(٤) روى الشطر الأول من الحديث الطبراني في مسند الشاميين، عن الحجاج بن عامر الثمالي مطولًا، ر٥٥٠، ٣١٣/١. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن الحجاج الثمالي بلفظه، ١٤٠/٢. أما الشطر الثاني فرواه مسلم عن أبي هريرة بمعناه، بَاب توقيره وترك إكثار سؤاله...، ر١٣٣٧.

من آداب العلمـاء وصفاتهم. وقد يروى في الحديـث: «**المُؤْمِنُ وَقَّافٌ، وَالمُنَافِقُ وَثَّابٌ**»(١).

وينبغي إذا سُـئل عمَّا يعلم أن يجيـب، ولا يقول: إنـي لا أدري؛ فَإِنَّهُ مكروه وكَذِب.

وقد قيل: إنّ الرياءَ سبعة وسـبعون بابًا، أدناها فيما يقول(٢) فيما يدري: لَا أدري.

ابن عبَّاس: أن عمر سأل أصحابه يومًا عن قول الله ﷻ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (البقـرة: ٢٦٦) الآيـة(٣)، فقالوا: الله أعلم؛ فغضب، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم(٤).

وعن عمر: أَنَّهُ سأل رجلًا عن شيء، فقال: الله أعلم، فقال عمر: قد خزينا إن كنَّا لا نعلم أنَّ الله يعلم. إذا سـئل أحدكم عن شـيء إن كان يَعلمه قاله، وإن لم يعلمه قال: لا علم لي بذلك(٥).

وينبغي إذا سئل عَمَّا لا يعلم أن يقولَ: لا أدري.

قال ابن عبَّاس: إذا ترك العالم قول: لا أدري؛ أصيبت مقاتِلُهُ.

---

(١) ذكره الزمخشـري فِي ربيع الأبـرار (١٠٢/١ ش) مرفوعًا إلى النَّبِـيّ ﷺ بهذا اللفظ. وله شواهد وتوابع فِي كتب الحديث الأخرى. ورواه البيهقي فِي الزهد الكبير (ر٩٣٨) موقوفًا على عمر بلفظ: «المؤمن وقاف يمضي عند الخير ويقف عند الشر».

(٢) كذا في جميع النسخ. ولعل الصواب: «أدناها أن يقول».

(٣) وتمامها: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس مطولًا بلفظ قريب، باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ...﴾، ر٤٢٦٤.

(٥) انظر هذا فِي: الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٧٥٥/٢.



وقال بعض الحكماء: من قال: لا أدري؛ علم فدرَى، ومن انتحل ما لا يدري أهمل فهوى.

ويروى عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا أَدْرِي نِصفُ العِلْمِ**»[١]. وقال بعضهم: هلك من ترك لا أدري.

وكان ابن عبَّاس وهو ترجمان القرآن وحبر هذه الأمَّة وعالمها وربَّانِيّها يقول: لا أدري ما الغِسْلِين.

وروي أنَّ رجلًا سأل النَّبِيّ: أيّ البقاع خير، وأيّ البقاع شرّ؟ فقال: «**لَا أَدْرِي حَتَّى أسأل جبرائيل** عليه السلام»، فنزلَ جبريل بعلم ذلك بعد ثلاثٍ ـ صَلى الله عليهما ـ[٢].

وقال ابن دريد:

ومن كان يهوى أن يُرى متصدِّرا ويكره لا أدري أُصيبت مَقاتِله[٣]

وقبيحٌ للرجل أن يتكلَّم بما لا علم له به، ومُحَرّم عليه ذلك لا سيما في الدين؛ فَإِنَّهُ لا يخلو أن يُحِلّ حَرامًا ويحرِّم حلالًا. وقد قالت العلماء: تحريم [الحلال] كتحليل الحرام. وقد أحسن عبد الله بن مصعب إذ يقول:

تَـرَى الْمَـرْءَ يُعْجِبُـهُ أَنْ يَقُولَ وَأَسْـلَم لِلْمَـرْءِ أَنْ لَا يَقُـولَا

فأمسـك عليك فضـول الكلام فـإن لِـكُـلّ كـلام فضولا

(١) لم نجد من رفعه إلى النبـي ﷺ. وَإِنَّمَا يروى أثرًا لأبي الـدرداء. انظر: الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابـن عبد البر، ٣٨/١. ويـروى أيضًا أثرًا لابن عمـر. انظر: البيان والتبيين للجاحظ، ٢٥٨/١. ويروى أيضًا أثرًا لعبد الله بن عمرو، العقد الفريد، ٧٨/٢. ويروى أيضًا أثرًا عن الشعبي. انظر: سنن الدارمي، ٧٤/١.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه عن عمر بلفظ مختلف، ذكـر البيان بأن خير البقاع في الدنيا المساجد، ر١٥٩٩، ٤٧٦/٤.

(٣) البيت من الطويل لابن دريد في ديوانه، ٩٨/١.

ولا تـصـحـبَـنَ أخــا بِـدعـة ... ولا تســمعن لــه الدهــر قيلا
فــإنَّ مـقـالـتـهــم كـالـظِّـلال ... يـوشـك أفـيـاؤهـا أن تـزولا
وقـــد أحــكـــم الله آيــاتــه ... وكان الرســول عـليها دلـيــلا
وأوضـــح للمســـلمين الســـبيل ... فــلا تتبعــن ســواها ســبيلا[١]

فلا يجوز للمسؤول أن يجيب إِلَّا بما يعلم صحَّته؛ إِمَّا حافظًا أو رائـيًا إن كان من أهل الرأي؛ لما روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا يَسْتَحْي مِنكُم مَن لَا يَعْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَلَا يَسْـتَحِي عَالِمٌ أَن يُسْأَلَ عَمَّا لَا يَعْلَم أَن يَقولَ: اللهُ أَعلَم**»[٢].

وعن عزَّة التميمي[٣] قال: قال عليّ بن أبي طالب: ما أبردَها على الكبد، ثلاث مرَّات. قالــوا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يُســأل الرجل عمّا لا يَعلم؛ فيقول: الله أعلم. أَيُّ أَرْضٍ تسعني، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا قُلت على الله ورسوله ما لا أعلم.

ويروى عن ابن عبَّاس ـ أيضًــا ـ أَنَّهُ قال: فأبردها على الكبد إذا ســئل أحدكم عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

وعن علي ـ أيضًا ـ: فأبردهَا على الكبد إذا سُئل أحدكم عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

فإن العالم من عرف أن ما يعلم فيما [لا] يعلم قليل.

(١) الأبيات من المتقارب لعبد الله بن مصعب. انظر: ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ٦٢/١. أحمد بن مروان الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ٢٠٧/١.

(٢) لم نجد من رفعه إلى النبــي ﷺ، وَإِنَّمَا يروى أثرًا لعلي بن أبي طالــب في خطبه. انظر: العقد الفريد، ٧٥/٤. وتاريخ مدينة دمشق، ٥١١/٤٢.

(٣) كذا فِي النسخ: «عزّة» أو «غرة» التميمي، ولم نجد من ترجم له، أَو ذكره بهذا الاسم.

وفي رسالته إلى ولده الحسين: فإن أشكل عليك أمر فَاحمله على جهالتك، /٧٢/ وقد مرَّ هذا في باب الجهل.

وقال أبو بكر رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ: أيأنف من ذلك أحدكم إذا سئل عَمَّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم؛ فلا ينبغي للعالم أن يأنف من ذلك فَإِنَّهُ نصف العلم.

وقد حكي عن بعض الفرضيين أَنَّهُ قال: قد حويت العلم كُلّه. فقيل له: من أين قلت ذلك؟ فقال: لعِلمي بالفرائض، وقد قال النَّبِيّ ﷺ: «**الفَرَائِضُ نِصفُ العِلمِ**»[1]، ولأن أقول فيما لا أعلم: الله أعلم. وقال النَّبِيّ ﷺ: «**قول: الله أعلم نِصْفَ العِلمِ**»[2] فَقَدْ كَمُلَ العِلْم. فكيف يأنفُ مِمَّا ثبت في الأخبار، وفعلته الأخيار، وجاءت به الآثار.

وقال ابن عيينة: يستحبّ للعالم إذا عَلَّم لَا يُعَنِّف، وإذا عُلِّمَ لَا يَأنَف.

وقال بعض الحكماء: من العلم أن لا يتكلم فيما لا يعلم كلام من يعلم؛ فحسبك خجلًا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

ويجب على من سئل عمّا لا يعلم أن يجيب بما أجاب به ملائكة الله عز وجل لَمَّا قال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ (البقرة: ٣١، ٣٢).

وسئل النَّبِيُّ ﷺ عن خير البقاع وشرِّ البقاع، فقال: «**لا أدري**».

---

(١) رواه عن أبي هريرة بلفظ: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا فإنه نِصْفُ الْعِلْمِ وهو يُنْسَى وهو أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ من أُمَّتِي»: ابن ماجه في سننه، باب الحث على تعليم الفرائض، ر٢٧١٩، ٩٠٨/٢. والحاكم في المستدرك، كتاب الفرائض، ر٧٩٤٩، ٣٦٩/٤.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

عن ابن مسعود: أن من العلم إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم. وعنه: أن الذي يفتي الناس في كُلّ ما يستفتونه به لمجنون.

وقال الحسن: إن ابن آدم لو أصاب في كُلّ شيء جُنَّ. يريد: أَنَّهُ يعجب بنفسه حَتَّى يكون كالمجنون من شدَّة إعجابه بنفسه. ولعلَّ قول الشنفري الأزدي[1] في المرأة من هذا [بعينه]:

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إنْسَانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ[2]

يريد: لو أعجب إنسان بحسنه حَتَّى يكون كالمجنون لكانت هذه المرأة كذلك[3]، فاقت شدة النفاق شعرها. وكان الشعبي يقول: هذا البيت أغزل بيت قَالته العرب.

فصل: [في آداب المعلِّم]

وينبغي للمسؤول أن يلين للسائل جانبه ويبيِّن لـه جوابه، ولا يمنعه الفائدة فينفِّره، ويلطفه ولا ينهره إذا رآه للعلم طالبًا، وفي الفائدة راغبًا.

فقد روى الحسن البصري في قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ١٠)

(١) الشنفري عمرو بن مالك الأزدي القحطاني (ت: ٧٠ق.هـ): شاعر جاهلي يماني، من فحول الطبقة الثانية، ومن فتاك العرب وعدائيهم، حيث تبرأت منه عشيرته، وقتله بنو سلامان. صاحب «لامية العرب» التي مطلعها: «أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم فإني إلى قوم سواكم لأميل»، شرحها الزمخشري في «أعجب العجب». انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٨٥.

(٢) فِي النسخ: «قالت وطالت...». والتصويب من ديوان عمرو بن مالك، (١/٥)، والبيت من الطويل منسوب للشنفري في: غريب الحديث لابن قتيبة، ٢/٦١٣. والبيان والتبيين، ١/٤٩٦. والنهاية في غريب الأثر، ١/٣٠٩.

(٣) انظر: ابن قتيبة: غريب الحديث، ٢/٦١٣.

يقول: لا تزبره ولا تنهره، قال: ليس سائل الطعام والشراب، ولكن سائل العلم. وقال ابن عبَّاس: السائل الذي يسأل ماله، والله أعلم.

ويقوّي هذا التأويل معاتبة الله ﷻ نبيه مُحَمَّد ﷺ بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ (عبس: ١، ٢). قال الضّبِّي: هو ابن أم مكتوم: واسمه عبد الله بن شريح من بني عامر بن لؤي، وأم مكتوم أمّه غلبت عليه؛ لأنَّها كانت شريفة، واسمها: عاتكة بنت عبد الله.

وقال الكلبي: وكان ابن أم مكتوم جاء إلى النَّبِيّ ﷺ وعنده العبَّاس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، وصفوان بن أمية، وهو مقبل عليهم يعظهم ويدعوهم إلى الإسلام، فقال: أقرئني يا رسول الله، وعلِّمني مِمَّا علمك الله، وليس يرى من عنده؛ فعبس في وجهه، وأعرض عنه لشغله بهم؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ (عبس: ١، ٢)، ـ وقُرِئ: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ (عبس: ٢)[١] مثل: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴾ (القلم: ١٤) ـ، فأكرمه رسول الله بعد ذلك، وكان يقول إذا جاءه: «مَرْحَبًا بِمَنْ عُوتِبْتُ مِن أَجلِه»[٢]. وروي: «**مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي**»[٣]. واستخلفه على المدينة.

وعبس: كلح وقطَّب وجهه من الكراهية. ويقال: عَبَس وجْهَه، يعبس عبوسًا، فهو عابس، فإذا كان كذلك من عادته فهو عبوس /٧٣/.

---

(١) قراءة: (ءَان جَاءَه) من القراءات الشاذة، قرأ بها الحسن على الاستفهام الإنكاري مع إبدال الثانية حرف مد من جنس حركة ما قبلها. انظر: خاروف: الميسر فِي القراءات الأربع عشرة.
(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٣) روى الحديث بهذا اللفظ البغوي في تفسيره، ٤/٤٤٦.

وقال أبو زيد يذكر الأسد:

فبينمـا ذاك أرمـل ذات يـوم فَـرَاحَ فِـي تَسَنُّمِـه عَبُـوسُ[(١)]

أرمل: فَنِي حَتَّى زاده. والتسنّم والعبوس واحد.

فإن أبدى الإنسان عن أسـنانه في عبوسـه قُلتَ: كلح. فإن اهتمَّ بذلك وفكَّر فيه قُلتَ: بسر؛ وهكذا تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (المدثر: ٢٢). فإن غضب مع ذلك قيل: بَسل. وإن زوى بين عينيه قلتَ: قَطَب، فهو قاطب عابس.

وإذا كان السائل إِنَّمَا سـأل عَمَّا افترض عليه ولزمه العمل به، لا مُتَعَنِّتًا ولَا طَالِبَ حُجَّةٍ على المسـلمين؛ وجب على المسؤول إجابته، ولم يجز له أن يكتمه.

ومن سئل عن مسـألة واقعة، والسائل المحتاج فيها محتاج إلى جوابها، والمسؤول عنها حافظ لها؛ فعليه أن يجيبه ولا يكتمه. وإن كانت غير واقعة، والسائل عنها مستحق لتعليمها؛ فعليه ـ أيضًا ـ أن يخبره ولا يكتمه. وإن كان السائل عنها غير أهل لحكمه؛ فليس عليه أن يخبره.

ومن سـئل عمَّا لا يهتدي له [إلَّا] بدلالة؛ فيجب أن يقف عنه، ويرجئه إلى الله تعالى حَتَّى يَصلحَ له عليه سـبيله من طريق الخبر؛ لأَنَّ الحكم في الحادث بغير دلالة من خَبَرٍ أو عقل دعوى على الله ﷻ بغير علم.

ومـن ادَّعى على الله تعالى بغيـر علم فقد حاد عـن الصواب؛ لأَنَّه يدَّعي على الله تعالى أَنَّهُ أحلَّه وحَرَّمه فقَد افترى على الله الكذب. وليس وقوف العلماء عما يسـألونه بعيب إذا لم يعلموه؛ فقد وقفت ملائكة الله

(١) البيت من الرجز، لم نجد من ذكره.

الكرام، ووقف نَبِيّه عليه السلام، وفعل ذلك أبو بكر الصديق والفاروق ـ رحمهما الله ـ والعلماء.

هذا عن ابن عبَّاس سئل عن مسألة فقال: الله أعلم؛ فقيل لأبيه: إنَّ عبد الله سئل عن مسألة فقال: الله أعلم. فقال: بَخٍ بَخٍ! رَدَّ العِلم إِلى العَالم.

ثُمَّ سئل عن مسألة أخرى فقال: لا أدري؟ فقيل لأبيه ذلك، فقال: بَخٍ بَخٍ! فَرقٌ بين ما يدري وبين ما لا يدري.

وسئل ابن عمر عن مسألة فقال: الله أعلم، أحسن [ابن] عمر يخاطب نفسه.

مجاهد: قال: سئل [ابن] عمر عن مسألة هيِّنة، فقال: لا أدري. فَلَمَّا ذهب الرجل قال ابن عمر: ما أحسن ما قال ابن عمر يُسأل عما لا يعلم فقال: لا أدري.

وفي رواية: أَنَّهُ سئل عن فريضة فلم يحسنها؛ فقال: لا بأس عليه. سئل ابن عمر عن فريضة فلم يحسنها. وهو أحد العبادلة: عبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن عمرو.

ومن سئل عمَّا سمعه من المسلمين أو حفظه من آثارهم الصحيحة، وعرف عدله؛ جاز له يفتي به من سأله. وأَمَّا أن يفتي من نفسه فحتى يكون من أهل الفتيا في ذلك. وما لم يعرف حدّ عدله، ولا أَنَّهُ عن المسلمين فلا يجيب عنه.

فإن قال: وجدت في الأثر كذا؛ فقد قيل: [ليس] لهم الأخذ بذلك، إِلَّا أن يقول: وجدت في آثار المسلمين؛ فجائز.

ومن كان من أهل العلم، واحتاج الناس إليه، فسألوه عما هو به عالم؛ أن يُعَرِّفهم ويَدَع عنه الشكّ فَإِنَّهُ من الشيطان وهو مذموم. والشكُّ لا يدفع اليقين فليتركه، وليقل بما علَّمه الله عز وجل، [وليعمل بما أمره الله، وذلك واجب][1].

---

(١) هذه الإضافة من كتاب: الأكلة وحقائق الأدلة لنجاد بن موسى المنحي، مسألة فيما يؤمر به العالم.

فصل: [في الإفتاء بغير علم]

وروى ابن عمر أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «**مَنْ قالَ عَليَّ مَا لَم أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١). والمشهور من قوله ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَا زَالَ أَمرُ بَني إِسـرَائِيلَ /٧٤/ صَالِحًـا حَتَّى كَثُر فِيهِم** ـ أو قال: **حدث فيهم** ـ **أَبنَاءُ السَّبَايَا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٣).

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَن سُئِلَ فَأَفْتَى بِغَيْرِ عِلمٍ فَقَدْ ضَلَّ وَأَضَلَّ**»(٤).

وعنه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْـزِعُ هَذَا العِلْمَ انْتِزَاعًا مِن صُـدورِ النَّاسِ بَعدَ أن عَلِمُوه وَلَكن بِمَوتِ العُلماءُ، فَإِذَا لَم يَبْقَ عَالِمٌ أَحدَثَ النَّاس رُؤسَـاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٥).

عائشة عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ لَا يقبضُ العلمَ انتزاعًا يَنزعُه من الناس بعدَ أن آتاهُ، ولَكِن يَقبِضُه بِمـوتِ العلمَاءِ؛ لأَنَّهُ كُلَّما مَاتَ**

(١) رواه البخاري عن سلمة بلفظه، بَاب إِثْمِ من كَذَبَ على النبي ﷺ، ر١٠٩.

(٢) الحديث متواتر؛ رواه الربيع عن ابن عباس بلفظه، باب إثم من كذب على رسول الله ﷺ، ر٧٣٨. والبخاري عن الزبير بن العـوام بلفظه، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ر١٠٨. ومسلم عن أبي هريرة بلفظه، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، ر٣.

(٣) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بلفظ مختلف، باب اجتناب الرأي والقياس، ر٥٦، ٢١/١.

(٤) لم نجد مـن أخرجه بهذا اللفظ؛ قال ابـن حجر في تلخيص الحبير: «حَدِيثُ «من سُـئِلَ فَأَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقَدْ ضَلَّ وَأَضَلَّ» لم أره هكذا، وهـو مأخوذ من المتفق عليه من حديث عبد الله بن عَمْرٍو: «إنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا» ففي آخره: «فَيَأْتِي نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْـتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ» لفظ إحْدَى روايات البخاري ولهما: «اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا وَهِيَ أَشْهُرُ».

(٥) رواه البخاري عـن عبد الله بن عمرو بلفـظ مختلف، بَاب كيف يقبـض العلم..، ر١٠٠. ومسلم عن عبد الله بن عمرو بلفظ مختلف، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزَّمانِ، ر٢٦٧٣.

عالمٌ ذَهبَ مَا مَعَه مِن العِلْم، فَإِذَا لَم يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيرِ علمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

وقال ﷺ لسبيعة الأسلمية[٢] عندما أفتاها أبو السنابل بن بَعْكَك[٣]: «**كَذَبَ أَبُو السَّنَابِل قَد حَلَلْتِ فَانْكِحِي مَا شِئتِ**»[٤].

وعنه أَنَّهُ قال عليه السلام: «**أَجْرَؤُكُم عَلَى جَرَاثِيمِ جَهَنَّمَ أَجْرَؤُكم عَلَى الفُتْيَا فِي الجدِّ**»[٥].

فصل [فِي آداب المفتي]

وينبغي لمن سُئل في طريق عن مسألة أن يجلس ويجيب؛ فَإِنَّهُ من الأدب.

---

(١) رواه عن عبد الله بن عمرو بلفظ قريب: البخاري في صحيحه، باب كيف يقبض العلم، ر١٠٠. ومسلم في صحيحه، باب رفع العلم وقبضه، ر٢٦٧٣. ورواه الترمذي عن عائشة بلفظ البخاري، باب ما جاء في ذهاب العلم، ر٢٦٥٢، ٣١/٥.

(٢) سُبيعة بنت الحارث الأسلمية: صحابية، كانت تحت سعد بن خولة فتُوُفي عنها بمكّة، فقال لها أبو السنابل: بن بعكك، إن أجلك أربعة أشهر وعشرًا! وكانت قد وضَعَتْ بعد وفاة زوجها بليال؛ فلمّا قال لها ذلك، أتت رسولَ الله ﷺ فأخبرتْهُ بذلك، فقال لها: «قد حللتِ فانكحي من شئت!» وقيل: قال «إذا أتاكِ من ترضين فتزوَجي!». روى عنها فقهاء المدينة وفقهاء أهل الكوفة من التابعين حديثها هذا. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٢/٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ر٨٩٦٠، ٣٧٥/١٢.

(٣) أبو السنابل بن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق بن عبد الدار بن قصي القرشي العيدي (ت: ١هـ) صحابي شاعر: اسمه حبة بن بعكك، من مسلمة الفتح. مات بمكة. روى عنه الأسود بن يزيد. انظر: ابن عبد البرة الاستيعاب، ٥٣٩/١.

(٤) رواه البيهقي فِي معرفة السنن والآثار، عن عبد الله بن عتبة عن أبيه بمعناه، باب عدة الوفاة، ر٤٦٤٨، ٤٧/٦. ورواه البخاري بمعناه، باب فضل من شهد بدرًا، ٣٦٩١، ٤٥٢٩...

(٥) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ مرفوعًا إلى النبي ﷺ. وَإِنَّمَا رواه عبد الرزاق في مصنفه بلفظ قريب موقوفًا على ابن عمر، باب فرض الجد، ر١٩٠٤٧، ٢٦٢/١٠. ورواه الدارمي بمعناه موقوفًا على علي بن أبي طالب، باب الجد، ر٢٩٠٢، ٤٥٠/٢.

وقيل: سئل ابن عون[١] عن مسألة وهو قائم أو خارج من المسجد، فعاد وجلس ثُمَّ أفتــى. ولُقِيَ بعض الفقهــاء متوجهًا إلى المســجد الجامع في البصرة، فسئل عن مسألة، فقال: المسجدَ عافاك الله. وروي أَنَّ ابن عبَّاس كان يفتي في طوافه.

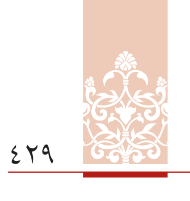
وينبغي للمفتي أن يتأمَّل المســألة تأمُّلًا شــافيًا كلمة بعد كلمة، وتكون عنايته بآخرها أتَمّ من أوَّلِها، فإن الســؤال يتقيَّد بآخــر الكلام، فإن مرَّت به كلمة غريبة ســأل عنها ونقط وشــكل. وكذلك إن رأى لحنًا فاحشًا أو خطأ يختلّ معناه معه غَيَّرَ ذلك وأصلحه، وإن رأى ســطرًا ناقصًا خَطَّ على ذلك وتَمَّمه فربما قصد بذلك تغليط المفتي.

وقيل: إن القاضي أبــا حامد بمثل ذلك قصد بعــض الناس، فكتب: ما تقول في رجل مات وخَلَّف ابنةً وأختًا لأم، وترك بعد هذا في آخر الحاشية موضع كلمة، ثُمَّ قال: في أَوَّل الســطر الثاني: وترك ابــن عم؛ فأفتى للابنة النصف، والباقــي لابن العمّ، وهو جواب صحيــح. فَلَمَّا حصل خَطّه بذلك ألحق في موضع البياض: وأب، فشــنع عليه بذلك. وكان الســائل قد أغفل الصلاة على النَّبِيّ ﷺ فألحق ذَلِكَ.

وينبغي للمجيب أن يأخذ نفســه ببيان خَطِّه وتقويــم حروفه حَتَّى يقرأ ذلك كلّ أحد، ويكون قلمه بين القلمين، ولا يضيق ســطوره، ولا يوسعها. ويختار من الكلام أفصحه، ومــن المعنى أوضحه، ليفهمــه العامة وترضاه الخاصة. ويكتب الجواب في الرقعة مِمَّا يلي يساره للعادة الجارية بذلك من المفتين. وإن كتب في الرقعة فلا عيب، وإحدى الحاشِيَتين أولى من الوسط.

---

(١) ابن عون عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء (ت: ١٥١هـ): حافظ ثقة محدث عالم بالسُّــنَّة من أهل البصرة. يغزو ويركب الخيل. أخذ عنه: الثــوري ويحيى القطان وخلائق. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١١/٤.



وأكثر الفقهاء يبدؤون فـي فتواهم بأن يقولوا: الجـواب وبالله التوفيق. وحذف ذلك آخرون وكُلُّه جائز. ولكن ينبغـي أن لا يختم جوابه إِلَّا بقوله: وبالله التوفيق، والله الموفق، والله أعلم.

وكان بعض يقول إذا أفتـى: إن كان صوابًا فمن الله وإن كان خطأ فمنِّي، وهذا لا معنى له؛ لأنَّ فيه إضعاف النفس وإدخال اللبس.

وعن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ قال: أملى على كاتب له نحو ذلك، فكتب الكاتب إن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمن الشـيطان؛ فقال له عمر: اكتب: وإن كان خطأ فمن عمر.

وليس يقبح أن يقول المفتي: الجواب عندنا، والذي نذهب إليه، والذي نراه كذا؛ لأنّه واحد من جملة أصحابه.

فصل: [في مشاورة المفتي من حوله]

وينبغي للمفتي إذا قرأ الرقعة أن يشـاور في الجواب من بحضرته مِمَّن يصلح لذلك، أو يقرأ ما فيها عليهم؛ /٧٥/ فإن ذلك اقتداء بالسـلف، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قال الحسـن: فإن كان عن مشـورتهم لَغُنْيًا، ولكن أراد أن يسير به الحكام.

وقال بعض الحكماء: لا بأس بذي الرأي يشـاور مـن دونه كالنار التي يزيد ضوؤها بوسخ الحديد.

وقيل: كان الشـافعي إذا جاءته الفتوى كالعادة عرضهـا على أصحابه، وسأل كُلّ واحد منهم عما عنده.

قال الربيع[١]: فجاءته رقعة في بعض الأيَّام فقرأها، وتبسم، وردَّ الجواب من غير إعلامنا بذلك كالعادة، وكان فيها بيت شعر:

سَلِ المُفْتِي المَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ ... وَضَمَّـةِ مُشْـتَاقِ الفُـؤَادِ جُنَاحُ

فأجابه الشافعي عن ذلك:

أَقُولُ مَعَـاذَ اللهِ أَن يُذْهِبَ التُّقَى ... تَلَاصُـقُ أَكْبَـادٍ بِهِنَّ جِـرَاحُ[٢]

فإن كان في الرقعة ما لا يحسن إبداؤه، أو ما لعلّ السائل يؤثر ستره، أو ما في إشاعته مفسدة لبعض الناس؛ انفرد المفتي بقراءتها والجواب عنها.

وقيل: إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري، فقالت:

يا حسـن البصرة يـا ذا النهى ... إنـي إلـى وجهـك مشـتاق
قل لي وأنت المـرء ذو حكمة ... فـي كل مـا تحكيـه صـداق
هـل جائـز تقبيـل رعبوبـة ... ورديـة الـخـديـن بـراق

فأجابها:

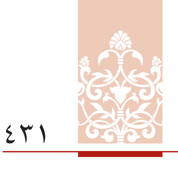
أقـول والرحمٰـن لـي شـاهد ... مـا أنـا بالفحشـاء نـطـاق
إن كنـت للتقبيـل ذا إربـة ... مـشـتـهـيًا لـلـهـو تـواق
حرمـت فـي الجنـة حورية ... ورديـة الـخـديـن رقـراق
فاستشـعر التقوى وكن خاشعًا ... فـإن تـقـوى الله تـريـاق[٣]

---

(١) الربيع بن سـليمان عبد الجبار كامل المرادي المصري، أبو محمد (ت: ٢٧٠هـ): صاحب الإمام الشـافعي وراوي كتبه، وأول من أعلن الحديث بجامع ابن طولون: كان مؤذنًا وفيه سلامة وغفلة. ولد وتوفي بمصر. انظر: الزركلي أعلام ١٤/٣.

(٢) الأبيات من الطويل لأبـي العالية. انظر: محاضرات الأدبـاء، ١٤٤/٢ مع اختلاف بسيط. والأبيات قيلت في الإمام عطاء بن أبـي رباح. انظر: وفيات الأعيـان، ٢٦١/٣. والوافي بالوفيات، ٧٩/٢٠.

(٣) الأبيات من المنسرح، لم نجد من ذكرها ولا من ذكر القصة أيضًا.



وسألته امرأة فقالت: يا أبا سعيد، أيحلّ للرجل أن يتزوَّج على امرأته، وهي حسناء جميلة. قال: نعم. فقالت: بعيشك يا أبا سعيد، لا تفتي الرجال بهذا.

وسئل: أيجوز للرجل أن يدالك امرأته؛ أي: يدافعها مهرها. قال: نعم، إذا كان ملفَجًا أي معسرًا.

قال الشاعر:

إِذَا رَآنِـي مُوسِـرًا قَـالَ مَرْحَبًا ... فَلَمَّا رَآنِـي مُلْفَجًا مَاتَ مَرْحَب(١)

والمدالكة: المدافعة.

فصل: [في أدب الجواب]

قيل: سئل علي بن أبي طالب عن مسألة، فدخل ثُمَّ خرج، فأجاب.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، عهدي بك إذا سئلت عن مسألة كالسِّكَّة المحماة؛ فما بال هذه المسألة تأخَّرت عن جوابها؟ قال: كنت حاقنًا ولا رأي لحاقن، ثُمَّ قال:

إذا المشكلات تَصَدَّين لي ... كشفت حقائقها بالنظر
فإن برقت في مخيل الصواب ... عمياء لا يجتليها البصر
مقنعة بغيوب الأمور ... وضعت عليها صحيح الفكر
لسان كشِقشِقة الأرحبي أو ... كالحسام اليماني الذكر
وقلب إذا استنطقته الفنون ... أنثر فيها برأي درر
ولست بإمعة في الرجال ... يسائل هذا أو ماذا الخبر
ولكنني مذرب الأصغرين ... أبين عما مضى أو غبر(٢)

---

(١) البيت من الطويل، لم نجد من ذكره.

(٢) الأبيات من المتقارب للإمام علي بن أبي طالب. انظر: القالي: الأمالي في لغة العرب، ١٠٣/٢، مع اختلاف بسيط.

الشقشقة: لهاة البعير العربي، ولا تكون إلَّا للعربي من الإبل، والجمع شقاشق.

والأرحبي: جمل منســوب إلى أرحب، وهو موضع إليه تنسب النجائب الأرحبية. ويقال: أرحب: حيّ من همدان.

والإمَّعــة: الذي يقول لــكلٍّ: أنا معــك، والفعل من هــذا أمَّع الرجل واستأمع. ويقال للذي يتردَّد في غير صنعة إمَّعة. وفي الحديث: «**اغْدُ عَالِمًا أَو مُتَعَلِّمًا وَلَا تَغْدُ إِمَّعَة**»[(١)]. ورجلان إمَّعتان، ورجال إمَّعات.

والمذرب: الحادّ من كُلّ شيء.

والأصغران: القلب واللسان.

وقال ضمرة بن ضمــرة[(٢)] للنعمان بن المنذر[(٣)]: المــرء بأصغريه: لسانه وقلبه؛ إن نطق نطــق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. فقــال له: /٧٦/ لله درّك. والجنان: القلب. قال الشاعر:

ومَا المرء إِلَّا الأَصغَرانِ لِســانُهُ ومَعقولُهُ والجسمُ خَلْقٌ مُصوَّرُ[(٤)]

---

(١) لم نجد مــن أخرجه بهذا اللفظ مرفوعًا للنبــي ﷺ. وروي موقوفًا على عبدالله بن مسعود. انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ، ٣/٣٨١. وابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله، ٢/١١٢.

(٢) ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشــلي، من بني دارم (؟): شاعر جاهلي ورئيس شجاع. قيل كان اسمه شقة فســماه النعمان «ضمرة»، وهو صاحب يوم «ذات الشقوق» من أيام العرب في الجاهلية، أغار فيه على بني أسد وظفر بهم في مكان من ديارهم، يسمى ذات الشقوق. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/٢١٦.

(٣) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمــي، أبو قابوس (ت: ١٥ق.هـ): داهية مقدام، من أشــهر ملوك الحيرة في الجاهلية. وهو ممدوح النابغة الذبياني وحســان بن ثابت وحاتم الطائي. وهو صاحب إيفاد العرب على كســرى، وباني مدينة «النعمانية» على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يومــي البؤس والنعيم. ملــك الحيرة إرثًا عن أبيه، نحو ســنة ٥٩٢م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كســرى فاســتمرَّ إلى أن نقم عليه كسرى «أبرويز» أمرًا، فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٤٣.

(٤) البيت من الطويل لدعبل بن علي في ديوانه، ١/٨٤.



وغبر: بقي، وغبر: مضى؛ وهو من الأضداد.

وسئل الشعبي عن الذباب؛ فقال: إن اشتهيته فكله.

وسئل داود[١] عن المخاط والبزاق أطاهر أم لا؟ فقال: نعم طاهر. فقال السائل له: فيؤكل؟ قال: إن اشتهيته فكُله.

وسئل الشعبي: عن لحم الشيطان؟ فقال: نحن نرضى منه بالكفاف. وسئل ما كان اسم امرأة إبليس؟ فقال: ذلك نكاح ما شهدته. وروي عن أبي عبيدة والله أعلم.

وجاء رجل إلى بعض الفقهاء فقال له: أخبرني عن النَّبِيّذ أحلال هو أم حرام؟ فقال: حرام، عافاك الله. فقال الرجل: فإن كان صاحبه قد أكل سمكًا؟ فقال الفقيه: أحدكم يجيء يسأل عن المسألة فينسى بعضها؛ حلال، عافاك الله.

وقال رجل لعبدالله بن الحسن[٢]: إن أبي أوصى بثلث ماله في الحصون. فقال: فاذهب فاشتر بها خيلًا. فقال الرجل: إِنَّهُ إِنَّمَا ذكر الحصون. قال: أما سمعت قول الشاعر:

ولقد عَلِمْتُ على تَجنّبي الرَّدَى　　　أَنَّ الحصون الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرَى[٣]

---

(١) هو: داود بن علي الأصبهاني الظاهري، أبو سليمان، (٢٠١ - ٢٧٠هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٢) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو مُحَمَّد (٧٠ - ١٤٥هـ): تابعي ذو عارضة وهيبة ولسان وشرف من أهل المدينة. كانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز، وَلَمَّا ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح، وهو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم، ونقله إلى الكوفة، فمات سجينًا فيها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/ ٧٨.

(٣) البيت من الكامل للأسعر الجعفي. انظر: الأصمعي: الأصمعيات، ١/ ١٤١. وغريب الحديث لابن قتيبة، ١/ ٢٣٥.

وعن النوشرواني[١] قال: قلت للحسين القاضي: أوصى جدّي بثلث ماله لأولاده، وأنا من أولاده؟ فقال: أنت من أولاد البنات.

قلت: وإن كنت من أولاد البنات فأنا من أولاده؟ قال: ليس لكم شيء.

قلت: ولم؟ قال: أما سمعت قول الشاعر:

بَـنُـونَـا بَـنُو أَبْـنَائِـنَـا وَبَـنَاتُـنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَـالِ الأَبَاعِدِ[٢]

قال: فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًّا.

وحكي عن امرأة سألت رجلًا محدِّثًا عن دَجاجة وقعت في بئر، فدهش الجواب؛ فقال: ولِمَ لا تُغَطُّون آباركم أَن يقع دجاجكم فيها، لم يزد على هذا.

وقيل: إنَّ السبب في تفقّه أبي حنيفة أن امرأة سألته عن مسألة في الحيض، فدلَّها على حمَّاد، فقالت له: أما تَأنف من مثل هذا؟. فأَنِف من ذلك فتَفَقَّه. وقيل: إن ذلك كان بعدَ أربعين سنة.

وسئل حفص بن غَيَّاث[٣] عن فقه أبي حنيفة؛ فقال: كان أعلم الناس بما لم يكن، وأجهلهم بما كان.

(١) النوشرواني لم نهتد إِلَى تحديده ولا تحديد الحسين القاضي بعده.

(٢) البيت من الطويل لم نجد من نسبه. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة، ٢٣٠/١.

(٣) فِي النسخ: «جعفر بن عتاب»، ولم نجد من تسمى بهذا الاسم، والصواب ما أثبتناه من: الحيوان للجاحظ، ٣٤٧/١، وجامع بيان العلم وفضله، ١٤٥/٢؛ لأَنَّ حفص بن غياث من تلاميذ أبي حنيفة، وهو: حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي، أبو عمر (١١٧ - ١٩٤هـ): محدّث قاض ثقة، من أهل الكوفة. ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون الرشيد، ثُمَّ ولاه قضاء الكوفة ومات فيها. حدث بثلاثة أو أربعة آلاف حديث من حفظه. له: كتاب فيه نحو ١٧٠ حديثًا من روايته. صاحب أبي حنيفة، وتنسبه فرق إليها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٤/٢.



فصل في الفتيا

وينبغي للمفتي أن يكون قلمه واحدًا لا تتباين أقلامه، ولا يختلط خطّه حرفًا حرفًا، خوفًا من التزوير عليه. وقيل: بل في التزوير فِي الخطّ المألوف والقلمِ المعروف أسرع فيما اختلف وتباين. واختار بعضهم أن يفتي بالمداد دون الحبر خوفًا من الحكّ.

وينبغي أن يكون توقّفه في المسألة السهلة كتوقفه في المسألة الصعبة؛ ليكون عادة له.

وقد حكي عن مُحَمَّد بن الحسن أَنَّهُ كان يصنع ذلك، ويقول: إِنَّمَا أفعل هذا؛ لئلا يقع الفرقُ للسائل لي بين ما صعب علي وسهل.

وكان الكسائي[1] إذا سئل عن مسألة: تَمَعَّر وجهه. والتمعُّر: أن يتغيَّر وتعلوه صفرة. وحكي هذا عن ابن سيرين[2].

وعن الشافعي أَنَّهُ قال: كان مُحَمَّد إذا سئل عن مسألة تهلَّل وجهه.

وينبغي للمفتي أن يختصر ولا يطيل إذا أتى على الغرض.

وقد حكي أن بعض أمراء البصرة سأل الحسن وابن سيرين عن مسألة

---

(١) علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي (ت: ١٨٩هـ): إمام في النحو واللغة والقراءة. تعلَّم النحو في كبره، وتنقل بالبادية وسكن بغداد وتوفي بالري. أدَّب الرشيد وابنه الأمين. له: «معاني القرآن» و«الحروف»، و«القراءات»، و«المتشابه في القرآن»... انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨٣/٤.

(٢) مُحَمَّد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، مولى أنس بن مالك، أبو بكر (٣٣ - ١١٠هـ): تابعي محدث ثقة فقيه. أخذ عن: زيد بن ثابت وأنس بن مالك وشريح وغيرهم. عُرف بالورع وتفسير الرؤى، وممَّن لا يُجوِّز رواية الحديث بالمعنى. يُنسب له كتاب تعبير الرؤيا. انظر: ابن سعد: الطبقات، ١٩٤/٧. الأعلام، ١٥٤/٦.

فاختصر الحسن وأطال ابن سيرين، فَلَمَّا خرجا قال الأمير: أما الحسن ففقيه، وأَمَّا هذا فقاصّ.

قال الشعبي[١]: أنفذ إلـيَّ الحجَّاج ذات ليلة يسألنـي /٧٧/ عن مسألة المخمسة (يعني: الخرقاء)، وقال له الحجاج: ما قالَ فيها الصدِّيق؟ فأجابه ولم يزد علَى ذلك، حَتَّى كان الحجَّاج هو الذي يسأله عن واحد واحد.

فينبغي للمفتي أن لا يزيد على جواب ما سئل عنه شيئًا؛ فإن ذلك حينئذ يكون زيادة جواب لم يشدّ[٢] عنه السؤال.

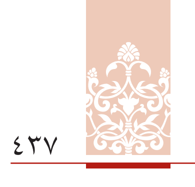
ومـن أدب المفتـي: أن لا يكون السـؤال بخطِّه. وأَمَّا إمـلاؤه وتهذيبه فواسع. وإن سئل عن مسـألة على وصف يعلم أن الصورَة خلافه أفتى على ما وجد في الرقعة، ولم يعمل ما عنده.

وإن قال في ذلك: إن كان الأمر كذلـك، أو إذا كان الأمر هكذا، أو إن صحَّ هذا أو ثبت فالجواب كذا؛ فهذا هو الاحتياط له وللمستفتي منه.

ولا ينبغي إذا ضاق موضع الفتوى أن يثبت جوابه في رقعة أخرى؛ لأَنَّه لا يأمن الحيلة فيـه. وينبغي أن يكون جوابه موصولًا بآخر سـطر في رقعة السؤال، ولا يدع هنالك فرجة.

فإن أجاب على ظهـر الرقعة فينبغـي أن يكون جوابه فـي أعلاها من ظهرها لا في أسفلها، إِلَّا أن يبدأ في أسـفل الرقعة متَّصلًا بالفتوى، فيضيق عليه الموضع فيتِمَّه وراءها مِمَّا يلي أسفلها؛ ليتَّصل ذلك بجوابه. والجواب على ظهرها أولى منه في أعلاها عند «بسم الله الرحمٰن الرحيم».

(١) فِي النسخ: الشافعي، وهو سهو. والتصويب من: غريب الحديث للخطابي، ١٧٢/٣.
(٢) فِي (ت): يقيد.



وإن كانت رقعة السؤال لا موضع فيها للجواب فينبغي أن يجيب شفاها.

فقد حكي أن إنسانًا رفع رقعة إلى أحمد بن عمرو القاضي[١] بالعراق، فقال له بعد تأمُّلها: فأين أكتب الجواب؟! فقال: على ظهرها. فقال: وما هذه المضايقة، لكن خذ الجواب شفاها.

وإذا قرأ المفتي رقعة الاستفتاء فرأى فيها جواب من لا يستحقّ أن يفتي لم يفت معه؛ لأَنّ في ذلك رضى به لواقف به؛ بل يضربْ على ذلك، ويخطّ عليه بأمر صاحب الرقعة. فإن لم يستأذنه في هذا القدر لجاز.

وليس له احتباس الرقعة إِلّا بإذن مالكها، ويعلمه أَنَّهُ كان واجبًا عليه البحث عن أهل الفتوى وسؤالهم، ويفتح عليهم ما فعله من سؤاله سواهم[٢].

فإن رأى فيها اسم من لا يعرفه سأل عنه، فإن كان مرضيًا أجاب معه، وإن لم يعرفه أصلًا فواسع له أن يمتنع من الفتوى معه.

والأولى أن يشار على صاحبها بإبدالها وأخذ خطوط من تقوم الْحُجَّة به؛ فإن أبى ذلك ولجَّ عليه في الجواب أجابه شفاهًا ولم يردّه خاليًا.

وإن لم يفهم المفتي السؤال أصلًا فواسع أن يكتب: «يزاد في الشرح»؛ ليجيب عنه، أو: لم أفهم ما فيها لأجيب عنه.

وقال بعض: إذا لم يفهم السؤال لم يكتب شيئًا أصلًا.

وقيل: إن بعضهم كتب في مثل هذا بحضرة السائل ليخاطبه شفاهًا.

وينبغي للمفتي إذا كثرت الرقاع بحضرته أن يقدم الأسبق فالأسبق على ما يقدّمه القاضي في الخصوم.

---

(١) أحمد بن عمرو القاضي: لم نستطع الاهتداء إليه مع طول البحث.

(٢) كذا في الأصل وينظر كتاب: المغني والمستغني للشهرزوري فيه عبارة مشابهة لهذه وأوضح، ينظر: ١/١٤٥ـ١٤٦.

وينبغي للمفتي أن يوجز في جوابه، فإن الإيجاز في الجواب حسن: كما سئل علي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله ﷻ العبادَ على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم الله على كثرة عددهم.

وقيل له: كم بين السموات والأرض؟ فقال: دعوة مستجابة.

وقيل لابن عبَّاس: إلى أين تذهب الأرواح إذا فارقت الأجساد؟ [فقال]: أين يذهب نور المصباح عند فناء الأدهان؟!

فصل: [في مخارج الفتوى]

ومن سئل عن مسألة فأخطأ طريق الصواب؛ فقد روي أنَّ رجلًا سأل النَّبِيّ ﷺ [فأخطأ السؤال فـ]ـأراد أن ينبّه السائل عن غلطه في المسألة، وكان وجه السؤال أن يقول: يا رسول الله ـ صلى الله عليك، ما الذي يلبس المحرم؟ لأنَّ الأصل إباحة اللباس، والإحرام مانع.

أو يكون عَلَيْهِ السَّلَامُ أجاب ما /٧٨/ يليق بالمذكور به في كتاب الله ﷻ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)، فعطف عليه ولا يلبس كذا. وأيضًا: فَإِنَّ مَا يلبسه المحرم كثير، وما لا يلبسه محظور، فلهذا ما نصَّ عليه الإسلام.

وينبغي للمفتي إذا وجد للسائل مخرجًا من مسألته أرشده إليه، كرجل حلف أن لا ينفق على زوجته ولا يطعمها شهرًا أو سنة؛ فَإِنَّهُ يفتيه بإعطائها من صداقها أو دين عليه، أو يقرضها، أو يقر لها، أو يبيعها سلعة، أو عُرضًا يبرئها من الثمن.

وكرجل [حلف] على امرأته أن تصدقيني في كذا، والوجه في حقيقة الأمر أن تخبره بجميع أقسام الحال في ذلك ليكون على ثقة من أَنَّهَا قد



صدَّقته، كما حكى المنصور لَمَّا حلف على خادمه ليصْدقه في حديث الدُّرَّة التي فقدَها وإلَّا ضرب عنقه. فكان من جواب أبي حنيفة: ليخبره الخادم أَنَّهُ أخذها ويخبره أَنَّهُ لم يأخذها، فيكون قد صدقه لا محالة.

وهذا يصحّ إذا كان الحالف لم يُرد بيمينه أن يصْدقه في أوَّل مَرَّة إخباره له؛ فَأَمَّا إن أراد أن يصدقه بأوَّل كلامه لم يكن صادقًا فَإِنَّهُ يحنث.

وقد حكي أنَّ بعض أهل المنصور حلف أن لا يبيع على المنصور كذَا ولا يَهبه منه. وكان من فتوى أبي حنيفة في ذلك أَنَّهُ يباع عليه نصفه، أو يهب له نصفه.

ووافت إلى البصرة امرأة بدوية فَلقيت بعض فُقهاء الشافعية، فقالت: إن زوجي أسَرَّ إلى رجل من أهل الحيِّ سِرًّا فَأبداه إليَّ، فأخبرتُ به زوجي، فحلفَ عليَّ أن لا أخبره بالذي أخبرني، فعلمت أنَّني إن أخبرته بذلك قتَله، فجمعتُ أهل الحيِّ من آخرهم والذي أخبرني في جملتهم، ثُمَّ قُلت له: أخبرَني هذا، أخبرَني هذا حَتَّى [أتيت] على جميعهم؛ أيخرج من يَمينه؟ فقال لها: نعم. وفي هذا نظر.

وحكي عن أبي حنيفة: في رجل وزوجته أكلا رُطبًا وألقيا النوى في طِست بحضرتهما، ثُمَّ حلف الرجلُ عليها بالطلاق لَتخبِره بعدد ما أكل من الرطب، فالمخرج في ذلك أن تقول: أكلت رطبة، أكلتَ رطبتين، أكلت ثلاثًا... حَتَّى تنتهي إلى عدد يقطع بأَنَّه قد أكله، ولا تضرّ الزيادة في الخبر.

ووقف رجل على أبي حنيفة وهو بين أصحابه، فقال: إنِّي حلفت أنِّي أطأ امرأتي في شهر رمضان، ولا أكفِّر ولا أعصي. فقال: سَافر بها.

وحُكي أنَّ الرشــيد ابتاعَ جارية، فأَحَبَّ العجلة في وطئها، فعلم أن ذلك لا يســوغ له حَتَّى يســتبرئ، فأحضرَ الفقهاء، وكُلٌّ منعه من ذلك حَتَّى يَستبرئ، فســأل أبا يوســف فقال: يُعتِقها ويتزوَّج بها، ثُمَّ يَطأ في الحال.

ولكن ســلك الفضيل بن عيَّاض هذا مع الرشيد بمكَّة | عكسه | حين ســأله عن حَنثه في يمين بالله ســبحانه، فأفتاه بصيام ثلاثة أَيَّام لا غير؛ فروجع في ذلك وقيل له: أليس قد قــال الله ﷻ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ (المائدة: ٨٩) وأمير المؤمنين وَاجِد؟ فقال: لو حاسب نفسه لم يكن واجدًا.

وأَمَّا قول أبي يوســف في حديث الرشيد والجارية فليسَ الأمر على ما قال.

وحكي أن رجلًا قال لأبي حنيفــة: إن فلانًا قد صاد لي طيرًا، فإن رَأيت أن تتلطَّف في ردِّه. فَلَمَّا حضر الصائد الصلاة مع أبي حنيفة قال أبو حنيفة: ولا يرضى أحدكــم أن يصيد طير جــاره حَتَّى يحضر والريــش في لحيته. فأهوى الصائد يده إلى لحيته فــرآه أبو حنيفة، فقال له: رُدَّ الطير، عَافاك الله؛ فَاستحى فَرَدَّه.

وحكي أن تاجرًا بالكوفة دخــل عليه اللصوص /٧٩/ ليلًا فأخذوا ماله، وحلَّفوه بأيمان أَنَّهُ لا يقول من هم ولا يكتب في شَــأنهم ولا يشــير إليهم ولا يومئ. واتَّصل الأمر بالســلطان في زمن أبي حنيفة، فسئل عن المخرج من ذلك؟ فقال: يجمع أهل البلد كافَّة، ثُــمَّ يخرج واحدًا واحدًا، فإذا أخرج أحد لصوصه أطرقَ فيُعرَف؛ فيخرج من يمينه.

فصل: [في مراعاة أحوال المستفتي]

وإذا رأى المفتي المصلحة عندما يسأله عامة أو سوقة أو طالب رخصة لا يجوز أن يفتي بما فيه تأوّل وإن كان لا يعتقده، ودعا للسائل وكفى له فعل ذلك.

فقد روي عن ابن عبَّاس أن رجلًا سأله عن توبة القاتل؛ فقال: لا توبة له. وسأله آخر؛ فقال: له توبة. ثُمَّ قال: أمَّا الأَوَّل فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته، فجاء مسكين قد قتل [فلم] أُقنِطه.

فإن سأله رجل فقال له: إن قتلتُ عبدي أعليَّ القتل؟ فواسع له أن يقول له: إن قتلت عبدك قتلناك؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ عَبدَهُ قَتَلنَاهُ سُمًّا**»[(١)]، والقتل يذهب في كلامهم مذاهب.

وكرجل قال: إن سببت أصحاب النَّبِيّ ﷺ كان عليّ القتل؟ فواسع أن يقال له: قد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَاقْتُلُوهُ**»[(٢)]، كُلّ ذلك يريد زجرًا للعامَّة ومن قَلَّ دينه ومروءته.

وينبغي للمفتي أن يستر عن الجهال كلّ فتوى كان فيها تأويل أَو رخصة؛ لأنَّ الرخص إِنَّمَا هي للمضطرين، والجهّال يطلبونها مختارين لا مضطرين.

---

(١) رواه أبو داود عن سمرة مطولًا من غير لفظة «سمًا»، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد، ر٤٥١٥، ١٧٦/٤. والترمذي عن سمرة بلفظ أبي داود، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده، ر١٤١٤، ٢٦/٤.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. وروى الديلمي عن علي بن أبي طالب حديثًا بلفظ: «من سب نبيًا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه»، ر٥٦٨٨، ٥٤١/٣.

ولا بأس أن يذكر المفتي في فتواه الْحُجَّــة عنده فيما أفتى به، مثل: أن يســأل عن من تزوّج امرأة بلا وليّ أو بلا شــهود؛ فيكتب فــي فتواه: قال رسول الله ﷺ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ [وَشَاهِدَينِ]**»[(١)].

أو سأل عمَّن اشــترى عبدًا وله مال ولم يشترطه، فحسن أن يقول: ماله للبائع إِلَّا أن يشترطه المبتاع.

وإذا ســئل عمن قال: أنا أصدق من النَّبِيّ ﷺ، أو قال: الصلاة لعب، أو الحجّ لغــو أو عبث، أو ما في خلق مثل هذه الســماوات والأرض، أو قال: قصيدة النابغة أحسن من سورة آل عمران؛ فينبغي أن لا يبادر إلى أن يقول: هذا حلال الدم، أو مباح النفــس، أو عليه القتل أو يقتل؛ بل يقول: إذا صح ذلك بالبينة عليه أو بالإقرار اســتتيب، فإن تاب قبلــت توبته، وإن لم يتب فعل به كذا وكذا.

ولا يســوغ للمفتي أن يأخذَ الأجرة مِمَّن يفتيه، كالحاكم الذي لا يأخذ الرزق من أعيان من يحكم له وعليه؛ بل لو اجتمع أهل بلد على أن يجعلوا للفقيه رزقًا ليتفرَّغ لفتواهم وجوابات ما يعرض لهم ساغَ ذلك.

فصل: [في مفهوم الفتيا]

الفتيا: هُــو التعريف للأمر. يقــول: أفتاني؛ أي: عرَّفنــي، وأَفتِنِي؛ أي: عرِّفني. وقوله ﷻ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ (النســاء: ١٧٦)؛ أي: يُعرِّفونك. وقوله ﷻ: ﴿قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ (النمل: ٣٢)؛ أي: بيِّنوا لي ما أعمل به.

والفتيا: إبانة ما ســأل عنه. يقال منه: أفتى الفقيه، وهو يفتي إفتاء. يقول: استفتيت استفتاء: إذا اســتعملت ما أريد عمله. وأفتيت غيري إفتاء: إذا أتيت

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة بلفظه، ر٦٩٢٧، ٨٥/٧.

له ذلك. وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢)؛ أي: لا تسأل عن أمر الفتيا [منهم] أحدًا. وقيل: ﴿فِيهِم﴾: في أصحاب الكهف. و﴿مِّنْهُمْ﴾: من أهل الكتاب /٨٠/.

وفيه لغتان: الفتوى والفتيا، والتقيا والتقوى، والثنيا والثنوى، والثنوى من الشيء يستثنى[1] في البيع، وكذلك اليمين. قال الفراء: والضم مع الياء لغة تميم وأهل نجد، وهي أكثر الكلام. والفتح مع الواو لغة أهل الحجاز وبني أسد وأهل المدينة.

ويقال: أجبته عن مسألته إجابة؛ فالاسم الإجابة. ومثل الإجابة من الأمثال: «أساء سمعًا فأساءَ جَابَةً»؛ أي: أساءَ جوابًا، كأَنَّه سمع شيئًا على غير وجهه فأجاب على قدر سمعه. ويقال أيضًا: الجيبة والجواب والإجابة والاستجابة كُلّه واحد، إِلَّا أن المثل جار على ما أخبرت.

فصل في السائل

أوَّل ما على السائل أن يَسأل عمن يوثق في دينه، ويسكن إلى أمانته؛ فإذا عرف من هو أهل للسؤال أخذه وبَجَّله، ولَيَّن له خطابه وسأله، ولا يخاطبه مخاطبة العوام، ويميّزه بالإعظام ويكرمه بالقيام. وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم**»[2]؛ يعني: سعد بن معاذ.

وينبغي أن لا يسأله قيامًا، ولا يجذب ثوبه، ولا يومئ في وجهه بيده، وقد فعل ذلك رسول قريش بحضرة رسول الله ﷺ عام الحديبية؛ فقال له

(١) فِي (س): «يستفتيه خ يستثنى».

(٢) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ر٣٥٩٣، ٣٨٩٥. ورواه مسلم عن أبي سعيد، باب جواز قتال من نقض العهد...، ر١٧٦٨.

المغيرة بن شعبة، وهو قائم بحضرة رسول الله ﷺ متقلد بسيف: «اضمم يدك قبل أن لا ترجع إليك».

وروي عن عليٍّ بن أبي طالب أَنَّهُ قال: لا تسأل العالم قائمًا، ولا تَجذب بثوبه إذا نهض، فَإِنَّمَا العالم كالنخلة تنتظر ما[1] سقط عليك منه فائدة.

ولا ينبغي أن يقول له: افهم عنِّي، ألست تفهم؟ اسمع منِّي، ألست تسمع؟!

فإن رآه في همٍّ قد عرض له أو أمر قد شغله أمسك عنه، فإذا زال عنه ما كان عرض له عاوده حينئذ وسأله، وقد دلَّ على ذلك قول الله ﷻ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ (الأحزاب: ٤).

قال الضّبّي: نزل ذلك؛ لأَنَّ المشركين كانوا يقولون: لأبي معمر بن الأسد الفهدي قلبان، من حفظه للحديث. فَلَمَّا كان يوم بدر انهزم مع المشركين، فلقيه أبو سفيان، وهو معلّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله؛ فقال: يا أبا معمر، ما فعل الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بال إحدى نعليك بيدك والأخرى برجلك؟ فقال أبو معمر: ما ظننت إِلَّا أَنَّهما في رجلي جميعًا؛ فعرفوا لو كان له قلبان لما نسي إحدى نعليه، فأنزل الله ﷻ ذكره هذا.

وينبّه على هذا القول ـ أيضًا ـ قول النَّبِيّ ﷺ: «**لَا يَقْضِي القَاضِي بَينَ اثْنَينِ وَهُوَ غَضْبَان**»[2]. وقال ﵇: «**لَا يَقضِي القَاضِي إِلَّا وَهو شَبْعَانُ رَيَّان**»[3].

(١) كذا في الأصل، وفي كنز العمال (١٣٤/١٥): «متى يسقط عليك منها منفعة».

(٢) رواه البخاري عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة بمعناه، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ر٦٧٣٩. ورواه مسلم عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة بمعناه، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، ر١٧١٧.

(٣) رواه الدار قطني في سننه عن أبي سعيد الخدري بلفظه، كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك، ر١٤، ٢٠٦/٤. ورواه البيهقي في السنن الكبرى عن أبي سعيد بلفظه، باب لا يقضي القاضي إِلَّا وهو شبعان ريان، ر٢٠٠٦٩، ١٠٥/١٠.

وعن جابر بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قال: خمسة لا تسألوهم عن أمر دينِكم شيئًا: غَنِيٌّ أَبطره غناه، ومن أُحزِن بِمالِه، ومن كان سَكرَانًا، ومن كان عاشِقًا، ومن مَسَّته حاجته إلى الخلاء.

وسأل رجل مُحَمَّد بن سيرين عن حديث، وقد أراد أن يقوم، فقال شعرًا:

إِنَّكَ إِن كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ ... سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِن خُلُقِ[1]

وينبغي للسائل أن يترصَّد أوقات فراغ الفقيه، ولا يسئ عليه أدبه فيحرمه منه أدبه.

ومن الآداب: أن يعطي الفقيه رقعة السؤال منشورة، ولا يكلِّف نشرها. وتؤخذ من عنده /٨١/ إذا أفتى ولا يكلَّف[2] طَيّها.

ومن أدب المستفتي: أن لا يقول عند جواب المفتي: وهكذا قُلتُ أنا، وهكذا وقع لي، وبهذا أجبت، وهكذا وجدت، وكذا أحفظ، وكذا ينبغي أن يكون، وما هو مثله من الكلام سوء أدب وخِفّة.

وينبغي أن لا يقال للفقيه: ما يقول صاحبك؟ وما يحفظ في كذا وكذا؛ بل يقال له: ما تقول؟ وما عندك من الفتوى؟ وما الجواب في كذا؟

وليس هذا كالرجل الذي قام إِلَى النبِيّ ﷺ فقال له: «آلله أمركَ أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟» فقال له: «**اللهُ أَمَرَنِي بِذَلكَ**»[3].

وقال رجل لبعض العرَّافين: ما يقول أبو حنيفة في كذا؟ فقال: لا يقول شيئًا؛ وَإِنَّمَا أراد به لا يقول في الاستقبال شيئًا.

---

(١) البيت من الرجز لقيس بن الربيع. انظر: الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ٥٢٢/١.

(٢) فِي (س): «ويكلف». وفي (ت): «ولا يكلف عليها». ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) رواه الربيع عن جابر بن زيد مرسلًا ومطولًا، الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد رحمه الله في الإيمان والنفاق، ر٩٣٩. ورواه البخاري عن أنس مطولًا، باب ما جاء في العلم...، ر٦٣.

وكان ينبغي أن يقول: ما الذي يقول أبو حنيفة في كذا؟

ومنع بعض قومنا أن يطالب السائل بالحُجَّة فيما أجيب به، وأن يقول له: لِمَ وكيف؟ قال: فإن أحبّ استماع الْحُجَّة شكوناه لنفسه، [و]سأل عنها في وقت آخر ومجلس ثان، أو بعد قبول الفتوى من المفتي مجردًا. لكنِّي عرفت عن شيخنا أبي مُحَمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ كان يأمر أصحابه إذا أجابهم عن مسألة أن يطالبوه بالحُجَّة.

وينبغي للسائل إذا رفع رقعة في مسألة أن تكون واسعة الجواب للمفتي؛ ليمكنه شرح الجواب، فربما اختصر لضيق القرطاس.

فإن سأل فقيهًا وحده قال: ما تقول رضي الله عنك، أو رحمك الله، أو وفقك الله. ولا يحسن أن يقول: رحمنا[(١)] الله وإياك. فإن قال: رحمك الله ويرحم والديك؛ فحسن.

وإذا أراد مسألة جماعة الفقهاء قال: ما تقولون رضي الله عنكم، وما يقول الفقهاء وفقكم الله في كذا.

ولا ينبغي أن يقول: أفتونا في كذا، ولا ليفت الفقهاء في كذا، فإن بهذا اللفظ أمر، وَإِنَّمَا يسأل لا يأمر، فإذا خاطب بالأمر فِي موضع السؤال فقد أخطأ وأحال.

وهذه اللام يختار النحويون حذفها عند الأمر للحاضر وإثباتها للغائب، وربما اضطرَّ الشاعر فحذف من الغائب. وقال متمم بن نويرة:

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ البَعُوضَةِ فَاخْشَمِي ... لَكَ الوَيلُ حُر الوَجْهِ أَو يَبْكِ مَنْ بَكَى[(٢)]

---

(١) فِي النسخ: رحمه، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة السياق.

(٢) البيت من الطويل لمتمم بن نويرة. انظر: ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٤١٥/١.

[البعوضَة: موضع قتل فيه مالك بن نويرة(١)]، يريد: وليبك، فحذف اللام.

فإن قال: ما الجواب في كذا وكذا؟ أو ما الفتوى في كذا وكذا؟ كان قريبًا؛ لأنَّ هذا هو استفهام، فلم يبعد من السؤال.

وينبغي أن لا يدع السائل دعاء للمسؤول فَإِنَّهُ من الجفاء.

وحكي أن فتوى وردت من المقتدر(٢) على أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري(٣) لا دعاء له فيها. فكتب الجواب في أسفلها: لا يجوز أو يجوز، ولم يزد على ذلك. فَلَمَّا عادت إلى المقتدر الرقعة علم أن ذلك كان من أبي جعفر لتقصير في الخطاب فاعتذر.

---

(١) مالك بن نويرة بن جمرة البربوعي التميمي، أبو حنظلة (ت: ١٢هـ): من أرداف الملوك في الجاهلية. أسلم، فولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه بني يربوع. وقيل: ارتد، فتوجَّه إليه خالد بن الوليد، وأمر ضرار بن الأزور فقتله. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٧/٥.

(٢) جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق (٢٨٢ - ٣٢٠هـ): خليفة عباسي ضعيف مبذر، استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته. وفرق شاسع بينه وبين أبيه «المعتضد». ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي (سنة ٢٩٥هـ) فاستصغره الناس، فخلعوه ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثُمَّ قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن. وفي أيامه قتل الحلَّاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الأسود. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢١/٢.

(٣) فِي النسخ: «مُحَمَّد بن جويبر»، وهو سهو. ومُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠هـ): عالم فقيه مجتهد، مفسر، محدث، مؤرخ، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي فيها، تفقه بِمذهب الشافعي على يد الربيع بن سليمان، ثُمَّ أخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى، وفقه العراقيين عن أبي مقاتل، ثُمَّ توسع حَتَّى صار له مذهب خاص وقد انقرض بانقراض أتباعه في منتصف القرن الخامس، عُرض عليه القضاء والمظالم فامتنع. له: جامع البيان في تفسير القرآن، وأخبار الرسل والملوك... وغيرها. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٦٠/٢. الزركلي: الأعلام، ٦٩/٦.

وينبغي للسائل أن يوجز في سؤاله، فإن إيجاز السؤال من آداب السائل، وهو أحسن من الإطالة.

وعن سعيد بن جبير: من أحسن أن يسأل أحسن أن يتعلَّم.

ابن عمر عن النَّبِـــيّ ﷺ أَنَّهُ قال: /٨٢/ «**الاقْتِصَادُ فِـــي النَّفَقَة نِصفُ المَعِيشَـــة، والتَّوَدُّدُ إِلَى النَّـــاسِ نِصفُ العَقْلِ، وَحُسْـــنُ السُّـــؤَالِ نِصفُ العِلْمِ**»[(١)].

ومن ســـأل عالمًا فليس من حقه أن يماريه أو يجادلــه[(٢)]، وعليه السؤال منه والأخذ عنه. وليس يحسن من شَدَا من العلم طرفًا أن يعارض به من هو أعلم منه، سيما من يعلِّمه؛ فإنَّه الجهل الواضح.

تقول: شَـــدَا فلانٌ من العلم وغيره مِمَّا يتعلَّم شـــيئًا، يشدو شـــدْوًا: إذا أحســـنه. وكذلك إذا تعلَّم منه قليلًا قلت: شـــدا منه شـــيئًا قليلًا. وتقول: قد تعلَّمت منه العلم، واستفدته، واقتبسته وحفظته، ووعيته.

فَحَسَن بالسائل أن يَستأذن العالم في السؤال فَإِنَّهُ من الأدب.

وأيضًا: فإنَّ العالم أعلم بأحواله وأوقات فراغه وأشغاله.

وحكي عن رجل قال لإياس بن معاوية: أتأذن في مسألة؟ قال: إن كانت لا تؤذي جليسك ولا تفضح عالمك فهاتها.

---

(١) رواه الطبراني في الأوســط عن ابن عمر بلفظــه، ر٦٧٤٤، ٢٥/٧. والبيهقي في شــعب الإيمان عن ابن عمر بلفظه، باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل، ر٦٥٦٨، ٢٥٤/٥.

(٢) فِي (س): «ولا يجادله».



فصل آخر: في السؤال

السؤال سؤالان: مأمور به، ومنهي عنه؛ فالمأمور به على ضربين: سؤال عن واجب فهو واجب، وسؤال عن مندوب إليه فهو سؤال ندب. فمن اعتقد ترك السؤال عن المندوب إليه فهو هالك بإجماع.

والسؤال المنهي عنه: هو ما عفي للعباد عن السؤال عنه مِمَّا في البحث عنه إيجابُ حكم أو تحريم أمر قد كان ـ لولا السؤال ـ حلالًا، قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١).

وقال الفراء: خطب النَّبيّ ﷺ الناس فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم الحجّ، فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله، أفي كلّ عام الحجّ؟ فأعرض عنه، ثُمَّ عاد، فقال له النَّبيّ ﷺ: «**مَا يُؤْمِنُكَ أَن أَقُولَ: نَعَمْ، فَيَجِبَ عَلَيكم ثُمَّ لَا تَفْعَلُوا فَتَكْفُرُوا؛ فَاتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكم**»[(١)]، ونزلت هذه الآية.

وقيل: السائل عن وجوب الحجّ كُلّ عام عبد الله بن جحش بن رباب[(٢)] الأسدي، وفيه نزلت هَذِهِ الآية؛ سأل النَّبِيّ ﷺ عن ذلك فسكت عنه، ثُمَّ أعاد قوله فسكت عنه، ثُمَّ أعاد فغضب النَّبِيّ ﷺ ونخسه بقضيب كان معه، ثُمَّ قال: «**وَيْحَكَ! لَوْ قُلتُ: نَعَم لَوَجَبَتْ، فَاتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُم، فَإِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَافْعَلُوا وَإِذَا نَهَيْتُكُم عَن أَمْرٍ فَانْتَهُوا**»[(٣)].

ثُمَّ قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَد رُفِعَت إِليّ الدُّنيا وَأَنَا أَنظُرُ مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِي مِنَ الأَحْدَاثِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَقَدْ رُفِعَت إِلَيّ أَنْسَابُ العَرَبِ فَأَنَا**

(١) انظر هذه الرواية بلفظ قريب في: معاني القرآن للفراء: ٢٩٧/١ (ش).
(٢) في جميع النسخ: «وثاب». والصواب ما أثبتنا من تفسير مقاتل، ٣٢٤/١.
(٣) الحديث ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره بتمامه. انظر: تفسير مقاتل، ٣٢٤/١.

أَنْسَـــبُهُمْ»، فقام رجل فقال: «يا رســـول الله: أين منزلي أنا؟» فقال: «**أَنْتَ فِي الجَنَّة**». ثُمَّ قام آخــر، فقال: «أين أنا؟» فقال: «**أَنْتَ فِــي الجَنَّة**». ثُمَّ قام آخر، فقال: «**أَنْتَ فِي النَّارِ**»، فرجع الرجل محزونًا.

فقام عبد الله بن حذافة، وكان يُطعَن فيه، فقال: «يا رســـول الله: من أبي؟» فقال: «**أَبُوكَ حُذَافَة**». فَقال آخر من بني عبد الدار: «مَن أَبي يا رسول الله ﷺ؟»، /٨٣/ فقال: «**أَبُوكَ سَعدٌ**»؛ نَسبه إلى غير أبيه.

فقام عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ وقال: «يا رســـول الله، اســتر علينا سَتَر الله عليك، إنَّا قوم قريبو عهد بالشرك»؛ فقال له رســـول الله ﷺ: «**خيرًا**»، ونزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ...﴾ (المائدة: ١٠١)[(١)] الآية[(٢)].

وقال مجاهد: عن ابن عبَّاس: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ﴾ قال: البحيرة والسائبة.

أبو البحتري: عن علي بن أبــي طالب قال: لَمَّا نزلت آيــة الحجّ قالوا: «يا رسول الله، أَكُلُّ عام؟» فنزلت: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾ الآية.

[عن] أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ قـــال: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُم، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُم بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِم**»[(٣)].

قال الشعبي: ما نزلت آية التلاعن إِلَّا من كثرة السؤال.

أَوَلَا ترى إلى بني إسرائل وتشديدهم على أنفسهم بسؤالهم عن البقرة،

---

(١) وتمامها: ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾.

(٢) القصة بتمامها رواها مقاتل بن سليمان في تفسيره، ٣٢٤/١.

(٣) رواه عن أبي هريرة بلفظه مع زيادات قبله وبعده: مسلـــم في صحيحه، باب فرض الحج مرة في العمر، ر١٣٣٧. والنســـائي في المجتبى، باب وجـــوب الحج، ر٢٦١٩، ١١٠/٥. وابن ماجه في سننه، باب اتبّاع سُنَّة رسول الله ﷺ، ر٢، ٣/١.



ولو أَنَّهُم [حين] أُمِروا بذبح بقرة ذبحوا أيَّ بقرة كانت؛ لكانوا قد فعلوا ما أُمِروا به، ولكنَّهم كرَّروا السؤال عن شيء لم يكلفوا به[1].

قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرَ القَومُ بِأَدنَى بَقَرةٍ فَشَدَّدُوا عَلَى أَنفُسِهم فَشَدَّدَ الله عَليهِم، وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ لَوْ لَم يَسْتَثْنُوا مَا ثَبَتَ لَهُم إِلَى آخِرِ الأبد[2]**»[3].

وقال أبو مُحَمَّد: تفسـير هذه الآية في قول أصحابنا إِنَّمَا هو: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾؛ يعني بذلك: ما يسـع جهله لا تسـألوا عنه، إِنَّهُ تكلّف منكم؛ لأَنَّكُم لم تكلَّفوا إِيَّاه وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ أي: عفا الله عنكم، عفي لكم لم يكلّفكم علم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ (المائدة: ١٠٢) يقول: قد سأل قوم عما لم يكلَّفوا، وكفروا بعد ذلك إذ علموا به.

وقال أبو الحسن: قد قيل هذا. وقيل: لا تسـألوا عن الآيات التي سألها الأمم الخالية فتُبدى فتكفروا بها فيسؤكم ذلك، مثل: ثمود وسؤالهم للناقة، وقوم موسى سألوا الرؤية، وقوم عيسى سـألوا المائدة وأصبحوا بها كافرين حين أبديت لهم.

وفي قراءة ابن مسعود: ﴿**سَـلْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ**﴾[4]، فسألوا عن

(١) فِي النسخ: «لا يكلفوه»، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة السياق.
(٢) فِي النسخ: آخر الآية. والصواب ما أثبتنا من تفسير الطبري، ٣٨٤/١.
(٣) انظر هذه الرواية بلفظ قريب عن قتادة في: تفسير الطبري، ٣٤٨/١.
(٤) ذكر هَـذِهِ القراءة كُلّ مـن: ابن عادل: تفسير اللباب، ٣٧١/١... الزمخشـري: الكشـاف، ١٧٧/١. أبي حيان: تفسير البحر المحيط، ٤١٥/١، وغيرهم.

الماهية منه؛ والماهية[١]: الجنس، وما: اســتفهام عن جنس الشــيء. وكيف: استفهام عن حال الشيء. ولِمَ: استفهام عن علة الشيء. قال الشاعر:

يا من تعلَّــمَ عِلــمَ صِبيَة مكنة ... وَغَــدَا بِــذَاكَ يُنَاطِــحُ الْعُلَمَاء
لولَا مواضع لِم وكيف وهولها ... لَرَأَيْتَ أَكْثَــرَ مَا تَــرَى فُقَهَاء[٢]

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**إِيَّاكُم وَكَثْرَة السُّــؤَالِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ السؤَالِ**»[٣].

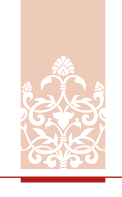
وقال ســعد بن أبي وقَّــاص أن النَّبِيّ ﷺ قــال: «**أَعظَمُ المسْــلِمِينَ فِي المُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَن شَيْءٍ لَم يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِه**»[٤].

وفي حديث أبي ثعلبة الخشَــني عن النَّبِــيّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَــا، وَفَرَضَ لَكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ أَشــيَاءَ فَــلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَتَرَكَ أَشْــيَاءَ مِن غَيرِ نِسْــيَانٍ فَاقْبَلُوهَا ولَا تَبحَثُوا عَنْهَا**»[٥]. وعن النَّبِيّ ﷺ: «خَيْرُ خِصَالِ العِلمِ السُّؤَالُ»[٦].

ويقال: مَن رَقَّ وجهه عن السؤالِ رَقَّ علمه عند الرجال.

---

(١) فِي النسخ: «عن المائدة منه والمائدة»، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة المعنى.
(٢) البيتان من الكامل، لم نجد من ذكرهما.
(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٤) رواه البخاري، عن ســعد بن أبي وقــاص بلفظ قريب، باب ما يكره مــن كثرة السؤال..، ر٦٨٥٩. ورواه مسلم عن سعد بلفظه، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، ر٢٣٥٨.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي ثعلبة بلفظه، كتاب الأطعمة، ر٧١١٤، ١٢٩/٤.
(٦) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



فصل: [فيمن يسأل المستفتي]

ومن دخل بلـدًا جاهلًا بأهله واحتاج إلى سـؤال عن نازلـة به؛ فعليه السـؤال عن العلماء من أهل البلد المنسـوبين إلى الفقه والسـتر والعفاف والعلم، /٨٤/ فإن كان مـن أهل النظر والتمييز مَيَّز بين أقاويلهم واسـتدلَّ على عدلها بالكتاب والسُّـنَّة فعمل بهـا. وإن كان مِمَّن لا علم له ولا تمييز معه فعليه السؤال عنهم وعن علمهم وثقتهم، ويجتهد وينظر أيّهم أكثر علمًا وأبينهم صلاحًا وأفضلهم ورعًا؛ فيأخذ بقوله، ويقلِّده بعد اجتهاده.

قال أبو مُحَمَّـد: أخبرني أبو مالك عن أبي عبـد الله محمَّد بن محبوب وعن أبي معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ خلف بن زياد البحراني لَمَّا نشأ ووجدَ الاختلاف قال: لا يجوز أن يكون الناس مع اختلافهم مُحِقِّين لتخطئة بعضهم لبعض، وإن للهِ تعالـى دينًا تعبَّد به عبـاده لا يعذرهم بجهلهم إيّـاه وتَرَكَهم وخرج يطلب ما كلّف بـه حَتَّى دخل البصرة؛ فكُلَّما لقي فقيهًا سـأله عن اعتقاده، فإذا أخبر قال: الْحَقّ [في غيـر][1] هذا، إلى أن لقي أبا عبيـدة مسلمًا فَلَمَّا أخبره بمذهبه قال: هذا هو الْحَقّ الذي تعبَّد الله تعالى به عباده.

وروي: لا تأخـذ دِينك إِلَّا مِمَّن تأمنه على نفسـك وحرمك ومالك، وأنَّ الدين أكبر من النفس والحرم والمال. ويقال: افْدِ نفسك بمالك وافْدِ دِينَك بدمك.

مسألة: [فيمن يحمل المسألة]

ومن أمر رجلًا أن يسأل له عن مسـألة وهو يعلم أَنَّهَا خلاف ما قال له؛ فإذا حَرَّف المسألة فلا يسعه أن يسـأل له عنها ولا يخبره بجوابها. وإن قال

---

(١) الزيادة من منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، للشقصي، ١/٤٧٩.

له: سـل لي عن كذا وكذا ولا يدري ما يريد فلا بأس عليه أن يسأل له. وإن اتهمه أَنَّهُ يريد شيئًا لاستحلال الحرام فلا يسأل له عنه ولا يخبره بالجواب.

قال يونس[1]: عِلمُكَ من روحـك، ومالُك من بَدنك، فضَع عِلمَك منك بمكان روحك، وضَع مالَك بمكان بدنك.

وقيل: الأمـور ثلاثة: أمر تبيَّن لـك غَيُّه فاجتنبه، وأمر تَبَيَّن لك رشـدُه فاتَّبِعه، وأمر أشكل عليك فرُدَّه إلى أهله.

وقيل لجعفر: قد جعـل الله القرآن أصلًا أغناهم به عـن جميع الخلق، لا علم إِلَّا ما أُمِروا به.

وقال الله عز اسـمه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (النساء: ٥٩) عن الحسن قال: إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ فخذوا بهما.

وقد يقال فـي ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾: إنَّهم الفقهـاء والعلماء نحو أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والله أعلم.

مسألة: [فيمن أراد حمل دينه]

اختلفوا فيمن أراد حمل دينه؛ فقال قـوم: يجزئه فقيهان مجتمعان. وقال آخرون: يجزئه واحد بعد واحد، ولو كانـا مجتمعين كان أحوط؛ وهذا فيما يجب العلم به من أهـل الأحداث أو مـا غير ذلك من ولاية المسـلمين. وَالدلالة على الْحَقّ من الحلال والحرام قال: الواحد يجزئه.

---

(١) وأصل القصة كما ذكرها ابن عبدالبر فِي جامع بيان العلم وفضله (٦٩/١) «عن الأصمعي قال: سمع يونس بن حبيب النحوي رجلًا ينشد:

اسـتودع العلم قرطاسًـا فضيعه ... وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس: قاتله الله ما أشـدَّ صيانته للعلم وصيانته للحفـظ، إن عِلمَك من روحك...».

ويونس بن حبيب الضبي النحوي (٩٤ ـ ١٨٢هـ)، سبقت ترجمته.

مسألة: [في من كان عارفًا بحقوق اللّه]

ومن كان عارفًا بحقوق الله في أمره ونهيه، قائمًا بطاعة الله تعالى، مجتنبًا ما نهى الله عنه: فلا يضره إن لم ينسب عليه ذلك أحد من الناس.

مسألة: [مِمَّن يُحمل الدين]

وعلى الضعفاء السؤال عن العلماء ليتحَّملوا عنهم دينهم؛ لأَنَّ الْحُجَّة إِنَّمَا هي لهم وعليهم بأهل الْحَقّ، فإذا عرفوهم من غير أهل الأحداث فالذين تولوهم وأخذوا عنهم فعليهم قبول ذلك، وليس لهم قبول فتوى من غيرهم ولا من مخالفيهم إِلَّا أن يعرفوا عدل ذلك؛ فعليهم أن يعملوا بما عرفوا عدله، والله أعلم.

المسائل التي لا جواب لها عند الفقهاء إلَّا التسليم[١]

يقال لهم: لِمَ حَكَم الله تعالى في القتل بشاهدين، وفي الزِّنا بأربعة شهداء، والقتل أعظم عند الله وأجَلّ إثمًا؟!. ولِمَ جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين، /٨٥/ والأنثى أقلُّ حيلة وأضعف منه؟!. ولِم حكم الله تعالى فيمن سرق عشرة بالقطع، وإذا قطع رَجُل يدَ رجل فعليه نصف الدية؟!. ولِم حكم الله تعالى في الجنابة بالغسل وفي الغائط بالوضوء، والمَنِيّ أطيبُ رائحة وأقلُّ أذى من الغائط؟!. وما معنى قول النَّبِيّ ﷺ: «**مَا نَقَصَ مالٌ مِن صَدَقَة**»[٢]؟.

(١) فِي (س): «عند الفقهاء والعلم».

(٢) رواه الترمذي في سننه عن أبي كبشة الأنماري بلفظ قريب ومطولًا، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ر٢٣٢٥، ٤/٥٦٢. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أم سلمة بلفظه ومطولًا، ر٢٢٧٠، ٢/٣٧٤.

السـؤال على أربعة أقسـام كلّها اسـتخبار، والجواب أربعة أقسام كلّها إخبار.

فالقسم الأَوَّل: هو السـؤال عن المذهب وما يثبته، ويقابله من الجواب الإخبار به.

والثاني: السؤال عن الدلالة، ويقابله من الجواب الإخبار بها.

والثالث: السـؤال عن وجـه الدلالة وكيفيـة التعليق فِيهـا، ويقابله من الجواب الإخبار به.

والرابع: المقابلة بصحيح الدلالة من الجواب، وهو سؤال التزام وطعن وقدح ومعارضة، ويقابله من الجواب الإخبار به وهو الكشـف عن موضع الاحتـراز وأنّ مَا قابله مـن خصمه ليس مثـلًا لما قابله بـه، ومتَى أورد المسؤول دلالته وأبان عن كيفية التعلُّق بها استغنى السائل عن السؤال عن وجه دلالته.

وقد قال بعض: إنَّ السائل يسـتغني في بعض الأحوال عن السؤال عن المذهب وما يثبته إذا كان عارفًا بمذهب خصمه وما ينتحله.

باب ١٤ صفة المستحقّ للسؤال عن الحلال والحرام

هو العالم المشهور بالعلم في مصره، والمشهود له بالورع في عصره من أهل نحلة الْحَقّ، المنسوب إليه الفقه والمعرفة، فإذا كان بهذه الصفة كان الْحُجَّة للسائل وقدوة في المسائل. ولا يجوز أن يكون قدوة إِلَّا العالم الورع. فإن كان ثقة فيما يفتيه ولا ولايةَ له لم يجز أخذ الفتوى عنه؛ لأنَّ الفتوى لا يقلّد فيها إِلَّا أهل العلم الموافقة لدين المسلمين.

وكذلك الثقة في دينه المخالف للمسلمين لا يجوز قبول ما يرفعه من الفتيا عن أحد من المسلمين، ولا يُصدَّق في الخبر عن رسول الله ﷺ؛ لأَنَّهم يستحلون تحريف الكلم ليثبتوا به مذاهبهم الفاسدة، ويتأوَّلون فيها على مذاهب المسلمين في تخطئتهم إيَّاهم، ولأنَّ من دينهم الذي يتقرَّبون به إلى ربِّهم أن لا يرفعوا خبرًا يوجب تَصديق مخالفيهم، ويتأوّلوا فيها على مذاهب المسلمين التخطئة مع إِيَّاه، ولا يوجب تصويب مذاهب مخالفيهم، ولا يردّوا من فتوى مخالفيهم إِلَّا ما يردوا في تخطئتهم. هكذا يوجد عن أبي مالك، وعن أبي مُحَمَّد غير هذا، وهو فِي باب الأخبار بعد هذا ـ إن شاء الله ـ.

فإن كان الرافع للخبر والفتوى عن الفقيه المتَّبَعَ رجلًا من أهل مذهب الْحَقّ لا ولاية له، وهو غير متّهم فضله في الناس؛ قُبِل منه ذلك وصُدِّق، ووجب الفعل بقوله إذا قال: حفظت عن فلان الفقيه، وأخبرني فلان، أو



سمعته يفتي بكذا؛ وكان مِمَّن يضبط ما يرفعه ولا يتوهّم عليه الخطأ، وكان المخبر عنه فقيهًا عارفًا معروفًا بالفضل.

ولا تُقبل الفتـوى إِلَّا من أهل الفتوى بالعلم والديـن، وكان الرافع ثقة ضابطًا لنقل الفتوى جاز القبول منـه إذا كان من أهل الرأي. فإن قال: الْحَقّ في هذه المسألة كذا، والجواب فيها كذا؛ فهذا مُفتٍ.

ولا يقبل الفتوى إِلَّا من أهل الولاية المنسـوب إليهم الفقه. فإن كان هذا الرجل من أهل الولاية معروفًا بالصدق إِلَّا أَنَّهُ ليس من الفقهاء وطلاب العلم فلا يجوز أن يؤخذ عنه الفتوى؛ لأَنَّ مثله قد يظنّ به أَنَّهُ لا يضبط عن العلماء ما يسـمعه من جوابهم، وخاصة ما يكون من مشكل الجواب عن دقيق العلم أو خفيِّـه؛ ألا ترى أَنَّهـم لم يجيزوا شـهادة اثنين من هـؤلاء على أحد من المسلمين فيما يوجب البراءة حَتَّى يُفَسِّـر /٨٦/ معنى الحرمة التي شهد بها، ولم يكلفوا ذلك العلماء إذا شهد منهم اثنان فقبل شهادتهما، وصدقا في ذلك، وقلد الحكم فيه بتهمتهم لعلم الضعيف بالفقه وثقتهم بعلم الفقيه، والله أعلم.

ولا يجوز أن يَدُلّ المستفتي إِلَّا على المفتي بما له به علم وورع.

والمفتي إذا كان مخبرًا للمستفتي أخبره بالاختلاف. وإن كان مفتيًا لمن استفتاه لم يسـعه إِلَّا أن يفتيه إِلَّا بما يقول هو به مِمَّا يراه عدلًا عنده. وإذا أفتاه ولم يرفع له عن أحد نظر في فتواه.

وإذا رفع له عـن غيره نظر في المرفوع له، فـإن كان مِمَّن يؤخذ بفتواه أخذ بذلك، وإن كان مِمَّن لا يجوز منه ذلك لم يأخذ بقوله حَتَّى يعرف عدل ذلك القول.

وإن سئل الفقيه عن مسـألة فقال: قد قالوا فيها: كذا؛ فَإِنَّهُ لم يفت فيها بشيء. فإن قال: قد قال فيها المسلمون: كذا؛ فجائز الأخذ بذلك.



فصل: [في من يجب سؤاله]

ولا يجوز لأحد أن يسأل غير أهل العلم الذين نصَّ الكتاب عليهم، وخصَّ الخطاب بردِّ السؤال إليهم، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧). وقال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١)، فمن سأل العلماء فقد أطاع أمر الله ربه وأصاب فيما أتاه به. ومن سألهم غيرهم فقد خالف ما أمر به، وضلَّ، وخسر، وزال عن المحجَّة، وسأل من ليس بحجَّة.

ومن عمل بحجَّة فهو سالم، والمستفتي من العالم سالم، ومن غير العالم هالك.

ومن أفتى فخالف في فتواه كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وإجماع الأمَّة لم يسلم بفتواه.

ومن سأل من ليس بحجَّة عند الله، وكان في جوابه ضمان؛ فالضمان يلزم السائل، والمفتي آثم. وإن كان المفتي بذلك عالمًا فأفتى مِمَّا يخرج من قول الأمَّة [ضَمِنَ]، ولا يأثم إذا ضمن ما أفتى فِيه.

وإن قيل: لِمَ يضمن العالم ولم يضمن الجاهل؟ قيل: لأَنَّ السائل للعالم قد سأل من أمر الله تعالى بسؤاله، وهو الْحُجَّة لله تعالى في الأرض، وهو ـ أيضًا ـ حجَّة للعبد وعليه. والسائل للجاهل قد عَصى الله تعالى فيما أمره، ولزمه الضمان.

وقال أبو الحواري[1]: إذا كان المفتي من أهل الفتيا فأخطأ فعليه الضمان، وإن لم يكن من أهل الفتيا فلا ضمان عليه، وهو سفيه من السفهاء.

(١) مُحَمَّد بن الحواري بن عثمان القري (بعد: ٢٧٢هـ): عالم فقيه ورع من نزوى عاش ونشأ فِيها. أخذ عن: مُحَمَّد من محبوب، ومحمد بن جعفر، ونبهان بن عثمان، وأبو المؤثر... =

وقيل: المفتي يدخل بين الله تعالى وبين عباده.

وقيل: إنَّ الملائكـــة تلعن من يفتي بغيـــر علم. وأضعـــف الناس علمًا أعجلهم في الفتيا.

فصل: في الرأي

ولا يجوز الرأي في شـــيء من أحكام الإســـلام من **ثلاثـــة وجوه: وجه:** حَكَم به الكتاب، **ووجه:** حَكَمت به السُّنّةُ. **ووجه:** اجتمعت عليه الأمة.

وَإِنَّمَا يجوز الـــرأي لأهل الفقه والمعرفة بديـــن الله ﷻ، لا لغيرهم من النـــاس فيما لم يكن فيه وجه من أحد هذه الوجـــوه الثلاثة؛ فليس لأحد أن يتَّبع رأي غيره، ويدع الذي يرى أَنَّهُ أصوب وإلى الْحَقّ أقرب، غير أن على فقهاء المســـلمين أن ينقادوا لما حكـــم أولوا الأمر منهم بـــرأي من الآراء، ويكونـــوا إلى حكمهـــم متَّبعين، ولأمرهـــم في ذلك مطيعيـــن، وإن خالف حكمهم آراءهم ما لم يكن مخالفًا للكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وكـــذا روي عن أبي عبيدة مســـلم بن أبي كريمة أَنَّهُ قـــال: إذا اختلفَ الناس في الرأي رُدَّ الأمر إلى الإمام، وإمام الناس عبدالرحمٰن بن رستم(١)،

= من الثلاثة الذين يضرب بهم المثل فِي عُمان. من مؤلفاته: جامع أبي الحواري، وتفســـير خمسمائة آية في الأحكام، وله زيادات على جامع ابن جعفر، وكتب معروضة عليه. انظر: البطاشـــي: إتحاف الأعيان/ ٢٠٩ - ٢١٠. الفارســـي: نزوى عبر الأَيَّـــام، ٩١. معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

(١) عبدالرحمٰن بن رســـتم بن بهرام بن كسرى الفارســـي، (ت:١٧١هـ): عالم ذكي ومجتهد بارز، وخليفة مشهور، من أشهر أعلام الإباضية. ولد بالعراق ثُمَّ رحل إلى القيروان ثم إلى البصرة للتعلُّم على يد أبي عبيدة مسلم. كان من حملة العلم الخمسة إلى المغرب. تخرج عليه: ابنه عبدالوهاب..وغيرهـــم. تولى القيروان في دولة أبي الخطـــاب عبد الأعلى لما أسس أول مدينة إســـلامية عربية بالمغرب في القيروان. ثم بعد رجوعه من البصرة أسس =



وكان إمامًا في المغرب، وكان فيما أحسب حيًّا في أيَّام ما قال أبو عبيدة هذا القول.

ولا يجوز من قال برأيه أن يشهد أن رأيه هو الصواب، وأن كُلَّ ما خالف /٨٧/ رأيه هو خطأ، ولو جاز ذَلِكَ لجاز له أن يضلّل المسلمين الذين خالفوه في رأيه.

وينبغي لمن قال برأيه في شيء وهو من أهل الرأي أن لا يرتاب بعد قوله في رأيه إذا علم أحكام ما قاله من الكتاب والسُّنَّة وإجماع فقهاء الأمَّة. وَإِنَّمَا يرتاب في رأيه أن يكون خالف صحَّة الفتوى ما لم يأت فيه حكم أحد الوجوه الثلاثة التي سمَّيناها.

ويقال للرجل إذا قال برأيه: قد عكل يعكل، وحدس يحدس، وعَشن واعتشنَ.

ومنازلُ الرأي أربعة: التقدُّم في الأمر قبل حلوله، فإن قصر عنه فالحدّ فيه عند وقوعه؛ فإن قصر عنه فالحثُّ إلى التخلّص منه بعد وقوعه، فإن قصر عنه فليس إِلَّا بذهاب المال الذي يذهب مع صواب الرأي.

وقال: العالم الذي يجوز له أن يفتي بالرأي [هو] العالم بالكتاب والسُّنَّة والناسخ والمنسوخ وما سبق من الآثار، إِلَّا أن العلماء دون ذلك يقيسون الشيء بالشيء الذي سبق به القول.

والقول بالرأي أن يكون الفقيه قد عرف آراء الفقهاء في المسألة، وأخذ بأحد أقاويلهم، وكان ذلك رأيه؛ فهذا هو الرأي، وهو الفقيه الذي يفتي

= أول دولة إسلامية عادلة مستقلة بالمغرب الأوسط في تيهرت «الدولة الرستمية». مِمَّن جازت عليه سلسلة نسب الدين. له: تفسير كتاب الله العزيز (مفقود)، وغيرها من السير والجوابات. انظر: التراث: معجم الأعلام (نج)، تر٦٠٨، ٣١٠/٤ - ٣١٣.

بالرأي. فإن أخذ بأحد هذه الأقاويل السُّنَّة على أحد الآراء، وكان في تأويله غلط أو خطأ؛ كان مرفوعًا عنه، فإن أصاب كان مأجورًا عليه.

فإذا أفتى بقول لا يعرف صوابه إذا كان لا يعرف آراء المسلمين الفقهاء ألزموه الضمان، فإذا كان من الفروع فلا يضمن إِلَّا ما خالف الكتاب والسُّنَّة. وأَمَّا الأصول فلا يسلم من خالف الْحَقّ بفتياه كان برأيه أو بتأويله.

ومـــن كان ضعيف المعرفة فحفظ في المســـألة قولين وابتلي بالعمل بها وهولا يعرف عدل أقاويلهم، فعمل بواحـــد منها؛ جاز له ذلك. وقال أبو مُحَمَّـــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : على هـــذا الضعيف المعرفـــة أن يجتهـــد كما يجتهد جابر بن زيد.

وإذا أخـــذ من قولهم بخلاف ما يراه أعدل لـــم يجز له، وضمن ما فيه الضمان. فإن أفتى بخلاف الْحَقّ وهو يرى الْحَـــقّ غيره فقد قالوا: يضمن، إِنَّمَا لا يضمن إذا كان لا يعـــرف أن غيره أعدل فأخذ به أَنَّـــهُ الْحَقّ عنده، ولعل فيه اختلافًا؛ لأَنَّ الفروع يجوز فيها الاختلاف. ويمكن أن يكون الذي عمل به أعدل من الذي رآه أَنَّـــهُ أعدل فلا يضمن ولا يأثم؛ لأَنَّه أخذ بقول من أقاويل المسلمين.

ومن أفتى في مسألة فيها أقاويل كثيرة بقول، ولم يعرف الأعدل، ولا هو من الفقهاء؛ لم يؤجر إن أصاب، ولم يسلم بخطئه.

وإذا كانت مسألة فيها قولان، فعرف الْحُجَّة في أحدهما دون الآخر؛ فلا يجوز أن يأخذ بخلاف ما يراه عدلًا، ولك الأخذ بما عرفت عدله.

ومن عرف العدل مـــن آراء الفقهاء أخذ به، ومن لـــم يعرف العدل من جميع ذلك سأل المسلمين، وأخذ بفتيا من أفتاه منهم.



وقيل: للضعيف أن يأخذ بإخبار الفقهاء له، وجائز له الأخذ برأي واحد من المسلمين من أهل الفتيا.

عن بشـــير[١]: في الرجل يعنى بالمسألة، فلا يجد أحـــدًا من المسلمين، فيسأل من دخل في فَنِّه فيحفظ فيها غير فقيه من المسلمين؛ فإنَّهُ ينظر ويميِّز، فإن كان يرى ذلك عدلًا أخذ به، وإن لم يكن عدلًا يميِّز[٢] فلا يأخذ بذلك.

وأخبرني الفضل[٣] عن بشير بن مُحَمَّد[٤] أَنَّهُ قال: إذا لم توجد مسألة عن المسلمين أخذ بما قال أهل الخلاف فيها من قومنا /٨٨/.

مسألة: [في فتيا العالم بالرأي]

والعالم الذي يجوز له أن يفتي بالرأي مَن عَلِمَ ما فِي الكتاب والسُّـنَّة وآثار الأئمَّة، وكان أبو علي إذا أريد منه الحفـــظ كَاعَّ. يقول: كعَّ الرجل عن

(١) بشير: لا ندري أي بشير يقصد، ولعله بشير بن مُحَمَّد بن محبوب الذي سنترجم له قريبًا.

(٢) فِي النسخ: + لعله.

(٣) الفضل بن الحواري السامي، أبو مُحَمَّد (ت:٢٧٨هـ): عالم فقيه من بني سامة بن لؤي بن غالــب. أخذ عن: محمد بن محبوب وموســى بن علي وغيرهما. قيــل فِيه وَفي عزان بن الصقر: «إنهما في عُمــان كالعينين في جبين» لعلمهما وفضلهمــا. عاصر الإمام المهنا بن جيفر (٢٣٧هـ)، ثم الإمــام الصلت بن مالك (٢٧٢هـ). له: كتاب الجامع (مط) وغيره من الآراء. انظر: تحفــة الأعيان، ١٣٤/١... إتحــاف الأعيان، ١٩٧/١. معجم أعــلام إبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

(٤) فِي (س): بشــير بن محرز. وبشــير بن محمد بن محبوب الرحيلي المخزومي القرشــي، أبو المنذر (حي: ٢٧٣هـ): عالم أصولي فقيه إباضي من عُمان، من أســرة عريقة في العلم والفضل، عاصر الإمام الصلت بن مالك، أخذ عــن: والده وعزان بن الصقر، والصلت بن خميس. له: المحاربة، وأسماء الدار وأحكامها، والرضف، والبستان في الأصول، والرضى في التوحيــد، وكتاب الخزانة، وغيرها. انظر: البطاشــي: إتحاف الأعيــان، ١٩٤/١. دليل أعلام عُمان، ٣٣ - ٣٤.

كذا يَكِعُّ كعًّا وأكعَّه عن ذلك الفرق، وهو الذي لا يمضي في حزم ولا عزم. فكأنَّ هذه الكلمة فـي الأخبار عن أبي علـي إِنَّمَا أريدَ بهـا أَنَّهُ وقف عَن الجواب، والله أعلم.

والعالم إلى رَأيـه ونظره أحوج منـه إلى حِفظه؛ لأَنَّ ليس كُلّ مسـألة مسطورة، ولا كُلّ نازلة مذكورة؛ فلو كان العلماء لا يجيبون إِلَّا بما يحفظونه لما بيَّنوا للناس كثيـرًا مِمَّا يسـألونهم، ولكان الناس فـي أمرهم في ظُلَم ووقوف، ولكن مَنَّ الله ﷻ عليهم بالعلماء الذيـن آتاهم من العلم ما جاز، وأجاز لهم فيه القول بالرأي، فأوضحوا للسائلين نور كلِّ ظلم داعِية، وغماء داهية؛ والحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا.

وللعالم أن يفتي برأيه فيما لم يأت في كتاب الله له حكم، ولا في السُّنَّة، ولا أجمع عليه الفقهاء والأوَّلون.

والفتيا بالرأي من السُّنَّة؛ لقوله ﷺ: «**لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ**»[1].

وقد أجمعوا على القول بالرأي، وهـذا حجَّة الله لمن احتجَّ به، ووجب ذلك قبول قول العدل الفقيـه الثقة إذا أفتى في مسـألة وهو واحد بإجماع الأمَّة على ذلك، إِلَّا قـول الجبائي[2] وحده فَإِنَّهُ قال: باثنين في بعض الفتيا، وأجاز الواحد في بعـض، واحتجَّ بالآية قولـه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات: ٦).

---

(١) رواه الربيع عن ابن عباس بلفظ: «مَا كَانَ الله لِيَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ»، باب في الأمة أمة محمد ﷺ، ر٣٩.

(٢) لا ندري أيهما يقصد بالجبائي، ويطلق هذا المصطلح على أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣هـ)، أو أبي هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١هـ)، وكلاهمـا مـن متكلمي المعتزلـة وفقهائها. انظر ترجمتهمـا فِي: الأعلام للزركلي، ٤/٧؛ ٦/٢٥٦.

ومن أفتى برأيه في مسألة وكان من أهل الاجتهاد، وخرج برأيه من جميع أقاويل أهل القبلة؛ لم يَضمن. وَإِنَّمَا يضمن من لم يكن من أهل الاجتهاد إذا خرج بقوله عن جميع جملة أقاويل أهل القبلة، وعليه الإثم إِلَّا أن يتوب.

وإن كان من أهل الرأي فأفتى بشيء مجتمع على خلافه أو مُحَرَّم في الكتاب والسُّنَّة والإجماع فَإِنَّهُ يضمن. فإن لم يكن في فتياه حكم من أحد هذه الثلاثة الأصول، وَإِنَّمَا هو فِيه اجتهاد من الفقهاء فأفتى هو بغير ما أفتوا به؛ فهو سالم. وأَمَّا إن كان من غير أهل الرأي والاجتهاد فَإِنَّهُ يضمن إذا خالف أقاويلهم.

ومن أفتى بفتيا وأخطأ ولم يخرج من جميع قول فقهاء المسلمين والمخالفين كُلّهم لم يكن عليه ضمان.

مسألة: [في نقل الفتوى والخطأ فيها]

ومن رفع مسألة عن فقيه متقدِّم وكان عدلًا؛ قَبِل شهادته عنه فيها على سبيل الشهادة لا على وجه الفتيا. وأَمَّا المفتي فيكون أعلى درجة من هذا وأبصر؛ فإذا أفتى قبل منه ما أفتاه. فإن أخطأ الرافع والمفتي وكانا قد أصابا في المسألة بعض أقاويل الفقهاء فهما سالمان جميعًا. فإن أخطأ في خلاف أهل القبلة جميعًا ضمن المفتيان، وعلى السائل أن يرجع إذا علم بذلك وأعلماه برجعتهما، وعليهما أن يعلماه خطأهما ويضمنا ما تلف من مال بفتياهما. وإن لم يعلم السائل والمسؤول بالخطأ وماتا على ذلك فهما سالمان إن كانت المسألة في الفروع فيما يكون الْحَقّ في اثنين.



فإن كان الْحَقّ في واحد فلا يجوز فيه الاختلاف، والمفتي والمستفتي سـالمان إذا وافقا الْحَقّ، وإن أخطآ هلكا جميعًا إذا ماتا على الباطل ولم يتوبا. وعلى المفتي أن يعلم المستفتي خطأه إذا علم به، ويضمن ما تلف من مال.

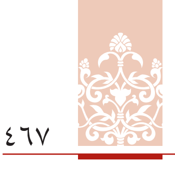
وَكُلُّ من أخطأ فيما يكون الْحَقّ فـي واحد منه فهو هالك عالمًا كان أو جاهلًا. وما كان الْحَقّ في اثنين فإن أخطأ فيما يكون الْحَقّ في اثنين [...][1]. وأَمَّا ما يكون الْحَقّ في واحد فهالك بالخطأ من عمل به. وما كان الْحَقّ في اثنين منه، فإن أخطأ فيـه /٨٩/ العالم الذي يجوز لـه أن يفتي بالرأي فلا ضمان عليه، وإن أصاب فمأجور فيه.

مسألة: [التوسع في الفتوى]

ومن كان يرى رأيًـا فحكم الإمام عليه أو من يقضي له فلا يسـعه أن يأخـذ برأيه. لو كان سـليمان بن عثمان وهو يرى أنَّ من قـال لامرأته: هو فراقك لزمه الطلاق، ثُمَّ عناه فسأل مسعدة بن تميم[2] فلم يرَ عليه شـيئًا إذا كان مُرسلاً؛ لم يسـعه أن يأخذ برأي مسعدة إِلَّا أن يترك ذلك الرأي ويرجع إلى غيره.

(١) كذا فِي النسخ، الفقرة ناقصة غير تامة.

(٢) مسعدة بن تميم النزوي (حي فـي: ٢٢٦هـ): عالم فقيه من نزوى بداخلية عُمان. كان عَلَى رأس المبايعين للإمام غسـان بن عبد الله الخروصي ١٩٢هـ، وأصوبهم رأيًا عند المفاجأة لموت الإمام الوارث بن كعب غرقا. أشار إليه الشـيخ منير في نصيحته للإمام غسان فِي الكوكبة الصالحة من العلماء. انظر: البطاشـي: إتحاف الأعيان، ٤٣٣/١. الفارسـي: نزوى عبر الأيام، ٩٣ - ٩٤. معجم أعلام إِبَاضِيّة المشرق (ن. ت).



قال سليمان: لو اختلف موسى بن علي وعلي بن عزرة[(١)] لم أر أن يُتَّسَع برأي موسى.

قيل له: أَوَ كان عليٌّ أَفقه؟ قال: نعم.

ومن أجيب في مسألة باختلاف فرأى أعدله عنده من الآخر؛ لم يجز له الأخذ بما لم يره عدلًا، فإن فعل ذلك كان آثمًا ضامنًا.

مسألة: [في المستفتي بين مرخِّص ومشدِّد]

ومن سأل عالمين عن مسألة فرخَّص له أحدهما وشدَّد عليه الآخر، فأخذ بقول من رَخَّص، ثُمَّ عرضت له مسألة أخرى فسألهما عنها، فشدَّد عليه الذي كان رخَّص له في الأولى ورخَّص الذي كان شدَّد عليه قبل؛ فلا يجوز له أن يأخذ بقول من رخَّص في هذه؛ بل عليه أن يأخذ بقول من رخَّص له في الأولى وشدّد عليه في هَذِهِ الثانية ويعمل بترخيصه وتشديده، ولا يجوز له أن يأخذ بقول غيره، لكن إِنَّمَا يأخذ بقول أحدهما في الترخيص والتشديد، وإلَّا انتقض عليه ما أخذ بالترخيص الأَوَّل.

وللمتعلِّم أن يختار من آراء المسلمين ما يراه عدلًا عنده، ولا يدع رأي المسلمين إلى غيره، وليس له أن يأخذ بكلّ قول في كُلّ ما عرض له؛ بل لا يأخذ إِلَّا ما يراه حقّا وإن كان له فيه ترخيص.

---

(١) علي بن عزرة السامي (ق:٢هـ): عالم فقيه من بني لؤي بن غالب، من أهل إزكي. تنسب إليه قبيلة العزور. عاصر الشيخ موسى بن أبي جابر والإمام الوارث بن كعب (ت:١٩٢هـ) وقد استشاره الإمام في قتل القائد العباسي عيسى بن جعفر فقال: «إن قتلته فواسع لك، وإن تركته فواسع لك». ترك من أبنائه علماء منهم: الأزهر وموسى. انظر: البهلاني: نزهة المتأملين، ٧٢-٧٣. معجم أعلام إِبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

مسألة: [في فتوى من ليس له أن يفتي]

ومن أفتى رجلًا مســألة برأيه ولم يكن من أهل النظـر مِمَّا يجوز فِيها القول بالـرأي، فوافق قول أحـد من أهل الصـلاة؛ كان مخطئًا فِـي ذَلِكَ ولا ضمان عليه. وإن لم يوافق فيها قول أحدٍ كان ضامنًا.

وإن أفتى في مسـألة أصلية مِمَّا لا يجوز فيها القول بالرأي كان آثمًا إن وافق الْحَقّ. فإن أخطأ كان ضامنًا آثمًا، والحفظُ أولى من الرأي.

مسألة: [في رجوع المفتي عن رأيه إلى ما هو أعدل]

ومن كان يأخذ بقول من أقاويل المســلمين في مســألة، وهو يرى ذلك القول عدلًا عنده ويعمل به، ثُمَّ رأى غيـره أعدل عنده؛ فعليه أن يرجع إلى ما يراه عدلًا عنده، وليس عليه فيما كان يعمل به من القول الأَوَّل بأس.

وكذلك الحاكـم إذا كان يحكم بقول من أقاويل، ثُـمَّ رأى غيره أعدل عنده؛ فعليه أن يرجع إلى ما يراه عدلًا عنده، ولا بأس عليه فيما مضى وكان يحكم به، والله أعلم.

ولا ضمان على المفتي والحاكم فيما كان مضى من الفتيا والحكم، والله أعلم.

مسألة: [في نقل الفتوى]

ومن سأل عالمًا عن مسألة فأفتاه بها، ثُمَّ جاءه آخر فقال له: هذه المسألة الجواب فيها خلاف هذا من لِسان النَّبِيّ ﷺ؛ فلا يجوز قوله إذا كان المفتي من المسلمين، وسَقطت شهادة المعارضة، والله أعلم.

ومن سمع من المســلمين قولًا أو من آثارهم، فأفتى الناس به وأخذوا عنه؛ فهو ســالم إذا رفع عنهم ما ســمع عنهم، أو عرف منهـم من آثارهم



الصحيحة؛ إذا عرف عدل ذلك فجائز له. وَأَمَّا أن يفتي فحتى يكون من أهل الفتيا /٩٠/ في ذلك.

ومن وجد مسألة في كتاب من كتب[(١)] وهو لا يعرف التمييز؛ فلا يجوز لَه الأخذ بذلك إِلَّا ما يعرف عدله. وقيل: إِنَّهُ إذا وجد ذلك في ثلاثة مواضع فجائز.

وأَمَّا الآثار المعروفة الشـــاهرة فقد عرفت أَنَّهُ يجوز الأخذ بما فيها، والله أعلم.

وعن أبي الحواري: أنَّ الكتـــب لا يؤخذ بما فيها حَتَّـــى يعرف عَدلها، وذلك لا يكون إِلَّا فقيهًا.

فصل مسألة: [في نقل الفتوى والحديث بالمعنى]

وجائزٌ تقليد[(٢)] المسألة من العالم بغيرِ ألفاظه إذا لم يخرج عن المعنى؛ لأنَّ الألفاظ كسوة للمسألة؛ فإذا كسيت لفظًا غير خارج من معناها فجائز.

ويدلُّ على ذلك ما روي أنَّ أصحاب النَّبِيّ قالوا له: يا رسول الله، إنَّك تحدِّثنا الحديث، ولا نُحسن أن نَحكيه، فقال ﷺ: «**إِذَا أَصَبْتُم المَعْنَى فَلَا بَأْسَ**»[(٣)].

وسئل حَمَّاد بن زيد[(٤)] عن الرجل يحدِّث بحديث رسول الله ﷺ على

(١) كذا فِي النسخ، ولعل الصواب: «من الكتب».
(٢) كذا فِي النسخ، ولعل الصواب: تقييد.
(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.
(٤) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إســماعيل (٩٨ - ١٧٩هـ): حافظ محدث، شيخ العراق، يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان، ولد وتوفي في البصرة. كان ضريرًا طرأ عليه العمى، حفظ أربعة آلاف حديث. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧١/٢.

المعنـى، ويصلح اللحن، ويأتـي بالإعراب؟ فقال: ما رأيـتُ الله تعالى حكى فِـي كتابه عن الأمـمِ الماضية وغيرهـم بألفاظهـا، وَإنَّمَا حكى بالمعنى عن الألفاظ التي نعلمها نحن، وقد أجـازوا إصلاح اللحن في الآثار إذا وجدت.

وكذلك أجازوا تحمّل الشهادة، وكذلك أداء الشهادة على المشهد بالألفاظ إذا لم يخرج عن المعنى، وكذلك أداء الرسـالة عن المرسل بغير ألفاظه، كُلّ هذا جائز إذا أتى على المعنى ولم يخرج عنه.

فصل: [فِي معنى الرأي]

الرأي: هو استخراج صواب العاقبة فيما يستعمل في الحادثة على علوم العادة والتجربة.

مسألة: [ما لا يقوله المفتي للمستفتي]

ولا يجوز للفقيه أن يقول للسائل بعد أن يفتيه: لا تأخذ من قَولي إلَّا ما وافق الْحَقّ والصواب، أو يقول له: سَل، أو يقول له: وسَل، وللسائل أن يَأخذ بقوله، ولا يحجر عليه أخذه بهذا القول. ولا يجوز له من الأخذ بقوله؛ لأَنَّهُ إن كان حقًّا فلا يجوز له أن يمنعه مـن الْحَقّ، وإن كان كَذبًا فعليه أن يُعلِمَه أَنَّهُ كذب ويتوب إلى الله تعالى من الكذب.

وعن أبي مُحَمَّد [و]عن أبي الحسـن جميعًا ـ رحمهما الله ـ أَنَّهُ إذا حجَر عليه الأخذ بقوله لم يجز له أن يأخذ به إلَّا أن [يَعلم] المسـتفتي أن ذلك حقّ وقد أَبصر عدله من الكتاب والسُّنَّة، فله العمل به ولا يلتفت إلى قوله.

مسألة: [في العمل برأي العالم ورجوع العالم عن فتواه]

ومن أفتاهُ عالم بالرأي مِن نفسه فله أن يعمل به أبدًا.

وإن كان المستفتي مِمَّن يَعرف عدل الأقاويل فليس له أن يعمل إلَّا بما علم عدله، والمفتي له أن يفتي برأيه في كُلّ موضع إذا كان من أهل الرأي، وأما المستفتي فليس له أن يأخذ برأيه فيما أفتاه العالم حَتَّى يصير عالمًا مثله، أو يعرف عدل ما أفتى به فيرفع ذلك؛ فَأَمَّا أن يفتي فلا. فإن عمل به وعاد المفتي عن ذلك الرأي؛ فلا شيء على المستفتي فيما عمل إذا كان ذلك مِمَّا يجوز فيه القول بالرأي، وكان المفتي عالمًا.

وقالوا: إذا قال العالم: الذي أفتيتك به خطأ وأنا راجع عنه إلى غيره، ولم يعلم المستفتي أن ذلك خطأ؛ فهو يعمل بما علم.

وقد روي عن عمر: أَنَّهُ أفتى في عدَّة المرأة برأيٍ، ثُمَّ رأى غير ذلك الرأي فرجع عنه ولم ينقض ما كان أفتى. وكذلك حَكم في الخِنصر بستّ من الإبل ثُمَّ رجع عن ذلك، وجعل الخنصر وغيرها من الأصابع سواء، ولم ينقض ما حكم به أَوَّلًا.

وإن أكذب العالم القول، وقال للمستفتي: لم يكن القول كما قلت لك؛ فليس للمستفتي أن يعمل به.

وَأَمَّا إذا أفتى ثُمَّ رجع عن ذلك؛ لم يضرّ المستفتي أَن يعمل به.

فإن قال: إنَّمَا أَفتيتك من رأي قَومنا ولم أُفْتِكَ من قول أصحابنا؛ فليس للمستفتي أن يعمل بهذا القول.

فإن عمل المستفتي بما أفتاه به العالم وهو عدل، ثُمَّ رجع العالم إلى الجهالة؛ فالمستفتي سالم بما عمل.

وإن كان لم يعمل به بعد، وفسَق من أفتاه؛ ترك العمل بذلك الرأي ولم يعمل به؛ /٩١/لأَنَّهُ إذا عمل[(١)] به والمفتي فاسق فقد عمل بقول فاسق، ولا يجوز له.

وإن أفتاه وكان من أهل العلم، فعمل برأيــه وفتواه في حال العدالة، ثُمَّ فسَق؛ فلا يضرُّه ما عمل بقوله، كما لا يضرُّ من كان عمل بقول عثمان وعلي وطلحة قبل إحداثهم، وليس لأحــد أن يقتدي بهم بعد إحداثهم كان ضعيفًا أو جاهلًا [فيما أحدثوا فيه].

وإن قال العالم للســائل: أنا أفتيك بقول المسلمين وأنا أعمل بغير هذا؛ فليس للمســتفتي أن يعمل بذلك حَتَّى يعلم عدله من قول المسلمين؛ لأَنَّهُ قال له: أنا أعمل بخلافه.

وإن قال له: أنا أفتيك بقول المســلمين، ولم يقل له: أنا أعمل بخلافه؛ فقد رفع له عن المسلمين، وله أن يعمل به إذا كان عالمًا عدلًا، والله أعلم.

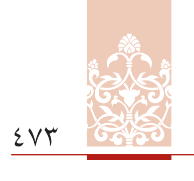
مسألة: [في سؤال الأفقه واختلاف المفتين]

وينبغي للسائل أن يسأل أفقه أهل المصر الذي هو فيه، فإذا أفتاه أخذ بقوله.

وإن كان في المصر فقيهان يؤخذ عنهما فاتَّفقا أخذ بقولهما، وإن اختلفا نظر ما يقع له أَنَّهُ أصوبهما فيسعه الأخذ به.

فإن كانــوا ثلاثة فقهاء في مصــر متقاربين في الفقه فاســتفتاهم فاتفقوا أخذ بقولهــم. وإن اختلفوا فاتفق اثنان وخالفهم الثالث أخذ بقول الاثنين، ولم يســعه الأخذ بقول الثالث، ولا بقول نفسه. وإن اختلفوا كلهم اجتهد هو برأيه فيما أفتوه؛ فإن كان أصوب عنده قولًا أخذ به، ولم يكن له أن يترك قولهم ويعمل بغيره.

(١) فِي جميع النسخ: علم، ولعل الصواب ما أثبتنا.



وإن كان المستفتي فقيهًا قد فقه الحلال والحرام ورأى الآثار، وكان مثل الذي يُستفتىٰ وخالفهم؛ أخذ بقول نفسه ولم يلتفت إلى قول من خالفه.

وإن لم يستفت كان في سعة أن يعمل برأيه إذا كان مِمَّن يستفتى.

فإذا [أفتى] العالم الجاهل في شيء وأخذ به وعمل به زمانًا ثُمَّ قال له العالم الذي أفتاه: إن غير ذلك أحسن منه؛ فينبغي للجاهل أن يجتهد برأيه وإن كان جاهلًا. فإن كان الأمر الذي يرجع عنه العالم أصوبهما عنده لم يرجع عنه لرجوع العالم ومضى عليه. وإن كان أحسن من الأَوَّل الذي رجع عنه، أخذ بما رجع إليه العالم ولم يسعه أن يثبت على الأَوَّل.

ورجوع العالم في ذَلِكَ كقول العالمين إذا اختلفا، قوله الأَوَّل قول، وقوله الآخر[1] قول آخر؛ وللمستفتي أن يجتهد رأيه في أحد القولين وليس له أن يتعدَّاهما.

قال أبو المؤثر: إذا اختلف العلماء أخذ برأي أورعهم وأكثرهم بتفسير القرآن والسُّنَّة وآثار السلف من الصحابة، وإن كان المختلف عليه القول ينظر عدل الآراء أخذ بعدلها وأقربها إلى بصيرته، وإن كان لا يبصر ذلك أخذ بقول وليّه منهم، وإن كانوا كُلّهم أولياء أخذ بقول أعلمهم بالكتاب والسُّنَّة /٩٢/ والآثار. فإن كانوا كُلّهم سواء في ذلك أخذ بقول أسنِّهم وأقدمهـ[ـم] في الإسلام. فإن استووا[2] في ذلك ولم يكن هو يَعدل بين الأمور [أخذ] في ذلك بما شاء[3] من أقاويلهم، وسعه ذلك وجاز له.

(١) في جميع النسخ: + «فصل قول آخر»، ولعل الصواب ما أثبتنا للسياق.
(٢) في (س): استوف.
(٣) في (ت): بينا.

وكذلك عن أبي مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إذا لم يرجح عند المتعبّد أحد الدليلين على قول العلماء، واستوى القولان عنده من كُلّ الوجوه واعتدلا أخذ المتعبِّد بأي الأقاويل شاء، وبالله التوفيق.

فصل: في عكس السؤال

العكس فِي السؤال: أن يقلبه عن جهته ويحيله عن طريقته، كما روي عن أبي المنذر بشير رَحِمَهُ اللَّهُ [١] أَنَّهُ لَمَّا دخل على الحيَّاني [٢] في المسجد بالبصرة في مَلإ من أصحابه عند حصوله بها غريبًا ذا هيئة رثَّة، وقفَ آخر الناس فألقى عليه مسألة فأجابه، فعكسها عليه: فقام ومدَّ يده إليه وقال: إليَّ إليَّ فتخطّى الناس حَتَّى جلس إليه، وأقبل بكلِّيته عليه، ثُمَّ أخذ بيده ونهض به إلى منزله، فقيل له بعد ذلك في فعله وإكرامه له ذلك الإكرام وقيامه له؟ فقال: إنَّهُ لَمَّا عكس عليّ السؤال علمت أَنَّهُ عالم، والعكس ردُّ الشيء على أوَّله. وقال:

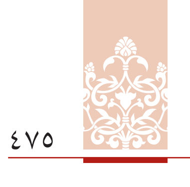
وهُنَّ لدى الأكوار يُعْكَسْنَ بالبُرى   على عَجَلٍ منها ومنهنَّ يُكسَعُ [٣]

---

(١) بشير بن المنذر السامي، أبو المنذر (ت:١٧٨هـ): عالم فقيه من بني نافع بن بني سامة بن لؤي من عقر نزوى، يعرف بالشيخ الأكبر، وأحد حملة العلم من البصرة إلى عُمان. أخذ عن أبي عبيدة وغيره. قدم عُمان وسكن بغضفان. توفي في ولاية الإمام الوارث بن كعب (١٧٨هـ). انظر: إتحاف الأعيان، ١٦٦. تحفة الأعيان، ٢/٢٥٤. معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق (ن. ت).

(٢) كذا فِي النسخ، ولعلّ الصواب: «اللّحيَاني»، وكان يطلق هذا اللقب على أبي مودود حاجب بن مودود الطائي (ت: ١٥٠هـ) لكِبَر لِحيته، وقد كان معاصرًا لبشير بن المنذر من حملة العلم إِلَى عُمان، وكان عالمًا فقيهًا خطيبًا مناظرًا مجاهدًا من طي، وأصله من البصرة، وولد بها. أخذ عن أبي عبيدة مسلم، وكان ساعده الأيمن وعليه مهمة الإشراف على الشؤون المالية والعسكرية وسير الدعوة خارج البصرة. كان منزله مجلسًا للذكر. انظر: الدرجيني، طبقات، ٢/٢٤٢... الراشدي: أبو عبيدة وفقهه، ص٥٩٦. الربيع وآخرون: الرسالة الحجة، الملحق٢.

(٣) ذكره صاحب العين والمصباح المنير ولم ينسباه، ونسبه صاحب تهذيب اللغة ولسان العرب إِلَى الليث. انظر: مادة: (عكس).



وقوله: يُكسَــع؛ أي: يطرد، ومن هذا المعنى أن يسأل الرجل الرجل عن الشيء فلا يحســنه، فيعود المسؤول فيسأل الســائل فيصير المسؤول سائلًا وَالسائل مسؤولًا، وهو عكس الأمر.

كما حكي أن بعض أصحــاب أبي مُحَمَّــد رَحِمَهُ اللَّهُ والمتعلمين منه ادَّعى علمًا واستدعِيَ أن يُسأَل، فســأله أبو مُحَمَّد عن الأصل والفضل فلم يَدر ما هما؛ وعاد بالسؤال عنهما على أبي مُحَمَّد؛ فقال له: الأصل العقل، والفضل اللسان، وأنشدوه:

وَغَانِية كَالِمســكِ طَابَ نَسيمُهَا ... تَلَجلَجُ مِنهَا حِينَ يَشرَبُهَا الفَضْلُ
كَأَنَّ الفَتَــى يَومًا وَقَــد ذَهَبَ بِهِ ... مَذَاهِبُهَا أَلْقَى وَلَيسَ لَـهُ أَصـلُ[1]

غَانيَة: منسوبة إلى قرية يقال لهــا: غانة. ونسمِّيها: ريحًا[2]. ونسيم الريح: هبوبها. وقوله: تلجلج؛ يريد تَتلجلج فأسقط التاء، ومثله كثير.

وقوله: «ألقى»، وهو: الشــيء الملقى في الأرض، يعني: أَنَّهُ ســاقط ولا عقل له ولا كلام فيه.

وقيل: جلسَ الطرمَّاح ذات يوم فقال: سلوني عمَّا دُون العرش.

فقال له قائل: ما اسمك؟ قال: الطرمَّاح.

فقال له: وما معنى الطرمَّاح؟ فلم يردّ.

فقال له: أنَا أعلِّمك أن لا تعود، الطِّرِمَّحَة: العلوُّ، وبذاك سمَّاك قومك.

ويقال: طرمَّح الرجل بناءه، إذا أعلاه.

ومثله حديث الأصمعي والضبِّي والمهدي:

(١) البيت من الطويل ذكره الخليل الفراهيدي فِي الجمل فِي النحو (٣٠٤/١) ولم ينسبه.
(٢) لعله: ريحها.

قال الأصمعي: أســألكما أم تســألاني، فقلنا: ألا، بل اسألنا. فأقبل عليّ وقال: ما معنى قول الشاعر:

لِي صَاحِـبٌ لَا أَسْـتَطِيعُ فِرَاقَهُ ... مَـا أَن يُسِـيءَ وَلَا لَهُ إِحْسَـانُ
بَـيْـنَـا تَـرَاهُ قَـاصِـرًا لِقَوَامِـه ... حَـتَّـى تَـرَاه كَـأَنَّـهُ شَـيْطَانُ

ثُمَّ أقبل على إبراهيم بن المهدي، فقال له: وما معنى قوله:

وَذَاتُ طُـولٍ مَـا لَهَـا ظِـلُّ ... مِـن غَيـرِ مَهـرٍ وَطْؤُهَـا حِلُّ
وَبعضُهَـا إِن رُمْتَ مُسْـتَصْعَبُ ... وَبَعضُهَـا سَـهـلٌ بِـهِ ذُلُّ

قال: ففكَّرنا ساعة فلم يتّجه لنا في معناهما شيء. فقال: أنا أخبركما بهما. قلنا: نعم. قال: بتمرتين، فأخرجت إليه درهمين عوليين(١) وزنهما دانقان. فقال لي وهو [قائم] على جادّة الطريق /٩٣/ وظِلُّ شَخصِه قد تَجاوزه: الأَوَّل هذا وَأشار إلى ظِلِّه، والآخر هذا وأشار إلى الطريق؛ فعلمنا أَنَّهُ قد ارتَجلهما، وقد ذكرتُ هذا الخبر بِجملته في كتاب الإبانة(٢) فاختصرته هاهنا.

وقيل: إن أبا يوســف لَمَّا تفرّد عن أبي حنيفة وصار قاضي القضاة، أنفذ إليه من يسأله عن قصّار ســلَّم إليه ثَوبًا بِأجرة كذا، فنوى غصبه ثُمَّ تاب من ذلك، وجاء به مقصورًا؛ هل يستحقّ الأجرَة أم لا؟

وقال أبو حنيفة للســائل: فإن قال: لا يستحقُّ فقُل: قد أخطأت، وإن قال: يستحقّ فقل: أخطأت أيضًا.

فأجاب أبو يوسف بالجوابين فخُطِّئ في ذَلِكَ، فوَافى أبا حنيفة فقال له: مسألة القصَّار جاءت بك. فقال: نعم.

---

(١) كذا فــي النسخ، ولعل الصواب ما فــي الإبانة: «قال: بثمنين، قــال: فأخرجت له درهمين علويّين [نسبة إِلَى العالية من أرض نجد]».
(٢) انظر هذا الخبر بتفصيله في: كتابة الإبانة في اللغة العربية، ٦٩٤/٤ ـ ٦٩٥.



فقال له: إن كان قصَّره قبل أن ينوي غصبه فلَه الأجرة، وإن كان قصَّره بعد أن ينوي غصبه فلا أجرة له.

وقيل: إنَّهُ سلَّم إِلَى السائل عَشرة آلاف درهم ليرجع إليه ويسأله عنها بحضرة الناسِ ليجيبه بمشهد منهم.

وقيل: وكان أبو حنيفة يقول: علَّمناه مسألة بعشرةِ آلاف دِرهم، وهو قاضي القضاة.

وقيل لأبي حنيفة: إنَّ أبا يوسف يخالفك، فقال: هو كخرَّار سويد بين العدد في الشرائح.

ومن الرجوع في السؤال على السائل: حديث عمرو بن مسعدة[١] والحائك حين أخرجه المعتصم[٢] لِحمل عمر بن الفرج الرُّخَّجِي[٣] في حديث فيه طول اختصرته على المعنى منه، قال:

إني لأسير في يوم حارّ وقت الهجيرة، وأنا في زُلَال فيه خيش وثلج، وإنِّي

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي (٢١٧هـ): أديب بليغ جواد فاضل نبيل. وزير المأمون. كان يوقع بين يدي جعفر البرمكي في أَيَّام الرشيد، واتصل بالمأمون فرفع مكانته وأغناه. له رسائل وتوقيعات كثيرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٦/٥.

(٢) هو المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور العباسي (١٧٩ - ٢٢٧هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٣) في النسخ: «داود بن سليمان الرخجي»، وهو خطأ، والتصويب من صبح الأعشى للقلقشندي، ١٧٧/١. وعمر بن الفرج الرخَّجي ولاه المعتصم بالله الأهواز، ثُمَّ انتقد عليه ذلك لَمَّا صار بناحية الرقة مقبلًا من بلاد الروم فقال لعمرو: «ويلك يا عمرو لم تزل تخدعني حتى ولَّيت عمر بن الفرج الرخجي الأهواز، وقد قعد في سرة الدنيا يأكلها خضمًا وقضمًا»، ثُمَّ كان فِي عهد المتوكل من عِلْيَةِ الكتَّاب، ثُمَّ سخط عليه وحبسه (سنة ٢٣٣هـ)، ثُمَّ رضي عنه ثُمَّ سخط، وأمر بإحضاره إلى بغداد، فأقام بها حتى مات. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ١٧٧/١. المسعودي: ومروج الذهب، ٨٢/٢.

لأتأذّى من شدّة الحرّ، إذ سـمعت صائحًا ينادي[١]: يا ملّاح، صوتًا بعد صوت، فَلَمَّا كَثُر[٢] ذلك عليَّ منه رفعت سـتر الزلال فإذا شـيخ حافي القدمين حاسر الرأس على الشطِّ، فقلت للملَّاح: ويحك أجبه. فقال له الملّاح: ما شأنك؟

فقال له: إن الشـمس أحرقت جلدي فَاحملني إلى جبَل، فإنَّ الله يحسن ثواب صاحبك، وتستوجب أنت شكرًا.

قال: فامتنع عليه الملَّاح فانتهره. فقلت: ويحك تقدّم فاحمله.

قال: فمال إليه فحملَه. فَلَمَّا أتى وقت الغذاء تذَمَّمتُ منه، فقلت: ادع هذا الشيخ فدعاه، فأجلسه معي على المائدة فأكل أكلَ أديبٍ، غير أنَّ الجوع بيِّن فيه. فَلَمَّا رفع الطعام أَردت منـه أن يقوم كما تَقوم العامَّةُ عن مَوائد الخاصة فلَم يَفعل، فَلَمَّا أن غسـلت يديَّ كَرِهت أن يُزهِم مَجلسي بزهومته، فأشرتُ إلى الغلام أن يجيئه بوَضوء فتوضَّأ ثُمَّ أردت أن يَقوم فلم يَقم، فَاستحمقته، فقلت: أي شيء صِناعَتك؟

فقال: حائكٌ أعزَّك الله. فقلت: هذا عقل الحاكَة.

فقال: فتناومت ثانية، فَلَمَّا تبيَّن ذلك منّي قال: أيّ شيء تعمل، جُعلت فداك، قال: فقلـت: بليَّة نزلَت، أنا اجتنيتها، ألَا تـرى غلماني! ألا ترى زلالي! ألا ترى دوابي! ألم تَقُل: إنَّ مثلي لا يقال له ما صِناعتك؟ ثُمَّ قلت مسألة لا بدّ من جوابها!

قال: فقلت له على التبرُّم: كاتبٌ أصلحك الله.

فقال: أيّ الكُتَّاب أنت، فَإِنَّهُم خمسة؟!

(١) فِي (س): «ينادي يصيح».
(٢) فِي (س): كبر.



قال: فوردَت عليَّ كلمة أنكرتها من مثله، قلت: بَيِّنهم.

قال: كاتب خَراج: يجب أن يَكون عالمًا بالمساحة والطسوق[١]، خبيرًا بالحساب والمقاسمات.

وكاتبُ رسائل: يحتاج أن يَكون عالمًا عارفًا بالأصول والفروع والقصور.

[وكاتب قاضٍ: يجب أن يعرف الحلال والحرام والتأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والمقالات والاختلافات][٢]، حاذقًا باختلاف الناس في الأموال والفروج.

وكاتب جند: يحتاج أن يكون عالمًا بشيات الدواب وحلى الرجال.

وكاتب شرطة[٣]: يحتاج أن يكون عالمًا بالقصاص والجراحات والحدود.

قال: وكنتُ مضطجعا فاستويت قاعدًا متعجِّبًا من قوله فقلت: أنا كاتب رسائل.

فقال: أخ مِن إخوانك تزوَّجت أمُّه كيف تهنِّيه؟

قال: ففكَّرت ساعة لم يتَّجه لي شيء، فقلت: والله لا أرى للتهنئة /٩٤/ وجهًا في ذلك، وإنَّه لبالمصائب أشبه.

قال: فاكتب إليه وعزِّه.

قال: ففكرت مليًّا فلم يتَّجه لي شيء، فقلت: أقِلْني، أنا كاتب خراج.

---

(١) الطّسُوق: جمع طَسْقُ، وهو: مكيالٌ معروف، والطَّسْق: ضريبة معلومة على خَرَاج الأرض، ومَا يُوضَع من الوَظِيفة على الجُرْبانِ من الخَراج المقرَّر على الأَرض، وهو فارسيٌّ معرّب، وكتب عمر إلى عثمان بن حُنَيْفٍ في رجلين من أهل الذمَّة أسلما: «ارْفَعِ الجزية عن رؤوسهما، وخُذِ الطسْقَ من أرضيهما». انظر: المحيط، والتهذيب، والصحاح في اللغة، واللسان؛ (طسق).

(٢) هَذِهِ الزيادة ضرورية نقلناها من صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، ١٧٨/١.

(٣) فِي جميع النسخ: كاتب المعونة، والتصويب من كتب الأدب.

قال: وجَّه بــك أميــر المؤمنين إلى ناحيــة من عمله، وأمــرك بالعدل فخرجت وقدمت الناحية ووجَّهت عمَّالــك وأمرتهم بالعدل فخَرجوا، وقدم عليك أهل ناحية يشتكون عمَّالك، فبعثت في إشخاصهم وسألتهم عن ذلك؛ فحلفوا بالله لقد أنصفوهم، فحملك العدل إلى [أن] خرجت بنفسك فوقفك على قَراح[1] خطَّه قابل [قِسِيًّا][2] كيف تَمسحه؟

ففكَّرت ســاعة فلم يتَّجه لي فيه شيء، فتجَاســرت، فقلت: آخذ وسطه وطوله فأضربه فيه.

قال: تختلف عليك العطوف.

فقلت: آخذ طوله كُلّه وعرضه من ثلاثة مواضع.

قال: إنَّ طرفيه محدَّدان، وفي تحديدهما تقوّس.

فأعياني ذلك.

فقلت: أنا كاتب قاض.

قال: فإن رجلًا خلَّف حُرَّة حاملًا وسُــرِّيَّة حاملًا، فولدتا في ليلة واحدة، فولدت الحرَّة جارية وولدت السُرِّيَّة غلامًا، فحملت الحرَّة الغيرة أن وضعت البنت في مهدِ السُرِّيَّة وأخذت الابن، فتحاكمتَا إلى صاحبك وأنت بالحضرة؛ ما كان يقضي بينهما؟

قلت: لا علم لي بذلك، أنا كاتب جند.

قال: الله أكبر، تقدَّم إليك رجلان من عسكرك اسمهما واحد، هذا مشقوق

---

(١) القَرَاح من الأرض: هي التي ليس بها شــجرٌ ولم يختلط بها شَيْء. ولا يقال قَراح إلَّا إذا كانت مهيَّأة للزراعة، وَإِلَّا فهي بَراح. وقيل: ما فيها منابت ســبخ، وأرض قرواح: واســعة. انظر: تهذيب اللغة، أساس البلاغة؛ (قرح). السيوطي: المزهر، ٣٤٩/١.

(٢) الإضافة من: صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، ١٧٨/١.



الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى [ورزق أحدهما مائة والآخر ألف]، كيف تحلِّيهما.

قال: أكتب أحمد الأعلم، وأحمد الأعلم.

قال: يأخذ هذا رِزق هذا، وهذا رزق هذا.

قال: قلت: أنا كاتب شرطة.

قال: فتقدَّم إليك رجلان قد شجَّ أحدهما مُوضحة، فوثَب على من شجَّه فشجَّه مأمومَة؛ كيف تَجعل بينهما من الإبل؟

فقلت: لا أدري.

فقال: ولست كاتب شرطة.

فقلت له: فسِّر لي ما قلت.

قال: أمَّا الرجل الذي تزوّجت أمّه، فإن كتب إليكَ يشكو ذلك كتبت إليه أنَّ الأقدار تجري بغير محاب المخلوقين، فالموت في عافية خير من شانئة في ملك، والله يختار للعبد فخَار الله لكَ في قَبضها، فإنَّ القبور أكرم الأكفاء.

وأَمَّا القراح فتمسح اعوجاجه كم يَكون قبضه، ثُمَّ تضرب بعضها في بعض، فإذا استوَى في يدك عقد تعرفه رجعت إلى المستوى ضربته فيه.

وأَمَّا الحرّة والسُرِّيَّة ففيه عن علي بن أبي طالب قال: يُوزن لِبَانُهما، فأيّهما كان لبنها أخفّ كانت البنت لها.

وأَمَّا الجنديان فتكتب: هذا أحمد الأعلم، وهذا أحمد الأفلح، وقال عنترة:

وحليل غانية تَركت مجدلًا تَمكو فَريصته كَشَدق الأعلم[١]

(١) البيت من الكامل لعنترة فِي ديوانه، ص١٧٦.

وقال أبو عمرو: الأعلم مشقوق الشـــفة العليا، والأفلح مشقوق الشفة الســـفلى، رجل أعلم وأفلح وامرأة عَلماء وفَلْحاء، وَكُلُّ بعيرٍ أعلم. وقال في الأفلح:

وعنتــرةُ الفَلْحــاءُ جــاء مُلأَّمًا كَأَنَّكَ فِنْــدٌ مِنْ عَمَايَةِ أَسْــوَدِ[1]

وَإِنَّمَا قال: الفلحَاء لتأنيث اسمِه، وفِند: قطعة من الجبل.

وَأَمَّا الشـــجتان ففـــي المأمومة ثلاثـــة وثلاثون وثلث مـــن الإبل، وفي الموضّحة خمسة من الإبل، فيردُّ ثمانية وعشرين من الإبل وثلثًا من الإبل.

قال: فقلت له: ألستَ زعمت أنَّك حائك.

قال: نعم، أنا حائك كلام.

وإذا الرجــل قد أدبه الزمــان وأحكمــه العلم، واســتصحبتُه فصحبني وعوَّضتــه منافع كثيرة، ثُمَّ ذكرتــه للمعتصم وحدّثته بحديثــه، فأعجب منه وأدناه وقرَّبه وولَّاه أعمالًا كثيرة جليلة وأصابَ خيرًا[2].

وقيل: جاءَ أعرابيّ إلى المأمون يستصحبه فأراد امتحانه.

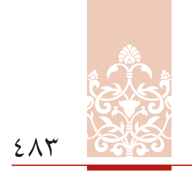
فقال: يا أعرابي، كم عليَّ من صَلاة؟ فقال:

إِنَّ الـصَّـلَاةَ أَرْبَـــعٌ وَأَرْبَـــعُ ثُـــمَّ ثـلاثــةٌ بـعـدهـنَّ أربـع
ثُـمَّ صلاة الفـجــر لا تضيـع[3]

(١) البيت من الطويل لشـريح بن مجير التغلبـي. انظر: أبو عبيد الله البكـري: كتاب التنبيه، ٣٠/١. وابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٤١٤/١٠. جمهرة اللغة، ٦٧٣/٢.

(٢) انظر هَذِهِ القصة والزيادات من: المحاســن والمساوئ لإبراهيــم البيهقي، ١٨٢/١ (ش). العقد الفريد، ١٦٢/٤ - ١٦٥. وصبح الأعشى فِي صناعة الإنشا، ١٧٧/١ - ١٨٠.

(٣) البيت من الرجز ينســب لأعرابي. انظر: أبو بكــر الدينوري، المجالســة وجواهر العلم، ٣٦٥/١. والعقد الفريد، ٤٢٥/٣.



ثُمَّ قال للمأمون: كم فيكَ /٩٥/ من كافٍ؟ فلم يدر المأمون؟.

فقال: أخبرني يا أعرابي.

فقال: فيك الكاهل، والكتد، والكتف، والكشح، والكبد، والكلية، والكاذَّة، والكرسوع، والكف، والكعب؛ فوصلَه وأحسن جازته.

والكاهل: مؤخَّر[1] الرأس مِمَّا يلي العنق، وهو الثلثُ الأعلى فيه ست فقرات.

والكَتَد: ما بين الكشح إِلَى منتصب الكاهل من الظهر، فإِذَا أشرف ذلك الموضع من الظهر فهذا كَتَد.

والكشح: ما بينَ الخاصرة إلى الضلع، وهما كشحان، وهو موضع السيف من المقلِّد.

والكتف: عظمٌ عريض خلف المنكب يؤنَّث، والكتف معروفة مؤنثة، تقول العرب: هذه كتف.

والكبد معروفة مؤنثة، تقول العرب: هذه كبد.

والكُليَة: مَعروفة، ولكلّ حيوان كُليَتان وهما لَحمتان حمروان لازقتَان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين، وتُسمَّيان في الطبّ زرع الولد.

والكُرسوع: حرف الزند الذي يلي الخنصر الناتئ عند الرُّسغ.

والكاذَّة من الفخذ: موضع الكيّ من جاعِرَتي الحمار.

والكعب: ما أشرف من الإنسان فوقَ رُسغه عند قدمه، والكعب العظم، والكعب لِكُلِّ ذي أربع.

---

(١) فِي (س): «خ والكاهل مؤخر الرأس».

باب ١٥ الدرس والمذاكرة والمَراء والمناظرة

الدرس: درس الكتاب للحفظ، ويقول: دارست فلانًا كتابي لكي أحفظه، والفعل درس فلان دراســـة، قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ (الأنعام: ١٠٥) أي: تعلَّمت ذَلِكَ من يهود ودرســـت كتبهم، وبهذا المعنى قـــد قرأَ أهل المدينة والكوفة، وقرأ قَتادة: (دُرِّسَـــتْ) بلفظ ما لم يســـمَّ فاعله. وقـــرأ ابن عبَّاس: (دَارَسْتَ) بالألف، قرأت وتعلَّمت، وبهذا قرأ مجاهد، وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ الحسن: (دُرِسَتْ)[١] بمعنى خَلِقَت؛ أي هذا أمرٌ قد اندرس من قدمه.

وقيل: في قوله ﷻ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ (مريم: ١٢)؛ أي: بدرس، والله أعلم.

وقد قيل: لا يدرك العلم من لا يطيل درســـه ويكدّ نفسه، وكثرة الدرس كدّه، ولا يصبر عليه إلَّا من يرى العلم مَغنمًا والجهالة مغرمًا. وربَّما استقلَّ المتعلّم الدرس والحفظ، واتَّكل علـــى الرجوع إلى الكتب؛ فهو كمن أطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه، فأعقبه الثقة خجلًا وندمًا.

والعرب تقول: حَرفٌ في قلبك خير من ألف فِـــي كتبك. ويقال: حرف فـــي تَامورِك خير من ألف دفتـــرك. والتامور في هذا الموضـــع: القلب، وله تفسير آخر وقد ذكرته في كتاب الإبانة[٢].

---

(١) انظر هذه الأقوال والقراءات في: تفسير الطبري، ٧/٣٠٥ - ٣٠٧.

(٢) وذكر العوتبي في الإبانة: التامور في اللغة على ســـتَّة أقسام، منها: موضع الأسد، وصومعة الراهب، والماء، والقلب، والدم، وأحد. انظر: كتاب الإبانة، ٢/٣٣٤.

وقالوا: لا خيـــر في علم لا يعبر معـــك الوادي، ولا يعمـــر بك النادي.

وللشافعي:

عِلمي مَعِــي حَيثُمَا يَمَّمْــتُ يَتبَعُنِي قَلْبِــي وِعَاءٌ لَــه لَا بَطــنَ صُندُوقِ

إن كُنتُ فِي البَيتِ كانَ العلمُ فِيهِ مَعِي أَو كُنتُ في السّوقِ كانَ العلمُ في السُّوقِ[1]

وقال المنذر بن الحارث لابنٍ له يوصيه: أَعمِــل النظر في الأدب ليلًا، فإنَّ القلب في النهار طائر، وهو بالليل ساكن، فكلَّما أوعيته شيئًا عقله.

وينبغي للراغب في العلم احتمال تعب النفس في كثرة الدرس، فإن نيل العظيم بأمر عظيم.

قال بعض الحكاء: أكملُ الراحة مــا كانت عن كدّ التعب، وعزّ العلم ما كان في ذلِّ الطلب.

وقال بعضهـــم: حَادثوا القلـــوب بالذكر، فإن القلوب تصـدَأ كما يَصدأ الحديد.

وقال بعض الحكماء: من أكثـــر في المذاكرة بالعلمِ لـــم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم.

قال الشاعر:

إِذَا لَــمْ يُذَاكِــرْ ذُو الْعُلُــومِ بِعِلْمِــهِ وَلَمْ يَسْــتَفِدْ عِلْمًا نَسِي مَا تَعَلَّمَا/٩٦

فَكَــمْ جَامِعٍ لِلكُتْبِ فِــي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَــعَ الأَيَّامِ فِي جَمْعِهَــا عَمًا[2]

وعن النَّبِيّ ﷺ: «**لَقِّحُوا عُقولَكُم بِالمذاكَرَة، وَاســتَعِينُوا علَى أُمورِكُم بِالمشَاوَرَة**»[3].

(١) البيتان من البسيط للشافعي فِي ديوانه، ص٨٠. مع بعض الاختلاف.
(٢) البيت من الطويل لم نجد من نسبه. انظر: أدب الدنيا والدين، ١/ ٥٢ (ش).
(٣) الحديث ذكره أبو القاسم الأصفهاني في محاضرات الأدباء، ١/ ٩٧.

وقال بعض الحكماء: لا تُخلِ قلبك من المذاكرة فَيعود عَقيمًا، ولا تُعفِ طبعك من المناظرة فيصير سَقيمًا.

والاستذكار: الدراسة للحفظ.

قال أبو علي: هيِّجوا العلم بتَهييجٍ.

وينبغي أن يُراح القلب في الأوقات، فإنَّ الإكثار يورث الملال.

وقد روي عن علـي أَنَّهُ قال: إنَّ هـذه القلوب تَملّ كمـا تملُّ الأبدان، فَابتغوا لها طرائف الحكمة.

وعن عمرو بن العاص أَنَّهُ قال: أريحوا هذه القلوب تعي الحكمة، فَإِنَّهَا تَمَلّ كما تَملّ الأبدان.

وقال أبو الدّرداء: إنّي لأسـتجمُّ [ببعض الباطل ليكون أنشـط لي في الْحَقّ][(١)]؛ أي: أجمع في قلبي وأريحه به.

وعن ابن عبّـاس: أَنَّهُ يقول إذا فاض مَن عنده فـي الحديث بعدَ القرآن والتّفسير: أحمضوا؛ أي: خُوضوا في الشّعر وغير ذلك. وهذا تشبيه منه بفعل الإبل في الأكل، فإنَّ الإبل إذا أكلت الحمض استعانت به على أكل غيره.

وقال الراعي:

كُلي الْحَمْضَ بَعْدَ الْمُقْحَمِينَ ورَازِمِي   إلى قَابِلٍ ثُمَّ اعْذرِي بَعْدَ قَابِلِ[(٢)]

فمعنى رَازِمي: أي اخلِطي بَعضًا بِبعض.

ويُكره للطالب الحفظ أكلَ الحموضات؛ فإنَّها جميعًا تَضرُّ بالحفظ.

وقال الزهري: ما أكلت تفَّاحًا ولا خلًّا مذ عالجت الحفظ.

---

(١) هَذِهِ الزيادة من: كنز العمال للهندي، ر٨٤٩٠، ٢٧٧/٣.

(٢) البيت من الطويل للراعي النميري فِي ديوانه، ص١٥٨.

وقال عليّ: عشرة أشياء تُورث النسيان: البول في الماء الراكد، ورمي القمَّل حيَّة، وأكل سؤر الفأر، وأكل الكزبرة الرطبة (وهي الجلجَلان)، وأكل التفاحة الحامضة، والمشي بين الجملين المقطورين، وقراءة ألواح المقابر، والحجامة في النّقرة، وكثرة النهم النَّهم: الولع بالأكل والإكثار منه، والمِرَاء.

[**والمِرَاء**] والامتراء والتماري والمماراة كُلّه واحد. والمراءُ مكروه [في] بعض المواطن لا في كلِّها. وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ (الكهف: ٢٢)، يقول: لا تتنازع في أمرهم، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢)، الهاء والميم لأصحاب الكهف، والهاء والميم لليهود؛ يعني: أهل نجران. يقول: لا تَسأل عن أمر الفتية أحدًا، [فإن] قالوا: هم كذا وكذا؛ فقل[1]: ليس كذلك. وقال الضبّي: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾؛ أي: لا تُجادل فيهم؛ لأنَّك غير شاكّ إذ كنت قد عرَّفتك أمرهم.

وفي الآية دلالة على أن ليس كُلّ المرَاء مَذمومًا، فإنَّ المراء والجدالَ في الْحَقّ جائزان.

مالك بن أنس: المراء في العلم يقسّي القلبَ ويورث الضغائن.

قال عبد الله: المراءُ لا تعقل حكمته، ولا تؤمن فتنته.

إبراهيم النخعي: المراء بِدعة في الدين، فمن شاء فليدخلها.

وقال أبو الدرداء: كفى بك إثمًا ألَّا تزال مُماريًا، وكفى بك ظُلمًا ألا تزال مخاصمًا.

(١) فِي جميع النسخ: فقيل، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة السياق.

وقال مسلم بن يسار[(١)]: إيَّاكم والمراء؛ فَإِنَّهُ ساعة جهل العالم فيها يبتغي الشيطان زلَّته.

وقال وَهب[(٢)]: دعِ المراء والجدال؛ فإنَّك لا تعجز أحد رجلين؛ رجل هو أعلم منك، وكيف تُماري من هو أعلم منك!؟ ورجل أنت أعلم منه، وكيف تماري وتجادل من أَنت أعلم منه ولا يطيعك؟! فَاقطع ذلك عنه.

وقال النَّبِيّ ﷺ: «**لَا تَتَعَلَّمُوا العِلمَ لِتُمَارُوا بِه السُّفَهَاءِ، وَلَا تَتعَلَّموا العِلمَ لِتُجَادِلُوا بِهِ العُلَمَاءَ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ مِنكُم فَالنَّارُ**»[(٣)].

ولَيس للممارِي به والناظر فيه الطالب للصـواب، ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه من باطل وحقّ، وقد جاء عن النَّبِـيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا يُجَادِلُ إِلَّا مُنَافِقٌ أَو مُرتَاب**»[(٤)].

وأنشد الرياشي لِمصعب بن عبد الله:

أُجَالِـسُ كُلَّ مُعتـرِضٍ ظَنِيـن ... فَأَجعَـلُ دِينَـهُ غَرَضًـا لِدِينِـي
وَأَتــرُكُ مَا عَلِمتُ لـرَأْيِ غَيرِي ... وَلَيــسَ الـرَّأْيُ كَالعِلـمِ اليَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالخُصومَة وَهْيَ شَـيءٌ ... يُصرَفُ فِي الشِّمَالِ وَفِي اليَمِينِ
فَأَمَّـا مَـا عَلِمــتُ فَقـدْ كَفَانِي ... وَأَمَّـا مَا جَـهِلْـتُ فَجَنِّبُونِي[(٥)]

---

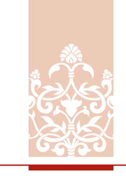
(١) فِي (س): «بن سـيار». مسلم بن يسار الأموي بالولاء، أبو عبد الله (١٠٨هـ): فقيه ناسك محدث، أصله من مكة وسكن البصرة وتوفي، وكان مفتيها. انظر: الأعلام، ٢٢٣/٧.

(٢) هو: أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني الذماري (ت: ١١٤هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٣) رواه الربيع عن أنس بمعناه، باب في طلب العلم لغير الله ﷻ وعلماء السوء، ر٣٣، ر٩٦٤. ورواه ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله بلفظ مختلف، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ر٢٥٤، ٩٣/١. وذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين بلفظه، ٤٥/١ (ش).

(٤) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. انظر الحديث في: أدب الدنيا والدين، ٤٥/١ (ش).

(٥) الأبيات من الوافر لأبي الحسـن مصعب بن الحسين البصري الماجن (ت: ٢٥٠هـ). انظر: =



المناظرة

وَأَمَّا المناظرة أَن تناظر أخاكَ في كلِّ أمر مشكل، [كُلّ] منكما ينظر فيما يأتي به فيه، وهو المجادلة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧)؛ قال الكلبي: هو المراء. وقال الحسن: هو المراء الذي يكون فيه تكذيب الرجل صاحبه، /٩٧/فَأَمَّا منازعة العلماء فيما يتذاكرون من العلم فلا بأس به.

وقال قتادة: ﴿وَلَا جِدَالٌ﴾ أي: ولا سِبَاب. يقال منه: جادلَا يجادل، مجادلة وجدالًا. وقرئ: ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾؛ فمن قرأ: ﴿لَا جِدَالٌ﴾؛ أي: لا شك فيه أَنَّهُ لازم في ذي الْحِجَّة. ومن قرأ: ﴿وَلَا جِدَالاً﴾[(١)]؛ فَإِنَّهُ من المجادلة، يقول: إِنَّهُ لجدل شديد الجدال؛ أي: خصم شديد المخاصمة؛ أي: مجادل مجدال مخاصم مخصام. والفعل جادل يجادل مجادلة، والجدْل (مَجزوم): هو الصرع. تقول: جدلته فانجدل صريعًا فهو مجدول. وأكثر ما يقال بالتشديد: جدّلته تجديلًا.

الجدل

والجَدَل (محرَّك): وهو تردّد الكلام بين اثنين، ولإثبات فيما يروم كُلّ واحد منهما إثباته، ودفع ما يروم دفعه.

وقيل له: دفع الخصم بحجة أو شبهة. وهو مأخوذ من إنفاذ الشيء وإحكامه.

= ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٩٤/٢؛ مع بعض الاختلاف. وانظر: أدب الدنيا والدين بلفظها، ٤٥/١ (ش).

(١) وهي قراءة أبي رجاء العطاردي بالنصب والتنوين في الثلاثة ﴿ **فلا رفثًا ولا فسوقًا ولا جدالًا** ﴾. وقرأ الكوفيون ونافع بفتح الثلاثة مِن غير تنوين، وقرأ ابن كثير وأبو عمر برفعِ ﴿ **فلا رفثٌ ولا فسوقٌ** ﴾ بالتنوين، وفتح ﴿**ولا جدالَ**﴾ من غير تنوين. انظر: أبو حيان: تفسير البحر المحيط، ٩٦/٢.

تقول العرب: دِرْع مجدولة، وحبل مجدول: إذا كان محكم الفتل.

يقال: جدلته فانجدل، وأصله من الجَدالة: وهي الأرض. وأنشد أبو زيد:

قَد أَركَــبُ الحَالَة بعــدَ الحَالةِ وَأَتْــرُكُ الْـعَـاجِــزَ بِالْجَدَالَــة(١)

أي: بالأرض.

قال أبو جعفــر: وأترك العاجِزَ بالجدالة، وأتــرك الأمر العاجز؛ أي: آخذ بالحزم وأترك العجز.

وقيل: إن الجدْل هو الصِّراع على الأرض، فشبّه المتجادلان بالمتصارعين لِما يروم كُلّ واحد منهما كسر مذهب صاحبه، بالحجَّة مرَّة وبالشبهة أخرى.

قال عنترة:

وَحَلِيلُ غَـانِـيَــةٍ تَركــتُ مُجدلًا تَمكُو فَرِيصَته كَشِــدقِ الأَعْلَمِ(٢)

قوله: مجدلًا: مصرعًا. وأصله: لصق بالجدالة، وهي الأرض.

وحليل غانية: زوج غانية، وهي المســتغنية بزوجها، هذا أصله، ثُمَّ قيل للشابة: غانية، ذات زوج كانت أو غير ذات زوج.

وتَمكُو: تُصفِّر، والمُكَاء: الصفير.

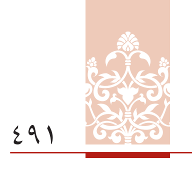
والفريصة: المضغة التي فــي مَرجع الكتف، ترعد مــن الدابة إذا فزع. وَإِنَّمَا تصفر الجراح: إذا ذهب الدم كُلّه؛ لأَنَّهُ يخرج منه ريح بعد الدم.

والأعلم: الجمل، وقد مرَّ تفسيره.

---

(١) البيت من الرجز أنشده أبو زيد عند الجاحظ فِي الحيوان، ١٥٥/٦. وهو للعجاج كما ذكره ابن الأنباري فِي الزاهر في معاني كلمات الناس، ٨/١.

(٢) البيت من الطويل لعنترة فِي ديوانه، ص١٧٦.



والجدال: هو الحِجَاج، قال الله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوۡمِ لُوطٍ﴾ (هود: ٧٤)؛ أي يحاجُّنا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦). وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الحج: ٦٨).

والتنازع في الجدال: أصله ادعاء كُلّ فريق أن الْحَقّ في يده لينزعه من الآخر. ثُمَّ جعل كُلّ تنازع اختلافًا.

وكره من كره الجدال، واحتجَّ فيه بأخبار عن النبي ﷺ وغيره. وروى أبو أمامة عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدى كَانُوا عَلَيهِ إِلَّا أُعْطُوا الجَدَل**»[١]. وعنه ﷺ: «**مَا كَرِهَت أُمَّةٌ العَملَ إِلَّا أَخَذَتْ فِي الجَدَلِ**»[٢].

عن ابن عمر: ما قصرت أمة في العمل إلَّا أخذت في الجدل.

وأجازه من أجازه إذا قصد المجادل به إظهار الْحَقّ وإبانة العلَّة وإيضاح الْحُجَّة؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وَإِنَّمَا يُكره جدال عنت وتلبيس ما يؤدي إلى جهل وتسفيه، وأَمَّا غير ذلك فما زالت العلماء تستدعي من العلماء فوائد العلوم بالمجادلة.

الحدُّ

والحدُّ: هو اللفظ المخبر الوجيز المحيط بالمعنى.

(١) رواه الترمذي في سننه عن أبي أمامة بلفظ قريب ومطولًا، باب: ومن سورة الزخرف، ر٣٢٥٣، ٣٧٨/٥. ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة بلفظ قريب ومطولًا، باب اجتناب البدع والجدل، ر٤٨، ١٩/١. والحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي أمامة بلفظ قريب ومطولًا، تفسير سورة الزخرف، ر٣٦٧٤، ٤٨٦/٢.

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



وقيل: إِنَّهُ اللفظ الجامع المانع. ومعناه: أن يجمع جميع محدوده، ويمنع غيره من مشاركته في حكمه.

الدليل

والدليل: هو الفاعل للدلالة. /٩٨/ وقيل: إِنَّهُ المستدلّ. وقيل: هو الدال على الشيء، وهو دالّ ودليل، كما يقال: عالم وعليم، وقادر وقدير.

والاستدلال: طلب الدلالة على المعنى.

والدلالة: مصدر، كقولك: دللت، غير أَنَّهَا تقام مقام الدليل في العبارة، فيقال: دلالتي على كذا، كما تقول: دليلي عليه. وقد يقام المصدر مقام الفعل الدائم، كقولك: رجل صوّام؛ أي: صائم. وزوَّار؛ أي: زائر.

والدلالة: مصدر الدليل، والاسم: الدليل. يقال: اقبلوا هدى الله دليلًا، وَكُلُّ من استدللت به فهو دليلك. **والدليل**: هو حجة الله على الخلق.

الْحُجَّة

والحجَّة: هي التي يحتجُّ بها الإنسان على خصمه، وهو فعله.

والحجَّة: مقدِّمة صادقة لها شاهد على الحقيقة. وهي مأخوذة من القصد، ومنه: حجَّ يحجُّ: إذا قصد.

ويقال للطريق القاصد المستقيم: محجة، وكأن الْحُجَّة مأخوذة من المحجَّة: وهي الاستقامة في الطريق الماضي إلى الغرض.

وَكُلُّ حجَّة دلالة وليس كُلّ دلالة حجَّة؛ لأَنَّ إرشاد المرشد إلى السبيل دلالة السبيل عليه، وليس بحجة عليه، والاسم دليل على المسمى، وليس بحجة عليه.



والحجَّة في اللغة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة.

والفعل: حاججته فحججته، واحتججت عليه بكذا. والحجَّة: جمعها حُجج. والحِجاج: المصدر، وجمع الحِجاج أحجَّة وحُجج.

والمحجَّة: قارعة الطريق. قال:

أَلَا بَلِّغَا عَنِّي حَدِيثًا رِسَالَة ... فإنَّك عن قَصد الْمَحَجَّة نَاكِبُ[(١)]

البيان

والبيان: هو إخراج الشيء من حيِّز الإشكال إلى حيِّز الوضوح والجلَاءِ[(٢)].

العلَّة

والعلَّة: هي المعنى الذي يطلب منه الدليل.

وقيل: هي النكتة المدركة بالسَّبر والانتزاع.

وهي مأخوذة من التكرار والدوام، وذلك أَنَّهُم يسمُّون تكرار السَّقي من المصدر عللًا في الاسم[(٣)]. وكأنَّ العلَّة التي يوجد الحكم بوجودها، ويدوم بدوامها سمِّيت علة لهذا المعنى.

والمعلول: مختلف فيه؛ قال قوم: هو الحكم الذي جلبته العلَّة. وقال قوم: هو الأصل والفرع اللذان توجد العلَّة فيهما دون الحكم، وَكُلُّ هذا قول قومنا.

(١) البيت من الطويل، لم نجد من ذكره.
(٢) فِي جميع النسخ: «والحكى»، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة المعنى.
(٣) انظر: قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني، ٢/٢٧٤.

النظـر

النظر: هــو تأمُّل حال المنظور فيه على الوجــه المخصوص. ويقال: هو الاســتدلال على حقيقة المطلوب، وهو في معنى الجدل؛ غير أن النظر قد تفرّد به الناظر، والجدل لا يطلق إلَّا على ما يجري بين نفسين.

الاجتهاد

والاجتهاد: بذلُ المجهود في طلب حكم الحادثة زيادة في الْحُجَّة.

والحجَّة قد تســمَّى حجَّة ولو كانت باطلة؛ قــال الله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ (البقــرة: ١٥٠) إلَّا من ظلم باحتجاجه فيما قد وضَح له، كما تقول: مَا لَكَ عَلــيَّ حجَّة البتَّة، ولكنَّك تظلمني. وما لك عليّ حجة إلَّا الظلم. وَإِنَّمَا ســمِّي ظلمًا هاهنا حجَّــة؛ لأنَّ المحتجَّ به سمّاه حجَّة.

وحجَّته داحضة عنــدَ الله؛ قال الله تعالــى: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى: ١٦)، فقد سمِّيت حجَّة إلَّا أَنَّهَا حجَّة داحضة مبطلة، وليست بحجة واجبة حقًا؛ كما تقول: قلت: قولًا باطلًا، وصلَّيت صلاة فاســدة، وعملت عملًا رديًا. فقد ســمِّي قولًا، وسمِّيت صلاة، وســمِّي عملًا، وإن كان كُلّه باطلا غير صحيح.

العلَّة

اختلف في العلَّة؛ قال قوم: إِنَّهَا الوصف الجالب للحكم والمنزلة. وقيل: هي الوصف الذي يحدثه حدث الحكم. وقيل: الوصف للحكم. وقيل: العلة علامة الحكم. وقيل: رياضة. وقيل: نكتة. وقيل: معنى الحكم.



ولا يجوز أن يتقدَّم الحكم على العلَّة؛ لأنَّ الحكم صحَّة العلَّة وموجبها، كما لا يتقدَّم جلد الزناة على الزنا.

والعلَّة غير المعتلّ وغير المعلول، والأصل والفرع.

وفي الدليل

والدليل في كلام العرب: /٩٩/ هو المرشد على المطلوب والمهدي إلى المغيبات، وَكُلُّ مؤدّى إلى علم شـــيء فهو دليله وإن كانت أسباب الدلالة مختلفة.

الوحــي

والوحي في كلام العرب: هو إيصال المعنى إلى الفهم بالشيء اللطيف؛ يعني من جهة اللطيفة.

والوحي على وجوه كثيرة. ويقال: وحى وأوحى، قال العجَّاج:

[بإذنــه الأرض فـمــا تعنَّــت]   وَحَى لهــا القرارَ فاســتقرَّت[١]

أراد: وحى وأوحى لها؛ أي: أوحى، والإيحاء: الإشارة.

وذكر أن بعضهم قَــرَأ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾[٢]؛ بمعنى وَحى لَمَّا نصبت الواو وهمزت.

---

(١) البيت من الرجز للعجاج في ديوانه، ص٢٦٦. ويبدأ بقوله:

«الـحـمـدُ للهِ الــذي استقلتِ   بـإذنِـهِ الـسـمـاءُ واطـمـأنَّـتِ»

(٢) قرأ الجمهور: ﴿أُوحِيَ﴾ رباعيًا. وقرأ ابــن أبي عبلة وأبو إياس جوية بن عائذ والعتكي عن أبي عمرو: «وَحى» ثلاثيًا، أبدلت الواو همزة كما أبدلوها في وِسَادة وإسادة، وهما لغتان. انظر: ابن عادل: تفسـير اللباب، ٤٩٣/١٥. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ٣٧٨/٥. الشوكاني: فتح القدير، ٣٠٣/٥

الوحي: إشارة، كقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ (مريم: ١١)، وَإِنَّمَا هو إشارة إليهم؛ لأَنَّهُ عليه السلام كان منع من الكلام علامة للولد.

وقال علقمة بن عَبدة[(١)] في الظليم وأنثاه:

يُوحِي إِلَيـهَا بِأَنـقَــاضٍ وَنَقنَقَةٍ ... كَمَا تُـرَاطِـن فِي أَفدَانِهَا الرُّومُ[(٢)]

الأنقاضُ والنقنقة: من أصواتِ النعام.

والتراطُن: ما يكون من الرجل وصاحبه لا يفهمه غيرهما.

والأفدان: الحصون، وأحدهما فدن.

الحقائق

والحقائق في الكلام، وكذلك الحدود.

وحدُّ الشيء: معناه، ألا ترى [أن وصف] الأســود بأنه أسود هو أن فيه ســوادًا، وكذلك حدّ الوصف له أســود هو الوصف له بالســواد، فقَد جمع الكلام في الحقائق والمعاني والحدود إلى شــيء واحد، وكذلك ما كان في المجاز في الكلام دون المعنى.

والحقيقة: ما يصيــر إليه حقيقة الأمر ووجوبــه، ولا حقيقة للحقيقة، إذ الحقائق في الأوصاف والعبارات لا في المعاني.

(١) علقمة بن عَبَدَة بن ناشــرة بن قيس التميمي، علقمة الفحل(ت: ٢٠ق.هـ): شــاعر جاهلي. عاصر امرئ القيس، وله معه مســاجلات. أسر «الحارث ابن أبي شــمر الغساني» أخًا له فشــفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه. له «ديوان شعر» شرحه الأعلم الشنتمري. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٤٧/٤.

(٢) البيت من البسيط لعلقمة بن عبدة. انظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، ٢٠/٢.



المجاز

والمجاز: طرف القول وما حَدَّه.

وقد جاء القرآن به والعربية وأجمع الفصحاء على القول به، إلَّا ما خالف فيه ابن داود الأصفهاني[١] فقال: لا مجاز في القرآن، ولم يتبعه على قوله هذا أحد[٢].

المحال

والمحال: ما لم يمكن وجوده كالحركة والسكون في زمان واحد، وكالوجود والعدم في شخص واحد في زمان واحد.

والمحال من الكلام: ما حوّل وجهه.

الباطل

والباطل: ما لم يحكم له بالجواز. وهو أيضًا: ما لم يحتسب به لفاعله، أو لا يحكم له به. وأيضًا: ما لا يحتسب به زوال الشيء بعد ثبوته.

وبَطَل الشيء يَبطُل بُطلًا: إذا ذهب باطلًا؛ والباطل: نقيض الْحَقّ، والبُطْل مَصدر الباطل. وقال النابغة:

لَعمرِي وَمَا عَمــرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ نَطَقْت بُطْلًا عَلَيَّ الأَقَارِعُ[٣]

وأبطلته: إذا جعلته باطلًا. وأبطل فلان: إذا جاء بالباطل وادَّعى غير الْحَقّ.

---

(١) مُحَمَّد بن داود بن علي بن خلف الظاهري الأصبهاني، أبو بكر (٢٥٥ - ٢٩٧هـ): أديب شاعر، فقيه مناظر. قال عنه الصفدي: الإمام ابن الإمــام، من أذكياء العالم. ولد وعاش ببغداد، وتوفي بها مقتولًا. كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه. له: «الزهرة» في الأدب، و«الوصول إلى معرفة الأصول» و«اختلاف مسائل الصحابة». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٠/٦.

(٢) هذا القول قيل قبل أن يولد ابــن تيمية وابن القيم اللذان يتبعا ابن داود في إنكار المجاز، وهذا يدل على أن إنكار المجاز كان قولًا شاذًا عند العلماء.

(٣) البيت من الطويل للنابغة في ديوانه، ٥٨/١.

فصل: [في الأثر والنظر]

وَكُلُّ دَعوى عَرِيت من البراهين صــحَّ[1] بطلانها، وَكُلُّ من تجاهل فيما يستدرك من طريق اللغة لم يكن في حدِّ نظر؛ لأَنَّهُ لا سَبيل إلى إقامة الْحُجَّة تأدية المعقول [كذا].

وإذا تعارض الأثر [والنظر] كان الحكم للأثر وسقط اعتبار النظر، [وإذا جَاء] النصُّ بطل القياس.

والقياس: هو حمــل الفرع على الأصل [القياس] بنكتــة الحكم. وقيل: هو الجمع بين المشتبهين لاستخراج الحكم الذي يشهد /١٠٠/ له كُلّ واحد منهما.

الإجماع

والإجماع حجَّة تقطع العذر، والإجماع توقيف، وخرق الإجماع خروق.

والخرق: نقيض الرِّفق، وصاحبه أخرق، وفــي الحديث: «**مَا دَخَلَ الرِّفقُ شَيئًا إلَّا زَانَهُ، وَلَا دَخلَ الخَرقُ شَيئًا إلَّا شَانَهُ**»[2].

والرفق: لين الجانب ولَطافة العقل. قال الشاعر:

الرِّفــقُ يُمــنٌ وَالأَنَــاةُ سَــعَادَةٌ فَاسْــتَأْنِ فِي رِفقٍ تُلَاقِ نَجَاحًا[3]

الأناة: الحلم، وَاستَأن: استفعل من التأنِّي، والتأنِّي: التثبّت في الأمر.

وقوله: «إِلَّا شانه» الشين: نقيض الزين، والفعل منه: يشين شينًا.

---

(١) فِي جميع النسخ: «من البراهين والبراهين وصح».

(٢) رواه البيهقي في شــعب الإيمان عن عائشــة بمعناه مطــولًا، ر٧٧٢٢، و٨٤١٨، ٦/١٣٩، ٣٣٧. ورواه القضاعي في مسند الشهاب عن أنس بمعناه، ر٧٣٩، ٢/١٦.

(٣) البيت مــن الكامل للنابغــة في ديوانه، ص١٦؛ مــع اختلاف. وانظــر العقد الفريد، ٢/١٩٠؛ بلفظه.



والقول بالإجماع واجب، وهو إجماع الصحابة فإذا أجمعوا على شيء وجب التسليم لهم، فإذا تنازعوا وجب الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة.

والإجماع أحدُ وجوه الْحَقّ؛ قال النَّبِيّ ﷺ: «**أُمَّتِي لَا تَجتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ**»[١].

والإجماع: جمع جمع، وهو: قبض الرجل أصابعه وشدّه إيَّاها للَّكزِ. يقال: ضربه بجُمع كفِّه، إذا جمع أصابعه ثُمَّ لَكزه ووَكزه ونَهزه ولقزه.

وقال أبو عبيد: لا يقال: لكزه، إنَّمَا يقال: وَكزه ونهزه، وفي قراءة ابن مسعود: ﴿**فَلَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ**﴾[٢].

وينقسم الإجماع على قسمين:

أحدهما: إجماع الكافَّة من العامَّة والخاصَّة، وهو مثل إجماعهم على يوم الجمعة أَنَّهُ اليوم الذي بين الخميس والسبت، ومثل إجماعهم على شهر رمضان ووجوب صيامه وأنه الشهر الذي بين شعبان وشوال، ومثل إجماعهم على الصلوات وإعدادها وركعاتها.

والآخر: إجماع الخاصَّة، وهو: مثل إجماعهم على توريث الجدّ مع الولد، وتوريث الأخت من الأب مع الأخت من الأمّ والأب.

الترجيح

والترجيح: أن ترجّح إحدى العلَّتين على الأخرى بوجوه:

---

(١) رواه الربيع عن ابن عباس بلفظ: «مَا كَانَ الله لِيَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ»، باب في الأمة أمة محمد ﷺ، ر٣٩.

(٢) انظر هَذِهِ القراءة عن ابن مسعود فِي تفسير السمعاني، ١٢٨/٤. والأحكام للقرطبي، ٢٦٠/١٣. وتفسير البغوي، ٤٣٩/٣.

أحدهما: أن تكون إحداهما منصوصًا عليها، كقول بعض قومنا: إن الحجّ لا يسقط بالموتِ؛ لأنَّهُ دين فأشبه ديون الآدميين، فتكون هذه العلَّة أولى من علَّــة العراقي[(١)]، حيث قال: تسقــط بالموت؛ لأنَّها عبادة محضة، فأشـــبهت الصلاة والصيــام؛ لأنَّ النَّبِيّ ﷺ قد نصَّ عليها فقال فــي حديث الخثعمية: «**فَدَيْنُ اللهِ أَحقُّ أن يُقضَى**»[(٢)].

والثاني: أن تكون إحداهما يستدلّ لها[(٣)] عموم الاســم، فتكون أولى في ذلك، مثل العلَّة في البُرِّ أَنَّهُ مَطعوم فـــي جنس؛ لأنَّ النَّبِيّ ﷺ «نَهَى عَن بَيعِ الطَّعَامِ إلَّا مِثلًا بِمِثْلٍ»[(٤)].

٣ ـ أو تكون إحداهما منتزعة من أصل أقوى من أصل الأخرى.

٤ ـ أو تنتزع من أصل جليّ والأخرى من أصل خفيّ.

٥ ـ أو تتفرع من خبر متواتر والأخرى من خبر منفرد.

٦ ـ أو تتفرع من أصل متَّفق على حكمه والأخرى من أصل متَّفق عليه بين الخصمين وقــد خالفهما غيرهما، وَإنَّمَا كان ذلــك كذلك؛ لأنَّ الأصل عماد العلَّة، وَكُلّما كان عمادها أقوى كانت بالعمل أولى.

---

(١) المقصود بالعراقي هو: الإمام أبو حنيفة النعمان نسبة إِلَى العراق موطن نبوغه ونشاطه.

(٢) حديث الخثعمية هــو الحديث الذي رواه مسلم عَن ابنِ عَبَّاس ﵄ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُــولَ الله ﷺ فَقَالَتْ: «إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَــهْرٍ». فَقَالَ: «أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ». قَالَتْ: نَعَمْ. قَــالَ: «فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ»، كتــاب الصيام، ر٢٧٤٩. وأبو داود مثله، كتاب الأيمان والنذور، ر٣٣١٢.

(٣) فِي جميع النسخ: «أن تكون أحدهما يستدلهما»، ولعل الصواب ما أثبتنا لموافقة السياق.

(٤) رواه الربيع، عن عبادة بن الصامت بمعناه، كتاب البيــوع، باب (٣٤) في الربا والانفساخ والغش، ح٥٧٧. والإمام زيد بن علي: المجموع، باب الصرف...، ح٣٢٨، ص١٧٩. ورواه مسلم وأبو داود وغيرهما.



٧ ـ أو تكون إحداهما يوجد الحكم بوجودها وترتفع بارتفاعها، ويوجد الحكم بوجود أخرى ولا يعدم بعدمها، فتكون التي تجمع الأمرين أولى، وذلك مثل قول أكثر العلماء في العبدِ: إذا زنى أن عليه نصف الحدّ قياسًا على الأمَة بعلَّة وجود الرقّ؛ فتكون هذه العلة أولى من علَّة من يقول: إنَّ عليه الحدّ كاملًا؛ لأنَّهُ ذَكَرٌ مكلَّف قياسًا على الحرِّ؛ لأنَّهُما يجمعهما السبب والوجود.

٨ ـ أو تكون إحداهما مقتضية من أصل الأخرى من أصل واحد؛ فتكون المقتضية من الأصول المستندة إليها أولى، [كما] في علَّة العراقي جواز الوضوء بغير نية؛ لأنَّهَا طهارة /١٠١/بالماء، قياسًا على إزالة النجاسات. وعلَّتنا في المنع أَنَّهَا عبادة من جنسها فرض ونفل، وكانت هذه العلَّة أولى من علَّتهم؛ لأنَّهَا تستند إلى أصول، وهي الصلاة والزكاة والصوم والحجّ.

٩ ـ أو تكون إحداهما صفة اتّفق على ثبوتها فيكون أولى، وذلك مثل علَّتنا في نجاسة بول ما يؤكل لحمه؛ لأنَّهُ مستحيل في الجوف، فأشبه بول الإنسان، فتكون هَذِهِ العلَّة أولى من علَّة المالكي حيث علَّل بأنَّه نافع وردت الرخصة في إباحة شربه فأشبه اللبن؛ لأنَّ علَّتهم صفة مختلف فيها، فتكون إحداهما موجبة والأخرى مسقطة، فتكون الموجبة أولى، مثل[1] اعتلالنا بوجوب الزكاة في مالِ الصبيِّ بأنَّه مال مسلم تامّ المال فأشبه البالغ، فتكون هذه العلة أولى من علَّة العراقي حيث قال: لا زكاة في ماله؛ لأنَّهَا عبادة محضة قياسًا على الصلاة؛ لأنَّها موجبة، وعلَّته مسقطة.

(١) فِي جميع النسخ: «من»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

بيان الانقطاع

والانقطاع: هو العجز عن بلوغ الغرض الـــذي يقصد، يقال: انقطع فلان في سفره إذا عجز عن بلوغ المقصد الذي رَامه.

وهو ضربان: أحدهما: من المسؤول، والآخر: من السائل.

فَأَمَّا المسؤول: فعلى ثمانية أقسام:

أحدها: العجز عن ثبات المذهب.

والثاني: العجز عن بيان الدلالة.

والثالث: العجز عن بيان وجه الدلالة.

والرابع: العجز عن [بيان] الانفصال عن المعارضة.

والخامسة: الجحد للضرورات.

والسادس: نفي ما ثبت بدليل.

والسابع: الانتقال من حجَّة إلى حجَّة وعلَّة إلى علَّة.

والثامن: أن يخلط كلامه بما لا يفهم.

وانقطاع السائل: في ثمانية أقسام:

أحدها: العجز عن الاستخبار عن المذهب بأن لا يبين مسألته.

والثاني: العجز عن الاستخبار عن الدلالة.

الثالث: عن المطالبة بوجوه الدلالة.

والرابع: العجز عن المعارضة.

والخامس: العجز عن القدح في الترجيح.

والسادس: الانتقال عما طولب به قبل أن يستوفي الانفصال.

والسابع: الجحد للضرورات.

والثامن: أن لا يخلط كلامه بما لا يفهم.

وَإِنَّمَا سمِّي العجز عن اســتتمام ما ابتدأ به المتكلِّم انقطاعًا؛ لأنَّ مورده قد وقف عن بلوغ الغاية التي قصدها، عجزًا عن الوصول إليها، فمتى وجد العجز سكنًا كان أو تَخليطًا من السائل أَو المســؤول كان منقطعًا عمَّا أراده ورام بلوغه.

أو يكون الانقطاع: بنقصان العلم بالجدل، ولا يهتدي إِلَى وجوه الدلائل والاعتراضات ومواضعها في السؤال والجواب.

أو يكون لقلَّة العلم بالدلائل فيكون الــذي قصد به قلَّة علمه لا ضعف جدله.

أو يكون لشاذِّ المذهب الذي يُبصره، ولا يلحقه في انقطاعه العيب الذي إذا أورد الشــبهة التي اســتدلّ بها صاحب المقالة، وَإِنَّمَا يلحقه العيب في نصرته له؛ لأنَّ نصر المذهب الفاسد كان معيبًا آثمًا عند أهل العلم.

وقد حصل شيء من هذا الباب في باب الأصول يأتي بعد هذا إن شاء الله.

باب ١٦ التقليد

التقليد: هو التصديق.

والتقليد على وجهين: **أحدهما:** لا يجوز مِمَّا يكون الْحَقّ فيه في واحد من أقاويل مختلفة؛ لأنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا تعبَّد بذلك أو بشيء منه نصبَ الأدلَّة عليه. وقد نهى ﷻ عن التقليد في ذلك، وذمّ من قلَّد فِيه؛ كنحو قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢) ونحو ذَلِكَ فِي القرآن[١].

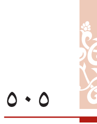
والوجه الآخر من التقليد[٢]: ما لم ينصّ الله تعالى عليه في ظاهره حكمًا يدلُّ عليه ولا على مراده فِيه، ولم ينصب عليه دليلًا من كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع من الأمَّة، ورد حكمه إلى العلماء ليجتهدوا في طلب حكمه، نحو: الأروش، والقيم، ومتعة المطلقة قبل الدخول بها ولم يكن فرضًا لها صداقًا، ونحو ذلك مِمَّا يجوز التقليد فيه، ويرجع فيه إلى قول أهل العلم فيه لعدم النصّ عليه والدليل على حكمه.

وليس العدل والعدلان والثلاثة وما /١٠٢/ فوق ذلك بحجَّة في الدين الذي طريقه طريق العقل، وَإِنَّمَا العدل حجَّة فيما يُعدُّ طريقه طريق السمع، والخبر ينقله الواحد والأكثر، والعقل يَنفردُ بصحيحه دليله، والله أعلم.

---

(١) فِي (ت): «ونحو ذلك من القرآن فِي القول». وفي (س): «في القول خ القرآن».

(٢) فِي جميع النسخ: «من التعبد».



مسألة: [في التقليد مع وجود الدليل الصحيح]

والتقليد: لا يجوز عند وجود الدليل الصحيح من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة أو حجة العقل، وَإِنَّمَا يجب التقليد في حال يعدم فيها المقلِّد صحَّة الاستدلال من الجهات التي ذكرناها. وَأَمَّا الدليل من أوجه منها قائم فلا معنى للتقليد، وبالله التوفيق.

مسألة: [في تقليد المستفتي للمفتي]

وتقليد السائل للفقيه فيما يفتيه به جائز، وواجب عليه تقليد الفقيه وقبول قوله والعمل به.

فإن قيل: لم جاز التقليد في الدين؟

قيل له: الدين الذي تعبَّد الله به الخلق على ضربين:

فضرب منه عقلي، وضرب منه سمعي.

فالعقلي: لا يجوز التقليد فيه؛ لأنَّ طريقه طريق العقل، وهو دليل على ما تعبَّد الله ﷷ عباده(١) به.

والسمعي: يجوز التقليد فيه؛ لأنَّ طريقه طريق الخبر الذي يطرق السمع، وبه يعلم ما يكون به دليلًا على الخبر، والرجوع فيه إلى خبر المقلّد، إذ لا دليل إلَّا هو. ألا ترى أن المحتكم إلى الحاكم والواصل إليه في حكم يلزمه ويجب عليه الوصول إليه فيما فيه أَنَّهُ يقلده، ويجب عليه ذلك إذا حكم عليه بشيء أو حكم له، أو يقبل فيما يعلم أن الحكم فيه وفيما لا يعلم صحّته، حَتَّى لو امتنع من قبول ذلك لوجب على المسلمين إعانة الحاكم عليه.

---

(١) فِي (س): «صاحبه» وكتب فوقها: «عباده».

وللحاكم أن يجبر مــن امتنع عن قبول حكمه بالحبس، والمحكوم عليه أن يلزم نفسه ذلك وإن كان لا يعلم أحُكّامٌ عليه بحقٍّ أو بغيره.

وكذلك المحتكم إلى الفقيه عليه أن يقلّده فيما يحكم عليه فيما لا يعلم الحكم فيه. قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣)، فلو كان أمَرَهم أن يســألوا العلماء عما لا يعلمون وليــس عليهم أن يقبلوا منهم ولهم مع ذلك مخالفتهم كان أمره إيَّاهــم بذلك لا معنى له ولا فائدة فيه، واللهُ تَعَالىَ لن يتعبَّد بشيء ويأمر به ولا معنى له، والله الموفِّق للصواب.

فصل: [في التقليد للأنبياء فقط]

وعن بعــض: أَنَّهُ ليس التقليد إلَّا للأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، وقد قيــل: إنَّهُم مقلِّدون؛ لأنَّهُم لا يقولون على الله إلَّا الْحَقّ، والله يعصمهم ويهديهم إلى الحَقّ والعدل، وليس بعدهم لأحد تقليد.

وإذا أحلَّ المسؤول حرامًا أو حرَّم حلالًا، فالســائل والمسؤول هَالكان جميعًا إذا اتَّبع السائلُ المسؤولَ على ذلك.

مسألة: [في تقليد الصحابة]

قال أبو مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «تقليد الصحابة جائز في باب الأحكام، وما كان طريقه طريق الســمع. ألا تــرى أنك تحكي عنهم الإجمــاع ـ وإن كان الخبر منقولًا عن بعضهم ـ إذا لم ينقل عن أحد [منهم] خلافًا لذلك.

ويجوز تقليد الواحد منهم أيضًا إذا قال قولًا ولــم ينكر عليه غيره، [وَإن عُلِم][1] له مخالف مــن الصحابة فَلا، وخلاف التابعــيّ عليهم ليس كخلاف

---

(١) في جميــع النسخ: «غيره أَنَّهُ»، والتصويب من الجامع لابــن بركة. انظر: مسألة في التقليد الجائز، ١/ ٢٢.

بعضهم على بعض؛ لأنَّهُ ليس في طبقتهم؛ لأنَّ الصحابة هم الْحُجَّة التامة. ألَا ترى أن الله ﷻ جعل شهادتهم على الناس كَشهادة الرسول ﷺ [عليهم] بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، فلا يجوز وقوع الخطأ في شهادتهم إذا كانت شهادتهم كشهادة الرسول ﷺ، وهذا عندي ـ والله أعلم ـ مثل قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، والخارجُ عن قول الصحابة /١٠٣/ متَّبع لغير سبيل المؤمنين.

وروي عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**لَا تَجتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ**»[(١)]. وإذا لم ينقل الاختلاف فيهم وكان المنقول عن بعضهم وترك المخالفة عن الباقين[(٢)]؛ فهم حجَّة الله ـ جلَّ ذِكره ـ في أرضه على عباده، دلَّ تركهم لمخالفة القائلِ منهم على تصويبه، وإنِ ادَّعى [علَى] أن في ضمائر بعضهم غير ما كان فِي الظاهر منهم أو تقيَّة منعتهم كان مخطئًا وطعن على الصحابة أَنَّهُم لم يقيموا الْحُجَّة لله تعالى بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

ولا يجوز التقليد لأهلِ الاستدلال والبحث والأخبار في عصر غير الصحابة مع الاختلاف ويجوز الاعتراض عليهم في أدلتهم، ولا يجوز الاعتراض على الصحابة لما ذكرناه.

ويجوز للعامة تقليد العلماء والاتِّباع [لهم] فيما لا دَليل لهم على التفرقة بين أعدل أقاويلهم في باب الشرع، وما طريقه طريق الاجتهاد،

---

(١) رواه الربيع عن ابن عباس بلفظ: «مَا كَانَ الله لِيَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ»، باب في الأمة أمة محمد ﷺ، ر٣٩.

(٢) فِي (س): «عن الباقين خ الناس». وفي (ت): «على الناس».

واستسلامهم للعلماء كاستسـلامهم للحكَّام فيما يحكمون به لهم وعليهم فيما لا علم لهـم بصوابه، وكذلك تقليد الجاهل لمـن لا يتَّهم في الدين، والله أعلم»[١].

مسألة: [فيمن يريد حمل دينه]

اختلف فيمن أراد أن يحمل دينه؛ **فقال قوم:** يجزئه فقيهان مجتمعان.

وقال قوم: يجزئه واحد بعد واحد، ولو اجتمعا كان أحوط له، وهذا فيما يجب فيـه الحكم من أهل الأحـداث. فَأَمَّا غير ذلك من ولاية المسـلمين والدلالة على الْحَقّ من الحلال والحرام فالواحدُ يجزئه، والله أعلم.

في ذمِّ التقليد

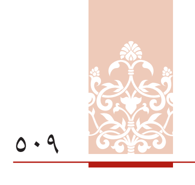
قد ذمَّ الله تعالى التقليد في غير موضع من الكتاب، وجاءت السُّنَّة بذمِّه أيضًا؛ من ذلك أنَّ رجلًا أصابته شجَّة فأجنب وقد اندَمَلت عليه، فاستفتي له فأمر بالغسل ولم يروا له عذرًا، فاغتسـل فكُزَّ فمات، فأخبِر النَّبِيّ ﷺ بذلك فقال: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُم اللهُ**»[٢]؛ وفي هذا الخبر دليل على أَنَّهُ لم يجعل للمستفتي والمستفتى له عذرًا، والله أعلم.

ولعلَّ المفتي لم يكن أهلًا لذلك، وقد قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، ومعلـوم عند ذوي الفهم أَنَّهُم لم يعبدوهم ولكن أمروهم فأطاعوهم، وهكذا ثبت أَنَّهُم قالوا للرسـول ﷺ:

---

(١) انظر: ابن بركة: الجامع، مسألة في التقليد الجائز، ٢٢/١.

(٢) رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله بلفظ مختلف، باب في المجروح يتيمم، ر٣٣٦، ٩٣/١. والبيهقي في السنن الكبرى، عن جابر مختلف، ر١٠١٦، ٢٢٧/١.



«إنَّا لم نَعبُدهم». فقال عليه السلام: **«أَلَيسَ كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُم الحَرَامَ وَيُحرِّمُون عَلَيكُم الحَلَالَ فَتَتَّبِعُونهُم فَتِلكَ عِبادتُكم لَهُم»**(١).

وقد روي عن ابن عبَّــاس أَنَّهُ تلا هذه الآية، ثُمَّ قــال: «والله ما عبدوهم ولكن أمروهم فأطاعوهم»، والذمّ لا يلحق إلَّا من فعل ما ليس له فعله.

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن عدي بن حاتم، ١٠٩/٢.



باب ١٧ فِي ذهاب العلم وطالبيه، وانقلاب الأحوال بأهليه، وزهادة أهل الوقت

كان العلم في الزمن الأَوَّل مطلوبًا ومرغوبًا فيه، ومحبوبًا تشـدّ إليه الرحال ويشترى بالأموال، ويحتمل فيه شـقَّة الأحوال وصعوبة الأهوال، ويسمو به متحمِّلوه ويصلون به أهليه، ويوقّر عليه منتحلوه، وَكُلٌّ يعظمهم تبجيلًا، ويقدمهم تفضيلًا؛ هذا إذ الناس ناس، والدين قويّ وَالْحَقُّ جليّ، والعلم أرفع شـيء. فَلَمَّا ذهـب الأفاضل وضعف الديـن، ودجَى الْحَقّ وهَوى نجم العلم ونحس جدّه، وكبا زنده، وأفل سعده. صار العلم جهلًا /١٠٤/ والتعليم وَبَـالًا، وَالْحَقّ ضـلالًا، والتصحيح محالًا، والرياسـة للأسافل، والتقدم للأراذل، والسـيادة للجهلاء، والبلادة للفضلاء، والعلم مهجور، والأدب محقـور، والمال مطلوب، وصاحبه محبوب، وبلسـانه متكلم، ولمكانه متقدم. فهل تجد في وقتك هذا عالِمًا إلَّا وهو مسـتحقرٌ ذليل، أو جاهلٌ إلَّا وهو موقر جليل؟! فيا لها حسـرة كدرت الحسرات، وفكرة أدرت العبرات!!

وقد قال النبي ﷺ: «**كَأَنِّي بِالسُّـفَهَاءِ يَسْـتَهْزِئُونَ مِنَ العُلَمـاءِ، وَكَأَنِّي بِالخَطَايَا قَد كَثُـرت بَينَكُم حَتَّى تَعرِفُوا أَهلَهَا كَما يُعـرفُ اللَّيلُ من النهارِ، فَعندَ ذَلكَ يَظْهَرُ الفُحْشُ والزِّنَا كُلُّ ذَلكَ فِي النَّارِ**»[1]. صدق رسول الله ﷺ قد

(١) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.



استهزأ السفهاء بالعلماء، وصحّ كما قال ﷺ، والعلمَاءُ اليومَ أَقِلَّاءُ أَذِلَّاءُ، وَالسُّفهَاءُ أَعِزَّاءُ أَجِلَّاءُ. ولقد أحسن القائل:

أَرَى الدَّهْرَ مِن سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلًا إِلَى كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَأَنَّ بِهِ جَهلًا[١]

وعن النبي ﷺ : «**يَأتِي عَلى أُمَّتِي زَمانٌ يَكُونُ المؤمِنُ فِيهِ حِلسُ بَيتِه، وَيَكُونُ مُثبتًا بِه، وَتكونُ الأَمَةُ أَعزُّ مِن المؤمِنِ، ويَكونُ الْمُسْتَمسِكُ بِدِينِه كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[٢]. وقد تقدم شيء من ذكر هذا الباب في فصل ذكر العلم أوَّل الكتاب.

وعن الحسن: هلك الناس، هلك الناس، قول ولا فعل، معرفة ولا صدق، مالي أرى رجالًا ولا أرى عقولًا دخلوا في الإسلام ثُمَّ خرجوا، وعرفوا وأنكروا، وحرَّموا ثُمَّ استحلوا. وَإِنَّمَا إيمان أحدهم لعقة على لسانه، إن سألته: أتؤمن بيوم الدين؟ قال: نعم؛ كذب ومالك يوم الدين.

وقال مُحَمَّد بن صالح:

تَكَلَّم ذُو المالِ الكثيرِ كَأَنَّهُ خطيبٌ وَلولَا المالُ لَم يَتَكَلَّمِ
وَبَاكرَ أَبوابَ الملوكِ مُقدَّمًا إليهَا وَلولَا مَالُه لَم يتقدَّمِ
وأُخِّر ذُو المالِ القليلِ كَأَنَّهُ مُريبٌ وَلولَا عَدمُه لَم يُذَمَّمِ
وَمَا العَدمُ إلَّا قِلَّةُ العقلِ لِلفَتَى وَلَو كَانَ ذَا ثَوبٍ رَفيعٍ وَدِرهَمِ[٣]

---

(١) البيت من الطويل لم نجد من نسبه. انظر: أدب الدنيا والدين، ٣٧/١ (ش). والطرطوشي: سراج الملوك، ٥١/١ (ش).

(٢) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ. وروى الشطر الأخير من الحديث الترمذي في سننه عن أنس بلفظ مختلف، كتاب الفتن، باب الصابر على دينه...، ر٢٢٦٠، ٥٢٦/٤. ورواه أحمد أيضًا في مسند أبي هريرة بلفظ قريب، ر٩٠٦٣، ٣٩٠/٢.

(٣) الأبيات من الطويل، لم نجد من ذكرها.

وقد أحسن القائل الآخر، وصدق في قوله:

لَا يُعْجِبَنْـــكَ رَاكِـــبٌ مُتَلَبِّـــسُ ... فَعسَـــاهُ مِن عِلمٍ وعقــلٍ مُفلِسُ
وَمِنَ الْمُحَالِ بِأن يَكُونَ لِجَاهلٍ ... حَظُّ الأَدِيبِ وَلَو عَلاهُ السُّنْدُسُ
إِنِّي لأَمقُــتُ مَن تعــدَّى طَورَهُ ... حَتَّى يَضِيقَ عَلَيَّ مِنهُ الْمَجلِسُ(١)

وقد قالت العلماء: ليست العزَّة في حسن البزَّة.

قال الشاعر:

وَتَرى سَفِيهَ القومِ يُدَنِّسُ عِرضَهُ ... سَــفَهًا وَيَمســحُ نَعلَهُ وَشرَاكَها
وَلَيسَ يَفــوقُ الجَاهلَ بِلبس مَا ... يَرُوقُ وَالمــرءُ بِآدَابِهِ لَا بِثِيابِهِ(٢)

وقال ابن مناذر(٣):

رَضينَــا قِســمةَ الخــلَّاقِ فِينَــا ... لَـنـا أَدبٌ وَلِـلـثَّـقَـفِـيِّ مَـالُ
وَأمــا الثَّقفِــيُّ إِن جَادَه كِسَــاه ... وَراعَـك شـــخصهُ إِلَّا خَـيَـالُ(٤)

---

(١) الأبيات من الكامل غير منسوبة. انظر: شــرف الدين الإربلــي، تاريخ إربل، ٢٩٣/١؛ مع بعض الاختلاف في البيت الثاني.

(٢) البيت الأول من الكامل منسوب إِلَى أبي الأســود الدؤلي فِي الموســوعة الشــعرية، ولم ينسبه صاحب أدب الدنيا والدين، ٣٤٠/١.

(٣) مُحَمَّد بن مناذر اليربوعي بالولاء، أبو جعفر، ابن مناذر (ت:١٦٨هـ): شــاعر حاذق أديب كثير الأخبار والنوادر. تعلم الأدب واللغة والفقه والحديــث، ثُمَّ تزندق فغلب عليه اللهو والمجون. أصله من «عدن» ثُمَّ استقر بالبصرة. اتصل بالبرامكة ومدحهم، ورآه الرشيد بعد نكبتهم، فأمر به أن يُلطم ويُسْــحَب. وأُخرج من البصرة لهجائــه أهلها. وذهب إلى مكة، فتنسَّك ثُمَّ مات فيها. انظر: ابن حجر: لسان الميزان، ٣٩٢/٥. الزركلي: الأعلام، ١١١/٧.

(٤) البيت من الوافر نسبه صاحب لسان الميزان (٣٩٢/٥) إلى ابن مناذر بلفظ:

«رضينــا قســمة الرحمٰــن فينا ... لنــا حســب وللثقفــي مــال»

وينسب فِي الموسوعة الشعرية إلى محمود بن حسن الوراق (ت:٢٢٠هـ) بلفظ:

«تَراضَينــا بِحُكــمِ اللهِ فينــا...»



وقال عنترة[(١)]:

عَلَيَّ ثِيابٌ لَو يُقاسُ جَمِيعُهَا بِفلسٍ لَكَانَ الفلسُ منهُنَّ أَكثرَا
وَفيهِنَّ نَفسٌ لَو يُقاسُ بِمثلِهَا نُفُوسُ الوَرَى كَانتْ أَجلَّ وَأَكبَرَا
وَمَا ضَرَّ نَصلُ السَّيفِ إِخلاقُ غِمدِه إِذَا كَانَ عَضبًا حَيث يَمَّمْتَه فَرَا[(٢)]

وقال آخر:

وَإِن كَانَ ثَوبي فِي الثيابِ بِه وَكَس وَكَانَ رَزِيًّا كُلّ قِيمَتِه فِلسُ
فَلي فِيه جِسمٌ فِي الجُسوم مُمَيِّزٌ وَنَفسٌ كَرِيمٌ دُونَهَا الجِنُّ وَالإِنسُ
وَثَوبُ النَّاسِ تِبرُ دُجنَةِ الدُّجى كَذاكَ ثِيَابِي ظُلمةٌ تَحتَها الشَّمسُ[(٣)]

وقال آخر:

مَن كَانَ يَملكُ دِرهَمين تَعَلَّمَت شَفَتَاهُ أَنواعَ الكَلامِ فَقَالَا
لَولَا دَرَاهِمُه التي فِي كَفِّه لَوَجدتَه أَسوا البَرِيَّةِ حَالَا
فَهْيَ الكَلَامُ لِمَن أَرَادَ تَكَلُّمًا وَهْيَ القِتَالُ لِمنْ أَرَادَ قِتَالَا[(٤)]

وقال منصور بن إسماعيل:

كَثيرُ المَالِ لَيسَ لَه عُوَارُ وَلَا فِي كُلِّ مَا يَأتِيهِ عَارُ /١٠٥/
لأَنَّ الْمَالَ يَستُرُ كُلَّ عَيبٍ وَفِي الفَقرِ الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ
رَأَيتُ الفَقرَ بِالأَقوَامِ يُزرِي كَمَا تُزرِي بِشَارِبِهَا العَقَارُ[(٥)]

---

(١) فِي (س): ولغبي.
(٢) الأبيات من الطويل تنسب للشافعي. انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣١/٩. والأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ٦١/٢؛ مع بعض الاختلاف.
(٣) لم نجد من ذكر هذه الأبيات.
(٤) الأبيات من المنسرح لأحمد بن الخصيب. انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٤٠٩/٥؛ البيت الثاني والثالث بلفظ:
«لولا دراهمه التي في كيسه لرأيته شر البرية حالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا»
(٥) لم نجد من ذكر هذه الأبيات.

وقد قيل: لكل زمان رجال، ولكل مقام مقال، فالناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

ورجال هذا الزمان السفهاء والجهّال، ومقال كُلّ مقام اليوم [بالمال]. وليس [يجمل بذي العقل على ما جاء في النقل إلَّا] الصبر على ما قدر الله وحتَّم، وقضى وحكم. كما قال عبد الله بن أبي عيينة(١):

مَا قَدَّرَ اللهُ فَهوَ خَيرٌ ... وَفِي مَقَادِيرِهِ الخِيَارُ
لَقَدْ أَصبَحَ النَّاسُ في زَمانٍ ... أَعلَامُه السَّفَلَةُ الشِّرارُ
يُستَأْخَرُ الرَّائعُ المذكى ... فِيهِ وَيُسْتَقْدَمُ الحِمَارُ(٢)

والسَّفِلَة: سمّوا بهذا تشبهًا بسفِلَة البعير، وهي قوائمه. وبها يقال: فلان من سَفِلَة الناس. وعِليَة الناس: جمع عَلِيّ؛ أي: رفيع شريف؛ كما يقال: صبية وصبيّ، وقد مرّ تفسيره في كتاب الإبانة(٣). ولهذا قال بعض الشعراء شعرًا:

لَا تَطلُبِ العَقلَ ولَا أَهلَهُ ... فَإِنَّ أَهلَ العقلِ قَد بَادُوا
وَالْتَمِس الجهلَ وَأَشيَاعَهُ ... فَإِنّ أَهلَ الجَهلِ قَد سَادُوا(٤)

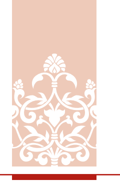
---

(١) عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، أبو جعفر (ق:٢هـ): من الشعراء الكبار الذين تمَّ طمس أدبهم بسبب الجو السياسي المتأجّج والذي تغير بعد فتنة البرامكة. يعطي شعره انطباعًا بأنه رجل ساخط على حالة الفشل الذي رافق حياته. كانت له علاقة بطاهر بن الحسين. انظر: الموسوعة الشعرية.

(٢) الأبيات من مخلع البسيط لعبد الله بن أبي عيينة. انظر: الأصبهاني: الأغاني، ١١٦/٢٠. والموسوعة الشعرية مع اختلاف فِي بعض الألفاظ، وتأخير البيت الأَوَّل.

(٣) انظر: كتاب الإبانة، ٢٣٢/٣ - ٢٣٣.

(٤) البيتان من السريع، لم نجد من ذكرهما إلَّا العوتبي في كتاب الإبانة، ٣٨٤/٢.



وقال أبو نوَّاس[(١)]:

إِذَا مَا شئتَ أَن تحظَى ... وَأَن تَلبسَ فوهِيّا

وَأَن تأكلَ لَحمَ الطيرِ ... مَطبوخًا وَمشوِيًّا

فَكن فِي الحالِ طَنَّازًا ... وَصَفعَانًا وَلَا شِيَا

وَإِن أَحبَبْتَ حِرمَانًا ... وَأَن تُصبِحَ شُومِيًّا

فَخذ حَظًّا مِن العلمِ ... وَكن فِي الحَالِ نَحْوِيًّا[(٢)]

قال الخليل بن أحمد ـ ويقال إِنَّهُ للشافعي ـ:

كَفَى حُزْنًا إِنَّ الْمُرُوءَةَ عُطِّلَت ... وإن ذوي الآداب في الناس ضُيَّع

وإن ملوكًا ليس يحظى لديهم ... من الناس إِلَّا من يغنِّي فيسفع

طنابيرهم معمورة بآذانهم ... ومجلسهم قفر من الذكر بلقع

فيا ليتني أصبحت فيهم مُغنِّيًا ... ولم أَشْقَ بالعلم الذي كنت أَجمع[(٣)]

وهذا التمني من قائله عن ضجر وضيق مِمَّا يراه، لا عن صحَّة وتحقيق. وحق لمن شاهد ما ينكره ويضيق صدره ويضجره أن يتفوّه بما لا يعتقد، ويذهب إلى ما لا يقصده. وقد قالت الحكماء: من ضاق صدره اتسع لسانه، وكم من عالم تزندق، ومؤمن من الدين مرق، لضجرة نالته وحسرة غالته[(٤)].

---

(١) الحسن بن هانئ بن عبدالأول بن صباح الحكمي، أبو نواس (١٤٦ - ١٩٨هـ): شاعر ماجن. ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ثُمَّ رحل إلى بغداد فدمشق فمصر واتصل بأمرائها ومدحهم. له: ديوان شعر، وكتب كثيرة عن أخباره. انظر: الأعلام، ٢/٢٢٥.

(٢) الأبيات من الهزج، لم نجد من ذكرها بهذا اللفظ، وقد وجدنا ما يشبهها إلى أبي هفان عبدالله بن أحمد المهزمي (ت:٢٥٧هـ) فِي الموسوعة الشعرية بلفظ:

«إذا ما شئتَ أن تحظى ... وأن تلبسَ فوهِيّا

وأن تصبحَ ذا مالٍ ... فكن عِلجًا نَبيطِيّا

فكن ذا نَسَبٍ ضَخمٍ ... وكُن مَع ذاك نحويّا»

(٣) الأبيات من الطويل، ذكرها نحوها الثعالبي في رسائله، ولم ينسبها.

(٤) في (ت): «لضجرة بالية وحسرة عالية».

وقال الراوندي[١] ـ وقد تزندق ـ:

يا قاسم الرزق قد ضاقت بي القسم	ما أنت متَّهَم قل لـــي من أتَّهِم
إن كان نجمي نحسًا أنت خالقه	وأنت من الخالقين الخصم والحكم
أنصفت في الحكم إذ أعطيتني حكمًا	ربي بلا ورق مـــا تنفع الحكم
فخذ من العلم شطرًا وأعطني ورقًا	لا تحوجني إلى من وجهه صنم[٢]

وله أيضًا:

كـــم ذا أُفكِّر في الزمـــان وَإِنَّمَا	تـــزداد فيـــه عمًـــى إذا تتفكَّـــر
حرمان ذي أدب وحظوة جاهل	أمـــران بينهمـــا العقـــول تَحيَّر
فالأرذلـــون بغبطـــة وســـعادة	والأمجـــدون قلوبهـــم تتفطَّر[٣]

وقال آخر:

سبحان من أنزل الأشيا منازلها	وصيَّر الناس مرزوقًا ومألوقًا[٤]

(١) أحمد بن يحيى بن إســحاق، أبــو الحسين الراونــدي (ابن الراونــدي)، (ت: ٢٩٨ هـ): فيلســوف مجاهد بالإلحاد من بغــداد. كان من كبــار المعتزلة ثم تزنــدق وألحد. انظر: الزركلي: الأعلام، ١/ ٢٦٨.

(٢) الأبيات من مجزوء الوافر، نسبــه أبو منصور الثعالبي إِلَى أبي بكــر مُحَمَّد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي. انظر: يتيمة الدهر، ر١٠٨، ٢/ ٢٤٤.

(٣) الأبيات من الكامل لابن الرومي فِي ديوانه، ص٢٢٧٣.

(٤) البيت من البسيط، نسبه العوتبي إلى ابن الراوندي في الإبانة (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) بلفظ: «... محرومًا ومرزوقًا». ونســبها الوطواط فِي غرر الخصائص الواضحة (١/ ٧٠) إلى نصر بن أحمد المعروف بالخبزأرزي (ت:٣١٧هـ) بلفظ:

«سبحان من قدّر الأشياء منزلها	وصير النـــاس مرفوضًا ومرموقًا
فعاقـــل فطـــن أعيـــت مذاهبـه	وأحمـــق جاهـــل تلقـاه مرزوقًا
هذا الـــذي ترك الأوهـــام حائرة	وصير العالِـم النحريـــر زنديقًا»

ويروى:

سبحان من وضعَ الأشيا مواضعها [...........................]

فعاقلٌ بـدَّد الحرمانُ ساحتَه وجاهل ما يزال الدهر مرزوقًا[(١)]

ويروى:

فعاقل فطن أعيت مذاهبه وجاهل أحمق تلقاه مرزوقا

كَأَنَّهُ من خليج البحر مغترف ولم يكن بارتزاق القوت محقوقًا[(٢)]

/١٠٦/ هذَا الذِي ترك الألباب حائرة وصيَّر العالِم النحرير زنديقًا[(٣)]

النحرير: الرجل العالم الحذق الماهر.

الْمَأْلُوق: الذي لا يزال يلقى بشرّ.

وخليج البحر: جناحه، وخليجاه: جناحاه.

والزنديق: معروف، وهو الجاحد للآخرة والربوبية.

فمن وفَّقه الله ونصره بالهدى وسلَّمه استعمل الصبر والتقى، واستمسك فيها بالعروة الوثقى، فيألف قناعته وبأسه، ووطن عليها، فركن إلى قول الشاعر:

فقد تأتي الفتى الأرزاق عفوًا ويحرمه أخا الطلب الحريص[(٤)]

---

(١) الأبيات من البسيط، لم نجد من ذكرها.

(٢) في (ت): «ولم يزل بطريف القوت محقوقًا».

(٣) الأبيات من البسيط، نسبها ابن المعتز بالله العباسي لعمرو القصافي في طبقات الشعراء (١٣١/١ ش)، ونسبها الجاحظ للواسطي (٤/١ ش)، مع بعض الاختلافات.

(٤) البيت من الوافر ينسب فِي الموسوعة الشعرية إِلَى عبدالرحمٰن بن حسان الأنصاري (ت: ١٠٤هـ) بلفظ:

وقد يأتي المقيمُ المال عفوًا ويطلبه فيُحرَمُه الحريص

ولغيره:

إن كنت تهوى بأن تحوي العلا كملًا ... فَنَحِّ نفسـك عمَّا في يد الناس

إنَّ الحريــص فقير دهــره أبدًا ... حتَّى يغيب في تـرب وأرماس

فقل لنفسـك إن أبصرتها شـرهت ... أبق عليك فليس الناس بالناس

مضى الكرام وأبقوا حسرة بقيت ... على الفؤاد فما يرجى لها آس(١)

الآسي: الطبيب.

وقول الآخر(٢):

كم طالب لم ينل بالحرص بغيته ... وناله غيـره عفوًا ومـا حرصا

قد يرزق المرء لم تتعب جوارحه ... ويحرم الرزق من يرجوه بالتعب

مع أنني واجد في الناس واحدة ... الرزق أرفع(٣) شيء في ذوي الأدب

وخلـة قـلَّ فيها مـن يخالفني ... الرزق والنوك مقرونان في نسب(٤)

النَّوك: الحمق، والنوكى: الجماعة الحمقاء.

ولغيره:

فما يَستفيد(٥) المـرء مالًا بقـوَّة ... ولا باحتيـال لا ولا بالتكايس

ولَكِـنَّ أَرزَاقَ الْعِبَـادِ تَجِيئُهُمْ ... مُقَدَّرَةً مِـنْ كُلِّ رَطْبٍ وَيَابِسِ(٦)

(١) الأبيات من البسيط، نسبها ابن الشـجري إِلَى أبي مُحَمَّد الأنبـاري مع بعض الاختلاف وتقديم البيت الأخير. انظر: الأمالي الشجرية، ٣٦١/١(ش).

(٢) في (ت): «وقال آخر».

(٣) في (ت): أروع.

(٤) الأبيات من البسيط، لم نجد من ذكرها إِلَّا البيـت الأَوَّل فقد ذكره ونسبه ابن عساكر إِلَى محمد بن الحسين. انظر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٦٨/٥٢.

(٥) في (ت): «فما سعد».

(٦) البيتان من الطويل، لم نجد من ذكرهما.



ولغيره:

اصبري أيَّتُها النفسُ فإنَّ الصبرَ أحجَى

نَهنِهِي الحزنَ فإنَّ الحُزْنَ إنْ لم يُنْهَ لَجا

والبَسِي اليأْسَ منَ النَّا س فإنَّ اليأسَ ملجا

رُبَّمَا خَابَ رَجَاءٌ وأتى ما ليس يرجى[(١)]

قوله: أحجى؛ أي أحرى، يقول: أحجى بهذا الشيء؛ أي: أحرى به، وما أحجاه بكذا! كقولك: ما أخلقه وأحراه.

وللشافعي فيما يتعلَّق بمعاني هذا الباب[(٢)]:

ما الحرب أن تنضى سيوف صوارم الحرب أن تنضى سيوف المنطق

والمرء كالمخبوء تحت لسانه ولسانه مفتاح باب مغلق

ما همتي إلَّا منازعة[(٣)] العلى خَلِق الزمان وهمَّتي لم تخلق

إني أرى الأكياس قد تركوا سدى وأزمَّة الأرزاق طوع الأخرق

الناس أعينهم إلى طلب الغنى لا يسألون عن الحجى والأولق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقِ

لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدَّان مفترقان أيّ تفرّقِ

والجَدّ يدني كلَّ شيء شاسع والجَدّ يفتح كل باب مغلقِ

فإذا سمعت بأن مجدودًا حوى عودًا فأثمر في يديه فصدق

وإذا سمعت بأنَّ مَجذوذًا أتى ماء ليشربه فغاض فحَقِّق

وأحقّ خلق الله بالهمّ امرؤ ذو همَّة يبلى بعيشٍ ضيِّقِ

(١) الأبيات من مجزوء الرمل لأبي تمام فِي ديوانه، ص ٤٤.

(٢) في (ت): «بمعاني الشباب».

(٣) في (ت): مقارعة.

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
وأشـــد من قلع الجبال وبسطها بين المعاور أخذ مـــا لم يُرزَقِ
ولربما عرضت لنفســـي حاجة فـــأودّ منهـــا أننـــي لـــم أُخلَقِ
إن امرءًا رزق اليسار فلم يصب حمـــدًا ولا أجرًا لغيـــر موفق[(١)]

قوله: تنضى؛ أي تسيل. يقول: نضوت السيف فانتضيته؛ إذا أخرجته من غمده. وقوله: سدى؛ أي: مهملين. تقول: أسديت الأمر، إذا أهملته /١٠٧/.

قال الله ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦)؛ قيل: مهملًا لا يُؤمر ولا يُنهى.

والأخرق: الأحمق. والحجى: العقل.

والأَوْلَق: على تقدير فَوعَل؛ وهو مسّ من الجنون، يقول: رجل به وَلَق؛ أي: مسّ الجنون. وهو مألوق؛ أي مجنون.

والجَدّ: البخت والحظّ. والمجدُود: المحظوظ المبخوت والمجذوذ: ضد المحدود؛ وهو الممنوع من الخير.

وقد أطلت في هذا البـــاب[(٢)] حَتَّى يظنّ الواقف عليه أني خرجت عما قصـــدت إليه، غير أَنَّهُ مِمَّـــا يحتاج إلى الإطالة فيـــه؛ إذ كان حكم الوقت يقتضيه، فأردت تســـلية الأديب وتعزية الأريب، وليعلمـــا أنَّ هذا إِنَّمَا ذكر تعجبًا من انقلاب الزمان[(٣)] لا لتصويب واستحسان، وأن الصحيح قد كان،

---

(١) هذه الأبيات من الكامل للشَّافعي: انظر: البيهقي، شعب الإيمان، ٢٣٢/١. الوافي بالوفيات للصفدي، ١٢٥/٢. فقه الصفوة لابن الجوزي، ٢٥٧/٢. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٣٠٥/١. وغيرهم.

(٢) في (ت): «في هذا الكتاب لعله الباب».

(٣) في (ت): «من هذا الزمان وانقلابه».



وأن الباطل ما هو الآن؛ فيحقّ عليه الاهتمام به، والاعتماد بسببه، والعصمة والتوفيق لله.

فصل: [في حال أناس زمنه]

كان الناس في الزمان الخالي إذا لقي الرجل من هو أعلم منه فذلك يوم غنيمته، وإذا لقي من مثله ذاكَرَه، وإذا لقي من هو دونه علَّمه ولم يَزْهَ عليه. فصار الناس اليوم على غير ذلك، لا يتعلمون مِمَّن هو أعلم منهم، ولا يذاكرون أمثالهم، ويزهون على من هو دونهم. وسبب ذلك: أن الرغبة في العلم قد زالت، والنية في التعليم قد استحالت؛ وَإِنَّمَا الاشتغال اليوم بجمع الأموال والاحتفال للسفهاء والجهَّال، ولبعض أهل هذا العصر[١]:

أَخُو اليُسرِ مَحبُوبٌ جَلِيلٌ مُعَظَّمُ ... وذُو العُسرِ مَبغوضٌ ذَليلٌ[٢] مُذمَّم

فأنت الفتَى إن كنتَ تَملكُ دِرهَمًا ... ولستَ الفتى إن لَم يَكن لكَ دِرهَم

وقد كَان فيمَا قد مَضى قِيمَةُ الفتى ... لدى الناسِ عندَ الناسِ ما هُو يَعلم[٣]

ويروى:

وقد كَان فيمَا قد مَضى قِيمَةُ الفتى ... لدى الناس ما تحوي يداه وتغنم

فكن طالبًا للعلم ما شئت قانعًا ... بما نلته فالعلم أسنى وأعظم

ولا تطلبنّ المالَ فالمالُ كثرةٌ ... لغيرك إرثٌ بينهم يتقسَّم[٤]

(١) في (ت): ولبعضهم.

(٢) في (س): قليل.

(٣) الأبيات من الطويل، لم نجد من ذكرهَا.

(٤) الأبيات من الطويل، لم نجد من ذكرهَا.

باب ١٨ في طلب العلم وما له وعليه من التحليل والتحريم[١]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (التحريم: ٦)، قيل: تعلمونهم وتأمرونهم بتقوى الله تعالى. وعن علي في ذلك: أدِّبوهم وعلِّموهم، كأنه يذهب في ذلك إلى الأزواج.

أبو سعيد الخدري عن النَّبِيّ ﷺ: «**لَا يَلْقَى الله تعالى [أَحدٌ] بِشيءٍ أَشَدَّ مِن جَهَالَةِ أَهلِهِ**»[٢].

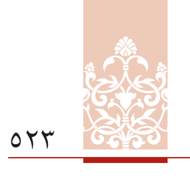
وأجمعت الأمَّة على تأديب صبيانها، [وتعليمهم غسل النجاسات، ونهيهم عن المحظورات]، وتعليمهم الطهارات والوضوء والصلاة، وضربهم عليها إذا بلغوا عشر سنين، وتفريقهم بين مضاجعهم لسبع سنين؛ لما روي عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**فَرِّقُوا بَينَ أَولَادِكُم فِي المَضَاجِعِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُم عَلَى الصَّلَاةِ لِعَشرِ سِنِينَ**»[٣]، وتعليمهم القرآن لينشؤوا على ذلك ويكونون

---

(١) في (س): ـ «وعليه من التحليل والتحريم».

(٢) ذكره الغزالي بلفظ: «لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله»، وقال: «ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده». انظر: إحياء علوم الدين، ٣٣/٢.

(٣) رواه البزار عن أبي رافع عن أبيه بلفظ: «فرقوا بين مضاجع الغلمان والجواري والإخوة والأخوات لسبع سنين واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا أظنه تسعًا»، ر٣٨٨٥، ٣٢٩/٩. والمشهور ما سيذكره فيما بعد في حديث: «مروا الصبي...».



عالمين به قبل البلوغ، فإذا بلغوا وجب عليهم أن يتعلَّموا ويسألوا. وإن لم يكن ذلك على آبائهم أخذهم بذلك، ولكن لهم أن يأمروهم بتقوى الله ﷻ ويحذروهم معصية الله، وينكروا عليهم ما يجب إنكاره، وأن يسألوا عن ذلك من يعلمه علمهم كانوا آباء أو غيرهم.

وكذلك عليهم تعليم عبيدهم البالغين كتعليم أبنائهم. وقال النَّبِيّ ﷺ: «**خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[١].

وعنه ﷺ أَنَّهُ قال: «**هَذَا القُرآنُ مَأدُبَةُ اللهِ، فَتعلَّموا من مَأدُبَةِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُم**»[٢].

وأن لقارئ القرآن لِكُلِّ حرف عشر حسنات؛ وفي الحديث: «**إِنّ القُرآنَ مأدبةُ اللهِ فَأَدِّبُوا عَليهِ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُبَارى عَنهُ كَبيرُكُم؛ فَإِنَّهُ لَيسَ كُلُّ امرئٍ** /١٠٨/ **يُولدُ عَالمًا، وَإِنَّمَا العلمُ بالتعلِيمِ**»[٣].

قال أبو ذكوان[٤]: مأدُبَة الله (بالضم والهمز)؛ أي: مدعاة الله. قال: والأدب الداعي، والمأدبة: المدعاة.

---

(١) رواه البخاري عن عثمان بن عفان بلفظه، باب خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٤٧٣٩. وأبو داود مثله، باب في ثواب قراءة القرآن، ر١٤٥٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود بلفظه ومطولًا، ر٣٠٠٠٨، ١٢٥/٦. ورواه الدارمي في سننه عن ابن مسعود بلفظه ومطولًا، باب فضل من قرأ القرآن، ر٣٣١٥، ٥٢٣/٢.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ مرفوعًا للنبي ﷺ.

(٤) القاسم بن إسماعيل بن ذكوان البغدادي، أبو ذكوان الوراق (ت: ٣٠٠هـ): راوية علامة أخباريّ. من ورَّاقي المبرد، لقي جماعة من أهل العلم، وكان التوزي زوج أمه. قال السيرافي: قد كان في أَيَّام المبرد جماعة نظروا في كتاب سيبويه ولم يكن لهم نباهته منهم أبو ذكوان.. له: كتاب معاني الشعر رواه عنه ابن درستويه. انظر: الحموي: معجم الأدباء، ر٧٢١، ٥٨٠/٤. السيوطي: بغية الوعاة، ر١٩١٣، ٢٥١/٢. إسماعيل الباباني: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٤٣٦/١.

وقال أبو [محمَّد] الحسن السابوري[١]: تقــول: آدَبْتُ القوم، إذا دعوتهم إلى طعامك. والمأدُبة (بضمِّ الدال): الطعام الذي يُدعى إليه الناس. وَأَمَّا من الأدْب فمأدَبَة الله (بفتح الدال)، والآدِب: صاحب المأدَبة.

يقال: مأدبة للدعوة، وفي الحديث: «**القُرآنُ مَأدبَةُ اللهِ**»[٢]. قال أهل العلم: معناه: مدعاة الله، وليس من الأدب، وأكثر المفسـرين قالــوا: القول الأَوَّل. فكلاهما فــي العربية جائز. ويدلّ علــى القول الأَوَّل؛ قــول النَّبِيّ ﷺ: «**أَنَا الجفنَةُ الغَرَّاءُ التِي يجتمعُ النَّاسُ عَلَيهَا وَيُدعَونَ إِلَيهَا**»[٣]. فمن قال: مأدَبة الله (بفتح الدال) فهو من الأدْب، ومأدُبَة (بضمِّ الدال): هو الطعام.

فأوَّل ما يجب تعليمه القرآن؛ لِما روي عن النَّبِيّ ﷺ أيضًا أَنَّهُ جاءه رجل فقال: «يا رســول الله، علِّمني». فقال: «**اذهب فتعلَّم القــرآن**»، ثُمَّ عاد فقال له مثل ذلك، ثُمَّ عاد فقال لــه في الرابعة: «**اقبَل الْحَقّ مِمَّن جَاءك به حبيبًا كان أو بغيضًــا، واردُد الباطلَ على مَن جــاءك به حبيبًــا كان أو بغيضًا، وتعلم القرآن ومِلْ معه حيث مَالَ**»[٤].

وينبغي للآباء أن يبدؤوا بتعليم الأبناء القرآن.

والكُتَّاب: مصدر الرسل الذي تعلّم فيه الصبيان. والمُكْتِب: المعلِّم. وأهل مكَّة يسمُّون المعلِّم: كبيرًا، يقولون: كبيري؛ أي معلِّمي.

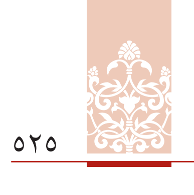
---

(١) الحسن بــن علي بن أحمد بن بشــار السابوري البصري، أبو محمد (ت:٤٤٦هـ): ســمع مُحَمَّد بن أحمد بن محمويه العســكري. وعنه ســمع الخطيب. انظــر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٣٢/١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٩٦/٢٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لم نجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٤) سبق تخريجه.



وعن ابن عبَّاس في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ (طه: ٧١)؛ يريد معلِّمكم. وتقول: علَّمت الصبِيّ تعليمًا، والتعليم للمتعلم. وقال:

تَعَلَّم إِذَا كُنْتَ لَسْتَ بِعَالِمٍ ... فما العلمُ إلَّا بالعَنَا والتعلُّم
[تعلَّم فإنَّ العلم أزين للفتى ... مِنَ الْحُلَّةِ الْحَسْنَاءِ عِنْدَ التَّكَلُّمِ][1]

مسألة: [في تعليم القرآن]

وتعليم القرآن فرض على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين فرضه، إلَّا ما يقام به الصلاة.

وتعليم القرآن بالأجرة جائز للسُّنَّة القائمة، عن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ أتاه رجل فقال: يا رسول الله، زوِّجني من فلانة، فقال ؑ: «**أَعندكَ مَهرٌ تَمهَرُها إيَّاها؟**» قال: لا. قال: «**أفتحفظ من القرآن شيئًا؟**» قال: نعم، أحفظ كذا وكذا. قال: «**اذهَب فَعلِّمها إيَّاه**»[2]، ثُمَّ أتاه من بعدما علمَّها، فزوَّجه ؑ.

والقرآن لا يثبت به النكاح، وَإِنَّمَا يثبت النكاح بالعوض الذي عليه في تعليمها؛ فدلَّ أن ذلك جائز إذا كان لا نكاح إلَّا بمهر. وجائز للمعلِّم أخذ الأجرة عليه.

وكره بعضهم ذلك إلَّا أن يجعل الأجرة لِعَنائِهِ وقعوده وتعليم الخطِّ.

---

(١) البيت من الطويل نسبه الأبشيهي فِي المستطرف (٥٢/١) لصالح اللخمي بلفظ: «فما العلم إلا عند أهل التعلم...».

(٢) رواه الربيع عن ابن عباس بمعناه من حديث طويل، كِتَاب النِّكَاح، بَاب (٢٤) فِي الأَوْلِيَاء، ر٥١٥. والبخاري عن سهل بن سعد، فِي فضائل القرآن، ر٥٠٢٩، وفي النكاح، ر٥٠٣٠، ٥٠٨٧...



مسألة: [في أجرة المعلم]

وإذا كان على المعلِّم حق ليتيم فعلَّمه القرآن، وحسب ذلك عليه كما يحسب على غيره، فأرجو أن يسقط حقّه عنه إذا كان من أهل التعليم.

فإن كان فقيرًا فعلمه قدر ما يعرف أمر صلاته فلا يحسب عليه ذلك؛ لأنَّ تعليم الصلاة وما يقوم عليه من القرآن واجب على الناس بعضهم ببعض بلا أجرة.

وقال أبو علي: يكره الشرط للمعلِّم، فإن أعطي شيئًا بطيبة أنفسهم لم أر به بأسًا.

وإذا كان لامرأة ابن مع المعلِّم فأعطاه زوجها نَخلة للمرأة ولم يغيروا؛ فالأحوط له أن يلتمس تمام أمرها من المرأة.

وإن قال له رجل أو امرأة: إِنَّهَا قد أجازت له النخلة اكتفى بذلك إن شاء الله.

والمعلم إذا أعطاه وليُّ اليتيم نخلة من مال اليتيم جاز له أخذها.

وإذا دفع اليتيم [شيئًا] إلى المعلِّم وأخذه رجاء أن بعض أهله وجهه بذلك إليه؛ فجائز ذلك على التعارف والعادة.

وإن قال الصبيّ: هذا شيء أنفذه إليك والدي أو والدتي، وسكن قلبه إلى ذلك؛ فجائز تعارفًا وسكونًا، وَأَمَّا في الحكم فلا، وكذلك لو كان دراهم /١٠٩/.

وقول الصبيّ لا يقبل في الحكم، وما في يده محكوم له به، ويستبيح المعلم أبا الصبي على قول من قال بذلك.



وقال أبو مُحَمَّد: الضمانُ الذي يلزم المعلِّم للصبي عليه، والخلاص منه إلى والده يقبضه له[١].

مسألة: [في شرب اليتيم من ماء البيان]

وإذا كان اليتيم يشرب الماء من بيان[٢]، فقال له المعلم: اشرب من عند فلان رفيق للمعلم بنقصان عمَّا يشرب من عند البيان، وتولَّى المعلم أخذ ثَمن الماء من عند اليتيم، وفي ذلك توفير على اليتيم؛ فجائز ما فعل المعلِّم.

مسألة: [في تأديب المعلم لليتيم والصبيان]

وللمعلِّم ضرب اليتيم على التعليم، وفيه اختلاف، منهم: من لم يجز الضرب قليلًا ولا كثيرًا. ومنهم من قال: لا بأس بالأدب.

ويضرب على الصلاة ابن عشر سنين، ويضرب الصبيّ على التعليم والأدب. ويؤمر بالصلاة ابن أقلّ من عشر سنين، ويؤدِّبه من كان يكفله عن النجاسات وانتهاك المحارم. فإن أثر فيه لم يلزمه أَرش إذا كان الضرب ضرب أدب؛ وللأدب ضربتان أو ثلاثة.

ولو أن رجلًا أمر المعلِّم بضرب ولده فضربه فمات؛ كان على المعلِّم الدِّية، ويتبع المعلِّمُ والدَه بالدية.

وقيل: للمعلِّم أن يأمر الصبيان أن يتحاسنوا، ولا يأمرهم أن يتضاربوا، فإن فعلوا ذلك من ذاتهم فهو سالم إن شاء الله.

---

(١) في (ت): منه.

(٢) البَيانُ: جمع أَبْيِناءُ، وهو: ما بُيِّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرِها، وبانَ الشيءُ بَيانًا: اتَّضَح، فهو بَيِّنٌ. انظر: اللسان، (بين). ولعل البيان هو مكان أو شخص متعارف عليه يشربون منه الماء بثمن، والله أعلم.

وقال أبو علي: السـلامة من ضرب الصبيان أسلم، وَأَمَّا الكلام المصلح لهم فلا أرى به بأسًا.

وإذا ضرب المعلِّم الصبيّ على التعليم، ومعه أَنَّهُ ضرب أدب، ثُمَّ شكّ؛ فلا يدفع اليقين بالشكِّ.

والصبيّ يضرب علـى التعليم حَتَّى يصح غير ذلـك على قول. وقول: لا يُضرب الصبيُّ يتيمًا كان أو غير يتيم.

وليس لضرب الأدب حدٌّ إلَّا أَنَّهُ لا يكون مؤثِّـرًا ولا إسرافًا.

وقد أجـاز بعض الفقهاء ذلك علـى التعليم لا غيـره، ويكون بقدر ما يطيعونه في التعليم بلا إسراف.

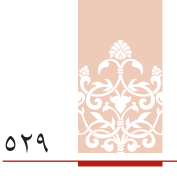
وقال بشير: للمعلِّم أن يضرب الصبيان ويؤدِّبهم ويأخذ ما أعطوه. ويقال: ضَربُ المعلِّم للصبيِّ كالسماد للزرع.

قال بشـير: ويَضربهم إذا شـكا بعضهم بعضًا في كُتَّابـه، وَأَمَّا ما كان خارجًا من موضع أدبه فلا. وقال: لأنَّ هذا خارج من المعروف عند الناس أَنَّهُم كذلك.

فإن كان جرح أحدًا منهم فلينظر في ذلـك. وإن كان ضرب أحدًا منهم مِمَّا يجرح وكان من الأدب، وليس بخـارج من حدِّ الأدب؛ فلا بأس ما لم يكن تلف. وإن كان قد جاوز حدّ الأدب فعليه الضمان.

مسألة: [في آداب المعلم]

وإذا كان الصبيان في حال من يفهم ومضوا في حاجة المعلِّم برأيه؛ فلا أرى بأسًا بذلك.



ولا يجوز للمعلِّم أن يكلِّف الصبيَّ قضاء حاجة إلَّا برأي والده. فإذا وصل إلى المعلِّم رجل فأمر صبيًّا أن يأتي له بكرسيّ ليجلس عليه الرجل؛ فجائز الجلوس عليه إلَّا أن يعلم الرجل أن الكرسِيَّ للصبِيّ. وإن كان الصبي جالسًا على الكرسيْ فأقامه المعلم عنه فلا يجوز للرجل أن يجلس عليه؛ لأنَّ حكمه للصبيّ، وإن جلس كان عليه قيمة استخدام الكرسي.

وليس للمعلم أن يخصَّ أحدًا دون أحد في التعليم. وله أن يفضل من يجزل له في العطاء على قدر عنائه؛ والعناء على قدر الأجرة.

ومن كان يعلم أولاد رجل بأجرة فجاءه صبيان ليتعلموا فليستأذن الرجل، فإن أذن له أن يعلمه فذلك، وإن لم يأذن له فلا نحبّ أن يعلِّم غيرهم؛ لأنَّه يشتغل بهم عن أولاد الرجل، وذلك إذا كان عنده بأجر معلوم.

واختلف في المعلم يعلم الصبيان وهو غير متطهر؛ فبعض رخص في ذلك، ولم يرخص آخرون.

مسألة: [في أجرة تعليم اليتيم وتأديبه]

ولليتيم [أَن] يعلَّم ويعطي الأجرة من ماله، وكذلك اليتيمة إذا وجد لها امرأة تعلمها ويعطي الأجرة من مالها.

وعلى الوصيّ تعليم الجارية مثل الغلام، فإن لم يجد لها من يعلمها لم يكن هو عليه أن يعلمها بنفسه. وجائز للوصيّ دفع عناء التعليم إلى المعلِّم ومن نوى /١١٠/ بتعليمه الأجر فحسن إن شاء الله لمن نواه.

ومختلف في ضرب اليتيم. وقيل: لا يضرب على الصلاة ويضرب الرجل ولده عليها.

وقد روي عن النَّبِـيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**مُـرُوا الصَّبِيَّ بالصلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَـبعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشرَ سِنِينَ فَاضرِبُوه عَلَيهَا**»[١].

فصل: [في وجوب تعليم الأطفال]

وينبغي للآبـاء وللقوّام بأمرِ الأطفال أن يعلِّموهـم الأذان والإقامة والصلاة وشرائع الإسـلام إذا صاروا في حال يعقلون ذلك؛ لئلا تذهب طائفة من الزمان عند بلوغهم في التعليم؛ لأنَّهم إذا كانـوا قبل البلوغ عالمين أتوا بالعبادات عند البلوغ على الفور، وهذا من التعاون[٢] على البرّ والتقوى الذي أمر الله تعالى به.

والرجل يعلِّم ابنته من القرآن للصلاة ستّ سور.

ويقال: التعليم فـي الصغر كالنقـش على الحجر، والتعليـم في الكبر كالكتابة على الماء؛ أبو الدرداء قال: قال رسـول الله ﷺ: «**مَثَلُ الذِي يَتعلَّمُ في صِغَرِه كَالوشـمِ عَلَى الصَّخرَةِ، وَالذي يَتعلَّمُ فـي الكِبَرِ كَالذِي يَكتُبُ عَلَى الماءِ**»[٣].

وقال جِرَان العود[٤]:

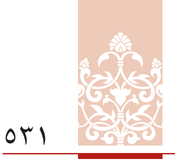
تُركـنَ بِرِجلَـةِ الرَّوحـاءِ حَتّى ... تَنَكَّـرَتِ الدِّيـارُ عَلـى البَصيرِ

(١) رواه أبو داود عن عبدالله بن عمـرو بمعناه باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ر٤٩٥، ١/ ٣٣. ورواه أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو، ر٦٧٥٦، ٢/ ١٨٧.

(٢) في (س): التعارف.

(٣) ذكره المتقي الهندي عن أبي الدرداء بلفظ: ((... في صغره كالنقش على الحجر...))، وعزاه إلى الطبراني في الكبير ولم نجده فيه. انظر: كنز العمال، ر٢٩٣٣٦، ١٠/ ١٠٩.

(٤) عامر بن الحارث النمري، جران العود (ت:٦٨هـ): شـاعر وصاف أدرك الإسـلام، وسمع القـرآن واقتبس منه كلمات وردت في شـعره. ومعنى جران العَود: هـو مقدم عنق البعير المسـنّ، وكان يلقب نفسه به في شعره. له: ديوان شـعر رواه وشرحه أبو سعيد السكري. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٥٠.



كَوَحْي فِي الْحِجَارَةِ أَو وُشُومٍ بِأَيْدِي الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّؤُور[١]

والنؤور: الإثمد، وقيل: العظلم، وهو بالفارسية: نيلج[٢]. وقال الخليل: النؤور: دخان الفتيلة يتخذ كحلًا أو وشمًا.

وقال الشاعر[٣]:

أَرَانِي أَنْسَى مَا تَعَلَّمْت فِي الْكِبَر وَلَسْت بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْت فِي الصِّغَرْ
وَمَا الْعِلْمُ إلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصِّبَا وَمَا الْحِلْمُ إلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرْ
ولو خلع القلب المعلم في الصبا لألفيت فيه العلم كالنقش في الحجر
وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إلا تَعَسُّفٌ إذَا كَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرْ[٤]

وقال آخر:

وإنّ مَن أدَّبته في الصِّبَا كالعُود يُسْقَى الماءَ في غَرْسِهِ
حَتَّى تُرَاهُ مُورِقًا ناضِرًا بعدَ الذي قد كان في يُبْسِهِ[٥]

وتعليم أولاد اليهود والنصارى والمجوس الكتابة جائز، وَأَمَّا القرآن فلا يجوز.

خبر: هيوفراطيس نظر إلى معلِّم رديء الكتابة، فقال له: لم لا تُعَلِّم الصراع؟ فقال: لا أحسنه. فقال له: فها أنت تُحسِّن الكتابة ولا تُحسنها.

(١) فِي النسخ: «كوشم»، والتصويب من كتاب الحيوان والموسوعة الشعرية. والبيتان من الوافر تنسب إِلَى جران بن العود. انظر: الجاحظ: الحيوان، ١/ ٤٠. الموسوعة الشعرية، ديوان جران العود النميري.
(٢) في النسخ: «نيل». والتصويب من كتب اللغة.
(٣) في (ت): آخر.
(٤) الأبيات من الطويل لأبي عبيد الله نفطويه. انظر: ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله، ١/ ٨٤.
(٥) البيتان من السريع لصالح بن عبدالقدوس. انظر العقد الفريد، ٢/ ٢٥٥. والحاسة البصرية، ٢/ ٤٠. والموسوعة الشعرية.

باب ١٩ في وجوب التكليف

التكليف يجب على العبد إذا بلغ وصحَّ عقله، وزالت عنه الآفات.

في أوَّل أحـــوال التكليف: أن يعـــرف خالقه أَنَّهُ واحـــد ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ودليله على ذلك: ما يرى من عجائب خلقه ولطيف صنعه في نفسه وغيره، وأرضه وسمائه، وليله ونهاره، واختلاف أحواله، وما يشاهد بين السماء والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وأوَّل ما علـــى العبد معرفة ما افتـــرض عليه المفتـــرض؛ لأنَّهُ لا يؤدّي المفترَض عليه حَتَّى يعـــرف الذي افترض عليه الفريضة حـــق معرفته؛ لأَنَّهُ لا يجوز أن يتقرب إلى من لا يعرفه ولا يخضـــع ويعبد بعلم لمن لا يعرفه، وَأَنَّهُ لا يجوز أيضًا أن يعرف الرســـل من لا يعرف المرسِل؛ لأنَّهُ إنَّمَا يطيع العبد الرســـول إذا عرف أن المنعم عليه الذي تجب طاعته عليه أرسله إليه؛ فأوجب عليه اتباعه وتصديقه.

وعلى كُلّ عاقل بالغ أن يوحّـــد الله تعالى عَزَّ وَجَلَّ، ولا يوحده إلَّا من عرفه وأقرّ به، ومن لا يعرفه فلا يوحِّده بل يجحده.

وإذا وحَّد الله تعالى بأنه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد عرفه. وإن أقرّ بالجملة التي إن أقرّ بها كان مسلمًا فقد أقرّ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فصل[١]: [في معرفة الله وتوحيده]

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «إن أَوَّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله تَوحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بشهادة العقول؛ لأنَّ كُلّ مشبَّه موصوف بالأشياء مخلوق، وشهادة كُلّ مخلوق أن له خالقًا لا يشبهه ولا يوصف بصفاته، /١١١/ وشهادة كُلّ صفة بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث».

قال: والمعرفة بالله ﷻ لا في قيام ولا قعود، ولا إيَّاه وحَّد من اكتنهه، ولا حقيقَته أصابَ من مَثَّله، ولا صمد صمَّدَه من أشار إليه، ولا إيَّاه عنى من شَبَّهه بخلقه، ولا تَذَلَّل له من يعصيه، ولا إيَّاه أراد من توَهَّمه.

وَكُلُّ معروف بنفسه مصنوع قائم في سواه معلول بصنع الله يستدل عليه، وبالفطرة تثبت حجته، وبالعقول تعتقد معرفته.

خلقُ الله الخلق على إرادته فيما بَيَّنه إياهم دليلٌ على أن الابتداء له. وخلقه أدواته دليل على أن لا أداة فيه بشهادة الأدوات بكافة المؤدِّين إلى عاجل الأدوات فيهم، فأسماؤه تعتبر، وأفعاله تفهم، وذاته حقيقة، وغيره تحديد لما سواه.

قد جهل الله تعالى من وصفه بصفة خلقه، وقد عطَّله[٢] من اكتنهه، فمن قال: كيف؟ فقد شبهه. ومن قال: لِم؟ فقد أَعَلَّه. ومن قال: إلَام؟ فقد نَاهَاه.

---

(١) هذا الفصل أثبتناه كما في النسخ التي بين أيدينا مع عناء شديد فِي ضبط العبارات، ولم نستطع العثور على النصّ الصحيح مع ما وجدنا فِي النسخ من الخلط والتحريف، وترى أَيُّهَا القارئ ما يفهم وما لا يفهم، ومن الغموض والخلط ما لا يدركه إِلَّا من تكبَّد الصعب والذلول، وقد اجتهدنا في ضبطه قدر الإمكان، والله ولي ذَلِكَ.

(٢) في جميع النسخ: «وقد أعطاه».

ومن قال: متى؟ فقد وقَّته، ومن قال: حتَّام؟ فقد جَزَّأَه، ومن جزأه فقد بَعَّضه، ومن بَعَّضه فقد ألحد فيه، ومن ألحد فيه فقد أشرك به.

ولا يتغيَّر بتغيُّـر المخلوقين كمـا لا يتجدد بتجـدّد المتجددين، أحدٌ لا بتـأوّل عدد، صمـدٌ لا بتبعيض بِـدد، متحلِّل لا باسـتهلال روِيَّة، بائن لا بمفارقـة، بعيد لا بمسـافة، قريب لا بمدانـاة، بصير لا بـأداة، ومقدر لا بحول فكـرة ولا بمهامة، فاعل لا بحركة، سـميع لا بآلـة، لا تصحبه الأوقات، ولا تقيده الأدوات، ولا تأخذه السِّنات، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تحويه المسـاكن، ولا تضمنه الأماكن، سـبق الأوقات كونُـه، والقدمَ وجودُه، والابتداءَ أزلُه.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشـاعر له، وبتهجير الهواجر عرف أن لا مهجور له، ولمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضـادد الظلمات بالنـور، والخلاية بالهمّ، والخشـونة باللين، والظل بالحـرور، مؤاخٍ بين متقارباتهـا، مفرق بين متباينها، دليـل بتفريقها على مفرقهـا، وبتأليفها علـى مؤلِّفِها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينها وبينهن، جمعها على فطرته، مذللها على مشـيئته، إذ ينطقن بكونهن على حدثهن، وبوجودهن على عدمهن، وبأفولهن أن لا أفول لصانعهن. قوله جل ذكره: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩).

فرَّق قبل ذلك وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شهادة على عزائزها أن لا عزيز لمعزِّزها.

وله معنى الربوبية، أي: لا مَربوب لحقيقة الألوهية: أي لا مألوه.

ومعنى العلم: فلا معلوم. وتأويل السميع: فلا مسموع.

ليس من خَلقِ الله الخَلق استحقّ اسم الخالق، ولا بإحداثه للبرايا استحقّ اسم البارئ، كيف ولا يفنيه أمد، ولا يبلغه عدد، ولا يفوته متى، ولا يقارنه مع، ولا يستميله هوى، بما يحدّ الأدوات أنفسها، وسير الآلهة إلى نظرائها، وفي الأشياء يؤخذ فاعلها، افترقت الكلمة فدلَّت على مفرِّقها، وتباينت فدلَّت على مباينها، ولها تجلِّي على صانعها للعقول، ومنها ربيط الدليل، وبالأقدار مع العلم يكمل الإيمان، لا ديانة إلَّا بعد معرفة، ولا معرفة إلَّا بعد إقرار، ولا إقرار إلَّا بعد إخلاص، ولا إخلاص إلَّا بعد توحيد.

والإقرار يعصم من الإنكار، ولا ينال الإخلاص بشيء دون التوحيد، وَكُلّ ما يوجد في الخلق لا يوجد في خالقه، وَكُلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه حركة ولا سكون، وكيف يجري عليه /١١٢/ ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابتدأه.

ولا يمتنع من الأزل، معناه: ولا ما كان للأزل معنى غير معنى الحدث، ولو وجد له وراء لوجد له أَمام، ولو يلتمس التمام للزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع الحدث، أو ينسى الأشياء من لا يمتنع من الأشياء، إذًا لقامت فيه آلة المصنوع، ولتحوَّل دليلًا بعد أن كان مدلولًا عليه، ليس في حال القول حجَّة ولا في المسألة عنه جواب، ولا معناه للخلق نظير[١]، بل هو الله ـ تبارك وتعالى ـ تبينت لعزَّته تحقيق لامتناع الأزل من الفناء أو لا بداء له ولا انتهاء، لم يلد إذ الوالد موروث، ولم يولد إذ الولد موجود بحدوثه، ولم يكن له كفؤا أحد؛ لأنَّ الكفؤ هو الضدّ المنافر والشكل المجاور، ولو كان ضدّ لامتنع التدبير وما تمَّ له تقدير، وذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)[٢] تمَّ الجواب.

---

(١) في (س): «ضمير مصير» وفي (ت): «نضير».

(٢) في النسخ: «فسبحان الله رب العالمين» وهو سهو، والتصويب من سورة الأنبياء: ٢٢.

وعن علي: أنَّه قال: من شبَّه الله تعالى فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدَّه، ومن عدَّه فقد ناهاه، ومن ناهاه فقد أبطله، ومــن أبطله فقد حننه، ومن حننه [كذا] فقد كيَّفه تعالى الله ربّ العالمين: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وعن الضحاك[١] قال: جــاء رجل من اليهود إلى علي فقــال له: يا أمير المؤمنين، متى كان ربُّنا؟ فقال له علي: إنَّمَا يقال له: متى [كان لشــيء] لم يكن فكان، فهو كائن بلا كينونة لــم يزل، ليس هو القبل أو الغاية، انقطعت الغايات عنده، فهو غاية كُلّ غاية[٢].

وعن ابن مسعود قال: ما عرف الله تعالى من شبَّهه بخلقه.

وقال بشــير: أوَّل معرفة الله تعالــى خلق مِن الله ﷻ، وهــي: اضطرار، ولا بدَّ أن يخلق له من المعرفة التي بها يكتســبون ما يلزمهم من معرفة الله تعالى ودينه، هكذا أحسب أنَّه قال: المعرفة الأولى: خلق، والثانية اكتساب.

خبر: وقيل: خرج رجل سائحًا لله تعالى حَتَّى دخلَ بيت المقدس فوجد رجلًا يصلِّي في المسجد، فَلَمَّا فرغ قال له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

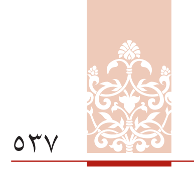
فقال: السلام على أهل اليقين والتســليم والإسلام، اجلِس فجلس، فَلَمَّا اطمأن قال له: أعبدٌ أنت أم حرٌّ؟ فقال: حرٌّ.

فقال: من عتقك [و]من حرَّرك؟ فأطرق المسؤول مليًّا مفكّرًا في جوابه، فقال: لا، بل عبد.

---

(١) فِي جميع النسخ: «النزال»، والتصويب من مسند الإمام الربيع بن حبيب، ر٨٣٧.

(٢) هَذِهِ الرواية ذكرها الإمام الربيع بسندٍ فِي مسنده (ر٨٣٧، ١٦٦/١): بلفظ: «جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب فقال: يا علي متى كان ربنا؟ فقال علي: إنما يقال متى كان لشــيء لم يكن فكان وهو كائن بلا كينونة كائن بلا كيفية ولــم يزل بلا كيف ليس له قبل وهو قبل القبل بلا غاية ولا منتهى غاية تنتهي إليها غايته انقطعت الغايات عنده وهو غاية الغايات».



فقال: من اســتعبدك؟ فقال المســؤول له: الله اســتعبدني وهو معبودي، والعبادة طاعة الله.

فقال له: أخبرني عن الله الذي اســتعبدك، اســم هو أم صفة أم فعل أم معنى؟ قال: اسم.

قال: لمن؟ قال: الله.

قال: فأيّ إلهين تعبد، الاسم أم المســمَّى؟ فانقطع المسؤول وتحيَّر في جوابه.

فقال المصلِّي: يا هذا، يعبد الله من يَعلم مَا الله؟! فَأَمَّا من لم يعرف ما الله فإنَّه يعبد غير الله، ومن عبد غير الله فقد أشــرك بالله. ثُمَّ قال: لا يدرك بعقل ضمير، ولا بإحاطة تفكير.

وقيل: من عبد الله تعالى بتوهّم القلب فهو مشــرك، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاســم والمعنى فقد أشــرك، ومن عبد الله الاسم دون الصفة لا بإدراك فقد أحال على غائب، ومــن عبد المعنى بحقيقته فهو مؤمن حقًا، والله أعلم.

فصل: [في أول ما افترض الله علَى عباده]

فأوّل ما افترض الله تعالى على عباده شــكره على نعمه، ونفي الأشــياء عنه، ثُمَّ الإقرار برســله وأنبيائه /١١٣/ وملائكته، والتصديق بجميع ما أتت به، وأنزله في كتبه، وما كلّفهم عليه طلب معرفة ذلك من كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، ومن سُنَّة نبيّه ﷺ، ومن إجماع الأمَّة، ومن حجج العقل الذي حسن الله فيه الحســن وقبح فيه القبيح، وبه وجب الأمر والنهي، وحسن الحمد وألزم.

ويلزمهم الكفّ في عفوه لهم ما لم يأتهم عن الله تعالى خبر بإباحة شيء منه، ويلزم العبد أن يعرف نفسه حقّ معرفتها، فإن من جهل نفسه كان لغيرها أجهل وقد قالت عائشة: يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربَّه؟ فقال عليه السلام: «**إذَا عَرفَ نَفسَهُ**»(١).

فَمعرِفَة الله تعالى أوَّل المفترضات وبها تصحّ العبادات، ومن لم يكن بالله تعالى عارفًا كان به جاهلًا، ومن كان به جاهلًا لم يكن له عاملًا، ومن لم يكن له عاملًا كان لأوامره مهملًا، ومن كان لأوامره مهملًا كان لعذابه مستوجبًا.

فالتكليف على معنيين؛ فمعنى يجوز على إضافته إلى الله عز وجل، ومعنى لا يجوز.

فالذي يجوز: هو الأمر، وهو تكليفه عز وجل عباده أوامره ونواهيه وطاعاته وفرائضه حسب طاقاتهم.

وقيل: في قوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)؛ أي لا يأخذها ويطالبها إلَّا بطاقتها. قال زهير:

ما كلَّف الله نفسًا فوق طاقتِها ... ولا تَجود يدٌ إلَّا بما تَجِدُ(٢)

ويقال: عليّ من هذا الأمرِ تكلفَة؛ أي مشقَّة. قال الشاعر:

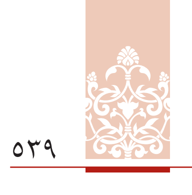
سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمن يعِشْ ... ثمانِينَ حَولًا لا أبَا لكَ يَسْأمِ(٣)

---

(١) ذكره الماوردي عن عائشة بلفظه. انظر: أدب الدنيا والدين، ٨٦/١، ٢٩٠ (ش).

(٢) البيت من البسيط ذكره ابن عبد ربه فِي العقد الفريد (١٩١/١، ٥٣/٣) ولم ينسبه، وينسب فِي الموسوعة الشعرية إلى ابن حجاج حسين بن أحمد النيلي (ت:٣٩١هـ).

(٣) البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى فِي ديوانه، ص ٥.



المعنى الذي لا يجوز: إنزال المكلِّف حاجته بالمكلَّف، وهذا غير جائز على الله ﷻ، أن يكون تكليفه العباد لحاجة به إلى ما تكلّفهم، إذ كان الله تعالى غنيًّا عن جميع ما خلق، وَكُلٌّ إليه محتاج مفتقر، تعالى الله علوًّا كبيرًا.

ومن هذا المعنى يقال: تكلَّف فلان لإخوانه الكُلَف، وتكلَّف لهم ما عجزوا عن القيام به، فواحدة الكُلَف بخلفه: كُلْفة، ويقال: ما عليكَ في هذا الأمر كُلفَة؛ أي تحمّل الثقل.

قالت الخنساء في أخيها:

يُكَلّفُهُ القَوْمُ ما غالَهُمْ ... وإنْ كانَ أصغرَهم مؤلِدا[1]

ويروى: «ما عَالهم» بالعين؛ فمعنى عالهم: صعب عليهم، ومنه قوله: قد عيل صبري؛ أي قد عِلت وقرأ ابن مسعود: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ (التوبة: ٢٨)[2]، أي: فإن خِفتم خصلة تعولكم. وغالهم من الاغتيال، ويقول: خفت غائلة كذا؛ أي عَاقبة شرِّه، وقتل فلان غيلة؛ أي اغتيالًا والغيلة والاغتيال والغول: المنية.

ويقال: أمر الله ﷻ وألزم وأوجب وفرض وسنَّ وشرع ووظف وحرَّض وأحبَّ وأراد، فَأَمَّا سأل الطاعة وطلبَ فبعض أجاز، وبعض أنكره.

فصل آخر: [فِي طرق وجوب التكليف]

ووجوب التكليف على المكلّف من طريقين: طريق عقل، وطريق نقل.

---

(١) البيت من المتقارب للخنساء فِي ديوانها، ص ٢٠.

(٢) جاء فِي معاني القرآن للزجاج (١٩٦/٣): «وقال علقمة في مصحف عبد الله بن مسعود: «وإن خفتم عائلة» ومعناه: خصلة شاقة، يقال: عالني الأمر يعولني أي: شق علي واشتدَّ».

فطريق العقل ينقسم على قسمين:

أحدهمـــا: معرفة الله ﷻ أنَّــه واحد وعالـــم وقادر ونحو ذلــك؛ فعلى المكلّف عنـــد ذكر ذلك وســـمعه اعتقـــاده وعلمـــه، وغير معـــذور بجهله ولا /١١٤/ الشكّ فيه لقيام أدلَّته ولزوم حجَّته.

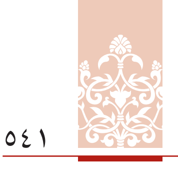
والقسم الثاني: ما فيه الاختلاف بين الناس، مثل: عالم بعلم، وقادر بقدرة، وعالم بنفسه، وقادر بنفسه، وحجَّة هذا يلزم السؤال ويبين[1] الاستدلال، وعلى الشـــاكّ فيه أن لا يعتقد قولًا من المخالفيـــن بغير دليل، فإن كان مستمســـكًا بالجملة، وهي أنَّ الله تعالى واحد ليس كمثله شيء [فواسع له].

وما كان طريقـــه طريق النقل فغير لازم فرضـــه، ولا هالك من جهله إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليه بالخبر المنقول إليه.

فَأَمَّا ما طريق سمعه من ذلك لزمه فرضه إن كان مفسّرًا في نفس اللفظ المنقول، وإن كان مجملًا فإلى أن يســـأل العلماء عن تفسيره بخطئه، وما لم تقم على المكلف حجَّة ولـــم تبلغه دعوة فهو ســـالم بجهله، وطريقه طريق السمع من رسالة الرســـول وعلم الفرائض؛ لأنَّه لو كان الرسول ﷺ مشـــاهدًا ولم يظهر له معجزة على ما يدَّعيه من النبـــوَّة، ويدعوه إليه من الإيمان به فلم يجبه لَمَا كان هالكًا؛ لأنَّ مشاهدة الرسول ﷺ ليست بحجَّة من شاهده من دون إظهار معجزة وإبلاغ رســـالة، ولا قال بذلك أحد من أهل القبلة.

ولو كان ذلك كذلك لكان المســـلمون حين قـــدم النَّبِيّ ﷺ مهاجرًا إلى المدينة والناس يصلون إليه ولا يعرفونه، إلى أن كثروا وارتفعت الشـــمس،

(١) فِي جميع النسخ: بين، ولعل الصواب ما أثبتنا.



فقام أبو بكر ﷺ فستر على النَّبِيّ ﷺ بثوبه من الشمس فعلمت الأنصار والمسلمون أن المعظَّم منهم هو النَّبِيّ ﷺ. فلو كانت رؤية النَّبِيّ ﷺ هي الْحُجَّة فقط كان جميع المسلمين من أهل المدينة كفروا بجهلهم الْحُجَّة وهم له[١] معاينون.

ولم يقل أحد أيضًا أن دعوة الرسول ﷺ هي الحُجَّة دون المعجزة، ولو كانت المشاهدة هي الحُجَّة من غير أن يعضدها دليل من معجزة وما يقوم مقامها لكان من سمع رسول الله ﷺ يدعو قبل المعجزة فلم يعلم الحقّ ويتبعه لكان كافرًا وقد سمع كلام النبي ﷺ فلم يلزم حجته بغير معجزة ولو كان ذلك لازما. لكان المشاهد للنبيّ ﷺ وسامع لكلامه. لما كان لإظهار المعجزات معنى، ولكان أيضًا سائغًا لِكُلِّ مدَّع للنبوة أن يدعيها من غير إظهار معجزة عليها، ولكن لَمَّا كان الله ﷻ لا يبعث رسلًا إلَّا بمعجزة ظاهرة وأعجوبة باهرة ليس في طوق أحد أن يأتي بمثلها ولا أن يساويهم فيها صحّ أن المعجزة هي المؤيدة لرسالاتهم، والمؤكدة لمقالاتهم، والمبينة لحجتهم، والمبرهنة لدعوتهم، والمصدقة لأمرهم، والمفرقة بينهم وبين غيرهم، وأنَّها هي الحالة الجلية والدلالة النبوية التي باين بها رسُلُ الله غيرهم من العباد، وكذلك كانت الأنفس مطبوعة على الفزع إليها والفكرة فيها والعبرة بها، وكذلك كلّ نبيّ لا حجة في مشاهدته دون إظهار دعوته؛ وإذا كان الأمر على ذلك كان المكلف معذورًا بالدليل الذي بيناه، والشاهد الذي أقمناه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ (الإسراء: ١٥)، وليس الرسول ﵇ حجَّة بمشاهدته دون تبيين رسالاته. قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

(١) فِي (س): «لها خ له».

عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تَعَالى أَرسَلَنِي إلى الناسِ برِسالَتِه، وإنِّي ضِقتُ بها ذَرعًا، عَرفتُ أنَّ الناسَ مُكذِّبِيَ، فَأوعَدَني رَبِّي أَن أُبَلِّغَ رِسالَتَه أَو ليُعذِّبَنِي**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَالذي نَفسِي بِيَدِه، لَا يَسمَعُ [بِي] رَجلٌ مِن هَذِه الأمَّةِ فَلَا يُؤمِنُ بِي وبِمَا جئتُ بِه حَتَّى يموتَ إلَّا كانَ مِن أصحابِ الجحِيم**»[٢] /١٠٥/.

وقيل: في قول الله ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، بمعنى يقول: أنذركم به وأنذر به من بلغه لا إلٰه إلَّا الله فقد بلغه إبلاغي به، وقد قامت عليه الْحُجَّة.

وقيل: ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ يقول: من بلغه الإسلام فقد بلغته الحجّة وإن لم يدعه فقد بلغه الإسلام.

وقيل: ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ معناه: ومن بلغه القرآن؛ فأضمرت الهاء، والعرب تُضمر الهاء في الصلَةِ مَعَ «الذي» و«من» و«ما»، تقول: مَن أكرمت؟ أبوك، يريد: من أكرمته؟ وما أخذت؟ مالك؛ أي الذي أخذته مالك، والعرب تقول: إذا طال عليها الاسم بالصفة حذفوا الهاء.

قال الله ﷻ: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ٨٨)، أي: تهدون من أضله الله، ومثله قوله ﷻ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، يريد: من كلَّمه الله.

---

(١) ذكره بمعناه الزمخشري في الكشاف (٦٩٢/١)، وأبو السعود في تفسيره (٦١/٣).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة بمعناه، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ر١٥٣. وأحمد مثله، ر٨١٨٨، ٣١٧/٢.

قال جرير:

أبحتَ حمى تهامةَ بعدَ نجدٍ ... وما شيءٌ حميتَ بمستباحِ[(١)]

أراد: حميته، فحذف الهاء.

وقال قيس بن ذريح[(٢)]:

وفي عُروةَ المهديّ[(٣)] إنْ مُتُّ أسوةٌ ... وعمرو بن عجلانَ الَّذي قتلتْ هِنْدُ[(٤)]

يريد: الذي قتلته، فحذف الهاء.

قال قتادة: ذكر لنا أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**يا أَيُّهَا النّاسُ، بَلِّغُوا وَلَو آيَة مِن كِتَاب الله، فإِنَّه مَن بلَغته آيَة مِن كتابِ الله فَقَد بلغَه أَمرُ اللهِ أَخذَه أَو تَركَه**»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾؛ لأحذِّركم من معصية الله.

الإنذار: هو الإخبار بالتخويف، وَكُلُّ مُنذِر مُعْلِم، وليس كُلّ مُعْلِم مخوِّفًا حَتَّى يكون مع إعلامه تخويف؛ لقوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ (مريم: ٣٩).

وَمِمَّا يَدُلُّ على إيضاح ما ذكرته قوله ﷻ حكاية عن فرعون لموسى عليه السلام: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٤)، وقول موسى عليه السلام: ﴿يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ

(١) البيت من الوافر لجرير فِي ديوانه، ص٩٣.

(٢) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني (ت:٦٨هـ): شاعر عاشق متيم من سكان المدينة. اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية. كان رضيعًا للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس. شعره في التشبيب ووصف الشوق والحنين. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٥/٥.

(٣) كذا فِي الأصل، وفي ديوان قيس: العذري.

(٤) البيت من الطويل لقيس لبنى، فِي ديوانه، ص١٨.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (١٦٢/٧). والهروي في ذم الكلام وأهله، ١٨/٢. وابن عطية في المحرر الوجيز، ٢٨٦/٢. والثعلبي في تفسيره، ١٤٠/٤.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٤-١٠٦). وقول موسى لفرعون: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (الشعراء: ٣٠، ٣١). وقول السحرة: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ (الأعراف: ١٢٦)، أو لم يكونوا قبلها كافرين؟! فحين رأوها آمنوا بها. وقول عاد لهود عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا...﴾ (هود: ٥٣)[١] الآية.

فهذا ومثله في الكتاب ما يؤيِّد ما ذكرته والله تعالى أعلم، وقد يجيء شيء من هذا في باب دعوة النَّبيّ ﷺ بعد هذا إن شاء الله.

فصل آخر: [في أقسام التكليف]

والتكليف ثلاثة أقسام: فقسم: أمر المكلَّفون باعتقاده. وقسم: أُمروا بفعله. وقسم: أمروا بالكفِّ عنه.

وما أمروا باعتقاده **قسمان**: قسم: إثبات، وقسم: نفي.

فَأَمَّا الإثبات: فإثبات توحيده وصفاته وتصديق رسوله ﷺ فيما جاء به.

وَأَمَّا النفي: فنفي الصاحبة والولد والأشباه والحاجة[٢] والقبائح أجمع عنه. وهذان القسمان أوَّل ما كلّفه العاقل.

وَأَمَّا ما أمرهم تعالى بفعله **ثلاثة أقسام**:

قسم: لإحياء نفوسهم على أبدانهم كالصلاة والصيام.

وقسم: في أموالهم كالزكاة والكفَّارات.

وقسم: على أبدانهم وفي أموالهم كالحجِّ والجهاد.

---

(١) وتمامها: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) في جميع النسخ: «والجاحد»، والتصويب من منهج الطالبين، ٣٦١/١. والكوكب الدري، ٢٩/١ (ش).

وما أمروا بالكفّ عنه؛ **ثلاثة أقسام:**

قسم: لإحياء نفوسهم، كنهيه عن القتل وأكل الخبائث والسموم، وما يؤدي إلى فساد أبدانهم وأديانهم.

وقسم: لائتلافهم وصلاح ذات بينهم، كنهيه تعالى عن الغصب والظلم والبغض وما أشبه.

وقسم: لحفظ أنسابهم وتعظيم محارمهم، كنهيه تعالى عن الزنا ونكاح ذوات المحارم.

والتعبّد مأخوذ من عقل متبوع وشرع مسموع، فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع، والشّرع مسموع فيما لا يمنع منه العقل[١]؛ /١١٥/ لأنَّ الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل، والعقل يتبع فيما لا يمنع منه الشرع.

وكذلك يوجه التكليف إلى من كَمل عقله.

والأحكام العقلية لا تكون أصولًا للأحكام الشرعية، ولا تشبه الأحكام الشرعية الأحكام العقلية.

وقال بشير[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لابدّ من تكليف المعرفة كُلّ بالغ من جهة العقل وإن لم يكن من أهل السمع؛ لأنَّ ذلك مِمَّا يرونه بمشاهدة الأَدِلَّة، ولا يَجوز إباحة تركه واكتساب الجهل بدلًا منه إذا كان ممكنًا له غير عاجز عنه ولو كان غير مكلّف ذلك إلَّا بعد أن يفرغ سمعه الأمر له به لكان لا سبيل له إلى ذلك إلَّا بعد أن يعلم صدق المخبر له، وأنَّه أتاه من عند الله تعالى، وأنَّه عَزَّوَجَلَّ لا يبعث إلَّا صادقًا، وهو إنَّمَا يعلم صدق المخبر له بعد أن يعرف الله تعالى بأدلته، ويعلم أنَّه حكيم لا يبعث بعلم الصدق كاذبًا، تبارك الله وتعالى هو الحكيم العليم.

---

(١) فِي جميع النسخ: «والتعبّد مأخوذ من عمل متبوع، وشرع مسموع فيما لا يتبع منه الشرع. والشّرع مسموع فيما لم يمنع منه العاقل»، والتصويب من أدب الدنيا والدين، ١٠٢/١ (ش).

(٢) انظر: هَذِهِ الفقرة فِي كتاب الرصف (الرضف)، فقرة: ١٨، (محقق ومعد للطباعة).

وقال أيضًا[١]: فَلَمَّا كان الله تعالى لا يبعث رسلًا إلَّا بمعجزة لم تجر بها عادة وأعجوبة قاهرة الْحُجَّة، ودلالة ظاهرة البيان، ليس في قوى الخلق أن يأتوا بمثلها ولا أن يُساووهم فيها، ولا جرتَ العادةُ فيهم بمثلها، صحَّ أن أعلامهم دالَّة على صدقهم، ولا يجوز أن تكون دالة على ذلك إلَّا والمكلفون بعلمهم ممكَّنون من الاستدلال على صدقهم فيما جاءوا به عليهم السلام عن ربهم عز وجل.

مسألة: [في قيام الحجَّة]

ومن كان في جزيرة لا علم له بالناس ولا الشرائع؛ فعليه في حال التكليف أن يعلم أن له خالقًا خلقه، وصانعًا صنعه[٢] [ودبره، ويقع له الدليل على ذلك] من طريق العقل ما يراه من خلق نفسه ويعلمه من خلق أرضه وسمائه وليله ونهاره واختلاف الأحوال.

ويجب عليه الكفّ عمَّا قبح في عقله مثل قتل الحيوان وأكل لحومها؛ لأنَّ إيلام الحيوان وقتل ذوات الأرواح قبيح في العقل، ولولا جواز ذلك في الشريعة لَما حسن أن يأتي ذو روح إلَى ذي روح مثله فيؤلمه ويأكل لحمه، ولكن لا حظَّ للعقول فيما استقبحت مع ورود الشرع بالإباحة.

وعليه إذا رأى رجلًا يقتل ذوات الأرواح أن ينكر عليه؛ لأنَّ ذَلِكَ الفعل في العقل جور، ألا ترى أنَّه لو أتاه آت يريد ألمه أنَّه كان يرى ذلك جورًا في العقل، وكذلك إذا رأى مثل ذلك حيوان مثله كان عليه أن ينكر من طريق العقل، وبالله التوفيق.

والزنج الذين [هم] بسفالة وغيرهم من أطراف الأرض الذين لم يبلغوا

---

(١) انظر: هَذِهِ الفقرة فِي كتاب الرصف (الرضف)، فقرة: ١٤.

(٢) فِي جميع النسخ: «وليله أدبره وليله على ذلك يقع له»، والتصويب من: منهج الطالبين، ٣٦١/١.

ما بلغ غيرهم من أهل الإسـلام، عليهم أن يعرفوا بعقولهم أن الأشياء التي يرونها لها خالق ومدبِّر ليس كمثله شيء، وليس لهم في ذلك عذر.

وإذا كان جائزًا في عقولهم وحَسُن، وليس بقبيح أن يكون لهذا المحدث رسولًا ولا معبّرًا؛ فعليهم أن يسألوا عن ذلك، والله أعلم.

مسألة: [في الحجَّة علَى من كان في عزلة]

أحسبها عن أبي عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا كان رجل في عزلة من الأرض على دين /١١٧/ عيسى ﷺ ولم يسمع بمحمَّد ﷺ، ولقيه أعرابي جاف أو عبد أو امرأة جافية فأخبروه أن مُحَمَّدًا ﷺ قد بُعِث فهذا قد بلغته الْحُجَّة وانقطع عذره ولزمه الإيمان بمحمد ﷺ والعمل بما جاء به، ولا عذر له، وهذا قول المسلمين فليخرج وليسأل عن صدق ذلك، فإن مات قبل أن يصل إلى النَّبِيّ ﷺ وقد آمن به بذلك الخبر فأقول: إِنَّهُ معذور وهو عبد مؤمن. وإن لم يفعل هذا ويؤمن بالله تعالى وبمحمد ﷺ حَتَّى مات فلا عذر له في الإقامة على دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعد وصول بعث مُحَمَّد ﷺ.

ومن نشأ في اليهود ولم يسمع بمحمد ﷺ فهو سالم؛ لأنَّه نشأ في أمَّة مصدِّقين بتوحيد الله ـ تبارك وتعالى ـ، ونشأ من شرعه، فهو سالم ما لم يسمع بخبر يقطع العذر ويصحّ في العقل، فإذا سمع بذلك كان عليه الخروج وطلب ما لا عذر له بجهله.

مسألة: [في تكليف اللّه الكفار الإيمان]

وإن سأل سائل فقال: هل كلَّف الله تعالى الكفَّار الإيمان؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فهل يطيقون ما كلَّفهم من الإيمان؟ قيل: لا يطيقون الإيمان

لتشــاغلهم بالكفر [لا] لآفة مانعة وزمانة حائلة؛ لأنَّ الصحة والسلامة فيهم.

فإن قال: فهل يطيقون الإيمان بالصحة والســلامة وزوال الآفة؟ قيل له: لا يطيقون لتشاغلهم بالكفر.

فإن قال: أفيقدر الكافر أن لا يتشاغل بالكفر بأنَّه يقدر أن يؤمن؟ قيل له: إِنَّهُ لا يقدر أن يؤمن إذا كان مشغولًا بالكفر، وهو قادر إن لم يفرط ويتشاغل بالكفر.

فإن قال: أفيقدر أن يترك التشاغل؟ قيل له: إن لم يفرط في ترك التشاغل على قدر ترك التشاغل، وما دام مشغولًا عن الترك بالفعل فهو غير قادر على الترك.

فإن قال: قد كلَّفه الله ما لا يطيق؟! قيل له: إن أردت أَنَّهُ كلَّفه ما لا يطيق لزمانة فيــه ومانع فلا، وإن ذهبت بقولك: لا يطيق مــا كلَّفه من الإيمان في شــغله بالكفر؛ فنعم، ولســنا نزعم أن الله ﷻ كلَّفه ما لا يستطيع لشغله بما نهاه عنه، نظير ما رأينا جوازه في اللغة أن الإنســان لا يســتطيع شــيئًا وهو مشغول بخلافه كما قلنا قبل. قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ (هود: ٢٠). يقول: لم يستطيعوا القبول لشغلهم بالردِّ والإنكار.

فصل: [في حجة من قال بقيام الحجة]

ومن الْحُجَّــة لمن قال ببلوغ الدعــوة وقيام الْحُجَّة على من لم يســمع بالنبيِّ مُحَمَّد ﷺ: الدعوة التي قد خلت في الأمم السالفة، ودعاؤه ﷺ إيَّاهم، وأنَّه جاء داعيًــا لجميع الخلق، فإنَّ الله تعالى أمــره بذلك بقوله تعالى ﷿: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعــراف: ١٥٨)، وبقوله

تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ (الفتح: ١٣)، قال: ففي هذا دليل على أن حجَّة الله قد لزمت جميع الكافرين.

قال: وإنَّمَا وجب على مُحَمَّد ﷺ أن يدعو الناس حين قال الله تعالى: يا مُحَمَّد، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وعند ذلك أمره الله تعالى أن يدعوهم جميعًا فدعاهم جميعًا حين قال لهم: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، لزمتهم الْحُجَّة، ووجب عليهم أن يتبعوه ويعرفوا أنَّه رسول الله إليهم.

قال: وتبليغ مُحَمَّد ﷺ الناس بما أرسل به ودعواه إيَّاهم إلى ذلك تبليغ منه /١١٨/ إلى الناس كافة، ومجيء إليهم كافَّة، ووصول إليهم كافَّة.

واحتجَّ بقوله ﷺ في حجَّة الوداع: «**اللهمَّ بلَّغت**»[1]، فقالوا: نعم، يا رسول الله. ولو لم يبلغ ذلك لمَا قال الله تعالى: إنَّه بلَّغ ما أرسل بِه[2].

واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ...﴾ (آل عمران: ١٨٣)[3] الآية، ولم ير أحد من أولئك أحدًا من تلك الرسل، ولم يسمعوه ولم يعاينوه فيقتلوهم، ولم يعاينوا من الرسل غير مُحَمَّد ﷺ.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)[4]، وهم لا يعاينون موسى ولا

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، عن عاصم بن الحكم بلفظه وزيادة، ر٦٨٣٢، ٢١٦/١٢.

(٢) فِي جميع النسخ: «ولو لم تبلغ ذلك كما قال الله تعالى: إنَّه إن لم تبلغ ما أرسل بِه»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٣) وتمامها: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

(٤) وتمامها: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

عيسى ولا أحدًا من الرسل عليهم السلام قبلهم ولا بعدهم، فيكذبوهم أو يقتلوهم في أشباه لهذا من كتاب الله عز وجل.

وكما كان مجيء رسل الله عليهم السلام التي خلت في الأمم السالفة وتبليغهم ما أرسلوا به إلى قومهم مجيئًا إلى هؤلاء الذين بَعث الله إليهم مُحَمَّدًا عليه السلام، وتبليغًا إليهم، ووصولًا إلى هؤلاء الذين أمر الله مُحَمَّدًا ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٣)، وبين تلك الرسل وبينهم قرون كثيرة وأزمنة طويلة وحقب من السنين والدهور.

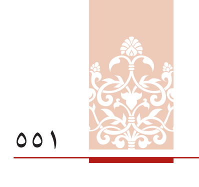
وكذلك كان تبليغ رسول الله ﷺ إِلَى من أرسل إليه كافَّة مِمَّن لم يسمع منهم، وإلى من يسمع، ووصوله إليهم جميعًا، ومجيء نبيّ الله عليه السلام إليهم جميعًا، وإلى أن تقوم الساعة على هذه الْحُجَّة[1] التي احتج الله تعالى بها على من لم يسمع الرسل الماضين مِمَّن كان في زمان النبي ﷺ ولم يسمع بتلك الرسل، وكيف لا يكون ذلك تبليغًا من نبي الله عليه السلام إلى من لم يسمع ووصولًا إليه؟!

وقد جعل الله ـ تبارك وتعالى ـ ذلك تبليغًا، ووصولًا إلى من أتت الرسل بدهر طويل، وقد علمنا الله تعالى ذلك في كتابه، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ...﴾ (الجمعة: ٢)[2] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٣)، فأخبر الله عز وجل أنَّه رسول إلى قوم آخرين منهم لم يلحقوا بهم بعد ولم يكونوا في الدنيا يومئذ حيث أنزل هذا عليه فجعله رسولًا إليهم؛ فكيف يضيق علينا إن نحن قلنا: إنَّه رسول الله ﷺ من يسمع دعوته ووصوله ودعاءه وقد جعله الله بشيرًا إلى

---

(١) في جميع النسخ: «الجهة نسخة الْحُجَّة».

(٢) وتمامها: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.



الناس كافة، وإلى من لم يكن بعده، حيث قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ (الجمعة: ٣)[١] الآية. وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾ (الفتح: ١٣)، ففي هذا دليل على أن كلّ من لم[٢] يؤمن بالله ورسوله كان كافرًا؛ لأنَّ حجَّته قد لزمته.

ثُمَّ قال: فإذا بلغهم دعاء النَّبِيّ ﷺ أن يدخلوا في دينه سمعوا أو لم يسمعوا، إلَّا أن يكون قوم على دين النَّبِيّ ﷺ فهم مسلمون، حَتَّى يأتيهم الله تعالى ببعض ما أمرهم به، فإذا جاءت الدعوة لزمت الكفار بها الْحُجَّة، وليست الْحُجَّة عليهم سمعهم هم لها؛ لأنَّ سمعهم هم فعل منهم، فليست الْحُجَّة عليهم فعلهم، إن الْحُجَّة عليهم اللازمة لهم والبالغة إليهم دعاء الله تعالى إيَّاهم على لسان نبيه ﷺ ومن شاء من خلقه، ولم يكن لهم على الله تعالى أن يسمعهم، وإنَّمَا عذبهم الله تعالى لجهلهم به وبنبيه ﷺ، وغير هذا من الاحتجاج تركته اختصارًا، والله تعالى نسأل التوفيق للصواب.

الدليل على أن الله ﷻ لم يكلف العباد فوق طاقتهم قوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ (التغابن: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (الحج: ٧٨)؛ يعني: من ضيق. ولو كان قد كلفهم ما لا يطيقون كان قد جعل عليهم أكثر الضيق؛ لأنَّه لا ضيق /١١٩/ أكثر من تكليف ما لا يطاق.

وقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فأخبر

---

(١) وتمامها: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

(٢) في جميع النسخ كررت عبارة: «لم يكن حيث قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾، ففي هذا دليل على أن كل من».



أنَّه لا يكلِّف نفسًا إلَّا وســعها فوق طاقتها؛ لأنَّ الوسع في لغة العرب دونَ الطاقة، وقد أخبر الله ﷻ أنَّه لا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها في خمسة مواضع من كتابه، وقــد تأوَّل مــن خالفنا في هذه الآيــة أقبح تأويل وأفســده مع استحالته في اللغة أيضًا، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، معناه زعم أنَّه لا يحــلّ لها، فقال هذا، كما يقال: لا يســعك، وقــول القائل: هذا الذي لا يسعك ليس من قوله ليس في وسع؛ لأنَّ الوسع دون الطاقة.

قال الشاعر:

وناقةٍ مــنْ عتاقِ النّــوقِ ناجيةٍ	حرفٍ تباعدَ منها الزّورُ والعضدُ
كلفتها من الوســع من نصى لها	والوسع منها دون الجهد والوجد[1]

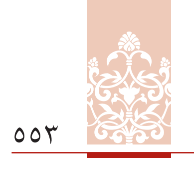
أفترى هذا القائل كلَّف ناقته ما لا يحلّ له، وأخبر أنَّه إنَّمَا كلفها الســير دون طاقتها ولم يجهدها، فقال كلَّفها الوســع. وقال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقــرة: ٢٨٦)، ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ (الطــلاق: ٧)، فمن لم يؤته لم يكلّفه، ومن لم يؤته القوَّة لا يأمره بالفعل.

وَمِمَّا يَدُلُّ على ذلك أيضًا السُّــنَّة والإجماع على أن [من] لم يستطع أن يصلِّي قائمًا فعليه أن يصلي قاعدًا جالسًــا، ومن لم يستطع أن يصلي جالسًا فعليه أن يصلي مضطجعًا، وإن لم يســتطع أن يصلي مضطجعًا أومأ، فإن لم يستطع زال عنه فرض ذلك.

ومثله: من لم يجد الماء فليتيمــم، فإن لم يقدر على التيمّم زال عنه فرضه.

---

(١) فِي (ت): «دون الجود والوجــد». البيتان من البسيط، الأوَّل للراعــي النميري فِي ديوانه، ٥٣/١. ولم نَجد من ذكر الثاني.



وما يَدُلُّ على صحَّة قولنا ما روي عن عمر قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، وكان يلقِّننا: فيما استطعتم».

وعن أُمَيمَة بنت رُقَيقَة[1] قالت: بايعتُ رسول الله ﷺ في عشر نسوة، فأخذ علينا في الآية أن لا يَسرقن ولا يَزنين ثُمَّ قال: «فيمَا استطعتنَّ وأَطقتُنَّ»[2]، فقلن: «الله ورسوله أَرحم بنا في أنفسنا».

وذكر قتادة قال: بايع رسولُ الله على السمع والطاعة فيما استَطاعوا.

وعن موسى بن أنس عن أبيه[3] قال: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استعملَ أَنسًا على السّعاية، وكان عمر بَعده فقدم فبايعه، فقال عمر: «فيما استطعت».

وعن عبد الله قال: بايعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السمع والطاعة فيما استطعت، ومثل هذا كثير.

أو لا ترى النَّبِيّ ﷺ والأئمَّة لم يلزموا العباد الطاعة إلَّا على الطاقة والاستطاعة، وكيف يجوز على أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين أن يكلِّف

(١) في النسخ: «آمنة بنت رفيعة»، وهو سهو، والتصويب من كتب الحديث. وهي: أُمَيْمَة بِنْت رُقيقة التميمية، أمها رُقَيقة بِنْت خويلد بن أسد، أخت خديجة بِنْت خويلد، فأُمَيْمَة ابنة خالة أولاد رسول الله ﷺ من خديجة، وهي أُمَيْمَة بنت عَبْد بِجاد بن عُمَير بن الحَارِث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة. كانت من المبايعات. روى عنها: ابن المنكدر، وابِنْتها حكيمة. بايعت النَّبِيّ ﷺ في نسوة. انظر: أسد الغابة، ٣١٦/٣.

(٢) رواه الترمذي عن أميمة بلفظه، باب ما جاء في بيعة النساء، ر١٥٩٧، ١٥١/٤. والنسائي مثله، في بيعة النساء، ر٤١٨١، ١٤٩/٧.

(٣) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري (ق ا هـ) تابعي ثقة قاضي البصرة. روى عن أبيه وابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الله بن عباس. وعنه ابنه حمزة وعطاء بن أبي رباح وهو أكبر منه ومكحول الشامي وهو من أَقرانه وحميد الطويل وآخرون. قليل الحديث مات بعد أخيه النضر بن أنس. انظر: العجلي: معرفة الثقات، ر ١٨١٢، ٣٠٣/٢. تهذيب التهذيب، ر ٥٨٧، ٢٩٨/١٠.

عباده ما لا يطيقون، ويسـألهم ما لا يجدون، وهـو يقول ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، [وقوله]: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ (النساء: ٢٨)، فلو كلّف الله ﷻ خلقه ما لا يستطيعون لكان غير مريد بهم اليسر، وغير مريد للتخفيف عنهم؛ لأنَّه لا يكون اليسر ولا التخفيف في تكليف ما لا يطاق.

وقد روي عن النَّبِيّ ﷺ أنَّه قال: «**إذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأْتَمِرُوا وَخُذُوا مِنه مَا استَطعتُم، وَإذَا نَهيتُكُم عَن أَمرٍ فَانتَهُوا**»(١). والأخبـار في هذا والأدلة عليه كثيرة، وفي بعض ما ذكرنا ما يغني عن الإطالة، ولن يليق بصفة الحكيم في فعله الرحيم بخلقه إلَّا ما قلناه لا ما قاله مخالفونا؛ لأنَّ قولنا أشبه بعدله ورحمته وفضله ورأفته وهو أعلم وأحكم. انتهى.

(١) رواه الربيع، عن أنس بن مالك بلفظ قريب، كتاب الحج، باب (١) في فرض الحج، ر٣٩٤، ١/١٦٠. والبخاري، عن أبي هريرة، كتاب (٩٧) الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ر٧٢٨٨، ٨/١٨٠. ومسلم، كتاب (١٥) الحج، باب (٧٣) فرض الحج مرة في العمر، ر١٣٣٧، ٢/٩٧٥.



كتاب
التوحيد والأسماء والصفات





باب ٢٠ في التوحيد

التوحيد: الوصف لله ﷿ والتسمية له بأنَّه تعالى واحد. لا خلاف بين أهل اللغة أن من وصف شيئًا واحدًا وأفرده بالتسمية فقد وحده. ومعنى التسمية للمسلمين بأنّهم موحِّدون أنَّهم يثبتون معبودهم واحدًا.

والتوحيد: الإيمان بالله لا شريك له، والله الموحَّد.

والتوحيد أيضًا: الإقرار لله والتسمية له بالوحدانية، سبحانه لا إلٰه إلّا هو الواحد القهّار.

وقيل: التوحيد: /١٢٠/ الإقرار بأنَّه ﷿ مثبتًا هو موجود موصوف بالخروج من حدِّ الإبطال وحد التشبيه بغيره، وَأَنَّهُ ليس كمثله شيء.

وتفسير الواحد يأتي بعد تفسير أسمائه ﷿ بعد هذا إن شاء الله.

وجملة التوحيد: أن الله ﷿ واحد ليس كمثله شيء.

وقال أبو المؤثر[1]: من عرف أَنَّ الله ﷿ إلٰه واحد ليس كمثله شيء فقد عرفه تبارك وتعالى، وهذا أقل ما يكون به الإنسان موحّدًا، لعله خطر بباله أجسم هو أم ليس جسم؟ أو محدود أو غير حدود؟ أم يعاين بالأبصار أم لا يعاين بها؟ أو سمع بذكر هذا؛ فقد نزلت بليَّته فعليه أن يعلم أن الله

(١) هو: أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي (ت: ٢٧٨هـ)، وقد سبقت ترجمته.

ـ تبارك وتعالى ـ ليس بجسم ولا محدود، ولا تحيط به الأقطار، ولا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة. فإن جهل ذلك فلم يدر أجسم هو أم ليس بجسم، أو محاط به، أو يرى أو لا يرى؛ فقد هلك.

مسألة: [في التوحيد]

والتوحيد: لا يكون للعدول فيه حجَّة دون العقل، وهم حجَّة مع العقل. قال غيره: لعلَّه فإذا نقلته العدول وقبلها العقل وجب علمه والتديّن به، وما ردَّه وقعت المحنة مع قولهم، وكان عليه البحث والنظر إن كانوا مختلفين، فَأَمَّا ما اجتمعت عليه الأمَّة فلا يجوز الوقوف فيه، وقد قامت به الْحُجَّة، كذلك القول في القدرة، وغير العدول مع قبول العقل حجَّة، هكذا عن أبي مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ.

الإلحاد

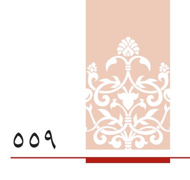
الإلحاد في اللغة: هو الانحراف عن الشيء والعدول عنه إلى ناحية، ومنه سمِّي لحد القبر؛ لأنَّه عدل به عن القصد إلى ناحية القبر.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، قيل: الإلحاد في أسمائه: اللات والعزى.

وقال الضبِّي: الأسماء الحسنى؛ أي: الرحمٰن، الرحيم، العزيز، الحكيم. والأسماء الحسنة والحسنى واحد، وإنَّمَا وجدنا الأسماء جمع؛ لأنَّه ذهب إلى الجملة والجماعة وهي واحدة، فأعمل المعنى وترك اللفظ. كما قال امرؤ القيس:

بَرَهرَهَـةٌ رَودَةٌ رَخصَـةٌ ... كَخُرعوبَةِ البانَـةِ المُنفَطِرِ[1]

(١) البيت من المتقارب لامرئ القيس فِي ديوانه، ص٥٨.



والخرعوبة: الأنثى، وهي: القضيب. وقال المنفطر: ليذكّر القضيب، أعملَ المعنى وترك اللفظ.

﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾؛ أي: يميلون عن أحسنها إلى أن يقولوا: له شريك وله ولد.

وقال أبو عبيدة: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾: يجورون عن ذلك ولا يستقيمون، والمعنى واحد، إلّا أن الإلحاد عند العرب: الميل والانحراف، ويقال: لحد وألحد، إذا مال. وقد قرئ باللغتين جميعًا، فقرأ أهل المدينة وعاصم(١) وأبو عمرو ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضمِّ الياء، وقرأ يحيى بن وثّاب والأعمش وحمزة (يَلْحِدُونَ) بفتح الياء. وأصل الإلحاد: الجور، ثُمَّ صار في كُلّ شيء معوج ليس بمستقيم.

ومنه سمّي اللحد؛ لأنَّه في ناحية من القبر ليس في وسطه. ويقال: لحدت وألحدت عن عمل اللحد، وتقول: لحد الرجل في الله تعالى إلحادًا، وكلاهما مأخوذ من العدول والانحراف؛ فكأنَّ الملحد عدل عن التوحيد إلى الشرك، وعن الإثبات إلى التعطيل، وانحرف عن الإسلام ومال عن الْحَقّ.

(١) عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر (ت: ١٢٧هـ): تابعي ثقة في القراءات، صدوق في الحديث، من أهل الكوفة. أحد القرّاء السبعة. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أُمِّه. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٤٨/٣.



باب ٢١ في الأسماء

يقال: إنَّ الاسم مأخوذ من السموِّ والرفعة.

وقال الترمذي: الاسم هو التسمية وجميع العلم بالأشياء، فعلَّم الله ﷻ آدم عليه السلام الأسماء كُلّها، وأبرز فضيلته في العلم بها على الملائكة عليهم السلام حتى فزعوا إلى التسبيح فقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢).

فالاسم اسمه للشيء، والصفة ظهور الشيء، والاسم للنطق، والصفة للنظر، والاسم للإنسان، والصفة للعين.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) أي: أعطاه سمة كُلّ شيء، ليستدل به على مكنون كُلّ شيء وجوهرياته. /١٢١/

فأبدأ بذكر «بسم الله الرحمٰن الرحيم» وما جاءَ في إعرابها إذ كانت متقدّمة ومفتاح كُلّ كلام، ثُمَّ أذكر بعدها أسماء الله العظيمة، ثُمَّ من بعد ذلك أذكر مسائل التوحيد إن شاء الله، وبه التوفيق.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قال الفرَّاء: أجمع القرَّاء وكتَّاب المصاحف على حَذف الألف من اسم الله الرحمٰن الرحيم، وفي فواتح الكتب وإثباتهم إيَّاها في قوله تعالى:



﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ٧٤)، وَإِنَّمَا حُذفت من «بسم الله الرحمٰن الرحيم» في أوَّل السورة والكتب لأَنَّهَا وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناها، فاستحقَّ طرحها؛ لأَنَّ من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه، وأثبت في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ لأَنَّه لا يلزم هذا الاسم ولا يكثر معه، فكثرتها مع «بسم الله» تعالى، ألا ترى أنك تقول: «بسم الله» عند ابتداء كُلّ فعل تأخذ فيه من مَأكل ومشرب أو ذبيحة، فخفَّ عليهم الحذف لمعرفتهم به. فلا تحذف ألف «اسم» إذا أضفتها إلى غير الله، ولا تحذفها مع غير الباء من الصفات، وإن كانت تلك الصفة حرفًا واحدًا مثل: اللام والكاف، فتقول: لاسم الله حلاوة في القلوب، فليس اسم كاِسم الله، فيثبت الألف في اللام والكاف؛ لأَنَّهما لم يستعملا كما استعملت «بسم الله الرحمٰن الرحيم».

وَقِيلَ: إِنَّمَا حذفت عند النحويين؛ لأَنَّها ألف وصل، وكذلك ألف الله الثانية، وألف الرحمٰن، وَمِمَّا كثر في هذا قولهم: «إيش عندك؟» يريدون: أيّ شَيْء عندك؟ متَّصلًا، فحذفت لإعراب شَيْء واحد، ثُمَّ حُذفت الهمزة في شَيْء وكسرت الشين وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا أحصيه.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ (العلق: ١): إنَّ الباء موضع العين، كأنَّه قال: اقرأ على اسم ربّك.

وقال الأخفش: إِنَّمَا أسقطوا الألف من اسم الله؛ لأَنَّها ألف وصل، وقد أخطأ، [فإن] ألف الوصل في الله لا تسقط في الخطِّ إِنَّمَا تسقط في اللفظ، وَإِلَّا فإنَّا قد وجدناهم كتبوا: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ (الكهف: ٣٢) بألِف، وكذلك ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾ (لقمان: ١٣).

مسألة: [في بداية البسملة بالباء]

إن قال قائل: لِـمَ بدأ بالباء فِي «بسم الله» وهي حرف جرٍّ، وحروف الجرِّ لا يبتدأ بها؟

قِيلَ لَه: إنَّ قَبْل الباءِ فعلًا مقدَّمًا مضمرًا يتعلَّق به الباء، وهو: أبتدئ بسم الله الرحمٰن الرحيم، وكُسِرت الباء في هذا الموضع من سائر حروف الجرِّ له معنى، والباء معناها الإلصاق؛ لأَنَّها تلصق الأفعال بالأسماء.

وكسرت الباء من «بسم الله الرحمٰن الرحيم»؛ لأَنَّ الباء لا تعمل إلَّا جرًّا فكسرت اتباعا لعملها، و«بسـم الله الرحمٰن الرحيم» مجرورة بالباء الزائدة، والإضافة بهـا إلى الله، «الرحمٰـن الرحيم» نعت لله، والدليـل على أن الباء زائدة: أنك تقول في التصغير: سُـمَيّ فتذهب الباء، والباء عوض من الألف، وذلك أنك تقول في اسم الله[1]، فهذا دليل ذلك.

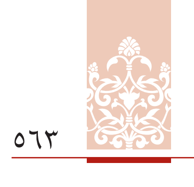
قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[2] (الأعلى: ١)، وَإِنَّمَا جرَّت الباء ما بعدها للإضافة، والإضافة تكون بإضافة اسم إلى اسم، وبإضافة حرف إلى اسم؛ فإذا قلت: زيد كعمرو، أضفت المشـبّه إلى عمرو بالكاف، وإذا قلت: انتهيت إلى بكر، أضفت الأسماء إلى بكر بإلى، فجرت الباء على معنى الإضافة.

وكسرت الباء من «بسم الله الرحمٰن الرحيم»؛ لأَنَّ الباء لَـمَّا كانت لا تعمل إلَّا جرًّا كسرت هذه الباء من اسم الله؛ لأَنَّها بيِّنة كما تقول: ب ت ث.

وقال أبو زكريا: كسرت هذه الباء التي في «بسم الله»؛ لأَنَّ الكلامَ يخرج من ثَلاثة عشر طريقًا للحلق والحنجرة وبالشفة، وإذا خرج حرفان من طريق

---

(١) كذا فِي جميع النسخ، والعبارة برمتها غير واضحة وفيها نظر.
(٢) أين الباء في هذه الآية لعله يقصد آية الواقعة أو الحاقة أو العلق.



واحد أدغم الأَوَّل في الثاني للخروج؛ لأَنَّ السين يَخرج من الأسنان، والثاء من طرف الأسنان، والفاء من الشفتين، والقاف من الحلق، والهاء /١٢٢/ من الصدر، والألف من الرأس، وذلك أن القلب ساكن، فإذا همَّ الإنسان بالكلام تحرَّك القلب، فإذا تحرَّك القلب تحرَّك اللسان، واللسان بني على الحركة؛ فأوَّل ما يخرج من فيك متحرّك، فقلت: «بسم الله» فأخرجته من فيك إلى أخف الحركات، وهي الكسرة، كسرة الباء مع الفتحة.

وقال قوم: كان الأصل فيه: أبدأ بسم الله، فَلَمَّا ذهب الباء الذي في أوَّل الكلام تركوا الباء الثاني. ومن شأن العرب حذف الفعل إذا كان فيما بقي دليل على ما ألقي، فمن ذلك قولهم: إذا رأوا رجلا في هيئة الْحجَّ قالوا: مكَّة والله؛ فأضمروا، يريد مكَّة. وقولهم في اليمين: تالله، يريدون: أحلف بالله. وقولهم لمن اعترض على الطريق: الطريق، يريدون: خلِّ الطريق. فقول القائل: «بسم الله» مَعلوم أَنَّهُ مضمر فيه فعلا، وقد أظهر الشاعر هذا المعنى بعد ذكر «بسم الله» فقال:

باسم الإلٰه[1] وبه بَدينَا ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِينا[2]

بَدينَا لغة، والأَوْلى: بدأنا.

فإن قال قائل: فما معنى قولهم: «بسم الله» الأَوَّل بالله وأبتدئ بالله ولم يحتجْ إلى اسم[3]؟

قيل له: إِنَّمَا أمر النَّبِيّ ﷺ أن يبدأ باسم كما قال له جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحال

(١) فِي (ت): الله. وفي (س): «الله خ الإلٰه» وهو ما جاء فِي كتب اللغة.

(٢) البيت من الرجز ينسب إِلَى عبدالله بن رَواحة. انظر: جمهرة اللغة، ١٠١٩/٢. وانظر: كتب اللغة، مادة: (بدو، بدي).

(٣) كذا في النسخ والعبارة غير واضحة.

للباء معنـــى[١] الابتداء، كأنك قلت: بدأت باســـم، إِلَّا أَنَّه لم يحتج إلى ذكر بدأت؛ لأَنَّ الحال ينبئ كأنك مبتدئ.

وزعم ســيبويه أَنَّ معنى الباء: الإلصاق، تقول: كتبــت بالقلم، والمعنى: الكتابة ملصقة بالقلم، وهي مكســورة أبدًا؛ لأَنَّه لا معنــى لها إِلَّا الخفض، فوجب أن يكون لفظها مكســورًا ليفصل بين ما يجرّه وهو اسم، نحو كاف كزيد؛ لأَنَّ أصل الحرف الذي يتكلَّم بها، وهي على حرف واحد والفتح أبدًا إِلَّا أن تجيء علَّة تزيله؛ لأَنَّ الحــرف الواحد لا حظَّ له في الإعراب، ولكنَّه يقع مبتدأ في الكلام، ولا يبتدأ بساكن فأجيز الفتح؛ لأَنَّه أخفّ الحركات.

والعرب تقول: هذا اِسم، وهذا أُسم، وهذا سِمْ، وهذا سُمْ.

قال الراجز:

بِاســم الذي في كُلّ سورة سُمُهْ   [قد وردت علــى طريق تعلّمه][٢]

وروى أبو زيد الأنصاري وغيره من النحويين: سُمُه.

ومن قال: إن اســما مأخوذة من السِّــمَة فهو غَلط؛ لأَنَّــه لو كان لكان الكاف تصغيره إذا حذفت منه الألف الوصل وسمي[٣]، كما أن تصغيره عِدَة وصِلة: وُعَيْدَة ووُصَيلَة والميم مشــددة؛ لأَنَّ فيها ميمين، ودليل الميم فيها ميمان.

وأدغم الرحمٰن الرحيم؛ لأَنَّهما مختلســان؛ لأَنَّــك تقول: رحمٰن رحيم؛

(١) فِي (ت): يعني.
(٢) البيت من الرجز نسبه ابن سيِّده فِي المحكم والمحيط الأعظم (٦٢٤/٨) عن الكسائي قال عن بعض بني قضاعة. وإضافة الشــطر من: الإنصاف في مســائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، ١٦/١. وانظر البيت أيضًا فِي كتب اللغة مادة: سمو.
(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب ما جاء في تهذيب اللغة لو كان اســم من سمته لكان تصغيره «وُسَيما» كما أن تصغير عِدَة وصِلة: وُعَيْدَة وفُصَيلَة. انظر تهذيب اللغة ولسان العرب (سمو).

فتذهب الألف واللام، ذلك موجود في القرآن؛ قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: ١٤) فأدغم اللام عند الراء.

إن قيل: ما تقول في قول لبيد؟

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السّلَامِ علَيكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كاملًا فقدِ اعتذرْ(١)

قيل له: فيه قولان في الإعـــراب، وقولان في المعنى، فإنَّ الســـلامَ مِن أسماء الله ﷻ؛ فكأنه قال: ثُمَّ باسم السلام عليكما.

والآخر: أن يكون معناه: ثُمَّ تســـمية الله عليكمـــا، والناس مختلفون في ذلك، فمن قال: إن معنى «بســـم الله» هو الله، فهو مذهب من زعم أن الاسم هو المسمَّى.

قال آخَرون: الاســـم غير المســـمَّى، وأن معنى قول لبيد أَنَّهُ ذكر الاسم وأراد المسمَّى على مجاز اللغة وسعتها.

قال آخَرون: إنّ اســـم الله تعالى هو الله ولا غير الله، وعند هؤلاء أنَّ هذه صفة له ولذاتـــه؛ فَأَمَّا إعرابه فيكون رَفعًا، ومعناه الإغـــراء بـ«عليكما»، فلَما قدَّم المغرى [به] ـ والمغرى [به] لا يتقدَّم على عامله ـ أضمر هذا، والمعنى موجود، كما قال الشاعر:

يـــا أَيُّهَـــا المائح دلـــوي دونكا [إنِّي رأيت النـــاس يَحمدُونَكَا](٢)

أراد: هذا دلوي. والمائح: المستقي للقوم على البئر. والمائح: الذي [ينزل في البئر و]يجعل الماء فِي الدلو لقلَّته ثُمَّ يجذبه المائح من أعلى. قال:

---

(١) البيت من الطويل للبيد بن ربيعة العامري فِي ديوانه، ص٤٢.

(٢) البيت من الرجز لم نجد من نسبه. انظر: القالي: الأمالي فِي لغة العرب، ٢٤٨/٢. ابن الأنباري: الزاهر، ٧٩/٢.



لَــه مَاتِــحٌ يَرْضَــى بِقِلَّــةِ مَائِهِ وَلَمْ يَكُ يَرْضَى قِلَّةَ الْمَاءِ مَائِحُ[(١)]

ويجوز النصب على قوله: اِلزَمَا اسم الله، ثُمَّ حذف.

فإن قال: فما معنى اسم الله؟ قيل: ابتدِئ بتسمية الله.

فإن قال: فإن التسمية مصدر؟ قيل: /١٢٣/[(٢)] قد توضع الأسماء لمصدر موضع الأسماء كما توضع الأسماء موضع المصدر؛ لقول الشاعر:

أَظُـلَيــمُ إِنَّ مُصابَـكُــم رَجُــلًا أَهــدى السَّــلامَ تَحيَّــةً ظُلُمُ[(٣)]

يريد: إصابتكم.

الله عَزَّوَجَلَّ

عن ابن عباس أَنَّهُ قال: الله ذو الإلٰهيّة وهو الذي يأله الخلق إليه أجمعون، أي: يعبدونه، وتَواله الخلق أجمعين، وقرأ ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، يريــد: وعبادتــك. وقيل: كان فرعــون يُعبــد ولا يَعبد. وكذلــك يروى عن عيسى بن عمــرو أَنَّه قال: الله إلٰه الإلٰه[(٤)]، ومن هــذا يقول قول العرب: فلان يتألَّه لفلان إذا تعبَّد له. قال رؤبة:

لله درُّ الـغـانـيَــات الـمُــدَّهِ سَبَّحنَ فَاسترجعنَ مِن تألُّـهي[(٥)]

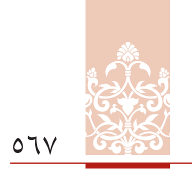
(١) البيت من البسيط لم نجد من ذكره.

(٢) الأصل أن تكون هذه بداية الصفحة ١٢٣ من المخطوطة (س) المعتمدة عندنا كأصل، لكن سقطت ورقة كاملة ـ صفحتان ـ، وقد جرينا على ترقيم المخطوطة كما هو مدوَّن، وسيكرر الرقم لهذا السبب.

(٣) البيت مــن الكامل ينسب للحارث بــن خالد بن العاصي المخزومــي. انظر: صدر الدين البصري: الحماسة البصرية، ٢١٦/٢. والتبريزي: ديوان الحماسة، ٩١/٢. وجاء فِي اللسان وتاج العروس (صوب) بلفظ: «أَسُلَيْمَ». وجاء أيضًا بلفظ: «أظلوم».

(٤) لعلّ الصواب: «عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: الله إلٰه الآلهة». كما في: تفسير الطبري، ٥٤/١.

(٥) البيت من الرجز لرؤبة بن العجاج، انظر: ديوانه. انظر: العين، جمهرة اللغة، تهذيب اللغة، (مده). والموسوعة الشعرية.



والمدَّه: مدح، والمدَّه في نعت الجمال والهيئة وفي كُلّ شيء عام، يقال: مدهه ومدحه بمعنى.

واسترجعن: قلن إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وقوله «تألُّهي» يريد: تعبّدي؛ فعلى هذا القول أَلَه الله الخلق أي: تعبَّدهم. والعبد تألهه الآلهة، كقولك: عبدَه يعبده عبادة.

وذهب قوم إلى أن الله الإلٰه اشتقاق اسمه من الولهان، وهذا عندنا خطأ، فلو كان هكذا [لكان] كُلّ ما وَلَهَ الإنسان لأجله يجب أن يَكون إلٰهًا له.

والإله عندنا هو الذي تجب له العبادة وتحق له، وهو الله الذي لا إلٰه إلَّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمَّا يصفون.

واختلف في اسمه عَزَّوَجَلَّ «الله» [مِن] الآلهة قال قوم مأخوذ. وقَال قوم: من الولهـان؛ لأَنَّ القلوب تألَه إليه عنـد الفزع والكرب والخـوف؛ فيجوز أن تسمِّيه المألوهة إليه إلٰهًا، كما قالوا للمؤتمِّ: إمامًا. وقال قوم: الإلٰه الذي يحقّ له العبادة. وقال قوم: هو اسـم سمَّى به نفسـه على سبيل الاختصاص، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ (مريم: ٦٥)، ولهـذا لا يجوز أَنَّهُ إلٰه الآلهة؛ لأَنَّ الإلٰه هو الذي يحقّ له العبـادة، ولا إلٰه يحقّ له العبادة غير الله[1]، فلذَلِكَ لم يجز، وإلى هذا يذهب أصحابنا، والله أعلم.

وقيل: إنَّ ابن عباس كان يقرأ: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّـمَاء الله وَفِي الأَرْضِ الله)[2] ويقول: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ (مريم: ٦٥)، ولهذا لا يجوز.

(١) فِي (ت): + «وفي نسخة إلا الله تبارك وتعالى».

(٢) الزخرف: ٨٤. وهذه القراءة قرأ بها عمر بن الخطاب وجابر بن زيد وأبو شـيخ والحكم بن أبي العاصي وبلال بن أبي بردة وابن مسعود ويحيى بن يعمر وابي بن كعب وابن السميفع. ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٦٦/٥.

وقيل: معنى الله الذي تألَه القلوب إليه في حوائجها، وهذا أصل الأسماء كُلّها، ومنه خرج جميع الأسماء.

واختلف النحويون فيه؛ فقال سيبويه: كان إلٰه على فِعَال فأدخلوا الألفَ واللام فقالوا الإلٰه، ثُمَّ خففوا الهمزة وأدغمت اللام فِي اللام فقالوا الله ﷻ.

قال: ومثل هذا قولهم: أناس، ثُمَّ أدخلوا الألف واللام فقالوا: الأناس، ثُمَّ خفَّفوا الهمزة فقالوا: الناس، وقد يجيء منه[1] على الأصل. قال الشاعر:

إِنَّ الْـمـنـايـا يَـطَّـلِـعـن عـلَـى الأُنَـاس الآمـنـيـنـا[2]

فعلى مذهب سيبويه أَنَّ الألف واللام كأنهما عِوض من الهمزة المحذوفة، وقد صارتا كأحد حروف الاسم لا يفارقانه، ولا يجوز حذفهما منه؛ لأَنَّ اسمه تعالى مباين لسائر الأسماء، وهو منفرد به وحده لا يشركه في هذا الاسم أحد غيره، تعالى الله علوًّا كبيرًا.

ومِنَ العرب من يقول: لاهَ أبوك[3]، يريدون: لله أبوك، فحذف إحدى اللامين، قال الشاعر:

لاهِ ابن عمّك لا أفضلت في حسب عنِّي ولا أنتَ دَيَّانِي فَتَخزُونِي[4]

يريد: لله ابن عمّك، فحذف اللام. وقوله: «ديَّاني»، أي: مالكي. وقوله: «فتخزوني» أي: تقهرني وتذلُّني، من خزا يخزو خزوا، ويقال: خزاه بمعنى سَاسَه. وكره هذا القول في الإسلام.

(١) فِي (ت): «منه خ به».
(٢) البيت من مجزوء الكامل ينسب لذي جدن الحميري. انظر: أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، ١٤/١ (ش). البغدادي: خزانة الأدب، ٢٥٢/٢.
(٣) في النسخ: «وأبوك» وهي زائدة. انظر: الأصول في النحو لابن السراج، ١١٤/٢.
(٤) البيت من البسيط لذي الأصبع الحدثان بن الحارث العدواني. انظر: ابن سيِّده: المحكم والمحيط الأعظم، ٢٨٣/٥.

قال الخليل: لا يطرح الألف من الاسم إنَّمَا هو الله على التمام، وليس من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاق فِعل، كَما تقول: رحم يرحم.

وقال آخَرون: إنَّهُ كان لاه علَى فَعَل، فدَخل الألف واللام فصارَ لفظه كما ترى، وهذا الذي يختاره أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد[١].

ومنهم: من يدخل الميم في لَاه فيقول: لاهم، وقال الراجز:

لاهُمَّ هذا خامِسٌ إن تَمّا   أَتَمَّه اللهُ وقد أَتَمَّا
إن تَغفِر اللَّهُمَّ تغفر جمًّا   وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا[٢]

وقال فِي بيت: اللَّهُمَّ. وقولهم: «اللَّهُمَّ» فيه قولان كما قال الكوفيون، معناه: يا الله، أُمَّنَا بخير، أي: اقصدنا منك بخير، فحذفت الهمزة واتَّصل الميمان في آخر الاسم عوضًا من باقي أوَّله، ومن شأنهم العوض في كثير من كلامهم.

واستبعد قول الكوفيين فقالوا: مَا الدليل على حذف الهمزة، ولِمَ حُذفت «يَا» مِن أوَّله؟ وأين ألحقوا الذي معناه وأُمَّنَا مِنك بخير؟ لِم قالوا: إذا اضطرَّ شاعر جاز له أن يجمع بين العوض والمعوّض منه، كما جاز صرف ما لا يَنصرف؛ فلا حجَّة للكوفيين في قول الشاعر:

إنِّي إذا ما حَدَثٌ أَلَّما   دَعَوْتُ يااللَّهُمَّ يا للَّهُمَّا[٣]

(١) في النسخ: «محمد بن زيد»، ولعل الصواب ما أثبتنا وهو: أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي (ت: ٢٨٦هـ): إمام العربيَّة ببغداد، وأحد أئمَّة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه: «الكامل» و«المذكر والمؤنث» و«المقتضب» و«التعازي والمراثي» و«شرح لامية العرب»، و«إعراب القرآن» و«طبقات النحاة البصريِّين». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٤٤/٧.

(٢) البيتان من الرجز ينسبان لأبي خراش الهذلي وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة. انظر: لسان العرب، (لمم). البغدادي: خزانة الأدب، ٢٥٩/٢.

(٣) البيت من الرجز لم نجد من نسبه. انظر: المبرد: المقتضب، ٢٤٢/٤. المحكم والمحيط الأعظم، ٣٦٩/٤.

وقول آخر:

ومـــا عليـــك أن تقولـــي كُلّما ســـبَّحت أو صلَّيت يا اللهمَّ ما

اردُد علينـــا شـــيخنا مســـلَّمـا(١)

وعن الحسن قال: اللَّهُمَّ جمع الدعاء.

وبلغنا أنَّ اسم الله الأعظم هو: «الله» الذي لا إلٰه إلَّا هو وحده لا شريك له، واسم الله ﷻ قُدِّم على الرحمٰن الرحيم؛ لأنَّهُ اسم لا ينبغي إلَّا لله ﷻ.

وقيل: فـــي قوله ﷻ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ (مريـــم: ٦٥)، هل تعرف في السهل والجبل والبرِّ والبحر والمشرق والمغرب أحدا اسمه الله غير الله؟ لا إلٰه إلَّا الله.

وقيل: اسم الله الأعظم: «يَا ذا الجلال والإكرام».

وَقِيلَ: اسم الله الأعظم: «يا حيُّ يا قيُّوم».

أبي بن كعب قال: جميع أسماء الله تعالى بمعنى رُبوبيَّة الربِّ ﷻ.

قال: واسمه الذي هو اسمه الله.

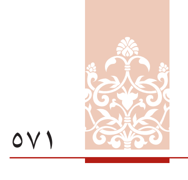
وقال جابر بن زيد: اسم الله تعالى الأعظم هو: «الله» ألَا ترى أَنَّه به يبتدأ.

الرحمٰن الرحيم

قال قوم: معنى الرحمٰن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين.

وعن ابن عباس: أن الرحمٰـــن رَحمان الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

(١) البيت من الرجز نسبه الحميري فِي الحور العين للأعشـــى، ١/٧ (ش) ولم نجده فِي ديوانه.



ومعناه: أن نعمه وفواضله تعمُّ الخلق فـــي الدنيا من مؤمن وكافر، وفي الآخرة يخصُّ بنعمه وفواضله وعطائه المؤمنين.

وقال: «الرحمٰن» العاطف بالبَرِّ والفاجر، و«الرحيم» بالمؤمنين.

وَقِيلَ: معناهما أَنَّهُما اسمان لوجود الرحمة منه.

ويقال: اسمان لطيفان من أسمائه ﷻ.

ويقال: رقيقان أحدهما أرقُّ مِن الآخر.

وقَال الحسن: الرحمٰن اسم ممنوع، معناه ممنوع التسمية.

وقد روي عن عطاء الخراســاني[١] قول جيِّد، وذَلِـكَ أن يقال: كان الرحمٰن اسم الله ﷻ، فَلَمَّا اختزل أضيف إليه الرحيم ليكون له دون كُلّ أحد.

ومعنى هذا القول: أَنَّ «الرحمٰن» كان اسم الله ﷻ، فَلَمَّا تسمَّى به مُسَيلمة الكذَّاب أضيف إليــه «الرحيم»؛ ليكونا له دون كُلّ أحــد، ويكون «الرحمٰن الرحيم» يجتمعان له ﷻ لَا لغيره.

ووجه آخر: تكريرهما أَنَّ الرحمٰن أشدّ مبالغة في معناه في وجهين:

أحدهما: أنَّ فَعلَان مِن أبنية المبالغة، كقولــك: غضبان للممتلئ غضبًا، وسَكران للمنزوف سُكرًا [٢]، وكذلك ما أشبهه.

ووجه آخر: أن أسماء الفاعلين إذا جَرت على أفعالهم لم يكن فيها معنى المبالغة، فضمَّ التكرير لتكرير المبالغة.

---

(١) عطاء الخراساني هو: عطاء بن أبي مسلم، وهو ثقة، وضعفه بعض الأئمة. وهو كثير الرواية عن التابعين، وكثير الإرسال عن الصحابة، في سماعه منهم خلاف.

(٢) المنزوف سكرًا: نفذ عقله بالسكر.

ولا يجوز لمخلوق أن يُسمَّى بالرحمٰن، وقد كانت العرب تعرفُ الرحمٰن، ألَا ترى قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ (الإسراء: ١١٠).

قال الشاعر:

ألا ضَربت تِلــك الفتاة هجينها ألَا قضَب الرحمٰــن ربِّي يمينها(١)

وقال آخر:

عجلتم علينــا إذا عجلنا عليكم وما قدَّر الرحمٰــن لا بدَّ واقع(٢)

وروي أن بعضَ العرب من المتقدِّمين كان /١٢٣/ يســمع يُسَــمَّى بهذا الاســم، ولا يعلم أن أحدًا في الإسلام في شــريعة النَّبِيّ يُسَمَّى بهذَا الاسم غير الله ـ تبارك وتعالى ـ.

وقيل: قُدِّم الرحمٰن على الرحيم؛ لأنَّ الرحمٰن اسم خاص، والرحيم اسم مشترك.

يقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمٰن، فقدِّم الخاص على العام.

وقال أبو عبيدة: «الرحمٰن» مجازه: ذو الرحمــة، و«الرحيم» مجازه: الراحم، وهو بمنزلة ندمان ونديم، وقد يجيء اللفظان مختلفين والمعنى واحد، وأنشد:

فإنْ كنتَ نَدْماني فبالأكبرِ اسْقِني وَلَا تَسْقِني بِالأَصْغَــرِ الْمُتَثَلِّمِ(٣)

---

(١) البيت من الطويل للشنفرى في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، وابن دريد فِي الاشتقاق، (١٩/١ الشــاملة) بلفظ: «لَقَد لَطَمت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها... أَلَا بَتَر الرَّحمنُ رَبِّي يَمينَها». وجاء بلفظ المؤلف عند الجليس الصالح والأنيس الناصح لمعافى بن زكريا، (٣٠٦/١ الشاملة).

(٢) البيت من الطويل لسلامة بن جنــدل الطهوي فِي ديوانه، (ص١٢) بلفــظ: «عجلتم علينا حجتين عليكم ... وما يشأ الرحمٰن يعقد ويطلق».

(٣) البيت من الطويل للنعمان بن عدي بــن نضلة العدوي. انظر: ابن هشــام: السيرة النبوية، ١٣/٥. العقد الفريد، ٣٨٣/٦. الصحاح في اللغة، (ندم).

وقال آخر:

رُزِئنَـا أَبَا حَرْبٍ وَلَا حَـيَّ مِثْلَهُ   وكان أَبو حرب أَخي ونَدِيمي[١]

وقد أنكر العلماء على أبي عبيدة قوله: «مجازه ذو الرحمة»؛ ومعناه: أن الرحمة لازمة لــه لا تفارقه ولا تغيّره، ولا إذ قــال: «الرحيم مجازه الراحم» فهو: اسم الفاعل من رحيم، واسم الفاعل: قد يكون ماضيًا وحالًا ومستقبلًا؛ فهذا القول منه يوجب الفرق بينهما، ثُمَّ قــال بعدها: «بمنزلة نَدمان ونديم» فجعلهما بمعنى واحد بعدما جعلهما لِمعنيين، وهذا لعمري قول يوجب الردّ على قائله.

وعن ابن عبَّاس؛ أنَّ الرحمٰن الرحيم: القريــب مِمَّن أحبَّ والبعيد مِمَّن عانده.

والأمَّة مجتمعة على أن «الرحمٰن الرحيــم» من القرآن، وأنَّه لا اختلاف بينهم في ذلــك، وموضعهما من الإعــراب الجرّ؛ لأنَّهمــا صِفتان لله ﷻ، والصفة تتبع الموصوف.

وصفاتُ الله ﷻ يجوز أن تتبع الأســماء في إعرابها، ويجوز أن تنصبها على المدح بإضمار «أعني»، وترفعهما بإضمار «هو»، والمدح والذمّ كثيران في كلام العرب شــائعًا، فعلى هذا يجوز أن يقول: «الرحمٰن الرحيم»، فيتبع إعراب الاســمِ المبتدأ قَبله وهي القراءة، ويجوز في العربية رفعها ونصبها، فالرفعُ بإضمار «هو»، والنصب بإضمار «أعني» على المدح، وهو جائز كثير، ولا يقرأ به؛ لأَنَّ القراءة ســنَّة متبعة يأخذها الآخِر عــن الأَوَّل، وَأَمَّا جوازه فَيجوز على ما جاء في العربية.

(١) البيت مــن الطويل للبريق الهذلي بلفظ: «أبا زيــد... وكان أبو زيد...». انظر: لسان العرب، وتاج العروس، (ندم).

وقال ابن خياط العكلي[١]:

وَكُلُّ قـوم أطاعوا أمر سـيدهم إلَّا نمير أطاعت أمـر غاويها
الظَّاعنـون ولما يُظعِنـوا أحدًا والقائليـن لمـن دارٌ نُخَلِّيها[٢]

ينشـد الظاعنون والقائلون نصبًا ورفعًا، ويرفـع أحدهما وينصب الآخر على ما ذكرنا من المدح.

وقال آخر في الذمِّ وهو عروة بن الورد[٣]:

سَـقَوْنِي الْخَمْـرَ ثُـمَّ تَكَنَّفُونِي عُـدَاةَ اللهِ مِن كَـذبٍ وزور[٤]

فنصبه على الذمِّ ومثله كثير.

وعن ثعلب أنَّه قال: رحمٰنٌ بالعبرانية، فعرّب ثُمَّ أضيف إليه الرحيم وهو اسم عربي. فاجتمع من الاسم الذي كان عبرانيًا اسم عربي، وأنشد لجرير:

لن تدركوا المجدَ أو تشروا عباءَكم بالخزِّ أو تجعلوا الينبوتَ ضمرانا
أو تتركون إلى القَسَّيْن هِجْرَتَكم ومَسْحَكم صُلْبَهُم رَحْمَن قُرْبانا[٥]

---

(١) فِـي النسخ: «أبو الخيـاط العلكـي»، والصواب: مالك بـن خياط بن مالك بـن أقيش العكلي الجاهلي: عقد حلف الرباب وكان يهجو بني نمير. انظر: المرزباني: معجم الشعراء، ٨٠/١ (ش).

(٢) البيتان من البسيط لابن خياط العكلي، جاء بلفظ: «أمر مرشدهم». انظر: سيبويه: الكتاب، ١٠٤/١. البغدادي: خزانة الأدب، ١٢٩/٢ (ش).

(٣) عُروة بن الورد بن زيد العبسي (ت: ٣٠ق.هـ): من غطفان. من شـعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادهـا. كان يلقـب بعروة الصعاليـك لجمعه إياهـم وقيامه بأمرهـم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبدالملك بن مروان: من قال إن حاتمًا أسـمح النـاس فقد ظلم عروة بن الورد. له: ديوان شعر، شرحه ابن السكيت. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٢٧/٤.

(٤) البيت من الوافر لعروة بن الورد غناه في سلمى امرأته الغفارية حيث رهنها على الشراب. انظر: سيبويه: الكتاب، ٧٠/٢. لسان العرب، مادة: (نسأ).

(٥) البيتان من البسيط لجرير فِي ديوانه، ص٦٦٣.

فأتى به عَلى أصله. ويروى:

أو تتركون إلى القسِّين هجرتكم ومسحكم صلبكم رحمٰن قربانا[٦]

والينبوتُ: شجر الخشخاش، الواحدة ينبوتة.

والضمران: من وَرق الشجر. والضومران والضيمران لغة، وهو: نوع من الريحان.

وهذا الشعر من جَرير تعريض بالأخطل في مُهاجاته له؛ لأنَّ الأخطلَ كان نصرانيًا، والذي ذكره جرير هو من فعل النصارى.

الـربُّ

الربُّ: الذي ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، كقولك: رب الدار.

ويكون الربّ السيد، كقوله ﷻ: ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ (يوسف: ٤١)؛ معناه سيِّده.

والربُّ: المصلِح، والمربوب: المصلَح.

وقال الفرزدق:

كانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنتْ سِلاءَها فِي أدِيم غَيْرِ مَرْبُوبِ[٧]

أي: [أديم] غير مُصلَح.

وقال طرفة:

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفنَّ حتى تشاد بقُرمد[٨] /١٢٤/

(٦) ورد عجزه بهذا اللفظ في: تفسير البحر المحيط، ٢٧٢/٣. وشرح قطر الندى لابن هشام ٢٦٥/١. والزاهر لابن الأنباري، ٥٩/١. وتهذيب اللغة، (رحم).

(٧) البيت من البسيط للفرزدق فِي ديوانه، ص٢٥. وانظر: الصحاح فِي اللغة، واللسان، (سلأ).

(٨) البيت من الطويل لطرفة بن العبد فِي ديوانه، ص٣.

أي: مالكها.

والقرمد: الآجر، واحدتها قُرمَدَة، وهي أعجميَّة عرِّبت، وأصلها قُرمديّ بالرومية فأعربته العرب، وهو آجر الحمّامات.

والعرب تسمِّي السيِّد: ربًّا. وقال الحارث بن حلّزة[١]:

وهو الـرَبُّ والشـهيدُ على يَوْ   مِ الحِيارَيْـنِ والبَـلاءُ بَـلاءُ[٢]

وقال في الربِّ: إنَّه المالك.

وأَنتَ امرؤٌ أَفْضَتْ إِليكَ أَمانَتِي   وقَبْلَكَ رَبَّتْنِـي فَضِعْتُ رُبُوبُ[٣]

يعني: ملكتني ملوك فضعت حتى صرت إليك.

وفي الربِّ لغتان: ربٌّ بتشديد الباء، ورَبٌ بتخفيف البـاء، قال الفرَّاء: أنشدني المفضّل[٤] بالتخفيف:

وَقَدْ ذَكَـرَ الأَقْـوامَ أَنْ لَيْسَ فَوْقَه   رَبٌ غيرُ مَنْ يُعْطِي الحُظوظَ ويَخلُق[٥]

وقال أبو عبيدة في قوله ﷻ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ (يوسف: ٤٢)؛ يعني: عند سيِّدك من بني آدم، أي: مولاك.

---

(١) الحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي (ت: ٥٤ ق.هـ): شاعر جاهليٌّ من بادية العراق. وأحد أصحاب المعلَّقات. كان أبرص فخورًا، ارتجل معلقته بين يديّ عمرو بن هند ملك الحيرة، جمع بها كثيرًا من أخبار العرب ووقائعهم حتى صار مضرب المثل في الافتخار. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥٤/٢.

(٢) البيت من الخفيف للحارث بن حلزة فِي ديوانه، ص٨. وانظر كتب اللغة كالصحاح واللسان، (وبب).

(٣) البيت من الطويل لعلقمة الفحل ابن عَبدة التَّميميّ في ديوانه، ص٣. والزاهر في معاني الكلمات لابن الأنباري، ١٨٦/١. والمفضليات للضبي، ٣٩٤/١.

(٤) فِي النسخ: «وأنشد الفراء»، والتصويب من كتب الأدب واللغة. انظر: ابن الأنباري: الزاهر فِي معاني كلمات الناس، ٤٦٢/١. اللسان، وتاج العروس، (ربب).

(٥) البيت من الطويل، أنشده المفضّل فِي كتب اللغة والأدب السابقة.



وقال النابغة الذبياني:

فإن يك ربُّ أذواد بِحِسْمَى		أصابوا من لقائك ما أصابـ[ـوا][١]

ولا يقال للمخلوق: هذا الربّ؛ معرَّفًا بالألف واللام كما يقال لله ﷻ، بل يقال بالإضافة: ربُّ الدارِ، وربُّ البيت؛ لأنَّه لا يملك غير ذلك الشيء. فإذا قيل: الربُّ معرَّفًا بالألف واللام دلَّ ذلك على العموم واستغنوا به عن الإضافة؛ لأنَّه ﷻ ربّ كُلّ شيء ومالكه، فلا يضاف إلى شيء فيخص به دون غيره، وَأَمَّا المخلوق فيضاف إلى شيء خاص؛ لأنَّه لا يملك غيره، فيقال: ربّ الدار، وربُّ القوم، أي: سيِّدهم. وقال الأعشى:

وأهلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَةَ وابنَه		وربَّ مَعدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ[٢]

أي: رئيسهما وسيِّدهما، وقال آخر:

نَزورُ يَزيدَ وَعَبدَ المَسيحِ		وَقَيسًا هُمُ خَيرُ أَربابِها[٣]

أربابها: رؤساؤها، وربّ كُلّ شيء مالكه وصاحبه. وقال أبو ذؤيب:

فَدنَا لَهُ رَبُّ الكِلابِ بِكَفِّهِ		بيضٌ رِهابٌ ريشُهُنَّ مُقَزَّعُ[٤]

---

(١) البيت من الوافر ذكره ابن الأنباري بلفظه ولم ينسبه في: الزاهر، ٤٦٧/١ و٨١/٢. وذكره الثعلبي بلفظ مختلف ونسبه للنابغة. انظر: تفسير الثعلبي، ١١٠/١.
انظر: الموسوعة الشعرية. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر آدابه، ١٠٩٢/١. الجرَّاوي: الحماسة المغربية، ٧٥٢/١.

(٢) البيت من الطويل للبيد بن ربيعة فِي ديوانه، ص٣٥. والحيوان، ٣٢٩/١٦. وتفسير الطبري، ٦٢/١ وتفسير الثعلبي ١٠٩/١. ولم نجد من نسبه للأعشى كما ذكر المؤلف.

(٣) البيت من المتقارب للأعشى في ديوانه، (الموسوعة الشعرية).

(٤) البيت من الكامل لأبي ذؤيب في ديوانه، (الموسوعة الشعرية). انظر: ابن سيّده: المحكم والمحيط، ١٩٥/٢. لسان العرب؛ وتاج العروس، (رهب)، وقال: «والرَّهَبُ بِالتَّحْرِيك: الكُمّ بِلُغَةِ حِمْيَرَ».

والإنسان يكونُ ربًّا على الحقيقــة كما يَكون مالكها على الحقيقة، وفي الحديث: أن النَّبِيّ ﷺ قــال: «أربُّ إبل أَنتَ، أَم ربُّ غنــم؟» قال: «مِن كُلّ شَيء قَد آتَاني الله فَأكثَر وأَطيب»[1]؛ يعني: مالكها.

مسألة: [في جواز ربّ الأرباب]

وجائز أن يقــال: الله ربّ الأرباب؛ لأنَّ الربَّ المالــك، وها هنا أرباب مالكون في الحقيقة، والله ـ تبارك وتعالى ـ مالك لهذه الأرباب، فذلك جائز أن يقال: يا ربّ الأرباب، ولا خلاف بين أهل اللغة في ذلك؛ لأنَّهم يسمُّون مالك الدار: ربّ الــدار، ومالــك الأرض: ربّ الأرض، وقد جاء في بعض الأخبار أنَّ بعــض قريش وهو صفوان بن أميَّة الجمحــي[2]، قال يوم حُنين: لأَن يَرُبَّنِي رجل من قريش أحبّ إليَّ مــن أن يَربَّنِي رجل من هَوازن؛ يعني بذلك: أن لا يملكني فيصير لي مالكًا.

مسألة: [في جواز لم يزل اللّه ربًّا]

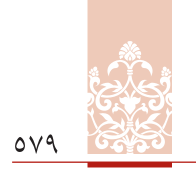
جائز أن يقال: لم يزل الله ربًّا للأشياء على معنى أنَّه مالك للأشياء.

ومعنى الملك: وهــو أن يُردَّ[3] إلــى معنى القدرة، وبعض لــم يجز ذلك،

(١) الحديث رواه أحمد عن الأحــوص عن أبيه فِي مسنده، ر١٧٢٦٧، ١٣٦/٤. والطبراني فِي الكبير، مثله، ر٦٢٢، ٢٨٢/١٩.

(٢) فِــي النسخ: الجهمي، والصــواب: صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشــي المكي، أبو وهب (ت: ٤١هـ): صحابــي، فصيح جواد. من أشــراف قريش في الجاهلية والإسلام. أسلم بعد الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم. وشهد اليرموك، ومات بمكة. له في كتب الحديث ١٣ حديثًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٥/٣.

(٣) فِي النسخ: «يقول خ يرد».



وأجازه أبو مالك[١]. والحجَّةُ له: أن قول: «ربّ» إنَّمَا هو مالك، فهو تبارك وتعالى مالك لِما لا يُوجَد فهو قادر على إيجاده، فهو ربّ، معناه: مالك لما يوجده.

وقد قال الله ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، ويوم الدين لم يوجد بعد.

وقال أبو مالك: ويجوز أن يقال: لم يزل المتكلِّم.

وقال أبو مُحَمَّد: إِنَّ بعض المتكلمين قال: لا يجوز أن يقال: لم يزل متكلمًا لمكلّم سيكون، كما جاز أن يقال: لم يزل إلٰهًا لمألوه سيكون. وربًّا أي: مالكًا لمربوب سيكون، وهذان الآخران جائزان في قولنا، ويعجبني ما قال في الكلام: إنَّه مثلهما، وفيه نظر.

فصل: [في نداء الرب]

ويقال في الدعاء: يا ربّ، بإسقاط الألف واللام، وقد يقال في النداء: ربّ؛ قال الله ﷻ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، و﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وقد جاءَ في القرآن أيضًا بالياء في النداء ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ (الفرقان: ٣٠) معناه: الإضافة إلى يا المخبر عن نفسه، /١٢٥/ ربّ وربَّاني.

قال أبو عبيدة: وبنو تميم يقولون: «يا ربّ»، وأنشد:

يا ربّ إن أخطأتُ أو نسيتُ   [فَأَنتَ لا تَنسى وَلا تَموتُ][٢]

---

(١) أبو مالك، غسان بن محمد بن الخضر البهلوي الصلاني (حي: ٣٢٠هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٢) البيت من الرجز ينسب لرؤبة ولوالده العجاج في ديوانيهما، (الموسوعة الشعرية). وينسب لرؤبة في كتب اللغة والأدب. انظر: ابن جني: الخصائص، ١/٢٨٦. لسان العرب، وتاج العروس؛ (خطأ).

ولا يضيفـون بالياء، وربما أضيف إلى الجميع يا ربنا، وربّنا، قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ (آل عمران: ١٤٧)، وإنَّمَا حذفوا الألف واللام عند الدعاء؛ لأَنَّ كُلّ شيء فيه ألف ولام يُدعى بـ«يَا أَيُّهَا»، وإنَّمَا «يا أَيُّهَا» المخاطب المشاهد المدرك المشار إليه، والله تعالى لا يدركه مخلوق ولا يشاهده، فحذفت الألف واللام عند ذلك للدعاء؛ فقيل: يا ربِّ، يا رحمٰن، يا رحيم.

مسألة: [الألف واللام في اللّه]

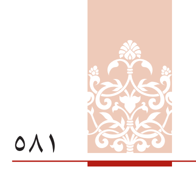
فإن قيل: فإنَّ الله فيه ألف ولام فقد دعا به ولم يسقط منه الألف واللام؟

فيقال: هما في الاسم كأنَّهما من نسج الكلمة، ألَا ترى أنك إذا رددته إلى أصله قلت: يا إلٰهي، كما أُسقطت من الربِّ.

ووجه آخر: إنّ هذا الاسم هو له خاص لم يسمّ به غيره فلزمه الألف واللام؛ لأنَّ الألف إنَّمَا أسقطت من الاسم الذي يكون في حال الخصوص مَرَّة، كقولك: ربّ الدار، وفي حال العموم كما جاء في صفة الله قيل: الربّ؛ أي: هو ربّ كُلّ شيء، والله ﷻ اسم لا يكون لغيره فلزمه ولم يسقط عنه في شيء من الأحوال، وإنَّما سقطت من الإلٰه في حال ما؛ لأَنَّ العرب كانت تقول لأصنامها: آلهة، وَكُلُّ صنم كان ينسب إلى قوم فيقال: إلٰه بني فلان، فَسقطت الألف واللام التي في أصل الكلمة، فإذا أردت به الله ﷻ قلت له: إلٰه الخلق، لَا إلٰه غيره.

مسألة: [في جواز لم يزل اللّه سيِّدًا]

وجائز أن يقال: لم يزل الله سيِّدًا؛ ومعنى ذلك أنَّه ربّ مالك، لأَنَّ مالك العبد سيِّده، ولهذا قيل لأكابر القبائل: سادة، أرادوا بذلك أنَّهم



مَالكون لهـــم، وأنَّهم ينفذ عليهم أمرهم، والإنسان لا يُسَمَّى ســـيِّدًا على الحقيقة، وإنَّمَا سمي سيِّدًا بإضافة فيقال: سيِّد كذا مجازًا، لا يطلق فيقال: لِكُلِّ من سمّي ربّ شيء سيّد، فَأَمَّا سيِّد الحقيقة فهو الله ﷻ. فيجوز أن يقال لِكُلِّ ســيّد: ربّ إذا أريد به الإضافة، ولا يُسَمَّـــى بها مطلقًا إلَّا الله ـ تبارك وتعالى ـ.

وجائز: لم يزل الله ربًّا للأشياء وسيِّدًا لها وإلٰهًا.

وجائز: لم يزل مالكًا للأشياء كما أنَّه لم يزل قادرًا عليها.

وجائز: لم يزل مالكًا، [كما] جاز لم يزل مالكًا للأشياء، والمعنى واحدٌ بِه إثبات الملك والقدرة على الأشياء.

مسألة: [في جواز لم يزل الله إلهًا]

وجائز أن يقـــال: لم يزل إلٰهًا، وليس متعديًا إلى مفعـــول؛ لأنَّه إنَّمَا كان إلٰهًا لأنَّه تحـــقّ له العبادة، فإذا خلق من تجب له عبادتـــه قيل له: إنَّه إلٰه له، وهو إلٰه قبل أن يخلق أحـــدًا؛ لأنَّ هذا الوصف لا يجوز إلَّا له، فَلَمَّا كان الله ـ سبحانه ـ تحقّ له العبادة وجب أن يكون لم يزل إلٰهًا.

فإن قيل: فَما أنكرتم أن يكون إِنَّمَا كان إلٰهًا لأنَّه معبود يجب أن يُسَمَّى إلٰهًا على الحقيقة، فَلَمَّا كان ما عبده المشـــركون [لا] يجب أن يكون معبودًا على الحقيقة لم يجز أن يكون إلٰهًا لهم على الحقيقة(١).

(١) كذا فِي جميع النسخ؛ وفيها: + «قال غيره ـ لعله أراد ـ فإن قال: ما أنكرتم أن يكون، إنَّمَا كان إلٰهًا لأنَّه معبود فيجب أن يُسَمَّى كُلّ شـــيء عبده المشـــركون إلٰهًا لهم على الحقيقة؟ قيل له: فَلَمَّا كان ما عبده المشركون لا يجب أن يكون معبودًا لهم على الحقيقة لم يجز أن يكون إلٰهًا لهم على الحقيقة، والله أعلم». ويظهر أَنَّ هذه العبارة أصحّ وأوضح مِمَّا ذكر فِي المتن.

صحَّ ذَلِكَ أَنَّ الإلٰه لم يكن إلٰهًا؛ لأنَّه معبود، وإنَّمَا كان إلٰهًا من قبل أن يعبده أحد، وأنَّه إلٰه وإن لم يعبده أحد من خلقه. /١٢٦/

فإن قيل: فما أنكرتم أن يكون ما عبده المشركون إلٰهًا لهم على الحقيقة؟

قيل له: قد أبى الله ﷿ ذلك ورسـول الله ﷺ والمسلمـون جميعًا؛ لقول الله تعالى وقولهم جميعًا: لا إلٰه إلَّا الله، فلو كان غير الله إلٰهًا على الحقيقة ما جاز أن يقولوا هذا القول، كما لا يجوز أن يقولوا معبودا إلَّا الله، إذ كان الكفّار قد عبدوا غير الله، وقد بيَّن الله تعالى فـي كتابه أيضًا ما عبده المشـركون ليس بإلٰه لهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨ ـ ٩٩) فبيَّن بقوله هذا أنَّ ما عبده المشركون ليس بإلٰه لهم وإن كان معبودًا لهم.

فإن قيل: وكيف تحقّ له العبادة مِـمَّن لم يوجده؟

قيل له: تحقّ له العبـادة على معنى أنَّه إذا خلق الخلـق كان عليهم أن يعبدوه، كما وجب لذاته أن يوصف بأنَّه عالم وقادر كان إنَّمَا وجب له على من يخلقهم.

فإن قيل: فما معنى تسميتُكم له أنَّه الله؟

قيل له: معنى ذلك أنَّه الإلٰه، فحذفت الهمزة الثانية فلزم إدغام أحد اللامين في الأخرى، فوجب أن يقال: إنَّه الله، كما يقال: إنَّه الإلٰه لا إلٰه إلَّا هو.

الواحد الأحد

الواحد فـي الحقيقة: هو الـذي لا ينقسم في وجود، وهـو الفرد الذي لا ثاني له، والواحـد أيضًا لا ثاني له في لفظه، لا يقـال: واحدان، وكذلك لا يشبهه شيء يكون له ثانيًا.

وقيل: إنَّمَا قيل له: واحد؛ لأنَّه ﷻ لم يزل قبــل الخلائق متوحّدًا [فِي] الأزل لا ثاني معه، ثُمَّ خلق الخلق، فــكان ثانيًا محتاجًا بعضهم إلى بعض، وتوحَّد هو بالغناء عن جميع خلقه؛ لأنَّه كان قبل كُلّ شـــيء، فالأوَّلية دلَّت على الوحدانية إذ لم يكن قبله أحد فتوحَّد بالأوَّلية كما توحَّد هو بها فتكون ثانيًا لذلك الشـــيء الذي تقدَّمه، بل كان هو الأَوَّل السابق بالوحدانية، وكان الخلق ثانيًا بالابتداع.

والواحد: اســـم يَدُلُّ على نظام واحد، يُعلم باســـمه أنَّه واحد ليس قبله شـــيء من العدد، وهو خارج من العدد الواحد، كيفما أردته وأجريته لم يزد فيه شـــيء ولم ينقص منه شـــيء. تقول: واحد واحد، ولم يزل على الواحد شـــيء، ونصف الواحد نصف الواحد لم يتغيَّر الوصف عن الواحد، فإذا دلَّ أنَّه محدث للشـــيء دلَّ أنَّه معنى الشـــيء، وإذا دلَّ أنَّه معنى الشيء دلَّ أنَّه لا شيء بعده، وإذا لم يكن قبله ولا بعده شيء فهو المتوحِّد بالأزل، فلذلك قيل: واحد.

وفي الواحد عن العرب لغات كثيرة، يقـــال: واحد وأحد ووحيد وآحاد ومتوحّد، فأمَّا الواحـــد والأحَد فصفتان معروفتان قد نطـــق بهما القرآن في صفات الله ﷻ.

قال الشاعر:

[بَصباحَةُ الخِمسِ في زَوراءَ مَهلَكَةٍ]   يَهدي الأَدِلَّاءَ فيها كَوكَبٌ وَحَدُ(١)

يعني: بالكوكب: الجدي؛ لأنَّه مُنفرد وحده.

---

(١) البيت من البسيط للراعي النميري في ديوانه، (الموسوعة الشـــعرية). وانظر: ابن المبارك: منتهى الطلب من أشعار العرب، ٢٤١/١ (ش).

وقال صخر[١]:

مَنَتْ لـــك أن تُلاقِيَنـــي المَنَايَا   أُحادَ أُحادَ في الشَّـــهر الحَلالِ[٢]

وقال آخر:

وَلكِنَّمـــا أَهلـــي بِـــوادٍ أَنيسُــهُ   ذئابٌ تَبَغَّى الناسَ مَثنى وَمَوحَدُ[٣]

طرفة:

تَمنّى رِجالٌ أَن أَموتَ وَإِن أَمُت   فَتِلكَ سَبيلٌ لَستُ فيها بِأَوحَدِ[٤]

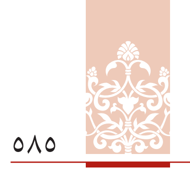
وقال أهل اللغة: يعني: لست فيهَا بواحد ومثله في الأذان: الله أكبر؛ أي: كبير، ومثله في القرآن: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ (الـروم: ٢٧)، أي: هو هيِّن عليه؛ لأنَّ أفعل يوضع في معنى فاعل.

(١) صخر الغي، هو: صخر بن عبدالله الخيثمي الهذلي: شــاعر جاهلي. قال الأصفهاني: لقب بصخر الغي لخلاعته وشــدة بأســه وكثرة شــره، وأورد أبياتًا تنسب إليه، قيل: سببها أن صخرًا قتل جارًا لشــاعر من هذيل يدعى أبا المثلم ودارت بيــن أبي المثلم وصخر الغيّ مناقضات وقصائد يطول ذكرها. وأغار صخر على بني المصطلق من خزاعة، فقاتلوه ومن معه، وقتلوه ورثاه أبو المثلم. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠١/٣.

(٢) البيت مــن الوافر نسبه الأصبهاني فــي أغانيه كالمؤلف إلى صخــر الغي (٩٧/١٥)، وينسب إلــى عمرو ذي الكلب الهذلي فــي: المحكم والمحيــط الأعظم (٣٩٩/١)، وتهذيــب اللغة، وجمهرة اللغــة، واللسان، وتــاج العروس؛ (منا، حمــم). ابن قتيبة: المعاني الكبير، ٢٠٠/١ (ش).

(٣) في النســخ: «ولكما أهلي بــواد تبيته»، والتصويب مــن كتب اللغة. والبيــت من الطويل لساعدة بن جؤية الهذلي. انظر: سيبويهْ: الكتاب، ٢٢٤/١. ابن قتيبة: أدب الكاتب، ١٢٠/١. والصحاح في اللغة، واللسان، وتاج العروس، مادة: (بغي).

(٤) البيت من الطويل لطرفة. انظر: تفسير الطبري، ٢٢٧/٣٠. وتفسير الثعلبي، ٢١٩/١٠. وتفسير القرطبي ٨٨/٢٠.



وقال معن بن أوس[1]:

لعمرُكَ ما أَدري وإنِّي لأَوجَلُ ... على أَيِّنا تأتي المنيَّة أوَّل[2]

يعني: أنِّي لَوَجِل.

وقال الفرزدق:

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا ... بَيتًا دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ[3]

أي: عزيزة [و]طويلة.

والواحد: يجمع على وُحْدان. وقال الشاعر:

[جَهلًا تَمَنّى حُدائي مِن ضَلالَتِهِم] ... فَقَد حَدَوتُهُمُ مَثنى وَوُحدانا[4]

وقال الكميت: [و]قد جمعه على هجائين[5].

فَضَمَّ قَواصيَ الأحياءِ منهم ... فقد رَجَعوا كَحَيٍّ واحِدِينا[6]

(١) معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (ت: ٦٤هـ): شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره أواخر أيامه. كان يتردد إلى ابن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب ﷺ. صاحب لامية العجم. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٣/٧.

(٢) البيت من الطويل لمعن بن أوس الهذلي. انظر: الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ٣٤٣/١. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٦٤/٢. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ١٦٤/١ (ش).

(٣) البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه، (الموسوعة الشعرية). انظر: العين، وتهذيب اللغة، واللسان، (عزز).

(٤) في النسخ: «وقد بلوتكم مثنى...» ولم نجد من ذكر بيتًا بهذا اللفظ، ولعل الصواب ما أثبتناه من ديوان جرير. (الموسوعة الشعرية).

(٥) يقال: «جمعًا على هجائين» ويضرب اصطلاحًا على الجمع الذي سلم فِيه نظم الواحد وبناؤه. انظر: أصول النحو، ١١٢/١. أبو البقاء العكبري: اللباب، ١١٢/١.

(٦) البيت من الوافر للكميت بن زيد الأسدي في ديوانه، (الموسوعة الشعرية). انظر: تهذيب اللغة، والصحاح، واللسان، وتاج العروس؛ مادة: (وحد).

قال الأصمعي: هذا مِمَّا يُعاب به الكميت؛ أي: رَجع الواحد وَاحدينا[١]، وَإِنَّمَا يجمع الواحد بغير لفظه، يقال: اثنان وثلاثة.

قال: ويقال: واحديـــن. وقال غيره: إِنَّمَا يجمــع واحدين لمكان الحيِّ؛ لأنَّه جمع.

الأحـــد

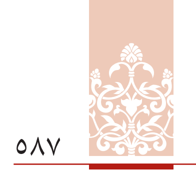
والأحد: اسم هو أكثر من الواحد، ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقوم له واحد لَجَاز أن يَقوم له ثلاثة أو اثنان فما فوقهما، فإذا قلتَ: لا يقوم له أحد، فقد جَزمت أنَّه لا يقوم له واحد ولا اثنان ولا أكثر.

وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقــول: ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون في الــدار واحد من الــدواب أَو الطيــور أو الوحوش أو الإنس؛ فكان الواحد لغير الإنسان والناس.

وإذا قلت: ليس في الدار أحد فهو مخصوص بالآدميين دون سائرهم[٢].

والأحد ممتنع في الحساب، تقــول: واحد واثنان وثلاثة وهو في العدد، وإن لم يكن في العدد فعليه العدد، وهو داخل في العدد، وتقول في القسمة: واحد من اثنين أو ثلاثة، لِكُلِّ واحد من الاثنين النصف، ومن الثلاثة الثلث، **والأحد** ممتنع من هذا، لا يقال: أحد فــي اثنين أو ثلاثة، ولا يقال: أحد في أحد، كما يقال واحد في واحد. ولا يقال: أحد بين اثنين أو ثلاثة، كما يقال في الواحد.

(١) فِي جميع النسخ: + « قــال غيره: ـ لعلَّه أراد ـ قال الأصمعي: وهذا مِمَّا يُعاب به الكميت أن جمع الواحد واحدين».
(٢) فِي (س): + «لعلَّه غيرهم».



والواحد: وإن لم يتجزَّأ من الواحد فهو يتجزَّأ من الاثنين والثلاثة فما فوقهما، تقول: جزء واحد من جزأين فما فوقهما.

والأحد يجيء في الكلام بمعنى الواحد وبمعنى الأَوَّل، والعرب كانت تسمِّي الأحد في الجاهلية أوَّل.

وقولك: يوم الأحد بمعنى الواحد وبمعنى الأَوَّل دليل على أنَّه اليوم الأَوَّل، والاثنين دليل على اليوم الثاني.

وفي التوراة: أَنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى من الأيَّام يوم الأحد.

فضِدُّ الواحد اثنين، وضدّ الأَوَّل الآخِر.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ ...﴾ (يوسف: ٣٦).

والأحد إذا لم يكن بمعنى الأَوَّل جاز في الخبر والجحد، تقول: ما جاءني أحد، ولا يجوز ما جَاءني وَاحد. وكلَّمَني أحد، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد: ٥)، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (البلد: ٧) فهذا جَحد، وقال المفسِّرون في هذين الموضعين: هو الله عَزَّ وَجَلَّ، أيحسب أن لم يره الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، فهو خَبر.

وربَّما جاء أحد بمعنى الشيء، يقال: فلان لا أَحَد، أي: لا شيء، إذا خلا من العقل والفهم والخير، بمنزلة لا شيء.

وأحد يكون بمعنى الجمع، تقول العرب: يبيت أحدُنا الأيَّام لا يأكل، يعني: كُلّنا لا نَأكل، فَاحتمل معنى واحد.

قال النابغة الذبياني:

وقفت فيها طويلًا كَي أسـائلها   عيّت جوابًا وما بالربع من أحد[١]

ويروى:

وقفتُ فيهـا أُصَيلانًا أُسـائِلُها   عَيّتْ جوابًا وما بالرَّبعِ من أحدِ[٢]

وقال آخر:

لَو كُنتَ مِن أَحَـدٍ يُهجى هَجَوتُكُمُ   يا اِبنَ الرِقاعِ وَلَكِن لَستَ مِن أَحَدِ[٣]

والأحد: يجمع آحاد على القياس.

فصل: [في سبب نزول سورة الإخلاص]

وروي أنَّ رجلًا مـن اليهودِ يقال له: عامر بن الطفيل[٤] سـأَلَ النَّبِيّ ﷺ قال: يا مُحَمَّد، أُنسب لنا ربَّك، من ذَهـب أو من فضَّة أو مِن مسك؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ الذي ليس بذي عدد، ولا أجزاء ولا أبعاض.

وقال الفرَّاء: أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، ثُمَّ قيل: أحد[٥].

وقيل: إنَّ الله ﷻ أنزل بِه صاعقة في مكانه فأهلكته، وفيه نزلت هذه الآيـة: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ

---

(١) صدر هـذا البيت لعمر بن أبي ربيعة فِي ديوانه، ص١٦٥. وعجـزه: «والدارُ ليس لها علمٌ ولا خبر». وَإِنَّمَا الرواية المشهورة ما كان بلفظ البيت الذي بعده.

(٢) البيت من البسيط بهذا اللفظ للنابغة الذبياني فِي ديوانه، ص١٨.

(٣) البيت من البسيط للراعي النميري فِي ديوانه، ص٦٩.

(٤) في النسخ: «عمر بن عامر بن الطفيل» ولعل الصواب ما أثبتناه من: تفسير مقاتل، ٥٣٥/٣. وتفسير الثعلبي ٣٣٢/١٠.

(٥) فِي جميع النسخ: + « قال غيره لعله أراد: قال: الله واحد وأنا واحد».

﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣)، وأجمع القرَّاء على تنوين ﴿أَحَـدُ﴾ إلَّا نَصر بن عاصم الرومي(١) [وابن سـيرين]؛ فإنَّهما قَرآهَا «أَحَـدُ اللهُ الصَمَدُ»(٢) غير منوَّنَة.

ووجدت في كتاب «اختلاف العشـرة مـن القـرَّاء»(٣): أنَّ أبا عمرو بن فليح(٤)، وأبا إسـحاق، وأبان بن عثمان(٥)، ونصر بن عاصم(٦)، وابن سيرين قرأوا: (أَحَدُ) بلَا تنوين. /١٢٨/

---

(١) نصر بن عاصم الليثـي (ت: ٨٩هـ): تابعي عالم فقيه لغوي. من أوائـل واضعي «النحو» ومؤصِّلي علـم العربية، وأول من نقط المصاحف. وقيل: أخـذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنـه أبو عمرو بن العلاء. له: كتـاب في العربية. مـات بالبصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٤/٨.

(٢) وقراءة العامة: (أَحَدُ) بالتنوين، وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وابن إسـحاق وأبان بن عثمان وهارون بن عيسى (أَحَدُ ٱللَّهُ) بلا تنوين طلبًا للخفَّة، وفرارًا من التقاء الساكنين، كقراءة من قرأ: (عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ) بغير تنوين». انظر: الثعلبي النيسابوري: تفسير الثعلبي، ٣٣٤/١٠.

(٣) لعله يقصد كتاب «الاختيار في اختلاف العشـرة أئمة الأمصار» مخطوط في مكتبة دمشق، لسبط الخياط عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي (٥٤١هـ): شيخ الإقراء ببغداد في عصره. انظر: الأعلام للزركلي، ١٠٥/٤.

(٤) لعله: أبو إسـحاق عبد الوهاب بن فليح بن رياح المكي (ت: ٢٥٠هـ): إمام أهل مكة في القراءة في زمانه صدوق. أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن داود بن شبل ومحمد بن سـبعون ومحمد بن بزيع وغيرهم. انظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القرَّاء، ٢١٤/١.

(٥) أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي (١٠٥هـ): تابعي فقيه ثقة، ولد وتوفي في المدينة. أول من كتب في السيرة وسـلمها إلى سـليمان بن عبد الملك فأتلفها. شـارك في وقعة الجمل مع عائشة، وتولى إمارة المدينة. انظر: الأعلام، ٢٧/١.

(٦) في النسـخ: «عيسى بن نصر بن عاصم»، ولم نجد عالمًا بهذا الاسـم، والصواب ما أثبتنا من تفسير الثعالبي وغيره من كتـب التراجم، ونصر بن عاصم بن سـعيد الليثي الدؤلي البصري (ت: ٨٩هـ): وقد سبقت ترجمته قبل قليل.

قال الضبِّي: والتنوين أحبُّ إليَّ؛ لأنَّه مذهب العرب، ولإجماع أمَّة القرَّاء عليه، ولزيادة التنوين في حروفه، فالواحد والأحد وغيرهما من الألفاظ التي مضت كُلّها مشـــتقَّة من الواحد، تبارك الله الواحد الأحد، والأصل فِي واحد وحداني، وأحد انقلبت الواو ألفًا.

ومثله: امرأة أناةٌ؛ أي رزان، لَيس في كلام العرب، واو قلب همزة وهي مفتوحة إلَّا هذان الحرفان.

مسألة: [في الدليل على أن الخالق واحد]

إن ســـأل ســـائل فقال: أيّ الدليل على أنَّ الخالق واحد، وما أنكرت أن يكون اثنين؟

قيل لـــه: إنَّ الاثنين لابُدَّ أن يلحقهما أو يلحـــق كُلّ واحد منهما العجز؛ لأنَّ أحدهما لو أراد تسكين جسم، وأراد الآخر تحريكه لم يكن بدّ من عجز أحدهمـــا، لا نعلم أنَّه يكون مـــا أراداه جميعًا؛ لأنَّ الجسمَ لا يكون ســـاكنًا متحرِّكًا في حال واحد.

فإن يقال: مَـــا أَنكرت أن يكون مَـــا يريد أحدهما غير مـــا يريد الآخر، فبذلك يكونان مصطلحين؟

قيل له: ولَا يخلو أن يكون أحدهما إذا أراد أن يفعل شـــيئًا يستتر به دون صاحبـــه يقدر على ذلـــك أو لَا يقـــدر، فإن كان يقـــدر على ذلك فالمستتر دونه جاهل، والجاهل ليس بإلٰه قديـــم، وإن كان لا يقدر على [ذلك] فهو عاجز، والعاجز ليس بإلٰه قديم؛ فَلَمَّا فسد هذا علمنا أنَّه واحد

ليس كمثله شيء، وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ... ﴾[1] الآية، فنزَّه نفسه عن ذلك وأنَّه لا خالق غيره تبارك وتعالى.

فإن قال: ما الدليل على محدث هذه الأشياء هو الله الواحد القهار؟

قيل له: الدليل على ذلك أنَّا رأينا أن الكتابة لا تَكون إلَّا من كَاتب، والبناءَ لا يكون إلَّا من بَان، والصنعةَ لا تكون إلَّا مِن صانع؛ فعلمنا أن الأشياء محدثة لا تكون إلَّا من محدِث أحدثها، وهو الله الواحد القهَّار.

فإن قال: فما الدليل على أن الأشياء محدثة ليست بقديمة؟

قيل له: إنِّي وجدت جميع أجسام الدنيا لا تخلو من الاجتماع والافتراق، والحركة والسكون، فَلَمَّا كانت الأجسام لا تخلو من ذلك وكانا محدثين؛ عَلِمت أنَّ الأجسام محدثة لحدوث ما ينقل منها ولا يسبقها ولا يتقدَّمها إلَّا وهي معه، فثبت أن الأشياء محدثة.

ودليل أيضًا يَدُلُّ على أنَّ الله تعالى هو الخالق لِكُلِّ شيء، لو أن نطفة وضعت بين الخلق جميعًا حيث يَرونها ويمسُّونها لم يقدروا أن يخلقوا لها عَظمًا ولا لحمًا ولا حياة ولا قدرة؛ فهي إذ كانت في ظُلمة الرحم بينهم وبينها الحجب الكثيرة فهم على صنعها أعجز وعن تدبيرها أبعد؛ فعلمت أن من جعل النطفة خلقًا كاملًا هو الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شَيْء.

فإن قال: أخبرني أخَلق الله تعالى الأشيَاء من شيء أو لا شيء؟

قيل له: لا مِن شيء خلقها.

فإن قال: وما الدليل على هذا؟

---

(١) المؤمنون: ٩١، وتمامها: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

قيل له: ليس يخلو الأمر من إحدى حالين، إِمَّا أن يكون خلقها من أصل كان معه، أو خلقها لا من شيء. فإن كان خلقها من أشياء كانت معه، فليس تخلو تلك الأشـياء من أن تكون خلقت من أشـياء كانـت قبلها أو خلقت لا من شـيء. فإن كانت خلقت لا من شـيء فينبغي أن تكون الأشياء التي خلقت منها تكون أيضًا لا من شـيء، وإن كانت خلقت من شيء قَبلها كان الكلام في ذلك الشـيء كالـكلام فيها، وهـذا يؤول إلى الفسـاد وإلى ما لا يصلح ولا يجوز أن يقف عند آخره؛ لأنَّ هذا يؤدِّي إلى ما لا نهاية له.

فإذا كان الشيء لا يتناهى ولا يوقف عند آخره لم يجهل العلم به، فَلَمَّا فسد هذا الوجه وبـان بطلانه فيما بينّـاه صحَّ الوجه الآخر مـن أنَّه تبارك وتعالى خلق الأشـياء واخترع أَعيانهـا وأحدثها، وأخرجها مـن العدم إلى الوجود لا من شـيء؛ لأنَّـه إذا كان لا بدَّ من القول بأحـد الوجهين وفسد أحدهما صحَّ الآخر.

فإن قال: وما يدريك لعلَّ الأشياء أحدثت نفسها؟

قيل له: لو كانت أحدثت نفسها /١٢٩/ لـم يخل ذلك من أحد أمرين: إما أن تكون أحدثت نفسها في حال وجودها أو في حال عدمها؛ فإن كانت أحدثت نفسها في حال وجودها فوجودها يغني عن إيجادها مرَّة أخرى؛ لأنَّ الموجود مستغن عن الوجود، وإنَّمَا يوجد المعدوم؛ لأنَّه يصير موجودًا بعد أن كان معدومًا.

ولو كانت أحدثت نفسها في حال عدمها لـكان المعدوم فاعلًا، ولو كان ذلك كذلك لكان لا فرق بين الموجود والمعدوم في الفعل والإرادة، فَلَمَّا بطل أن يكون المعدوم يفعل شـيئًا أو يحدث مثله؛ صحّ أن الأشـياء إنَّمَا أحدثها محدثها، ونقلها من العدم إلى الوجود موجدها، وهو الله تبارك وتعالى.

مسألة: [في الدليل على معرفة أن اللّه واحد]

فإن قال: من أين تعلم أنَّ إلٰهك واحد؟ فقُل: من قبل أنَّه لا يكون الواحد إِلَّا غالبا، ولو كان اثنين لم يكن قادرًا؛ لأنَّه إن أراد أحدهما أن يغلب صاحبه غلب، [و]المغلوب ليس بإلٰه، وإن لم يقدر أحدهما أن يغلب صاحبه فهو عاجز، والعاجز ليس غالبًا؛ فلذلك علمنا أنَّه واحد.

فإن قال: فكيف تعلم أنَّه واحد ليس كمثله شيء؟

فقل: من قبل أن الشيء هو من وصفه وخلقه، والله هو الصانع للشيء والشيء مصنوع، ولا يكون الصانع يشبه المصنوع؛ لأنَّ الصانع قديم والمصنوع حديث.

مسألة: [في مفهوم الوحدانية]

فإن قال: إذا قلت: إنَّ الله تعالى واحد، وأنت واحد؛ فما الفرق؟

قيل له: أنا واحد في الاسم، أشياء في الحقيقة؛ لأنَّ لي النصف والثلث والربع والعشر، والله تعالى واحد في الاسم واحد في المعنى، [لا] يجوز عليه التجَزّيّ والقسمة والتبعيض ـ جلَّ الله عن ذلك وعلا علوًّا كبيرًا ـ.

وفرق آخر: أنَّه جائز أن يرفع الله تعالى الاجتماع منِّي فأصير مفترقًا بعد أن كنت مجتمعًا، والله ﷻ لا يجوز ذلك عليه؛ لأنَّه الخالق، والخالق لا يشبه المخلوق.

وغير ذلك من الفرق الذي يجوز عليَّ وعلى كلِّ مخلوق، ولا يجوز على الله تعالى وهو أكبر من ذلك، ولقد أحسن القائل وأصاب حيث يقول:

فواعجبـا كيـف يُعصـى الإلٰه ... أم كيـف يجحـده الجاحـد
ولله فـي كُـلّ تحـريكـة ... وفـي كُـلّ تسكينـة شـاهد
وفـي كُـلّ شـيء لـه آيـة ... تـدلُّ علـى أنَّـه واحـد[(١)]

الصمَـد

قال عكرمة ومجاهد: الصمد الذي لا جوف له.

وعن ابن عباس وسفيان وعكرمة أيضًا: أن الصمد السيِّد.

وعن الحسن وسعيد بن جبير أنَّهما قالا: الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج.

وعن عامر قال: الصمد الذي لا يأكل الطعام.

وقال أبو وائل[(٢)]: الصمد الذي قد تناهى.

والصمـد: بمعنى السَّيد، وهو معروف في لغة العـرب: الذي ليس فوقه سيِّد. وقال الأسدي:

أَلا بكّر الناعي بِخيرِ بَني أسـد ... بعمرو بن مسعودٍ وَبالسيّدِ الصّمَد[(٣)]

---

(١) الأبيات من المتقارب لأبي العتاهية مع بعض الاختلاف. انظر: ديوانه، ص١١٢.

(٢) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل (١ ـ ٨٣هـ): أدرك النبي ﷺ وليست له صحبة. وصاحب ابن مسعود. كانت أمه نصرانية. سكن الكوفة وكان من عبادها، وكان له خص يكون فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وإذا رجع أعاده. انظر: مشاهير علماء الأمصار، ر٧٣٢، ١٥٩/١. ابن حبان: الثقات، ٣٥٤/٤.

(٣) البيت من الطويل لهند بنت معبد بن نضلة الأسدية ترثي جدها خالد بن نضلة وعمرو بن مسعود لَمَّا قتلهما النعمان وكانا من ندمائه. انظر: البكري: معجم ما استعجم، ٩٩٦/٣.

وقال طرفة:

وَإِن يَلتَقِ الحَيُّ الجَميعُ تُلاقِني إِلى ذِروَةِ البَيتِ الرَفيعِ الْمُصَمَّدِ[١]

المصمَّد: المقصـــود؛ وقال عمر بن الأســلع[٢] في قتلــه حذيفة بن بدر[٣]:

عَلَوْتُــهُ بِحُسَــامٍ ثُــمَّ قُلْــتُ لَهُ خُذْهَا حُذَيْفَ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ[٤]

وقال[٥] آخر:

سِيرُوا جميعًا بِنِصْفِ اللَّيْلِ وَاعْتَمِدُوا وَلَا رَهِينَــةَ إِلَّا سَــيِّدٌ صَمَدُ[٦]

ويقال: الصمد الذي يصمد الناس إليه والعباد في حوائجهم كُلّها.

وقال الحسن: الصمد الذي لا يموت.

---

(١) البيت من الطويل لطرفة بن العبد فِي ديوانه، ص٥.

(٢) عمرو بن الأسلع بن عبد الله بن ناشــب بن هدم بن عوذ بن غالب، معروف بحبينة: فارس شريف، شــاعر راجز، أدرك بثأره في يوم الهباءة من بني بدر. انظر: ابن ماكولا: الإكمال، ١٩٠/١. ابن الأنباري: الزاهر، ٨٤/١.

(٣) حذيفة بن بدر: جاهلي يضرب به المثل في سرعة السير. كان في عصر المنذر بن ماء السماء في الجاهلية. قيل: ســار في ليلة، مسيرة ثماني ليال، فضــرب به المثل. قال قيس بن الخطيم: هممنا بالإقامة ثم ســرنا مسير حذيفة الخير بن بدر. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٧١/٢.

(٤) البيت من البسيط لعمر بن الأســلع. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٨٤/١. العقد الفريد، ١٣٦/٥.

(٥) فِي جميع النسخ: «فصل»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٦) فِي النسخ بتعريف «ســيد صمد»، والصواب ما أثبتنا من كتب الأدب. والبيت من البسيط للزبرقان كما في مجــاز القرآن ٣١٦/٢، وتفسير الطبري، ٢٢٤/٣٠ (ط بولاق). وأنشــده غير معــزو كُلّ من ابــن الأنباري في الزاهر (٨٣/١) وشــرح القصائــد السبع، ص١٨٨. والقالي في أماليه، ٢٨٨/٢.

وقـد غلط في تأويل هـذه الآية بعض النـاس فزعـم أنَّ الصمد الذي لا جوف له، وهذا الجهل الـذي لا يخفى على أحـد[١] عاقل؛ لأنَّ الله ﷻ خالق المخلوقين المصمتين، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١).

قال النقَّاش: قوله تعالى هو إشـارة القلـب؛ أي: الباطن الذي لا يدرك بكيفية. ألا ترى أنَّه وردَ في آخر الحشر، فقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ قال: ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ثُمَّ قال: هو ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ ثُمَّ قال: هو ﴿ٱلۡخَٰلِقُ﴾، وقال: إنَّهُ[٢] التواب، فهو إشـارة /١٣٠/ القلوب إلى ما لا يدرك، فإشـارة القلوب لا تكون إلَّا بوهم، ثُمَّ عبَّر باللسان، تعالى الله ﷻ.

فقال: وكان نزول سبب سـورة الإخلاص أنَّ قريشًـا واليهود وأعرابيًا ـ قد جاء الخبر بهذه الثلاثة الأنواع ـ سـألوا رسـول الله ﷺ أن ينسب لهم الربُّ ﷻ هذا الـذي يُعبد صِفه لنا من ذَهب هـو، أم من رصاص، أم من نحاس، أم من فضة؟ أيأكل أيشرب؟ ما هو وكيف؟

فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ جوابًا لسؤالهم، قـل لهم يا مُحَمَّد، الذي سـألتموني عنه هو الله، ففي قوله تعالى هو إثبات اسـم مضمر في الهاء، وإشـارة في القلوب إلى الآية، الذي لا يـدرك كيفيته، ثُمَّ أظهر الاسـم المضمر الذي في قوله: ﴿هُوَ﴾ بقول[٣] ﴿ٱللَّهُ﴾ معروفا لهم، وهو معروف بكل لسان.

ويقـال: ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وهو اسـم مبهـم، فجعل قولـه: ﴿ٱللَّهُ﴾ بيانًا، و﴿أَحَدٌ﴾ خبرًا له.

---

(١) فِي (ت): «على رجل واحد».
(٢) فِي (ت): هو.
(٣) فِي (ت): مفعوله.

ويقــال: قوله ﷻ هو تأكيد لاســم الله تعالى؛ المعنــى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ لأنَّه ذكر هو على الإشــارة إليه ﷻ، والإيماء نحوه؛ لأنَّ «هو وإنَّه وإنَّمَا» إشــارة إلى غائب، كما أن «هذا» إشــارة وإيماء إلى شــاهد حاضر.

ثُمَّ قال: ﴿أَحَدٌ﴾ يعني: واحدًا لا شريك له.

خبر عن شــريح العابد قال: خرج رجل من الكوفة إلى مكَّة ثُمَّ قعد في المسجد فقال: «يا هو، يــا من لا هو إلَّا هو، اغفر لي» ثُــمَّ رجع، فَلَمَّا كان قابلًا حجَّ ثُمَّ قعد فــي المسجد الحرام، فقال: «يا هــو، يا من لا هو إلَّا هو اغفر لي»، فهتــف به هاتف: يا هــذا، قلت هذا عام أوَّل هــا هنا، والحفظة تكتب حتى الساعة.

﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ فيكــون موروثًا، ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ فيكــون محدثًا مربوبًا، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ فهو الذي لا كفء له ولا نظير له ولا شبه له ولا عدل.

وقال ابــن عبَّاس: ولم يكن أحد كفــؤًا على التقديــم والتأخير. وقرأها أبو عمرو والكسائي بالتثقيل، وقرأها غيرهما بالتخفيف وهما لغتان.

وقال المفضّل: التثقيل أحب إليّ؛ لأنَّه أكثر في كلام العرب.

وفي كفء لغات: كُفُوٌ، وكُفُؤٌ، وكُفْوٌ كُلّه بمعنى واحد، أي: ليس لله مثله.

خبر: قال الفضيل بن عيَّــاض: لا ينبغي لمسلم أن يقول في القرآن كيف وكيف؛ لأنَّ الله تعالى أخبــر بصفته في كتابه المنزل فأبلــغ وأوحى، فقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ...﴾ إلــى آخرهــا، فلا وصــف أبلغ ممــا وصف الله به نفسه ﷻ.



مسألة: [لم اللّه يزل صمدًا]

وإن قال قائل: أتزعمون أنَّه لم يزل صمدًا؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له: معنى أنَّه سيِّد؛ لأنَّ الصمد في اللغة هو السيد. وقد قال قوم: إن معنى الصمد هو أن الخلائق يصمدون إليه في حوائجهم، فمن هذا الوجه لا يجوز أن يقال: لم يزل صمدًا.

فالصمد على هذين الوجهين: فأحدهما هو من صفاته لذاته، والآخر من صفاته لحدوث القصد إليه من العباد.

وصفة ذاته جائز أن يقال: لم يزل صمدًا، وصفة حدوث القصد إليه لا يجوز أن يقال: لم يزل صمدًا، والله أعلم.

الفرد

الفرد: الواحد. وأفردته: جعلته واحدًا، والله ـ جل ثناؤه ـ هو الفرد، وقد تفرَّد بالأمر دون خلقه.

وقيل: سمِّي فردًا؛ لأنَّه تعالى لا يمازج الأشياء، بل هو مستغن عنها منفرد بغناه عنها.

والفرد يكون معناه: لم يزل كائنًا وحده، ولا يجوز أن يوصف بأنَّه وحيد وفريد، كما يوصف بأنَّه واحد وفرد؛ لأنَّ معنى ذلك التوحيد.

ولا يجوز الفذّ، فإن معناه القليل، وليس معناه التوحيد. يقال: ما يأتينا إلَّا الفذّ؛ أي: القليل. وقال الخليل: الفذّ: الفرد. وكلمة شاذَّة: فاذَّة.

الوتر

الوتر: فيه لغتان: وَتْر ووِتر بفتح الواو وكسرها.

ويقال: الكسر لغة بني تميم، وعليه عامَّة الناس وأكثر القرَّاء، وقرأ قوم بالفتح، ومنهم أبو عمرو بن العلاء وغيرهم.

فالوتر: بمعنى الفرد، والشفع: بمعنى الزوج.

وقال المفسِّرون في قوله ﷻ: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ (الفجر: ٣): هو الله تعالى، والشفع: هو الخلق.

الأَوَّل والآخر

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ (الحديد: ٣)، يقول الله: أنا الأَوَّل فلم يكن لي سابق من خلقي، وأنا الآخر فليس لي غاية ولا نهاية. /١٣١/

وقال الحكيم: قيل له: أوَّل؛ لأنَّه لم يزل قبل كُلّ شيء، وكانت الأشياء بعده محدثة، ودلَّ بأوَّليته على أنَّه لا يزال؛ لأنَّ الذي لا أوَّل له لا آخر له.

فَلَمَّا ثبت أن الأشياء محدثة وأن المبتدع لها لم يزل فيها ولا يزال بعدها؛ دلَّ أن الذي ابتدعها ولم يزل قبلها، ولا يزال بعدها من الأَوَّل الذي كان قبلها أوَّليًا، والآخر الذي يكون بعدها أبديًّا؛ فقيل: هو الله الأَوَّل والآخر.

وقال آخرون: هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾؛ يعني: هو الأَوَّل؛ لأنَّه لم يزل ولا شيء، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ أنَّه يبقى ولا شَيْء، يبقى حتى تفنى الأشياء كُلّها.

وإنَّمَا اختلفت اللفظتان في أوّل وآخر لوجود العالم وعدمه؛ لأنَّه قبل كُلّ أوَّل يراد أنَّه كان ولا شيء، فَلَمَّا أحدث العالم ثُمَّ أفناه قيل: آخر، ويراد

به العالم فني؛ فالأول هو الآخر، والآخر هــو الأَوَّل، ولو لم يحدث العالم لم يحسن أن يقال: هو الآخر، وحسن أن يقال: الأَوَّل. فإنَّمَا معنى الآخر: أنَّه يُفني الأشياء، فهو كما كان أوَّل لم يتغيَّر لحدوث العالم وفنائه.

فإن قال قائل: لم يزل أوَّلًا آخرًا؟

قيل لــه: الأَوَّل والآخر لــم يزل. وَأَمَّا قولــه: «لم يــزل أَوَّلًا» فهو كلام صحيح؛ لأنَّه لم يزل ولا شيء. وَأَمَّا قوله: «لم يزل آخرًا» يريد أن الأشياء لم تزل وفنيت، ولم يزل آخرًا أنَّه باق[(١)]. فهذا كلام خطأ؛ لأنَّ الأشــياء لا يقال لها: «لم تزل»، ولا يقال: لــم يزل فانيًا؛ لأَنَّ هذا تناقــض؛ لأَنَّ قولك: «لم» إثبات أنَّها لم تزل موجودة.

وقولك: لم تزل فانية، كأنك قلت: لم تزل موجودة معدومة، وهذا نقض، ولكن يقال: لم يزل أَوَّلًا يراد أنَّه لم يزل ولا شــيء، وَلَمَّا أحدث الأشــياء صارت موجــودة إذ أوجدها فقيل لــه: موجودة لم تزل، والأشــياء صارت موجودة إذا أحدثت.

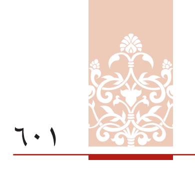
وليس قولهــم يكون آخرًا كمــا كان أَوَّلًا، أنَّه يحدث منــه تغير، ولكن المراد في ذلك أن الأشــياء تفنى بعد إذ كانت موجودة ووجدت بعد إذ لم تكن شيئًا، فيختلف التعبير لاختلاف وجود الأشياء وعدمها الأَوَّل هو الآخر، والآخر هو الأَوَّل.

الظـاهر والباطـن

قال ابن عبَّاس في قولــه ﷻ: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣)، يقول الله: أنا الظاهر ظهرت فوق الظاهرين بقهر المتكبّرين، وأنا الباطن فليس من دوني إلٰه ولا لي قاهر.

---

(١) فِي (س): «وهو آخر إلٰه باق».



والظاهر: بمعنى الغالب. يقال: ظهر فلان على فلان إذا غلبه، وفلان ظهير لفلان، أي: معين له. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ (التحريم: ٤) أي: تعاونا عليه.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٤) أي: معين مقوّ.

وقال الحكيم: إنَّمَا قيل له ظاهر لظهور صنعته الدالَّة على أنَّه محدثها وَمُدَبِّرها، وكان ظهور الصنعة ظهورًا له[١]، والله أعلم.

وقيل له: **باطن**؛ لأنَّه خفي عن أن تدركه الخلائق بكيفيته، أو تحيط به أوهامهم، أو تبلغه صفاتهم، أو تدركه عقولهم؛ فَلَمَّا كان هكذا قيل له: هو الظاهر الباطن، فكان لظهور صنعته ظاهرًا ولامتناعه عن درك المخلوقين بذاته باطنًا، فهو الظاهر الباطن ﷻ.

ولا يقال: لم يزل ظاهرًا بمعنى أن الأشياء لم تزل وأنَّه ظاهر عليها وقاهر لها وناظر لها عالم بها؛ لأنَّها لو كانت قديمة لم يكن هو ظاهرًا عليها دون أن تكون هي ظاهرة عليه إذا استويا في الأَوَّل.

الدائم

قال الحكيم: إنَّمَا قيل له: دائم؛ لأنَّه لم يزل ولم يخلق أحد مبتدع، إذ كان كُلّ من أقرَّ به يقرُّ أنَّه لم يزل، ومن أنكره يقرُّ أن العالم لم يزل، فأثبت الصفة للعالم بالأزلية لم ينكر الأزلية ثانية بلا مخالف كانت عندنا لله ﷻ، فأنزلناها عن العالم إذ كان الأولى بها، فَلَمَّا ثبتت الأزلية والابتداع للعالم، وثبتَ أنَّه لم يزل؛ ثبت أنَّه لا يزال، فإذا ثبت أنَّه لم يزل ولا يزال فهو الواحد

(١) فِي جميع النسخ: + «قال غيره: لعلَّه أراد: وكان ظهور الصنعة ظهورًا لصانعها أو محدثها».

الخالق للزيادة والنقصان، والــزوال والانتقال والفناء لا زيادة فيه ولا نقصان ولا قبل ولا انتقال هو الدائم الخالق.

مسألة: [في صفة الدوام]

والوصف لله تعالى بأنَّه «دائم» من صفات الذات[1]. ولا يوصف بأنَّه لا يزال دائمًا، ويوصف بأنَّه لا يزال دائمًا لا يفنى [كذا]؛ لأنَّ هذا القول على هذا الوجه لا معنى له، والوصف له على الوجــه الأَوَّل يصحُّ؛ لأنَّــه مستعمل على الفعل المستقبل، وإن لم يكن دوامه فعلًا.

الخالق القادر

الله تعالــى الخالق والخــلَّاق؛ والخالق معنــاه: ابتدأ الخلــق أوَّل مرَّة، والخلَّاق: لأن من شأنِه أن يخلق كُلّ يوم خلقًا بعد خلق.

فالخالق على وزن فاعل؛ لأنَّه خالق في الابتداء، كما تقول: قاتل وجازر لمن يقتل نفسًا ويجزر بدنة. وخلَّاق: على وزن فعَّال، كما تقول: قتَّال وجزَّار لمن يكون من عادته أنَّه يقتل ويجزر.

والخالق: المصوِّر؛ قال الله ﷿: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي﴾ (لقمان: ١١).

ومعنى الخلق واشتقاقه: التقدير، يقال: خلق، إذا قدر. قال زهير:

ولأَنتَ تَفري ما خَلَقتَ وَبَعضُ القَــومِ يَخلُــقُ ثُــمَّ لا يَفري[2]

يمدح رجلًا يقول: تقطع مــا قدرت وتتمّ ما ابتــدأت به من الأمور وتحكمها.

---

(١) فِي جميع النسخ: + «قال غيره: لعله أراد: ويوصف تعالى/١٣٢/ بأنَّه لم يزل دائمًا».

(٢) البيت من الكامل لزهير بن أبي سلمى فِي ديوانه، ص١٩.

وإنَّمَا سمَّى نفسه ﷻ خالقًا؛ لأنَّه قدر الأشياء كُلّها ثُمَّ أمضاها.

وهو الخالق في ابتدائه الخلق، والخلاق في تتميمه إيَّاه إلى آخر الدَّهر بعلم وحكمة، وخلقه تامٌّ مصلح لا فساد فيه.

والخلّاق: هو المقدّر بعلم، يقال: خلق، إذا قدَّر بعلم وحكمة وتدبير ومعرفة.

وخرق: إذا قدر بغير علم وتدبير فاسد.

ومنه قيل لمن لا يحسن العمل: أخرق، والمرأة خرقاء، وقال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ (الأنعام: ١٠٠)؛ أي: كان تقديره لهم حين خلقهم بعلم وحكمة وقدر، وما نسبوا إليه من البنين والبنات كذبًا بغير علم وحكمة؛ فسمَّى الله فعلهم خرقًا إذ كان جهلًا وفسادًا.

وقال الله ﷻ في موضع آخر: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ (العنكبوت: ١٧)؛ قال أبو عبيدة: تقدِّرون إفكًا وتخرصون، ويقال: قد يخلق كذبًا، واختلق وخلق.

فقيل: الله تعالى خالق؛ لأنَّه يفعل أفعاله مقدرة على ما دبَّرها، وهذا هو معنى الخلق في اللغة، ولا يختلف أهل اللغة في معنى قول الشاعر:

وَلا يَئِطُّ بأَيدي الخالِقينَ وَلا أَيدي الخَوالِقِ إِلّا جَيِّدُ الأَدَمِ[(١)]

إنَّمَا يعني بذلك التقدير الأدم.

وكذلك ما روي عن [أحد] الصحابة أنَّه قال: «لا أخلق إلَّا فريت، ولا أعد إلَّا وفيت»؛ يعني بذلك: لا أقدِّر إلَّا قطعت.

(١) فِي النسخ: «ولا يأط»، وهو خطأ والصواب ما أثبتنا. والبيت من البسيط لإبراهيم بن هرمة (ت: ١٧٦هـ) فِي ديوانه. انظر: (الموسوعة الشعرية). الجاحظ: البيان والتبيين، ١٢٦/١.

مسألة: [فِي خلق الأفعال]

فإن قال قائل: ألا تزعمون أن الإنسان يخلق أفعاله؟

قيل لــه: نعم، قد يخلق مــن أفعاله ما فعلــه مقتدرًا. وقــول الله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنــون: ١٤)، وقوله لعيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ (المائدة: ١١٠)، يدلُّ على ما قلنا.

فإن قال: أفيكون من أفعال العباد ما ليس على مقدار وهو مخلوق؟

قيل له: نعم.

فإن قال: فما هو؟

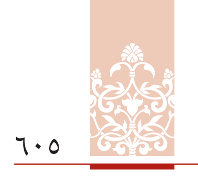
قيل له: فعله من غير أن يقدره، ومــا فعله على التحبّب والمجازفة، وما فعله على ســبيل السهو أو الغفلة، وَكُلُّ ذلك غير مخلوق، وإنَّمَا لم يجز أن يكون من أفعال الله ما ليس بمخلوق؛ لأنَّ الله ـ سبحانه ـ لا يَفعل شيئًا على وجه التحبّب والمجازفة والسهو، ولا يفعل شــيئًا إلَّا وهــو مقدّر له ولهذا كانت أفعاله كُلّها مخلوقة.

مسألة: [في أن اللّه تعالى قادر]

فإن قال: أفتزعمون أن الله تعالى قادر؟ قيل له: نعم.

فإن قال: أفليس قادر هو من صفات الذات؟

قيل له: إن القادر هو الموصوف وليس هو الصفة، وإنَّمَا الصفة الله قادر، ولكن وجب هذا الوصف له لذاته سبحانه وتعالى ؛ لأنَّ ذاته ذات قادرة، ولم تكن قادرة بقدرة هي غيره.



فإن قال: أفتزعمون أن غير الله يكون قادرًا على الحقيقة لم يجز أن يَصير فاعلًا على الحقيقة؛ لأنَّ الأفعال لا توجد إلَّا ممَّن قدَر عليها.

فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وصفكم لغير الله بأنَّه قادر، ووصفكم لله بأنَّه قادر تشبيهًا لله تعالى بغيره؟

قيل له: ليس معنى الصفتين معنى واحدًا؛ ولا ما ثبتناه بإحدى الصفتين هو ما ثبتناه /١٣٣/ بالصفة الأخرى؛ لأنَّا إنَّما ثبتنا الله قادر الله وحده ولم تثبت معه معنى يسمى قدرة وهي غيره، والقدرة التي هي غيره ليست قادرة؛ فَلَمَّا اختلف معنى الصفتين والمثبت بهما إذا كانت إحداهما تثبيتا للموصوف، وكانت الأخرى تثبيتًا لمعنى مع الموصوف هو غيره؛ لم يوجب هذان الوصفان تشبيهًا للموصوفَيْن.

ولكن لو قال قائل لغير الله بأنَّه قادر بنفسه كما وصف الله تعالى بأنَّه قادر بنفسه، ولم يثبت بإحدى الصفتين ما أثبته بالأخرى، وجعل معنى الصفتين معنًى واحدًا؛ لوجب أن يكون تشبيهًا لله بخلقه، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولا خلاف بين الناس أن يكون قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الرعد: ١٦) عموم لا خصوص.

البارئ

البارئ: قال أهل اللغة: يقال: برأ الله الخلق، والبارئ: الخالق.

قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (الحشر: ٢٤)، ففرَّق العلماء بين الصفتين.

قال بعض العلماء: لأنَّه خالق الخلق بقدرته ثُمَّ برَأه، أي: سوَّاه وعدله.

وقال المفضّل: البارئ الخالق، فأتبع النعـت بمثله لاختلاف الصفتين، كما يقال: عاقـل لبيب، واللبّ هـو: العقل، والعرب تقول هـذا كثيرًا. قال كعب بن سعيد الغنوي:

أَخي ما أَخي لا فاحِشٌ عِندَ بيته وَلا وَرِعٌ عِنـدَ اللِقـاءِ هَيوبُ[١]

والورِع: هو الهيوب، وكرَّرهما لاختلاف اللفظتين.

والبارئ في اللغـة: معناه التسوية[٢]، يقال: برى القلم، إذا سـوَّاه، وبرى القوس، إذا نَحتها وسوَّاها. وفي المثل: أعطِ القوس باريها. وقال الشاعر:

يا باري القوس بريًا ليس يُحسِنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها[٣]

أي: من ينحتها على علم ومعرفة وحكمة.

وقيل: كُلّ شيء نحتَّه بريته. قال الشاعر:

بِمِثْـلِ الحَنِـيِّ بَراهَا الـكَلَالُ [فَـ]ـيَـركَبْنَ آلا وَيَنْـضُونَ آلا[٤]

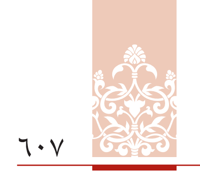
وقال: براها الكلال؛ أي: نحتها، ولـم يهمز، وأكثر العرب على ترك الهمز، من البرية.

(١) فِي النسخ: «عند ريبة ولا قرع عند اللقاء هيوب»، ولم نجـد من ذكره بهذا اللفظ. والبيت من الطويل لكعب بن سعد الغنوي (ت: ٥ ق.هـ) فِي ديوانه. انظر: الأصمعي: الأصمعيات، ص٩٥. العقد الفريد، ٢٣٣/٣. وجمهرة أشعار العرب للقرشي، ٢١٠/١. والأمالي للقالي، ١٥٢/٢.

(٢) فِي جميع النسخ: «التسمية»، وهو سهو.

(٣) البيت من البسيط لم نجد من نسبـه. انظر: العسكري: جمهرة الأمثـال، ٧٦/١. الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ٣٩٦/١. صبح الأعشى، ٤٨٥/٢.

(٤) البيت من المتقارب للحطيئة، ذكره أبو زيد القرشي (ت: ١٧٠هـ) فِي جمهرة أشعار العرب بلفـظ: «... طَوَاهَا الـكَلَالُ... فَيَنْضُونَ آلًا وَيَرْكَبْنَ آلا». وفِي الموسـوعة الشـعرية بلفظ: «بِمِثلِ... يَنزِعنَ آلًا وَيَركُضنَ آلا».



المصـوِّر

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ (الحشر: ٢٤)، فابتدأ بالخالق ثُمَّ البارئ[١] ثُمَّ المصوِّر؛ لأنَّه خلق الخلق ثُمَّ بـرى لها النسمات، ثُمَّ أظهر صورها فقامت تامَّة بتدبيره.

والخلق الأَوَّل خلق، والثاني برءٌ، والثالث تصوير؛ فالصورة اشتقاقها من صار يصير، ومعناه: التمام والغاية. ومنه قولهم: إلى ما صار أمرك؟ أي: أين منتهاه وما غايته؟

وتكون الصورة معناهـا المثال، ومنه قيل للتماثيـل: تصاوير؛ لأنَّها مُثِّلَث على تلك الصورة، فسمّى الله عَزَّ وَجَلَّ نفسه مصـوِّرًا؛ لأنَّه ابتدأ تقدير الخلائق في الدنيا، وهو يتمِّمها حتـى تصير إلى تمامها التي خلقت في الآخرة، فهو المصوِّر ـ جلَّ وعلا ـ لَا صورة له؛ لأنَّه خالق الصور، ولأنَّه لا غاية له ولا مثال، بل هو تعالى منشـئ الصور ولا مثلـه في غايتها، تبارك الله المصور.

السَّـلام

السَّلام: اسـم من أسمائه عَزَّ وَجَلَّ، ومنه: سـمِّي الرجل عبد السَّلام، كما يقال: عبـد الله. وزعم أهل اللغـة أنَّ السلام بمعنى السلامـة، كما قالوا: الرضاع والرضاعة، والدّاد والدّادة؛ فسمَّى نفسه عَزَّ وَجَلَّ سلامًا، بالسلامة مِمَّا يلحـق المخلوقين مـن التعـب والنقصـان والفناء والمـوت والزوال والتغيير.

(١) فِي جميع النسخ: «الرازق»، وهو سهو.

وقال أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السَّلام: ذكر سلامة على مَن ذكره، وهو الذي يسلم الناس من جَوره.

قال المفضّل: السَّلام هو الذي يسلم من أطاعه من عذابه.

وقال الحسن: السَّلام الذي سلم الخلق من ظلمه، وَكُلّ ما أمر به فهو سلام. ومعنى سلام عليكم: أي: أمان لكم مِمَّا تخافونه.

والسلام والسلامة: واحد، وقيل: هو مصدر /١٣٤/ السلامة. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٩١)؛ أي: فسلامة لك منهم؛ أي: يحيونك عنهم بالسلامة، وهو معنى قول المفسرين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ (الفرقان: ٦٣)، قالوا: صوابًا من القول؛ لأنَّه قَد سلِم مِن الكذب والعبث والإثم. قال الكميت:

يَقـضِ زَورٌ هُنَاكَ حَـقَّ مَزُورِيـ ـنَ وَيَحبُ السَّلَام أهلُ السَّلامِ[1]

قال: يعني: يا أهل السلام؛ لأنَّهم أهل مكَّة؛ لأنَّهم أهل الله.

قال ابن الكلبيّ[2]: إنَّمَا سمُّوا بذلك حين أرسل الله تعالى الطير الأبابيل على الحبشة فذبَّ عنهم؛ فسمّوا أهل مكَّة أهل الله عَزَّ وَجَلَّ.

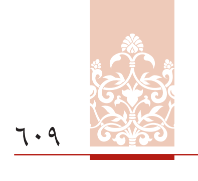
المـؤمـن

قـال الكلبيّ: المؤمن الذي أمَّـن من أطاعه من عذابـه والمؤمن: الذي لا يخاف ظلمه.

---

(١) البيت من الخفيف للكميت الأسدي. انظر: الموسوعة الشعرية، ديوان الكميت.

(٢) ابن الكلبي، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب الكلبي، أبو المنذر (ت: ٢٠٤هـ)، وقد سبقت ترجمته.



وقال غيره: لأنَّه أمَّن عباده أن يظلمهم؛ أي: أعطاهم الأمان على ذلك؛ فالعباد آمنون، والله تعالى مؤمنهم. قال النابغة الذبياني:

وَالمُؤمِنِ العائِذاتِ الطّيرِ تَمسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ بَينَ الغَيلِ وَالسند(١)

يقال: أمن الطير في الحرم أن يصاد. وهذا قسم كما تقول: والله ما فعلت ذلك؛ لأنَّه يقول في البيت الآخر:

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ [إذاً فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي](٢)

وقال أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ: المؤمن: أن يؤمن منه الجور، ومنه الآمن.

وقيل: المؤمن: الأمين على الأشياء.

المهيمن

قال بعض المفسرين: هو الشاهد، من قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ (المائدة: ٤٨)، أي: شاهدًا عليه. وروي ذَلِكَ عن ابن عباس. ورواية أخرى عنه فِي قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ قال: مؤمنًا عليه. وقال غيره: أمينًا عليه، وهما بمعنى.

وقال الكسائي: المهيمن: الشهيد.

وقال الحسن: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ قال: مصدِّقا لهذه الكتب وأمينًا عليها.

---

(١) البيت من البسيط للنابغة الذبياني. انظر: المفصل للزمخشري، ١/١٢٣. والمستقصى للزمخشري، ١/٩.

(٢) البيت من البسيط للنابغة الذبياني، فِي صبح الأعشى، ١٣/٢٠٧. وفي شواهد اللغة. وتفسير الثعلبي، ٩/٢٨٧. وأحكام القرآن لابن العربي، ٢/٥٠٦.

وقال المفضّل: المهيمن: الشاهد.

والمهيمن أيضًا: الأمين المنيع، يقال: هيمن هيمنة. قال الشاعر:

شـــهيد علـــى الله أنِّـــي أحبُّهـــا   كفى شاهدًا ربّ العباد المهيمن(١)

وقال قوم من اللغة: مهيمن: اســـم مبنـــيّ مِن أمين ومؤتمـــن. قال: في الأصل مؤتمن، فقلبت الهمـــزة هاء؛ لقرب مخرجها، كمـــا تقلب في أَرَقت الماء وهَرَقته، وهيهات وأَيهَات، وإياك وهيَّاك؛ فأبدلوا من الهمزة هاء. وأنشد الأخفش:

فهيَّاك والأمرَ [الذي] إن تَوَسَّعَت   مَوارِدُهُ ضاقَت عَليكَ المصادرُ(٢)

وقيل: الهاء في المهيمن بدل من الهمزة التي في الأمين عند أهلِ اللغة.

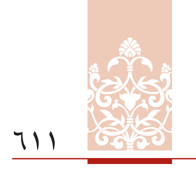
فسمَّى نفسه ﷻ مهيمنًا؛ لأنَّه الشهيدُ على كُلّ نفس مطَّلع على ضمائرها، لا يعزب عنـــه مثقال ذرَّة فـــي الأرض ولا في السماء، وهـــو الحافظ عليهم الدافع عنهم، والأمين الذي لا ينقصهـــم من حسناتهم ولا يَلِتْهُم من أعمالهم شيئًا، تبارك الله المهيمن.

العـزيـز

العزيز يكون على وجوه: يقال: عزَّ، أي: امتنَع فلم يَقدِر على شيء منه، فلزمه هذا الاســـم على الحقيقة، إذ ليس يقدر على كيفيته، ولم تخلص هذه الصفة إلَّا لله ﷻ. إذ كان كُلّ عزيز من الأشـــياء يوجـــد على حال ما، وهو الله ﷻ ممتنع من أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات.

(١) لم نجد من ذكر هذا البيت.

(٢) البيت من الطويل لمضرّس بن ربعي الأسدي، فِي شرح شواهد الشافية، ص٤٧٦. وهو بلا عزو عند ابن الأنباري: الزاهر، ٨٦/١. وابن سيّده: المحكم والمحيط الأعظم، ٥٩٥/١٠.



والوجه الآخر: الغلبة والقهر، يقال: عزَّ، إذا غلب وقهر، وفي المثل من عزَّ بزَّ؛ أي: من غلب سلب. وأنشد:

وصار من عزَّ بزَّ صاحبه إلَّا قريبًا أو داني السبب[١]

قال الله ﷻ: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ (صٓ: ٢٣)؛ أي: غلبني، ويقال: استعزَّ العليل: إذا غلب على عقله.

قال الأصمعي: وسئل أبو عمرو بن العلاء عن قول /١٣٥/ الله ﷻ: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ (يسٓ: ١٤)، فأنشد:

أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تَعَزَّزَ لَحْمُها وإذا تُشَدُّ بِنِسْعِها لا تنْبِسُ[٢]

ويقال: أعزز منه؛ أي: شدد منه.

والوجه الثالث: العزُّ: المنعة مِمَّن يناوئه ويكيده، والاحتراز منه. ويقال: فلان في عزٍّ؛ أي: في منعة. وقال أبو كبير[٣] في صفة عُقاب:

حَتّى انتَهَيتُ إلى فِراشِ عَزيزَةٍ سَوداءَ رَوثَةُ أَنفِها كَالمِخصَفِ[٤]

يعني: وكر عقاب سمَّاها عزيزة؛ أي: تأوي إلى كُلّ ممتنع من الجبال.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ (صٓ: ٢)، قيل معناه: الأنفة

---

(١) لم نجد من ذكر هذا البيت.

(٢) البيت من الكامل للمتلمس الضبعي. انظر: ابن قتيبة: غريب الحديث، ٣٠٩/٢. ابن سيِّده: المحكم والمحيط، ٧٥/١. جمهرة اللغة، ٣٤١/١. (بسن).

(٣) عامر بن الحليس السهلي، أبو كبير الهذلي: شاعر فحل، من شعراء الحماسة، قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي ﷺ. ويروى أنه تزوج أُمّ تأبط شرًّا وكان غلامًا صغيرًا، وله معه خبر طريف ورد في خزانة الأدب. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥٠/٣.

(٤) البيت من الكامل لأبي كبير الهذلي. انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٧٣/١. الخطابي: غريب الحديث، ٢٩٣/١، ٣٧٦.

والحَمِيّة، ومثله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ (البقرة: ٢٠٦)؛ يعني: الحميَّة والأنفة.

والعزَّة من العبد: الحميــة والأنفة، وهي مذمومــة، ومن الله ﷻ مدحة وثناء[١]. وقــال الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)، وقال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الصافات: ١٨٠).

وفي الحديث يقول: «**أنَا الله، الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزارِي، والعزَّة لي لا لغيري؛ فمــن نَازعَني في شَــيء منهَا أدخَلتُــه جهنَّم خالــدًا فيها مخلَّدا مُهانًا**»[٢]، وتفسير هذا الحديث عند ذكر الأخبار وتأويلها إن شاء الله.

وعن ابن عباس في قولــه ﷻ: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٠٩) قال: عزيز في نقمته، حليم في أمره.

مسألة: [في وصف الله بالعزيز]

معنى الوصف لله تعالى بأنَّه عزيز، هو: أنَّه لا تلحقه ذلَّة، ولا يقهره أحد، ولا يغلبه شيء؛ فيقال: لم يزل عزيزًا. وهذا الوصف وجب له لذاته؛ لأَنَّهُ ﷻ نفى الذلَّة عنه في الأزل، فهو العزيــز على الحقيقة، الممتنع فلا يغلب، فعزّ الخلق كُلّه بالقهر والغلبة، تبارك الله وتعالى العزيز.

الجبَّار

الجبَّار في كلام العرب: هو النخل الذي قد طال وفات اليد.

ويقال للملك إذ تكبَّر فلم يُكلَّم ولم يوصل إليه في ظُلامة، ولم يُقدر على الإنصاف منه: الجبَّار. يقال: ناقة جبَّارة، إذا عظمت وسمنت، والجمع: جبَّار.

---

(١) فِي (س): «مدحه وثناؤه».

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة بلفظ قريب، باب ما جاء فــي الكبر، ر٤٠٩٠، ٥٩/٤. وابن ماجه، مثله، باب البراءة من الكبر والتواضع، ر٤١٧٤، ١٣٩٧/٢.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ (المائدة: ٢٢). قال أهل التفسير: هم قوم عاد.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ (قٓ: ٤٥)، أي: ملك مسلّط، وتجمع جبابرة.

فسمَّى نفسه ﷻ جبَّارًا؛ لأنَّه ارتفع عن أن يَناله أحد، أو أن يدركه بصفة أو حدّ؛ فهو الجبار على الحقيقة الذي فات أيدي المتناولين، وجبر الخلائق وبعضهم أجمعين.

وجائز أن يقال: جبَّارٌ إذا كان عزيزًا، لا يجوز أن يناله أحد ولا يقهره.

وقال المفضّل: الجبَّار: العالي فلا يُقدر عليه. والجبَّار: الممتنع، على معنى العزيز.

ولا يجوز أن يقال: متعزِّز ولا متجبِّر، وجائز أن يقال: جبَّار الجبابرة.

المتكبِّر

التكبير: التعظيم، يقال: تكبَّر الرجل فاستكبر، كما يقال: تيقَّن واستيقن، وتثبَّت واستثبت، وتكبَّر وتعظَّم، وهو من الكِبَر والكِبْر والعظمة، ويقال لمعظمِ الشيء: كِبر (بكسر الكاف)، وقال قيس:

تَنامُ عَنْ كِبْرِ شَأْنِها فإذا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكادُ تَنْغَرِفُ[(١)]

«كِبْر شأنِها» معظمه؛ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ (النور: ١١). قال أبو عبيدة: يعني معظمه. وقال: وهو معنى الكبر من الأمر. وفرَّقوا بينه وبين

(١) فِي النسخ: «تقوم» ولم نجد من ذكره بهذا اللفظ، وهو خطأ من النساخ؛ لأَنَّ القيام قد ذكر فِي عجز البيت. والبيت من المنسرح لقيس بن الخطيم فِي ديوانه، ص١١.

الكِبَر في السنِّ. وفي الحديث: «**الولاءُ للكُبْر**»[١] (بضمِّ الكاف)، وهو أقربهم إلى الأبِ الأكبِــر، وقالوا: فلان ذو كِبر؛ أي: كبريــاء، والكبرياء مأخوذة من الكِبر، وهو الامتنــاع وقلَّة الانقياد، وهو الصعوبــة، /١٣٦/وقال جميل في صفة ناقة[٢]:

عفت مثل ما يعفو الطليح فأصبحت بها كبر الصعبــاء وهو ركوب[٣]

قال المفضّل: المتكبِّر: المتعظِّم، والكبرياء: العظمة.

والمتكبِّر صفة وجبت له لذاته، وكذلك متكبّر وجبّار بمعنًى، مثل: متقدّم وقديم، وكذلك متوحّد وواحد؛ بمعنى واحد.

القـديــم

ومن صفاته ﷻ أنَّه قديم بنفسه، ووجــب له هذا الوصف لتقدّمه، وكلُّ متقدِّم من الأشــياء فواجب له هذا الاســم إذا تولع له في الوصف بالتقدّم، غير أنَّ سائر الأشياء إذا سمِّيت بهذا الاسم فإنَّمَا يعني به أنَّه قديم إلى نهاية وغاية وأوَّل، والله ﷻ قديم لا إلى أوَّل ولا إلى غاية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ (يسٓ: ٣٩) يعنــي: أنَّــه متقــدِّم. ومنه قولــه تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ (الأحقاف: ١١).

---

(١) روي موقوفا بلفظــه عن جمع من الصحابة منهم عمر وعثمــان وعلي وزيد وغيرهم، في سُنَنِ ســعيد بن منصور، ر٢٦٥ ـ ٢٦٧، ١١٤/١. وابن أبي شــيبة، في الولاء من قال هو للكبر، ر٣١٥٥٩ ـ ٣١٥٦٤.

(٢) كذا في النسخ، «وقال جميل في صفة ناقة»، ولم نجد من نسبه إليه، ولعل الصواب ما ذكر في كتب اللغة منسوب إلى حميد بن ثور في وصف دار.

(٣) كذا فــي الأصل، وفي كتب اللغــة بلفظ: «بها كبريــاء الصعب». انظر: ابــن قتيبة: غريب الحديث، (١٩٤/٢)، والخطابي (٢٩٤/٢)، تهذيب اللغة، لسان العرب، مادة: عفا.

ومنه قول أهل اللغة: هذا بناء قديم، وملك فلان لهذه الدار ملك قديم؛ إنَّمَــا أرادوا بذلك تقدّم البناء وتقــدّم الملك، فَلَمَّــا أرادوا المبالغة في هذا الوصف بالتقديم قالوا: قديم، وردّوا ذلك كلــه إلى أوّل وغاية؛ لأنَّهم كانوا يعلمون مع وصفهم له بذلك أنَّه فــي الأصل محدث، والله ﷻ قديم لا إلى غاية ولا إلى أوَّل.

وقولنا: الله قديم هو صفة له ولذاته، وليس يثبت معه معنى يسمَّى قديمًا فنقول: الله وصف أو غير وصف، مع أن الوصــف لا يكون إلَّا كلامًا، وكلّ من عنى بالصفة والوصف غير القول والكلام فهو مخطئ.

ولسنا نقول: إنَّما القديم صفة؛ لأنَّ القديم هــو الموصوف، فإنَّمَا قولنا: هو قديم صفة وجبت لله تعالى لذاته.

فمعنى قولنا: صفات الذات: عنينا به الصفــات [التي] وجبت له لذاته، وهو كقولنا: الله قديم، والله عالم قادر.

ومعنى قولنا: صفات الفعل: إنَّمَا أردنا به الصفات التي وجبت لله تعالى لأفعاله، نحو قولنا: إنَّه خالق وصانع ومنعم.

والصفة والوصف شيء واحد، وهو قول الواصف لما يصفه، وليس من أهل اللغة في ذلك خلاف؛ لأنَّهم جميعًا يخبرون أن الوعد والوعدَة عندهم واحد، وأن الوصف والوصفة شيء واحد، وكذلك الوزن والوزنة والجهة.

مسألة: [في صفة الله بالقدم]

فإن قال قائل: فــإذا وصفتم الله ﷻ أنَّه قديم، ووصفتــم غيره بأنَّه قديم لا يكون هذا منكم تشبيهًا لله تعالى بمن وصفتموه بهذه الصفة؟!

قيل له: لا يكــون ذلك تشــبيهًا لله ﷻ بمن وصفناه من الأشــياء بهذه

الصفة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قديم بنفسه إلى غير غاية وأوَّل، والذي نصفه من الأشياء بأنَّه قديم إنَّمَا نردّ قدمه إلى غايـــة وأوَّل، فَلَمَّا لم يكن معنى الصفتين معنى واحدًا لم يجب أن يوجبا تشبيهًا للموصوفين.

وأيضًا: فـإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديم بنفسه، ومتقدِّم الأشـيـاء كلّها بنفسه، وسـائر الأشياء التي توصف بأنَّها قديمة ليست قديمة لأنفسها، ولا متقدِّمة بأنفسها، وإنَّمَا كانت قديمة بأن فعلها فاعلها في الأوقات المتقدِّمة؛ لأنَّها لو لم يكن فعلها إذا كان قادرًا علـى أن لا يفعلها ولم تكن تصيـر قديمة، ولم يمكن أيضًا في وقت ما فعلها؛ فصحّ هذا أنَّها /١٣٧/ ليست قديمة بأنفسها، كما أن الله قديم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

واختــلاف معناها بين الصفتيــن يوجب أن لا يكــون الموصوفان بهما مشـــتبهين، ولكن لو ثبت مثبت غير الله قديمًا مـــع الله لا إلى زوال ولا إلى غاية، كما أثبت الله قديمًا بنفسه لا إلى أول ولا إلى غاية؛ للزمه أن يكون قد شـــبَّه الله تعالى بهذا الذي ثبَّتــه قديمًا مـع الله ســبحـانه؛ لأنَّه قـد وصفهما بالصفتين مثبتتين؛ معناهما معنى واحد، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وجائز أن يقال: قديم أزلي؛ لأنَّ القديم المتقدم الأشياء، والأزلي لم يزل قبل الأشياء.

سُـبُّــوح

سُبُّوح: هو اسم مبني على فُعُّول، من قولك: سبحان الله أن يغلب.

سُبُّوح قُدُّوس مضموم الأوَّل، وقد يفتح آخره، وكلّ اسم على وزن فعّول فأوَّله مفتوح، إلَّا هذين الاسمين(١)؛ فإنَّه يُضمُّ أولهما.

---

(١) هناك اسم ثالث وهو: «ذُرُّوح»، ذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق، ٢١٨/١.

وقال أبو عبيدة: [١] سبحان الله مجاز موضع التنزيه والتعظيم، والموحِّد[٢] إذا وحّد الله تعالى فقد نزَّهه وأبرأه من الشرك، والمشرك غير المسبح؛ لأنَّه غير موحِّد فهو يشركه، وهو ﷻ مبرَّأ من شركة غيره[٣] سبُّوح، سبحانه عما يشركون.

القُدُّوس

القُدُّوس: هو مبني أيضًا على فُعُّول، مثل: سُبُّوح، والتقديس قريب من التسبيح في المعنى، فمن قدّس الله فقد نزَّهه وأخلص له الوحدانية، قال الله ﷻ حكاية عن الملائكة عليهم السلام: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠)؛ أي: نطهِّر لك، والتقديس: التطهير.

وقيل: قوله ﷻ: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ (المائدة: ٢١)؛ أي: المطَهَّرة، ويقال: قدَّسه الله ونقدّس لك ونقدِّسك بمعنى. وروح القدس؛ لأنَّه يتنزَّل على كلّ شيء طاهر، ويطهِّر كلَّ من ينزل عليه ويثبت.

الظاهر

وهو الظاهر عن الأشباه والأمثال، تعالى الله علوًّا كبيرًا.

الحيُّ

الحيُّ من الحياة؛ أي: أنَّه الدائم الذي لا يفنى، الحيُّ الذي لا يموت، فهو ﷻ الحيّ الذي له الحياة الدائمة، الذي لا يزال حيًّا يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، وقولنا: «الله الحيّ» لم يثبت لهذا القول غير الله سبحانه وتعالى عما يشركون.

(١) في النسخ: + مجاز.
(٢) في النسخ: الموجود، ولعل الصواب ما أثبتنا.
(٣) في (س): منزه.

مسألة: [وصف اللّه بالحياة]

فإن قال قائـــل: فما معنى وصفكم بأنَّه حـــي، إن كنتم لا تثبتون له بهذا القول الحياة؟

قيل له: معنـــى ذلك أنَّا أثبتناه حيًّـــا بنفسه؛ لأنَّه عالم قـــادر، وذلك أنَّه لا يجوز أن يعلم إلّا حـــيّ، ولا يجوز أن يقدر على الأشـــياء إلّا حيّ، فَلَمَّا كانت أفعاله على أنَّه عالم بها وقادر عليها كانت أيضًا دالة على أنَّه حيّ.

فإن قال: فإذا وصفتموه بأنَّه حي [و]وصفتم غيره بأنَّه حيّ على الحقيقة؛ فما أنكرتم أن تكونوا قد شبهتم الله تعالى بغيره؟

قيل: إنَّ معنى وصفِنا لله تعالى بأنَّـــه حيّ هو إثبات له وحده، وليس هو إثبات لمعنى معه يُسَمَّى حياة. ووصفنا لغيره بأنه حيّ ليس إثباتًا له وحده، ولكنَّه إثبات لمعنى آخـــر معه هو غيـــره يُسَمَّى حيَاة، فَلَمَّـــا كان الوصفان مختلفين وكان أحدهما إثبات الموصوف لم يوجبا مع اختلافهما تشـــبيهًا لله تعالى بغيره، ولكن لو وصف واصف غير الله تعالى بأنَّه حيّ بنفسه /١٣٨/ كما وصف الله تعالى بذلك لكان يجب أن يكون شبَّه الله تعالى بغيره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

القيُّـــوم

قال أبو عبيدة: القيُّوم القائم، وهو الدائم، وهو الذي لا يزول، وهو فَعّول.

وعن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ (البقـــرة: ٢٥٥)، فمعنى الحيّ قيل: هو الحيّ الذي لا يموت، ولا تفنيه الدهور، ولا تغيِّره الأزمان ولا انقلاب الأمور. ومعنى القيُّوم: أنَّه القائم على العباد بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم.

والقَيُّوم فيه لغتان: قيُّوم وقيّام، وقد قرئ بهما جميعًا.

وعن عمر أنَّه قال: القيَّام، وفي الدعاء: الله قيَّام السماوات والأرض؛ أي: عمادهما. ومثله في التقدير: ما فيها ديُّور ولا ديَّار، ليس فيها ساكن دار.

وعن مجاهد: القَيُّوم: القائم على كلّ شيء، فهو ﷻ القَيُّوم على كلِّ نفس إلى انقضاء مدّتها، ويتولّى مجازاتها بما كسبت الحيّ القَيُّوم.

وعن ابن عباس أنَّه قال: القَيُّوم: الأول الذي لم يكن قبله شيء، وهو بالعبرانية: شراهيا، وذلك أن موسى عليه السلام لما بعثه الله ﷻ إلى بني إسرائيل، قال: «يا ربِّ، إذا سئلت عنك فقيل لي: من الذي أرسلك يا موسى؟ فما الذي أقول لهم؟» فأوحى الله ﷻ إليه أن «قل لهم: أرسلني إليكم هياشراهيا»، يقول: بعثني الأوَّل الذي لا بدء له وهو القَيُّوم.

الغفور

يقال: غفور وغفَّارٌ وغافرٌ ثلاث لغات، وهو من المغفرة. والمغفرة: الستر، كأنَّه ستر ذنوب العباد. ويقال في الدعاء: اللَّهُمَّ تغمدني بمغفرتك؛ أي: استر ذنوبي. وأصله من: غفرت الشيء، إذا غطَّيته. وتقُول: تغمده الله بمغفرته، أي: برحمته، أي: غمده فيها. ويقال: غفر غفرا، ومنه تقول: اللَّهُمَّ غفرا[1]. قال الشاعر:

في ظِلِّ مَن عَنَتِ الوُجوهُ لَهُ حَكَمِ الحُكومِ وَمالِكِ القَهرِ
في ظل من عنت الوجوه له ملك الملوك ومالك الغَفْرِ[2]

(١) في (س): فقرا.

(٢) البيتان من أخذ الكامل نسبه أبو بكر الدينوري فِي المجالسة وجواهر العلم (٣٩١/١) إِلَى الفرزدق ينشده في بعض خلفاء بني أمية. وينسب فِي الموسوعة الشعرية إِلَى الكميت الأسدي.

ويقال لجُنَّة الرأس: مغفر؛ لأنَّه يغطِّي الرأس ويستره. والغفور على وزن فعول؛ يعني: من شأنه يغفر الذنوب.

والغّفار: هو الذي يغفر ذنبًا بعد ذنب، وهو على وزن فعَّال، والتشـــديد يدلّ على التكريـــر. وأما الغافر فإنَّه يقال بالإضافــة: غافر الذنب، وهو على وزن فاعل، والتخفيف يدل على التقليل، فالله الغفار سبحانه لا غفّار غيره.

مالك وملك ومليك

قد جـــاء بهذا كله القـــرآن: مالك وملك ومليك، وهي كلها مشـــتقة من الملك، والملك يوصف به المخلوق، يقال للرجل: ملك ومالك ومليك.

ويقال: ملْك أيضًا بسكون اللام، ولم تجئ هذه اللغة في القرآن ولا روى أحد عن قرّائها. قال السجستاني: لو قرأ بها أعرابيّ لجاز، وهي لغة مشهورة معروفة.

قال النابغة:

ألـــم تـــرَ أنَّ الله أعطاكَ ســـورةً ترى كلَّ مَلْك دونهَا يتذَبذَب[1]

ويروى «تحتها».

يقولون: رَجِل ورَجُـــل، ونَجِد ونَجُد، وطَرِق وطَـــرُق، وعَلِمٌ وعِلُم وهو كلام عربيّ، ويقال: مالك كلّ شيء، ولا يقال: ملك كلّ شيء؛ فمالك أوسع وأجمع.

قال أبو عبيدة: وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (طه: ١١٤) الذي هو لا يموت ولا يسلب ملكه، وكل ملك ســـواه فقد جعله ملكًا، وهو يسلبه ملكه بموت أو

(١) البيت من الطويل للنابغة في ديوانه، ص٦.

غيره، فَلَمَّا أمات الله الملوك وسلبهم ملكهم قال سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، فأجاب /١٣٩/ ـ إذ لم يكن حي يجيبه ـ ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

قال أبو عبيدة: المالك يكون ملكًا في غير[1] ملك، ولا يكون الملك إلَّا مالكًا[2]، وهذا في الدنيا للمخلوقين، والله ﷻ ملك ومالك.

مسألة: [في صفة المالك]

إن قال قائل: أتزعمون أنَّه لم يزل مالكًا للأشياء كما أنَّه لم يزل قادرًا عليها؟ قيل له: نعم.

فإن قال: ما معنى ملكه لما لم يوجد؟

قيل له: قدرته عليها. قيل: فَلَمَّا كان قادرًا على ما لم يوجد كان مالكا، وقد بيَّن الله تعالى ذلك في كتابه فقال ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤) لم يوجد، وقد أخبر الله ﷻ أنَّه مالك له إذ كان قادرًا عليه.

فإن قال: أفتزعمون أنَّه لم يزل مالكًا؟

قيل له: نعم؛ ومعناهما واحد، وإنَّمَا يراد به إثبات الملك والقدرة على الأشياء.

مسألة: [في ملك الدنيا والآخرة]

فإن قال: الله تعالى ملك الدنيا والآخرة، فلِمَ قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؟

قيل: إن الدنيا ملَّكها الله تعالى أقوامًا فنسب الملك إليهم، فَلَمَّا كانت

(١) في (س): وغير.
(٢) في (ت): «ولا يكون المليك مالكًا».

الدنيـا يملكها الله تعالى ويملكهـا غيره بالنسبة لا علـى الحقيقة، والآخرة لا يملكها إلَّا هو ﷻ ولا يملك في ذلك اليوم غيره؛ خُصّ لذلك.

وقد قيل: إن الدنيا ملَكها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: سليمان بن داوود عليه السلام وذو القرنين، والكافران: نمرود بن كنعان وبخت نصر، ووجد في نسخة وسيملكها خامس.

[الحكـيم]

قال أبو عبيـدة: والعرب ربما وضعـت فعيلًا في موضـع مُفعَل، وفي موضـع مُفعِل بكسر عيـن الفعل. وقال فـي معنى قولـه تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يونـس: ١)، قال: الْمحكَم بفتح الكاف، وفـي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ (قٓ: ٢٣)، معناه[1] معتـد، فسمَّى نفسه حكيمًا؛ لأنَّه أحكم ما خلق فلم يفته شيء، ولم يكن في ملكه خلل.

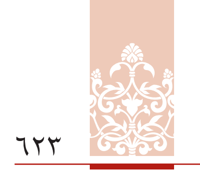
مسألة: [في صفة الحكيم]

والحكيم صفة ذات وصفة فعل، فالذاتي هـو العلم، والفعلي هو الذي توجد أفعاله محكمة، والحكيم: هو معنى العليم، والحكمة هي العلم.

فإن قال قائل: أفتزعمون أن الله لم يزل حكيمًا؟

قيل له: نعم، قد نقول ذلك على معنى أنَّه لم يزل عالمًا؛ لأنَّ الحكيم قد يستحقّ هذه الصفـة لعلمه بالأشـياء، وقـد يستحـقّ أيضًا لفعله الأفعال المحكمة المتقنة التي لا تفاوت فيها، فقد يجب أن يوصف بأنَّه لم يزل حكيمًا؛ بمعنى لم يزل عالمًا، ولا يجوز أن يوصف بأنَّه لم يزل

(١) في جميع النسخ: فجاره، ولعل الصواب ما أثبتنا.



حكيمًا على أنَّه فعل من أفعاله محكمة متقنة؛ لأنَّ هذا هو من[1] صفاته الفعلية.

فإن قال: ولم زعمتم أن العلم حكمة؟

قيل له: هذا في اللغة مشهور، والعالم عند جماعة أهل اللغة يُسَمَّى حكيمًا، ويدلّ عليه قوله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ٢٥١)؛ وهو يعني العلم والكتاب، وإنَّما سمَّى الكتاب حكمة؛ لأنَّ العباد يعلمون به، والله أعلم.

الواسع

الواسع: الغنيّ. يقال: أعطاني من سعة؛ أي: من غِنًى. قال ﷻ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (الطلاق: ٧)؛ أي: ذو غِنًى من غناه.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ (النور: ٢٢)؛ يعني: أولي الغنى.

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥)؛ أي: جواد غني فاضل يسع ما سئل.

ويقال: وسَّع الله على فلان؛ أي: أغناه.

قال المفضّل: واسع؛ /١٤٠/ أي: ذو سعة ووسع؛ أي: ذو قدرة وفضل في الوسع. والسعة: الفضل.

وفي بعض الكتب: أن معنى واسع أنه واسع الرحمة، واسع المغفرة،

(١) في (ت): خصوصه.

واســع الرزق؛ فأجرى هذه الصفــة على نفسه وهو يعني بــه ما وصفنا من الرحمة والمغفرة على التوسع في اللغة.

وقال الأشعري: فيه وجهان، أحدهما: أنَّه واســع بأفضاله[١] على خلقه، على معنى أنَّه جواد، مأخوذ ذلك من بذل العرف فلا يمنع[٢] ما سـئل منه؛ أي: لا يبخل بشيء سـئل عنه ولا يفوته. وأنشـد ابن الأنباري[٣] لأبي زبيد الطائي:

حمَّــال أثقــالِ أهل الــودّ آونةً ... أُعطيهم الجهدَ منِّي بلهَ ما أَسع[٤]

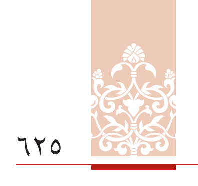
معناه: أعطيهم [ما لا أجده إلَّا بجهد] فَدَعْ ما [أحيط به و][٥] أقدر عليه.

والوجه الآخر: أنَّه يسع علمه على كلّ شــيء، فلا يخفى عليه من أفعال عباده فعل، ولا يغيب عليه منها أثر.

العليم

العليم: يقــال: إن الله تعالى عليم وعالم وعلام كلــه بمعنى العلم، وفي الحديث: «**إنِّي عليم أحبُّ كلَّ عليم**»[٦]. وجائــز أن يقال: هو فوق عباده في العلــم وفــي القــدرة، كمــا قــال الله ﷻ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)؛ يعني نفسه ﷻ، وهو أيضًا على التوسع والمجاز.

(١) في (ت): بأفعاله.
(٢) في (ت): «نبل المعروف والوسع».
(٣) في (ت): «الأنصاري لأبي الطائي».
(٤) البيت من البسيط لأبي زبيد الطائي. انظر: غريب الحديث لابن سلام، ١/١٨٦. ابن الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ١/٩٤.
(٥) هذه الإضافات من الزاهر لابن الأنباري، ١/٩٤.
(٦) سبق تخريجه في حديث: «أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي عليم أحبّ كل عليم...».



مسألة: [هل العلم من صفات الذات]

فإن قال قائل: أتزعمون أن العلم من صفات الذات؟

قيل له: ليس كذلك نقول، وليس يثبت مع الله معنى يُسَمَّى[1] علمًا، فيجوز أن يقال: من صفات الذات؛ ولكن قولنا: الله عالم هو صفة الله تعالى وجبت له لذاته.

وقال أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: العليم صفة ذات، فلم يزل الله تعالى عالمًا بما يكون وما لا يكون.

قال: فإن قال: قلتَ لم يزل عالمًا؟

قيل له: لما كانت أفعاله تعالى تقع منظمة متَّسقة غير مختلفة، غير متفاوتة، علمنا أنَّه عالم بها قبل كونها وقادر عليها.

فإن قال قائل: أفتزعمون أن غير الله وصف أيضًا على الحقيقة بأنَّه عالم؟

قيل له: نعم.

فإن قال: أفلم يكن هذا الوصف منكم تشبيهًا لله تعالى بخلقه؟

قيل له: إنَّ قولنا: «إنَّ الله تعالى عالم» إنَّمَا عنينا به أنَّه عالم بنفسه، وأن ذاته عالمة من غير أن نثبت معه معنى هو غيره يُسَمَّى عِلمًا صار الله به عالمًا، وقولنا لغير الله: «إنَّه عالم» إنَّمَا أثبتنا معه معنى هو غيره يُسَمَّى عالمًا، وصار الإنسان عندنا به يُسَمَّى عالمًا؛ فَلَمَّا اختلف معنى القولين والصفتين في قول الله عَزَّ وَجَلَّ وفي غيره لم توجب هاتان الصفتان تشبيهًا لما بيَّنَّاه من اختلاف معانيهما.

---

(١) في النسخ: ينتهي، ولعل الصواب ما أثبتنا.

ولكن لو قال قائل لغير الله: إنَّه عالم بنفسه كما وصف الله تعالى؛ لوجب أن يكون قد شبَّه الله بغيره إذا كان معنى صفة معنى واحدًا، إذا كان ما أثبته بإحدى الصفتين هو مثل من أثبته بالصفة الأخرى، والله أعلم.

الغنــيُّ

يعني الغني عن الأشـــياء، فلا يحصل لله تعالى منها نفع ولا ضرر، فهو الله تعالى الغني عنها كلها.

وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ (فاطـر: ١٥)، فهو الله تعالى غنـــي كما وصف نفسه، وجميـــع خلقه فقراء إليه عَزَّ وَجَلَّ.

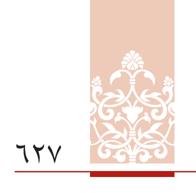
مسألة: [أفتسمون غير الله غنيًّا؟]

فإن قال قائل: أفتسمون غير الله غنيًّا؟

قيل له: نعم، وقد جاء في القرآن: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ (البقرة: ٢٧٣). قال المفضّل: أي: الجاهل بأمرهم، فقد سمّاهم الله أغنياء.

فإن قال: فما الفرق بين التسميتين؟

قيل لـــه: إن غنى الغنـــي هو غنى مستفـــاد، /١٤١/ وليـــس يطلق عليه الوصف بالغنى كما يوصف الله تعالى بأنَّه الغني الحميد، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يشـــبّه بخلقه وإن أشـــبه اللفظ؛ لأنَّ غنى الخلق غنى حادث بعد أن لم يكن، وقد يزول بعد أن كان؛ فلا يشـــبّه بصفة الغني الذي لـــم يزل ولا يزول، وهو الله الغني الحميد.



الحميد

الحميد: قال أبو عبيدة: الحميد معناه المحمود، وحمد الله تعالى هو الثناء عليه. وحميد: معناه محمود على نعمه وحسن تدبيره.

مسألة: [في حمد الله نفسه]

فإن قال قائل: أفتزعمون أنَّه حمد نفسه بقوله: الحمد لله؟

قيل له: نعم، وإنَّمَا قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، بيان لعباده كيف يحمدونه وليحمدوه كذلك.

فإن قال: أفتزعمون أن الحمد هو الشكر؟

قيل له: [لا]؛ لأنَّ الحمد ضدّ الذم، والشكر هو الاعتراف بالنعمة وضدّه الكفر، وهما مختلفان، وكذلك مدح نفسه بصفات ذاته بحسن نظره لعباده، فأراد أن يبيِّن بذلك للعباد صفاته ومدحه ليمدحوه بمثل ما مدح نفسه.

الشكور

الشكور: وصف الله تعالى نفسه بذلك على جهة التوسع والمجاز دون الحقيقة، فنحن نصفه بذلك كما وصف نفسه.

مسألة: [في وصف الله بالشكر]

فإن قال قائل: ولم زعمتم أن ذلك مجاز؟

قيل: إنَّمَا الشكر هو شكر النعمة التي كانت للمشكور على الشاكر، فلما لم يكن للعباد على الله نعمة لم يجز أن يكون شاكرًا لهم على الحقيقة، ولكن لَمَّا كان مجازٍ للمطيعين على طاعتهم، وجعل مجازاته إيَّاهم على هذه الطاعات شكرًا منه لهم على المجاز، كما كان مكافأة المنعم فيما بيَّناه؛ قد قال: إنَّه شكر على التوسُّع، وإن كان الشكر على الحقيقة هو الاعتراف بالنعمة.

والشكور من الناس: الذي يرضى بالقليل من العطاء، وكذلك يقال لمن قُدِر عليه الرزق: اشـــكر الله؛ أي: اقنع بالقليل. دابة شكور: إذا كانت تسمَّن على القليل من العلف. شعر(١):

ولا بد من غــزوة في المصيف وحربٍ تكِلُّ الوِقاح الشكورا(٢)

وكان الله ـ جلّ وعلا ـ سمَّى نفسه شكورًا؛ لأنَّه يرضى من عباده بالقليل من العبادة، والله أعلم.

الكــريــم

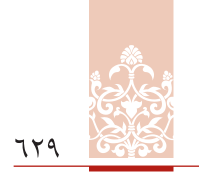
قال أهل اللغة: الكريم: المرتفع من كلّ شــيء. يقــال: فلان أكرم قومه؛ أي: أرفعهم منزلة وقدرا، وكذلك كلّ شــيء ارتفع من منزلــة نظرائه يقال: فرس كريم: إذا كان أشــهر الأفراس نزاهة. وشــجرة كريمة: أي ناعمة حسنة الثمــرة نضــرة، قــال الله ﷻ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: ١٠)، وقوله ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٢٩)؛ أي: شــريف، وقيل: مختوم، ويقال: فاضل.

وقول الله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ (الإسراء: ٦٢)؛ يعني: فضَّلته عليَّ ورفعته فوقي.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، أي: شرَّفناهم وفضَّلناهم على ســائر الخلق. قــال أبو عبيــدة: أي: أكرمناهم، إلَّا أنَّها أشــدّ لغة في الكرامة.

(١) في (س): فصل. وفي (ت): «فصل لعله شعر».

(٢) البيت من المتقارب للأعشــى في ديوانه. انظر: مقاييس اللغة، (شــكر). والموسوعة الشعرية.



وكلّ وصف بالكريم فإنَّما يراد به الارتفاع بالشـــرف والفضيلة. ويقال: الكريم الذي لا يمنُّ إذا أعطى فيكدّر عطاءه بالمنّ، وقال عَدِيُّ بن زيد:

ربـــي كـــريـــم لا يـــكـــدر نعمة   وإذا تُنُوشِد في المهارق أنشدا[1]

وقيل: الكريم الصفوح، قال أبو عبيدة في قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)؛ أي: صفوح.

وقال أبو محمـــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكريم صفة ذات وصفة فعـــل، فالذاتية: بمعنى العزيز /١٤٢/ المتمنّع، والفعلية: بمعنـــى المفضّل بالعطاء، فيجوز أن يقال: لم يزل كريمًا على المعنى الأول، ولا يجوز أن يقال: إنّه لم يزل كريمًا على المعنى الثاني.

مسألة: [في وصفه تعالى بالكرم على معنى العزة]

فإن قال قائل: لم زعمتم أنَّـــه يجوز أن يقال له: كريم، على معنى أنَّه عزيز؟

قيل لـــه: ذلك موجود في اللغـــة؛ لأنَّه يقال: إن فلانًـــا أكرم عليّ من فلان، يراد: أنَّه أعزّ من فلان، وليس هذا من معنى الكرم الذي هو الجود والإفضال في الشيء.

الجـــوَاد

الجوَاد في لغة العرب: هو الذي يتفضَّل على من لا يستحقّ، ويعطي من لا يستوجب، الذي لا تحصى عطاياه.

(١) البيت من الكامل ينسب للأعشى في كتب اللغة والأدب وفي ديوانه، ص٥٤.

مسألة: [في القول: فرس جوَاد على غير معنى الإفضال]

فإن قال قائل: أليس يقال: فرس جوَاد على غير معنى الإفضال؟

قيل له: قد يقال: فرس جواد، وهم يريدون أنَّه سـريع العدوة، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى مـن هذا المعنى بأنَّـه جوَاد؛ لأنَّ العـدْوَ والحركات لا يجوزان عليـه، ولا يجوز أن يوصف بالسرعة؛ تعالـى الله. وإنَّمَا يوصف بأنَّه جواد كمـا يوصف ذو البذل والسخـاء منّا بأنَّه جوَاد، يـراد به: إنعامه وإفضاله وجُوده وكرمه، فَلَمَّا وصـف الله ﷻ نفسه بأنَّه جوَاد وكريم وصفناه به، ولو لم نصفـه بذلك لكنا قد وصفنـاه بضدّه، فَلَمَّا نفينـا عنه الأضداد وصفناه تعالى بأنَّه جوَاد كريم.

مسألة: [في القول: لم يزل جوَادًا]

فإن قال: فيجوز أن يقال: لم يزل جوَادًا؟

قيل له: لا؛ لأنَّ الجود هو إنعامـه وإفضاله على عباده، وذلك فعل منه، فلا يجوز أن يكون لم يزل موصوفًا بذلك.

مسألة: [في وصفه تعالى بالسخاء]

فإن قال: أفتزعمون أنَّه سخي؟ قيل له: لا.

فإن قال: فما الفصل بين وصفكم بأنَّه جواد وبين امتناعكم من وصفكم بأنَّه سخيٌّ؟

قيل له: إن السخاء في أصل اللغة إنَّمَـا هو اللين، ومنه يقال: أرض سـخاوية: إذا كانت ليِّنة، ويقال: قرطـاس سـخاوي، إذا كان ليِّنًا. قال الشاعر:

أَتَاني وَعِيــدٌ والتنَـائِـفُ بَيْنَنَا ... سَخَاوِيُّهَـا وَالْغَائِطُ الْمُتَصوِّبُ[(١)]

وإنَّمَا قيل للجواد من المخلوقين: ســخيٌّ؛ للينه عند الحوائج إذا طلبت منه. وكذلك يوصف الجواد منهــم بأنَّه لين الأخدعين؛ يراد به: لينه وإجابته لما يســأل. فلما كان اللين لا يجــوز على الله ﷻ لم يجــز أن يوصف بأنَّه سخيٌّ، ووجب أن يوصف بأنَّه جواد مِفضال منعم.

اللطــيف

قيل: سُــمّي الله تعالى لطيفًا؛ لأنَّه لطيف في صنعه برأفته ورحمته، فلم يدع شيئًا من لطيف صنع إلَّا خلقه بلطفه وحكمته.

واللطيف في معنى الرفيق العالم بالشيء، والله ﷿ لطيف بالخلائق كلّهم حتى وصلوا إلى بغيتهم بعلم ورحمة وحكمة.

وقال المفضّل اللطيف الواسع العليم.

واللطف: التوصّل إلى علم الشيء، ومن الوصف تعالى بأنَّه لطيف؛ بمعنى أنَّه منعم، وبمعنــى أنَّه لطيف التدبير والصنع؛ لأنَّ تدبيره لطيف لا تعرفه العباد للطفه. وقد وصف نفسه تعالى بأنَّه لطيف خبير، والنعمة تسمّى في اللّغة لطفًا، فيقال: فلان هــو ببعض ولده ألطف[(٢)] منه بغيره، يريدون: أن نعمته عليه أكثر.

الخـبيـر

الخبير: كالعالم بالشــيء. يقال: فلان يخبر هذا الأمــر؛ أي: يعلمه، وهو

(١) البيت من الطويل للنابغة الذبياني. انظر: العين، تهذيب اللغة، لسان العرب؛ (سخا).
(٢) في (ت): «فلان يتعطف ولده بلطف».

خبير به؛ قال الله ﷻ: /١٤٣/ ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩)؛ أي: عليمًا به، وقال الشاعر:

إذا لاقيت قومي فاسأليهم كفى قومًا بصاحبهم خبيرا(١)

الجليل العليُّ العظيم

كلّ هذه الأسماء بمعنى واحد، وهو أنَّه سيِّد مالك الأشياء قاهر، وأنَّه على الأشياء كلِّها مقتدر؛ لأنَّ سيّد القوم هو كبيرهم وجليلهم وعظيمهم.

والعليُّ: يكون بمعنى الغالب والقاهر في اللغة، نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)؛ يعني بذلك: لغلب بعضهم بعضًا وقهره، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٤)؛ أي بمعنى: قهر أهلها واستولى عليهم، قال الشاعر:

فَلَمَّا علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر(٢)

يعني: عليناهم وقهرناهم واستولينا عليهم.

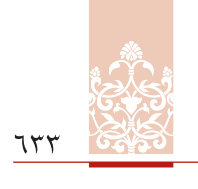
مسألة: [في القول إنَّه لم يزل عليًّا]

فإن قال قائل: أفتزعمون أنَّه لم يزل عليًّا؟

---

(١) في النسخ: «وقومي إن جهلت فسائليهم»، ولم نجد من ذكره بهذا اللفظ، مع أن الوزن منكسر، والتصويب من كتب اللغة. والبيت من الوافر لمضرس بن ربعي الفقعسي. انظر: مُحَمَّد بن العباس اليزيدي (٣١٠هـ): الأمالي، ١٨٦/١. ابن سيِّده: المحكم والمحيط، ١١٣/٧. التبريزي: ديوان الحماسة، ٢٨٩/٢. السخاوي في المقاصد الحسنة، ٥٠٩/١. والعجلوني في كشف الخفاء، ٤٤٦/١.

(٢) البيت لم نجد من نسبه، ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٧٨/٣. وأبو حيان في تفسير البحر المحيط، ٢٨٠/١ و٢٩١/٢.



قلنا[١] له: نعم، فإنَّ الله تعالى لما لم يزل عليًّا قاهرًا مقتدرًا على الأشياء كلها، [٢] قلنا: وجب أن يقال له: عليًّا ومتعاليًا. وقد يوصف بأنَّه متعال على جهة أنَّه منزَّه جليل نحو قوله ﷻ: ﴿تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (النحل: ٣). ونحو قول المسلمين: تعالى الله عن وصف الجاهلين؛ لأنَّ معنى ذلك: أن الله تعالى يجلّ عن ذلك، وأنَّه منزّه عنه.

مسألة: [في وصفه تعالى بالرفعة والشرف]

فإن قال: أفتزعمون أنَّه رفيع، وأنَّه شريف كما زعمتم أنَّه عليّ؟

قيل له: إن أصل الارتفاع في اللغة الشرف، وهو ما يفعل من ارتفاع مكان الشيء وارتفاعه وإشرافه، فَلَمَّا لم يجز على الله أن يوصف بارتفاع المكان ولا بالإشراف لم يجز أن يقال: إنَّه شريف رفيع.

فإن قال: أفليس يقال: فلان شريف رفيع، وإنَّمَا يعنون به سؤدده وعظم قدره، وليس يعنون بذلك ارتفاع مكانه؟

قيل له: بلى، ولكن أصل ذلك هو من الارتفاع والإشراف المعقولين اللذين وصفناهما، ووصفوا بذلك السيد من هذا المعنى توسعًا، فأرادوا به أنَّه أرفع من غيره وأشرف، فَلَمَّا كان أصل هذا المعنى لا يجوز على الله ﷻ لم يجب أن يوصف به، ولو وجدنا في صفاته شيئًا من هذه لحمل على المجاز دون الحقيقة.

فإن قال: أفليس العُلوّ أيضًا في اللُّغة قد يكون بمعنى الارتفاع وعلوِّ المكان؟

قيل له: بلى، وليس هذا من المعنى الذي وصفنا الله بأنَّه عليّ، وإنَّمَا وصفناه بذلك على وجه ما ذكرناه.

---

(١) في (س): قلت.
(٢) في النسخ: + لما.

فإن قال قائل: أفليس قد قال الله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ (غافر: ١٥)؟

فقل له: بلـــى، وقوله: ﴿رَفِيعُ﴾ إنَّمَا هو للدرجــات، وليس هو صفة لله، والدرجات هي غير الله، فدرجــات الله رفيعة، والله لا يوصف بأنَّه رفيع، ولو وجدنا ذلك في صفاته لما كان معنى ذلك إلَّا المجاز دون الحقيقة.

المجيـد والماجـد

هما اســمان على وزن فعيل وفاعــل، وهو مأخوذ مــن المجد. والمجد: الجلالة والعظمة، وقد يوصف الإنسان بالمجد ويقال: ماجد، ولا يقال: مجيد، والماجد هو الفاعل بالاكتساب، والمجد[1] والمجيد هو معدن المجد.

ومثله حكيم وحاكم، فالحاكم الذي يفعل بالحكمة، والحكيم معدن الحكمة.

وقال أبو عبيدة: المجيد معنــاه الماجد. وقال غيــره: معنى مجيد؛ أي: كريم عزيز، /١٤٤/ وقولــه ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ (البروج: ٢١)؛ معناه كريم وعزيز. وماجد ومجيد من صفاته لذاته.

الــودود

قال ابن الأنباري: الودود المحبّ لعباده، من قولهم: وددت الرجل أوده ودّا ووِدادًا، والوَدُّ: بفتح الواو اســم للصنم، قــال الله ﷻ: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ (نوح: ٢٣). قال الشاعر:

بِوُدِّكِ ما قَـوْمِي علَى أَنْ تَرَكْتِهِمْ سُلَيْمَى إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ وريِحُهَا[2]

(١) كذا في النسخ ولعلها زائدة، أو يقصد بها: الماجد.

(٢) البيت من الطويل لعمرو بن قميئة الثعلبــي (ت: ٨٥ ق.هـ)، فِي ديوانه، ص٤. وانظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب، ٤١٤/١. ابن الأنباري: الزاهر، ٨٨/١.

بِوَدّك وبوُدّك (بفتح الواو وبضمّها)، فمن فتح الواو أرادَ بحقّ صنمك عليك، ومن ضمَّ الواو أراد بالمودّة بيني وبينك.

ومعنى البيت: أي شيء وجدت قومي يا سُليمى على تركك إيَّاهم [أي: قَد رَضيت بقولك في ذلك وإن كنت تاركة لهم] [١] فَاصدقي وقولي الْحَقّ.

ويقال: وَددت الرجل وَدادًا ووِدادًا، ووَدادة ووِدادة. قال الشاعر:

وَدِدْتَ وَدَادَةً لَوْ أَنَّ حَظِّي ... مِن الخُلَّانِ ألَّا يَصرِموني[٢]

وَوَدتُ الرجل مَوَدَّةً[٣]. قال العجَّاج:

إِنَّ بَنِيَّ لَلِئامٌ زَهَدَهْ ... مَا لِي فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدَهْ[٤]

أراد: من مودَّة؛ فأظهر الدَّالَيْن لضرورة الشعر.

قال ابن قتيبة: الودود: فيه قولان: يقال: هو فَعُول، بمعنى مَفعُول، كما يقال: رجل هَيُوب؛ أي: مَهيب؛ يراد به مودود. ويقال: هو فَعُول، بمعنى فاعل، كقولك: غفور وغافر؛ أي: يودّ عباده الصالحين.

وقد تأتي الصفة بالفعل لله ـ جلَّ ذِكره ـ ولعبده، فيقال: العبد شكور لله؛ أي: يشكر له نعمة الله، والله شكور للعبد؛ أي: يشكر له عمله، والعبد تواب إلى الله ـ جلّ ثناؤه ـ من الذنب، والله ـ جلَّ ذِكره ـ توّاب عليه.

---

(١) هَذِهِ الزيادة من الزاهر في معاني كلمات الناس، ٨٩/١.

(٢) البيت من الوافر ذكره ابن الأنباري فِي الزاهر (٨٨/١)، وورد في تهذيب اللغة واللسان وتاج العروس مادة: (ودد) ولم ينسبوه.

(٣) في النسخ: «ودادة»، ولعلّ الصواب ما أثبتناه من الزاهر (٨٨/١) وغيره، وهو موافق للشاهد وشرحه.

(٤) البيت نسبه المؤلّف للعجّاج ولم نجده فِي ديوانه، ونسبه ابن الأنباري فِي الزاهر للعجّاج، ٨٩/١. والخطابي فِي غريب الحديث، ٩٦/٣. وذكره ابن سِيّده فِي المحكم والمحيط ولم ينسبه، ٣٦٩/٩.

البـاعـــث

الباعث في كلام العـــرب: المثير المنهـــض، يقال: بعثـــت البعير: أثرته وأنهضته من مكانه، وكذلك بعثـــت الرجل وأثرته من مكانه الذي مكث فيه واضطجع. قال الأعشى:

مَهْلًا بُنـــيّ فَـــإنّ المَـــرْءَ يَبْعَثُهُ   هَمٌّ إذا خالَطَ الحَيْزُومَ وَالضِّلَعَا[١]

يعني: إذا كان في صدره همّ أثاره ذلك الأمر الذي يهتمُّ له.

وقال آخر:

فلا تبعث الأفعى يـــداك تثيرها   [وَدَعْها] إذا ما غَيَّـبَتها سَفاتُها[٢]

أي: لا تثير الأفعى من الموضع الذي رقدت فيه، وســـفاتها: يريد ما قد دخلت فيه من السّفا، وهو التراب.

فقيل: الله تعالى باعث؛ لأنَّه تعالى يبعث الخلائق بعد الموت؛ أي: يثيرهم من القبور وينهضهم مـــن مضاجعهم، قـــال الله ﷿: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ (يسٓ: ٥٢).

وقيل: يوم القيامة يوم البعث؛ لأنَّ الخلائق يثارون فيه من قبورهم.

ويكون أيضًا الباعث مأخوذًا من بعث الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى الناس، وإيثارهم من بين القبائل والشـــعوب. المعنيان صحيحـــان جائزان في صفة الله ﷿؛ لأنَّه باعث الأنبياء والرسل، لا باعث غيره، تبارك الله الباعث.

---

(١) البيت من الطويل للأعشى فِي ديوانه، ص١١٥.

(٢) البيت من الطويل للأعشـــى فِي ديوانه (ص٢٦) بلفظ: «فَلا تَلْمسِ الأفْعَى يَداكَ تُرِيدُها...». ونسبه أصحاب الموسوعة الشعرية لأبي ذؤيب خويلد الهذلي (ت: ٢٧هـ) بلفظ: «فَلا تُتبعِ الأَفعى يَدَيكَ تَنوشُـــها». وينسب لخالد بـــن زهير الهذلي في التذكـــرة السعدية للعبيدي، ١٣/١ (ش) بلفظ: «ولا تبعث الأفعى تداور رأسها...».

وقال المفضّل في قوله ﷻ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، يقال: لكلّ تحريك وإزعاج بعث. وفي قراءة ابن مسعود: (مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)[1] والمعنيان متقاربان؛ لأنَّ أَهَبَّنا: أنبهنا.

ويقال: هبَّ من نومه يَهُبّ، إذا انتبه، وأهبَّه غيره. قال الشاعر:

أَلا أَيُّها النوّامُ وَيحكُمُ هُبّوا ... نسائِلُكُم هَل يَقتُلُ الرَجُلَ الحُبُّ

فَقالوا بلَى حَتّى يَرُضَّ عِظامَهُ ... وَيَترُكَهُ حيرانَ لَيسَ لَهُ لُبُّ[2]

الوارث

قيل لله تعالى: الوارث؛ لأنَّه يبقى بعد فناء الخلق /١٤٥/ كلّهم، فلا يكون مالك غيره فهو الوارث، كما قال [الله] ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ (مريم: ٤٠).

الديَّان

الديَّان: من الدين وهو طاعة؛ لأنَّ الخلق كلّه دان له وتذلل فلم يفته شيء من خلقه. ويقال: دان له؛ أي: طاعه. وقيل في صفته تعالى: ديان يوم الدين؛ أي: إليه حساب الخلائق يوم الحساب. وفي المثل: «كما تَدين تُدان»؛ أي: كما تفعل تجازى به من خير أو شرٍّ. وقال ورقة بن نوفل[3]:

---

(١) انظر هذه القراءة عند: النحاس: معاني القرآن، ٥٠٤/٥. تفسير الطبري، ١٦/٢٣. تفسير السمعاني، ٣٨٢/٤.

(٢) البيتان من الطويل لقيس بن الملوح في ديوانه (مجنون ليلى)، ص١.

(٣) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي (ت: نحو ١٢ ق.هـ): حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٤/٨.

وَاعْلَــمْ وَأَيْقِنْ أَنَّ مُلْــكَكَ زَائِلٌ   واعلم بــأَنَّ كما تديــنُ تُدانُ[(١)]

والدِّين: علــى وجوه كثيرة ليــس هذا موضعهــا. والدَّيَّــانُ: الذي يلي المجازاة وهو قادر عليها، فيجازي كلًا على استحقاقه، وهو ديّان يوم الدين؛ لأنَّه مجازيهم بأعمالهم.

وقيل: إن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه امرأته، فقال:

[إليك] أشــكُو ذِرْبَةً من الذِّرَب   يا مالك الملك وديان العرب[(٢)]

فقال النبي ﷺ: «**ذلك الله** ﷻ»[(٣)].

المنَّان

المنَّان: معناه المُعطي. يقال: منَّ فلان عليَّ بكذا؛ أي: أعطانيه. وقال ﷻ:

---

(١) البيت من الكامل ليزيد بن الصَّعِق الكِلابي كما في الكامــل، ٢٨٣ وجمهرة اللغة (دني) وجمهرة الأمثــال (١٦٨/٢) ونسب إلى خويلد ابن لؤي الكلابي في اللسان (دين). وذكره ابن الأنباري فِي الزاهر (٢٧٨/١) ولم ينسبه.

(٢) كذا فِي النسخ، والبيت من الرجز للأعشــى بن مازن لَمَّا جاء إلى النَّبِيّ ﷺ يشكو زوجته وأنشده هَذِهِ الأبيات، وجاءت بلفظ:

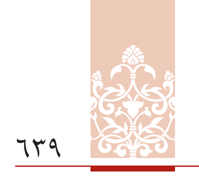
يا سَــيِّدَ النَّــاسِ وديَّــانَ العَرَبْ   إليكَ أشْــكُو ذِرْبةً مِــن الذِّربْ

وذكرت تكملة الأبيات فِي مصادر كثيرة باختلافــات كثيرة أَيضًا، منها ما جاء فِي تهذيب اللغة مادة: (خلف، ذرب)، وفِي غريب الحديث للخطابي (٢٤٠/١):

يا ســيد النــاس وديــان العرب   إليك أشــكو ذربة مــن الذرب
كالذئبة الغبساء في ظل السرب   خرجت أبغيها الطعام في رجب
فخلفتنــي بــنــزاع وحــرب   أخلفــت الوعد ولطــت بالذنب
وقذفتنــي بين عيص مؤتشــب   وهن شــر غالــب لمــن غلب

فقال النَّبِيّ: «وهن شرّ غالب لمن غلب».

(٣) رواه أحمد، عن ابن عمر من حديث طويل بلفظ: «وهن شــرّ غالب لمن غلب»، ر٦٨٨٦، ٢٠١/٢ ـ ٢٠٢. والبيهقي في السنن الكبرى، ر٢١٦٤٥.



﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر: ٦)، قال المفسّرون: أي تعطي لتأخذ أكثر مِمَّا أعطيت من المكافأة في الدنيا. وقال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (إبراهيم: ١١)؛ أي: يعطيهم من فضله.

والمنَّان: على وزن فعَّال، وكلّما جاء على هذا الوزن فمعناه أن شأنه أن يفعل ذلك. فالمنان من شأنه المنُّ بالإعطاء، تبارك الله المنَّان.

وقيل: المنَّان هو المنعم على عباده؛ لأنَّ المنَّة من الله تعالى هي النعمة، والمنَّة من الخلق هي الامتنان. ويقال: مَنَنت عليه بالعطيَّة، ومنَّ عليه أيضًا مِنَّة ومَنًّا، وهو مذموم. قال الشاعر:

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنٍ ليس الكريم بما أسدى بمنَّان

ويروى «ما أسديت»، ويروى «ما قدَّمت»[1].

قال الله ﷻ: ﴿لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٧). فالمنّ من الله تعالى محمود، ومن العباد مذموم، يواليه المفضّل بالعطاء.

مسألة: [في وصفه تعالى بالحنَّان]

فإن قال قائل: أفتزعمون أنّ الله تعالى حنَّان؟

قيل له: ليس لوصفه تعالى بهذا الاسم؛ لأنَّ الحنين هو حنين القلب إلى الشيء، والله سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن له قلبًا فيوصف بالحنين، ولو سمعنا في بعض صفات الله لكان يجب أن يحمل ذلك على المجاز، وكان لا يجوز معناه على الله تعالى على جهة الحقيقة.

(١) البيت من البسيط لم نجد من نسبه. انظر: ابن الأنباري فِي الزاهر (٣٤٤/٢) بلفظ: «ما قدَّمْتَ» وهي من روايات المؤلِّف كما يأتي. وذكره الدينوري فِي المجالسة وجواهر العلم، ٢٤٠/١. والميداني فِي مجمع الأمثال، ٢٩/١. وغيرهما بألفاظ مختلفة قليلًا.

فإن قال: أفليس قد قال الله ﷿: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ (مريم: ١٣)؟

قيل له: قد قال الله ـ جلّ وعلا ـ ذلك وعنى به أن يحيى ﵇ كان حنانًا، وأرادوا به أنَّه كان رحمة من الله تعالى على عباده.

قال المفضّل: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمة.

وقال امرؤ القيس يذكر إبلًا أُغِير عليها:

ويَمْنَحُها بَنُو شَـمَجَى بن جَرْمٍ مَعيزَهُم حَنـانَـك ذَا الحَنَانِ[1]

حنانك؛ أي: رحمتك يا ربّ. وتقول: حنانـك وحنانيك يا ربّ؛ بمعنى حنانيك[2]؛ أي: رحمة بعد رحمة.

ويمنحها: أي: يجعلها منيحة يسقون غنمهم لبنها، والمعيز: المعز.

قـال: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ (مريـم: ١٣)؛ أي: رحمة لأبويـه ﴿وَزَكَوٰةً﴾، أي: تصدَّق به على أبويه.

فحنَّان عندنا لا يجوز؛ لأنَّه مأخوذ من الرقَّة، كما يقال: حنَّت الناقة إلى ولدها. وحنيـن الناقة على معنيين، حنينها: صوتها إذا اشـتاقت إلى ولدها، وحنينها: رغاؤها إلى ولدها من غير صوت. وقال ذو الرمة: /١٤٦/

حَنَّـت قُلوصي أَمسِ بِـالأُردُنِّ حِنّي فَمـا ظُلِّمـتِ أَن تَحِنّي[3]

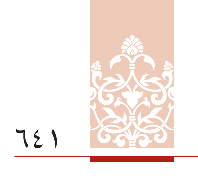
فلا يجوز عندنا هذا الاسم لله تعالى، وإن كان قد قال به قوم فلسنا نقول به؛ لأنَّه لا يصحُّ معنا معناه.

---

(١) البيت من الوافر لامرئ القيس في ديوانه، ص٥٥. وغريب الحديث لابن سلام، ٤٠١/٤.

(٢) كذا في النسخ ولعلّ الصواب ما في غريب الحديث لابن سلام: «بمعنى واحد».

(٣) كذا فِـي النسخ ينسب هذا البيت إلـى ذي الرمة، ولم نجد من نسبه إليـه ولم نجده فِي ديوانه أيضًا، بل وجدناه ينسـب إلَى رؤبة بن العجاج. انظر: العيـن، تهذيب اللغة، لسان العرب؛ (حن). وقال فِي العين: «والحنة خرقة تلبسها المرأة فتغطي بها رأسها».



ومِمَّـا يؤيِّد قولنا ما رواه أبو عبيدة بإسـناد له عن ابـن عباس أنَّه قال: «والله مـا أدري مَا الحنَّان؟!». فهـذا ابن عبَّاس ـ بَحر العلـم والقدوة فيه ـ يُقسم بالله لا يدريه، فكيف لغيره القول فيه؟.

مسألة: [في اسم آمين]

فإن قال قائل: أفتزعمون أن آمين اسم من أسماء الله تعالى؟

قيل له: إن قصدت بقول: «آمين» يؤمن منه الجور؛ فعسى أن يجوز، والله أعلم.

الـرؤوف

قال ابن الأنباري: قال أهـل اللغة: الرؤوف معناه في كلامهم: الشـديد الرحمة. قـال أبو عبيدة في قوله تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقـرة: ١٤٣): في معنى الآية تقديـم وتأخير. قال: والمعنـى: إنَّ الله بالناس لرحيم رؤوف؛ أي: الرحيم شديد الرحمة.

وقال في الرؤف بضمِّ الهمزة من غير إثبات في واو، قال:

نـطيـعُ نبيَّـنـا ونطيـعُ ربًّـا هـو الرحمٰـنُ كانَ بنـا رؤفا[١]

وقال جرير في اللغة الثانية:

تَـرَى للمُسْلِمِينَ عَلَيْـكَ حَـقًّا كَفِعْلِ الوَالِدِ الـرّؤُفِ الرّحِيمِ[٢]

واللغة الثالثة[٣]: رَأْف بعباده بتسكين الهمزة، قال:

(١) البيت من الوافر لكعب بن مالك الأنصاري (ت: ٥٠هـ) فِي ديوانه (الموسـوعة الشعرية). انظر: ابن الأنباري: الزاهر، ٩٧/١. لسان العرب، مادة: (رأف).

(٢) البيت من الوافر لجرير فِي ديوانه، ص٥٤٩.

(٣) في النسخ «الثانية» ولعلّ الصواب ما أثبتناه من: الزاهر، ٩٧/١.

فآمنــوا بنبــيٍّ لا أبــا لكُــمُ ذي خاتمٍ صاغَهُ الرحمٰنُ مختومِ
رَأْفٍ رَحِيمٍ بِأَهْــلِ الْبِرِّ يَرْحَمُهُمْ مُقَرَّبٍ عند ذي الكرسيِّ مرحومِ[1]

وقال الكسائي والفرَّاء: يقال: الله رَئِفٌ بكسر الهمزة.

وقال أبو عبيدة: رؤوف فَعول من الرأفة، وهي أشدّ الرحمة. وقال الكميت:

وَهُمُ الأَرأَفُــونَ بالنَّاسِ في البـ ــلاء والأَحلَمُونَ في الأَحلَامِ[2]

والله ﷻ هو الرؤوف؛ لأنَّه المتناهي في الرحمة بعباده، ولا راحم أرحم منه، ولا غاية من وراء رحمته، تبارك وتعالى الله الرؤوف الرحيم.

الفتَّــاح

قال ابن الأنباري: الفتَّاح في كلامهم الحاكم، ومنه قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (الأنفال: ١٩)؛ معناه: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء. وقال الشاعر:

أَلَا أَبلِــغْ بَنِــي عُصْمٍ رَسُــولًا فـإنِّي عــن فُتَـاحَتِكُــم غَنِيّ[3]

معناه: عن محاكمتكم. وقال الفرَّاء: أهل عُمان يسمُّون القاضي: الفتّاح.

(١) البيتان من البسيط ذكرهما ابــن الأنباري فِي الزاهر ولم ينسبهما، كمــا لم ينسبهما أيضًا اللسان وتاج العروس؛ مادة: (رأف).

(٢) البيت من الخفيف للكميت بن زيد الأســدي فِي ديوانه بلفظ: «بالناس في الرأفة». انظر: الموسوعة الشعرية.

(٣) البيت مــن الوافر، ذكره ابن الأنبــاري في الزاهــر (٩٣/١) وأبو علي القالــي في أماليه (١٤١٢/١) ولــم ينسباه، ونسبــه المعري في رســالة الصاهل والشــاحج (٧٠٨/١) إلى الشويعر الجاهلي محمد بن حمران الجعفي بلفظ:

مَــنْ مُـبـلِـغٌ عُـصـمًـا بـأَنـي عــن فُـتَـاحَـتِـكُـمْ غَـنِـي
لا عَــمَّــتــي أَمَـــــةٌ ولا خـالـي كـخـالِـكَ مُـقْـتَـوى

وقال قوم: معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (الأنفال: ١٩): إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر: «اللَّهُمَّ انصر أفضل الدِّينَين[١] عندكَ وأرضاه لديك»، فقال الله ﷻ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (الأنفال: ١٩)؛ فمعناه: إن تستنصروا فقَد جاءكم النصر.

ومن ذلك الحديث أن النبيَّ ﷺ «كانَ يَستَفتِحُ بصَعالِيكَ المهاجِرِينَ»[٢]؛ والصعاليك عند العرب: الفقراء. وقال حاتم [بن عبد الله الطائي]:

غَنِينا زمانًا بالتصعلُكِ والغِنى ... فكُلًّا سقاناه بكأسَيْهِما الدهر
فما زادَنا بَأوًا على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأعراضنَا الفَقرُ[٣]

أراد: الفقر والغنى. وقال غيره:

كأنَّ الفتى لم يَعْرَ يومًا إذا اكتسى ... ولم يكُ صُعْلوكًا إذا ما تمولَّا[٤]

أي: لم يك فقيرًا، والصعلوك: الفقير.

قال المفضّل في قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ (سبأ: ٢٦)؛ أي: يحكم.

---

(١) في النسخ: «الفئتين نسخة الدينين»، وأثبتنا ما في النسخة الأخرى كما في الزاهر لابن الأنباري، ١/٩٣.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أمَيَّة بن خَالِد بلفظه، ر٨٥٨، ١/٢٩٢. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/٢٦٢.

(٣) البيت الأوَّل من الطويل نسبه ابن الأنباري في الزاهر (١/٩٤) وابن سيِّده في المحكم والمحيط (٢/٤١٦) لحاتم الطائي. وذكر البيت الثاني كل من الأزهري في الصحاح، (بأس)، واللسان، (بأو). بلفظ: «بأحسابنا الفقر».

(٤) البيت من الطويل نسبه العبيدي في التذكرة السعدية في الأشعار العربية (١/١٨٠) إلى جابر بن الثعلب الطائي. وذكره المبرد في الكامل (١/٨٤٨).

الحلــيم[1]

قال ابن الأنبــاري: الحليم معناه في كلامهم: الــذي لا يعجل بالعقوبة، يقال: حلمت عن الرجل أحلم عنه حلما إذا لم أعجل عليه. قال جرير:

حَلِمْتُ عَنِ الأَرَاقِمِ فَاسْتَجَاشُوا ... فَــلَا بَرِحَــتْ قُدُورُهُــمُ تَفُورُ[2]

ويقال: حلمت في النوم أحلم حُلْمًا وحُلُمًا، والأولى: إن كنت في النوم أحلم، وقال المؤمِّل[3]: /١٤٧/

حَلِمتُ بكم في نَومَتي فَغضِبتُم ... فَلا ذَنبَ لي إن كانت العين تحلمُ[4]

مسألة: [في أنَّه لم يزل حليمًا]

فإن قال قائل: أفتزعمون أنَّه لم يزل حليمًا؟

قيل لــه: لا، دون أن يرجع بقولنا لم يزل حليمًا إلــى أن يرد ذلك إلى غاية وأول، فيقول: لم يزل حليمًا عن عباده منذ عصره؛ لأنَّ الحِلم من الله تعالى فِعل، وهو إمهاله للعباد بعد المعصية، وصرف الأســقام عنهم إذا لم يعالجهم به، فَلَمَّا كان ذلك منهم فعلًا لم يجز أن يقال: لم يزل حليمًا، كما يقال: لم يزل قادرًا.

قال: فإن قال: أفتزعمون أنَّه لو [لم] يحلم عن أهل المعاصي لم يكن حليمًا؟

قيل له: كذلك نقول، ولكــن إذا كان عالمًا بأن صلاح[5] عباده إذا خلقهم وكلَّفهم طاعته بأن يحلم عنهم، وأن لا يعالجهم بالانتقام في أوَّل ما يستحقون

---

(١) في النسخ: «الحكيم» بدل «الحليم» في جميع تفسير هذا الاســم، والصواب ما أثبتناه من الزاهر لابن الأنباري.

(٢) البيت من الطويل منسوب لجرير ولم نجده في ديوانه. انظر: الزاهر لابن الأنباري، ١/ ٩١.

(٣) في الأصل: «المويلع»، وهو خطأ، والتصويب من الزاهر، ١/ ٩١.

(٤) البيت من الطويل للمؤمِّل. انظر: الزاهر لابن الأنباري، ١/ ٩١.

(٥) في النسخ: «اصطلاح» ولعل الصواب ما أثبتنا.

ذلك؛ فيجوز أن يحلم عنهم، وأن يمهلهم ليتوب عنهم، من أن يعلم أنَّه سيتوب بعد ذلك من ذنوبهم.

مسألة: [في صفة الحليم]

صفة الحليم: صفة ذات وصفة فعل، والحليم في معنى العليم من قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١)؛ يعني: عليمًا، فهذه صفة ذات. والحليم من تأخير العقوبة: صفة للفعل، والله أعلم.

المقيت

قال ابن الأنباري: المقيت فيه قولان، قال بعض: المقيت: الحفيظ. وقال ابن عبَّاس: المقيت: المقتدر، واحتجَّ بقول الشاعر:

وذي ضغنٍ كففتُ النفسَ عنهُ ... وكنتُ على مساءتِهِ مُقيتًا[(١)]

معناه: مقتدرًا، وعلى هذا أهل اللغة. وقال بعض فصحاء العرب[(٢)] شعرًا:

ثُمَّ بَعْدَ الْمَمَاتِ يَنْشُرُنِي ... مَنْ هو على النّشرِ يا بُنيَّ مُقِيت[(٣)]

معناه: مقتدرٌ.

قال أبو عبيدة: المقيت أيضًا عند العرب؛ الموقوف على الشيءِ، وأنشد:

ليتَ شعري وأشعرن إذا ... ما قَرَّبوها مَطوِيَّةً ودُعِيتُ

أَلِيَ الفضلُ أَمْ عليَّ إذا حُـ ... ـوسِبْتُ إِنِّي على الحسابِ مُقِيتُ[(٤)]

أي: على الحساب موقوف.

(١) البيت من الوافر ينسب إلى أبي قيس بن رفاعة الجاهلي في ديوانه (الموسوعة الشعرية). ونسبه ابن سلام أيضًا في غريبه إلى أبي قيس، ص٢٨٩. وذكره ابن الأنباري في الزاهر (٩٢/١) ولم ينسبه.

(٢) كذا في النسخ، وفي الزاهر لابن الأنباري (٩٢/١): «فصحاء المعمرين».

(٣) البيت من الرمل لم نجد من نسبه. انظر: الزاهر لابن الأنباري، ٩٢/١. تهذيب اللغة؛ واللسان؛ وتاج العروس؛ (تأق، قوت). شرح القصائد السبع، ص٤٢٤.

(٤) البيتان من الخفيف للسموأل بن غريض الأزدي (ت: ٩٤ ق.هـ) في ديوانه، ص٢٣. وذكرهما ابن الأنباري بلا نسبه في: الزاهر، ٩٢/١.



باب ٢٢ في أسماء الذات وأسماء الصفات

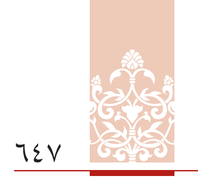
إنَّ لله سبحانه أسماء ذات وأسماء صفات.

فمن **أسماءِ الذات**: الرحمٰن، الرحيم، الحيّ، القيّوم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، الواحد، الصمد، القاهر، القادر، الحليم، العليم، الغنيّ، الكريم، اللطيف، الخبير، الرؤوف، القديم، الدائم، الربُّ؛ فهذه الأسماء وما كان مثلها من أسماء الذّات.

ومن **أسماء الصفات**: خالق، وبارئ، ومصوِّر، ورازق، ومحيي، ومميت، وباعث، وناشر، ومُجازٍ، وما كان مثلها.

والإيمان بجملتها إيمان بتفسيرها، والإيمان بتفسيرها إيمان بجملتها، ولا تنازع بين أهل النظر أن صفات الذات ما لم يزل الموصوف موصوفًا بها وتأويلها، وصفات الفعل وجوبها والفعل معًا.

وإذا اشتبه من الأسماء والصفات أهي فعلية أم ذاتية؛ فأدخل الألف واللّام، فإنك تصب الصفة وتعرفها ـ إن شاء الله ـ، ذلك أنك تقول: لم يزل الإلٰه، ولم يزل الرّبُّ، ولم يزل وهو العالم والخالق والرازق وغيره من الأسماء، فإذا أدخلت الألف واللّام في هذه الأسماء والصفات الذاتية والصفات الفعلية فَأنت مصيب ـ إن شاء الله ـ.



مسألة: [في أسماء اللّه ﷻ وصفاته]

وأسماء الله تعالى صفاته ﷻ من ذاته.

والصفات الذاتيــة قديمة، ولا يجــوز أن يقال: هي غيــره ولا هي هو، ولا هو غيرها، ولا ببعض منها، ولا ببعض منه، ولم يزل موصوفًا بها.

وأمَّا الصفات الفعلية: فهي غيره وهي محدثة، /١٤٨/ ولا يجوز أن يقال: لم يزل موصوفًا بها، والاســم عبارة عن صفة الله ﷻ، وهي من المتكلم به محدث.

وكذلك صفة الواصف هي محدثة؛ لأنَّ اللفظ محدث، وهو عن الله ﷻ.

والموصوف قديم لم يزل؛ والمعني بالصفة هو الموصوف وهو لم يزل، وهو الله وصفاته على ما ذكرنا من الذاتية والفعلية.

والاســم والصفة إنَّمَــا هو عبارة عــن ذكر المسمّــى والموصوف وهو مقصود، والمراد والمعنى بهذه الصفة والاسم، وهو الله الذي لم يزل موصوفًا بصفات ذاته، تعالى الله عمّا يقول الظالمون.

مسألة: [هل للّه ذات يعرفها]

إن سأل سائل فقال: هل لله ذات يعرفها؟

قيل له: نعم، ذاته هو قدرته ومشــيئته، وغير ذلك مِمَّا لا يعرفه إلَّا هو، ويقال: له ذات غير محدودة ولا موصوفة كما قــال الله تعالى: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ (المائـدة: ١١٦)، ولا تحدّثــه النفس، ولا يوصف ـ تبارك وتعالى ـ.

فإن قال: أفيقدر الله أن يخلق مثله؟

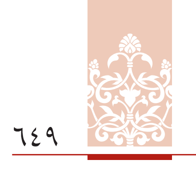
قيل له: لا مثـل لله؛ فهذا سـؤال فاسـدٌ مستحيل، إذ لا يُشـبَّه الخالق بالمخلوقين، والله تعالى لم يزل، ثُمَّ أحدث الأشياء، فهو خالق لكلِّ مخلوق. وكأنَّ هذا السائل قال: يقدر أن يخلق من لم يزل، وهذا محال؛ لأنَّ الله تعالى لم يزل، فالـذي يكون مخلوقًا محدث، فلا يشـبَّه المحـدث بمَن لم يزل، ولا المخلـوق بالخالق، وهو سـؤال ظاهر فساده، ولا يجـوز لقائله لفساده واستحالته، وبالله التوفيق.

مسألة عن بشير: [في أسماء الله تعالى]

كلام أبي المنذر بشير رَحِمَهُ اللَّهُ : فإن قال: أسماء الله تعالى هي هو، أم غيره؟

قيل له: إنَّ في قولك: أسـماء الله إثباتًا لأسماء، ومسمًّى بها، وفي إثبات الأسماء إثبات العدد، ظاهرُ ذلك في اللفظ بها وبكلّ واحد منها، وفي ذلك ثبوت الغيريـة ووجوبها، فالمسموع عالـم وقادرٌ، والواحـد المسمّى بهذه الأسـماء القائمة في أوهامنا، وفي اللفظ بها منا؛ لكانت هذه الأسماء التي لها هذه الصفة معبودًا لنا، وإليها قاصدون في اعتقاد لعبادتنا، ولو كان ذلك كذلك لوجب مـع إثباتنا إيَّاها أسـماء عُني واحد فواحـد، أغيار متناقضة، فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأيضًا: دليل ثان: الأسـماء لو كانت هـي المسميات لكُنَّـا إذا وقفنا بين الاسـمين فقد وقفنا بين المسميين، فكنَّـا: إذا قلنا للقديم: قـادرٌ، وللمحدث كذلك، لكنَّا قد سمَّينا القديم بالمحدث إذا كان المسميان بهذين الاسمين هما الاسـمين، ولو ثبت باتفاق الاسمين اشتباه الاسـمين بذلك فيهما ما ينفى به عنهما، كقولك: القديم ليس بحركة ولا جسم، وليس الحركة جسمًا ولا الجسم حركة، فلو وجب التشبيه بالتسمية لوجب ذلك في النفي لهما، كالذي قلنا فيما يقع الاتفاق به في النفي له عن القديم والأعراض، ولا فرق في ذلك لمحتجّ.



فمــن امتنع عن صفــة المحدثات بذلــك لزمه أن يصفهما بشـــيء من الصفات، وفي ذلك الخروج مِمَّا تعارفه الناس بها من اللغات.

فهذا، وإن قال غيره [في] موضع. يقال لهــم: خبّرونا عن القائل: الله هو الذي لم يزل قادرًا، والذي لم يزل مرّة قادرًا هو الله، أصادق أو غير صادق؟ [كذا].

وعنه[1]: إن قال: الله غير الذي لم يزل قادرًا، والذي لم يزل قادرًا عن الله [كذا]، والصادق منهما صحّ مخبره[2] فيما وصــف الله تعالى في خبره عنه، أنَّه هو لم يزل قادرًا هو الله؛ /١٤٩/ فهذا الوصف لله تعالى بما اســتحقَّه من هذه الصفة صادق، وليست هذه الصفة هي الموصوف له بها، ولا الموصوف له بها هو هذه الصفة، ولكنه لم يزل، وهذه الصفة تحقُّ له بغير إثبات مثالها بوجود غيره لم يزل؛ لأنَّ في ذلك إيجــاب القدم لغيرين موجودين، بل هو الله تعالى القادر بنفسه لا بقدرة غيره.

والذي وصف الله تعالى بأنَّــه غير الذي لم يزل قــادرًا، والذي لم يزل قــادرًا غير الله لتغاير الموصوف لــه بهذه الصفة؛ لأنَّه إذا قــال: الله غير الله، وقال: الذي [كان] قادرًا غيــر الذي لم يزل منافيا لصفــة متغايرًا فيها، والله يتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وجماع الفوائد بالعلم في الأســماء ومعانيها، فما لــم يلقه العقلاء في المعاني بحواسّــها كاشــفوه بأســمائها، وصفاتهــا عبارات عنهــا دلالات، ودلالات بها عنها، فإذا حدث مزيدًا نقصانًا في المعلوم منها[3] وقع ذلك في

(١) في (ت): ومنه؛ أي: عن بشير بن مُحمَّد بن محبوب.
(٢) في (ت): غيره.
(٣) في (ت): «فإذا حدث مريدًا نقصانًا في العلوم عنها».

تسميتها والوصف لها، إلى بلوغهــم لذلك حقائقها المكلفين علمه منها في الحكم بها عليها، ولها في مصارفها وجهاتها يهدي الله من يشــاء من عباده للعدل فيها.

وأنَّ له فيها الأسماء الحسنى ومعانيها بغير تضادٍّ لها ولا اتِّفاق لتأويلها، ولو وجب ذلك فيها لكان إيجاب الموصوف فيها بها؛ لأنَّ تنافيها وتضادّها نفي لها عن الموصوف بها، ولا تجب لتغايرها تغاير المعنى بها، فهذا اشتباه بها، وإن اتَّفق تأويل الواحد بها في المسلمين(١) لهم بها، وما كان المحدث بها فــلا لمعاينه وجوبهــا، ولو كان ذلــك كذلك لوجب تشــبيه المحدث بالقديم، التشــبيه لهما بها كقولــك: للقديم قادرٌ، وللحــدث كذلك، لكنَّ المعنى بهذه الأسماء واحد لا بقاء يلزمه في تشــبيهه بها، وإن تغيَّر تأويلها واختلفت معانيها بمسمَّيات فيها في المسمَّى بها؛ فمعنى الاســم غير معنى الآخر منها، بمــا دلَّ عليه في الغيار عنها، إن كانت جميعًا أســماء لشــيء واحد، كقولك: قادرٌ وعالــمٌ وقديمٌ، والذي يدلّ على كلّ واحد من هذه غير ما يدلُّ عليه الآخر منها، فهي أســماء الله تعالى، وفيها دلالة على مقدوراته ومعلوماته، فإنَّه لم يزل موجودًا، ولو كان ليس لهذه الأسماء إلَّا معنًى واحدًا لجاز أن لا يسمَّى إلَّا باسم واحد منها، وفي الامتناع من التسمية له بجميعها نفي لما استحقَّه من تأويلها المختلف فيها، وكذلك لم يجز أن يستغني عن التسمية ببعضها دون بعض؛ لأنَّ في قولك: قادر وحيّ وعالم من الدلالة ما ليس في الاسم الآخر، وهو قولنا: الله.

فهذا، وربما اتفق الاسمان منهما لمعنى واحد، كقولك: عارف ورَاءٍ، والمبصر والمعروف هو المعلوم، والمرئي هــو المبصر، ولو كان معنى

(١) كذا في النسخ، ولعلَّ الصواب: المسمين.



مبصر هو معنى عالم لكانَ لا معلوم إلَّا مبصر، وكانت المعلومات مبصرة ومرئية، ولو كان معنى عالم المعنى قادر كان مَن علم منَّا شيئًا فقد قدَر عليه، ولكنَّا إذا وصفنا الله تعالى بأنَّه يعلم نفسه لَجاز بأن نصفه بأنَّه يقدر على نفسه هذا، ولو كان معنى سامع معنى مبصرٌ لكان لا مسموع إلَّا مبصرٌ، ولا مبصر إلَّا مسموع، وهذا ما يكثر، وقد كرّرنا ما فيه الكفاية إن شاء الله.

ومن زعم أنَّه لا يجوز أن يدلَّ على الله تعالى بأنَّه يعبّر عنه بمثل ما يعبّر عن خلقه من الأسماء التي هي من اللغة، كقولك: صانعٌ ومحدث وقديم ونحو /١٥٠/ ذلك؛ لأنَّ في ذلك التشبيه له بالصانع المدبر مبهم، وتوهّم ذلك السامع؛ لأنَّه يذهب بتلك الأسماء إلى المعاني التي وضعت عليها من الأجسام الصانعة المدبِّرة.

قيل له: إن خروجه من شبه الصانعين المباشرين الذين هم أجسام، لا يوجب خروجهم من اسم الصانع؛ لأنَّ الصانع الجسم لم يكن صانعًا؛ لأنَّه جسم، فيجب إذا أخرجته من صفته فلم تثبته جسمًا أن تخرجه من اسم الصانع.

ولأنَّ الصانع الذي هو جسم لو كان صانعًا؛ لأنَّه جسم كان لا جسم إلَّا وهو صانع. فَلَمَّا وجدنا من الأجسام ما لا يحدث الصنع والأفعال لم يكن الجسم صانعًا وفاعلًا؛ لأنَّه جسم، وإنَّمَا كان صانعًا وفاعلًا لحدوث الصنع والفعل منه؛ لأنَّه جسم، وهذه مثبتة، وما فيه طردها في الأسماء ومعانيها إن شاء الله.

ومن لزم هذه العلَّة جاز الوصف لله تعالى بما هو ليس من صفات الأجسام تشبيه، كما أنَّه لا يوصف بما كان منها بتسميتها.

مسألة: [أَفَاسِمٌ ربُّك أم جسم؟]

فإن قال قائل: أفاسِم ربُّك أم جسم؟ قيل له: ليس هو بجسم.

وقوله: أفاسم؟ فإن كنت تريد هو اسم نفسه فقد مضى الجواب في ذلك. وإن كنت تريد ما تسمع وما تكتب فهو غيره.

فإن كنت تريد بقولــك: الله المعنى بهذا المسمــوع والمكتوب فهو الله ـ جلّ وعلا ـ.

وليس قولك: أفاسم هو أم جسم؟ يوجب علينا أن نثبت لك أحد هذين المعنيين؛ لأنَّك سألت عن معنيين كلاهما عنه منفيان، لا يجوز أن يقال: إنَّه جسم[1] على هذا اللفظ؛ لأنَّ الاسم لا يكون إلَّا لمسمًّى، فإذا أطلقنا أنَّه اسم لجعلناه اسمًا لغيره، وهذا ما لا يجوز.

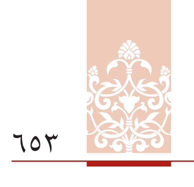
ومثل هذا السؤال لو أنَّ سائلًا قال: أخبروني عن فلان أكاتب أم حاسب؟ فإنَّه قد يمكن أن يكون كاتبًا حاسبًا، وأن يكون لا كاتبًا ولا حاسبًا، وأن يكون فيه أحـد الأمرين، فليس الجواب اللازم فيه أن يقال: هو كاتب ولا حاسب إلَّا بأن يكون ذلك فيه، وليس هذا مثل قولك: فلان حيّ أو ميت؟ لأنَّ الحياة والموت ليس بينهما منزلة ثالثة.

وكذلك لو قال: أكاتب هو أم غير كاتب؟ لأنَّه لا بد أن يكون كاتبًا أو غير كاتب. وكذلك لو قال: أخبروني عن الله تعالى أجسم هو أم غير جسم؟ فافهم الجواب، وبالله التوفيق.

قال بشير: لا يجوز أن يوصف الله تعالى بأنَّه لم تنقل عنه؛ أي: لم يخل منها ولم تكن ثُمَّ كانت من بعد.

---

(١) كذا في النسخ، ولعلَّ الصواب: اسم.



وقال أبو محمَّد: لا يجوز أن يقال: علمه غيره ولا هو، فهو العالم بكل شيء، وعلمه بكلّ مكان، لا على معنى أن علمه سوى ذاته، ولا ذاته سوى علمه، بل المعنى بذلك أنَّه هو العالم بكلِّ مكان.

وقال: ما جاء به القرآن من صفاته ﷻ فجائز أن يطلق بها، الأفعال وغيرها، ولا يجوز إلَّا ما حسن وصحَّ أنَّ النبيَّ ﷺ أجازه، وأما [ما] لم يجئ به القرآن فلا يجوز. وقد قال قوم: لا يحوز في أسماء الله وصفاته إلَّا ما في القرآن فقط.

قال: وإذا لم تجد الأمَّة تصفه الله تعالى بصفة، ولا وصف هو ﷻ بها نفسه، ولا وصفه بها النبي ﷺ؛ لم يكن لنا أن نصفه /١٥١/ إلَّا بما وصف به نفسه ـ جل وعلا ـ.

وقال: لا يجوز أن يوصف تعالى إلَّا بما يجد الناس [أن يوصف و]قد توسعوا في اللغة في صفته ﷻ.

وقال: كلّ صفة وصف الله تعالى بها نفسه مما لها في اللغة المعاني الكثيرة فأحقها به ما وافق صفاته الله تعالى بنفسه في كتابه من صحيح التوحيد، فإن جاز منها شيء فعلَى مجاز اللغة لا على الحقيقة، ومنها ما لا يجوز عليه سبحانه أصلًا.

مسألة: [الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل]

معرفة صفات الذات وأدلَّتها أنَّه تعالى يوصف بها ولا يوصف بضدِّها، وصفات الفعل يوصف بها ويوصف بضدِّها.

وصفات الذات لم تزل موصوفة نحو قولك: لم يزل عالمًا وقادرًا وسميعًا وبصيرًا وحيًّا وقاهرًا.

وصفات الذات لا يجوز أن يوصف بضدِّها، ألا ترى أنك تقول: لم يزل عالمًا، ولا يجوز أن يقال: وقد كان غير عالــم ثُمَّ علم. وكذلك تقول: قادر، ولا تقل: قد كان غير قادر ثُمَّ قدر.

فما كان من صفات ذاته لا يجــوز أن تصفه بها وتصفــه بضدِّها، وصفات الفعل يوصف بها ويوصف بضدها، ألا ترى أنك تقول: خلق ولم يخلق، وتقول: خالق، وقد كان غير خالق ثُمَّ خلق، ولم يخلق. وتقول: رزق وقد كان غير رازق، وأعطى ولم يعط، وأطعم ولم يطعم؛ وإنَّمَا يجب له الوصف بهذا، وما كان مثله من صفات الفعل بعد الفعل، ولا يوصف بشيء من ذلك قبل أن يفعله.

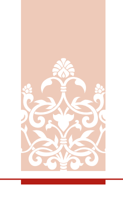
وصفات الذات هي ما يوصــف بها ولا يوصف بضدِّها، وصفات الفعل ما يوصف بها ويوصــف بضدِّها؛ فافهم الفرق بينهمــا، واحذر الوقوع فيما لا يجوز بينهما، وبالله التوفيق.

مسألة: [في إطلاق صفات الذات علَى الفعل والعكس]

وكلُّ صفة ذات فجائز أن يقال فيها: لم يزل عالمًا وقادرًا، كما مضى قبل هذا.

وكلُّ صفــة فعل فغير جائز أن يقــال فيها لم يزل، مثــل قولك: لم يزل خالقًا وبارئًا ومصــورًا ورازقًا؛ لأنَّ هذه صفات فعليــة، فإذا وصف بها فقد وجب قدم الفعل، والله تعالى لم يزل واحدًا ثُمَّ أحدث الأشياء وهي محدثة، فلذلك لم يجــز أن يقال: لم يزل موصوفًا بهــا إذا كانت توجب في المعنى قِدم الحدوث، والله تعالى لم يزل ولا شيء ثُمَّ خلق الأشياء.

ولا يجــوز أن يقال: لم يزل خالقًــا، مع القول بأنَّه قــد كان تعالى غير خالق ثُمَّ خلق فينافي الصفتين، والله أعلم.



مسألة: [في بعض الأسماء والصفات أعظم من بعض]

بعض الأسماء أعظم من بعض، وبعض الصفات أرجح من بعض، ولا يقال: بعض الكلام أحسن من بعض، ولا أقبح من بعض، وكذلك الأمر في الأسماء والصفات، ومن حدَّ صفات الله كمن حدّ الله تعالى.

ويقال: اسم الله الأعظم لا من قِبل أن له اسمًا صغيرًا، وذلك أن لله أسماء كثيرة فبعضها محظور وبعضها ليس بمحظور، فما ليس بمحظور فهو من جبّار وواحد وحيّ، والمحظور: الله والرحمٰن والرحيم، ولا تصغّر الأسماء التي حظرت؛ لأنَّه ليس لله اسم صغير؛ لأنَّ كل من كان صغيرًا ففيه تضعيف، ولا يكون اسمه الأعظم إلا محظورًا لا يجوز لخلق أن يتسمَّى به، وإن ذكرنا ما ذكرنا؛ لأنَّه قد أنكر قوم اسم الله الأعظم، وهكذا وجدته في بعض الكتب، والله أعلم بصحة ذلك.

مسألة: [في ما وصف اللّه تعالى بها نفسه]

كُلّ صفة وصف الله تعالى بها نفسه مما لها في اللغة المعاني الكثيرة فأحقها به ما وافق صفاته تعالى لنفسه في كتابه من صحيح التوحيد. فإن جاز منها /١٥٢/ شيء فعلى مجاز اللغة لا على الحقيقة، ومنها ما لا يجوز عليه سبحانه أصلًا.

وقد جهل قوم طريق الحقّ في ذلك؛ لما جاء من صفاته تعالى في القرآن محتملًا للمعاني الكثيرة من طريق اللغة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦)، ومثل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨)، ومثل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (طه: ٣٩)، ومثل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، ومثل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤)، ومثل:

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ (الزمر: ٦٧)، ومثل: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ (الرعد: ٣٣)، ومثل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (النور: ٣٥)، فلجهل الجاهلين بصفات رب العالمين أن يشبّهوه بخلقه ـ تعالى الله ـ لذكره النفس والوجه والعين واليدين والقبضة واليمين وغير ذلك، والحقُّ غير ما ذهبوا إليه، وأن الله سبحانه لم يوصف من ذلك بشيء إلَّا وله معان، وكلُّ ما وافق قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ (الشورى: ١١) كان أولى بصفاته من صفات الملحدين.

ألا ترى أنَّه لم يصف نفسه تعالى بما ليس له إلَّا معنى واحد، كالفخذ والركبة ونحو ذلك فيثبت، ولكلِّ صفة من هذه الصفات معان وأدلَّة يبطل ما ذهب إليه الملحدون، وله باب يأتي بعد هذا إن شاء الله تعالى.



باب ٢٣ في التوحيد

أصل التوحيد في الجملة: ثلاث خصال، قال الله ﷻ[١]: الواحد، القدير، الرحيم.

فأما الواحد فليس كوحدانية المخلوقين بأن الله تعالى لا يوصف بأعلى ولا أسفل ولا فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج ولا يمين ولا شمال ولا باطن ولا ظاهر؛ لأنَّ هذه الأسماء وما أشبهها محدثة، والله القديم ولا يشبهه القديم المحدث.

وأمّا القدير فلا يعجز ولا يضعف، ولا رادَّ لمشيئته.

وأمّا الرحيم فلا يحابي ولا يظلم ولا يرتشي. فإن عرفته هكذا فَهو أصلُ التوحيد في الجملة.

فصل: [في أدلّة وحدانية اللّه تعالى]

كلُّ ما في العالم دليل على الواحد الذي لا يشبهه شيء، وذلك أنَّ كلَّ من يرى كثرة أَعاجيب العالم من السماء والأرض والرياح والأمطار والماء والنار وجميع ما وضع في الخلق علم بذلك أنَّ له خالقًا ومدبرًا ليس كما يرى من تغيّرها واختلاف أحوالها، وأنَّها لا تشبهه في حال من الأحوال؛

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب أن يقال: «ثلاث خصال لله ﷻ».

لأنَّها أشبهته لجرى عليها ما يجري من ذلك، فإذا رأى هذه الأشياء علم أن لها مدبرًا وصانعًا، كما أن من دخل بيتًا ولم يرَ بانيه علم بما يرى من البناء أن له بانيا. كذلــك إذا رأى العالم وأعاجيبه، ورأى جري الشــمس والقمر والنجوم علم أن لها مدبرًا وخالقًا لا يشــبهها؛ لأنَّ العامل لا يشــبه عمله، وأقرب الأدلة للعبدِ على الله ﷻ أنَّه واحد ليس كمثله شيء: نفسه، وذلك أنَّه هو ابن كذا وكذا من البشر، وأنَّه قد كان طفلًا ونطفة قبل ذلك، ثُمَّ إنَّه يرى ما أدَّت إليه هذه الحواس الخمس.

فقد ينبغــي أنَّه لم يصنع لنفسه السمع والبصر والذوق والشــمّ والنفس والفؤاد والجوارح والقوَّة واللــون، وهو نطفة لَا عقل لــه ولا قوَّة؛ لأنَّه لو صنع ذلك يومئــذٍ كان اليوم أقوى لــه، وكان قويًّا على ردِّ مــا ذهب منه، وإصلاح ما فسد منه؛ فإنَّه إذا قدر على شيء في حال الضعف فهو في حال القوَّة والعقل عليه أقدر، وإذا قدر على ابتداع الجــوارح وابتدائها فهو على إصلاح الفساد منه أقدر، ففي ذلك دليل على أنَّه لم يصنع نفسه، وأن والده لــم يصنعه ولا مثل والــده؛ لأنَّ والده يجري عليــه /١٥٣/ من الضعف ما يجري عليه، مــع أن النطفة لو وضعت بين يدي الخلائق لم يقدروا على أن يخلقــوا لها عقلًا، ولا روحًا ولا شــيئًا من الجوارح؛ فهــم إذا ضعفوا عنها حيث يرونها ويلمسونهــا فهم إذا غابت عنهـ[ـا] في الرحــم وبينها وبينهم الحجب أبعد من أن يلوا ذلك منها، وفي ذلك دليل على أن لها مدبرًا ليس كهي في شيء من صفاتها ولا صفات المخلوقين؛ فإنه الله الذي ليس كمثله شــيء. مع أن الخلق جميعًا لا يدرون ما أرواحهم التي يعيشون ولا قواهم، وكيف هي، ولا ما الشــيء الذي به يبصرون، ولا الذي بــه يسمعون؛ فإذا كانوا يجهلونها وهي فيهم فهم بصناعتها أجهــل، وفي عجزهم عنها أعجز، فقد ثبت ما ذكرنا، من ذلك [أنَّ] الإنسان مخلوق ومدبّر.

ثُـمَّ إنَّ الإنسان لابدَّ له من قرار يكون فيه، وذلـك دليل على أن خالقه خالق القـرار. وإذا كان لا بد له مـن أرض يكون عليهـا، والدليل على أن الأرض لم تخلقه؛ لأنَّه يدبّر فيها ما يشاء من حفر، أو تحويل، أو بناء، وأنَّه المدبِّر وهي المدبَّرة. ومع ذلك أن لا غنـى عن الأرض وإنَّمَا منافعه تكمل كلها فـي الأرض، وأن الأرض منتقصة غير تامـة المنافع؛ فذلك دليل على أنَّها معمورة ومصنوعة.

وذلك أن أهـل الأرض جميعًـا لا غنى لهم عن شـمس تطلع عليهم، فخالقهم هو خالق الشمس؛ لأنَّهم إذا كانوا لا قوام لهم إلَّا بالشمس، ثُمَّ إن الشمس إنَّمَا ينال من قِبلها منافع يسيرة؛ فذلك دليل على حَدَثها.

ثُمَّ لا بد لهم من ريح فخالقهم خالـق الريح لهم، إذا كانوا لا قوام لهم إلا بهـا، ولا بد لهم مـن المطر والليل والنهـار والقمر والنجـوم والثمر، ولا غنى لهم عن جميع ما ذكرناه من ذلك وما أشبهه، وليس في ذلك شيء يكمل عناءهم به عما سـواه؛ ففـي ذلك دليل على أنَّه قـد دخل كلّ واحد نقصان، وأنَّها كلها مخلوقة مدبرة.

ومن الأدلَّة على الله تعالى: دوران الفلك وتحريكه، ومجرى هذه النجوم وتحركهـا، وليست حركة إلَّا وهـي محدثة، فإذا لم تكـن إلَّا وهي محدثة فجميع الحركات محدثات، فإذا كانت الحـركات محدثات فقد كان الفلك وهي لا تتحرك ولا تدور، ولا بد لها من مدبِّر ومحرِّك ابتدأه، ثُمَّ ابتدأ إدارته وتحريكه؛ فكلّ هذا وغيـره مما يكثر تِعداده دليل علـى وحدانية الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

فصل: [كيف كانت الدنيا]

قال أبو الهذيل[١]: سألتُ صالح بن عبد القدوس ـ وكان منَّانِيًا[٢] ـ، فقلت له: أخبرني عن الدنيا لم تزل على ما أرى، أو على خلاف ما أرى؟

فقال: بل كانت على خلاف ما ترى.

فقلت له: أي شيء كانت؟

قال: كانت أصلين قديمين ظلمة ونور، وكانا متباينين ثُمَّ امتزجا، فكانت الدنيا من امتزاجهما.

فقلت له: أخبرني عن التباين: هو هما، أم غيرهما؟

فقال: التباين هما ليسا شيء غيرهما.

قلت له: فإذا كان امتزاج ذهب التباين؟

قال: لم يذهب التباين، والتباين والامتزاج هو هما، ليس شيء غيرهما.

فقلت له: فالآن دنيا، والآن لا دنيا، إن كانت العلة المبطلة للدنيا هي اللغة الموجبة بها؛ لأنَّ التباين لم يكن للدنيا، والامتزاج كان للدنيا، والتباين والامتزاج هو هما، ليس غيرهما.

قال: فانقطع عند ذلك.

---

(١) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف (١٣٥ ـ ٢٣٥هـ): عالم متكلِّم من أئمَّة المعتزلة، حسن الجدل، قوي الحجة، سريع الخاطر. وُلد في البصرة ومات بسامراء. قال عنه المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الأنام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. كف بصره في آخر عمره. له: «ميلاس» على اسم مجوسي أسلم على يده. انظر: الزركلي: الأعلام، ٧/١٣١.

(٢) انظر الحديث عن الفرقة المنانية في الجزء الثالث من هذا المصنَّف.



عن غيره: اعلم أن الدنيا شاهدتنا على ثلاثة معان، منها: حي نامٍ، مثل: الأشجار وغيرها. ومنها: حي روحاني، مثل: الإنس والجن والملائكة والدواب والطير وكلّ ما وقع منه التناسل إلَّا الملائكة؛ فإنَّهم مخلوقون للعبادة. /١٥٤/ والجزء الثالث: الخلق الجامد الميت، مثل: الأرض والسماء والجبال والرياح والنار، وغير ذلك مما نشاهده من كلِّ ميِّت، وآلة الحدث ظاهرة في جميع ذلك، والغرض اللازم يجمعها، وهي شاهدة على أنفسها أنَّها محدثة؛ فإن لها خالقًا خلقها وهو الله الذي ليس كمثله شيء.

وكل معنى من المخلوقات منفي عن الله لا يشبهه، ولا يشبهها بوجه من الوجوه ولا معنى من المعاني، فمن شبَّه الله بشيء من المخلوقات أو شك في ذلك فقد أشرك بالله.

وإنَّمَا يستدل المتعبِّد على معرفة الله تعالى بالخلق، ولا يسعه إذا بلغ إلَّا أن يعلم أوَّلًا أنَّه مخلوق علم اضطرار للحواس والآلة التي فيه، ثُمَّ يعلم أن له خالقًا خلقه وهو ربّ العالمين، ولا يسعه بعد البلوغ أن يشكَّ في الله طرفة عين؛ لأنَّ الأعلام ظاهرة والحجج بيِّنة، فلذلك لزمت الحجَّة.

رواية عن أبي سليمان عبد الرحمٰن: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أنَّ الناسَ يتساءلونَ بينَهم حتى يقولَ قَائلُهم: هذَا اللهُ خلقَ الخلق فمَن خَلَقَ الله؟ فإذا قالوا ذلك؛ فَـ[ـقولوا]: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ...﴾[1] الآية، ثُمَّ لِيَتفُل[2] أَحدُكم عن يساره ثلاثًا، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم**»[3].

(١) الإخلاص: ١ ـ ٢، وتمامها: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

(٢) في النسخ: ليقل.

(٣) رواه أبو داود عن أبي هريرة بلفظ قريب، باب في الجهمية، ر٤٧٢٢، ٢٣١/٤. وذكره الهندي في كنز العمال بلفظه وعزاه لابن السني، ر١٢٣٦، ١٣٤/١.

فصل: [في تنزيه الله تعالى]

ويجب على كل من خطر بباله في الله تعالى أنَّه يشـــبه شـــيئًا، أو يشبهه شـــيء، أو أنَّه في معزل، أو كيف هو، أو مثل ما هو، أو هو نور من الأنوار، أو ذو طول أو عرض أو جسم مؤلف، أو مماس للأشـــياء، أو مباين لها، أو في معزل، أو أنَّه يظلـــم أو يجور، أو يأخذ أحدًا بفعـــل أحد، أو والد بفعل ولد، أو ولد بفعل والد، أو يعذب من لم تكن له معصية في الدنيا، أن ينفي جميع ذلك عنه ـ جلَّ وعز ـ، فإنَّه ليس كمثله شيء.

وكذلك إن خطر ببالـــه أنَّه تعالى يقول الكـــذب، أو يخلف الميعاد، أو يخبر بخبر لا يكون المخبر عنـــه كما أخبر؛ فلينف ذلك عنه تعالى؛ فإن من كان منه هذا الفعل كان ســـفيهًا كاذبًا غير عالـــم بالغيب، تعالى الله ﷻ عن جميع هذه الصفات علوًّا كبيرًا.

رواية: قال أبو الحســـن: الرواية أن أبا بكر الصديـــق ﵁ قال للنبيِّ ﷺ: «يا رسول الله، هل الشـــرك إلَّا من جعل مع الله شـــريكًا؟» فقال له: «**الشركُ أخفى من دَبيب النمل**[1]، **وسأدلُّك على شيء تقوله، قل: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لِمَا لَا أَعلم**»[2].

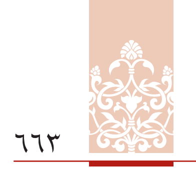
مسألة: [في أنَّ الله لم يزل ولا يزال]

وإن قال قائل: أفتزعمون أن الله لم يزل ولا يزال؟

قيل له: لا يجوز أن يقال بهذا القول مـــن غير أن يوصف بصفة من

(١) في (س): «الذر».

(٢) رواه أبو بكـــر المروزي في مسنـــده، عن أبي بكر بلفظ قريـــب، ر١٨، ٦٤/١. وأبو يعلى مثله، ر٥٨، ٦٠/١.



صفاته؛ لأنَّه لو لم يوصف[١] كان مثبورًا لا معنى له. ولكن يقال: لم يزل الله قادرًا، ولم يزل واحدًا، ولم يزل عالمًا، حتى يصحَّ الوصف له ويكون له معنى.

فإن قال: أفتزعمون أنه لم يزل فردًا منفردًا؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فما معنى ذلك؟ قيل له: معنى ذلك أنَّه لم يزل موجودًا وحده لا يوجد معه غيره، وأنَّه لا شريك له ولا نظير.

فإن قال: أفتزعمون أنه لم يزل موجودًا؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فما معنى ذلك؟ قيل له: قد يكون معناه على وجهين، فواحدهما: أن يعنى به أنَّه لم يزل معلومًا بنفسه؛ لأنَّ المعلوم في اللغة يُسَمَّى موجودًا، فالعالم بالمعلوم يُسَمَّى واجدًا له، ويجوز أن يعنى أنَّه كائن؛ فمن الوجهين جميعًا يجوز أن يوصف تعالى بأنَّه لم يزل موجودًا.

فإن قال: أيجوز[٢] أن يوصف بأنَّه لم يزل كائنًا؟

قيل له: نعم، فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له: معناه أنه هو لم يزل قديمًا؛ لأن القديم لا بد أن يكون كائنًا غير فانٍ ولا معدومٍ.

مسألة: [هل الله تعالى شيء]

فإن قال: أفتزعمون أن الله تعالى شيء؟ /١٥٥/

قيل له: نعم، هو شيء لا كالأشياء، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ (الشورى: ١١)، وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٩)

(١) في النسخ: يوصل، ولعل الصواب ما أثبتنا.
(٢) في (ت): «لم يجوز».

هو كذلك. ومن سمَّاه شيئًا فقد أثبته شـــيئًا، إذ لا موجود إلَّا شيء، فَلَمَّا كان كذلك كان شيئًا ليس كمثله شيء من الأشياء.

فإن قال: فما معنى وصفكم له بأنَّه شيء؟

قيل له: ليس هذا القول له بوصف، وإنَّمَا هو دلالة على وجوب الاسم؛ لأنَّه قد يجب له هذا الاسم لذاته، كما وجب له سائر ما ذكرناه من الوصف لذاته. ولأنه معلــوم، ولأنَّه يمكن أن يذكر وأن يخبر عنــه، ومن هذا الوجه وجب هذا الاســـم لسائر المعلومات، وهو لأنَّها تعلم، وأنه يجوز أن تذكر، وأن يخبر عنها.

فإن قال: ولم زَعمتم أنَّه يجب له هذا الاسم لذاته؟

قيل له: لأنَّ أهل اللغة يسمُّون كلّ ما علموه، وكلّ ما أرادوا الإخبار عنه بهذا الاسم، وسائر الأســـماء المظهرة والمضمرة التي تعمُّ المسميات، فمن نحو قولهـــم: الذي، وهو، وما أشـــبه ذلك من الأســـماء التـــي تعمُّ عندهم المعلومات.

والتسمية بقولهم: شيء، هو أعمّ الأشـــياء المظهرة؛ فهذا الاسم هو أعمّ الأسماء عندهم؛ لأنَّه لازم عندهم لكلِّ معلوم، كائنًا كان أو فانيًا أو معدومًا، فَلَمَّا كان الله ﷻ معلومًا وكان عندهم مذكـــورًا مخبورًا عنه وجب أن يُسَمَّى بهذا الاسم لذاته، كما وجب أن يُسَمَّى بسائر الأسماء المضمرة.

فإن قال: ما أنكرتم أن تكون الأشـــياء إنَّمَا ســـمِّيت بهذا الاســـم؛ لأنَّها محدثة؟

قيل له: لا يجوز هذا الشيء إلَّا للشيء المشاهد يُعلم أنَّه شيء اضطرار، ويعلم أن من قال: إنَّه ليس بشيء كاذب باضطرار، ولا يجوز له أن يعلم أنَّه



محدث باضطرار؛ لأنَّ الأجسام المشاهدة نحو: السماء والأرض وغير ذلك لو قال قائل: إنَّها ليست بشيء؛ لعلمنا باضطرار أنَّه كاذب، ولم يعلم كذبه إلَّا أهل التوحيد خاصة. فصحَّ بهذا أن التسمية بقولنا: شيء، لم يجب لشيء عند أهل اللغة؛ لأنَّه محدث. فصحَّ بهذا الاسم إنَّمَا وجب عند أهل اللغة المسمَّى إذا علموه وأرادوا الإخبار عنه لعلمهم به، ولا يمكنهم ذكره والإخبار عنه، فوجب أن يُسَمَّى به كلّ معلوم قديمًا كان أو محدثًا، موجودًا كان أو معدومًا.

مسألة: [هل اللّه تعالى غير الأشياء؟]

فإن قال: أفتزعمون أن الله تعالى غير الأشياء؟ قيل له: نعم، ومعنى ذلك أنَّه يفرّق بينه وبين غيره من سائر المعلومات، وأن يبيّن أنَّه ليس ببعض لشيء منها، وليس شيء منها بعضًا له.

فإن قال: أفتزعمون أنَّه موصوف بهذا الوصف لذاته؟ قيل له: نعم.

فإن قال: أفتزعمون أن الأشياء أيضًا بعضها غير بعض لأنفسها؟ قيل له: نعم.

فإن قال: ما أنكرتم أن يكون هذا الوصف يوجب التشبيه له بغيره. قيل له: لا يوجب هذا القول تشبيهًا، وذلك أن قولنا: الله غير الأشياء، إنَّمَا معناه الإنكار والإخبار بأنَّه ليس هو هذه الأشياء. والإنكار والنفي لا يوجبان شيئًا لله تعالى؛ لأنَّهما لا يوجبان وصفًا ولا تجنيسًا، وإنَّمَا الإثبات يوجب الوصف ويوجب التشبيه لا الإنكار والنفي؛ لأنَّا إذا قلنا: إنَّ الله تعالى ليس بجسم، وقلنا: إن الحركة ليست بجسم، لم يوجب هذا القول منَّا تشبيهًا للحركة بالله، كما لا يوجب ذلك صفة لمن أرادنا بهذا القول.

ولو قلنـا: إنَّ الله تعالى جسم، وإنَّ الحركة جسـم؛ لكنَّا قد أثبتنا بهذا القول صفة الحركة، مثل /١٥٦/ صفة الله ﷻ للحركة، فصحَّ بهذا أن قولنا: إن الله ﷻ غير الحركة، ولا يوجب صفة للحركة ولا لله تعالى إذا كان معناه الإنكار، وإذا لم يوجب ذلك وصفًا ولا مشـاركة فـي الجنس لم يوجب تشبيهًا.

مسألة: [في تنزيه الله تعالى]

فإن قال: فإذا قلتم: إن الله تعالى شـيء بنفسه، وأن الأشـياء هي أشياء لأنفسها، ولِمَ لم يكن هذا القول منكم تشبيهًا لله تعالى لسائر الأشياء كلها، كما قلتم: إنَّه لو كان غير الله تعالى قديمًا بنفسه وكان الله تعالى قديمًا بنفسه كان ذلك يوجب تشبيهًا لله تعالى بالقديم الذي هو غيره.

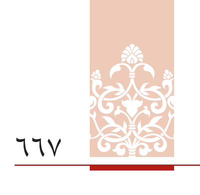
قيل: إنَّـا ليس نقول: إن الله تعالى شـيء بنفسه، ولأنَّ المحدَث شـيء لنفسه؛ فيلزمنا أن نكون قد شـبهنا المحدَث بالله، وإنَّمَا نقول: إن الله شيء؛ لأنَّه معلوم، ولأنَّه يمكن الإخبار عنه، كما يلزمنـا أن تكون تسميتنا القديم معلومًا، والمحدث معلومًا، وقد شبهنا القديم بالمحدث؛ لم يلزمنا لتسميتنا القديم شيئًا والمحدث شـيئًا أن نكون قد شبَّهنا القديم بالمحدث، والتشبيه إنَّمَا يكون في اتِّفاق الصفتين، ولا يكون في اتِّفاق الاسـمين، فلم يجب أن نكون قد قلنا: إنَّ الله شيء وغيره شيء تشبيهًا له تعالى بغيره.

مسألة: [في الشيء والجسم]

إن قال بعض الملحدة: إن قلتم: إنَّه شيء لا كالأشـياء، فلِم قلتم[1]: إنَّه جسم لا كالأجسام؟.

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب أن يقال: «فلِمَ لا تقولون».



قيل له: بينهما فرق، قد يقــال: جسم أجْسم من جسم، يراد به أنَّه أجسم منه جثَّة وأثقل منه وزنًا، ولا يقال: شـــيء أشيأ من شيء؛ لأنَّ شيئًا اسم عام لكلِّ موجود. فلا يجوز أن يقال: شـــيء أشيأ من شيء، يراد موجودًا أوجد[١] من موجود. وقد يقال: جسم أجسم من جسم.

ووجـــه آخر: أن الشـــيء هو بنفســـه والجسم هو لغيـــره جسم، وهو التأليف؛ فاسم الشـــيء لازم للجسم وغيره، واسم الجسم لازم للأجسام دون غيرها.

وإن قال قائل: معنى جسم معنى شيء، ومعنى شيء معنى جسم؟

قيل له: قد اتَّفقنا نحن وأنت على أن نقول: جسم أجسم من جسم؛ فهل يجوز أن يقال: شيء أشيأ من شيء؟

فإن أجاز ذلك خرج من الكلام. وإن قــال: لا يجوز هذا، ويجوز ذلك. قيل له: فهذا الفرق بين الجسم والشيء.

مسألة: [في علم الأشياء]

فإن قال قائل: إذا كنت تعلم الأشياء التي يعلمها الله تعالى؛ فما الفرق؟

قيل له: إني علمت الأشياء على ضربين: مشاهدة، ودليل.

فالمشـــاهدة: مثل: السماء والأرض وغير ذلك. والدليـــل: فمثل: الروح والسمع والموت وأشباه ذلك، والله تعالى عالم علم الأشياء لا بدليل عليها، وعلمها بخلاف ما علمتها؛ لأني علمتها بالمقابلة والمحاذاة، وغير ذلك مما بيني وبينه مسافة، وكلّ ذلك لا يجوز على الله تعالى.

(١) في النسخ: أجود، ولعل الصواب ما أثبتنا.

وضرب آخر: أني علمت الأشياء بعد أن كنت بها جاهلًا، وأعلمها بآلة؛ فإذا خلت الآلة عاد علمي بها جهلًا، والله تعالى لا يجوز عليه ذلك.

مسألة: [في إحداث الشيء]

فإن قال قائل: فإذا قلت: علمت أن الله تعالى محدِث الشيء لا من شيء، وأنت محدث الشيء لا من شيء؛ فما الفرق؟

قيل له: بيني وبينه فروق كثيرة، أحدها: أني أحدث الشيء لا من شيء بآلة وإرادة وضمير، وجولان وفكر، وحركة وسكون، والله تعالى يحدث الأشياء لا بشيء من ذلك.

وفرق آخر: أني أفعل الشيء ولا أعلم عواقبه إلى ما يؤول.

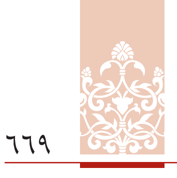
وفرق آخر: أني لا أفعل إلَّا لاختلاف يقع أو دفع ضرّ.

وفرق آخر: أني أفعل الشيء على أنَّه صواب فيكون خطأ، وعلى أنَّه خطأ فيكون صوابًا، وكلّ هذا منفي عن الله ـ تبارك تعالى ـ، وفروق /١٥٧/ كثيرة لا يجوز منها شيء على الله ﷻ.

مسألة: [في فعل الأشياء]

فإن قال قائل: فما الذي فعلته لا من شيء؟

قيل له: فعلت الصلاة لا من شيء؛ لأنَّ الصلاة لا تكون موجودة قبل أن نصلِّيها، ولو كانت موجودة لكنت مصلِّيًا وإن لم أصلِّ؛ فكان لا فرق بين من صلّى وبين من لم يصلِّ، وكذلك الصوم والزكاة والحج وجميع ما افترضه الله تعالى، وكذلك سائر أفاعيل العبد. ألا ترى أن الرجل يقتل الرجل فيُقَاد به وتؤخذ منه الدية؛ فلو كان القاتل موجودًا قبل فعله لكان المقتول



مقتولًا قبل أن يقتل، ولم يجب على القاتل شيء؛ لأنَّه لم يفعل شيئًا . فَفِعل الشيء من شيء لا يجوز على ما يقوله الملحدة، وقد يفعل الرجل القيام والقعود وغير ذلك من فعله وكلّ ذلك لا من شيء، وقد يفعله من لا شيء؛ لأنَّه يفعل قعودًا في نفسه، وقيامًا في نفسه، وقتلًا في غيره، ومن أحدث ما لم يكن فقد أحدث الشيء لا من شيء.

مسألة: [هل الله شيء موجود؟]

فإن قال: الله تعالى شيء موجود؟

قيل له: نعم، هو أعظم الأشياء لا عظم جثة ولا شخص؛ لأن ذلك مخلوق، ولكن الله تعالى عظيم الشأن والمنزلة والمقدار.

فإن قال: ما هو من شيء؟

قيل له: إن أردت أي الأجناس هو فالله تعالى ليس بجنس ولا يشبه الأجناس، وهو الخالق للأجناس، والأشياء كلّها لا تشبهه ولا يشبهها. وإن أردت بما هو تسمية وصفة فهو الله الواحد الخالق القادر الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وإن أردت بما هو الدلالة عليه فالسماوات والأرض وما بينهما من آثار صنعته وتدبيره، واختلاف الليل والنهار وما فيها من الأشياء كلّها دالّة عليه أنَّه الواحد القهار، الذي ليس يشبه شيئًا؛ لأنَّ الصانع لا يشبه صنعه، فالله تعالى ليس كالأشياء ولا أشباه له فيها.

مسألة: [هل الله جسمٌ أو عَرَض أو معنى؟]

فإن قال: أفجسم هو؟

قيل له: تعالى ربنا لا يشبه الأجسام؛ لأنَّ الأجسام محدثة مخلوقة مؤلّفة

محتاجة إلى القرار والمكان، تجري عليهما الزيادة والنقصان، والله تعالى ليس بمحدث ولا جسم، ولا يشبّه بالأشياء، تعالى وجلَّ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فإن قال: هو جسم لا كالأجسام؟

قيل له: تعالى الله عن ذلك؛ لأنَّ الجسم إنَّمَا يُسَمَّى في اللغة جسمًا؛ لأنَّه مجموع مؤلّـف يجري عليه آيات الحدث من الافتـراق والاجتماع والتغيير من حال إلى حـال، وما جرى عليه آيات الحدث فهـو محدث، والله تعالى المحدث للأشـياء، فلا يشـبّه الخالق بالمخلوق، ولا القديم بالمحدث في حال من الأحوال.

فإن قال: فعَرَضٌ هو؟

قيل: تعالى رَبُّنا أن يشـبه الأعراض والأجسام والأبعاض؛ لأنَّ العَرَض لا يقوم بنفسه ولا يفعل، وإنَّمَا يقوم بغيره؛ تعالـى الله عن هذه الصفة وكلّ صفة ناقصة لا تليق بصفاته.

فإن قال قائل: أفمعنى هو؟

قيل: لا يقال ذلـك؛ لأنَّ المعنى هو قصد قلوبنا إلى مـا نعنيه بقلوبنا، ونقصده بكلامنا، وقصد القلب غير المقصـود إليه، فإذا قصدنا بالقول إلهنا وعنيناه فالإلٰـه هو المعنى المقصود بالقول، ولا يجـوز أن يقال: هو معنى؛ تعالى الله عن جميع الأوصاف القبيحة علوًّا كبيرًا.

مسألة: [هل الله في السماء؟]

فإن قال: هو في السماء؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فكيف يكون فيها وليس بحالّ فيها؟ قيل له: هو فيها على غير

شــبه الخلق، إذ ليس هو بحالّ في السمــاء، ولا حالّة فيــه، ولا هو تعالى /١٥٨/ بمحلّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإن قال: فإذا كان هو في السماء والأرض فهو محدود؟ قيل له: ليس هو بمحدود.

فإن قال: وكيف يكون من ليس بمحدود في محدود؟ قيل له: إنَّ كونه على التدبير والقدرة والإحاطة لا بالحلول على غير صفة الخلق، تعالى الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن قال: فكيف يدبّر من ليس بمحدود ما هو محدود؟ قيل له: لا كيف لخالق ذلك؛ لأنَّ الكيف خلق من خلقه.

فإن قال: أفداخل في الأشياء أم خارج منها؟ قيل له: لا يوصف بذلك؛ لأنَّ الخارج خلق، والداخل خلق، وهــو تعالى محيط بكلّ ذلك من جميع ما دبَّر.

فإن قال: فخارج من السمــاوات والأرض وما دبَّر؟ قيل له: ليس غير ما دبَّر فيها فيقال: خارج؛ لأنَّ الخارج مكان، والداخل مكان، وكلّ مكان تدبير.

مسألة: [اللّه بكلِّ مكان]

ويقال: الله تعالى بكلّ مكان عالم ومدبّر وحافظ، مشاهد لا يخفى عليه شــيء، ويقال: في السماء إلٰه وفي الأرض إلٰه محيط بالأشــياء على معنى الاقتدار أنَّه قادر عليها، وجلَّ تعالى علــوًّا كبيرًا [من] القول بأنَّه في السماء من اعتقــاد أنَّه فيها، ولكنَّه تدبيــره واقتداره، والدليل علــى أنَّه تعالى بكلّ مكان قولــه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ (المُلك: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأنعــام: ٣). وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠)، وقال في عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ (النساء: ١٥٨)،

وقــال: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (الشـورى: ٥٣)، ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ (هـود: ١٢٣)، وقال الله حكاية عن إبراهيـم الخليل عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ (العنكبـوت: ٢٦)؛ أي: إنِّـي ذاهـب إلى ربِّـي، وقـال الله حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ (طه: ٨٤)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ (النـور: ٣٩)، فهـو على ما ترى هو في السماوات وهو في الأرض وهو عند الملائكة، وقد رفع عيسى عليه السلام إليه، وإبراهيـم إنَّمَا هاجر إليه، وهو عنـد السماوات، والأمور ترجـع إليه وإليه تنتهي، وذلك ليعلم أنَّه بكلّ مكان ـ جلَّ ثنـاؤه ـ فالله تعالى في السماوات وفي الأرضين، وفي الأشـياء كلّها لا كالشـيء من الشـيء، وهو كائن من الأشياء كلها لا كينونة الشيء من الشـيء، وإنَّمَا هو كقول العرب: «لم أزل اليوم في غـمّ، ولم أزل في أمر فـلان»، وليس أنّهما ظـرف حوياه، ولكنَّه يقول: لم أزل ناظرًا فيه ومدبّرًا له، وكذلك ـ جلّ ثناؤه ـ هو في الأشياء كلّها مدبرا لها وعالما بها، وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ (الرحمٰن: ٢٩)؛ أي: مدبّر له ومحدث له تعالى علوًّا كبيرًا.

ومـن قال: إن الله فـي السماء فجائـز، ولكن لا يقـول: ليس هو في الأرض؛ لأنَّه تعالى يقـول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ (الحديد: ٤)، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأنعـام: ٣)، وجائز أن يقـال: إن الله تعالى بكلّ مكان على أنَّـ[ـه في] المكان بصنعـه وتدبيره لا على أن المكان مكان له، وأن الله تعالى غنيّ عن الأماكن.

وإن قيل: إنَّه تعالى بكلّ مكان، ولم يوصِل القول بأنَّه بكلِّ مكان صانعٌ ومدبِّر؛ فهو مجاز، وإن وصل القول بصنعه وتدبيـره فهو على حقيقة اللغة لا المجاز.

ويقال: «إنَّ الله معنا حيث كنَّا» على وجهين: **أحدهما**: مُعِين وناظر، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٨)، يعني: أنَّه معين لهم وناظر.

والآخر: على أنَّه يرانا، ويسمع قولنا، ويعلم سرّنا وجهرنا، وهذا القول في اللغة توسع؛ لأنَّ الله تعالى لا يجوز أن يكون مع الأشياء على جهة المجاورة ولا المماسَّة؛ ومعنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ /١٥٩/ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ (المجادلة: ٧)، على قد ما بيّنا أنَّه راء لهم وسامع لهم ليس بينه وبينهم بُعد ولا مسافة، وهذا أيضًا من التوسع في اللغة.

مسألة: [في معنى قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ...﴾]

فإن قال قائل: فما معنى قول الله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ (المُلك: ١٦)؟

قيل له: أراد الله تعالى بذلك أأمنتم من في السماء نقمه وسطواته؛ لأنَّه تعالى جعل موضع الآيات والقوارع والنقمات السماء؛ فكان من السماء يُنزل هلاك من يريد هلاكه من عباده، فخوَّفهم من عذابه الذي في السماء مثل ما أنزل بغيرهم.

فإن قال: فلم زعمتم هذا التأويل؟

قيل له: لأن السماء لا تكون مكانًا له ولا محلًّا له؛ لأنَّه ليس بجسم فيحتاج إلى الأماكن، وقد كان موجودًا قبل أن يخلق السماء، وهو [غنيّ] عن السماء كما لم يزل غنيًّا عنها، فَلَمَّا لم يجز أن تكون السماء مكانًا له

صحّ أنَّهـا إنَّمَا هي مكان لعذابـه الذي خوّف به عبـاده، إذ كان هذا القول لا يصحّ معناه في اللغة إلَّا على أحد هذين الوجهين.

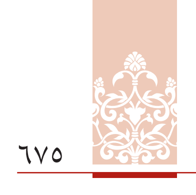
فإن قال: لم رفعـت الأيدي إلى السماء، لولا أنَّـه تعالى في السماء دون الأرض؟

قيل لـه: هذا تعبُّد مـن الله تعالى، وذلـك أنَّه جعـل السماء معدن الرسالة، وبعث منها الرسل من الملائكة، وأنزل منها المطر، وأرسل منها الصواعق وغير ذلك، فتعبّد الخلق إذا أصابتهم شـدَّة أن يدعو الله تعالى برفع أيديهم، ويلتجئون إليه من حيث أنزل إليهم الملائكة والقطر، فإن[١] الله تعالى في كلّ مكان.

ألا ترى أنَّه تعبَّدهـم بالصلاة إلى مكَّة ولـم يتعبّدهم بالصلاة نحو السماء، ولو كان على ما زعمتم أنَّهم إذا رفعـوا أيديهم نحو السماء أنَّه في السماء دون الأرض ـ تعالى عن ذلك ـ لكان إذا أمرهم بالصلاة إلى مكّة أنَّه في مكَّة دون غيرها، وهذا جهل من قائله. وكذا يجب إذا تعبّدهم بالسجود والركوع أنَّه في الأرض دون غيرها؛ لأنَّهم يركعون ويسجدون نحو الأرض. وكذلك تعبَّدهم على أن يسلِّموا على أيمانهم أنَّه في ذلك الوقت على أيمانهم دون شمائلهم، وهذا قلَّة معرفة من قائله. والله تعالى تعبَّد الخلق بفنون من العبادات، وأن لا يخلوَ منه مكان إلَّا وهو به عالم، وعليه قادر نافذ فيه أمره، لا أنَّه فـي الأماكن على التنقّل والمكث، جلَّ الله عمّا قال الملحدون.

---

(١) في النسخ: + «كان»، ولعل الصواب ما أثبتنا.



مسألة: [هل اللّه مع كلّ داخل وخارج؟]

فإن قال: أفتقولون بأن الله مع كلّ داخل وخارج؟

قيل له: نعم، على أنَّه مع كلّ شيء حافظ وقادر وعالم ومدبّر، لا أنَّه داخل في الشيء على أنَّه مَحلّ له، ولا خارج منه على حدّ الإبانة منه، ولا على جهة المماسّة ولا الالتزاق، تعالى الله عن ذلك.

فإن قال: أفتقولون إنَّه في المواضع القذرة النجسة؛ لأنَّ قولكم هو في كلّ شيء ومع كلّ شيء؟

قيل له: إن تلك المواضع هي مواضع تدبيره، فلا يقال: هو تعالى في المواضع القذرة ولا النجسة ولا الطاهرة بمعنى الحلول فيه.

وأيضًا: فإن قائل[1] هذا القول مجانب للتعظيم، وهو سبحانه لا يوصف إلَّا بالتعظيم والإجلال والتنزيه له في جميع الأمور والصفات، تعالى علوًّا كبيرًا.

مسألة: [في تنزيه اللّه عن الأشباه]

فإن قال: من أيّ وجه قلتم: إنَّه تعالى لا يشبه الأشياء ولا تشبهه؟

قيل له: لأنَّه لا يشبهها ولا تشبهه من جميع الجهات، وذلك أن التشبيه للأشياء إنَّما هو من جهتين، **فأحدهما**: اشتباه بعضها ببعض بأنفسها؛ كاشتباه الأشياء في الجنس، وكما السواد يشبه السواد، والبياض /١٦٠/ يشبه البياض، وكاشتباه الحركتين إذا كان في حركة واحدة، والصورتين إذا كانتا من مخرج واحد.

---

(١) في النسخ: قال، ولعل الصواب ما أثبتنا.

والوجه الآخر: اشــتباه الأشــياء في النظر والجنس بما يحــلّ فيها من الهيئات، نحو التأليــف والافتراق والسكون والحركات والألوان وما أشــبه ذلك، كما يشــبّه الأبيض بالأبيض في المنظر، ويشــبَّه المربّع بالمربّع في المنظر، ويشــبّه اللين اللين في المجسّ، ولا يجوز علــى الله ﷻ أن يكون مشبِّهًا للأشياء بنفسه، إنَّه ليس منها على سبيل اشتباه، ولا للأشياء منها على سبيل اشتباه الأجناس، إذ كان تعالى بنفسه خلَّاق للأجناس كلّها؛ لأنَّه قديم بنفسه وسائر الأجناس ليست بقديمة، فهو مخالف لها بنفسه، ولا يجوز أن يكون مع مخالفته لها بنفسه مثلًا لها بنفسه، ومشبهًا بها بنفسه.

وأيضًا: فإن الله تعالى حيّ بنفسه وقادر بنفسه وعالم بنفسه، ولا يستحقّ غيره من ســائر الأجناس هذا الوصف؛ فصحّ بهذا أنَّه خلّاق للأشــياء كلّها بنفسه. ولا يجوز أن يكون مع ذلك مشــبهًا لها بنفســه إذا كان لا يجوز أن يكون ما خالفها به وهو بنفسه ما أشبهها به وهو نفسه[كذا]؛ لأنَّ هذا يوجب أن يكون للاتفاق اختلاف وهذا محال.

ولا يجوز أيضًا أن يكون مشبهًا للأشياء بهيئتها وأعراضها؛ لأنَّه سبحانه [لا] يجوز أن يحلّ فيه شــيء من الأعراض ولا مــن الهيئات، ولا يجوز أن يكون مَحِلًّا لها من ذلك، ولم يجز أن يحلّ أشــياء من الأماكن لاســتغنائه عنها؛ ولأنَّه لم يزل موجودًا قبلها غير محتاج إلى شــيء منها، فَلَمَّا لم يكن للأشــياء وجه إلَّا ما ذكرنا من هذين الوجهين اللذين لا يجوزان عليه ﷻ، لم يجز أن يكون مشبها لشيء من الأشــياء؛ فصحّ أنَّه لا شبه له في الأشياء ولا نظير، وأنَّه لا يستحقّ هذا الوصف غيره، ﷻ علوًّا كبيرًا.

فإن قال: ولم لا يجوز أن يكون من الأشياء التي هي غير الله ما ليس له مثل؟



قيل له: إن كان شيء غير الله تعالى لا يخلو من أن يكون موجودًا أو مقدورًا عليه، فما كان من ذلك موجودًا فهو محدث، وما كان منه مقدورًا عليه فهو مقدور عليه أن يفعل؛ لأنَّه لا قديم إلَّا الله وحده تعالى؛ فصحّ بهذا أن كلّ شيء غير الله فله مثل، وأن الله وحده لا مثل له، تعالى عما يشركون علوًّا كبيرًا.

مسألة: [فيما لا يقوم بنفسه]

اللون معنًى واحد، وهو لا يقوم بنفسه، فإذا كان واحد مخلوقًا ـ وكلّ لون كذلك الطول والعرض والطعم ـ فالجميع داخل في حكم الواحد منه؛ لأنَّه قليل كلّ شيء هو كثير وحده من كماله، والجميع أمثال الواحد، فإذا كان الواحد مخلوقًا والعشرة مخلوقة، وإنَّمَا هي عشرة أعداد، وإذا كان حرف من الكلام مخلوقًا فالألف أجمع إنَّمَا هي عدد أمثال، مثل: الواحد، وعلى هذا تحسب جميع الحروف على هذا النظام، كلّ طعم ورائحة تحسبه، وإذا كان الواحد منه ضعيفًا فالكل منها ضعيف، وإذا كان الواحد منه حدثًا فكلٌّ منها حدث[1]، فإذا كان اللون لا يقوم /١٦١/ وحده، ولا الطول ولا العرض ولا الطعم ولا الرائحة ولا الصوت ولا الحروف؛ ثبت أن هذه الأشياء إنَّمَا قامت بغيرها، وما كان قائمًا بغيره فالعجز حالّ فيه، وما حلّ العجز فيه فقد اضطرّ إلى ذلك واضطرّ إلى فعل، والحدث فعل؛ لأنَّه محال أن يقول قائل: فعل قديم؛ لأن تأويل الفعل إحداث، فإذا فعل فهو قديم، قائمًا بقول أحدث وهو قديم، هذا أصل القضاء على الألوان بالحدث، فنعتصم بقول المسلمين، ونقتدي بهم ونتبع؛ فقد كفى

(١) كذا في (س)، ويظهر فيه نقص، وفي (ت): «منها حدث».

المؤنة، وما ترك الأوّل للآخر حجَّة فعلينا أن نقتدي بسلفنا ـ رحمهم الله ـ، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته.

تَمَّ الجزء الأَوَّل

بعون الله ـ تبارك وتعالى ـ جلَّت عظمته وحسن توفيقه

ويتلوه إن شاء الله تعالى:

الجزء الثاني:

ما يجوز من الصفات، جوازًا، ومجازًا[١]، جائز أن يقال: لم يزل الله سميعًا وهي صفة ذات...[٢]

(١) كذا في (س) وفي (ت): «جوز ومجاز» وأما في الجزء الثاني: «حقيقة ومجازًا».

(٢) هنـا ينتهي الجزء الأول من النسخـة (ت) قائلاً: «وكان فراغ هـذا الكتاب ضحى السبت سـادس من شـهر جمادى الأولى من شهور سـنة ثلاث سنين وستين سـنة وألف سنة [١٠٦٣/٥/٦هـ] على يد مالك قرطاسـه، الفقير لله تعالى بركات بن خلف بن راشـد بن سالم بيده، وتمام نسـخه بقرية مقزَّح بالبيت المعروف بالقصبة، حرمها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وعُمان يومئذ في ملك الإمام العادل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، القافي سـنَّة النَّبِيّ الطاهر المطهَّـر، والخليفتين الرضيين المرضييـن أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، وهو سـلطان بن سـيف بن مالك بن أبي العرب، والصلاة والسلام على النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم».

المحتويات

خطبة المؤلِّف وتفسيرها

كتاب العلم والعقل وما يتعلَّق بهما

كتاب التوحيد والأسماء والصفات

